الوسيط

في تفسير القرآن المجيد

تأليف
أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري
المتوفى سنة ٤٦٨ هـ

تحقيق وتعليق
الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض
الدكتور أحمد محمد صيرة
الدكتور أحمد عبد الغني الجمل
الدكتور عبد الرحمن عويس

قدمه وقرظه
الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الجزء الثاني

المحتوى

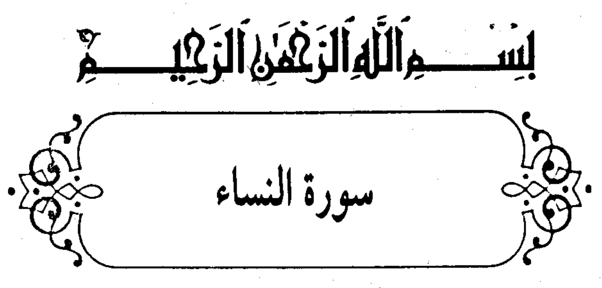
سورة النساء - سورة يوسف

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣-٨٦٨٠٥١-٦٠٢١٣٣
فاكس: ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣ - ٠٠/١٢١٢/٤٧٨١٣٧٣



سورة النساء

مدنيّة وآياتها سبعون ومائة

أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد بن المقري الزعفراني، أخبرني أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا سلام بن سليم المدايني، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً، وبرىء من الشرك، وكان في مشيئة الله عز وجل الذين يتجاوز عنهم»[1].

أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عثمان بن صالح السهمي[2]، حدثني ابن وهب، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب حدثني حميد بن عبد الرحمن[3] عن المسور بن مخرمة، أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض.[4]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴿٤﴾﴾

قوله[5] ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ قال ابن عباس[6]: الخطاب لأهل مكة.

---

(١) الحديث: انظر ما سبق نظير هذا الحديث عند افتتاح تفسير سورة آل عمران.

(٢) عثمان بن صالح بن صفوان السهمي أبو يحيى المصري، قال ابن أبي حاتم عن أبيه: كان شيخاً صالحاً وقال الحاكم عن الدارقطني: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢١٩.
(تهذيب التهذيب ٧/١٢٢ ـ ١٢٣).

(٣) حميد بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة القرشي أبو إبراهيم ـ ويقال أبو عبد الرحمن ـ سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو ومعاوية وعبد الله بن عمر وأم سلمة وأبا بكرة والنعمان بن بشير توفي سنة ١٠٥ هـ وهو ابن ٩٣ سنة، (كتاب الجمع ١/٨٨ ـ ٨٩).

(٤) انظر كنز العمال ٢/٣١٣ عن السور، والدر ٢/٢١ «رواه الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب» والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ سورة النور ـ «صحيح على شرط الشيخين». (٢/٣٩٥).

(٥) ساقطة من (د).

(٦) الذي في تفسير ابن عباس ص ٦٤ أنه عام وقد يكون خاصاً، وانظر الدر ١/٣٣ «كل ما في القرآن (يا أيها الناس) فهو مكي، وكل ما فيه =

﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ حواء[١] خلقت من ضلع من أضلاع آدم[٢]. ولذلك قال النبي ﷺ.

«إن المرأة خلقت من ضلع[٣] فإن ذهبت تقيمها[٤] كسرتها وإن تركتها وفيها عوج[٥] استمتعت بها»[٦].

وقوله ﴿وبث﴾ أي: فرق ونشر، و«البث» التفريق، ومنه قوله ﴿وزرابي مبثوثة﴾[٧] أي: متفرقة في المجالس[٨] وخلق الله الخلق فبثهم في الأرض.

وقوله ﴿منهما﴾ أي: من آدم وحواء، وهما أبو البشر، وفي هذا بيان قدرة الله تعالى، حيث خلق آدم وكان نفساً واحدة، ثم خلق منه حواء[٩] ثم خلق منهما الرجال والنساء على كثرتهم.

قوله ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به[١٠]﴾ أي: تتساءلون[١١]، فأدغم التاء في السين ومن خفف حذف ولم يدغم[١٢]. والمعنى: تتساءلون[١٣] فيما بينكم حوائجكم وحقوقكم به، فتقولون: أسألك بالله وأنشدك بالله، ونشدتك الله[١٤]، وكذا كانت العرب تقول له[١٥].

= (يا أيها الذين آمنوا) فمدني» عن ابن مسعود والضحاك وعلقمة وميمون وعكرمة، وانظر البحر ١٥٣/٣ وفتح القدير ٤١٦/١ والوجيز للواحدي ١٣٨/١.

(١) في (د): يعني حواً وكذلك. . .

(٢) انظر الزجاج ٢/١ والطبري ٥١٥/٧ عن قتادة ومجاهد وابن كثير ٤٤٨/١.

(٣) في (د): طلح أعوج.

(٤) في (هـ): تقومها.

(٥) في (د): اعوجاج.

(٦) الحديث: انظر صحيح البخاري ـ كتاب بدء الخلق ـ باب قوله الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة. .﴾ بألفاظ متقاربة. (٢٢٩/٢).

وصحيح مسلم ـ كتاب الرضاع ـ باب الوصية بالنساء (٦٢٥/١).

والترمذي ـ كتاب الطلاق ـ باب ما جاء في مداراة النساء رقم ١٢٠٠ (٣٣٠/٢).

والمستدرك ـ كتاب البر والصلة ـ «صحيح على شرط الشيخين» (١٧٤/٤).

ومصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٧٥ كلها بألفاظ متقاربة عن أبي هريرة وسمرة.

(٧) سورة الغاشية / ١٦.

وانظر غريب القرآن ١١٨ والفراء ٢٥٢/١، والطبري ٥١٦/٧.

(٨) في (د): مفرقة في المجلس.

(٩) انظر الدر ١١٦/٢ عن ابن عباس ومجاهد وابن عمر والضحاك «أن حواء خلقت من شخص آدم».

(١٠) ساقطة من (هـ).

(١١) في (د): تساءلون به فأدغم.

(١٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر (تساءلون) ـ مشددة السين ـ وقرأ عاصم والكسائي وحمزة ـ بالتخفيف.

(انظر الحجة لابن خالويه ١١٨، والسبعة ٢٢٦ والنشر ٢٤٧/٢، والتبيان ٢٢٦/١ والفراء ٢٥٣/١ والأخفش ٤٣٠/١ والبيان ٢٤٠/١).

(١٣) في (د): فأدغم التاء في السين فيما بينكم وحوائجكم ومن هنا عودة النسخة (أ).

(١٤) في (د): نشدتك الله وأنشدك بالله.

(١٥) انظر اللسان / نشد «وقولهم: نشدتك بالله وبالرحم معناه: طلبت إليك بالله وبحق الرحم. . وقال أبو العباس: نشدتك الله قال: النشيد الصوت أي سألتك بالله بالرفع نشيدي، أي: صوتي» وانظر الدر ١١٧/٢ عن مجاهد والفراء ٢٥٢/١.

وقوله[١] ﴿والأرحام﴾ قال قتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد[٢] والفراء والزجاج[٣]: واتقوا الأرحام أن تقطعوها[٤] فهي عطف على اسم الله في قوله ﴿واتقوا الله﴾.

والمعنى: واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وهذا ينبىء بوجوب صلة الرحم أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو علي الميداني، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري حدثني أبو عبد الرحمن [٥]، أن رَدَّاداً الليثي [٦] أخبره، عن عبد الرحمن بن عوف.

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «قال الله تعالى: أنا الرحمن [٧] خلقت الرحم وشققت لها إسماً من اسمي فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته» [٨].

أخبرنا[٩] أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم الصوفي أخبرنا محمد بن علي القفال الشاشي أخبرنا الحسين بن موسى بن خلف الرسغي[١٠] حدثنا إسحاق بن سيار[١١]، حدثني عمران بن هارون الرملي[١٢]، حدثني سليمان بن حيان حدثني داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعمر بالقوم الديار ويكثر لهم الأموال، وما نظر إليهم مذ خلقهم بغضاً، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: بصلتهم أرحامهم»[١٣].

---

(١) في (د): قوله.

(٢) في (هـ): وابن الزيد. (٣) في (د): والزجاج والفراء.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ ومجاهد ١٤٣ والثوري ٨٥ والزجاج ٢/٢ والدر ١١٧/٢، عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وعكرمة، والطبري ٥٢١/٧ ـ ٥٢٢ عن السدي وقتادة وابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع وابن زيد، ومجاز القرآن ١١٣/١ والفراء ٢٥٢/١ والأخفش ٤٣٠/١، وغرائب النيسابوري ١٧٨/٤ عن مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء وابن زيد والزجاج، وابن كثير ٤٤٨/١ عن الحسن والربيع وعكرمة وغيرهم.

(٥) وفي (أ): أبو سليمن.

(٦) رداد الليثي ما حدث عنه سوى أبي سلمة فحدثه عن عبد الرحمن والده في صلة الرحم (الميزان ٤٧/٢).

(٧) في (د) قال الله تعالى خلقت، وفي (هـ): إني.

(٨) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في قطيعة الرحم رقم ١٩٧٢ وصححه (٢١٠/٣ ـ ٢١١).
وأبو داود ـ كتاب الزكاة ـ باب في صلة الرحم رقم ١٦٩٤ (١٣٣/٢).
والمستدرك ـ كتاب البر والصلة «روي بأسانيد واضحة، صحيح على شرط مسلم» ١٥٧/٤ ـ ١٥٨ ومسند أحمد ١٩١/١ ـ ١٩٤ كلهم من حديث عبد الرحمن بن عوف.

(٩) في (د): قال.

(١٠) في (د): الرسعني سبق.

(١١) إسحاق بن سيار محدث نصيبين توفي سنة ٢٧٣ هـ (تذكرة الحفاظ ٦٣٦/٢).

(١٢) عمران بن أبي عمران الرملي عن بقية بن الوليد أتى بخبر كذب هو آفته (الميزان ٢٤٠/٣).

(١٣) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية بألفاظ متقاربة وقال «هذا حديث غريب من حديث داود والشعبي تفرد به عمران الرملي عن أبي حاتم» (الحلية ٣٣١/٤).
ومجمع الزوائد ـ كتاب الأدب ـ باب صلة الرحم وقطعها «رواه الطبراني وإسناده حسن» (١٥٢/٨).
والمستدرك ـ كتاب البر والصلة ـ قال الذهبي «تفرد به عمران بن موسى الرملي الزاهد عن أبي خالد، قال: وإن كان حفظه فهو صحيح» وقال الحاكم «غريب صحيح» ١٦١/٤ والجامع الكبير للسيوطي ١٧٧/١ «رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس» والطبراني في الكبير ٨٦/١٢ عن ابن عباس.

وقرأ حمزة ﴿والأرحامِ﴾ بالخفض [١]، وضعف النحويون كلهم هذه القراءة واستقبحوها.

قال الزجاج[٢]: إجماع النحويين أنه يقبح باسم ظاهر على اسم مضمر[٣] في حال الخفض إلا بإظهار الخافض[٤] كقوله ﴿فخسفنا به وبداره الأرض[٥]﴾ ويستقبح[٦] النحويون: مررت به وزيد لأن المكني المخفوض حرف متصل غير منفصل، فكأنه[٧] كالتنوين في الاسم، فقبح أن يعطف بإسم يقوم بنفسه على إسم لا يقوم بنفسه.

وقال سيبويه[٨]: لا يجوز عطف الظاهر على المكني المخفوض من غير إعادة الخافض إلا في ضرورة الشعر وأنشد[٩]:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام[١٠] من عجب

وقوله[١١] ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ «الرقيب»: الحافظ: يقال: رقب يرقب رقبة ورقباً[١٢] ومعناه: أنه يرقب عليكم أعمالكم، فاتقوه فيما نهاكم عنه.

قوله[١٣] ﴿وءاتوا اليتامى أموالهم﴾ الخطاب[١٤] للأوصياء وأولياء اليتامى أي: أعطوهم أموالهم إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ يقال: تبدل الشيء بالشيء، إذا أخذه مكانه.

---

(١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٠ وقد أجاد أبو زرعة في الدفاع عن قراءة حمزة، قال: ومن قرأ (والأرحامِ) ـ بالكسر ـ فالمعنى: تساءلون به وبالأرحام، وقال أهل التفسير: هو قوله: أسألك بالله وبالرحم وقد أنكروا هذا وليس بمنكر، لأن الأئمة أسندوا قراءتهم إلى النبي ﷺ، وأنكروا ـ أيضاً ـ أن الظاهر لا يعطف على المضمر المجرور إلا بإظهار الخافض وليس بمنكر وإنما المنكر أن يعطف الظاهر على المضمر الذي لم يجر له ذكر فنقول: مررت به وزيد، وليس هذا بحسن، فأما أن يتقدم لها وذكر فهو حسن، وذلك: عمرو مررت به وزيد، فكذلك الهاء في قوله (تساءلون به) وتقدم ذكرها وهو قوله (واتقوا الله). ومثله قول الشاعر:

فاليوم أصبحت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

(وانظر السبعة ٢٢٦، والنشر ٢/٢٤٧ والتبيان ١/٣٢٦ ـ ٣٢٧ والمشكل ١/١٨٧ وغريب القرآن ١١٨، والحجة لابن خالويه ١١٨ ـ ١١٩، والبيان ١/٢٤٠ والبحر ٣/١٥٧ ـ ١٥٩ والرازي ٩/١٦٤).

(٢) انظر الزجاج ٢/٢.

(٣) في (هـ): مظمر.

(٤) في (د): الحافظ بقوله فخسفنا به وبداره.

(٥) سورة القصص / ٨١.

(٦) في (هـ): واستقبح.

(٧) في (جـ، هـ): وكأنه.

(٨) انظر الكتاب ٢/٣٨٢ والخزانة ٥/١٢٣ عن سيبويه والزجاج ٢/٣ والمشكل ١/١٨٧ ـ ١٨٨.

(٩) البيت للأعشى وينسب لعمرو بن معديكرب ولخفاف بن ندبة ـ ولغيرهم ـ وقربت: من التقريب في السير وهو الإسراع، أي أسرعت إلى شتمنا وهجونا في زمن سيىء فلا عجب منكما. والشاهد: عطف الأيام على الكاف، والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجر.
وانظر البيت في تفسير الرازي ٩/١٦٤ قال الرازي: «والعجب من هؤلاء النحويين أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما من أكابر علماء السلف في علم القرآن».
وانظر فتح القدير ١/٤١٨ والحجة لابن خالويه ١١٩ والكتاب ٢/٣٨٣ والبحر ٢/١٢٨، ٣/١٥٨ والخزانة ٥/١٢٣ والقرطبي ٥/٣ والزجاج ٢/٣ (والحاشية) والحجة لأبي زرعة ١٩٠ (والحاشية).
والبيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعرف قائلها (الخزانة ٥/١٢٩).
وهو من بحر البسيط، و«هجاه يهجوه هجواً وهجاء وتهجاء ـ ممدود ـ شتمه بالشعر» و الشتم: قبيح الكلام وليس فيه قذف، والشتم السب). (اللسان / هجا، اللسان / شتم).

(١٠) في (د): في الأيام.

(١١) في (د): قوله.

(١٢) انظر مجاز القرآن ٢/١١٣ والأخفش ١/٤٣١ والطبري ٧/٥٢٣.

(١٣) في (هـ): قوله تعالى.

(١٤) في (د) والخطاب.

قال المفسرون[١]: كان ولي اليتيم يأخذ الجيد من ماله ويجعل الرديء مكانه فيجعل الزائف[٢] بدل الجيد والمهزول بدل السمين[٣] فنهى الله تعالى عن ذلك.

قال السدي[٤]: لا تضع بعيراً مهزولاً مكان بعير سمين، تقول[٥]: بعير ببعير، وشاة مهزولة مكان شاة سمينة، وثوباً خلقاً مكان ثوب جديد، تقول[٥] ثوب بثوب وشاة بشاة.

وأراد بـ «الخبيث»: الحرام، وهو ما يأخذه من مال اليتيم بدل ماله الحلال. قوله[٦] ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ أي: لا تضيفوها في الأكل إلى أموالكم وقال السدي[٧]: يقول: ولا تخلطوها بأموالكم ثم تأكلوها جميعاً.

﴿إنه﴾ يعني: إن أكل أموالهم ﴿كان حوباً كبيراً﴾ «الحوب والحوب والحاب»: الإثم الكبير[٨].

وقوله[٩]: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ «الإقساط»: العدل، يقال أقسط الرجل، إذا عدل[١٠] ومنه قوله ﴿وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾[١١].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خميرويه، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي حدثنا أبو اليمان بن نافع، أخبرني شعيب عن الزهري قال:

كان عروة بن الزبير يحدث أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ قالت عائشة: هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة[١٢] نسائها، فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن من النساء، رواه البخاري عن أبي اليمان[١٣]. وعلى هذا التفسير تقدير الآية: [١٤] وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح اليتامى فحذف المضاف وقوله[١٥]

---

(١) انظر تفسير الثوري ٨٦، والطبري ٧/٥٢٥ عن إبراهيم الضحاك، وابن كثير ١/٤٤٩ عن سعيد بن المسيب والزهري والدر ٢/١١٧ عن سعيد والضحاك والزهري وإبراهيم والسدي.

(٢) في (حـ): الزيف، وفي (د): الزليف.

(٣) في (هـ) مكان السمين.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧/٥٢٥ عن السدي والزهري، وابن كثير ١/٤٤٩ والدر ٢/١١٧ كلاهما عن السدي، والثوري ٨٦.

(٥) في (د): تقال.

(٦) في (جـ، هـ): وقوله، وفي (د): قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ والثوري ٨٦ حاشية، والطبري ٧/٥٢٨ وابن كثير ١/٤٤٩ كلاهما عن السدي.

(٨) انظر مجاز القرآن ١/١١٣ والزاهر ١/٩٧ ـ ٩٨ والفراء ١/٢٥٣ والطبري ٧/٥٢٩ وفتح الباري ٨/١٩٧ وابن كثير ١/٤٤٩.

(٩) في (د) قوله.

(١٠) انظر غريب القرآن ١١٩، والأخفش ١/٤٣١.

(١١) سورة الحجرات /٩.

(١٢) «أي أدنى من صداقها» حاشية أ.

(١٣) الحديث: رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب المظالم ـ باب شركة اليتيم وأهل الميراث (٢/٧٥)، وفي كتاب التفسير ـ سورة النساء ـ (٣/١١٧).

ومسلم في الصحيح ـ أبواب التفسير ـ (٢/٦٠٦).

والطبري ٧/٥٣١ ـ ٥٣٣ وأسباب النزول للواحدي ١٠٥، وابن كثير ١/٤٤٩، ٤٥٠ ـ وكلهم من حديث عائشة.

(١٤) انظر البيان ١/٢٤١.

(١٥) في (حـ): وقوله تعالى، وفي (هـ، د): قوله.

﴿فانكحوا ما طاب لكم﴾ أي: من غيرهن وقال أكثر المفسرين[١]: يقول: فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى وهمكم ذلك، فكذلك خافوا في النساء أن لا[٢] تعدلوا فيهن، فلا تتزوجوا أكثر ما يمكنكم إمساكهن والقيام بحقهن لأن النساء كاليتامى في الضعف والعجز.

وهذا قول ابن عباس ـ في رواية الوالبي ـ وسعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي.

وقوله[٣] ﴿ماب طاب لكم﴾ أي[٤]: حل لكم ﴿من النساء﴾ يعني: من اللاتي يحل نكاحهن، دون المحرمات اللاتي ذكرن في قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم. . .﴾ الآية[٥].

و «ما» ها هنا: بمعنى «من» كقوله ﴿والسماء وما بناها﴾ [٦] وقال مجاهد[٧]: معناه فانكحوا النكاح الذي طاب لكم من النساء، فـ «ما» على هذا عبارة عن النكاح.

وقوله[٨] ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ معناه: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً. على اختلاف الأحوال لأن الأربع إنما يحل نكاحهن إذا لم يتقدمها ثلاث وكذلك الثلاث إذا لم يتقدمها اثنتان [٩].

ولا تدل الآية على إباحة التسع، وإن كان مجموع هذه الأعداد تسعاً[١٠] لأن الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات، وليس من شأن البليغ أن يعبر في العدد عن التسعة باثنين وثلاثة وأربعة فمن قال: أعط زيداً اثنين وثلاثة وأربعة وهو يريد تسعة كان ذلك أعيا[١١] كلام.

قوله[١٢] ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ أي: في الأربع[١٣] بالحُب والجماع[١٤] ﴿فواحدة﴾ أي: فلينكح كل واحد منكم واحدة من الحرائر ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ من الجواري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق كالذي[١٥] يلزم في الحرائر من التسوية بينهن في القسمة.

---

(١) انظر الزجاج ٢/ ٤ والتبيان ١/ ٣٢٨ والطبري ٧/ ٥٣٦ والدر ٢/ ١١٨ عن سعيد بن جبير وابن عباس والضحاك ومجاهد والفراء ١/ ٢٥٣ وفتح القدير ١/ ٤٢٣ عن مجاهد وأبي موسى وسعيد بن جبير.

(٢) في (د): إلا أن.

(٣) في (د): قوله.

(٤) في (د، هـ): أي ما حل لكم.

(٥) سورة النساء /٢٣ وانظر الدر ٢/ ١١٩ عن أبي مالك وعائشة والحسن وسعيد بن جبير.

(٦) سورة الشمس / ٥.

(٧) انظر تفسير مجاهد ١٤٤ والفراء ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ والدر ٢/ ١١٨ ـ ١١٩ عن مجاهد.

(٨) في (د) قوله.

(٩) (مثنى وثلاث ورباع) «الواو» ليست للعطف الموجب للجمع في زمن واحد لأنه لو كان كذلك لكان عياً، إذ من إدراك الكلام أن تفصل التسعة هذا التفصيل ولأن الجمع غير صحيح أيضاً، لأن مثنى ليست عبارة عن ثنتين بل ثنتين ثنتين وثلاث عن ثلاث ثلاث، وهذا المعنى يدل على أن المراد: التخير لا الجمع وهو متصور على البدل من «ما» للعدل والوصف، و «مثنى»: لا بنون لأنه مصروف عن حده، والحد أن يقولوا اثنين وكذلك ثلاث ورباع لا تنوين فيهما.
(انظر مجاز القرآن ١/ ١١٥ والأخفش ١/ ٤٣١ والبيان ١/ ٢٤١).

(١٠) في (هـ): تسعة.

(١١) في (هـ): أعيي.
«عَيَّ بالأمر عِيًّا وعَيِي وتعايا واستعيا وهو عي وعيي وعيان: عجز عنه ولم يطق إحكامه». (اللسان / عيا).

(١٢) في غير (أ) وقوله.

(١٣) في (حـ): ألا تعدلوا في الأربع بالتسوية بينهن في القيام بحقوقهن (فواحدة) أي فلينكح كل واحد منكم واحدة بالحب والجماع (فواحدة أو ما ملكت).

(١٤) انظر تفسير الطبري ٧/ ٥٤٨ والدر ٢/ ١١٩ كلاهما عن الضحاك.

(١٥) في (د): كما كذي.

وقوله[1] ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا[2]﴾ أي: نكاح الأربع على قلة عددهن[3] أقرب إلى العدل وأبعد من الظلم.

ومعنى ﴿تعولوا﴾[4]: تميلوا وتجوروا عن جميع[5] المفسرين: و«العول»: الميل في الحكم إلى الجور.

قال الفراء: عال الرجل يعول عولاً، إذا مال وجار، وهذا قول ابن عباس والحسن وإبراهيم وقتادة والربيع وعكرمة والفراء والزجاج وابن الأنباري [6].

وقوله ﴿وءاتوا النساءَ صَدُقَاتِهِـــن نِحْلة﴾ «الصدقات»: المهور، واحدتها صدُقة [7]، «النحلة» معناها في اللغة: الديانة والملة والشريعة، يقال: فلان ينتحل كذا، إذا كان يتدين به، ونحلته كذا، أي دينه [8].

ولهذا قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد في قوله ﴿نحلة﴾ أي: فريضة [9].

والخطاب للأزواج، أمروا بإيتاء النساء مهورهن تدينا، لأنه مما أوجبه الله لهن.

وقال الكلبي: ﴿نحلة﴾ هبة وعطية، يقال: نحلت فلاناً شيئاً أنحله نحلة أي أعطيه[10]. والمعنى: أن الله جعل الصداق نحلة للنساء، فأمر الأزواج بإعطاء مهور النساء من غير مطالبة منهن، ولا مخاصمة فيه، لأن ما يأخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا أبو سهل أحمد بن الحسين القاضي[11]، حدثنا محمد بن أيوب الرازي، أخبرنا القعنبي، حدثنا عبد الله بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب[12]، عن أبي الخير[13]، عن عقبة[14] قال:

---

(١) في (د): قوله.
(٢) في (حـ): أن لا تعدلوا وفي (د) تعلوا.
(٣) في (حـ): عددهم.
(٤) في (جـ) تعدلوا.
(٥) في (حـ): وهذا قول جميع المفسرين والعدل.
(٦) انظر مجاز القرآن ١/ ١١٧ وتفسير ابن عباس ٦٤ ومجاهد ١٤٤ والثوري ٨٧، والزجاج ٢/ ٧، وغريب القرآن ١١٩، وفتح الباري ٨/ ١٩٧ والفراء ١/ ٢٥٥، والدر ٢/ ١١٩ عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبي رزين وأبي مالك والضحاك. والطبري ٧/ ٥٤٩ ـ ٥٥١ عن الحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم وأبي مالك وقتادة والربيع والسدي وابن عباس والزاهر ١/ ٢٣٩.
(٧) انظر غريب القرآن ١١٩، ومجاز القرآن ١/ ١١٧ والأخفش ١/ ٤٣٣.
(٨) انظر اللسان / نحل.
(٩) انظر تفسير ابن عباس ٦٤ والزجاج ٢/ ٨ والطبري ٧/ ٥٥٣ عن قتادة وابن جريج وابن زيد، والرازي ٩/ ١٨٠ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد، وابن كثير ١/ ٤٥١ عن الزهري عن عروة عن عائشة وقتادة وابن جريج، والدر ٢/ ١٢٠ عن ابن جريج وابن زيد وقتادة.
(١٠) انظر تفسير البغوي ١/ ٤٧٧ وغرائب النيسابوري ٤/ ١٨٨ والرازي ٩/ ١٨٠ كلها عن الكلبي وانظر غريب القرآن ١٢٠ والفراء ١/ ٢٥٦ والزاهر ٢/ ٢٦٦.
(١١) أحمد بن الحسين بن علي أبو حامد المروزي المعروف بابن الطميري من حفاظ الحديث من أهل طبرستان عارف بالتاريخ تفقه ببغداد وبلخ وتولى قضاء القضاة بخراسان توفي سنة ٣٧٦ هـ (الأعلام ١/ ١١١ ـ ١١٢).
(١٢) يزيد بن أبي حبيب ـ واسمه سويد ـ الأزدي أبو رجاء المصري فقيه مصر وشيخها لقي عبد الله بن الحارث بن جزء وروى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء وخلق وثقه أبو زرعة وابن سعد وقال كان ثقة كثير الحديث توفي سنة ١٢٨ هـ.
(تهذيب التهذيب ١١/ ٣١٨ ـ ٣١٩ وحسن المحاضرة ١/ ٢٩٩).
(١٣) أبو الخير المصري: مرثد بن عبد الله اليزني المصري الفقيه مفتي أهل مصر تفقه بعقبة بن عامر ـ ويزن: بطن من حمير ـ سمع عقبة بن عامر وعنه يزيد بن أبي حبيب توفي سنة ٩٠ هـ (تذكرة الحفاظ ١/ ٧٣).
(١٤) عقبة بن عامر الجهني أبو حماد صحابي مشهور توفي سنة ٦٠ هـ (تقريب التهذيب ٢/ ٢٧).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أحق الشرط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج» رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، عن الليث، ورواه مسلم عن محمد بن المثنى، عن يحيى القطان، عن عبد الحميد بن جعفر [١]، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب [٢].

أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل [٣]، حدثنا محمد بن يعقوب [٤] حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا سعيد بن سليمان [٥]، حدثنا يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب [٦]، حدثني أبي [٧]، عن عمه عبد الحميد [٨]، عن جده صهيب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أصدق امرأة صداقاً وهو [٩] مجمع على أن لا يوفيها إياه، ثم مات ولم يعطها إياه، لقي الله زانياً» [١٠].

وقوله [١١] ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾ قال الفراء والزجاج [١٢] فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء [١٣] من

(١) وفي (حـ): عبد الحميد عن جعفر.

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الشروط ـ باب الشروط في المهر عند عقدة النكاح (١١٧/٢) ومسلم في الصحيح ـ كتاب النكاح ـ باب الوفاء بالشروط في النكاح (٥٩٣/١) كلاهما من حديث عقبة بن عامر.

(٣) في (د): محمد بن يونس، وهو: الشيخ الثقة المأمون أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي ابن أبي عمرو النيسابوري سمع من والده وأبي عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني وأبي حامد أحمد بن محمد بن شعيب وعنه البيهقي والخطيب وخلق توفي سنة ٤٢١ هـ (سير الأعلام ٣٤٩/١٧ ـ ٣٥٠).

(٤) ابن الأخرم الإمام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري ويعرف أبوه بابن الكرماني ولد سنة ٢٥٠ هـ وصلى على جنازة محمد بن يحيى الذهلي روى عنه الحاكم أبو عبد الله ويحيى بن إبراهيم المزكي وابن منده وكان من أئمة هذا الشأن قال الحاكم: كان صدر أهل الحديث ببلدنا يحفظ ويفهم صنف مستخرجاً على الصحيحين والمسند الكبير وكتاباً على صحيح مسلم توفي سنة ٣٤٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ٨٦٤/٣ ـ ٨٦٥).

(٥) سعيد بن سليمان الحافظ المسند أبو عثمان الضبي البزاز سعدويه الواسطي سمع حماد بن سلمة وطبقته وعنه البخاري وأبو داود وإبراهيم الحربي قال أبو حاتم ثقة مأمون توفي سنة ٣٢٥ هـ. (تذكرة الحفاظ ٣٩٨/١ ـ ٣٩٩).

(٦) يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب بن سنان قال البخاري فيه نظر، وقال أبو حاتم لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات روى حديث «من أصدق امرأة صداقاً». الحديث (الميزان ٤٧٣/٤ ـ ٤٧٤).

(٧) محمد بن يزيد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده، قال البخاري: مختلف في حديثه. (الميزان ٦٦/٤).

(٨) عبد الحميد بن زياد ـ ويقال ابن زيد ـ بن صيفي بن صهيب بن سنان التيمي مولاهم روى عن أبيه زياد بن صيفي وشعيب بن عمرو بن صهيب وعنه ابن عمه ـ ويقال ابن أخيه ـ يوسف بن محمد بن صيفي، قال أبو حاتم: شيخ روى له ابن ماجه وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ١١٤/٦ ـ ١١٥، وانظر ١١٨/٦).

(٩) في (د): صداقاً ومجمع.

(١٠) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٤٠/٨ ومسند أحمد ٣٣٢/٤ والجامع الصغير ١١٨/١ ورمز له بالضعيف. ومجمع الزوائد ـ كتاب النكاح ـ باب فيمن نوى أن لا يؤدي صداق امرأته «رواه أحمد والطبراني، وفي إسناد أحمد رجل لم يسم وبقية رجاله ثقات، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم» (٢٨٤/٤).

وانظر العلل المتناهية ٦٢٣/٢ ـ ٦٢٤ روي بثلاث طرق قال المؤلف «هذا حديث لا يصح ففي الطريق الأول: عثمان بن خالد قال ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا يشبه حديثهم ولا يجوز الاحتجاج بإفراده والثاني: فيه يوسف بن محمد قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. والثالث: فيه محمد بن أبان ترك الناس حديثه وقال يحيى لا يكتب حديثه» والضعفاء الكبير ٤٥١/٤ في ترجمة يوسف بن محمد بن يزيد بن صيفي ولا يتابع على حديثه قال البخاري فيه نظر.

(١١) في (د): قوله.

(١٢) انظر الفراء ٢٥٦/١، ١٦٦/٢ والزجاج ٩/٢.

(١٣) في (د): بشيء.

الصداق ﴿فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ معنى «الهنيء»: الطيب المساغ الذي لا ينقصه شيء و«المريء» المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي[١].

قال المفسرون[٢]: يقول: لا تخافون به في الدنيا مطالبة ولا في الآخرة تبعة[٣] أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو مالك عن جويبر[٤]، عن الضحاك عن ابن عباس:

عن النبي ﷺ: أنه سئل عن هذه الآية ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ قال: «إذا جادت المرأة لزوجها بالعطية غير مكرهة لا يقضي به عليه سلطان، ولا يؤاخذ الله به[٥] في الآخرة»[٦].

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

قوله تعالى[٧]: ﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: يقول لا تعمد إلى مالك الذي خولك الله، وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن[٨] أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم، ورزقهم ومؤنتهم. فـ«السفهاء» هم النساء والصبيان، هذا قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدي[٩].

وقوله ﴿التي جعل الله لكم قياماً﴾ قال عطاء عن ابن عباس[١٠]: قياماً لمعايشكم وصلاح دنياكم، قال الزجاج[١١] التي جعلها الله تقيمكم[١٢] فتقومون بها قياماً.

---

(١) انظر الزجاج ٢/٩ وغرائب النيسابوري ٤/١٨٩ واللسان / هنأ، والبحر ٣/١٦٧، والطبري ٧/٥٦٠.

(٢) في (هـ): المفسرين. وفي (أ) قال المفسرون يقولون. ١٢) وفي (هـ): جبير.

(٣) انظر البحر ٣/١٦٦، ١٦٩ والطبري ٧/٥٥٦ ـ ٥٥٧ عن حضرمي وقتادة والوجيز للواحدي ١/١٣٩. ١٣) ساقطة من (أ).

(٦) انظر تفسير الطبري ٧/٥٥٦ عن ابن عباس وقتادة وغرائب النيسابوري ٤/١٨٩ عن ابن عباس ومصنف ابن أبي شيبة ٦/١٩٢ عن إبراهيم النخعي.

(٧) في (د): «ولا تؤتوا السفهاء أموالهم».

(٨) في (د): ولكن.

(٩) انظر تفسير مجاهد ١٤٤، والزجاج ٢/١٠، وغريب القرآن ١٢٠، والبغوي ١/٤٧٨ عن ابن عباس والدر ٢/١٢٠ ـ ١٢١ عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير وقتادة، وابن كثير ١/٤٥٢ عنهم والفراء ١/٢٥٦ والرازي ٩/١٨٥ عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير، والطبري ٧/٥٦١ ـ ٥٦٣، ٥٧٠ عن ابن عباس والحسن والسدي والضحاك وقتادة ومجاهد وأبي مالك والوجيز للواحدي ١/١٤٠.

(١٠) انظر تفسير مجاهد ١٤٥ والطبري ٧/٥٧٠ وفتح الباري ٨/١٩١ كلاهما عن ابن عباس.

(١١) انظر الزجاج ٢/١٠ ومجاز القرآن ١/١١٧. (١٢) في (د): جعل الله لكم فتقومون.

قال الكسائي: «القيام» ها هنا: إسم بمعنى القوام وهو ما يقوم به الشيء[1].

قال ابن قتيبة[2] يقال: هذا قوام أمرك وقيام أمرك، أي ما يقوم به أمرك.

وقرأ نافع «قيماً»[3] قال الأخفش: قياماً وقواماً وقيماً وقوماً: واحداً، فـ«القيم» عنده مصدر في معنى القيام[4].

وقال غيره: «القيم»: جمع قيمة، والدنانير والدرهم قيم الأشياء، واختار الزجاج هذا الوجه فقال: من[5] قرأ «قيماً» فالمعنى: أموالكم التي جعلها الله قيماً للأشياء فَبها تقوم أموركم[6].

وقوله [7] ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ «الرزق من العباد»: هو الأجر الموظف يقال: رزق فلان عياله كذا وكذا، أي [8]: أجرى عليهم.

وإنما قال ﴿فيها﴾ ولم يقل «منها» لأنه أراد: اجعلوا لهم فيها رزقاً، كأنه أوجب ذلك لهم في المال [9] قال ابن عباس[10] يريد أنفقوا عليهم منها.

ومعنى ﴿واكسوهم﴾: ألبسوهم الثياب يقال: كسوت فلاناً ثوباً فاكتساه، أي: لبسه و«الكسوة»: ما يكتسي[11] من الثياب.

وقوله[12] ﴿وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ أي: عِدَة جميلة من البر والصلة[13] تقول: إذا ربحت في سفرتي هذه[14] أحسنت إليكم، وإن غنمت في غزاتي أعطيتكم[15].

قوله تعالى: ﴿وابتلوا اليتامى﴾ قال الحسن وقتادة ومجاهد:[16] إختبروهم في عقولهم وأديانهم.

وكيفية هذا الابتلاء: أن يرد إليه الأمر في نفقته عند مراهقة[17] الحلم ليعرف[18] كيف تدبيره وتصرفه.

وإن كانت جارية يرد إليها ما يرد إلى النساء من أمور البيت وتدبير الغزل والقطن. ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي:

---

(١) انظر فتح القدير ١/٤٢٥ عن الكسائي والفراء، والتبيان ١/٣٣١ والحجة لأبي زرعة ١٩١ عن الكسائي.
(٢) انظر غريب القرآن ص ١٢٠.
(٣) قرأ نافع وابن عامر (قيما) ـ بغير ألف، والباقون بالألف.
(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٠ ـ ١٩١ والسبعة ٢٢٦ والنشر ٢/٢٤٧ والتبيان ١/٣٣٠ ـ ٣٣١، والزجاج ٢/١٠، والمشكل ١/١٨٨ ـ ١٨٩ والحجة لابن خالويه ١١٩).
(٤) انظر البيان ١/٢٤٣ عن الأخفش، وغريب القرآن ١٢٠ والطبري ٧/٥٦٨ ـ ٥٦٩.
(٥) في (د، هـ): ومن.
(٦) انظر الزجاج ٢/١٠ وغريب القرآن، والتبيان ١/٣٣٠ والبيان ١/٢٤٣ وفتح القدير ١/٤٢٦ عن البصريين.
(٧) في (د): قوله.
(٨) في (هـ): كذا وكذى إذا.
(٩) انظر التبيان ١/٣٣١ وغرائب النيسابوري ٤/١٩٢.
(١٠) انظر تفسير الطبري ٧/٥٧١ والدر ٢/١٢١ كلاهما عن ابن عباس.
(١١) في (د): ما يكسا.
(١٢) في (حـ): وقوله لهم قولاً، وفي (د): قوله وقولوا.
(١٣) في (د): وأصله.
(١٤) في (هـ): سفري هذا.
(١٥) في (حـ): أعطيتك.
(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ ومجاهد ١٤٥ والطبري ٧/٥٧٤ عن الحسن وقتادة ومجاهد ومجاز القرآن ١/١١٧ وابن كثير ١/٤٥٢ عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي ومقاتل والدر ٢/١٢١ عن مجاهد وابن عباس والحسن.
(١٧) في (هـ): مراهقته «وراهق الغلام فهو مراهق إذا قارب الاحتلام» (اللسان / رهق).
(١٨) في (د): فيعْرِف.

حال النكاح من الاحتلام[١] وإنزال الماء ﴿فإن ءانستم﴾ أي: عرفتم ورأيتم و«الإيناس» الإبصار، ومنه قوله﴿ءانس من جانب الطور ناراً﴾[٢].

وقوله [٣] ﴿منهم رشداً﴾ قال ابن عباس والسدي [٤]: هو الصلاح في العقل وحفظ المال. وقال الشافعي [٥]: الرشيد من يكون صالحاً في دينه مصلحاً لماله.

وقوله [٦] ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ يقول: لا تبادروا بأكل أموالهم قبل كبرهم [٧] ورشدهم حذراً أن يبلغوا، فيلزمكم تسليم المال إليهم ﴿ومن كان غنياً﴾ من الأوصياء وأولياء التيامى ﴿فليستعفف﴾ أي: عن مال اليتيم وليتركه.

يقال: استعف عن الشيء، وعف عنه، إذا امتنع منه وتركه[٨].

﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ وهو أن يأخذ من ماله بقدر قيامه وأجرة عمله والغني يستعف كما أمره الله، فإن أخذ الأجرة حلت له في مقابلة عمله.

أخبرنا الأستاذ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي[٩]، أخبرنا مكي بن عبدان[١٠]، حدثناأبو الأزهري[١١]، حدثناروح[١٢]، حدثنا ابن جريج ،أخبرني بكير بن عبدالله الأشجعي[١٣]، أنه سمع القاسم بن محمد يقول[١٤]:

---

(١) في (د): الأحلام وتدبير. (٢) سورة القصص / ٢٩ وانظر فتح القدير ١/٤٢٦ عن الأزهري. (٣) في (د): قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ٧/٥٧٦ عن ابن عباس وابن كثير ١/٤٥٣ عن ابن عباس وسعيد بن جبير، والدر ٢/١٢١ عن ابن عباس والسدي.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٤/١٩٢ ـ ١٩٣ عن الشافعي والطبري ٧/٥٧٦ عن الحسن، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣٢٢ عن الشافعي والحسن وابن كثير ١/٤٥٣.

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (د): ما لهم كبرهم.

وانظر معنى «بدارا» في مجاز القرآن ١/١١٧ والطبري ٧/ ٥٨٠ والأخفش ١/٤٣٤، وفتح الباري ٨/ ١٩٤ والدر ٢/ ١٢١ عن الحسن، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣٢٣.

(٨) انظر اللسان / عفف، ومفردات الراغب / عف، والمصباح المنير / عف.

(٩) شعيب بن محمد بن شعيب بن محمد بن إبراهيم العجلي أبو صالح البيهقي ولد سنة ٣٠٩ وسمع بخراسان أبا نعيم عبد الملك ومكي بن عبدان وأبا بكر بن الأنباري بالعراق وعنه الحاكم أبو عبد الله وغيره توفي سنة ٣٩٦ هـ (طبقات الشافعية ٣/٣٠٣).

(١٠) مكي بن عبدان أبو حامد التميمي النيسابوري الثقة الحجة روى عن عبد الله بن هاشم والذهلي وطائفة توفي سنة ٣٢٥ هـ (شذرات ٢/٣٠٧).

(١١) أحمد بن الأزهري بن منيع بن سليط بن إبراهيم العبدي النيسابوري أبو الأزهر قال صالح جزرة: صدوق وقال النسائي والدارقطني: لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٦٣ هـ (تهذيب التهذيب ١/ ١١ ـ ١٣).

(١٢) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان بن عمرو بن مرثد أبو محمد القيسي البصري سمع عبد الملك بن جريج وشعبة وسعيد بن أبي عمرو ومالك بن أنس توفي سنة ٣٠٥ هـ (كتاب الجمع ١/١٣٧ ـ ١٣٨).

(١٣) بكير بن عبد الله الأشجعي ـ ويقال المخزومي، ويقال الزهري ـ أبو يوسف ـ ويقال أبو عبد الله ـ كان من صلحاء المدينة قال ابن المديني: لم يكن بعد كبار التابعين أعلم من ابن شهاب ويحيى الأنصاري وبكير الأشج وقال ابن حيان: من ثقات مصر وقرائهم توفي سنة بضع وعشرين ومائة (الجمع ١/٥٨ ـ ٥٩ وحسن المحاضرة ١/٢٩٨).

(١٤) ساقطة من (حـ).

حضرت ابن عباس فاستفتاه رجل فقال: أيتام لي [١]، لهم لقاح، أفأشرب من فضل ألبانها؟ فقال: ألست ترد نادتها، وتلوط حوضها، وتكفي مهنتها[٢]؟ قال: بلى، قال: فاشرب من فضل ألبانها غير مضر بأولادها، ولا ناهك في الحلب [٣] [٤].

وقوله[٥] ﴿فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ هذا وصية من الله تعالى للأولياء بالإشهاد عليهم على دفع المال إذا دفعوه إلى الأيتام، لكي إن وقع اختلاف أمكن أن يقيم البينة على أنه رد المال إليه.

قوله ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ قال ابن عباس[٦]: مجازياً للمحسن والمسيء[٧]، و«الحسيب» بمعنى المحاسب، و«الباء» في ﴿بالله﴾ زيادة، و«حسيباً» منصوب[٨] على الحال. والمعنى: وكفى بالله في حال الحساب.

قوله ﴿للرجال نصيب...﴾ الآية قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن أوس بن ثابت الأنصارى[٩] توفي وترك ثلاث بنات وامرأته يقال لها أم كحة[١٠]، فقام رجلان من بني عمه فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية[١١].

قال المفسرون[١٢]: كانت العرب في الجاهلية لا تورث النساء ولا الصغار شيئاً وإن كانوا ذكوراً، وإنما كانت

---

(١) في (د): أيتام لهم لقاح. «الجوهري: اللقاح ـ بكسر اللام ـ الإبل بأعيانها الواحدة لقوح وهي الحلوب». (اللسان / لقح).

(٢) نادتها: من ند البعير، إذا نفر وذهب على وجهه، ولاط الحوض، إذا أصلحه بالطين والمهنة: الخدمة. (عمدة القوي والضعيف ص ٩).

(٣) «ونهكت الناقة حلباً أنهكها، إذا نقصتها فلم يبق في ضرعها لبن» (اللسان / نهك).

(٤) انظر تفسير الطبري ٥٨٨/٧ ـ ٥٨٩ وابن كثير ٤٥٣/١ والدر ١٢٢/٢ كلها عن القاسم والثوري ص ٩١.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الزاهر ٩٧/١ والبغوي ٤٨٢/١ والوجيز للواحدي ١٤١/١.

(٧) ساقطة من (د).

(٨) في (هـ) منسوب على الحال (وانظر التبيان ٣٣٢/١، والبيان ٢٤٣/١).

(٩) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة الأنصاري الخزرجي النجاري أخو حسان بن ثابت الشاعر شهد العقبة وبدراً توفي يوم أحد وفيه نزل وفي امرأته(للرجال نصيب مما ترك الوالدان..) (أسد الغابة ١٦٥/١ ـ ١٦٦).

(١٠) أم كُحة: بضم الكاف والحاء المهملة ـ زوج أوس بن ثابت نزلت فيها آية المواريث. (أسد الغابة ٣٨١/٧، وعمدة القوي والضعيف ص ٩).

(١١) انظر تفسير الطبري ٥٩٨/٧ عن عكرمة «نزلت في أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس بن سويد، كان أحدهما زوجها والآخر عم ولدها، فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته...».
وانظر ٣١/٨ عن السدي «كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الصغار من الغلمان، لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان بن ثابت وترك امرأة يقال لها أم كجة ـ بالجيم ـ وترك خمس أخوات فجاء الورثة يأخذون المال فشكت أم كجة ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم..﴾.
وانظر تفسير الرازي ١٩٤/٩ عن ابن عباس والرجلان هما: سويد وعرفجة.
وكذا عنه البغوي ١٩٥/٤ عن ابن عباس والرجلان هما: سويد وعرفجة.
وأسد الغابة ٣٨١/٧ ـ ٣٨٢ عن ابن عباس.
قال ابن كثير «سيأتي هذا الحديث بسياق آخر عند آيتي المواريث، والله علم» (٤٥٥/١).

(١٢) انظر الزجاج ١٢/٢وغريب القرآن ١٢١ وتفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ٥٩٧/٧، ٥٩٩ عن قتادة وابن زيد، ٣١/٨ عن السدي، وابن كثير ٤٥٤/١، والدر ١٢٢/٢ ـ ١٢٣ عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وأحكام القرآن ٣٢٧/١ عن قتادة.

تورث الكبار ومن طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فأبطل الله ذلك عليهم، وأعلم أن حق الميراث على ما ذكر من الفرض.

وقوله ﴿**نصيباً مفروضاً**﴾ قال الأخفش[1]: هو نصب على معنى: جعل لهم نصيباً، والآية تدل على هذا لأن قوله ﴿**للرجال نصيب**﴾، ﴿**وللنساء نصيب**﴾ يدل على معنى: جعل لهم نصيباً.

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾

قوله ﴿**وإذا حضر القسمة**﴾ يعني: قسمة المال بين الورثة ﴿**أولوا القربى**﴾[2] ذوو القرابات الذين يحزنون ولا يرثون ﴿**واليتامى والمساكين فارزقوهم منه**[3]﴾ هذا على الندب والاستحباب يستحب للوارث أن يرضخ[4] لهؤلاء بشيء من التركة بقدر ما تطيب به نفسه[5] من الذهب والورق، ويقول لهم عند قسمة العقار والرقيق [﴿**وقولوا لهم] قولاً معروفاً**﴾ وهو أن يقول: بورك فيكم[6].

قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي[7]: هذه الآية منسوخة بآية المواريث وإباحة الثلث للميت يجعله حيث يشاء من القرابات واليتامى والمساكين.

قوله[8] ﴿**وليخش الذين لو تركوا...**﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء [9] كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له: انظر لنفسك فإن ولدك لا[10] يغنون عنك من الله شيئاً، فيقدم الرجل ماله، ويحجب ولده.

وهذا قبل أن تكون الوصية في الثلث، فكره الله تعالى ذلك[11] منهم وأنزل﴿**وليخش الذين لو تركوا من خلفهم**

---

(١) انظر الأخفش ٤٢٢/١، ٤٣٤، والبيان ٢٤٤/١.

(٢) في (هـ): أولي القربى يعني ذو القربات.

(٣) «الهاء» في (منه) تعود إلى القسمة، وإن كانت مؤنثة لأنها بمعنى المقسوم. (البيان ٢٤٤/١).

(٤) في (د): يوضح، ورضخ له من ماله يرضخ رضخاً: أعطاه وقيل: الرضخ والرضخة العطية (اللسان / رضخ).

(٥) في (د): النفس.

(٦) انظر الزجاج ١٣/٢.

(٧) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣٢٩/١ عن ابن عباس وسعيد وقتادة والزجاج ١٣/٢ والطبري ٧/٨ ـ ١١ وابن كثير ٤٥٥/١ والدر ١٢٣/٢ عن عكرمة عن ابن عباس هي محكمة «وعن مقسم عن ابن عباس» هي قائمة بعمل بها وقضى بها أبو موسى وهي محكمة عند يحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وعائشة. وهي منسوخة من طريق عطاء عن ابن عباس والعوفي عن ابن عباس ومجاهد عن ابن عباس وقال بالنسخ سعيد بن المسيب وأبو مالك وأبو صالح، وصحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ عن ابن عباس وهي محكمة وليست بمنسوخة ١١٨/٣ وانظر الناسخ والمنسوخ لابن سلامة ذكر القولين ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٨) في (د): قوله تعالى.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ١٩/٨ عن ابن عباس والرازي ١٩٨/٩، والدر ١٢٣/٢ ـ ١٢٤ عن ابن عباس.

(١٠) في (حـ): ولدك لا يغني.

(١١) في (د): فكره الله تعالى منهم فأنزل الله.

ذرية ضعافاً﴾ أي: أولاداً صغاراً **﴿خافوا عليهم﴾** الفقر **﴿فليتقوا الله﴾** فليخافوا الله إذا قعدوا عند أحد من إخوانهم وهو في الموت **﴿وليقولوا قولاً سديداً﴾** عدلاً، وهو أن يأمره أن يخلف ماله لولده، ويتصدق بما دون الثلث، وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي[١].

و«السديد»: العدل والصواب من القول، يقال: سدداً وسداداً وسديداً[٢].

قوله[٣] **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾** سماه بما يؤول إليه في العاقبة، كقوله **﴿أعصر خمراً﴾**[٤] ومنه قوله عليه السلام في الشارب من آنية الذهب والفضة:

«إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[٥].

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد المخلدي، أخبرنا الحسين بن علي بن يحيى الدارمي، حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الماسرجسي أخبرنا شيبان بن فروخ[٦]، حدثنا حماد بن سلمة[٧]، عن أبي هارون العبدي[٨] عن أبي سعيد الخدري:

أن رسول الله ﷺ قال في حديث المعراج: «فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم، فقلت يا جبريل: من هؤلاء؟ قال: **﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾**[٩].

أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن جعفر[١٠]، أخبرنا أبو عمرو محمد أحمد الحيري، أخبرنا أحمد بن

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٦٥ والطبري ٨/٢٠ ـ ٢١ عن الحسن وقتادة والسدي وسعيد وغيرهم وابن كثير ١/٤٥٦ عن ابن عباس ومجاهد وفتح القدير ١/٤٣٠ عن ابن عباس.

(٢) انظر اللسان / سدد، والمصباح المنير / سدد، وغريب القرآن ١٢١.

(٣) في (جـ، هـ): قوله تعالى.

(٤) سورة يوسف / ٣٦.

(٥) انظر صحيح مسلم ـ كتاب الأشربة ـ باب تحريم استعمال أواني الذهب والفضة ٢/٢٢٧ ـ ٢٢٨ وسنن البيهقي ٤/١٤٦ وابن ماجة ٢/١١٣٠ ومسند أحمد ٦/٣٠٤ ـ ٣٠٦. كلهم من حديث أم سلمة. والطبراني في الصغير ١/١١٥ عن ابن عباس. والجامع الصغير ١/٨٤ ورمز له بالصحيح.

(٦) شيبان بن فروخ الحيطي أبو محمد الأيلي وفروخ يكنى أبا شيبة سمع سليمان بن المغيرة ومهدي بن ميمون وعبد الوارث وحماد بن سلمة وغيرهم توفي سنة ٢٣٧ هـ.
(الجمع ١/٢١٥).

(٧) في (د): أحمد.

(٨) أبو هارون العبدي: عمارة بن جوين روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر تابعي لين بمرة، كذبه حماد بن زيد وقال شعبة: لئن أقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أنْ أحدث عن أبي هارون، وقال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين ضعيف لا يصدق في حديثه وقال النسائي متروك مات سنة ١٣٤ هـ (الميزان ٣/١٧٣ ـ ١٧٤).

(٩) في (أ، هـ): رواه مسلم عن شيبان بن فروخ. وانظر الدر ٢/١٢٤ «رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي سعيد» وكذا في فتح القدير ١/٤٣٠ وابن كثير ١/٤٥٦، وغرائب النيسابوري ٤/١٩٨. والطبري ٨/٢٧ قال المحقق «والأثر: أخرجه ابن كثير، والسيوطي في الدر نسبه لابن جرير وابن أبي حاتم».

(١٠) في (هـ): أحمد بن محمد بن عبد الرحمن.

علي بن المثنى، حدثنا عقبة بن مكرم[١]، حدثنا يونس بن بكير[٢]، أخبرنا زياد بن المنذر[٣]، عن نافع بن الحرث[٤]، عن أبي برزة[٥]:

أن رسول الله ﷺ قال يبعث الله عز وجل [٦] قوماً من قبورهم تأجج [٧] أفواههم ناراً، فقيل: من هم يا رسول الله؟ فقال: ألم تر أن الله يقول (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً)؟ [٨].

وقوله ﴿وسيصلون سعيراً﴾ يقال: صلى [٩] الكافر النار يصلاها صلا وصلاء وهو صال [١٠] النار، إذا قاسى حرها وشدتها، ومنه قوله ﴿إلا من هو صال [١١] الجحيم [١٢]﴾ ومن ضم الياء [١٣] فهو من قولهم: أصلاه الله حر النار إصلاءً، قال الله تعالى: ﴿فسوف نصليه ناراً﴾ [١٤].

و «السعير» النار المستعرة [١٥] يقال: سعرت النار أسعرها سعراً [١٦] وهي مسعورة وسعير.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن

(١) عقبة بن مكرم الضبي الكوفي روى عن ابن عيينة ويونس بن بكير ولم تقع له رواية في الكتب الستة توفي سنة ٢٤٣ هـ. (العبر ١/٣٤٦).

(٢) يونس بن بكير بن واصل الشيباني أبو بكر الجمال وثقه ابن معين وقال النسائي ليس بالقوي وفي موضع آخر: ضعيف وذكره ابن حيان في الثقات توفي ١٩٩ هـ.
(تهذيب التهذيب ١١/٤٣٤ ـ ٤٣٥).

(٣) زياد بن المنذر الهمذاني ـ وقيل الثقفي ويقال النهدي ـ أبو الجارود الكوفي الأعمى عن أبي برزة والحسن وعنه مروان بن معاوية ومحمد بن سنان العوفي وعدة قال ابن معين كذاب وقال النسائي وغيره متروك وقال ابن حيان كان رافضياً يضع وقال الدارقطني متروك توفي سنة ١٥٠ هـ (الميزان ٢/٩٣، الأعلام ٣/٩٣).

(٤) نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى الهمذاني الدارمي ويقال السبيعي ـ الكوفي القاضي ويقال اسمه نافع ـ روى عن عمران بن حصين ومعقل بن يسار وأبي برزة الأسلمي وابن عباس وغيرهم قال ابن معين: وضاع وقال أبو حاتم منكر الحديث وقال النسائي متروك (تهذيب التهذيب ١٠/٤٧٠ ـ ٤٧٢).

(٥) في (هـ) بريدة وهو: نضلة بن عبيد بن الحارث أبو برزة الأسلمي سكن البصرة سمع النبي ﷺ وتوفي في إمارة يزيد بن معاوية (الجمع ٢/٥٣٤).

(٦) في (د): بعث الله قوماً.

(٧) في (د): تأجج من، وفي (حـ): أفواههم فقيل.

(٨) الحديث: انظر فتح القدير ١/٤٣٠ أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني وابن حبان في صحيحه وكذا في الجامع الكبير للسيوطي ١/٩٨٩. ومجمع الزوائد كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ «رواه أبو يعلى والطبراني وفيه زياد بن المنذر وهو كذاب» وابن كثير ١/٤٥٦ والدر ٢/١٢٤ كلهم من حديث أبي برزة.

(٩) في (حـ): صل.

(١٠) في (أ، د، هـ): صالى.

(١١) في (د): قاسا.
وانظر اللسان / صلا.

(١٢) في (د): النار، والنص من سورة الصافات / ١٦٣.

(١٣) قرأ ابن عامر وأبو بكر (وسيُصلون سعيراً) ـ بضم الياء ـ أي يُفعل بهم على ما لم يسم فاعله، وحجتهما: قوله (سأصليه سقر) سورة المدثر /٢٦ ـ وقال قوم (سيصلون) يحرقون. وقرأ الباقون ـ بفتح الياء ـ وحجتهم (لا يصلاها إلا الأشقى) سورة الليل /١٥. (انظر الحجة لأبي زرعة ١٩١، والسبعة ٢٢٧ والنشر ٢/٢٤٧ والزجاج ٢/١٤ والتبيان ١/٣٣٤ والحجة لابن خالويه ١٢٠ ومفردات الراغب / صلا).

(١٤) سورة النساء / ٣٠.

(١٥) في (د): المسعرة.

(١٦) في (حـ): سعيراً، وانظر اللسان /سعر «وسعر النار والحرب يسعرهما سعراً، وأسعرهما وسعرهما أوقدهما وهيجهما، واستعرت وتسعرت: استوقدت، ونار سعير: مسعورة»

كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

قوله ﴿يوصيكم الله في أولادكم . .﴾ الآية، أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد المنصوري، أخبرنا علي بن عمر الحافظ حدثنا يحيى بن صاعد، حدثنا أحمد بن المقدام [(١)]، حدثنا بشر بن المفضل [(٢)]، حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل [(٣)]، عن جابر بن عبد الله قال:

جاءت امرأة [(٤)] بابنتين لها، فقالت: يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس [(٥)] أو قالت [(٦)] سعد بن الربيع [(٧)] قتل

(١) أحمد بن المقدام أبو الأشعث البصري العجلي المحدث سمع حماد بن زيد وطائفة وقال الذهبي في المغني ثقة ثبت توفي سنة ٢٥٣ هـ (شذرات ٢/١٢٧).

(٢) بشر بن المفضل بن لاحق الإمام المحدث الثقة أبو إسماعيل الرقاشي مولاهم البصري الحافظ العابد حدث عن حميد الطويل وخالد الحذاء وسهيل بن أبي صالح والجريري وعنه أحمد بن المقدام، وابن حنبل، وابن المديني وغيرهم إليه المنتهى في الثبت بالبصرة توفي سنة ١٨٧ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٣) عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب الهاشمي ضعفه ابن معين وقال ابن المديني لم يدخله مالك في كتبه واحتج به أحمد وإسحاق وقال أبو حاتم وغيره: لين الحديث. وقال الترمذي صدوق (الميزان ٢/٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٤) هي حبرية بنت سهل بن ثعلب بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس (تهذيب التهذيب ١٢/٤٠٨) وبنتا سعد بن الربيع: لم يعرف بهما (أسد الغابة ٧/٤١٧).

(٥) ثابت بن قيس له أولاد ذكور وقتل باليمامة (الكاشف ١/١٧١).
ولم يذكره ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أحد وإنما ذكر سعد بن الربيع (سيرة ابن هشام ٣/٦٣ وما بعدها).

(٦) في (د): قال.

(٧) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس الأنصاري الخزرجي الحارثي البدري النقيب الشهيد يوم أحد سنة ٣ هـ (سير الأعلام ١/٣١٨).

معك يوم أحد، وقد استفاء[١] عمهما مالهما وميراثهما فلم[٢] يدع لهما مالاً إلا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فوالله ما ينكحان أبداً إلا ولهما مال، قال:

فقال: «يقضي الله في ذلك، فنزلت سورة فيها ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ إلى آخر الآية، فقال لي رسول الله ﷺ ادع لي المرأة وصاحبها، فقال لعمها: أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن، وما بقي فلك»[٣].

ومعنى ﴿يوصيكم الله﴾ قال الزجاج[٤] يفرض عليكم، لأن الوصية من الله فرض، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾[٥] وهذا من الفرض المحكم علينا.

ثم بين ما أوصى فقال ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ يعني: [للابن من الميراث مثل حظ الأنثيين][٦].

ثم ذكر نصيب الإناث من الأولاد فقال ﴿فإن كُنَّ﴾ يعني الأولاد[٧] ﴿نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ وأجمعت الأمة على أن: للبنتين الثلثين إلا ما روي عن ابن عباس: أنه ذهب إلى ظاهر الآية وقال: الثلثان فرض الثلاث من البنات لأن الله تعالى قال ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾[٨] فجعل الثلثين للنساء إذا زدن على الثنتين[٩] وهذا غير مأخوذ به[١٠].

---

(١) «أي استرجع حقهما من الميراث وجعله فيئاً له، والفيء: الغنيمة». (اللسان / فيأ، وحاشية أ).

(٢) في (جـ، هـ): ولم يدع.

(٣) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب الفرائض ـ باب ما جاء في ميراث البنات رقم ٢١٧٢ «حسن صحيح» (٣/٢٨٠). والحاكم في المستدرك ـ كتاب الفرائض ـ وصححه ٤/٣٣٤، ٣٤٢.
وأبو داود ـ كتاب الفرائض ـ باب ما جاء في ميراث الصلب رقم ٢٨٩١ (٣/١٢٠ ـ ١٢١) وسير أعلام النبلاء ـ في ترجمة سعد بن الربيع ـ (١/٣١٩).
وأسد الغابة ـ في ترجمة ابنتي سعد بن الربيع ـ (٧/٤١٧).
ومسند أحمد ٣/٣٥٢ كلهم من حديث جابر.

(٤) انظر الزجاج ٢/١٥ والتبيان ١/٣٣٤.

(٥) سورة الأنعام / ١٥١.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٧) في (حـ): يعني أولاد، وفي (د): يعني الأولاد للابن من الميراث مثل نصيب البنتين.

(٨) في (حـ): فلن فجعل.

(٩) في (د): اثنتين.

(١٠) في تفسير ابن عباس ص ٦٥ قال «إبنتين أو أكثر» وهو خلاف ما نسب إليه هنا.
ويقول الزجاج: «فإن قال قائل: إنما ذكر لنا ما فوق الثنتين وذكرت واحدة، فلمَ أعطيت البنتان الثلثين فسوى بين الثنتين والجماعة؟ فقد قال الناس في هذا غير قول، قال بعضهم: أعطيت البنتان الثلثين بدليل: لا تفرض لهما مسمى والدليل هو قوله ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس لو ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ النساء /١٧٦. فقد صار للأخت النصف، كما أن للابنة النصف ﴿فإن كانتا إثنتين فلهما الثلثان﴾ فأعطيت البنتان الثلثين كما أعطيت الأختان. وأعطي جملة الأخوات الثلثين قياساً على ما ذكر الله عز وجل في جملة البنات.
وفي الآية نفسها دليل على أن للبنتين الثلثين، لأنه إذا قال (للذكر مثل حظ الأنثيين) وكان أول العدد ـ أي أقل العدد ـ ذكر وأنثى فللذكر الثلثان وللأنثى الثلث، فقد بان من هذا أن للبنتين الثلثين، والله قد أعلم أن ما فوق الثنتين لهما الثلثان. وجميع هذه الأقوال التي ذكرنا حسن جميل بين، فأما ما ذكر عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت فهذا لا أحسبه صحيحاً عن ابن عباس وهو يستحيل في القياس لأن منزلة الاثنين منزله الجمع، فالواحد خارج عن الاثنين.
(معاني القرآن للزجاج ٢/١٦ ـ ١٧).
وانظر فتح القدير ١/٤٣١ ـ ٤٣٢ وغرائب النيسابوري ٤/٢٠٤ ـ ٢٠٥ والخازن ١/٤٩٠.

ووجه الآية، أن ﴿فوق﴾ ها هنا: صلة لا معنى له، كقوله ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ [١]، يريد: فاضربوا الأعناق.

وسمى البنتين جماعة، لأن الاثنين جماعة عند العرب، والله تعالى يقول ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [٢] وقال ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ [٣]. فسمى التثنية باسم الجمع، فثبت بهذا البيان أن ثلثي التركة للبنتين، وأن نصفها للواحدة، وهو قوله ﴿وإن كانت واحدة فلها النصف﴾.

وقرأ نافع ﴿واحدة﴾ ـ بالرفع ـ على معنى: وإن وقعت واحدة[٤]. وتم بيان ميراث الأولاد.

ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ﴿ولأبويه﴾ يعني: أبوي الميت، ولم يجر له ذكر فكنى عن غير مذكور ﴿لكل واحدٍ منهما﴾ من الأبوين ﴿السدس إن كان له﴾ للميت ﴿ولد﴾ أو ولد ابن[٥]. واسم «الولد» يقع على ما ولد الابن[٦] ﴿فإن لم يكن له ولد وورثه[٧] أبواه فلأمه الثلث﴾ إذا مات ولم يخلف غير أبويه كان ثلث المال للأم، والباقي للأب.

وقرأ حمزة[٨] ـ بكسر الهمزة إذا وليتها كسرة أو ياء ـ نحو: فلأمه ﴿أو بيوت أمهاتكم﴾[٩] وفي أمها (أتبع) الهمزة ما قبلها من الياء والكسرة[١٠].

قال أبو إسحاق الزجاج[١١] إنهم استثقلوا الضمة بعد الكسرة في قوله ﴿فلأمه﴾ وليس من كلام العرب مثل: فِعُل ـ بكسر الفاء وضم العين.

فإن كان للميت أخوان عاد نصيب الأم من الثلث إلى السدس وهو قوله ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾.

وأجمعت الأمة على أن الأخوين[١٢] يحجبان الأم من الثلث إلى السدس والأخ الواحد لا يحجب.

---

(١) سورة الأنفال / ١٢.
(٢) سورة التحريم / ٤.
(٣) سورة المائدة / ٣٨.
(٤) (انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٢، والسبعة ٢٢٧ والنشر ٢٤٧/٢ ـ ٢٤٨ والتبيان والزجاج ١٥/٢ والحجة لابن خالويه ١٢٠).
(٥) في (حـ): ولد ابن وفي (هـ): أولد ابن.
(٦) في (هـ): الولدين.
(٧) من هنا صحيفة مكررة في (أ) وتنتهي بقوله «والمراد بالكلام..» وتزيد الصفحة التالية المكررة سطراً وتنتهي بقوله «قال ابن عباس» وأعلاها إشارة بالتكرار.
(٨) قرأ حمزة والكسائي ـ بكسر الهمزة ـ إذا كانت قبلها كسرة أو ياء ساكنة، وحجتهما أنهما استثقلا ضم الألف بعد كسرة أو ياء فكسر الكسرة والياء ليكون عمل اللسان من جهة واحدة. وقرأ الباقون ـ بالضم ـ على الأصل.
(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٢ والسبعة ٢٢٧ ـ ٢٢٨ والنشر ٢٤٨/٢ والتبيان ٣٣٤/١ والزجاج ٢١/٢ والبيان ٢٤٤/١ والحجة لابن خالويه ١٢٠).
(٩) سورة النور /٦١ وفي جميع النسخ: وبيوت أمهاتكم.
(١٠) انظر شرح الشاطبية بشرح علي محمد الضباع ص ١٨٠:

وفي أم مع في أمها فلأمه ... لدى الوصل ضم الهمز بالكسر شمللا
وفي أمهات النحل والنور والزمر ... مع النجم شف واكسر الميم فيصلا

(١١) انظر الزجاج ١٧/٢.
(١٢) في (هـ): أخوين.

وابن عباس يخالف في هذه المسألة وهي ما أخبرناه:

أبو إسحاق أحمد بن محمد المفسر، [١] أخبرنا شعيب بن محمد أخبرنا مكي بن عبدان حدثنا أبو الأزهري، حدثنا ورح [٢] حدثنا ابن جريج، قال حدثت عن ابن أبي ذيب [٣] عن شعبة[٤]:

عن ابن عباس أنه دخل على عثمان بن عفان فقال: إن الأخوين لا يردان الأم إلى السدس، إنما قال الله تعالى: ﴿فإن[٥] كان له إخوة فلأمه السدس﴾والأخوان في لسان قومك وكلام العرب ليسا بإخوة، [٦] فقال عثمان: لا أستطيع أن أنقض أمراً كان قبلي وتوارثه الناس وجرى في الأمصار[٧].

قال العلماء: هذا غلط من ابن عباس لأن الاثنين[٨] يسميان بالجمع في كثير من الكلام حكى سيبويه: أن العرب تقول: قد وضعا[٩] رحالهما، يريدون: رحلي راحلتيهما[١٠].

وقال ابن الأنباري[١١]: التثنية عند العرب أول الجمع، ومشهور في كلامهم إيقاع الجمع على التثنية ومن ذلك[١٢] قوله تعالى: ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ [١٣] يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام.

---

(١) في (د): قال.

(٢) ساقطة من (أ).

(٣) في (حـ): عن أبي نيب، وهو: محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ـ واسمه هشام ـ بن شعبة أبو الحارث سمع الزهري وسعيداً المقبري ونافعاً توفي سنة ١٥٩ هـ (كتاب الجمع ٢/٤٤٤).

(٤) قال الحضرمي «وقع في نسخة في سند حديث ابن جريج: أنا ابن جريج قال حدثت عن ابن أبي ذيب عن شعبة عن ابن عباس. وهو خطأ.

والصواب: سعيد بدل شعبة ـ وهو سعيد بن أبي سعيد المقبري، فإن سعيد بن أبي سعيد روى عن الصحابة عن أبي هريرة وأبي شريح وغيرهم وهو من التابعين وعاش حتى مات بخلافة هشام بن عبد الملك وأما شعبة فلم يدرك ابن عباس لأنه ولد سنة ٨٣ وتوفي سنة ١٨٠ هـ وابن عباس توفي سنة ٦٩ هـ قبل ولادة شعبة بأربع عشرة سنة (عمدة القوي والضعيف ص ٩).

ولكني وافقت النسخ وأثبت «شعبة» لتضعيف الرواية، لا لتقويتها.

(٥) في (حـ، د، هـ): إن كان.

(٦) هذا خلاف ما جاء في تفسير ابن عباس حيث أثبت عنده ما عليه الأمة، انظر ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٧) ويقول الزجاج «والإجماع على خلاف ما روي عنه...» (معاني القرآن للزجاج ٢/١٨ ـ ١٩).

وانظر ابن كثير ١/٤٥٦ وفتح القدير ١/٤٣٣ ومنتخب الكنز ٤/٢١١ ـ ٢٢٥.

والمستدرك ـ كتاب الفرائض «وصححه» عن ابن عباس ٤/٣٣٥.

والطبري ٨/٤٠ عن ابن عباس، قال المحقق: «وقد عقب ابن كثير عليه بقوله وفي صحة هذا الأثر نظر فإن شعبة هذا ـ أي مولى ابن عباس ـ تكلم فيه مالك بن أنس ولو كان هذا صحيحاً عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصاء به، والمنقول عنهم خلافه» وانظر البغوي ١/٤٩٠ ـ ٤٩١ عن ابن عباس.

(٨) في (هـ): لاثنين.

(٩) في (د): وضع.

(١٠) انظر الكتاب ٢/٤٩ والزجاج ٢/٢٠.

(١١) انظر تفسير الخازن ١/٤٩١ عن ابن الأنباري ومجاز القرآن ١/١١٨ والطبري ٨/٤٣، والأخفش ١/٤٣٦.

(١٢) في (أ): وذلك وفي (حـ): فذلك.

(١٣) سورة الأنبياء / ٧٨.

قوله ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ أي: هذه الأنصبة إنما تقسم بعد قضاء الدَّيْن وإنفاذ وصية الميت في ثلثه.

وقرئ ﴿يوصي﴾ بفتح الصاد وكسرها[١] ـ فمن كسر: فلأن المعنى من بعد وصية يوصيها الميت ومن فتح الصاد: فإنه يؤول في المعنى إلى يوصى، ألا ترى أن الموصي هو الميت.

وقوله ﴿ءاباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ أي: إنكم لا تدرون أي هؤلاء أنفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق، ولكن الله تعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمه منه، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فأفسدتم وضيعتم، وهذا معنى قوله ﴿فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾.

قال عطاء ﴿كان عليماً﴾ بخلقه قبل أن يخلقهم ﴿حكيماً﴾ حيث فرض للصغار مع الكبار[٢].

أخبرنا أبو منصور المنصوري، حدثنا علي بن عمر بن مهدي، حدثنا الحسين بن إسماعيل[٣]، حدثنا يوسف بن موسى[٤]، حدثنا عمرو بن حمران[٥]، عن عوف عن سليمان بن جابر الهجري[٦]، قال: قال عبد الله بن مسعود:

قال لي رسول الله ﷺ: «تعلموا القرآن وعلموه الناس[٧] [وتعلموا العلم وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس][٨] فإني امرؤ مقبوض، وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن، حتى يختلف اثنان في الفريضة، ولا يجدان من يفصل بينهما[٩]».

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أباذي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي بجرجان، أخبرنا

---

(١) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٣، والسبعة ٢٢٨ والنشر ٢/٢٤٨ والأخفش ١/٤٣٨ والحجة لابن خالويه ص ١٢٠.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/٥١ والخازن ١/٤٩١ وابن كثير ١/٤٥٩ بنحوه عن ابن عباس، والبحر ٣/١٨٧ وفتح القدير ١/٤٣٤ عن الزجاج.

(٣) الحسين بن إسماعيل بن محمد العنبي أبو عبد الله المحاملي ثقة مأمون توفي سنة ٣٣٠ هـ. (شذرات ٢/٣٢٦).

(٤) يوسف بن موسى بن عبد الله أبو يعقوب القطان المروي المرورذي رحل إلى الآفاق البعيدة في طلب الحديث وحدث عن ابن راهويه وعلي بن حجر وأبي كريب وكان ثقة صدوقاً توفي سنة ٢٩٦ وثقه الخطيب.
(سير الأعلام ١٤/٥١، والمنتظم ٦/٨٩).

(٥) لم أقف عليه.

(٦) سليمان بن جابر الهجري روى عن ابن مسعود ـ وقيل عن أبي الأحوص عن ابن مسعود وعنه عوف الأعرابي روى له الترمذي والنسائي حديثاً واحداً في تعليم الفرائض «الحديث» ولم يعرف سليمان (تهذيب التهذيب ٤/١٧٧، والميزان ٢/١٩٨).

(٧) في (د): للناس.
وفي (جـ،هـ): وتعلموا الفرائض وعلموها الناس وتعلموا العلم وعلموه الناس.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٩) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب الفرائض ـ باب ما جاء في تعليم الفرائض رقم ٢١٧٠، بألفاظ متقاربة وقال «فيه اضطراب» (٣/٢٧٩).
وسنن البيهقي ـ كتاب الفرائض ـ باب الحث على تعليم الفرائض (٦/٢٠٨).
والمستدرك ـ كتاب الفرائض ـ «وصححه»(٤/ ٣٣٣).
ومجمع الزوائد ـ كتاب الفرائض ـ باب في علم الفرائض «رواه أبو يعلى والبزار وفي إسناده من لم أعرفه» (٤/٢٢٣). كلهم من حديث ابن مسعود.

محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي[1]، حدثنا حفص بن أبي العطاف[2]، حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «تعلموا الفرض[3] وعلموه الناس، فإنه نصف العلم وهو ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي»[4]. ثم بين الله تعالى ميراث الأزواج فقال:

﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ كل امرأة ماتت ولا ولد لها كان لزوجها نصف ميراثها، فإن كان لها ولد كان للزوج الربع وهو قوله **﴿فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين﴾** يعين: أن الميراث إنما يستحق بعد إنفاذ الوصية، وقضاء الدين.

وقوله[5] **﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾** يعني: للمرأة ربع المال إذا لم يكن للزوج ولد، فإن كان للزوج[6] ولد[7] كان للمرأة الثمن وهو قوله **﴿فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾** إلى ها هنا بيان ميراث الأزواج والزوجات.[8]

ثم بين ميراث ولد الأم فقال[9] **﴿وإن كان رجل يُورَث كلالةً أو امرأةٌ﴾** كل من مات ولا ولد له ولا والد فهو كلالة ورثته، وكل وارث ليس بوالد للميت فهو كلالة مورثة. فـ «الكلالة»: اسم يقع على الوارث والموروث، إذا كانا بالصفة التي ذكرنا. يقال: رجل كلالة، وامرأة كلالة، وقوم كلالة، لا تثنى ولا تجمع لأنه مصدر كالدلالة والوكالة.

يقال: كل الرجل يكل كلالة، أي: صار كلاًّ، وهو الذي لا ولد له ولا والد[10] والمراد بـ «الكلالة» في هذه الآية الأخ للأم إذا مات.

---

(١) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام. بن خويلد بن أسد الأسدي أبو إسحاق الحزامي المدني سمع الوليد بن مسلم وأنس بن عياض وعنه البخاري قال أبو حاتم صدوق توفي سنة ٢٣٦ هـ.
(كتاب الجمع ١/ ٢٠ وتهذيب التهذيب ١/ ١٦٦ والتقريب ١/ ٤٤).

(٢) حفص بن عمر بن أبي العطاف ـ مولى بني سهم ـ روى عن أبي الزناد وعنه إبراهيم بن المنذر الحزامي قال البخاري: منكر الحديث وقال أبو حاتم: منكر الحديث يكتب حديثه على الضعف الشديد مات سنة ١٩٠ هـ.
(تهذيب التهذيب ٢/ ٤٠٩).

(٣) في (د، هـ): الفرائض.

(٤) الحديث: رواه البيهقي في السنن ـ كتاب الفرائض ـ باب الحث على تعليم الفرائض (٦/ ٢٠٩) والمستدرك ـ كتاب الفرائض ـ «وصححه» قال الذهبي حفص بن عمر: واهٍ بمرة (٤/ ٣٣٢).
وانظر العلل لابن الجوزي، قال المصنف: هذا حديث لا يصح وقال البخاري حفص بن عمر: منكر الحديث (١/ ١٣٧).
وفي الضعفاء الكبير قال البخاري: حفص بن عمر بن أبي العطاف المديني عن أبي الزناد: منكر الحديث (١/ ٢٧١).
وكذا في الميزان ١/ ٥٦٠، والحديث رواه ابن ماجة ٢/ ٩٠٨ والدارقطني ٤/ ٦٧.

(٥) في (د): قوله.

(٦) في (حـ): فإن كان ولد، وفي (د): فإن كان له ولد.

(٧) في (حـ): ولد الأم فإن.

(٨) في (د): ذكرناها.

(٩) في (جـ، هـ): ويقال وفي (د): وقال.

(١٠) انظر التبيان ١/ ٣٣٦ والمشكل ١/ ١٩٢ والبيان ١/ ٢٤٥ واللسان / كلل، والبحر ٣/ ١٨٨.

قوله ﴿وله أخ أو أخت﴾ يعني: من الأم بإجماع المفسرين[(١)]، وكذلك في قراءة سعد بن أبي وقاص «وله أخ أو أخت من أمه»[(٢)].

﴿فلكل واحد منهما السدس﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: وله أخ أو أخت من أمه فلكل واحد منهما السدس، وفرض[(٣)] الواحد من ولد الأم السدس، فإن كانوا أكثر من واحد اشتركوا في الثلث، الذكر والأنثى فيه سواء، وهو قوله ﴿فإن[(٤)] كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يُوصَى بها أو دَيْن غير مضار﴾ أي: غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة، فمنع الله منه.

وقوله ﴿وصية من الله﴾ قال ابن عباس[(٥)]: فريضة من الله ﴿والله عليم﴾ بما دبر من هذه الفرائض ﴿حليم﴾ عمن عصاه بأن أخّر عقوبته[(٦)] وقبل توبته.

قوله جـل جلالـه[(٧)] ﴿تلك حدود الله﴾ قال ابن عباس[(٨)]: يريد ما حد الله من فرائضه في الميراث ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في شأن المواريث ﴿يدخله جنات[(٩)]﴾ وقرأ نافع ـ بالنون ـ والمعنى فيه كالمعنى بالياء[(١٠)].

﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ قال مجاهد[(١١)]: فيما افترض[(١٢)] من المواريث، وقال عكرمة عن ابن عباس[(١٣)]: من لم يرض بقسم الله ويتعد[(١٤)] ما قال الله يدخله ناراً خالداً فيها ﴿[وله عذاب مهين][(١٥)]﴾.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ

---

(١) انظر غريب القرآن ١٢١ ومجاز القرآن ١/١١٨ والفراء ١/١٥٧ وتفسير ابن عباس ص ٥٦٦ يقول الزجاج: «وإنما استدل على أن الكلالة هاهنا الإخوة للأم دون الأب بما ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين، وأن للإخوة كل المال.
فعلم هاهنا ـ لما جعل للواحد السدس وللإثنين الثلث ولم يزدادوا على الثلث شيئاً ما كانوا ـ علم أنه يعني بهم الإخوة للأم» (معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤).
«وإخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه:
١ ـ أنهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم.
٢ ـ لا يرثون إلا في الكلالة.
٣ ـ أن ذكورهم وإناثهم في الميراث سواء.
٤ ـ لا يزادون على الثلث.
(انظر تفسير ابن كثير ١/٤٦٠).
(٢) انظر تفسير الطبري ٨/٦١ ـ ٦٢ وابن كثير ١/٤٦٠ والدر ٢/١٢٦ والبحر ٣/١٦٠ كلها عن سعد بن أبي وقاص.
(٣) في (حـ): نفرض الواحد من ولد للأم.
(٤) في (د): وإن.
(٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٦٦.
(٦) في (د): بأن آخره.
(٧) في (جـ، هـ): وقوله، وفي (د): قوله.
(٨) انظر تفسير الطبري ٨/٦٩ والدر ٢/١٢٨ كلاهما عن ابن عباس ومجاز القرآن ١/١١٩ والطبري ٨/٧١ عن مجاهد وقتادة.
(٩) في (جـ، د): يدخله.
(١٠) قرأ نافع وابن عامر (ندخله) بالنون إخباراً الله عن نفسه وقرأ الباقون ـ بالياء ـ وحجتهم سياق الآية (ومن يطع الله ورسوله) فيكون كلاماً واحداً.
(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٣ والسبعة ٢٢٩ والنشر ٢/٢٤٨ والتبيان ١/٤٣٧ والحجة لابن خالويه ١٢٠ والبحر ٣/١٩٢).
(١١) انظر تفسير الطبري ٧٨/٧١ والدر ٢/١٢٨ كلاهما عن مجاهد.
(١٢) في (أ): اقتص وفي (د): فرض.
(١٣) انظر الخازن ١/٤٩٥ والدر ٢/١٢٨ كلاهما عن ابن عباس.
(١٤) في غير (أ) ويتعدى.
(١٥) انظر الخازن ١/٤٩٥ عن الكلبي والدر ٢/١٢٨ عن سعيد بن جبير.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

قوله جل جلاله[١] **﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾** أي: يفعلن الزنا **﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾** أي: من المسلمين **﴿فإن شهدوا﴾** عليها[٢]، بالزنا **﴿فأمسكوهن في البيوت﴾**[٣] احبسوهن في السجون **﴿حتى يتوفاهن[٤] الموت﴾** وكان هذا في ابتداء الإسلام، المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، والرجل إذا زنى أوذي بالتعيير والضرب بالنعال فنزلت[٥] ﴿الزانية والزاني فاجلدوا. . .﴾ الآية[٦] هذا حكم البكر.

فإن كانا محصنين رجما بسنة[٧] رسول الله ﷺ وهو سبيلهما الذي جعله[٨] الله لهما في قوله **﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾**.

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد[٩]، أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن الحسن عن حطان بن عبد الله[١٠]، عن عبادة بن الصامت[١١]:

عن النبي ﷺ قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً والبكر يجلد وينفى، والثيب يجلد ويرجم».

---

(١) في (حـ): قوله عز وجل، وفي (د): قوله، وفي (هـ): قوله تعالى.

(٢) في (حـ): عليهن.

(٣) في (جـ، د): أي احبسوهن.

(٤) في (د): يتوفهن.

(٥) في (هـ) فنزلت الآية **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾** وتغريب عام.

(٦) سورة النور / ٢.

وانظر الزجاج ٢/ ٢٧ والطبري ٨/ ٧٤ ـ ٧٥ عن مجاهد وابن عباس وقتادة وابن كثير ١/ ٤٦٢ والفراء ١/ ٢٥٨، والدر ٢/ ٢٩٣ عن ابن عباس والوجيز للواحدي ١/ ١٤٣.

(٧) في (جـ، د): لسنة.

(٨) في (جـ): جعل.

(٩) في (هـ): محمد بن الزاهد.

(١٠) حطان بن عبد الله الرقاشي البصري صاحب زهد وورع وعلم قرأ على أبي موسى الأشعري عرضاً وقرأ عليه الحسن البصري روى عن أبي موسى وعبادة بن الصامت وهو ثقة روى له مسلم والأربعة توفي سنة نيف وسبعين، قاله الذهبي تخميناً.

(غاية النهاية ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ والكاشف ١/ ٢٣٩ والجمع ١/ ١٢٨).

(١١) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن نهد بن غنم الخزرجي أبو الوليد الأنصاري المدني شهد بدراً توفي سنة ٣٤ هـ وله ٧٢ سنة (الجمع ١/ ٣٣٤).

رواه مسلم عن بندار، عن غندر عن شعبة [١].

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري حدثنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الوهاب عن يونس عن الحسن، عن عبادة بن الصامت:

أن النبي ﷺ قال: «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» [٢].

قوله ﴿واللذان﴾ قرأ ابن كثير ـ بالتشديد ـ[٣] وكذلك «هـذان وهاتين» جعل التشديد عوضاً من الحذف الذي لحق الكلمة ألا ترى أن قولهم «ذا» قد حذف «لامها» وقد حذفت الياء من «اللذان» «وهذان» وكان حقهما في التثنية اللذيان وهذيان فجعل التشديد ففيه عوضاً من الحرف المحذوف عنه في التثنية.

وقوله ﴿يأتيانها منكم﴾ يعني: الفاحشة، والمعنى: يفعلان الزنا ﴿فآذوهما﴾ يعني التعيير باللسان والتوبيخ كما ذكرنا.

قوله[٤] ﴿فإن تابا﴾ من الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ العمل فيما بعد ﴿[فأعرضوا عنهما]﴾ فاتركوا أذاهما وقد ذكرنا حكم هذه الآية في التي قبلها[٥].

وقوله[٦] ﴿إن الله كان تواباً رحيماً﴾ معنى «التواب في صفة الله تعالى»: أنه يتوب على عبده بفضله ومغفرته إذا تاب إليه من ذنبه[٧].

قوله تعـالى[٨]: ﴿إنما التوبـة على الله﴾ أي: التوبة التي أوجب الله ـ بفضله ـ على نفسه ﴿للذين يعملون السوءبجهالة﴾ قال ابن عباس[٩]: يريد أن ذنب المؤمن جهل منه،وقال السدي[١٠]: كل من عصى الله تعالى فهو جهالة

---

(١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح كتاب الحدود ـ باب حد الزاني -عن عبادة بلفظ «البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (٢/٤٨).

(٢) الحديث أشبه بما ذكره مسلم الذي عزاه المصنف إليه قبله.

ورواه أبو داود ـ كتاب الحدود ـ باب في الرجم ـ رقم ٤٤١٥ عن عبادة بتغاير يسير ٤/١٤٤ و«نسخ الجلد، فلا يجمع بين الجلد والرجم والصواب: إن الجلد والرجم مجهولان على حالين، فالمعنى: يجلد إن لم يجتمع فيه شرائط الرجم وهي الحرية والتكليف والإصابة في النكاح الصحيح، ويرجم إن اجتمع فيه الشرائط» (حاشية أ).

(٣) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٣ ـ ١٩٤ والسبعة ٢٢٩ والنشر ٢/٢٤٨ والتبيان ١/٣٣٩، والبيان ١/٢٤٦ والحجة لابن خالويه ١٢١.

(٤) من (جـ، د).

(٥) أي «وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخه قوله ﴿الزانية والزاني فاجلدوا...﴾ الآية، من الوجيز ١/١٤٤ وانظر تفسير ابن عباس ص ٦٧ والدر ٢/١٣٠.

(٦) في (جـ، د) قوله وليست في (هـ).

(٧) ذكره ابن منظور في اللسان / توب.

(٨) في (حـ): قوله عز وجل، وفي (د): وقوله.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والطبري ٨/٩٠ وابن كثير ١/٤٦٣ والدر ٢/١٣٠ كلها عن ابن عباس والوجيز ١/١٤٤.

(١٠) انظر تفسير مجاهد ١٤٩والثوري ٩٢،والطبري ٨/٨٩ وابن كثير ١/٤٦٣ والدر ٢/١٣٠ كلها عن مجاهد وفتح القدير ١/٤٤٠ عن ابن عباس والقرطبي ٥/٩٢ عن السدي والرازي ١٠/٤، ١٣، ٥ عن الحسن.

عمداً كان أو غيـر[١] ذلك قال الزجاج[٢] معنى «الجهالة» ها هنا: أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال.

وقوله ﴿ثم يتوبون من [٣] قريب﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي [٤]: «القريب»: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت، وقال في رواية عطاء[٥]: ولو قبل الموت بفواق ناقة[٦].

أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبيدة، عن خارجة بن مصعب[٧]، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن البيلماني [٨] قال:

سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من تاب قبل أن يموت بيوم قبل الله توبته» فحدثت بها رجلاً آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل أن يموت بنصف يوم قبل الله توبته» فحدثت بها رجلاً آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل أن يموت بضحوة قبل الله منه توبته» فحدثت بها رجلاً آخر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل أن يغرغر بنفسه قبل الله منه توبته»[٩].

قوله عز وجل[١٠] ﴿وليست التوبـة للذين يعملـون السيئات﴾ قال عطاء عن ابن عباس[١١] يريد الشرك.

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/٨٩ والبغوي ١/٤٩٧ وفتح القدير ١/٤٣٨ ـ ٤٤٠ كلها عن قتادة وابن كثير ١/٤٦٣ والدر ٢/١٣٠ كلاهما عن قتادة وأبي العالية والقرطبي ٥/٩٢ عن قتادة وغيره.

(٢) انظر الزجاج ٢/٢٨ والقرطبي ٥/٩٢ وفتح القدير ١/٤٣٩ كلاهما عن الزجاج.

(٣) في (هـ): ثم يتوبون قريب.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والطبري ٨/٩٤ وفتح القدير ١/٤٤٠ وابن كثير ١/٤٦٣ كلها عن ابن عباس والزجاج ٢/٢٨ والفراء ١/٢٥٩ والدر ٢/١٣٠ عن ابن عباس والضحاك.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٠/٧ عن عطاء والبحر ٣/١٩٨ عن ابن عباس والدر ٢/١٣١ عن ابن عمر، وفتح القدير ١/٤٤٠ عن الحسن.

(٦) «والفُواق والفَواق: ما بين الحلبتين من الوقت، وفواق الناقة: رجوع اللبن في ضرعها بعد حلبها» (اللسان / فوق، ومفردات الراغب / فوق).

(٧) خارجة بن مصعب أبو الحجاج السرخسي الفقيه عن بكير بن الأشجّ وزيد بن أسلم وأيوب وطائفة وهاه أحمد، وقال ابن معين: ليس بثقة وقال أيضاً: كذاب، وقال البخاري: تركه ابن المبارك ووكيع وقال الدارقطني وغيره: ضعيف، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه توفي سنة ١٦٨ هـ.
(الميزان ١/٦٢٥ ـ ٦٢٦ والمغني في الضعفاء ١/٢٠٠).

(٨) عبد الرحمن بن البيلماني من مشاهير التابعين يروي عن ابن عمرو لينه أبو حاتم وقال الدارقطني ضعيف لا تقوم به حجة وذكره ابن حبان في الثقات فقال روى عنه زيد بـن أسلم وسماك بن الفضل وابنه محمد وغيرهم وقيل: كان من كبار الشعراء توفي سنة ٩٠ هـ.
(الميزان ٢/٥٥١ والأعلام ٤/٧٩).

(٩) الحديث: رواه الحاكم في المستدرك ـ كتاب التوبة ـ (٤/٢٥٧ ـ ٢٥٨).
ومجمع الزوائد ـ كتاب التوبة ـ باب إلى متى تقبل تـوبة العبـد «رواه أحمد ورجـاله رجـال الصحيح غيـر عبد الـرحمن وهو ثقـة» (١٠/١٩٧).
ومسند أحمد ٣/٤٢٥، ٥/٣٦٢ والفتح الرباني ١٩/٣٣٩ «يعضده أحاديث الباب» كلهم من حديث عبد الرحمن به البيلماني.

(١٠) في غير (أ) قوله.

(١١) انظر الدر ٢/١٣١ عن ابن عباس.

وقال عكرمة عنه في هذه الآية: هم أهل الشرك[١]. وقال سعيد بن جبير[٢]: نزلت الأولى في المؤمنين يعني قوله ﴿إنما التوبة على الله. . .﴾ الآية، والوسطى في المنافقين يعني قوله ﴿وليست التوبة. . .[٣]﴾ والأخرى في الكافرين يعني ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار﴾.

ومعنى الآية: لا توب لمشرك ولا لمنافق إذا تاب عند حضور الموت، وهو النظر إلى ملك الموت، ولا لمن مات كافراً، لأن التوبة لا تقبل في الآخرة.

﴿أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾ أي: هياناً وأعددنا[٤]، يقال: أعتدت الشرع[٥] فهو معتد وعتيد[٦].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٢١﴾

قوله عز وجل[٧] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً. . .﴾ الآية، قال ابن عباس والمفسرون[٨]: كان الرجل في الجاهلية إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها فنزلت هذه الآية.

وأعلم الله أن ذلك حرام، وأن الرجل لا يرث المرأة من الميت. وقرىء ﴿كَرهاً﴾ ـ بفتح الكاف وضمها[٩] ـ

---

(١) انظر الدر ٢/١٣١ عن عكرمة.

(٢) انظر تفسير الخازن ١/٤٩٨ عن سعيد بن جبير والطبري ٨/١٠٠ عن الربيع وابن كثير ١/٤٦٤ عن ابن عباس وأبي العالية والربيع بن أنس والدر ٢/١٣٠ وفتح القدير ١/٤٣٩ كلاهما عن أبي العالية والربيع.

(٣) في (أ): للذين.

(٤) في (هـ): واعتدنا.

(٥) في (د): للشيء.

(٦) انظر اللسان / عتد، ومفردات الراغب / عتد، والمصباح المنير /عتد.

(٧) في غير (أ) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير مجاهد ١٥٠ والثوري ٩٢ والزجاج ٢/٢٩ وغريب القرآن ١٢٢ وفتح الباري ٨/١٩٨ ـ ١٩٩، ١٢/٢٧٠ عن عطاء عن ابن عباس والرازي ١٠/١٠ وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣٦١ عن ابن عباس والطبري ٨/١٠٤ ـ ١٠٥ عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن كثير ١/٤٦٥ والفراء ١/٢٥٩ والدر ٢/١٣١ ـ ١٣٢ عن ابن عباس وأبي أمامة وعكرمة وأبي مالك والزهري وزيد بن أسلم، وأسباب النزول للواحدي ١٠٧ ـ ١٠٨ وللسيوطي ٧٢، وصحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ ﴿لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً﴾ عن ابن عباس ٣/١١٨.

(٩) قرأ حمزة والكسائي ـ بالضم ـ والباقون بالفتح قال ابن عباس: من قرأ بالضم أي بمشقة ومن قرأ بالفتح أي إجهاراً.
(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٥ ـ ١٩٦ والسبعة ٢٢٩ والنشر ٢/٢٤٨ والتبيان ١/٣٤٠ وغريب القرآن ١٢٢ والحجة لابن خالويه ١٢٢).

وهما لغتان كالفقر والفُقر والضَّعف والضُّعف ﴿ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما ءاتيتموهن﴾ المنهي عن العضل ها هنا الأزواج [١] نهوا أن يمسكوهن إذا لم يكن لهم فيهن حاجة إضراراً بهن حتى يفتدين ببعض مهورهن.

وقوله ﴿إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينةٍ﴾ يعني: الزنا في قول عطاء والحسن والسدي [٢].

وقال ابن مسعود وقتادة[٣]: هي النشوز. فإذا زنت امرأة تحت رجل، أو نشزت عليه حل له أن يسألها الخلع وأن يضارها ويسيء معاشرتها لتفتدي منه بالمهر.

ثم قال ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ يعني: قبل الإتيان بالفاحشة.

قال ابن عباس[٤]: يريد اصحبوهن بما يجب لهن عليكم من الحق، قال الزجاج[٥]: هو النصفة في المبيت[٦] والنفقة، والإجمال في القول[٧].

وقوله[٨] ﴿فإن كرهتموهن﴾ إلى قوله[٩] ﴿خيراً كثيراً﴾ قال عطاء[١٠] يريد فيما كرهتم مما هو لله رضا خير كثير وثواب عظيم.

قال المفسرون: الخير الكثير في المرأة المكروهة: الولد الصالح، وربما يكون فرطاً.

قوله جل جلالـه[١١] ﴿وإن أردتـم استبدال زوج مكان زوج﴾ قال الوالبي عن ابن عباس[١٢]: إن كرهت امرأتك وأعجبك غيرها، فأردت أن تطلق هذه وتتزوج تلك، فلا يحل لك أن تأخذ من مهر التي كرهت شيئاً، وإن كثر، وهو قوله تعالى: ﴿وءاتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ أي: لا ترجعوا فيما أعطيتموهن من المهر إذا كرهتموهن، وأردتم طلاقهن [١٣]

---

(١) في (حـ): النهي، وفي (د): للأزواج وفي (هـ): المنهي هاهنا عن الفصل...

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والزجاج ٢/٣٠ والطبري ٨/١١٥ ـ ١١٦ وابن كثير ١/٤٦٦ كلاهما عن الحسن وعطاء والسدي والدر ٢/١٣٢ عن الحسن وفتح القدير ١/٤٤٢ عن الحسن وأبي قلابة وابن سيرين.

(٣) انظر تفسير الطبري ٨/١١٦ ـ ١١٧ عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة والضحاك والبغوي ١/٤٩٩ عن ابن مسعود وقتادة وابن كثير ١/٤٦٦ عن ابن عباس وعكرمة والضحاك، والدر ٢/١٣٢ عن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن مسعود وفتح القدير ١/٤٤٢ عن ابن عباس وقتادة والضحاك.

(٤) انظر تفسير الطبري ٨/١٢١ وابن كثير ١/٤٦٦ وفتح القدير ١/٤٤٢ عن عكرمة ومقاتل.

(٥) انظر الزجاج ١/٣٠ والرازي ١٠/١٢ عن الزجاج.

(٦) في (د): البيت.

(٧) في (هـ): في قول.

(٨) في (جـ، د): قوله.

(٩) وتمامه ﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه﴾.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/١٢٢ عن مجاهد.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٦٧، والطبري ٨/١٢٢ ـ ١٢٣ والدر ٢/١٣٣ وفتح القدير ١/٤٤٢ كلها عن ابن عباس والسدي وابن كثير ١/٤٦٦ عن ابن عباس.

(١٢) في غير (أ) قوله.

(١٣) انظر الدر ٢/١٣٣ وفتح القدير ١/٤٤٢ كلاهما عن ابن عباس.

وقوله [١] ﴿أتأخذونه بهتاناً﴾ أي: ظلماً [٢] وهذا استفهام إنكار، قال ابن عباس [٣]: يريد أن أخذك إياه بعدما دخلت بها بهتان وإثم عظيم.

ثم قال على وجه الإنكار والتوبيخ:

﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ أي: وصل بعضكم إلى بعض بالجماع. ولا يجوز للزوج الرجوع في شيء من المهر بعد المسيس.

و«الإفضاء» معناه الوصول، يقال: أفضى إليه، أي: وصل إليه بالملامسة معه[٤].

وقوله ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ قال أكثر المفسرين[٥]: هو قولهم عند العقد: زوجتكها على ما أخذ الله للنساء[٦]، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

وقال أبو العالية: أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله[٧].

وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم

---

(١) في (د): قوله.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/ ١٢٠.

(٣) انظر غرائب النيسابوري ٤/ ٢٢٠ عن ابن عباس وغيره.

(٤) انظر الفراء ١/ ٢٥٩، وفتح القدير ١/ ٤٤٣ عن الفراء والطبري ٨/ ١٢٥ واللسان / فضا والمصباح المنير / فضا.

(٥) انظر تفسير مجاهد ١٥١، وغريب القرآن ١٢٣ عن ابن عباس والطبري ٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨ عن قتادة والضحاك والسدي وابن سيرين والرازي ١٠/ ١٦ عن السدي وعكرمة والفراء وكذا غرائب النيسابوري ٤/ ٢٢١ عنهم والفراء ١/ ٢٥٩ والدر ٢/ ١٣٣ عن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة وأنس والضحاك ومجاهد.

(٦) في (حـ): النساء.

(٧) انظر تفسير البحر ٣/ ٢٠٧ عن مجاهد وابن زيد وعكرمة الطبري ٨/ ١٢٩ ـ ١٣٠ عن جابر وعكرمة والربيع وابن كثير ١/ ٤٦٧ عن الربيع والدر ٢/ ١٣٤ عن مجاهد وعكرمة وكذا فتح القدير ١/ ٤٤٣ عنهما وغرائب النيسابوري ٤/ ٢٢١ عن ابن عباس ومجاهد وكذا الرازي ١٠/ ١٦ عنهما.

بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾

قوله عز وجل[١] ﴿ولا تنكحوا ما نكح ءاباؤكم من النساء﴾ كانت العرب يتزوج الرجل امرأة أبيه من بعد موته التي ليست بأمه، فنهى الله تعالى عنه وحرمه[٢].

وقوله[٣] ﴿إلا ما قد سلف﴾ يعني: لكم ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه[٤]. و«سلف» معناه: تقدم ومضى، يقال: سلف يسلف سلوفاً فهو سالف[٥].

وقوله [٦] ﴿إنه﴾ أي: أن ذلك النكاح ﴿كان فاحشةً﴾ قبيحاً ﴿ومقتاً﴾ وهو أشد البغض، يقال: مقته يمقته مقتاً.

وهذا إخبار عما كان في الجاهلية، أعلموا أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكراً في قلوبهم، ممقوتاً عندهم.

وقوله [٧] ﴿وساء سبيلاً﴾ أي: قبح هذا الفعل طريقاً، يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيّىء إذا قبح [٨].

قوله جل جلاله[٩] ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ كل امرأة يرجع نسبك بالولادة إليها من جهة أبيك، أو من جهة أمك بإناث[١٠] رجعت إليها، أو بذكور[١١] فهي أمك.

وقوله ﴿وبناتكم﴾ كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو بدرجات بإناث أو ذكور فهي بنتك.

وقوله ﴿وأخواتكم﴾ كل أنثى ولدها شيء ولدك في الدرجة الأولى فهي أختك. وقوله ﴿وعماتكم﴾ هي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك إليه فأخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الأم وهي أخت أبي أمك.

---

(١) في (د): قوله تعالى، وفي (هـ): قوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٦٧ والزجاج ٢/٢٩ والرازي ١٠/١٧ والدر ٢/١٣٤ والطبري ٨/١٣٣.

(٣) في (د): قوله إلا ما قد سلف فإن الله.

(٤) قال أبو عبيدة: «نهاهم أن ينكحوا نساء آبائهم ولم يحل لهم ما سلف ـ أي ما مضى ولكنه يقول: إلا ما فعلتم» (مجاز القرآن ١/١٤٠).

(٥) انظر اللسان / سلف.

(٦) في (د): قوله.

(٧) في (جـ، د): قوله.

(٨) «إذا قبح» ساقط من (حـ) وانظر اللسان / سوأ.

(٩) في (د): قوله تعالى.

(١٠) في (د): وبإناث.

(١١) في (حـ): ذكور، وفي (د): ذكوراً.

وقوله ﴿وخالاتكم﴾ كل أنثى رجع نسبك إليها بالولادة فأختها خالتك وقد تكون الخالة من جهة الأب وهي أخت أم أبيك[١].

وقوله ﴿وبنات الأخ﴾ التحديد[٢] في هؤلات كالتحديد في بنت الصلب. وهؤلاء النسوة اللاتي ذكرن من محرمات بالنسب.

ثم ذكر المحرمات بسبب حدث فقال ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم﴾ وهؤلات سميت[٣] أمهات: للحرمة ـ كأزواج النبي ﷺ سماهن الله تعالى أمهات المؤمنين ـ فكل أنثى انتسبت إليها باللبن فهي أمك فالتي أرضعتك أو أرضعت امرأة أرضعتك أو رجلاً أرضعك فهي أمك.

وقوله ﴿وأخواتكم من الرضاعة﴾ أخوات الرضاعة[٤] ثلاث: وهي الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها أمك بلبان[٥] أبيك، سواء أرضعتها معك أو مع ولد قبلك أو بعدك. وأم الرضاعة وأخت الرضاعة لم تحرما، فكان الرضاع سبب تحريمهما.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري الجرشي[٦] في دار السنة إملاء سنة سبع عشرة وأربعمائة، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني[٧]، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري، حدثنا قبيصة بن عقبة[٨]، عن سفيان، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى حرم من الرضاعة ما حرم من النسب»[٩] فثبت بهذا الحديث أن السبع المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره الله محرمات باللبن.

وقوله[١٠] ﴿وأمهات نسائكم﴾ حد[١١] أم امرأتك كحد أمك سواء كانت من اللبن أو من النسب، وهي تحرم بنفس

---

(١) «العمة: كل امرأة شاركت أباك ما علا في أصليه.
والخالة: كل امرأة شاركت أمك ما علت في أصليها أو أحدهما» (أحكام القرآن ١/٣٧٢).

(٢) في (هـ) التهديد. أراد بالتحديد: التعريف يعني: الأخت تعريفها يعلم مما ذكرنا في تعريف بنت الصلب فتعريف بنت الأخت أن يقال: كل أنثى رجع نسبها إلى أخيك بالولادة إلى آخر التعريف المذكور في تعريف بنت الصلب (حاشية أ).

(٣) في (هـ): سمين.

(٤) في (حـ): الرضاع.

(٥) في (د): أرضعتها بلبان.

(٦) في (د): الحسين وفي (جـ، د، هـ): الجرشي.

(٧) أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني الكوفي محدث الكوفة ثقة صدوق توفي سنة ٣٥١ (تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٠/٢٥٩).

(٨) أبو عامر قبيصة بن عقبة بن محمد بن سعيد بن سفيان بن عقبة بن ربيعة بن حبيب الكوفي السوائي روى عنه أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة والبخاري، وغيرهم، كان ثقة صالحاً مكثراً من الحديث توفي سنة ٢٢٥ هـ. (الأنساب ٧/١٨٢ ـ ١٨٣).

(٩) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب الرضاع ـ باب ما جاء يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رقم ١١٥٦ «حديث صحيح» (٢/٣٠٧).
ومسند أحمد ١/١٣٢ كلاهما من حديث علي.
وسنن أبي داود ـ كتاب النكاح ـ باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب رقم ٢٠٥٥ عن عائشة (٢/٢٢١).

(١٠) في (د): قال الله تعالى.

(١١) في (د): حرمه.

العقد على زوج بنتها لأن الله تعالى أطلق التحريم ولم يقيده[١] بالدخول. وقوله[٢] ﴿وربائبكم﴾ جمع الربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره[٣].

وقوله ﴿**اللاتي في حجوركم**﴾ يعني: اللاتي ربيتموهن في حجوركم، وهي جمع حجر الإنسان. والمعنى: في ضمانكم وتربيتكم.

والربيبة لا تحرم بمجرد العقد على الأم، وإنما تحرم بالدخول بالأم لقوله تعالى: ﴿**من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم**﴾ أي: في نكاح الربائب إذا لم تدخلوا بالأمهات.

وقوله ﴿**وحلائل أبنائكم**﴾ «الحليل والحليلة»: الزوج والمرأة، سميا بذلك لأنهما يحلان في موضع واحد.

وقوله ﴿**الذين من أصلابكم**﴾ إحترازا[٤] عن المتبنَّى، وكان المتبنى في صدر الإسلام بمنزلة الابن. وقوله ﴿**وأن تجمعوا بين الأختين**﴾ يحرم على الرجل أن يجمع في النكاح بين أختين في النسب أو باللبن.

وقوله[٥] ﴿**إلا ما قد سلف**﴾ قال الكلبي[٦]: مضى في الجاهلية فإنكم لا تؤاخذون[٧] به في الإسلام، وهم كانوا يجمعون في الجاهلية بين الأختين، فحرم الله تعالى ذلك رحمة لهذه الأمة، إذ علم شدة غيرة النساء بعضهن على بعض.

قال ابن عباس[٨]: كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين.

قوله عز وجل[٩] ﴿**والمحصنات من النساء**﴾ يعني: ذوات الأزواج وهن محرمات على كل أحد إلا على أزواجهن لذلك عطفن[١٠] على المحرمات في الآية التي قبلها.

و«الإحصان» يقع على معان[١١] منها: الحرية كقوله ﴿والذين يرمون المحصنات﴾[١٢] يعني الحرائر، ومنها: العفاف كقوله ﴿**محصنات غير مسافحات**﴾[١٣] يعني: عفائف ومنها: الإسلام، من ذلك قوله ﴿**فإذا أحصن**﴾[١٤] أي: أسلمن، ومنها: كون المرأة ذات زوج من ذلك قوله ﴿**والمحصنات من النساء**﴾[١٥].

ثم استثنى من ذوات الأزواج فقال ﴿**إلا ما ملكت أيمانكم**﴾ يريد: إلا ما ملكتموهن بالسبي من دار الحرب، فإنها تحل لمالكها، ولا عدة عليها فتستبرأ بحيضة وتوطأ.

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحرث، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا

---

(١) في (د): يقيد.
(٢) في (د): قوله.
(٣) انظر مجاز القرآن ١/١٢١، والزاهر ١/٢٨٦ والزجاج ٢/٣٤.
(٤) في (جـ، هـ): احترازاً.
(٥) في (د): قوله.
(٦) انظر تفسير الطبري ٨/١٣٧ والرازي ١٠/٣٨ والبحر ٣/٢١٣ وتفسير ابن عباس ٦٧ والدر ٢/١٣٤ عن قتادة والضحاك.
(٧) في (أ، هـ): تؤخذون.
(٨) انظر تفسير القرطبي ٥/١١٩ عن محمد بن الحسن، والدر ٢/١٣٤ عن ابن عباس ٢/١٣٧ وعن مقاتل وفتح القدير ١/٤٥٤ عن مقاتل بن سليمان.
(٩) في (جـ، هـ): قوله، وفي (د): قوله تعالى.
(١٠) في (هـ): عطفهن.
(١١) في (جـ، هـ): معاني.
(١٢) سورة النور / ٤.
(١٣) و (١٤) سورة النساء / ٢٥.
(١٥) انظر في ذلك: مجاز القرآن ١/١٢٢ والفراء ١/٢٦٠ والدر ٢/١٣٩.

سهل بن عثمان العسكري، حدثنا عبد الرحيم عن أشعث بن سوار [(١)] عن عثمان البتي [(٢)]، عن أبي الخليل [(٣)]، عن أبي سعيد الخدري قال:

لما سبى رسول الله ﷺ أهل أوطاس [(٤)]، قلنا: يا رسول الله كيف نقع [(٥)] على نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن، فأنزل الله هذه الآية ﴿**والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم**﴾ [(٦)].

وإذا وقع السباء على الزوجين الحربيين أو على أحدهما انقطع النكاح بينهما وكان من سبي أوطاس خلق كثير وقع السبي عليهن مع نسائهم، ونادى منادي رسول الله ﷺ ـ ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض حيضة[(٧)] فأباح وطأهن بعد الاستبراء لانفساخ نكاحهن

قوله ﴿**كتاب الله عليكم**﴾ قال ابن عباس يريد هذا ما حرم، يعني كتب تحريم ما ذكر من النساء عليكم.

قوله ﴿**وأحل لكم ما وراء ذلك**﴾ وقرىء بضم الألف ـ والفتح أشبه بما قبله، لأن معنى ﴿**كتاب الله عليكم**﴾ كتب الله عليكم كتاباً، وأحل لكم فبناء الفعل للفاعل هنا.

ومن بنى[(٨)] الفعل للمفعول به، فقال[(٩)]: واحل لكم فهو في المعنى يؤول إلى الأولى وذلك مراعاة ما قبله وهو قوله ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم**[(١٠)]﴾[(١١)]. ومعنى ﴿**ما وراء ذلكم**﴾ ما سوى هذه النساء اللاتي حرمت[(١٢)].

---

(١) أشعث بن سوار الكندي الأفرق النجار بالكوفة لقي الشعبي وغيره وهو من الضعفاء الذين روى لهم مسلم متابعة ضعفه أحمد وابن معين والدارقطني وقد وثقه بعضهم وقال الثوري: هو أثبت في مجالد توفي سنة ١٣٦. (شذرات ١/١٩٣).

(٢) عثمان بن مسلم بن هرمز البصري البتي ـ بفتح الباء الموحدة وتشديد التاء المثناة نسبة إلى البت اسم موضع ـ روى عن أنس بن مالك والشعبي وصالح بن أبي مريم أبي الخليل وعنه شعبة وغيره وثقه أحمد وابن معين وابن سعد وغيرهم (الأنساب ٢/٧٨ ـ والميزان ٣/٥٩ ـ ٦٠).

(٣) أبو الخليل صالح بن أبي مريم الضبعي البصري سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل وروى عن أبي سعيد الخدري وعنه قتادة وأيوب وأبو علقمة الهاشمي روى له البخاري ومسلم. (كتاب الجمع ١/٢٢٢).

(٤) «أوطاس: موضع عند الطائف وفي القاموس: وادٍ بديار هوازن».
(الفتح الرباني ١٧/٥٥).

(٥) «أي نسقط عليها، أي من أجل الجماع» (حاشية أ).

(٦) الحديث: رواه مسلم ـ كتاب الرضاع ـ باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء، (١/١٦٨ ـ ٦١٩) والترمذي: كتاب النكاح ـ باب ما جاء في الرجل يسبي الأمة ولها زوج وهل يحل له وطؤها رقم ١٢٤١ (٢/٣٠٠). وفي أبواب التفسير ـ سورة النساء ـ رقمي ٥٠٠٥، ٥٠٠٦ «حديث حسن» ٤/٣٠١ ـ ٣٠٢ وأبو داود ـ كتاب النكاح ـ باب في وطء السبايا رقم ٢١٥٥ (٢/٢٤٧). كلهم من حديث أبي سعيد.

(٧) الحاكم (٢/١٩٥) في المستدرك في كتاب النكاح وأبو داود (٢/٢٤٨) (٢١٥٧) والترمذي (٣/٦٣) في السير وأحمد (٣/٢٨) (٨٧).

(٨) في (د): بنا. (٩) في (هـ): قال. (١٠) في (أ، هـ): حرمت.

(١١) قرأ حمزة والكسائي وحفص (وأُحِل) ـ بضم الألف وكسر الحاء ـ على ما لم يسم فاعله وحجتهم: أن ابتداء التحريم ـ في الآية الأولى ـ أجرى على تلك تسمية الفاعل وهو قوله ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم**﴾ وما ذكر بعده، فأجرى التحليل عقيب التحريم وعلى لفظه فكأنه قال: حرم عليكم كذا، وأحل لكم كذا. وقرأ الباقون ـ بالفتح ـ.
وحجتهم: قربه من ذكر «الله» فجعلوا الفعل مسنداً إليه.

(١٢) (انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٨ والسبعة ٢٣١ والنشر ٢/٢٤٩، والزجاج ٢/٣٦ والتبيان ١/٣٤٦ والحجة لابن خالويه ١٢٢).
في غير (أ) التي حرمت وانظر المعنى في: مجاز القرآن ١/١٢٣ والفراء ١/٢٦١ والدر ٢/١٣٩ عن أبي مالك وتفسير ابن عباس ص ٦٨.

وقوله[١] ﴿ان تبتغوا﴾ أي: تطلبوا ﴿بأموالكم﴾ اما بنكاح وصداق، أو بملك وثمن ﴿محصنين﴾ متعففين عن الزنا ﴿غير مسافحين﴾ غير زانين، و «السفاح، والمسافحة»: الزنا.[٢]

وقوله ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ يعني: فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح الصحيح ﴿فآتوهن أجورهن﴾ مهورهن. ﴿فريضة﴾ فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تاماً، وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر.

وقوله[٣] ﴿ولا جناح عليكم فيماتراضيتم به من بعد الفريضة﴾ قال الزجاج[٤]: لا إثم عليكم في أن تهب المرأة للزوج مهرها، أو يهب الرجل للمرأة تمام المهر إذا طلقها قبل الدخول.

﴿إن الله كان عليماً﴾ بما يصلح أمر العباد ﴿حكيماً﴾ فيما بين لهم من عقد النكاح.

ـ قوله جل جلاله [٥] ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ «الطول» الغناء [٦] والسعة والقدر، يقال: فلان ذو طول أي: ذو قدرة في ماله يراد بالقدرة هاهنا: القدرة على المهر.

وقوله ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ يريد الحرائر. فمن فتح الصاد أراد: أنهن أحصن لحريتهن ولم تبتذلن كالإماء[٧] **فهن محصنات، ومن كسر الصاد أراد: أنهن أحصن أنفسهن لحريتهن ولم يبرزن بروز الأمة فهن محصنات**[٨].

وقوله[٩] ﴿فمما ملكت أيمانكم﴾ أي: فليتزوج مما ملكت أيمانكم. قال ابن عباس [١٠]: يريد جارية أخيك في الإسلام وهو أن يتزوج الرجل بمن [١١] يملك غيره ممن تكون على مثل [١٢] حاله في الإسلام وهو قوله ﴿من فتياتكم المؤمنات﴾.

«الفتيات»: المملوكات والإماء جمع، قتادة تقول العرب للأمة: فتاة وللعبد فتى[١٣] وأفاد التقييد

---

(١) في (د): قوله.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/١٢٣ وفي حاشية «أ» أي مأخوذ من سفح الماء وصبه وهو المني» والزاهر ٢/١٧٦.

(٣) في (حـ): وقوله فلا، وفي (د): قوله ولا.

(٤) انظر الزجاج ٢/٣٨ وغرائب النيسابوري ٥/١٩ عن الزجاج ومجاز القرآن ١/١٢٣، والطبري ٨/١٨ عن ابن زيد.

(٥) في غير (أ) قوله.

(٦) في (جـ، د): الغني.
وانظر المعنى في: مجاز القرآن ١/١٢٣ والزاهر ١/٥٣٣ ـ ٥٣٤، والطبري ٨/١٨٢.

(٧) في (حـ): لحرمتهن ولم تبتذلن وفي (د): لحرمتهن ولم تبتذل كالأمة، وفي (هـ): ولم تبتذلن كأمة.

(٨) اتفق القراء على فتح الصاد في قوله (والمحصنات من النساء).
وقرأ الكسائي ـ بكسر الصاد ـ في جميع القرآن وحجته أنهن أحصن أنفسهن بالإسلام والعفة، وقرأ الباقون ـ بفتح الصاد ـ أي: أحصنهن أزواجهن أو إسلامهن.
(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٦ ـ ١٩٧ والسبعة ٢٣٠ والنشر ٢/٢٤٩ والحجة لابن خالويه ١٢٢).

(٩) في (د): قوله (فمما ملكت أيمانكم) فليتزوج.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٦٨ وابن كثير ١/٤٧٥ والدر ٢/١٤١ ـ ١٤٢ والطبري ٨/١٨٦، وغرائب النيسابوري ٥/٢٠ كلها عن ابن عباس.

(١١) في (جـ، هـ): بما، وفي (د): ما.

(١٢) في (حـ): مثال.

(١٣) في (د): فتا، وانظر مجاز القرآن ١/١٢٣.

بـ ﴿**المؤمنات**﴾: انه لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية، وهو قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي [١].

وعند أبي حنيفة يجوز التزوج بالأمة الكتابية [٢] والآية حجة عليه.

وقوله [٣] ﴿**والله أعلم بإيمانكم**﴾ قال الزجاج [٤]: أي: اعملوا [٥] على الظاهر من الإيمان فإنكم محاسبون بما ظهر، والله يتولى السرائر والحقائق.

وقوله [٦] ﴿**بعضكم من بعض**﴾ أي: في النسب كلكم بنو آدم فلا يتداخلنكم الأنفة من تزوج الإماء عند الضرورة.

وقوله جل جلاله [٧] ﴿**فانكحوهن بإذن أهلهن**﴾ قال ابن عباس [٨]: يريد آخطبها إلى سيدها. ونكاح الأمة دون إذن السيد باطل.

وقوله [٩] ﴿**واءتوهن أجورهن**﴾ أي: مهورهن ﴿**بالمعروف**﴾ من غير مطل ولا إضرار.

وقوله ﴿**محصناتٍ**﴾ يريد: عفائف ﴿**غير مسافحات**﴾ غير زوان ﴿**ولا متخذات أخدان**﴾ جمع خدن وهو الذي يخادنك [١٠].

قال قتادة والضحاك [١١]: (المسافحة): هي التي تؤجر نفسها معلنة بالزنا، والتي تتخذ الخدن: هي التي تزني سراً.

وكانت العرب في الجاهلية يعيبون الزنا العلانية [١٢]، ولا يعيبون اتخاذ الأخدان فجاء الله تعالى بالإسلام فهدم ذلك وقال ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾ [١٣].

قال قتادة [١٤]: نهى الله تعالى عن نكاح المسافحة وذات الخدن.

وقوله: ﴿**فإذا أحصن**﴾ أي: الأزواج على معنى تزوجن، ومن فتح الألف [١٥]، فمعناه أسلمن. و «الإحصان»

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/١٨٨ ـ ١٨٩ عن مجاهد ومالك بن أنس وغيرهما ورجح الطبري قول من قال: هو دلالة على تحريم نكاح إماء أهل الكتاب فإنهن لا يحللن إلا بملك اليمين (٨/١٩٠) وانظر غرائب النيسابوري ٥/٢٠ عن الشافعي ومجاهد وسعيد والحسن وفتح القدير ١/٤٥٠ عن أهل الحجاز قال الشوكاني «وجوزه أهل العراق»، ١/٤٥٥ ـ ٤٥٦ عن مجاهد، والدر ٢/١٤٢ عن مجاهد قال «لا يصلح نكاح إماء أهل الكتاب، وفي رواية أخرى لمجاهد قال: ومما وسع الله به على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً».

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٥/٢٠ ـ ٢١ عن أبي حنيفة.

(٣) في (د، هـ): قوله.

(٤) انظر الزجاج ٢/٤٠ وغرائب النيسابوري ٥/٢١ عن الزجاج.

(٥) في (هـ): أعلم.

(٦) في (د): قوله.

(٧) في (حـ): قوله، وفي (د، هـ): وقوله.

(٨) انظر البحر ٣/٢٢٢ عن الحسن وعطاء بن المسيب وغيرهم، وغرائب النيسابوري ٥/٢١ وفتح القدير ١/٤٥١، والرازي ١٠/٦١.

(٩) في (د): قوله.

(١٠) في (د): يخادن.

(١١) انظر تفسير الطبري ٨/١٩٤، عن قتادة والضحاك، وابن كثير ١/٤٧٥ عن ابن عباس والضحاك وأبي هريرة والسدي وغيرهم وغرائب النيسابوري ٥/٢٣.

(١٢) في (د): علانية.

(١٣) سورة الأعراف / ٣٣، وانظر الطبري ٨/١٩٣، والدر ٢/١٤٢، وفتح القدير ١/٤٥٦ كلها عن ابن عباس.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٨/١٩٤ عن قتادة، وفتح القدير ١/٤٥١.

(١٥) انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٦ ـ ١٩٧ والسبعة ٢٣٠، والنشر ٢/٢٤٩، والتبيان ١/٣٤٩.

مغناه في اللغة: المنع، ومنه قوله ﴿أحصنت فرجها﴾[١] أي منعته عن الزنا.

وقوله[٢] ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ أي: زنا ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾ أي: عليهن نصف الحد، و«المحصنات» ها هنا: الأبكار اللاتي أحصنهن العفاف وحدهن مائة، ويتنصف في حق الأمة إذا زنت[٣].

وقوله[٢] ﴿ذلك﴾ يعني: نكاح الأمة عند عدم الطول[٤] ﴿لمن خشي العنت منكم﴾ يعني: الزنا وهو أن يخاف شدة الشبق[٥] والغلمة على الزنا، فيلقى العذاب في الآخرة، أو الحد[٦] في الدنيا.

أباح الله نكاح الأمة بشرطين: أحدهما في أول الآية، وهو عدم الطول، والثاني في آخر الآية وهو خوف العنت.

ثم قال ﴿وأن تصبروا﴾ أي: عن تزوج الإماء[٧] ﴿خير لكم﴾ لئلا يصير الولد عبداً ﴿[والله غفور رحيم]﴾[٨].

ـ قوله جلّ جلاله[٩] ﴿يريد الله ليبين لكم[١٠]﴾ قال ابن عباس: ليبين لكم ما يقربكم إلى طاعته[١١]. وقال غيره: ليبين لكم شرائع دينكم، ومصالح أموركم[١٢] ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ يريد: دين إبراهيم وإسماعيل، دين الحنيفية ﴿ويتوب عليكم﴾ يرجع بكم من معصيته التي كنتم عليها قبل هذا إلى طاعته التي أمركم بها ﴿والله عليم﴾ بما يصلحكم ﴿حكيم﴾ في تدبيره فيكم.

ـ ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ يخرجكم من كل ما يكره إلى ما يحب ويرضى ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ قال مجاهد[١٣]: هم الزناة يريدون أن يزني أهل الإسلام وهو قوله ﴿أن تميلوا ميلاً عظيماً﴾.

وقال ابن زيد[١٤]: هم جميع أهل الباطل في دينهم، يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً عن الحق وقصد السبيل بالمعصية فتكونوا مثلهم.

ـ ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ يعني: في أحكام الشرع، وفي جميع ما يسره الله لنا وسهله علينا، ولم يثقل التكليف كما ثقل على بني إسرائيل.

---

(١) سورة التحريم /١٢.

(١) في (د) قوله.

(٣) قال الزجاج «أي عليهن نصف الحد، والحد مائة جلدة على الحر والحرة غير المحصنين، وعلى المحصنين الرجم إلا أن الرجم قتل والقتل لا نصف له فإنما عليهن نصف الشيء الذي له نصف وهو الجلد» (معاني الزجاج ٢/٤١ ومجاز القرآن ١/١٢٣ وغرائب النيسابوري ٥/٢٤).

(٤) في (جـ) ذلك.

(٥) «الشبق: شدة الغلمة وطلب النكاح، والغلمة: شهوة الضراب، الغلمة: هيجان شهوة النكاح». اللسان/ شبق، غلم، وحاشية (أ).

(٦) في (د) والحد.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٥/٢٥ والدر ٢/١٤٢ ـ ١٤٣ عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد.

(٨) من (هـ). (٩) في غير (أ) قوله. (١٠) في (د) (يريد الله).

(١١) انظر البحر ٣/٢٢٥ والبغوي ١/٥١١ كلاهما عن عطاء.

(١٢) انظر البحر ٣/٢٢٥ والطبري ٨/٢٠٩ وغرائب النيسابوري ٥/٢٥ وابن كثير ١/٤٧٩.

(١٣) انظر تفسير مجاهد ١٥٣ وابن عباس ٦٩ والطبري ٨/٢١٣ والدر ٢/١٤٣ كلاهما عن مجاهد.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٨/٢١٤ عن ابن زيد، وابن كثير ١/٤٧٩.

﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ قال ابن عباس والأكثرون:[١]: يضعف عن الصبر عن الجماع، ولا يصبر عن النساء، فلذلك أباح الله[٢] له نكاح الأمة.

قال الزجاج[٣]: أي يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

- قوله عز وجل[٤]: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ أي: بما لا يحل لكم في الشرع، كالربا والغصب والسرقة والخيانة.

و «الباطل»: اسم جامع لكل ما لا يحل.

نهى الله تعالى بهذه الآية عن جميع المكاسب الباطلة بالشرع، ثم قال ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ أي: إلا أن تقع تجارة برضاء البيعين، يرضى كل واحد منهما بما في يده.

وقرىء «تجارة» - بالنصب[٥] - على تقدير: إلا أن تكون التجارة تجارة، كما قال: إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا.
أي: إذا كان اليوم يوماً.

وقوله[٦] ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ أي: لا يقتل[٧] بعضكم بعضاً، لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة، هذا قول ابن عباس والأكثرين[٨].

وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الإنسان نفسه ويدل على صحة هذا التأويل [٩] ما أخبرنا:

أبو منصور محمد بن محمد المنصوري، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الحافظ، حدثنا أبو بكر بن أبي داود[١٠]، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي [١١]، قال: سمعت يحيى بن أيوب، يحدث عن

(١) انظر تفسير ابن عباس ٦٩، والثوري ٩٣ والطبري ٨/٢١٦ وابن كثير ١/٤٧٩ كلاهما عن طاووس والدر ٢/١٤٣ عن ابن عباس وطاووس، والوجيز للواحدي ١/١٤٨.

(٢) من (هـ).

(٣) انظر الزجاج ٢/٤٤، والبغوي ١/٥١٢ عن ابن كيسان.

(٤) في غير (أ) قوله.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر - بالرفع - جعلوا (تكون) بمعنى الحدوث والوقوع وقرأ عاصم وحمزة والكسائي - بالنصب - على إضمار اسم كان وهي خبرها.

(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٩ والسبعة ٢٣١ والنشر ٢/٢٤٩ والزجاج ٢/٤٤ والتبيان ١/٣٥١ والأخفش ١/٤٤١) وتقدم نظير ذلك في سورة البقرة عند تفسير الآية ٢٨٢.

(٦) ساقطة من (د).

(٧) في (هـ) يقتلوا.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٦٩ والزجاج ٢/٤٥ وغريب القرآن ١٢٥ والدر ٢/١٤٤ عن أبي صالح وعكرمة ومجاهد وعطاء والسدي.

(٩) في (هـ) على صحة ما أخبرنا.

(١٠) أبو بكر بن أبي داود: عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحافظ صاحب التصانيف وثقه الدارقطني فقال ثقة إلا أنه كثير الخطأ وقال الخليلي: حافظ إمام وقته عالم متقن توفي سنة ٣١٦ هـ. (لسان الميزان ٣/٢٩٣ - ٢٩٧).

(١١) جرير بن حازم بن زيد أبو النصر الأزدي العتكي البصري سمع الحسن البصري وأبا رجاء العطاردي ومحمد بن سيرين وروى عنه ابنه =

يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس[١]، عن عبد الرحمن بن جبير[٢]، عن عمرو بن العاص قال:

احتلمت في ليلة باردة ـ وأنا في غزوة ذات السلاسل ـ فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، فقلت: إني سمعت الله يقول ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً**﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً [٣].

فدل هذا الحديث على أن عمراً [٤] تأول في الآية إهلاك نفسه، لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ.

ـ قوله جل جلاله[٥] ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نهي عنه من أول السورة إلى هذا الموضع[٦].

وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة[٧].

وقوله ﴿**عدواناً وظلماً**﴾ معنى «العدوان»: أن يعدوا ما أمر الله تعالى به[٨] ﴿**وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ أي: إنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار.

ـ قوله عز وجل[٩] ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تُنهون عنه...**﴾ الآية، «الاجتناب»: المباعدة عن الشيء وتركه جانباً. واختلفوا في الكبائر ما هي؟

فأخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المرزكي، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا يعقوب بن

= وهب وعبد الله بن وهب وأبو عاصم النبيل وخلق ولد سنة ٨٥ وتوفي سنة ١٧٠ هـ.
(كتاب الجمع ١/٧٤).

(١) عمران بن أبي أنس العامري المصري عن سليمان الأغر وابن المسيب وعنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب صدوق توفي سنة ١١٧ هـ (حسن المحاضرة ١/٢٧٠، والميزان ٣/٢٣٤).

(٢) عبد الرحمن بن جبير المصري الفقيه الفرضي المؤذن العامري روى عن عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وأبي الدرداء والمستورد بن شداد وغيرهم قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات شهد فتح مصر توفي سنة ٩٧ هـ
(تهذيب التهذيب ٦/١٥٤ ـ ١٥٥).

(٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التيمم ـ باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت ١/٧٢.
وأبو داود في السنن ـ كتاب الطهارة ـ باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم رقم ٣٣٤ (١/٩٢). والمستدرك ـ كتاب الطهارة ـ وصححه (١/١٧٧ ـ ١٧٨). كلهم من حديث عمرو بن العاص.

(٤) في (جـ، هـ) عمروا.

(٥) في (جـ) قوله، وفي (د، هـ) وقوله.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٢٣٠ وغرائب النيسابوري ٥/٢٩ والمستدرك ١/٥٩ عن ابن عباس.

(٧) ذكره ابن عباس في تفسيره ٦٩ والطبري ٨/٢٣٠ والزجاج ٢/٤٥ وغرائب النيسابوري ٥/٢٩ عن الزجاج والدر ٢/١٤٥ عن سعيد بن جبير وابن جريج.

(٨) في (جـ) ما أمر الله به، وفي (د) ما أمر به، وفي (هـ) أن يعدو ما مر الله به.

(٩) في (جـ، هـ) قوله تعالى وفي (د) وقوله تعالى.

إبراهيم(١)، حدثنا إسماعيل بن علية، أخبرنا سعيد الجريري (٢)، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكرة (٣)، عن أبيه (٤) قال:

كنا عند النبي ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فاستوى جالساً قال: وشهادة الزور وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت».

رواه البخاري عن قيس بن حفص (٥)، ورواه مسلم عن عمر بن الناقد (٦) كلاهما عن إسماعيل بن علية (٧).

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أباذي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا محمد بن أيوب، أخبرنا العباس بن الفضل البصري، (٨) حدثنا حرب بن شداد(٩)، حدثنا عبد الله بن عمير الليثي(١٠)، عن أبيه، عن جده(١١) قال:

كنت مع النبي ﷺ في حجة الوداع فسمعته يقول: «الكبائر سبع، أعظمهن إشراك(١٢) بالله وقتل النفس المؤمنة(١٣)، وأكل الربا وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، فمن لقي الله وهو بريء منهن كان معي في بحبوحة الجنة(١٤)، مصاريعها من ذهب» (١٥).

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني قال ابن معين وابن سعد والعجلي ثقة زاد ابن سعد مأمون روى له البخاري توفي سنة ٢٠٨ هـ (كتاب الجمع ٥٨٨/٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٠ - ٣٨١).

(٢) في (هـ) سعيد بن الجريري.

(٣) عبد الرحمن عبد الرحمن بن أبي بكرة - نفيع - بن الحارث بن كلدة بن عمرو عن علاج البصري هو أول مولود للإسلام بالبصرة يكنى أبا بحر - ويقال أبو حاتم - سمع أباه وعنه سعيد الجريري ومحمد بن سيرين وغيرهما قال المدائني توفي سنة ٩٦ هـ.

(٤) أبو بكرة - نفيع - بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي الصحابي المشهور توفي سنة ٥٢ هـ (تقريب التهذيب ٣٠٦/٢).

(٥) قيس بن حفص أبو محمد الدارمي مولاهم البصري سمع عبد الواحد بن زياد وابن علية وخالد بن الحرث روى عنه البخاري توفي سنة ٢٢٩ هـ (الجمع ٤١٨/٢).

(٦) الحافظ الكبير أبو عثمان عمرو بن محمد بن بكير بن شابور البغدادي نزيل الرقة روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وأبو يعلى والبغوي والفريابي وخلق وقال أحمد: كان يتحرّى الصدق وقال أبو حاتم: ثقة أمين توفي سنة ٢٣٢ هـ. (تذكرة الحفاظ ٤٤٥/٢ - ٤٤٦).

(٧) الحديث: رواه البخاري - كتاب الشهادات - باب ما قيل في شهادة الزور (١٠٢/٢) وفي كتاب الأدب - باب عقوق الوالدين من الكبائر - ٤٨/٤. ومسلم - كتاب الأيمان - باب بيان الكبائر وأكبرها (١/ ٥٠ - ٥١). كلاهما من حديث أبي بكرة.

(٨) العباس بن الفضل أبو عثمان الأزرق البصري روى عن حرب بن شداد وهمام بن يحيى وعنه عباس الدوري ومحمد بن العتريس قال البخاري: ذهب حديثه قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: سمعت يحيى وسئل عن عباس الأزرق فقال: كذاب خبيث وقال ابن معين: ضعيف (الميزان ٣٨٥/٢ - ٣٨٦ وتهذيب التهذيب ١٢٨/٥).

(٩) حرب بن شداد اليشكري القطان البصري وهو القصار كنيته أبو الخطاب سمع يحيى بن أبي كثير وعنه عبد الرحمن بن مهدي وأبو داود الطيالسي توفي سنة ١٦١ هـ. (كتاب الجمع ١١١/١ وتهذيب التهذيب ٢٢٤/٢).

(١٠) عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي أبو هاشم يروي عن عائشة وابن عباس وابن عمر وثقه ابن أبي حاتم توفي سنة ١١٣ هـ (سير الأعلام ١٥٧/٤ - ١٥٨).

(١١) اعمير بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث بن بكر بن عبد مناة الليثي الجندعي الكوفي روى عن النبي ﷺ وعنه ابنه عبيد وحده. (تهذيب التهذيب ١٤٨/٨).

(١٢) في (أ) الإشراك.

(١٣) في (أ) المؤمن، وهي ساقطة من (د).

(١٤) في (جـ، د) جنة «وبحبوحة الجنة: أي في وسط الجنة» (حاشية أ).

(١٥) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٤٨/١٧ وإسناده العباس بن الفضل الأزرق، عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير عن أبيه. وفي إسناد آخر: «عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن عمير الليثي عن أبيه (١٧/ ٤٧ - =

وقال ابن عباس في رواية الوالبي[١]: «الكبائر» كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، وقال في رواية ابن سيرين[٢]: كل ما نهي عنه فهو كبيرة.

وقال الحسن وسعيد بن جبير والضحاك[٣]: كل ما جاء في القرآن مقروناً بذكر الوعيد فهو كبيرة[٤] نحو: قتل النفس وقذف المحصنة والربا والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا جعفر بن محمد بن الليث الزيادي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سهل، عن قيس بن سعد [٥] عن سعيد بن جبير:

أن رجلاً قال لابن عباس: يا ابن عباس، كم الكبائر سبع هي؟ قال: هي سبعمائة [٦] أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار [٧].

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ

= ٤٨). ومجمع الزوائد ـ كتاب الإيمان ـ باب فيما بني عليه الإسلام، رواه الطبري في الكبير ورجاله موثقون (١/ ٤٨). والمستدرك ـ كتاب الإيمان ـ «وعدها تسعاً بدل سبع» (١/ ٥٩).

وانظر الضعفاء الكبير« حدثنا محمد بن أيوب قال أخبرنا العباس بن الفضل الأزرق قال حدثنا حرب بن شداد قال حدثني يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ» الحديث وفي الكبائر أحاديث صالحة وأسانيد من غير الوجه. (٣/ ٤٥).

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٨٦ والدر ٢/ ١٤٦ وفتح القدير ١/ ٤٥٨ والطبري ٨/ ٢٤٦، كلها عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٨٦ والدر ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦ وفتح القدير ١/ ٤٥٨ والطبري ٨/ ٢٤٤ وغرائب النيسابوري ٥/ ٣٣ كلها عن ابن عباس.

(٣) انظر الزجاج ٢/ ٤٥ والطبري ٨/ ٢٤٧ عن سعيد والحسن ومجاهد والضحاك وغرائب النيسابوري ٥/ ٣٤ عن ابن عباس والدر ٢/ ١٤٦ عن سعيد والضحاك.

(٤) في (جـ، هـ) كبير.

(٥) في (د) قيس بن سعيد وهو: قيس بن سعد الحبشي المكي يكنى أبا عبد الله ويقال إنه مولى نافع بن علقمة وقيل: مولى أم علقمة سمع عطاء بن أبي رباح وطاووساً وعمرو بن دينار توفي سنة ١١٩ هـ (الجمع ٢/ ٤١٩).

(٦) في غير (أ) سبع مائة.

(٧) انظر الزجاج ٢/ ٤٦ والطبري ٨/ ٢٤٥ والدر ٢/ ١٤٦ كلاهما عن سعيد بن جبير وابن كثير ١/ ٤٨٦ وفتح القدير ١/ ٤٥٨ كلاهما عن ابن عباس.

فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

وقوله ﴿نكفّر عنكم سيئاتكم﴾ يعني: ما دون الكبائر ومثل النظر والكذبة واللمسة والقبلة[1]. وهذه تقع مكفّرة بالصلوات الخمس.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، حدثنا محمد بن عيسى بن عمرويه أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا مسلم[2]، حدثني هارون بن سعيد الأبلي[3]، حدثنا ابن وهب، عن أبي صخر[4]، أن عمر بن إسحاق[5] ـ مولى زائدة[6] ـ حدثه عن أبيه [7] عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ كان يقول: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» [8].

أخبرنا أبو منصور البغدادي أخبرنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل [9] حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي العبدي حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدمي[10] حدثنا جعفر بن سليمان [11] سمعت مالك بن دينار[12] يقول: سمعت أنس بن مالك يقول:

---

(١) انظر غريب القرآن ١٢٥ والوجيز للواحدي ١/١٤٨.

(٢) هو الإمام مسلم القشيري.

(٣) هارون بن سعيد بن الهيثم الأبلي سمع ابن وهب ـ روى عنه مسلم توفي سنة ٢٦٣ هـ. (كتاب الجمع ٢/٥٥٢. وتذكرة الحفاظ ٢/٥٤٨).

(٤) أبو صخر: حميد بن زياد ـ ويقال حميد بن صخر ـ ويقال حماد بن زيد ـ الخراط المدني سمع عمر بن إسحاق مولى زائدة وأبا سلمة بن عبد الرحمن وأبا حازم بن دينار وعنه ابن وهب وحيدة ويحيى القطان وغيرهم روى له مسلم. (الجمع ١/٩١).

(٥) عمر بن إسحاق المدني مولى زائدة عن أبيه وعنه أبو صخر حميد بن زياد وأسامة بن زيد صدوق. (كتاب الجمع ١/٣٤٣ ـ ٣٤٤، والميزان ٣/١٨٢).

(٦) زائدة: هو ابن قدامة أبو الصلت الثقفي البكري الكوفي روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٦٢. (كتاب الجمع ١/١٥٥ ـ ١٥٦).

(٧) إسحاق أبو عبد الله مولى زائدة المدني سمع أبا هريرة روى له مسلم. (كتاب الجمع ١/٣٣).

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الطهارة ـ باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر (١/١١٧). ومسند أحمد ٢/٤٠٠ كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) عبد الله بن أبي بكر المقدمي أخو محمد يروي عن جعفر بن سليمان وحماد قال ابن عدي: ضعيف وله عن جعفر عن مالك بن دينار عن أنس مرفوعاً «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» قال أبو حاتم: هذا حديث منكر (الميزان ٢/٣٩٨ ـ ٣٩٩).

(١١) جعفر بن سليمان الإمام أبو سليمان الضبعي البصري من ثقات الشيعة وزهادهم حدث عن ثابت البناني ومالك بن دينار وأبي عمران الجوني وغيرهم وثقه ابن معين وقال ابن سعد كان ثقة فيه ضعف وقد روى له الجماعة سوى البخاري توفي سنة ٧٨ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٢٤١).

(١٢) مالك بن دينار من علماء البصرة وزهادها المشهورين وكان ينسخ المصاحف وثقه النسائي وغيره وقال بعضهم: صالح الحديث. وقال الأزدي: يعرف وينكر قلت استشهد به البخاري واحتج به النسائي وذكره ابن حبان في الثقات يكنى أبا يحيى يروي عن أنس بن مالك توفي سنة ١٣٠. (الميزان ٣/٤٢٦).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تحدثوا بهذا الحديث شاباً حدثاً[1]، ولا شيخاً مارقاً، [2] ألا إن الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي» قال: ثم تلا هذه الآية ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾[3].

وقرىء «مَدخلاً» ـ بفتح الميم ـ على تقدير: وندخلكم فتدخلون مدخلاً، ومن قرأ ـ بضم الميم ـ[4] جاز أن يكون مصدراً، وجاز أن يكون مكاناً[5]، والأولى أن يكون مكاناً لأن المفسرين قالوا في قوله ﴿**مدخلاً كريماً**﴾ هو الجنة[6].

ـ قوله عز وجل[7] ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به...**﴾ الآية، قال مجاهد: قالت أم سلمة: يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث، فليتنا كنا رجالاً، فجاهدنا وغزونا وكان لنا مثل أجر الرجال، فنزلت هذه الآية[8].

وفي هذه الآية نهي أن يتمنى أحد مال غيره، فإن ذلك هو الحسد، وقد جاء في الحديث: «لا يتمنين أحدكم مال أخيه، ولكن ليقل: اللهم ارزقني، اللهم أعطني مثله»[9].

وقوله[10] ﴿**للرجال نصيب ممّا اكتسبوا**﴾ أي: من الجهاد[11] ﴿**وللنساء نصيب ممّا اكتسبن**﴾ حفظ فروجهن،

---

(١) «ورجال أحداث السن، وحدثانها، وحدثاؤها، ويقال: هؤلاء قوم حدثان: جمع حدث، وهو الفتي السن، ورجل حدث: أي شاب، وكل فتى من الناس والدواب والإبل: حدث». (اللسان/حدث).

(٢) «المارق: وهو الخارج من السنة» (حاشية (أ)).

(٣) الحديث: رواه الإمام أحمد في مسنده ٣/٢١٣.
وانظر كشف الخفاء رواه أحمد وابن خزيمة بلفظ «الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي» ولأحمد عن مالك بن دينار عن أنس بزيادة ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه...﴾ الآية (٢/١٠) والمقاصد الحسنة، عن أنس مرفوعاً وصححه ابن خزيمة (٢٥٢).
وانظر علل الحديث للرازي «سألت أبي عن حديث رواه عبد الله بن بكر المقدمي، عن جعفر بن سليم الضبعي عن مالك بن دينار عن أنس أن رسول الله ﷺ قال شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ثم قرأ ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾. سمعت أبي يقول: هذا حديث منكر».

(٤) قرأ نافع (مدخلاً) ـ بفتح الميم ـ وقرأ غيره ـ بالضم ـ وحجتهم قوله (وقل رب أدخلني مدخل صدق) الإسراء /٨٠.
(انظر الحجة لأبي زرعة ١٩٩ ـ ٢٠٠ والسبعة ٢٣٢ والنشر ٢/٢٤٩ والزجاج ٢/٤٦ والتبيان ١/٣٥١ ـ ٣٥٢ والبيان ١/٢٥١ والحجة لابن خالويه ١٢٢ ـ ١٢٣).

(٥) في (جـ) يكون موضعاً، وفي (د) يكون كله مكاناً.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٢٦٠ عن السدي والدر ٢/١٤٨ ـ ١٤٩ عن السدي وقتادة والوجيز ١/١٤٨.

(٧) في (جـ) قوله تعالى، وفي (د، هـ) قوله.

(٨) انظر تفسير مجاهد ١٥٤ عن ابن عباس ٦٩، وابن كثير ١/٤٨٧ ـ ٤٨٨ عن مجاهد والفراء ١/٢٦٤ ـ ٢٦٥ والدر ٢/١٤٩ عن مجاهد وعكرمة والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ «صحيح على شرط الشيخين إن كان مجاهد سمع من أم سلمة» (٢/٣٠٥ ـ ٣٠٦) والطبري ٨/٢٦١، وغرائب النيسابوري ٥/٣٧ وأسباب النزول للواحدي ١١٠ وللسيوطي ٧٣ ـ ٧٤. والترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء رقم ٥٠١١ «حديث مرسل» (٤/٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٩) انظر تفسير الطبري ٨/٢٦٣ ـ ٢٦٤ عن الحسن وعطاء والبغوي ٥٦١١ والقرطبي ٥/١٦٤ كلاهما عن الكلبي، والطبري ٨/٢٦١ وابن كثير ١/٤٨٨، وفتح القدير ١/٤٦١، والدر ٢/١٤٩ كلها عن ابن عباس. قال السيوطي في الدر «رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس».

(١٠) في (د) قوله وللرجال.

(١١) في (جـ) أي.

وطاعة أزواجهن، أي: لكل واحد من الفريقين حظ من الثواب ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ أي: إن احتجتم إلى مال غيركم، وأعجبكم أن يكون لكم مثل ماله، فسلوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله.

أخبرنا أبو سعد النضروي، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا محمد بن عبدوس بن كامل[١] أخبرنا محمد بن عبد الله الرازي[٢]، حدثنا حماد بن واقد[٣] قال: سمعت إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق الهمذاني، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود[٤] قال:

قال رسول الله ﷺ: «سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»[٥].

ـ قوله عز وجل[٦] ﴿ولكل﴾ أي: ولكل واحد من الرجال والنساء ﴿جعلنا موالي﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد[٧]: عصبة، وقال السدي: ورثة[٨].

﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ أي: يرثون، أو يعطون ما ترك والداه وأقربوه[٩] من ميراثهم له ﴿والذين عاقدت[١٠] أيمانكم﴾ يعني: الحلفاء في قول جميع المفسرين[١١].

وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل ويقول له: دمي دمك، وناري نارك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، وترثني وأرثك، فلما قام الإسلام جعل للحليف السدس وهو قوله ﴿فآتوهم نصيبهم﴾ ثم نسخ ذلك بقوله ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾[١٢].

---

(١) الحافظ الثبت المأمون محمد بن عبدوس بن كامل السلمي البغدادي السراج أبو أحمد صديق عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأكثر الناس عنه لثقته وضبطه توفي سنة ٢٩٣ هـ. (تذكر الحفاظ ٢/٦٨٣ ـ ٦٨٤).

(٢) محمد بن عبد الله الكوفي ثم الرازي المقري ولقبه داهر حدث عن ليث بن أبي سليم والأعمش وعنه ابنه عبد الله وحميد بن زنيج تكلم فيه أبو حاتم ولم يُترك. (الميزان ٣/٦٠٣).

(٣) حماد بن واقد العيشي أبو عمرو الصغار روى عن إسرائيل بن يونس وغيره قال ابن معين: ضعيف وقال البخاري: منكر الحديث له عند الترمذي حديث واحد وهو «انتظار الفرج» واعلمه. (تهذيب التهذيب ٣/٢١).

(٤) في (د) عن أبي مسعود.

(٥) الحديث: رواه الترمذي: ـ في جامعه ـ كتاب الدعوات باب في انتظار الفرج رقم ٣٦٤٢ قال الترمذي «هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث وحماد ليس بالحافظ» وروى أبو نعيم هذا الحديث عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي ﷺ «وحديث أبي نعيم أشبه أن يكون أصح» (٥/٢٢٥ ـ ٢٢٦).

والطبراني في الكبير ١٠/١٢٥ والطبري ٨/٢٦٨ وابن كثير ١/٤٨٨، كلهم من حديث ابن مسعود.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) انظر تفسير مجاهد ١٥٤ والثوري ٩٣ وغريب القرآن ١٢٥، والطبري ٨/٢٧٠ ـ ٢٧١، عن مجاهد وقتادة وابن زيد، وابن كثير ١/٤٨٩، وفتح القدير ١/٤٦٢ كلاهما عن ابن عباس والدر ٢/١٥٠ عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد.

(٨) ذكره ابن عباس في تفسيره ص ٦٩، والطبري ٨/٢٧٠ ـ ٢٧١ عن ابن عباس والسدي وابن كثير ١/٤٨٨ ـ ٤٨٩ عن ابن عباس وفتح الباري ٨/١٩٩ عن ابن عباس.

(٩) في (د) أو أقربوه.

(١٠) في جميع النسخ (عاقدت) وهي قراءة وستأتي.

(١١) انظر تفسير مجاهد ١٥٥ والثوري ٩٤ والزجاج ٢/٤٦ وغريب القرآن ١٢٦ وفتح الباري ٨/٢٠٠ والطبري ٨/٢٧٤ ـ ٢٧٥ عن عكرمة والحسن وسعيد بن جبير وابن عباس، وقتادة وتفسير قتادة ـ ١٠٠ والدر ٢/١٥٠ عن ابن عباس وسعيد وقتادة ومجاز القرآن ١/١٢٥ والناسخ لابن سلامة ١٣٢ ـ ١٣٤.

(١٢) سورة الأحزاب/ ٦.

وقريء «عقدت[١]» وكلا القرائتين معناهما واحد، أي: أحكمت أيمانكم[٢] و«الأيمان»: يحتمل أن يكون جمع يمين من اليد، ويحتمل أن يكون من القسم وذلك أنهم كانوا يضربون صفقة البيعة بأيمانهم، ويأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد، ويتحالفون عليه أيضاً.

وقوله ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ [٣] قال عطاء [٤]: يريد لم يغب عنه علم ما خلق وبرأ [٥].

ـ قوله جل جلاله [٦] ﴿الرجال قوامون على النساء...﴾ الآية، قال المفسرون لطم رجل امرأته فجاءت إلى النبي [٧] ﷺ تطلب القصاص، فنزلت هذه الآية [٨].

ومعنى قوله ﴿قوّامون على النساء﴾ مسلطون على تأديبهن، والأخذ فوق أيديهن فعلى المرأة أن تطيع زوجها في طاعة الله.

و«القوام»: المبالغ في القيام، يقال: هذا قيم المرأة وقوامها للذي يقوم بأمرها ويحفظها. قال المفسرون: وليس بين المرأة وزوجها قصاص إلا في النفس والجروح وكان النبي ﷺ قد أوجب القصاص في اللطم، فلما نزلت هذه الآية قال:

«أردنا أمراً، وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير» ورفع القصاص[٩].

وقوله[١٠] ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ يعني: بما فضل الله الرجال على النساء بالعقل والجسم والعلم والعزم والجهاد والشهادة والميراث.

وقوله ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعني: المهر والإنفاق عليهن.

أخبرنا الأستاذ الإمام أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال، أخبرنا[١١] أحمد بن منصور المروزي، أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لما عظم الله من حقه عليها»[١٢].

---

(١) في (جـ) وعقدت وكلي، وفي (د) عقدت وكلي وفي (هـ) وعقدت وكلي.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (عقدت) ـ بغير ألف ـ وحجتهم أن الأيمان عقدت بينهم لأن في قوله (أيمانكم) حجة على أن أيمان الطائفتين هي عقدت ما بينهما وفي إسناد الفعل إلى الأيمان كفاية في الحجة.

وقرأ الباقون (عاقدت) بالألف ـ وحجتهم: أن العقد كان من الفريقين. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠١ ـ ٢٠٢، والسبعة ٢٣٣، والنشر ٢/٢٤٩، والتبيان ١/٣٥٣ والحجة لابن خالويه ١٢٣).

(٣) في (د) الآية.

(٤) انظر تفسير الخازن ١/٥١٨ عن عطاء والبحر ٣/٢٣٨ وغرائب النيسابوري ٥/٤٠.

(٥) في (جـ) وبري.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) في (د) رسول الله ﷺ.

(٨) انظر تفسير مجاهد ١٥٥ ومسند أحمد ٥/٤٤٤ عن سويد بن مقرن ومنتخب الكنز ١/٤٣٠ عن علي والدر ٢/١٥١ عن الحسن وابن كثير ١/٤٩١ عن علي والحسن وفتح القدير ١/٤٦٢، والطبري ٨/٢٩١ عن الحسن وقتادة وفي غرائب النيسابوري «عن مقاتل أن سعد بن الربيع ـ وكان من نقباء الأنصار ـ نشزت عليه امرأته حبيبة بنت سويد بن أبي زهير فلطمها». ٥/٤١، وكنز العمال ٢/٣٨٧ ـ ٣٨٨، عن علي، والرازي ١٠/٨٨ عن ابن عباس وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤١٥ عن الحسن.

(٩) المصادر السابقة. (١٠) في (د) قوله. (١١) في (د) حدثنا.

(١٢) الحديث: تقدم عند تفسير الآية ٢٢٨ من سورة البقرة.

أخبرنا أبو إبراهيم أبي القاسم الصوفي، أخبرنا بشر بن أحمد المهرجاني، أخبرنا محمد بن يحيى بن سليمان المروزي، حدثنا خلف بن هشام [١] حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد [٢]، عن بشير بن يسار [٣] عن حصين بن محصن[٤]، أن عمته[٥] أتت النبي ﷺ فقال:

«ألك بعل؟ فقالت[٦]: نعم، قال: فكيف أنت له؟ قالت: ما آنوه[٧] إلا ما أعجز عنه، فقال لها: اعلمي أنه جنتك ونارك»[٨].

وقوله[٩] ﴿فالصالحات﴾ يعني النساء الصالحات ﴿قانتات﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ قال مجاهد وقتادة: لغيب[١٠] أزواجهن،وقال أبو روق: يحفظن فروجهن في غيبة أزواجهن[١١]. ﴿بما حفظ الله﴾ أي: بما حفظهن الله[١٢]في إيجاب المهر والنفقة وإيصاء الزوج بهن.

[١٣] ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ «والنشوز» ها هنا: معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف[١٤]، قال عطاء[١٥]: هي أن لا تتعطر له، وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية. ﴿فعظوهن﴾ بكتاب الله وذكروهن الله وما أمرهن به ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ قال ابن عباس[١٦]: هو أن يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها، وقال

---

(١) الإمام أبو محمد خلف بن هشام البزار شيخ القراء والمحدثين ببغداد سمع من مالك بن أنس وطبقته وله اختيار خالف فيه حمزة في أماكن وكان عابداً صالحاً كثير العلم صاحب سنّة توفي سنة ٢٢٩ هـ (شذرات الذهب ٢/٦٧، والعبر ١/٣١٨).

(٢) يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو بن ثعلبة أبو سعد المدني القاضي قال ابن سعد والعجلي والنسائي: ثقة زاد ابن سعد: ثبت حجة وزاد النسائي: مأمون توفي سنة ١٤٦ (كتاب الجمع ٢/٥٦١ وتهذيب التهذيب ١١/٢٢١ ـ ٢٢٣).

(٣) بشير بن يسار المدني ـ مولى الأنصار ـ سمع رافع بن خديج وأنس بن مالك وسويد بن النعمان، وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري وغيره (كتاب الجمع ١/٥٥).

(٤) حصين بن محصن الأنصاري المدني روى عن عمة له لها صحبة وعن هرمي بن عمرو الواقفي وعنه بشير بن يسار وغيره ذكره ابن حبان في الثقات روى له النسائي ويقال له صحبة.
(تهذيب التهذيب ٢/٣٨٩).

(٥) يقال اسمها: أسماء وهي صحابية لها حديث (تهذيب التهذيب ١٢/٤٨٨). وعن الطبراني في الكبير (نساء غير مسميات ممن لهن صحبة) (٢٥/١٨٣).

(٦) في غير (أ) قالت.

(٧) «من الألو، وهو التقصير» (حاشية ١).

(٨) الحديث: رواه الطبري في الأوسط ١/٣٢١ ومسند أحمد ٤/٣٤١ ومسند الحميدي ١/١٧٢ والمستدرك ـ كتاب النكاح ـ باب حق الزوج على زوجته «وصححه» ٢/١٨٩ ومجمع الزوائد ـ كتاب النكاح ـ باب حق الزوج على المرأة «رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح» ٤/٣٠٦، والدر ٢/١٥٢. كلهم من حديث حصين.

(٩) في (د) قوله والصالحات.

(١٠) في (د) للغيب، وانظر تفسير ابن عباس ٦٩ وغريب القرآن ١٢٦والدر ٢/٥١ وفتح القدير ١/٤٦٢ كلاهما عن مجاهد وقتادة والفراء ١/٢٦٥ والطبري ٨/٢٩٥ عن قتادة.

(١١) انظر تفسير الطبري ٨/٢٩٥ عن السدي وسفيان والدر ٢/١٥١ عن مقاتل وفتح القدير ٢١/٤٦٢.

(١٢) في (هـ) بما حفظ الله لهن.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٨/٢٩٩ وحاشية أ.

(١٥) ذكره أبو حيان في البحر ٣/٢٤١ عن عطاء والطبري ٨/٣٠٠ عن عطاء.

(١٦) انظر تفسير ابن كثير ١/٤٩٢ والدر ٢/١٥٥، وأحكام القرآن ١/٤١٨ كلها عن ابن عباس والطبري ٨/٣٠٢ ـ ٣٠٣ عن السدي والضحاك.

الشعبي ومجاهد [١]: هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها [٢].

﴿واضربوهن﴾ يعني: ضرباً غير مبرح [٣]، قال ابن عباس [٤]: أدباً مثل اللكزة. وللزوج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له [٥] فيه، ومما ذكر في هذه الآية.

﴿فإن أطعنكم﴾ [٦] أي: فيما يلتمس منهن [٧] ﴿فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ قال ابن عباس: لا تتجنوا عليهن العلل [٨].

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

ـ قوله جل جلاله [٩] ﴿وإن خفتم﴾ أي: علمتم ﴿شقاق بينهما﴾ أي: عداوة وخلاف ما [١٠] بينهما ﴿فابعثوا حكماً من أهله﴾ المأمور ببعث الحكمين السلطان الذي يترافع الزوجان [١١] فيما شجر بينهما إليه. و «الحكم»: بمعنى الحاكم وهو المانع من الظلم.

وقوله ﴿من أهله وحكماً من أهلها﴾ أي: من أقارب هذا وأقارب تلك ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ قال عامة المفسرين [١٢]: إن أراد الحكمان إصلاحاً يوفق الله بين الزوج والمرأة حتى يصطلحا.

---

(١) في (د) مجاهد والشعبي.

(٢) انظر تفسير مجاهد ١٥٦ والطبري ٣٠٤/٨ عن مجاهد والشعبي وإبراهيم، وابن كثير ٤٩٢/١ عن مجاهد والشعبي وقتادة وغيرهم، وأحكام القرآن ٤١٨ عن الشعبي وقتادة والحسن وإبراهيم وغيرهم.

(٣) «البرح: الشر والعذاب الشديد وضربه ضرباً مبرحاً: شديداً، وضرباً غير مبرح: أي غير شاق» (اللسان/برح).

(٤) انظر تفسير الطبري ٣١٤/٨ عن ابن عباس.
لكزه يلكزه لكزاً: وهو الضرب بالجمع في جميع الجسد، أي ضربه بجُمْع كَفِّه. (اللسان/ لكز، والمصباح/ لكز).

(٥) في (أ) بما أذن الله فيه، وفي (جـ، هـ) بما أذن الله له. (٦) في (أ) قال. (٧) ساقطة من (أ).

(٨) انظر تفسير الطبري ٣١٧/٨، والدر ١٥٥/٢ كلاهما عن ابن عباس وغريب القرآن ١٢٦ ومجاز القرآن ١٢٥/١، والفراء ٢٦٥/١، والوجيز للواحدي ١٥٠/١.

(٩) في (جـ، د) قوله، وفي (هـ) وقوله.

(١٠) في (جـ) عداوة وخلافاً. وفي (د) قوله فابعثوا. (١١) في (د) الزوجات.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد ١٥٦، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٢٦/١ عن ابن عباس ومجاهد والزجاج ٥٠/٢ والطبري ٣٢٠/٨ ـ ٣٢١ عن علي ٣٣٢/٨ عن مجاهد وسعيد بن جبير وابن عباس والسدي وغيرهم، والدر ١٥٦/٢ ـ ١٥٧ عن ابن عباس والحسن وقتادة وعلي ومجاهد

﴿إن الله كان عليماً﴾ بما في قلب الزوجين من المودة ﴿خبيراً﴾ بما يكون منهما.

ـ قوله عز [١] وجـل ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المهرجاني [٢]، أخبرنا عبيد الله بن محمد الزاهد [٣]، أخبرنا أبو القاسم البغوي [٤]، أخبرنا عبيد الله بن محمد العبسي [٥] حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي المليح [٦]، عن روح بن عائذ[٧]، عن أبي العوام[٨] عن معاذ بن جبل قال:

كنت رديفاً للنبي ﷺ على جمل أحمر فقال: «يا معاذ، قلت: لبيك[٩]، قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً [١٠]، هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حقهم على الله إذا هم فعلوا ذلك أن يغفر لهم وأن يدخلهم الجنة»[١١].

أخبرنا المفضل بن إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي، أخبرنا جدي الإمام أبو بكر الإسماعيلي، حدثنا عبد الله بن الصقر السكري[١٢]، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا عبد الله بن خراش[١٣]، حـدثنا العـوام بن حوشب[١٤]، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن ابن مسعود قال:

أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: يا نبي الله أوصني، قال «لا تشرك بالله شيئاً، وإن قطعت أو حرقت، ولا تدع الصلاة لوقتها، فإنها ذمة الله تعالى[١٥]، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر[١٦]»[١٧].

---

(١) في (جـ) قوله وفي (د، هـ) قوله تعالى. (٢، ٣، ٤) سبق.

(٥) عبيد الله بن محمد أبو محمد العبسي الحافظ الثبت الكوفي المقرىء قال ابن معين وأبو حاتم: ثقة زاد حاتم: صدوق توفي سنة ٢١٣ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٦) أبو المليح: عامر بن أسامة. (٩) في (جـ، هـ) فقلت.

(٧، ٨) لم أقف عليهما. (١٠) في (د) قال.

(١١) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الجهاد ـ باب اسم الفرس والحمار (٢/١٤٦) ومسلم ـ كتاب الايمان ـ باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/٣٣، ٣٤) والترمذي ـ كتاب الايمان ـ باب افتراق هذه الأمة ـ رقم ٢٧٨١ «حسن صحيح» (٤/١٣٥ ـ ١٣٦) ومسند أحمد ٥/٢٣٤، كلهم عن حديث معاذ بألفاظ متقاربة.

(١٢) عبد الله بن الصقر بن نصر بن موسى بن هلال بن عيسى بن عبد الله بن راشد أبو العباس السكري كان ثقة وقال الدارقطني: صدوق توفي سنة ٣٠٢ هـ. (تاريخ بغداد ٩/٤٨٢ ـ ٤٨٣).

(١٣) عبد الله بن خراش بن حوشب عن عمه العوام بن حوشب ضعفه الدارقطني وغيره وقال النسائي: ليس بالقوي وقال أبو زرعة ليس بشيء وقال أبو حاتم ذاهب الحديث وهو أخو شهاب قال البخاري: منكر الحديث ذكره البخاري فيمن مات بين الستين والسبعين ومائة (الميزان ٢/٤١٣، وتهذيب التهذيب ٥/١٩٨).

(١٤) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة وقال ابن معين وأبو زرعة ثقة توفي سنة ١٤٨ هـ.

(١٥) في (جـ، هـ) الله عز وجل. (١٦) في (هـ) شيء.

(١٧) الحديث: رواه ابن ماجة في السنن ـ كتاب الفتن ـ باب الصبر على البلاء رقم ٤٠٣٤ عن أبي الدرداء (٢/١٣٣٩).

ومجمع الزوائد ـ كتاب الوصايا ـ باب وصية رسول الله رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات «عن أبي الدرداء» (٤/٢١٦، ٢١٧)، والفتح الرباني ١٩/٢٩٨ عن معاذ والترغيب والترهيب ١/١٩٥ عن أبي الدرداء، ١/١٩٦ عن معاذ وعن أميمة مولاة رسول الله ﷺ، كلها بألفاظ متقاربة.

قوله[1] ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ قال ابن عباس[2]: براً بهما مع اللطف ولين الجانب ولا يغلظ لهما في الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللاً لهما.

﴿وبذي القربى﴾ قال[3]: يصله ويتعطف عليه ﴿واليتامى﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رأسهم[4] ﴿والمساكين﴾ يبذل يسير[5]، أو ردّ جميل ﴿والجار ذي القربى﴾ يعني: الذي بينك وبينه قرابة، فله حق القرابة وحق الجوار وحق الإسلام ﴿والجار الجنب﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، يقال: رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً عن أهله، وقوم[6] أجناب، والجنابة: البعد.

أخبرنا أبو طاهر الزيادي أخبرنا أحمد بن يعقوب الثقفي[7]، أخبرنا الحسن المثنى، حدثنا عفان بن مسلم حدثنا محمد بن طلحة[8]، عن زبيد[9] عن مجاهد، عن عائشة:

أن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[10].

أخبرنا أبوعبد الله بن أبي إسحاق[11]، حدثنا محمد بن الحسن السراج، حدثنا يوسف بن يعقوب القاضي[12]، حدثنا سليمان بن حرب[13]، حدثنا شعبة، حدثنا أبو عمران الجوني، قال: سمعت طلحة[14]، يقول[15]: إن عائشة

---

(١) في (د) وقوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والطبري ٨/٣٣٤ والرازي ١٠/٩٥ وغرائب النيسابوري ١/٣٢٤ والخازن ١/٥٢٢.

(٣) في (د) أي ومن (أ).

(٤) انظر غرائب النيسابوري ١/٣٢٥ عن ابن عباس.

(٥) في (د) بشير.

(٦) في (جـ) وقومه، (وانظر المصباح المنير/ جنب، ومفردات الراغب/ جنب واللسان / جنب).

(٧) أحمد بن يعقوب بن أحمد بن مهران الثقفي النيسابوري الزاهد، أبو سعيد العابد الثقة توفي سنة ٣٤٠ هـ. (تاريخ الإسلام جزء من ستة ٣٢٨ - ٣٤٥ ص ٢٠٦).

(٨) محمد بن طلحة بن مصرف اليامي الكوفي قال النسائي ليس بالقوي وقال العجلي ثقة وقال العقيلي عن أحمد ثقة قال ابن معين: ضعيف صدوق وله أوهام توفي سنة ١٧٦ وقيل سنة ١٦٦ هـ (تقريب التهذيب ٢/١٧٣ وتهذيب التهذيب ٩/٢٣٨ - ٢٣٩، وشذرات الذهب ١/١٦٤).

(٩) زبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليامي الكوفي من بني يام بن رافع بن مالك بن همذان يكنى أبا عبد الرحمن - ويقال أبو عبد الله - سمع أبا وائل والشعبي وإبراهيم ومجاهداً وعنه محمد بن طلحة وغيره قال يحيى القطان: زبيد ثبت وقال أبو حاتم وغيره ثقة توفي سنة ١٢٤هـ (سير الأعلام ٥/٢٩٦ - ٢٩٨ والجمع ١/١٥٥).

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب الأدب - باب الوصاة بالجار (٤/٥٣) ومسلم - كتاب البر والصلة - باب الوصية بالجار والإحسان إليه ٢/٤٤٥ والترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في حق الجوار رقم (٢٠٠٨) ٣/٢٢٤ كلهم من حديث عائشة.

(١١) في (هـ) أبو عبد الله بن إسحاق.

(١٢) يوسف بن يعقوب القاضي أبو محمد الأزدي ولي قضاء البصرة وواسط ثم الجانب الشرقي ولد سنة ٢٠٨هـ وسمع مسلم بن إبراهيم وسليمان بن حرب وطبقتهما وصنف السنن وكان حافظاً ديناً عفيفاً مهيباً قال ابن ناصر الدين ثقة توفي سنة ٢٩٧ هـ. (شذرات الذهب ٢/٢٢٧).

(١٣) سليمان بن حرب الحافظ أبو أيوب الواشحي الأزدي البصري قاضي مكة سمع شعبة والحمادين وطبقتهم وعنه أحمد وإسحاق وأبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والبخاري توفي سنة ٢٢٤ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٩٣).

(١٤) طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي سمع عائشة وعنه أبو عمران الجوني روى له البخاري في «الشفعة» وحديث «إن لي جارين» (الجمع ١/٢٣٢ - ٢٣٣).

(١٥) من (د).

قالت: يا رسول الله إن لي جارين فبأيهما أبدأ؟ فقال: بأقربهما منكم باباً». رواه البخاري عن حجاج بن منهال[١]، عن شعبة[٢].

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن معقل، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذين جاره».

رواه مسلم عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس عن الزهري [٣].

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، حدثنا عبد الله بن بيان الحريري [٤] حدثنا علي بن حسنويه القطان [٥]، حدثنا محمد بن عبد الله المنادي[٦]، حدثنا أبو هدبة[٧]، عن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول[٨]: يا رب أوسعت على أخي وقترت عليّ، أمسى طاوياً بطني، ويمسي هذا شبعان، سله لم أغلق بابه عني وحرمني ما قد أوسعت عليه، فالجار متعلق بالجار يوم القيامة»[٩].

وقوله[١٠] ﴿والصاحب بالجنب﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والضحاك[١١]هو الرفيق في السفر، له حق الجوار وحق الصحبة.

﴿وابن السبيل﴾ هو الضيف يجب قِراه[١٢]إلى أن يبلغ حيث يريد، قال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك[١٣].

---

(١) حجاج بن منهال السلمي مولاهم الأنماطي البصري أبو محمد سمع شعبة وجرير بن حازم وابن عيينة وعنه البخاري توفي سنة ٢١٧ هـ. (كتاب الجمع ١/ ٩٩).

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأدب ـ باب حق الجوار في قرب الأبواب، عن عائشة (٤/ ٥٤).

(٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب الحث على إكرام الجار والضيف من حديث أبي هريرة (١/ ٣٨ ـ ٣٩).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) علي بن حسنويه أبو الحسن القطان حدث عن محمد بن زياد الزيادي وإسحاق الشهيدي ويحيى بن حكيم وغيرهم وكان ثقة توفي سنة ٣٠٠ هـ. (تاريخ بغداد ١١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢).

(٦) في (جـ) محمد بن محمد بن عبد الله. . .، وهو: محمد بن عبد الله بن يزيد بن أبي داود المنادي أبو جعفر البغدادي قال أبو حاتم صدوق وقال عبد الله بن أحمد ومحمد بن عبدوس بن كامل: ثقة توفي سنة ٢٧٢ هـ (تهذيب التهذيب ٩/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

(٧) أبو هدبة: إبراهيم بن هدبة الفارسي ثم البصري حدث ببغداد وغيرها بالأباطيل قال عباس عن ابن معين: قدم أبو هدبة فاجتمع عليه الخلق فقالوا: أخرج رجلك، كانوا يخافون أن تكون رجله رجل حمار أو شيطان وقيل: كان رقاصاً بالبصرة يدعى إلى العرائس فيرقص لهم قال النسائي وغيره: متروك توفي بعد المائتين (الميزان ١/ ٧١ ـ ٧٢).

«وقد كذبه ابن معين وعلي وقال أبو حاتم بن حبان هو دجال لا يحل لمسلم أن يكتب حديثه» (الموضوعات لابن الجوزي ٣/ ٢٣٥).

(٨) في (جـ، د) فيقول.

(٩) انظر كنز العمال ٩/ ٥٧ عن أنس، وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة بشير بن زياد الخراساني «قال ابن عدي له ما ينكر» ثم ذكر الحديث (الميزان ١/ ٣٢٨).

(١٠) في (د) قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والسدي، ومجاز القرآن ١/ ١٢٦ والزاهر ٢/ ٣٠٤. وابن كثير ١/ ٤٩٥ عن مجاهد وابن عباس وعكرمة وقتادة، والدر ٢/ ١٥٩ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير.

(١٢) في (هـ) قراوه، «وقرى الضيف: أضافه، وأحسن إليه» (اللسان/ قرا). وانظر غريب القرآن ١٢٧، والزاهر ٢/ ٣٠٤.

(١٣) في (هـ) يرتحل عنك، وانظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٥ عن ابن عباس، والطبري ٨/ ٣٤٦ عن مجاهد والربيع.

﴿وما ملكت أيمانكم﴾ يريد: المملوك، تحسن رزقه، وتعفو عنه فيما يخطىء. وقوله ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾ قال ابن عباس: يريد بـ«المختال»: العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله، و«الفخور»: الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمته[1].

أخبرنا أحمد بن الحسن الحرشي، أخبرنا حاجب بن أحمد، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا عوف، عن خلاس بن عمرو[2]، عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال «بينما رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالاً فخوراً، إذ ابتلعته الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم تقوم الساعة[3]»[4].

أخبرنا أبو طاهر الزيادي، حدثنا أبو حامد البلالي، حدثنا عبد الرحمن بن بشر [5]، حدثنا بشر بن السري [6]، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان [7]، عن سالم [8] قال: سمعت [9] ابن عمر يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول «من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[10].

أخبرنا المفضل بن إسماعيل الإسماعيلي، أخبرني جدي الإمام أبو بكر الإسماعيلي، أخبرني إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي[11]، حدثنا هشام بن عمار عن سعيد بن يحيى اللخمي[12]، حدثنا عبد الله بن أبي

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٠ بنحوه، والطبري ٨/ ٣٥٠ وغرائب النيسابوري ٥/ ٤٧ عن ابن عباس.

(٢) خلاس بن عمرو الهجري البصري سمع أبا هريرة وأبا رافع روى عنه عوف الأعرابي وقتادة، قال أحمد ثقة ثقة وقال أبو داود ثقة لم يسمع من علي وقال ابن معين ثقة مات قبل المائة (الجمع ١/ ١٢٨، والميزان ١/ ٦٥٨).

(٣) في (د، هـ) القيامة.

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب اللباس ـ باب من جرّ ثوبه من الخيلاء (٤/ ٢٤) ومسلم ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (٢/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩). ومسند أحمد ٢/ ٢٦٧ كلهم من حديث أبي هريرة بروايات متقاربة.

(٥) عبد الرحمن بن بشير بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي أبو محمد النيسابوري قال ابن أبي حاتم: صدوق توفي سنة ٢٦٠ (تهذيب التهذيب ٦/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(٦) بشر بن السري الأفوه العصري سكن مكة وكان صاحب مواعظ يتكلم بها، فسمي الأفوه يكنى أبا عمرو سمع حماد بن سلمة وسفيان الثوري وطائفة وعنه علي بن المديني وغيره روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٩٥ (كتاب الجمع ١/ ٥٢).

(٧) حنظلة بن أبي سفيان الجمحي القرشي من أهل مكة ـ واسم أبي سفيان ـ الأسود ـ سمع سالماً وعكرمة بن خالد والقاسم ورافعاً، وعنه إسحاق بن سليمان الرازي وأبو عاصم ومكي بن إبراهيم وعبد الله بن نمير ووكيع توفي سنة ١٥١ هـ. (كتاب الجمع ١/ ١١٠).

(٨) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمر العدوي سمع أباه وأبا هريرة وغيرهما وعنه حنظلة بن أبي سفيان وطائفة قال العجلي وابن سعد: ثقة توفي سنة ١٠٦ هـ. (كتاب الجمع ١/ ١٨٨ وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٣٦ ـ ٤٣٨).

(٩) في (جـ، هـ) عن سالم سمعت ابن عمر، وفي (د) عن سالم قال ابن عمر.

(١٠) الحديث: رواه البخاري ـ كتاب بدء الخلق ـ باب مناقب المهاجرين ٢/ ٢٩٠ وفي كتاب اللباس ـ باب من جر إزاره من غير خيلاء، وباب من جر ثوبه من الخيلاء ٤/ ٢٣ ـ ٢٤.
ومسلم في الصحيح ـ كتاب اللباس والزينة ـ باب تحريم جر الثوب خيلاء ٢/ ٢٣٧. والترمذي ـ كتاب اللباس ـ باب ما جاء في كراهية جر الإزار ـ رقم ١٧٨٤ وفي باب ما جاء في جر ذيول النساء ـ رقم ١٧٨٥ (٣/ ١٣٧) وأبو داود ـ كتاب اللباس ـ باب في قدر موضع الإزار ـ رقم ٤٠٩٤ (٤/ ٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة ٨/ ١٩٩ كلهم من حديث ابن عمر بروايات متقاربة.

(١١) في (أ، هـ) إسحاق بن إبراهيم وهو: إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان أبو يعقوب الأنماطي سمع من هشام وغيره وثقه الدارقطني توفي سنة ٣٠٢ هـ. (تاريخ بغداد ٦/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(١٢) سعيد بن يحيى اللخمي سعدان أبو يحيى الكوفي نزيل دمشق عن الأعمش وابن أبي خالد وعنه هشام بن عمار وعلي بن حجر وعدة=

حميد[١]، عن أبي المليح، عن عباد بن حصين[٢]، قال:

إنطلقنا حاجين فمررنا على أبي ذر، فقلنا: حدثنا عن النبي ﷺ قال:

ثلاثة لا خلاق لهم: المختال الفخور، ثم قرأ ﴿**إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً**﴾، والمنان الذي لا يفعل خيراً إلا منّ به، ثم قرأ ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾[٣]، والذي يشتري بيمينه ثمناً قليلاً، ثم قرأ ﴿**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة**﴾ [٤].

ـ قوله عز وجل[٥] ﴿**الذين يبخلون**﴾ نزلت في اليهود، قال قتادة[٦]: هم أعداء الله أهل الكتاب، بخلوا بحق الله عليهم، وكتموا الإسلام ومحمداً، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة. قال الكلبي[٧]: هم اليهود بخلوا أن يصدقوا من أتاهم صفة محمد ﷺ ونعته، وأمروا قومهم بالبخل وهو كتمان أمره، وذلك قوله ﴿**ويأمرون الناس بالبخل**﴾.

وقرىء «بالبَخَل» وهما لغتان[٨]، مثل: الثكلى والثكل[٩].

قال[١٠]: يأمرون سفلتهم بكتمان نعت محمد ﷺ ﴿**ويكتمون ما ءاتاهم الله من فضله**﴾ قال ابن عباس[١١]: يريد العلم بما في التوراة مما عظم الله به أمر محمد ﷺ وأمته.

ثم أوعدهم بالنار فقال ﴿**وأعتدنا للكافرين**[١٢] **عذاباً مهيناً**﴾ وهو النار يذلهم الله فيها ويخزيهم.

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ

= وثقه ابن حبان فقال: ثقة مأمون وقال أبو حاتم: محله الصدق وقال الدارقطني: ليس بذاك (الميزان ٢/١٦٢ ـ ١٦٣).

(١) في (أ، جـ، د) عبيد، وهو: عبد الله بن أبي حميد أبو الخطاب عن أبي المليح الهذلي ضعفه محمد بن المثنى وقال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال أحمد: ترك حديثه. (الميزان ٣/٥).

(٢) في (د) عباد بن الحسن وهو: عباد بن حصين بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي أبو جهضم فارس تميم في عصره توفي سنة ٨٥ هـ. (الأعلام ٤/٢٨).

(٣) سورة البقرة/٢٦٤.

(٤) سورة آل عمران/ ٧٧.

الحديث: انظر المستدرك ـ كتاب الجهاد ـ بنحوه عن أبي ذر ٢/٨٨ ـ ٨٩. والفتح الرباني ١٩/ ١٨٨ ـ ١٨٩ بنحوه عن أبي ذر.

(٥) في (جـ، هـ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٣٥٢ والدر ٢/١٦٢ كلاهما عن قتادة والزجاج ٢/٥٣.

(٧) انظر تفسير الرازي ١٠/٩٨، وغرائب النيسابوري ٥/٤٨، وفتح القدير ١/٤٦٧ والبغوي ١/٤٥٨ كلها عن ابن عباس والخازن ١/٤٥٨ عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج، وابن كثير ١/٤٩٦ عن ابن عباس والخازن ١/٤٥٨ عن ابن عباس ومجاهد والدر ٢/١٦٢ عن سعيد بن جبير والبحر ٣/٣٤٦ عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد.

(٨) قرأ حمزة والكسائي ـ بفتح الباء والخاء ـ وقرأ الباقون ـ بضم الباء وسكون الخاء ـ وهما لغتان. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٣ والسبعة ٢٣٣ والنشر ٢/٢٤٩ والزجاج ٢/٥٣، والتبيان ١/٣٥٦ والحجة لابن خالويه ١٢٣).

(٩) «الثُكل: الموت والهلاك، والثَكلى: فقدان الحبيب، والثُكلى: فقدان الولد» (اللسان/ ثكلى).

(١٠) في (جـ، د) أي.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد ١٥٨.

(١٢) في (د) واعتدنا لهم.

قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

ـ قوله جـل جلاله[1] ﴿**والذين** [2] **ينفقون أموالهم رئاء الناس**﴾ نزلت في المنافقين [3] كانوا ينفقون أموالهم رياء [4] لا لوجه الله ﴿**ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً**﴾ [5]، قال الكلبي [6]: هذا في الآخرة، يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار، يقرن مع كل كافر.

يقول الله: ﴿**ومن يكن الشيطان له قريناً**﴾ [صاحباً ﴿**فساء قريناً**﴾ يقول: بئس الصاحب الشيطان] [7].

ـ قوله [8] ﴿**وماذا عليهم لو ءامنوا بالله...**﴾ الآية، هذا احتجاج على هؤلاء المنافقين الذين ذكرهم الله بأنهم لا يؤمنون بالله وذلك أن الإنسان يحاسب نفسه فيما عليه وله،فإذا ظهر لها عليه في فعل شيء من استحقاق العقاب[9] تركه، وإذا ظهر ما يستحق من الثواب في عمل شيء عمله،ولزم ذلك الشيء، يقول الله: ليتفكروا ولينظروا ماذا عليهم في الإيمان لو آمنوا[10].

وهذا حث من الله تعالى لهم على الإيمان والنظر في شأن محمد ﷺ وصدقه والإنفاق في سبيل الله وهو قوله ﴿**وأنفقوا مما رزقهم الله**﴾ قال ابن عباس: تصدقوا مما[11] تفضل الله به عليهم ﴿**وكان الله بهم عليماً**﴾ **يعلم ما ينفقون**[12] رياء.

ـ قوله جـل جلاله[13] ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة**﴾ قال عطاء عن ابن عباس [14]: لا ينقص مثقال ذرة [15] من عمل منافق إلا جازاه ﴿**وإن تك**[16] **حسنة**﴾ أي: وإن تكن الذرة حسنة.

ومن قرأ بالرفع[17] كان المعنى: وإن تحدث حسنة، أو إن تقع حسنة.

---

(١) في (جـ، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.
(٢) في (أ) الذين.
(٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والزجاج ٢/٥٣ والطبري ٨/٣٥٦ عن مجاهد، والبحر ٣/٢٤٧ عن السدي والزجاج وغيرهما.
(٤) في (جـ) أموالهم لا لوجه الله.
(٥) في (د) صاحبا فساء قرينا يقول: بئس الصاحب الشيطان.
(٦) انظر غرائب النيسابوري ٥/٤٨ والبحر ٣/٢٤٨ عن الزمخشري وغيره والخازن ١/٥٢٦.
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).
(٨) في (جـ، هـ) قوله تعالى.
(٩) في (جـ، هـ) العذاب.
(١٠) في (د) آمنوا بالله.
(١١) في (أ) بما تفضل.
(١٢) في (د، هـ) ينفقونه.
(١٣) في غير (أ) قوله.
(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ بنحوه، وابن كثير ١/٤٩٧ عن عطاء بن دينار عن سعيد بـن جبير، والزاهر ١/٦١٣.
(١٥) في (هـ) لا ينقص من عمل.
(١٦) في (هـ) وإن ترك حسنه.
(١٧) قرأ نافع وابن كثير (حسنة) بالرفع ـ على معنى وإن تحدث أو تقع،والباقون ـ بالنصب ـ على الخبر (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٣، والسبعة ٢٣٣ والنشر ٢/٢٤٩ والزجاج ٢/٥٤ ـ ٥٥، والتبيان ١/٣٥٨، والفراء ١/٢٦٩، والحجة لابن خالويه ١٢٣).

قال ابن عباس [١]: ﴿وإن تك [٢] حسنة﴾ يريد: من مؤمن ﴿يضاعفها﴾ بعشرة أضعافها، وقال السدي [٣]: هذا عن الحساب والقصاص، فمن بقي له من الحساب [٤] مثقال ذرة يضاعفها [٥] الله إلى سبعمائة ضعف، وإلى الأجر العظيم وهو قوله ﴿ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ يعني: تفضل عليه بأكثر من العشرة الأضعاف وقال الكلبي: «الأجر العظيم»: الجنة [٦].

ـ قوله جل جلاله [٧] ﴿فكيف إذا جئنا. . .﴾ الآية، قال الزجاج [٨] أي: فكيف [٩] يكون حال هؤلاء القوم الذين ذكرهم الله من المنافقين والمشركين يوم القيامة وهو قوله ﴿إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ﴾؟ قال المفسرون: يؤتى [١٠] بنبي كل أمة يشهد عليها ولها [١١].

﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﷺ ﴿على هؤلاء﴾ المنافقين والمشركين ﴿شهيداً﴾ [١٢] تشهد عليهم بما فعلوا.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق [١٣] عن أبي الضحى قال: قال عبد الله بن مسعود:

قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ، قال: قلت: كيف أقرأ عليك، وعليك أنزل؟ قال [١٤] إني أحب أن أسمعه من غيري، قال: فافتتحت سورة النساء فقرأت [١٥] حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: فغمرني بيده وقال: حسبك، فنظرت إليه وعيناه تدمعان» [١٦].

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن بطة، [١٧] أخبرنا عبد الله بن

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠، والوجيز للواحدي ١/١٥١.
(٢) في (هـ) وإنه تكن.
(٣) انظر تفسير الطبري ٨/٣٦٢ ـ ٣٦٣ عن ابن مسعود والخازن ٥٢٧١.
(٤) في (جـ، هـ) من الحسنات.
(٥) في (جـ) ضاعفها وفي (د) ضاعفها الله له.
(٦) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والطبري ٨/٣٦٨ عن ابن مسعود وابن زيد وسعيد بن جبير، وابن كثير ١/٤٩٨ عن أبي هريرة والحسن وقتادة والضحاك والدر ٢/١٦٣ عن أبي هريرة وابن مسعود.
(٧) في (جـ، هـ) قوله، وفي (د) وقوله.
(٨) انظر الزجاج ٢/٥٥.
(٩) في (د) كيف.
(١٠) في (د) يؤتا.
(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ والزجاج ٢/٥٥، وابن كثير ١/٤٩٨ والدر ٢/١٦٣ ـ ١٦٤ عن ابن جريج.
(١٢) في (جـ، د) أي شهد.
(١٣) سعيد بن مسروق بن عدي والد سفيان الثوري ـ من ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة ـ التيمي الكوفي سمع عبدالرحمن بن أبي نعيم وأبا الضحى والشعبي وغيرهم وعنه ابنه سفيان وشعبة وأبو الأحوص وأبو عوان وخلق وتوفي سنة ١٢٨ هـ (كتاب الجمع ١/١٦٩).
(١٤) في (د) فقال.
(١٥) في (جـ) النساء حتى بلغت، وفي (د) فافتتحت فقرأت سورة النساء حتى بلغت وفي (هـ) حتى إذا بلغت.
(١٦) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى (فكيف إذا جئنا. . .) (٣/١١٩) ومسلم ـ كتاب الصلاة ـ باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر (١/٣٢٠). وأبو داود ـ كتاب العلم ـ باب في القصص رقم ٣٦٦٨ (٣/٣٢٤). كلهم من حديث ابن مسعود.
(١٧) في (د) ابن نصر.

عبد العزيز، حدثنا أبو الكامل الفضيل بن الحسين الجحدري [(١)]، حدثنا فضيل بن سليمان [(٢)]، حدثني يونس بن محمد بن فضالة[(٣)]، عن أبيه[(٤)] ـ وكان أبوه ممن صحب النبي ﷺ [هو وجده[(٥)] أن رسول الله ﷺ][(٦)] أتاهم في بني ظفر، فجلس على الصخرة التي في مسجد بني ظفر، ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر رسول الله ﷺ قارئاً فقرأ حتى[(٧)] انتهى إلى هذه الآية ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ بكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياة وجنباه، وقال يا رب هذا شهدت على من أنا[(٨)] بين ظهريه فكيف بمن[(٩)] لم أره»؟[(١٠)].

ـ قوله عز وجل[(١١)] ﴿**يومئذ**﴾ يعنى يوم إذ ذاك، يعني يوم القيامة، وهو إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ ﴿**يود الذين كفروا**[(١٢)]﴾ يتمنون ﴿**وعصوا**[(١٣)] **الرسول**﴾ في الدنيا. و«الواو» ها هنا: للحال التي كانوا عليها من معصية الرسول في الدنيا.

﴿**لو تسوي بهم الأرض**﴾ قال قتادة[(١٤)]: ودوا لو تخرقت بهم الأرض فساخوا فيها. وقال الزجاج[(١٥)]: يودون أنهم كانوا والأرض سواء. وقال ابن الأنباري[(١٦)]: ودوا[(١٧)] أنهم يستوون مع تراب الأرض ويدخلون في جملتها.

---

(١) في (د) الحجازي، وهو: الفضيل بن الحسين أبو كامل الجحدري البصري سمع حماد بن زيد وأبا عوانة وعبد الواحد بن زياد وعنه مسلم توفي سنة ٢٣٧ هـ. (الجمع ٢/٤١٤، ٤١٥ وتهذيب التهذيب ٨/٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٢) فضيل بن سليمان سمع موسى بن عقبة وعمرو بن أبي عمرو ومسلم بن أبي مريم وأبا حازم بن سلمة وعنه محمد بن أبي بكر وأحمد بن المقدام وابن المديني وغيرهم وحديثه في الكتب الستة وهو صدوق، قال أبو حاتم: ليس بالقوي وقال ابن معين: ليس بثقة (كتاب الجمع ٢/٤١٤ والميزان ٣/٣٦١).

(٣) يونس بن محمد بن فضالة الأنصاري ثم الظفري أبو محمد من الأنصار ثم من الأوس بعد في أهل المدينة (أسد الغابة ٥/٥٣٠، والطبراني في الكبير ٣/٢٤٤).

(٤) محمد بن فضالة الأنصاري الظفري صحابي جليل، ويقال: محمد بن أنس بن فضالة ولأبيه صحبة ولجده أيضاً، روى فضيل بن سليمان عن يونس بن محمد بن فضالة: «أن رسول الله ﷺ أتاهم..» الحديث (أسد الغابة ٥/٨٠ ـ ٨١ والطبراني في الكبير ١٩/٢٤٣).

(٥) فضالة الأنصاري ثم الظفري صحابي جليل (أسد لغابة ٤/٣٦٢).

(٦) في (هـ) ممن صحب رسول الله ﷺ أتاهم في بني ظفر.

(٧) في (د) حتى إذا.

(٨) في (هـ) إنما بين.

(٩) في (د) من لم أره.

(١٠) الحديث: رواه الطبري في الكبير (١٩/٢٤٣ ـ ٢٤٤)، ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ «رواه الطبراني ورجاله ثقات» (٧/٤). وابن كثير ١/٤٩٨ ـ كلهم من حديث محمد بن فضالة. وانظر الدر ٢/١٦٣ «أخرجه ابن أبي حاتم، والبغوي في معجمه، والطبراني بسند حسن عن محمد بن فضالة الأنصاري وكان من صحب النبي ﷺ».

(١١) في غير (أ) قوله.

(١٢) في (جـ) يومئذ يود..

(١٣) في (د) وعصوا وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يوم يود الذين كفروا يتمنون وعصوا الرسول أي في الدنيا.

(١٤) انظر الدر ٢/١٦٤ وفتح القدير ١/٤٦٨ كلاهما عن قتادة، والبغوي ١/٥٢٩ عن قتادة وأبي عبيدة.

(١٥) انظر الزجاج ٢/٥٦.

(١٦) انظر غريب القرآن ١٢٧ ومجاز القرآن ١/١٢٨ والطبري ٨/٣٧٢ والبحر ٣/٢٥٣.

(١٧) في (د) يودون.

وقرأ نافع «تسوى»[١] من التسوي، يقال[٢]: سويته فتسوى، والمعنى: تتسوى فأدغم التاء في السين لقربه منها.

وحذف حمزة[٣] التاء، ولم يدغمها فقرأ «تَسوى» ـ مفتوحة[٤] التاء خفيفة السين[٥].

وقوله[٦] ﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾ إستئناف كلام في الإخبار عن الكفار، أنهم[٧] لا يكتمون الله حديثاً في القيامة لأن ما عملوه ظاهر[٨] عند الله لا يقدرون على كتمانه.

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هذا حين يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم فحينئذ لا يكتمون الله حديثاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾

ـ قوله جل جلاله[٩] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قال المفسرون[١٠]: صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً ودعا أناساً من أصحاب محمد[١١] ﷺ فطعموا وشربوا، وحضرت[١٢] صلاة المغرب فتقدم بعض القوم فصلى بهم المغرب فقرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾[١٣] فلم يقمها[١٤]، فأنزل الله تعالى ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ أي: لا تصلوا إذا كنتم سكارى.[١٥]

---

(١) في (أ) لو تسرى، في (د) يتسوى.

(٢) مكررة في (أ).

(٣) في (جـ) همزة وحرف التاى وفي (د) حره.

(٤) في (د) مفتوحاً لها.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (تُسَوى) ـ بضم التاء على ما لم يسم فاعله وحجتهم: أن المعنى يود الذين كفروا أن يجعلهم الله تراباً فيسوي بهم الأرض كما فعل بالبهائم ثم رد إلى ما لم يسم فاعله، وقرأ نافع وابن عامر (تسوى) ـ بتشديد السين والواو ـ والأصل تتسوى ثم أدغمت التاء في السين أي يودون لو صاروا تراباً فكانوا سواءهم والأرض. وقرأ حمزة والكسائي (تسوى) بفتح التاء وتخفيف السين ـ أسند الفعل إلى الأرض (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٣ ـ ٢٠٤ والسبعة ٢٣٤ والنشر ٢/٢٤٩ والتبيان ١/٣٥٩ ـ ٣٦٠ والأخفش ١/٤٤٧ والحجة لابن خالويه ١٢٤ والبيان ١/٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (جـ، هـ) وأنهم.

(٨) في (د) ظاهراً.

(٩) في (جـ، هـ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(١٠) انظر تفسير الثوري ٩٦، والزجاج ٢/٥٦ وكنز العمال ٢/٣٨٦ والدر ٢/١٦٤ ـ ١٦٥ عن علي وعكرمة وابن كثير ١/٥٠٠، والمستدرك ـ كتاب التفسير «وصححه» ٢/٣٠٧ والترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء رقم ٥٠١٦ «حسن غريب صحيح» ٤/٣٠٥ وأسباب النزول للسيوطي ٧٥ ـ ٧٦ وللواحدي ١١٢ ـ ١١٣ والطبري ٨/٣٧٦ عن علي. والرازي ١٠/١٠٧ وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٣٣ عن علي.

(١١) في (د، هـ) رسول الله.

(١٢) في (د) فلم يتمها.

(١٣) المراد سورة الكافرون.

(١٤) في (د) فلم يتمها.

(١٥) في (هـ) (لا تقربوا الصلوة).

﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ قال ابن عباس[1]: يريد ما تقرأون وتثبتوا حدود الصلاة وتكبيرها وخشوعها. فكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر والشراب أوقات الصلاة[2] فإذا صلوا العشاء شربوها[3].

وقوله[4] ﴿ولا جنباً﴾ «الجنب» الذي يجب عليه الغسل لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع يقال: جنب الرجل يجنب جنباً وجنابة، فهو جنب وأجنب مثله[5].

﴿إلا عابري سبيل﴾ «العابر» فاعل من العبور وهو قطع الطريق يقال: عبرت النهر والطريق عبوراً، إذا قطعته من هذا الجانب إلى الجانب الآخر[6].

روى[7] الليث عن يزيد بن أبي حبيب[8]: أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم جنابة ولا ماء عندهم، فيريدون[9] الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال عطاء بن يسار عن ابن عباس[10] في قوله ﴿إلا عابري سبيل﴾ لا تقرب المسجد وأنت جنب إلا أن يكون طريقك فيه فتمر ماراً ولا تجلس[11] وقال سعيد بن جبير[12]: الجنب يمر في المسجد ولا يجلس فيه، وهذا قول سعيد بن المسيب والحسن والضحاك وعكرمة والزهري ومذهب الشافعي ـ وعند هؤلاء: يجوز للجنب المرور بالمسجد إذا كان طريقه إلى الماء.

ومعنى الآية: نهي الجنب عن دخول المسجد حتى يغتسل وهو قوله ﴿حتى تغتسلوا﴾ إلا إذا كان ماراً بالمسجد.

وقوله[13] ﴿وإن كنتم مرضى﴾ جمع مريض، وعُني به: المريض الذي يضره مس الماء كصاحب الجدري[14] والجروح والحروق، ومن يتضرر باستعمال الماء.

---

(١) انظر البحر ٣/٢٥٦ عن ابن عباس والثوري بنحوه، والدر ٢/١٦٥ عن سعيد بن جبير بنحوه.

(٢) في (حـ) الصلوات.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١/٥٠٠ عن قتادة والوجيز للواحدي ١/١٥٢.

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر التبيان ١/٣٦١ وفتح القدير ١/٤٦٨ والمصباح المنير (جنب).

(٦) انظر اللسان/ عبر والمصباح المنير/ عبر.

(٧) في (أ) وروى.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨/٣٨٤ وابن كثير ١/٥٠١ والدر ٢/١٦٦ كلها عن يزيد أبي حبيب.

(٩) في (د) فيردون.

(١٠) في (أ) قال عطاء بن يسار في قوله وفي (جـ) في هـذه الآية وفي (د) قال عطاء عن ابن عباس.

(١١) انظر تفسير مجاهد ١٥٨ والطبري ٨/٣٨٢ وابن كثير ١/٥٠١ كلاهما عن عطاء عن ابن عباس والدر ٢/١٦٦عن عطاء ومجاز القرآن ١/١٢٨.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٨/٣٨٢ عن سعيد بن جبير وابن عباس والحسن وعكرمة والزهري وغيرهم، والدر ٢/١٦٦، وابن كثير ١/٥٠١ كلاهما عن ابن عباس وأبي عبيدة وعطاء وابن مسعود وأنس وجابر، ١/٥٠٢ عن الأئمة الثلاثة مالك وأبي حنيفة والشافعي.

(١٣) في (د) قوله وإن كنتم مرضى جمع مرض.

(١٤) «والجُدَري والجَدَري ـ بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما ـ لغتان: قروح في البدن وتنقط عن الجلد ممتلئة ماء ثم تنتفح» (اللسان/ جدر، والمصباح المنير / جدر).

﴿أو على سفر﴾ المسافر إذا أعوزه الماء تيمم، طال سفره أو قصر لهذه الآية[١]. قوله[٢] ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ يعني الذي أحدث بالتبرز إلى الغائط وهو المطمئن من الأرض[٣]، وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن أعين الناس، ثم قيل للحدث غائط[٤]، إذا كان سبباً له.

وقوله[٥] ﴿أو لامستم النساء﴾ وقرىء «لمستم»[٥].

فمعنى «اللمس» في اللغة: طلب الشيء باليد ها هنا وها هنا، قال لبيد:

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل[٦]

واختلف المفسرون في «اللمس» المذكور ها هنا على قولين:

أحدهما: أن المراد به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وهؤلاء لا يحكمون بانتقاض الطهر باللمس، وهو مذهب الكوفيين[٧].

والقول الثاني: أن المراد باللمس ها هنا: التقاء البشرتين سواء كان بجماع أو غيره، وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي وإبراهيم ومنصور ومذهب الشافعي وهؤلاء يوجبون الطهارة على من أفضى بشيء من بدنه إلى عضو من أعضاء المرأة[٨].

وهذا القول أولى، لأن حقيقة اللمس في اللغة باليد، وحمل الآية على الحقيقة أولى.

وقوله[٩] ﴿فتيمموا صعيداً طيباً﴾ قال ابن عباس: فتعمدوا الأرض وتربتها[١٠]. والمراد بـ «التيمم» ها هنا:

---

(١) قال ابن كثير «والسفر معروف ولا فرق فيه بين الطويل والقصير» (تفسير ابن كثير ٥٠٢/١) وقال أبو حيان «وظاهر قوله تعالى (أو على سفر) مطلق السفر فلو لم يجد الماء في الحضر جاز له التيمم عند مالك وأبي حنيفة ومحمد» (البحر ٢٥٨/٣).

(٢) في (جـ، هـ) وقوله.

(٣) انظر معنى «الغائط» في غريب الحديث ١٥٦/١ وابن كثير ٥٠٢/١ والدر ١٦٦/٢ عن مجاهد وفتح القدير ٤٧٠/١.

(٤) في (جـ) غائطاً، وفي (هـ) إذا كان.

(٥) قرأ حمزة والكسائي (لمستم) ـ بغير ألف ـ جعلا الفعل للرجال دون النساء وحجتهما: أن اللمس ما دون الجماع كالقبلة والغمزة.
وقرأ الباقون ـ بالألف ـ (لامستم) أي: جامعتم والملامسة لا تكون إلا من اثنين وحجتهم ما روي في التفسير بمعنى الجماع.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٤ ـ ٢٠٦ والسبعة ٢٣٤، والنشر ٢٥٠/٢ والتبيان ٣٦١/١ والحجة لابن خالويه ١٢٤).

(٦) انظر البيت في ديوانه ص ١٢٤ والخزانة ٣٦٨/٣، والدر ١٦٧/٢. ومعنى يلمس: يطلب والأحلاس: جمع حلس وهو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير، ومنزله: مكان نزوله، والمصل: المصلي، يعني: أنه لا يعقل من غلبة النعاس فهو يطلب الأحلاس بيديه مائلاً كأنه يهودي يصلي على شق وجهه (والبيت من بحر الرمل).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٠ ومجاهد ١٥٩، وفتح الباري ٢١٩/٨، والدر ١٦٦/٢ عن علي وابن عباس ١٦٧/٢ عن الحسن، ومجاز القرآن ١٢٨/١، وابن كثير ٥٠٢/١ عن ابن عباس ومجاهد وعلي وأبي بن كعب وطاووس والحسن وغيرهم.

(٨) انظر الدر ١٦٦/٢ ـ ١٦٧ عن ابن مسعود وابن عمرو والشافعي ومحمد بن سيرين وعبيدة والشعبي، وغرائب النيسابوري ٥٨/٥ عن ابن عمر وابن مسعود والشعبي وإبراهيم والشافعي، والحجة لأبي زرعة ٢٠٤ عن ابن عمر، والطبراني في الكبير ٢٨٦/٩ عن ابن مسعود، وابن كثير ٥٠٣/١ عن ابن مسعود وابن عمر والشعبي وإبراهيم وزيد بن أسلم والشافعي والمشهور عن أحمد.
ثم عقب ابن كثير بقوله «قال ابن جرير» وأولى القولين ـ في ذلك بالصواب ـ قول من قال: عنى الله بقوله (أو لامستم النساء) الجماع دون غيره من معاني المس ولصحة الخبر عن رسول الله ﷺ «أنه قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ». (انظر رأي ابن جرير في تفسيره ٣٩٦/٨).

(٩) في (د) قوله. (١٠) انظر تفسير ابن عباس ٧١ وفتح الباري ٢١٩/٨ وابن كثير ٥٠٤/١ عن ابن عباس والدر ١٦٧/٢ عن الثوري.

التمسح بالتراب، وذكرنا معناه في اللغة في سورة البقرة[١] وأما «الصعيد» فقال أبو عبيدة والفراء[٢]: الصعيد: التراب. وقال ابن الأعرابي[٣]: الصعيد: الأرض بعينها، وقال الزجاج[٤]: الصعيد: وجه الأرض، وقال الشافعي[٥]: لا يقع اسم صعيد إلا على تراب ذي غبار.

و «الطيب من الأرض»: اسم لما ينبت، بدليل قوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾[٦].

وقوله[٧] ﴿**فامسحوا بوجوهكم وأيديكم**﴾ قال ابن عباس[٨]: تضرب بكفيك[٩] على وجه الأرض، ثم تردهما إلى وجهك، ثم تضرب الثانية بكفيك فتمسح[١٠] واحدة بالأخرى إلى المرفقين.

والتيمم من خصائص هذه الأمة ومما أكرمهم الله تعالى به، وأما ابتداء التيمم، فهو ما أخبرنا أبو منصور بن طاهر التيمي، أخبرنا أبو عبد الله بن يزيد الجوزي، حدثنا علي بن الحسن الصفار[١١]، حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه:

«عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء[١٢]، ـ أو بذات الجيش ـ انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ، على التماسه وأقام الناس معه ـ وليسوا على ماء، وليس معهم ماء ـ فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت[١٣] برسول الله ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، قالت: فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ رأسه على فخذي قد نام فقال: أحبست رسول الله ﷺ والناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتبني أبو بكر، وجعل يطعن بيده في خاصرتي[١٤] فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا.

فقال أسيد بن حضير[١٥] ـ وهو أحد النقباء ـ ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد».

---

(١) انظر ذلك عند تفسير الآية ٢٦٧/ البقرة.

(٢) انظر مجار القرآن ١/١٢٨، ٣٩٣ والزاهر ٢/٨٣ عن أبي عبيدة، والفراء ١/٢٧٠، ١٣٤٢، وغريب القرآن ١٢٧، والدر ٢/١٦٧ عن عمرو بن قيس الملائي.

(٣) انظر فتح القدير ١/٤٧٢ عن ابن الأعرابي وغيره.

(٤) انظر الزجاج ٢/٥٨ وفتح الباري ٨/٢٠٢ والزاهر ١/١٣٥.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٠٤، وفتح القدير ١/٤٧٢ كلاهما عن الشافعي، والطبري ٨/٤٠٨.

(٦) سورة الأعراف/٥٨.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١ بنحوه والزجاج ٢/٥٨ وابن كثير ١/٥٠٤ وشرح معاني الآثار ١/١١٠.

(٩) في (د) بكفيه.

(١٠) في (هـ) وتمسح كل واحدة.

(١١) علي بن الحسن الصفار روى عن وكيع بن الجراح وغيره قال ابن معين وغيره: ثقة قلت: هو المتهم بحديث «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً» (الميزان ٣/١٢١).

(١٢) «والبيداء: الفلاة، والمفازة المستوية يجري فيها الخيل» (اللسان/ بيد).

(١٣) في (أ) قامت.

(١٤) «الخصر: وسط الإنسان وجمعه: خصور والخصران والخاصرتان: ما بين الحرقفة والقصيرى وهو المستدق فوق الوركين» (المصباح المنير/ خصر، واللسان/ خصر).

(١٥) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأوسي أبو يحيى صحابي كان شريفاً في الجاهلية والإسلام مقدماً في قبيلته الأوس من أهل المدينة شهد العقبة الثانية وكان أحد النقباء الاثني عشر توفي سنة ٢٠ هـ (الأعلام ١/٣٣٠).

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، ورواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس[١]، كلاهما عن مالك[٢].

وأخبرنا أبو منصور، أخبرنا القاسم بن غانم بن حمويه، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد، حدثنا مسلم[٣]، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا الثوري، عن خالد الحذاء[٤]، عن أبي قلابة، عن عمرو بن بجدان [٥] عن أبي ذر قال:

قال رسول الله ﷺ: «التيمم طهور المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسسه بشرتك فإنه طهور» [٦].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

- قوله عز وجل[٧] **﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾** قال ابن عباس[٨] يعني اليهود **﴿يشترون الضلالة﴾** قال الزجاج[٩]: يؤثرون[١٠] التكذيب بالنبي[١١]، ﷺ ليأخذوا على ذلك الرشى [١٢]**﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾** أي: تضلوا طريق الهدى.

- **﴿والله أعلم بأعدائكم﴾** أي: أعرف بهم فهو يعلمكم ما هم عليه **﴿وكفى بالله ولياً﴾** أي: كفى الله ولياً لكم. و«الباء»: زائدة للتوكيد.

---

(١) إسماعيل بن أبي أويس - واسمه عبد الله - بن عبد الله بن أويس بن مالك بن عامر أبو عبد الله بن أبي أويس الأصبحي المدني ابن أخت مالك بن أنس سمع مالكاً وأخاه عبد الحميد وعنه البخاري ومسلم توفي سنة ٢٢٦ هـ (كتاب الجمع ١/ ٢٥ - ٢٦).

(٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الحيض - باب التيمم (١/١٥٨). والبخاري في الصحيح - كتاب التيمم - الباب الأول (١/ ٦٩ - ٧٠) وفي كتاب بدء الخلق - باب فضل أبي بكر (٢/ ٢٩١ - ٢٩٢) كلاهما من حديث عائشة

(٣) هو الإمام أبو الحجاج القشيري.

(٤) خالد بن مهران الحذاء البصري المجاشعي مولاهم - ويقال القرشي ويقال مولى بني عامر - من بني مجاشع سمع أبا قلابة عبد الله بن زيد وسيار بن سلامة أبا المنهال وحفصة بنت سيرين وعكرمة والوليد بن مسلم وعنه الثوري وشعبة وهشيم وغيرهم توفي سنة ١٤٢ هـ (كتاب الجمع ١/ ١٢٠ - ١٢١).

(٥) عمرو بن بجدان العامري ذكره ابن حبان في الثقات وقال العجلي: بصري تابعي ثقة وقال ابن القطان لا يعرف وقال الذهبي: عمرو بن بجدان عن أبي ذر مرفوعاً «الصعيد وضوء المسلم...» الحديث، حسنه الترمذي - روى عنه أبو قلابة وقد وثق عمرو مع جهالته (تهذيب التهذيب ٨/ ٧ والميزان ٣/ ٢٤٧).

(٦) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء في التيمم للجنب رقم ١٢٤ «حسن صحيح» (١/ ٨١). والدارقطني - كتاب الطهارة - باب في جواز التيمم لمن لم يجد الماء سنين كثيرة أرقام من ١ - ٦ (١/ ١٨٦ - ١٨٧). وزوائد البزار - كتاب الطهارة - باب التيمم - رقم ٣١٠ (١/ ١٥٧). وعلل الحديث للرازي ١/ ١١ وصححه بسنده المذكور، ومسند أحمد ٥/ ١٨٠، والمستدرك - كتاب الطهارة «هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (١/ ١٧٧). كلهم من حديث أبي ذر بألفاظ متقاربة.

(٧) في غير (أ) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والطبري ٨/ ٤٢٧ - ٤٢٨ عن قتادة وعكرمة وابن عباس والدر ٢/ ١٦٥٨ عن ابن عباس وعكرمة.

(٩) انظر الزجاج ٢/ ٥٩ وغرائب النيسابوري ٥/ ٦٠ عن الزجاج.

(١٠) في (هـ) يورثون.

(١١) في (د) لمحمد ﷺ.

(١٢) في (د) الرشا ويريدون أن تضل.

ومعنى الآية: أن ولاية الله ونصرته إياكم تغنيكم عن غيره من هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته.

قال الزجاج[١]: أعلمهم الله تعالى أن عداوة اليهود وغيرهم من الكفار لا تضرهم شيئاً، إذ ضمن لهم النصرة والولاية في قوله ﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾

- قوله جل جلاله[٢] ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾ أي: قوم أو فريق يحرفون الكلم، وهو جمع الكلمة[٣].

قال الكلبي ومقاتل: هم اليهود يغيرون صفة محمد ﷺ وزمانه ونبوته في كتابهم [٤] ﴿ويقولون سمعنا﴾ قولك ﴿وعصينا﴾ أمرك ﴿واسمع غير مسمع﴾ كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع، ويقولون في أنفسهم لا سمعت [٥].

وقوله ﴿وراعنا [٦]﴾ ذكرنا في سورة البقرة: أن هذا كان سباً بلغتهم [٧]. ومعنى [٨] ﴿ليّاً بألسنتهم﴾ أي: قلباً للكلام بها، وهو أنهم كانوا يحرفون «راعناً» عن طريق [٩] المراعاة إلى السب بالرعونة.

﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ مكان قولهم سمعنا وعصينا ﴿واسمع[١٠] وانظرنا﴾ بدل راعنا ﴿لكان خيراً لهم﴾ عند الله ﴿وأقوم﴾ أي: أعدل وأصوب ﴿ولكن لعنهم الله﴾ أي: أبعدهم الله عن رحمته مجازاة لهم ﴿بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ يعني بـ «القليل» عبد الله بن سلام وأصحابه[١١].

وقال السدي: «القليل» قولهم: الله ربنا والجنة حق، والنار حق، فهذا قليل من إيمانهم[١٢]. قال الزجاج[١٣]: والتقدير على هذا القول: فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً لا يجب أن يسموا مؤمنين.

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٤٦٧ ـ ٤٦٨ عند تفسير قوله تعالى (لن يضروكم إلا أذى) من الآية ١١١ من سورة آل عمران، وانظر أيضاً عند تفسير قوله (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) من الآية ١٢٠.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) في (حـ) الكلم وانظر مجاز القرآن ١/١٢٩.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والرازي ١٠/١١٧٧.

(٥) انظر الزجاج ٢/٦١ وغريب القرآن ١٢٨ والتبيان ١/٣٦٣، والطبري ٨/٤٣٤، وابن كثير ١/٥٠٧ والدر ٢/١٦٨ كلها عن ابن عباس.

(٦) في (د) قوله راعنا ذكرناه في سورة البقرة.

(٧) انظر ذلك عند تفسير الآية ١٠٤ من سورة البقرة.

(٨) في (د) وقوله.

(٩) في (ج، هـ) من طريق.

(١٠) في (د) وعصينا (واسمع).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧١ وابن كثير ١/١٢٣ عن قتادة.

(١٢) انظر البحر ٣/٢٦٤ وفتح القدير ١/٤٧٥ وابن كثير ١/١٢٤ والطبري ٢/٣٣١ ورجحه والرازي ١٠/١٢٠ ورجحه أبو علي الفارسي.

(١٣) انظر الزجاج ٢/٦١ والبيان ١/٢٥٧ وغرائب النيسابوري ٥/٦٣ والطبري ٨/٤٣٩ عن قتادة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

ـ قوله عز وجل[١] ﴿**يا أيها الذين أوتوا الكتاب**﴾ يخاطب اليهود ﴿**ءامنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم**﴾ يعني القرآن ﴿**من قبل أن نطمس وجوهاً**﴾.

«**الطمس**»: المحو، يقال: طمسته تطمس، أي: درس[٢].

قال ابن عباس[٣]: نجعلها كخف البعير، أو كحافر الفرس، على معنى: نمحو ما فيها من عين وفم وأنف وحاجب.

﴿**فنردها على أدبارها**﴾ قال قتادة[٤]: نحول وجوههم قبل ظهورهم.

يقال: لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ قبل أن يأتي أهله وأسلم[٥] وقال: يا رسول الله! ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي[٦].

وقال النخعي: أقبل كعب[٧] من اليمن يحج بيت المقدس، فذهب إليه، فبينا هو فيه سمع رجلاً من المهاجرين

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) انظر اللسان/ طمس، والمصباح المنير/ طمس، ومفردات الراغب/ طمس، ومجاز القرآن ١/ ١٢٩ والبحر ٣/٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٣) انظر البحر ٣/٢٦٧ والبغوي ١/٥٤٢ كلاهما عن ابن عباس وغريب القرآن ١٢٨، والطبري ٨/٤٤٤.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١ بنحوه، والطبري ٨/٤٤٠ ـ ٤٤١ وابن كثير ١/٥٠٧ كلاهما عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي، والفراء ١/٢٧٢ وفتح القدير.

(٥) في (د) فأسلم.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٧١ وغرائب النيسابوري ٥/٦٤.

(٧) كعب الأحبار: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر وأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة توفي سنة ٣٢ هـ عن مائة وأربع سنين. (الأعلام ٦/٨٥).

يقرأ في جوف الليل هذه الآية، فأتى عمر رضي الله عنه فأسلم. ويروى أن عمر قرأ هذه الآية عليه، فقال كعب: يا رب آمنت، يا رب، أسلمت، مخافة أن يصيبه هذا الوعيد[١].

وقوله[٢] ﴿أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت﴾ أي: نمسخهم قردة، كما فعلنا بأوائلهم[٣]. ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ قال ابن عباس: لا راد لحكمه، ولا ناقض لأمره[٤].

ـ قوله عز وجل[٥] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾ الآية: هذه الآية دليل قاطع في مسألتين كبيرتين من الأصول:

إحديهما[٦]: أن من ارتكب الكبائر من المسلمين إذا مات على الإيمان لم يخلده الله في النار، وإنما يخلد المشرك في النار دون المسلم. والثانية: أن الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فيعفو عمن يشاء ويغفر لمن يشاء، لا حجر عليه في شيء من ذلك ولا حكم عليه لأحد، تكذيباً للقدرية حيث قالوا: لا يجوز أن يغفر الكبيرة ويعفو عن المعاصي[٧].

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد[٨] حدثنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي[٩] حدثنا يزيدبن هارون، أخبرنا إسرائيل، عن ثوير[١٠]، عن أبيه[١١] عن علي رضي الله عنه، قال: ما في القرآن آية أرجى عندي من هذه الآية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١٢].

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد التميمي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ حدثنا محمد بن

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/٤٤٦ وابن كثير ١/٥٠٨ والدر ٢/١٦٨ ـ١٦٩ كلها عن إبراهيم.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ٨/٤٤٧ ـ ٤٤٨ عن قتادة والحسن والسدي.

(٤) انظر تفسير الرازي ١٠/١٢٣ عن ابن عباس والخازن ١/٥٤٣ وغرائب النيسابوري ٥/٦٤، والوجيز ١/١٥٣.

(٥) في (د) قوله وفي (هـ) قوله تعالى.

(٦) في (ج، د) إحداهما. وكل صواب.

(٧) انظر في ذلك فتح القدير ١/٤٧٥ ـ ٤٧٦ والوجيز للواحدي ١/١٥٣.

(٨) محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب أبو بكر المفيد ولد سنة ٢٨٤ هـ وكان من الحفاظ وسافر الكثير وحدث عن أبي يعلى الموصلي وأحمد بن عبد الرحمن السقطي وعفان وروى مناكير وعن أشياخ مجهولين توفي سنة ٣٧٨ هـ (المنتظم ٧/١٤٤ ـ ١٤٥).

(٩) أحمد بن عبد الرحمن السقطي أبو العباس روى عن يزيد بن هارون وعنه أبو بكر المفيد قال الذهبي: شيخ لا يعرف إلا من جهة المفيد (تاريخ بغداد ٤/٣٤٤ والميزان ١/١١٦).

(١٠) ثوير بن أبي فاختة ـ سعيد بن علاقة الهاشمي أبو الجهم الكوفي مولى أم هانيء روى عن أبيه وابن عمرو وزيد بن أرقم وابن الزبير ومجاهد وغيرهم وعنه الأعمش وإسرائيل والثوري وغيرهم قال عمرو بن علي: كان يحيى وعبد الرحمن لا يحدثان عنه وكان سفيان يحدث عنه وقال أبو حاتم: ضعيف وقال الدارقطني: متروك. (تهذيب التهذيب ٢/٣٦).

(١١) سعيد بن علاقة أبو فاختة الهاشمي مولى أم هانيء قدم الشام وروى عن علي وأم هانيء وعائشة وابن مسعود وغيرهم وعنه ابنه ثوير وغيره قال العجلي والدارقطني: ثقة وذكرة ابن حبان في الثقات شهد مع علي مشاهده (تهذيب التهذيب ٤/٧٠ ـ ٧١).

(١٢) رواه الترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ عن علي رضي الله عنه (٤/٣١٣). والبحر ٣/٢٦٩، والدر ٢/١٦٩ «رواه الفريابي والترمذي وحسنه» وفتح القدير ١/٤٧٦ كلها عن علي رضي الله عنه.

عبد الله بن رسته[١]، حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حرب بن سريج[٢] حدثنا أيوب السختياني، عن نافع، عن ابن عمر قال:

كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا ﷺ يقول: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

وقال النبي ﷺ «إني ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا ورجونا»[٣].

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي، أخبرنا محمد بن مكي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل[٤]، حدثنا موسى بن إسماعيل[٥]، حدثنا مهدي بن ميمون[٦]، حدثنا واصل الأحدب[٧]، عن المعرور بن سويد[٨]، عن أبي ذر قال:

قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني ـ أو قال بشرني ـ أنه[٩] من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق»[١٠].

---

(١) الحافظ المحدث الصدوق أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن رسته بن الحسن بن عمرو بن زيد الضبي المديني من كبراء أصبهان كتب الكثير وروى عن شيبان بن فروخ وغيره وعنه الطبراني وأبو الشيخ وآخرون توفي سنة ٣٠١ هـ. (سير الأعلام ١٤/١٦٣، وتاريخ الإسلام جزء من سنة ١٠٣ ـ ٣١٣ ص ٤٩).

(٢) حرب بن سريج ـ بالسين المهملة والجيم المعجمة ـ المنقري البصري البزار أبو سفيان روى عن ابن أبي مليكة وأيوب السختياني وثقه ابن معين ولينه غيره، قال ابن عدي في حديثه غرائب أرجو أنه لا بأس به وقال ابن حبان يخطىء كثيراً توفي سنة ١٦٢ هـ. (شذرات ١/٢٥٦، والميزان ١/٤٦٩ ـ ٤٧٠، وعمدة القوي والضعيف ص ٩).

(٣) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب صفة القيامة ـ رقم ٢٥٥٢ «حسن صحيح غريب» ٤/٤٥ ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير حرب بن سريج وهو ثقة» عن ابن عمر (٧/٥). وفي كتاب البعث ـ باب الشفاعة ـ عن ابن عباس «بلفظه» (١٠/٣٧٨) وفي كتاب التوبة ـ باب الاستغفار لأهل الكبائر من المسلمين «رواه البزار وإسناده جيد» (١٠/٢١٠ ـ ٢١١). والميزان في ترجمة حرب بن سريج «بسنده ومتنه» (١/٤٦٩). والدرّ ٢/١٦٩ وابن كثير ١/٥١١ وفتح الباري ١/٤٧٦ والطبري ٨/٤٥٠. والجامع الصغير ١/٤٠ ومسند أحمد ٣/٢١٣. كلهم من حديث ابن عمر.

(٤) هو الإمام البخاري.

(٥) موسى بن إسماعيل أبو سلمة المنقري التبوذكي البصري الحافظ الحجة أحد الأعلام سمع من شعبة وحماد بن سلمة وعنه البخاري وأبو حاتم وابن الضريس قال ابن المديني: من لم يكتب عن أبي سلمة لم يكتب عن رجل وقال أبو حاتم: لا أعلم بالبصرة ممن أدركنا أحسن حديثاً من أبي سلمة توفي سنة ٢٢٣ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣٩٤ ـ ٣٩٥).

(٦) مهدي بن ميمون المعولي الأزدي الحافظ أبو يحيى المعولي مولاهم البصري حدث عن ابن سيرين وأبي رجاء العطاردي والحسن البصري وواصل الأحدب وخلق وعنه أبو سلمة المنقري وغيره وثقه أحمد وشعبة توفي سنة ١٧٢ هـ.

(٧) واصل بن حيان الأحدب الأسدي الكوفي سمع المعرور بن سويد وأبا وائل وإبراهيم النخعي روى عنه شعبة ومهدي بن ميمون والثوري توفي سنة ١٢٠ هـ (الجمع ٢/٥٤٣).

(٨) المعرور بن سويد أبو أمية الأسدي الكوفي سمع أبا ذر وعبد الله بن مسعود ـ روى عنه الأعمش وواصل والمغيرة بن عبد الله اليشكري وروى له البخاري ومسلم (الجمع ٢/٥١٧).

(٩) في جميع النسخ: أن من مات، والمثبت من صحيح البخاري.

(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (١/٢١٥).

ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١/٥٢. والترمذي: ـ كتاب الإيمان ـ باب افتراق هذه الأمة رقم ٢٧٨٢ (٤/١٣٦). ومسند أحمد ٥/١٥٢.. كلهم من حديث أبي ذر.

وقوله [١] ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ أي: اختلق ذنباً غير مغفور. قال الزجاج [٢]: يقال: افترى فلان الكذب، إذا اعتمله واختلقه، وأصله من الفري وهو بمعنى القطع.

- قوله عز وجل [٣] ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي [٤]: نزلت في اليهود، أتوا بأطفالهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هل على هؤلاء من ذنب؟ فقال: لا، فقالوا: والله ما نحن إلا كهيئتهم، ما عملناه[٥] بالنهار كفر عنا بالليل، وما عملناه[٦] بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله تعالى.

ومعنى ﴿يزكون أنفسهم﴾: يزعمون أنهم أزكياء، وتفسير «التزكية» قد مر[٧].

وقوله ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ يجعل من يشاء زاكياً، قال ابن عباس: يريد: أهل التوحيد[٨] ﴿ولا[٩] يظلمون فتيلاً﴾ قال ابن عباس: يريد[١٠] ولا ينقصون من الثواب قدر فتيل النواة، يريد: القشرة[١١] التي حول النواة فيما بينها وبين البسرة[١٢].

قال الفراء: «الفتيل»: ما فتلت بين أصبعيك من الوسخ، وهو قول السدي[١٣] وقال ابن السكيت[١٤]: «القِطمير»: القشرة الرقيقة على النواة، و«الفتيل»: ما كان في شق النواة، و«النقير»: النكتة في ظهر النواة.

قال الأزهري[١٥]: وهذه الأشياء كلها تضرب أمثالاً للشيء التافه الحقير القدر أي: لا يظلمون قدرها، قال النابغة:

---

(١) في (د) قوله.

(٢) انظر الزجاج ٢/٦٢ ومجاز القرآن ١/١٢٩.

(٣) في غير (أ) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧١ ومجاهد ١٦١ والزجاج ٢/٦٢ ـ ٦٣، وابن كثير ١/٥١١، عن مجاهد وابن عباس والسدي، والدر ٢/١٧٠ عن ابن عباس ومجاهد وأبي مالك وعكرمة والسدي والفراء ١/٢٧٢ وفتح القدير ١/٤٧٨، وغرائب النيسابوري ٥/٦٦ كلاهما عن ابن عباس وانظر أسباب النزول للواحدي ١١٤، وللسيوطي ٧٨.

(٥) في (جـ)، وما، وفي (هـ) وما عملنا.

(٦) في (د، هـ) وما عملنا.

(٧) في (د) وقد مر تفسير «التزكية» وانظر تفسير الآيتين ١٢٩، ١٧٤ من سورة البقرة.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١.

(٩) في (د) لا يظلمون.

(١٠) في (حـ) قال: أي ولا... وفي (د) قال: لا..

(١١) في (د) القشر الذي.

(١٢) في (حـ) التمرة. انظر الأثر: في تفسير ابن عباس ٧١، والطبري ٨/٤٥٨، والدر ٢/١٧١ كلها عن ابن عباس «والبسر: ما لوّن ولم ينضج وإذا نضج فقد أرطب، البسر: أوله طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر، الواحد بُسْرة وجمعها بُسرات وبُسر» (اللسان/ بسر).

(١٣) انظر الفراء ١/٢٧٣ وتفسير ابن عباس ٧١، والطبري ٨/٤٥٧ ـ ٤٥٨ عن ابن عباس والسدي وابن كثير ١/٥١٢ والدر ٢/١٧١ وفتح القدير ١/٤٧٨ كلها عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٢٩، والزجاج ٢/٦٣.

(١٤) انظر تفسير الرازي ١٠/١٢٧ واللسان/ فتل، نقر وغرائب النيسابوري ٥/٦٦ كلها عن ابن السكيت ومجاز القرآن ١/١٢٩ والزاهر ١/٣٥٨ وغريب القرآن ١١٩، وتفسير ابن عباس ٧١ ومجاهد ١٦١ والدر ٢/١٧١ عن ابن عباس ومجاهد وعطية وفتح القدير ١/٤٧٨ عن ابن عباس.

(١٥) انظر (اللسان/ فتل) عن أبي منصور والخازن ١/٥٤٥، والرازي ١٠/١٢٧.

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا [١]

ـ قوله جل جلاله [٢] ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ هذا تعجيب للنبي ﷺ وهي قولهم: يكفر عنا ما نعمله[٣] ﴿وكفى به﴾ أي: كفى هو، يعني افتراءهم ﴿إثماً مبيناً﴾ وتأويل هذا: تعظيم إثمهم.

ـ قوله عز وجل[٤] ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني: علماء اليهود الذين أعطوا علم أمر النبي[٥] ﷺ ﴿يؤمنون بالجِبْت والطاغوت﴾ كل معبود من دون الله فهو جبت[٦].

قال ابن عباس في رواية عطية: «الجبت»: الأصنام و«الطاغوت» تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس[٧].

وفي رواية الوالبي «الجبت»: الكاهن، و«الطاغوت» الساحر[٨]. وقال الكلبي «الجبت» في هذه الآية: حيي بن أخطب و«الطاغوت» كعب بن الأشرف، سميا بذلك لإغوائهما الناس ولطاعة اليهود لهما في معصية الله تعالى[٩].

وقوله ﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين ءامنوا سبيلاً﴾ وذلك أن حييا وكعباً لقيا قريشاً بالموسم فقال[١٠] لهما المشركون: أنحن أهدى طريقاً أم محمد وأصحابه؟ فقالا: بل أنتم أهدى سبيلاً، وأقوم طريقاً وأحسن من الذين آمنوا ديناً، وهما يعلمان أنها كاذبان، حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه[١١].

قال الزجاج[١٢]: وهذا دليل على معاندة اليهود لأنهم زعموا أن المشركين الذين لا يصدقون بشيء من الكتب وعبدوا الأصنام أهدى طريقاً من الذين يوافقونهم على كثير مما يصدقون به. ثم أنزل الله فيهم قوله:

ـ ﴿أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً﴾[١٣] ناصراً ينصره، ومانعاً من عذاب الله. ثم وصفهم بالبخل فقال:

---

(١) انظر البيت في ديوان النابغة ص ١٣٥ في هجاء النعمان من قصيدته «وارث الصائغ الجبان» والدر ٢/١٧١ للنابغة برواية «ثم لا يرزأ الأعادي فتيلاً». يرزأ: يصيب بضرر، فتيلاً: شيئاً بقدر الفتيل يقول: إنه يجمع الجيش ألوفاً للغزو ولكنه لا يصيب من العدو شيئاً.

(٢) في غي (أ) قوله.

(٣) في (حـ) نعلمه.

(٤) في (جـ، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٥) في (هـ) محمد ﷺ.

(٦) هذا قول الزجاج ٢/٦٤ وغريب القرآن ١٢٨ ومجاز القرآن ١/١٢٩ وابن كثير ١/٥١٢ عن مالك.

(٧) انظر تفسير الطبري ٨/٤٦١ والرازي ١٠/١٢٨ وابن كثير ١/٥١٢ والدر ٢/١٧٢ وفتح القدير ١/٤٧٩ كلها عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير الرازي ١٠/١٢٨ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والطبري ٨/٤٦٤ عن سعيد بن جبير وفتح الباري ٨/٢٠٢ عن جابر والدر ٢/١٧٢ عن أبي العالية، والبحر ٣/٢٧١ والبغوي ١/٥٤٥ كلاهما عن ابن سيرين.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والدر ٢/١٧٢ وفتح القدير ١/٤٧٩ كلاهما عن ابن عباس والرازي ١٠/١٢٨ وغرائب النيسابوري ٥/٦٧ كلاهما عن الكلبي والزجاج ٢/٦٤، وغريب القرآن ١٢٨.

(١٠) في (حـ) قال.

(١١) انظر تفسير الطبري ٨/٤٦٦ ـ ٤٦٩ عن ابن عباس وعكرمة والسدي ومجاهد، وأسباب النزول للواحدي ١١٤ـ ١١٥، وللسيوطي ٧٨ وابن كثير ١/٥١٣ عن عكرمة وابن عباس، وفتح القدير ١/٤٧٨ ـ ٤٧٩ عن ابن عباس.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٦٤.

(١٣) في (د) أي ناصراً.

- ﴿أم لهم[١]﴾ على معنى: بل ألهم ﴿نصيب من الملك﴾ وهذا استفهام معناه الإنكار، أي: ليس لهم ذلك.

وقوله[٢] ﴿فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾قال الفراء[٣]: هذا جواب لجزاء مضمر كأنك قلت: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نقيراً إذاً.

قال الزجاج[٤]: وتأويل[٥] «إذاً»: إن كان الأمر كما جرى، أو كما ذكرت، يقول القائل: زيد يصير إليك فتقول: إذاً أكرمه، أي: إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه[٦].

قال ابن عباس «النقير»: نقرة في ظهر[٧] النواة، منها تنبت النخلة[٨].

قال الزجاج[٩]: وذكر «النقير» ها هنا: تمثيل، المعنى لبخلوا بالقليل.

- قوله عز وجل[١٠] ﴿أم يحسدون الناس...﴾ الآية،حسدت اليهود محمداً ﷺعلى ما آتاه الله[١١]من النبوة، فقال الله تعالى ﴿أم يحسدون الناس﴾ على معنى: بل أيحسدون[١٢] الناس، يعني: محمد ﷺ[١٣] وإنما جاز أن يقع عليه لفظ «الناس» وهو واحد، لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون في جماعة ومثله قوله ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾[١٤].

وقوله ﴿على ما ءاتاهم الله من فضله﴾ يعني: النبوة، وقد علموا أن النبوة كانت في آله ﴿فقد ءاتينا ءال إبراهيم الكتاب والحكمة﴾ يعني: النبوة، يريد ما كان في بني إسرائيل من الكتاب والنبوة. وكانوا[١٥] من آل إبراهيم لأنهم كانوا أولاد إسحاق بن إبراهيم، ومحمد ﷺ كان ولد إسماعيل بن إبراهيم.

وهذا الذي ذكرنا قول الحسن وابن جريج وقتادة واختيار الزجاج[١٦].

وقوله[١٧] ﴿وءاتيناهم ملكاً عظيماً﴾ قال مجاهد[١٨]: يعني النبوة،لأن الملك لمن له الأمر والطاعة. والأنبياء لهم الطاعة والأمر[١٩].

---

(١) في (ج، د) أم لهم نصيب من الملك.
(٢) في (د) قوله.
(٣) انظر الفراء ١/٢٧٣.
(٤) انظر الزجاج ٢/٦٦.
(٥) في (د) في تأويل.
(٦) في (هـ) الكرامة.
(٧) في (هـ) ظهور.
(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ والطبري ٨/٤٧٣ وفتح القدير ١/٤٧٨ كلاهما عن ابن عباس والقرطبي ٥/٢٩٤ عن ابن عباس وقتادة وغريب القرآن ١١٩ ومجاز القرآن ١/١٣٠ والفراء ١/٢٧٣.
(٩) انظر الزجاج ٢/٦٥.
(١٠) في (جـ، هـ) وقوله وفي (د) قوله.
(١١) في (حـ) حسدت محمداً عليه السلام على ما أتاهم.
(١٢) في (حـ) بل يحسدون، وفي (د) بل يحسدون يعني.
(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ ومجاهد ١٦٢ والزجاج ٢/٦٧ وابن كثير ١/٥١٣.
(١٤) سورة النحل /١٢٠.
(١٥) في (ح) وكان، وفي (د) فكانوا.
(١٦) انظر الزجاج ٢/٦٧ والدر ٢/١٧٣ عن قتادة وأبي مالك وابن جريج.
(١٧) في (د) قوله تعالى.
(١٨) انظر تفسير مجاهد ١٦٢ وابن عباس ٧٢ والطبري ٨/٤٨٠ عن مجاهد، والدر ٢/١٧٣ عن مجاهد والحسن.
(١٩) في (د) لهم الأمر والطاعة.

ـ قوله عز وجل[١] ﴿فمنهم من ءامن به﴾ قال ابن عباس والأكثرون[٢]: من أهل الكتاب من آمن بمحمد ﷺ ﴿ومنهم من صَدَّ عنه﴾ أعرض[٣] ولم يؤمن ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾، عذاباً لمن لا يؤمن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

ـ قوله عز وجل[٤] ﴿إن الذين كفروا بآياتنا﴾ يعني: بمحمد ﷺ والقرآن ﴿سوف نصليهم ناراً﴾ ندخلهم ناراً[٥] ﴿كلما نضجت﴾ لانت بحرارتها ﴿جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها[٦]﴾، قال ابن عباس[٧]: يبدلون جلوداً بيضاء كأمثال القراطيس، وقال الحسن[٨]: بلغنا، أنهم[٩] تنضجهم كل يوم سبعين ألف مرة، تأكل جلودهم ولحومهم، قال: وغلظ لحوم أهل النار أربعون ذراعاً وما بين منكبي أحدهم مسيرة ثلاثة أيام[١٠].

أخبرنا أبو نصر المهرجاني، أخبرنا ابن بطة[١١]، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا مروان بن معاوية[١٢] حدثنا يزيد بن سنان[١٣]، حدثنا أبو يحيى الكلاعي[١٤]، عن المقدام بن معدي كرب[١٥]، قال:

---

(١) في (حـ) قوله، وفي (د) قوله تعالى، وفي (هـ) وقوله.

(٢) انظر تفسير مجاهد ١٦٢ والزجاج ٢/٦٨ والبحر ٣/٢٧٤ وابن كثير ١/٥١٤ والدر ٢/١٧٣ كلاهما عن مجاهد.

(٣) في (د) أي أعرض، وفي (هـ) ومنهم من صد أعرض عنه.

(٤) في (ج، هـ) قوله تعالى وفي (د) قوله.

(٥) من (د، هـ).

(٦) في (د) بغيرها.

(٧) انظر البحر ٣/٢٧٤، وفتح القدير ١/٤٨٠ كلاهما عن ابن عباس، وابن كثير ١/٥١٤ والدر ٢/١٧٤ والطبري ٨/٤٨٤ كلها عن ابن عمر.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨/٤٨٥ عن الحسن والربيع بن أنس، وابن كثير ١/٥١٤ عن الحسن والدر ٢/١٧٤ عن الحسن والربيع وابن عمر.

(٩) في (هـ) أنها.

(١٠) قال الزجاج: «فإن قال قائل: بدل الجلد الذي عصى بالجلد الذي غير العاصي، فذلك غلط من القول لأن العاصي والآثم هو الإنسان لا الجلد. وجائز أن يكون بدل الجلد النضج وأعيد كما كان جلده الأول كما تقول: صنعت من خاتمي خاتماً آخر فأنت وإن غيرت الصوغ فالفضة أصل واحد، وقد كان الجلد قد بلي بعد البعث فإنشاؤه بعد النضج كإنشائه بعد البعث». (الزجاج ٢/٦٨ ـ ٦٩ والأخفش ١/٤٤٩، والطبري ٨/٤٨٥ ـ ٤٨٦).

(١١) في (د) أبو بطير، سبق.

(١٢) في (جـ، د) هارون سبق.

(١٣) يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي مولى بني تميم عن ميمون بن مهران وزيد بن أبي أنيسة وعنه ابنه محمد ووكيع، ضعفه ابن معين وأحمد وابن المديني وقال البخاري مقارب الحديث حدث بالكوفة توفي سنة ١٥٥ (الميزان ٤/٢٢٧).

(١٤) سليم بن عامر أبو يحيى الكلاعي الشامي سمع المقداد بن الأسود وهو كوفي تابعي ثقة وثقه يعقوب بن سفيان والنسائي وابن حبان وغيرهم. (تاريخ الثقات ١٩٩، والجمع ١/٢٠١ والطبراني في الكبير ٢٠/٢٥٤، ٢٨١ وتهذيب التهذيب ٤/١٦٦).

(١٥) المقدام بن معدي كرب أبو كريمة الكندي الشامي سمع النبي ﷺ وروى عنه خالد بن معدان وغيره توفي سنة ٨٧ وهو ابن ٩١ سنة (الجمع ٢/٥٠٨ والطبراني في الكبير ٢٠/٢٦١)

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر[1] من بين السقط إلى الشيخ الفاني يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين[2] سنة، المؤمنون منهم في خلق آدم، وقلب أيوب، وحسن يوسف، مرداً مكحلين، قلنا: يا رسول الله فكيف بالكافر[3]؟ قال: يعظم للنار حتى يصير غلظ جلده أربعين ذراعاً[4]، وحتى يصير الناب مثل أحد»[5].

وعن جابر بن عبد الله قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية **﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾** فبكى[6] واشتد بكاؤه، فبكينا لبكائه، فلما أفاق قال: تبدل ليجدد عليهم العذاب، وهو قوله **﴿ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾** أي: هو قوي لا يغلبه شيء، وهو مع ذلك حكيم فيما دبر.

ولما ذكر ما أعد[5] للكافرين من العذاب ذكر ثواب المؤمنين فقال:

- **﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾** إلى قوله **﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾** أي: دائماً لا تنسخه الشمس، كما تنسخ ظلال الدنيا.

وقال الحسن [6] **﴿ظلاً ظليلاً [7]﴾** لا يدخله الحر والسمائم [8]، قال الزجاج [9] معنى «ظليل» يظل من الريح والحر، وليس كل ظل كذلك أعلم الله تعالى أن ظل الجنة ظليل لا حر فيه ولا برد. وقال مقاتل **﴿ظلاً ظليلاً﴾** يعني أكتان القصور لا فرجة فيها ولا خلل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

- قوله عز وجل [10] **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾** أجمع المفسرون على[11] أن الآية نازلة[12] في شأن مفتاح الكعبة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طلب المفتاح، فقيل: إنه مع عثمان بن طلحة الحجبي[13] وكان من بني عبد الدار وكان يلي سدانة[14] الكعبة، فوجه إليه علياً رضي الله عنه فأبى دفعه إليه، وقال: لو

---

(١) في (د) الحشر ما بين السقط والشيخ. «والسقط: الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه» (اللسان/سقط).

(٢) في غير (أ) أبناء ثلاثين.

(٣) في (د) فكيف الكافر.

(٤) في غير (أ) عاماً.

(٥) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب البعث ـ باب كيف يحشر الناس «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن» وليس في الرواية الأولى «أبناء ثلاث وثلاثين» وقال في الرواية الثانية «رواه الطبراني وفيه يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف» (١٠/٣٣٣ ـ ٣٣٤) ورواه الطبراني في الكبير عن المقداد بن الأسود ٢٠/٢٥٦ وعن المقدام بن معدي كرب ٢٠/٢٨١ بألفاظ متقاربة.

(٦) في (د) فبكا.

(٧) في (حـ) أعد الله.

(٨) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٥٥ والبحر ٣/٢٧٥ كلاهما عن الحسن، والزجاج ٢/٦٩ وغرائب النيسابوري ٥/٧٢ وفتح القدير ١/٤٨٠.

(٩) في غير (أ) ظل ظليل.

(١٠) «السمائم: جمع السموم، وهو الريح الحارة» (حاشية).

(١١) انظر الزجاج ٢/٦٩.

(١٢) في (جـ، هـ) قوله وفي (د) قوله تعالى.

(١٣) ساقطة من (حـ هـ).

(١٤) ساقطة من (هـ).

(١٥) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عبد الدار العبدري الحجمي أسلم هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص سنة ٨ وهو صاحب مفتاح الكعبة توفي في أول خلافة معاوية. (البداية والنهاية ٨/٢٥ ـ ٢٦).

(١٦) «السادن: خادم الكعبة وبيت الأصنام وسدانة الكعبة: خدمتها وتولي أمرها». (اللسان سدن).

علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى[١] عليّ يده، وأخذه منه قسراً[٢] حتى دخل رسول الله ﷺ البيت وصلى فيه فلما خرج قال له العباس: بأبي أنت اجمع لي السدانة مع السقاية، وسأله أن يعطيه المفتاح، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فأمر رسول الله ﷺ علياً برده إليه، فرده[٣] إليه عليّ وألطف في القول، فقال أخذته مني قهراً ورددته عليَّ باللطف، قال: لأن[٤] الله تعالى أمرنا برده عليك وقرأ عليه الآية، فأتى للنبي ﷺ وأسلم [٥].

ثم إنه هاجر ودفع المفتاح إلى أخيه شيبة [٦] فهو في ولده إلى اليوم [٧].

أخبرنا أبو حسان المزكي، أخبرنا هارون بن محمد الإستراباذي، حدثنا أبو محمد الخزاعي، حدثنا أبو الوليد الأزرقي، حدثنا جدي عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن مجاهد في هذه الآية قال [٨]: نزلت في عثمان بن طلحة:

قبض النبي ﷺ مفتاح الكعبة فدخل الكعبة يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال: «خذوها يا بني طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم إلا ظالم»[٩].

قال ابن عباس[١٠]: هذه الآية عامة في كل أمانة، تؤدى الأمانة إلى البرّ والفاجر، والرحم توصل برة كانت أو فاجرة. وقال ابن عمر وابن مسعود[١١]: الفرج أمانة،والبصر أمانة والأمانة[١٢] في كل شيء: في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم وفي الكيل والوزن وأعظم من ذلك الودائع، ولا إيمان لمن لا أمانة له.

و«الأمانة»: مصدر سُمّي به المفعول، ولذلك[١٣] جمع أمانات لأنه أخلص إسماً، قال الشاعر[١٤]:

فـأخـلفن مـيـعـادي وخـن أمـانـتي ولـيس لـمـن خـان الأمـانـة ديـن

---

(١) في (د) فلول.
(٢) في (أ) وأخذ قسرا وفي (حـ) وأخذ منه قسراً، وفي (د) قهراً.
(٣) في (هـ) فرد.
(٤) في (حـ) إن.
(٥) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ والزجاج ٢/ ٦٩-٧٠ والفتح الرباني ٢١/ ١٥٢ والدر ٢/ ١٧٤ عن ابن عباس وابن جريج، وابن كثير ١/ ٥١٥ - ٥١٦ وأسباب النزول للواحدي ١١٦ - ١١٧ وللسيوطي ٧٩ وغرائب النيسابوري ٥/ ٧٦ - ٧٧ وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٤٤٩ ٤٥٠ والطبري ٨/ ٤٩١ - ٤٩٢ عن ابن جريج.
(٦) شيبة بن عثمان أبي طلحة بن عبد العزى القرشي العبدري المكي الحجبي كان مشاركاً لابن عمه عثمان الحجبي في سدانة البيت وخاله مصعب بن عمير وحجبة البيت بنو شيبة من ذريته توفي سنة ٥٩ هـ (سير الأعلام ٣/ ١٢ - ١٣، والكاشف ٢/ ١٧).
(٧) في (د) إلى الآن.
(٨) انظر الدر ٢/ ١٧٤ - ١٧٥ عن ابن جريج، وفتح القدير ١/ ٤٨٠ - ٤٨١ عن ابن عباس وابن جريج وأسباب النزول للواحدي ١١٧ وللسيوطي ٧٩، وكنز العمال ٢/ ٣٨٣.
(٩) رواه الطبراني في الكبير ١١/ ١٢٠ عن ابن عباس وفي الأوسط ١/ ٣٠١ عن ابن عباس والهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب الحج - باب في أمر مكة من الأذان والحجابة «رواه الطبراني في الكبير والأوسط» وأعله بعبد الله بن المثمل وقد وثقه ابن حبان وابن معين في رواية ٣/ ١٢، ومصنف عبد الرزاق ٥/ ٨٥ عن ابن جريج عن أبي مليكة والدر ٢/ ١٧٥ عن ابن عباس.
(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/ ٤٩٢ - ٤٩٣ والدر ٢/ ١٧٥ كلاهما عن ابن عباس وابن زيد، وابن كثير ١/ ٥١٥ عن ابن عباس.
(١١) انظر الدر ٢/ ١٧٥ عن ابن عمر.
(١٢) ساقطة من (هـ).
(١٣) في (د) وكذلك.
(١٤) لم أقف عليه.

أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن جعفر النحوي، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان، أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى[١]، حدثنا وهب، حدثنا خالد عن حسين، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس إنه لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[٢].

وقوله[٣] ﴿إن الله نِعما يعظكم به﴾ أي: نعم شيئاً يعظكم به الله، يعني: أداء الأمانة والحكم بالعدل ﴿إن الله كان سميعاً﴾ لما تقولون في الأمانة والحكم ﴿بصيراً﴾ بما تعملون فيهما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾

- وقوله عز وجل[٤] ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ قال الحسن وعطاء[٥]: اتباع الكتاب والسنة[٦] ﴿وأولي الأمر منكم﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي[٧]: هم الفقهاء والعلماء وأهل الدين الذين يعلِّمون الناس معالم دينهم، وأوجب الله تعالى[٨] طاعتهم، وهذا قول مجاهد والحسن والضحاك.

وفي رواية عطاء: هم الولاة. وهو قول ابن زيد، قال: هم الأمراء والسلاطين لما أمروا بأداء الأمانة في الرعية في قوله[٩] ﴿إن الله يأمركم. . .﴾ الآية، أمرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما يوافق الحق[١٠].

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء حدثنا مسدد بن قطن[١١]، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر[١٢]، أخبرني زريق - مولى بني

---

(١) في (د) مثنى، سبق.

(٢) الحديث: في مجمع الزوائد - كتاب العلم - باب اتباع الكتاب والسنة «رواه الطبراني في الكبير وفيه حسن بن قيس الملقب بحنش وهو متروك الحديث» عن ابن عباس (١/١٧٢) والطبراني في الكبير ١٠/٢٨٠ عن ابن مسعود، ١١/٢١٣ عن ابن عباس ومسند أحمد ٣/١٥٤ عن أنس. وزوائد البزار - كتاب الإيمان - باب لا إيمان لمن لا أمانة له رقم ١٠٠ عن أنس ١/٦٨. والجامع الصغير ٢/١٨٩ عن أنس ورمز له بالصحيح.

(٣) في (د، هـ) قوله.

(٤) في (جـ، هـ) قوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٥) في غير (أ) عطاء والحسن.

(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٤٩٦ والدر ٢/١٧٦ كلاهما عن عطاء.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٢ ومجاهد ١٦٢ - ١٦٣ والطبري ٨/٥٠٠ - ٥٠١ عن مجاهد وابن عباس والحسن وغيرهم وغرائب النيسابوري ٥/٨٠ عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك والدر ٢/١٧٦ - ١٧٧ وابن كثير ١/٥١٨ كلاهما عن ابن عباس وجابر ومجاهد والضحاك والمستدرك - كتاب العلم - عن ابن عباس ١/١٢٣.

(٨) في غير (أ) أوجب الله.

(٩) في غير (أ) بقوله.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/٤٩٧ - ٤٩٨ عن ابن عباس وابن زيد وأبي هريرة والدر ٢/١٧٦ عن أبي هريرة وابن زيد والزجاج ٢/٧٠.

(١١) مسدد بن قطن النيسابوري روى عن جده لأمه بشر بن الحكم وطبقته بخراسان والعراق قال الحاكم: مزكى عصره وكان المقدم في الزهد والورع توفي سنة ٣٠١ هـ. (شذرات ٢/٢٣٦ - ٢٣٧).

(١٢) عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي الشامي سمع زريق بن حيان وبسر بن سعيد وعمير بن هانىء وعنه الوليد بن مسلم وابن المبارك توفي سنة ١٥٣ هـ (الجمع ١/٢٨٩).

فزارة - [١] أنه سمع مسلم بن قرظة [٢]، يحدث عن عوف بن مالك الأشجعي يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة الله[٣]» رواه مسلم عن داود بن رشيد[٤].

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا عبد الله بن أحمد المروزي[٥]، أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي داره[٦] حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد[٧] حدثنا سلمة بن سليمان[٨] عن عبد الله بن المبارك أخبرنا الحسن بن عياش[٩]، عن عمرو بن ميمون[١٠] عن أبيه قال:

قال مسلمة بن عبد الملك[١١]: أليس قد أمرتم بطاعتنا يعني **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** قال: قلت: إن الله قد انتزعه منكم إذْ خالفتم الحق، قال الله تعالى **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾** قال: فأين الله؟ قلت: الكتاب، قال: فأين الرسول؟ قلت: السنة»[١٢].

والمعنى: فإن[١٣] تنازعتم في شيء وأنتم وأمراؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله.

﴿ذلك خير﴾ أي: ردكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة وترككم التجادل خير **﴿وأحسن تأويلاً﴾** قال قتادة والسدي[١٤] وأحمد: عاقبة.

---

(١) زريق بن حيان الفزاري مولاهم أبو المقدام كان على جواز مصر زمن الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز سمع مسلم بن قرظة الأشجعي الشامي روى عنه يزيد بن جابر، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر وعبد الله بن يزيد بن جابر. (كتاب الجمع ١/١٤١).

(٢) مسلم بن قرظة الأشجعي ابن عم عوف بن مالك الأشجعي سمع منه وروى عنه زريق بن حيان وربيعة بن زيد (الجمع ٢/٤٩٣ - ٤٩٤).

(٣) عند مسلم: ولا ينزعن يداً من طاعة.

(٤) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب خيار الأئمة وشرارهم - ضمن حديث عوف بن مالك الأشجعي. (٢/١٣٨).

(٥) لعله: عبد الله بن محمد المروزي، سبق.

(٦) أبو عبد الرحمن عبد الله بن أبي داره توفي سنة ٢٩٥ هـ (الكامل لابن الأثير ٨/١٣).

(٧) في (د) مهرار وهو: محمد بن عبد الله بن قهزاد من أهل مرو سمع سلمة بن سليمان وعبد الله بن عثمان عبدان وعلي بن الحسن بن شقيق روى عنه مسلم توفي سنة ٢٦٢ هـ (كتاب الجمع ٢/٤٧٣).

(٨) سلمة بن سليمان المروزي سمع عبد الله بن المبارك وغيره وعنه أحمد بن أبي رجاء ومحمد بن عبد الله بن قهزاد وروى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١/١٩٢).

(٩) الحسن بن عياش أخو أبي بكر بن عياش يكنى أبا محمد من أهل الكوفة سمع جعفر بن محمد وروى عنه يحيى بن آدم روى له مسلم (كتاب الجمع ١/٨٥).

(١٠) عمرو بن ميمون بن مهران أبو عبد الله الجزري سمع أباه وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز بن مروان وعنه الثوري وزهير بن معاوية وشريك بن عبد الله وابن المبارك قال ابن معين ثقة وقال ابن خراش صدوق توفي سنة ١٤٥ روى له البخاري ومسلم. (تاريخ بغداد ١٢/١٨٩ - ١٩٠، والجمع ١/٣٦٩).

(١١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي أبو سعيد وأبو الأصبع الدمشقي روى عن عمر بن عبد العزيز وعنه عبد الملك بن أبي عثمان وعبيد الله بن قزعة وعيينة وولده سفيان بن عيينة وغيرهم توفي سنة ١٢٠ هـ (البداية والنهاية ٩/٣٦٩ - ٣٧٠).

(١٢) انظر تفسير الطبري ٨/٥٠٥ والدر ٢/١٧٨ كلاهما عن ميمون والبحر ٣/٢٧٨ عن أبي حازم.

(١٣) في (هـ) أن.

(١٤) في (د) أي أحمد، وانظر تفسير ابن عباس ٧٢، والزجاج ٢/٧١ وغريب القرآن ١٣٠ ،والدر ٢/١٧٨ والطبري ٨/٥٠٦ كلاهما عن قتادة والسدي وابن كثير ١/٥١٨ عن السدي.

و «العاقبة» تسمى «تأويلاً» لأنها مآل[1] الأمر، يقال: إلى هذا مآلُ[2] الأمر وتأويله أي: عاقبته[3].

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾

ـ قوله جل جلاله[4] ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون. . .**﴾ الآية، «الزَعم والزُعم»: لغتان وأكثر ما يستعمل «الزَعم» بمعنى القول فيما لا يتحقق، يقال: زعم فلان إذا لم يدر لعله كذب أو باطل، ومنه قوله تعالى: ﴿هذا لله بزعمهم﴾[5] أي: بقولهم الكذب[6].

قال المفسرون[7]: وقع نزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين[8] فقال اليهودي: بيني وبينك أبو القاسم، يعني النبي ﷺ وعلم أنه لا يقبل الرشوة وقال المنافق: بيني وبينك كعب بن الأشرف، لأنه علم أنه يأخذ الرشوة، فأنزل الله ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾ يعني المنافقين ﴿**يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت**﴾ يعني: كعب بن الأشرف[9]، وقال عطاء: يعني: حيي بن أخطب. ﴿**وقد أمروا أن يكفروا به**﴾ قال ابن عباس[10]: أمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم ﴿**ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً**﴾ أي: ضلالاً لا يرجعون عنه إلى دين الله أبداً.

---

(١) في (د) ما آل.

(٢) في (هـ) ما آل.

(٣) انظر اللسان /أول، والمصباح/أول، ومفردات الراغب/ أول.

(٤) في (جـ، د) قوله وفي (هـ) قوله تعالى.

(٥) سورة الأنعام/ ١٣٦.

(٦) الزَعم والزُعم والزِعم: ثلاث لغات: القول، وقيل: هو القول يكون حقاً ويكون باطلاً قال الليث: إذا شك فلم يُدْر لعله كذب أو باطل قيل: زَعم فلان. . . (اللسان/زعم).

(٧) انظر الزجاج ٢/ ٧٢ ومجاهد ١٦٣ ـ ١٦٤ والدر ٢/ ١٧٨ ـ ١٧٩ عن ابن عباس وقتادة والربيع وتفسير ابن عباس ٧٢ وابن كثير ١/ ٥١٩ والطبري ٨/ ٥٠٨ عن الشعبي وغرائب النيسابوري ٥/ ٨٣ عن ابن عباس والرازي ١٠/ ١٥٣ ـ ١٥٤ وأحكام القرآن ١/ ٤٥٥ مع اختلاف في الروايات.

(٨) في (هـ) بين رجل من المنافقين وبين يهودي.

(٩) انظر تفسير الطبري ٨/ ٥١١ ـ ٥١٣ عن ابن عباس والضحاك والربيع ومجاهد، وكذا في الدر ٢/ ١٧٩ وانظر مثل ذلك عند تفسير الآية ٢٥٧ من سورة البقرة.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/ ٥١١ والخازن ١/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣ عن ابن عباس بنحوه والوجيز للواحدي ١/ ١٥٦.

ومعنى الآية: تعجيب للنبي ﷺ من جهل من يعدل عن حكم الله إلى حكم الطاغوت مع زعمه بأنه مؤمن[١]، بالله ورسوله وما أنزل إليه من قبله[٢].

ـ قوله جل جلاله[٣] ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي: لهؤلاء المنافقين ﴿تعالَوْا إلى ما أنزل الله﴾ يعني[٤] في القرآن من الأحكام ﴿وإلى الرسول﴾ إلى حكمه ﴿رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ أي: يعرضون عنك إلى غيرك.

ـ قوله عز وجل[٣] ﴿فكيف﴾ أي: فكيف يحتالون ويصنعون ﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾ عقوبة من الله مجازاة على ما صنعوا وهو قوله ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي: من التكذيب والكفر بالقرآن والرسول؟ ثم عاد الكلام إلى ما سبق من القصة فقال ﴿ثم جاءوك يحلفون بالله﴾ وذلك أن المنافقين أتوا نبي[٥] الله ﷺ: وحلفوا أنهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة [﴿إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ أي][٦]: إلا توفيقاً بين الخصوم أي: جمعاً وتأليفاً، وإحساناً بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق، وكل ذلك كذب، منهم لأن الله تعالى قال:

ـ ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من الكذب والخيانة والشرك والنفاق، ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: لا تعاقبهم ﴿وعظهم﴾ بلسانك ﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ قال ابن عباس: خوفهم بالله[٧]، وقال الحسن[٨]: قل لهم: إن أظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم، فهذا القول البليغ، لأنه[٩] يبلغ من نفوسهم كل مبلغ، وقال الزجاج[١٠]: أعلمهم أنهم إن ظهر منهم رد لحكمك وكفر[١١] فالقتل.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

ـ قوله جل جلاله ﴿وما أرسلنا من رسولٍ﴾«من»: دخلت للتأكيد والمعنى: وما أرسلنا رسولاً ﴿إلا ليطاع بإذن الله﴾ أي: بأمر الله، يعني إن طاعة الرسول وجبت بأمر الله الذي دل على وجوب طاعته.

قال الزجاج[١٢]: أي[١٣]: إلا ليطاع لأن الله تعالى قد أذن في ذلك وأمر به قوله تعالى[١٤] ﴿ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسهم﴾ بعصيانك وموالاتهم الكفار حتى يحكموهم ﴿جاءوك فاستغفروا الله﴾ أي: تابوا إلى الله ونزعوا عما هم عليه ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ سأل الله لهم أن يغفر لهم ما تقدم من تكذيبهم ﴿لوجدوا[١٥] الله تواباً رحيماً﴾.

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

(١) في (جـ، د) لمؤمن، وفي (هـ) يؤمن.
(٢) في (د) قبل.
(٣) في غير (أ) قوله.
(٤) في (حـ) الله تعالى في القرآن.
(٥) في (هـ) أتو نبي ﷺ.
(٦) إضافة للبيان.
(٧) انظر تفسير الطبري ٨/٥١٥ والبحر ٣/٢٨١ والبغوي ١/٥٥٤.
(٨) انظر تفسير القرطبي ٥/٢٦٥ والبحر ٣/٢٨١ والبغوي ١/٥٥٤ كلها عن الحسن.
(٩) في (د) لا.
(١٠) انظر الزجاج ٢/٧٣.
(١١) في (هـ) أو كفر.
(١٢) انظر الزجاج ٢/٧٤.
(١٣) ساقطة من (د).
(١٤) في غير (أ) قوله.
(١٥) في (هـ) لوجد، وفي (د) لوجدوا الله ثواباً.

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

ـ قوله عز وجل(١) ﴿فلا﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك، ثم استأنف القسم فقال ﴿**وربك لا يؤمنون**(٢)﴾ وهذا قول عطاء ومجاهد والشعبي: إن الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق، وهي متصلة بما قبلها(٣). وقال آخرون: هذه مستأنفة نازلة في قصة أخرى وهي ما أخبرنا:

عبد الرحمن بن حمدان العدل، أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير، عن أبيه، أنه كان يحدث أنه خاصم رجلاً من الأنصار (٤) إلى النبي ﷺ في شراج الحرة (٥)، كانا يسقيان بهما كلاهما، فقال النبي ﷺ: اسق ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله أن كان ابن عمتك (٦)، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال: اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر (٧) فاستوعى (٨) رسول الله ﷺ للزبير حقه وكان النبي ﷺ قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعةً له وللأنصاري فلما أحفظ (٩) الأنصاري رسول الله ﷺ استوعى للزبير حقه في صريح الحكم.

قال عروة: قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك**..﴾ الآية.

رواه البخاري عن علي بن عبد الله، عن محمد بن جعفر عن معمر ورواه مسلم عن قتيبة عن الليث كلاهما عن الزهري(١٠).

وقوله(١١) ﴿**فيما شجر بينهم**﴾ أي: اختلف واختلط، يقال: شجر يشجر شجوراً وشجراً ومشاجرة في الأمر، إذا

(١) في (حـ، د) قوله، وفي (هـ) وقوله.
(٢) في (د) فلا وربك.
(٣) انظر تفسير الطبري ٨/٥٢٣ ـ ٥٢٤ والدر ٢/١٨٠ كلاهما عن مجاهد والشعبي وعكرمة.
(٤) قيل هو حاطب بن أبي بلتعة «انظر فتح الباري نقلاً عن الواحدي وغيره» (٥/٢٧).
(٥) شراج: سيل الماء وإنما أضيف إلى الحرة: لكونها فيها والحرة: موضع معروف بالمدينة. (المصدر السابق ٥/٢٨).
(٦) بفتح همزة (أن) وهي للتعليل كأنه قال: «حكمت له بالتقديم لأجل أنه ابن عمتك» وقيل إن شرطية والجواب محذوف.
(٧) والجدر ـ بفتح الجيم وسكون الدال ـ الحواجز التي تحبس الماء وهو جمع جدار، (المصدر السابق ٥/٢٨).
(٨) فاستوعى: استحفظ.
(٩) أحفظ: أغضب (حاشية أ).
(١٠) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الصلح ـ باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين (٢/١١٤ ـ ١٢٥). رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب المساقاة ـ باب سكر الأنهار ٢/٥١ ـ ٥٢. رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التفسير ـ سورة النساء (فلا وربك). ٢/١٢٠ ومسلم في الصحيح ـ كتاب الفضائل ـ باب وجوب إتباعه ﷺ ٢/٣٣٧. وغرائب النيسابوري ٥/٨٨ ـ ٨٩ «والقصة بين الزبير وحاطب بن أبي بلتعة» والدر ٢/١٨٠، والطبري ٨/٥١٩ ـ ٥٢٠، ومسند أحمد ١/١٦٥ ـ ١٦٦.
(١١) في (د) قوله.

نازعه مشاجرة، وتشاجروا وتشاجرا، واشتجروا، ولك ذلك لتداخل[1] كلام بعضهم في بعض[2].

وقوله[3] ﴿ثم لا يجدوا[4] في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ قال ابن عباس: يعني[5] ضيقاً مما قضيت، يعني: يرضون بقضائك[6]، وقال الزجاج[7]: لا تضيق صدورهم بقضيتك ﴿ويسلموا تسليماً﴾ لما يأتي من حكمك لا يعارضون بشيء، أي: يبذلون الرضا لحكمك[8]، ويتركون السخط والمنازعة.

ـ قوله عز وجل[9] ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ أي: فرضنا وأوجبنا، قال المفسرون[10]: كتب الله تعالى على بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم وكتب على المهاجرين أن يخرجوا من ديارهم فقال الله تعالى ولو أنا كتبنا على هؤلاء ما كتبنا على غيرهم وهو قوله ﴿أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم﴾ كسرهما[11] عاصم وحمزة، لالتقاء الساكنين ومن ضمهما: فلأنهما حلا محل الهمزة المضمومة فضمتا كما ضمت هي، وإن كانتا منفصلتين.

قال الزجاج: وللكسرة[12] والضمة في هذه الحروف وجهان جيدان، ولست أعرف لفصل أبي عمرو بين هذين الحرفين خاصية، إلا أن يكون رواية[13].

قوله[14] ﴿ما فعلوه إلا قليل[15] منهم﴾ قال الحسن[16]: أخبر عن علمه فيهم، يعني ما يفعل ذلك إلا من قد علم الله منه ذلك، وهم قليل.

وارتفع[17] ﴿قليلٌ﴾ على البدل من «الواو» في (فعلوه) كقولك: ما أتاني أحد إلا[18] زيد ترفع[19] زيداً على البدل من أحد.

ومن نصب (إلا قليلاً) فإنه جعل النفي[20] بمنزلة الإيجاب، وذلك أن قولك: «ما جاءني أحد» كلام تام، كما أن

---

(١) في (أ) الكلام.
(٢) انظر مجاز القرآن ١/١٣١ والبحر ٣/٢٨٢ واللسان/ شجر.
(٣) في (د) قوله.
(٤) في (هـ) يجدون.
(٥) في غير (أ) يريد.
(٦) انظر تفسير الخازن ١/٥٥٦ والبحر ٣/٢٨٤ عن ابن عباس والطبري ٨/٥١٨ وغرائب النيسابوري ٥/٨٩ وغريب القرآن ١٣٠.
(٧) انظر الزجاج ٢/٧٤، والرازي ١٠/١٦٥ عن الزجاج.
(٨) في (د) الرضى وفي (هـ) الرضا بحكمك.
(٩) في (جـ، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.
(١٠) انظر تفسير مجاهد ١٦٤ والطبري ٨/٥٢٦ عن مجاهد والدر ٢/١٨١ عن مجاهد والسدي.
(١١) «أي النون في (أن اقتلوا) والواو في (أو اخرجوا)» (حاشية أ). قرأ عاصم وحمزة (أن اقتلوا) وكذا (أوِ اخرجوا) بكسر النون والواو، وقرأ ابن عامر وابن كثير والكسائي بضمهما. (وانظر الحجة لأبي زرعة ١٢٢ ـ ١٢٣ والسبعة ٢٣٤ والنشر ٢/٢٢٥ والتبيان ١/٣٧٠ والزجاج ٢/٧٥ ـ ٧٦ والحجة لابن خالويه ٩٢.
(١٢) في (جـ، د) والكسرة.
(١٣) انظر الزجاج ٢/٧٦ وانظر الحجة لأبي زرعة ١٢٢ ـ ١٢٣ عن أبي عمرو، وكذا السبعة ص ٢٣٤ «أي النون والواو، فإنه كسر النون وضم الواو، وقوله: إلا إن يكون رواية وقع في الموضع لأن أبا عمرو إنما فصل بينهما للرواية، يعني لأنه نقل إليه النون مكسوراً والواو مضموماً وهذا دليل على أن القراء لم يقرءوا القرآن بمجرد الاستقامة على القواعد العربية بل بالنقل إليهم». (حاشية أ).
(١٤) في غير (أ) وقوله.
(١٥) في (هـ) قليلاً، وهي قراءة ستأتي.
(١٦) انظر تفسير البغوي ١/٥٦ عن الحسن ومقاتل وابن كثير ١/٥٢١ ـ ٥٢٢.
(١٧) في (هـ) ورفع.
(١٨) في (هـ) إلى زيد.
(١٩) في (د) فيرفع.
(٢٠) في (د) النفس.

«جاءني القوم[١]» كذلك فنصب [٢] مع النفي كما نصب مع الإيجاب، من حيث اجتماعهما في أن كل واحد منهما كلام تام [٣].

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾ أي: ما يؤمرون به [٤] ﴿لكان خيراً [٥] لهم﴾ في دينهم وفي الآخرة ﴿وأشد تثبيتاً﴾ تصديقاً بأمر الله، أي: ذلك أشد تثبيتاً منهم لأنفسهم في الدين.

﴿وإذاً [٦] لأتيناهم﴾ أي: لو فعلوا ما وعظوا [٧] به لأتيناهم ﴿من لدنا﴾ مما لا يقدر عليه غيرنا ﴿أجراً [٨] عظيماً﴾ وهو الجنة.

- ﴿ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ قال ابن عباس[٩]: أرشدناهم إلى دين مستقيم يريد: دين الحنيفية لا دين اليهودية.

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾

- قوله عز وجل[١٠] ﴿ومن يطع الله والرسول...﴾ الآية، قال السدي[١١]: إن ناساً من الأنصار قالوا يا رسول الله إنك تسكن الجنة في أعلاها، ونحن نشتاق إليك فكيف نصنع؟ فنزلت الآية.

وقال الشعبي: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ - وهو يبكي فقال[١٢]: ما يبكيك يا فلان؟ فقال: يا رسول الله: بالله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إليَّ من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإني لأذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك[١٣]، وذكرت موتي وأنك ترفع مع النبيين، وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً فأنزل الله ﴿ومن يطع الله﴾ أي: في الفرائض ﴿والرسول﴾ أي: في السنن ﴿فأولئك﴾ يعني المطيعين ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ أي: أنه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم، فلا يتوهمن من أجل أنهم في أعلى[١٤] عليين أنه لا يراهم[١٥].

---

(١) في (هـ) القول.
(٢) في (د) فتنصب.
(٣) قرأ ابن عامر (ما فعلوه إلا قليلًا) بالنصب - وكذا هو في مصاحف الشام وقرأ الباقون - بالرفع - (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٦ - ٢٠٧ والسبعة ٢٣٥ والنشر ٢/٢٥٠، والتبيان ١/٣٧٠ والزجاج ٢/٧٦ - ٧٧ ومجاز القرآن ١/١٣١ والأخفش ١/٤٤٩ والبيان ١/٢٥٨ والمصاحف لابن أبي داود ص ٤٥ والحجة لابن خالويه ١٢٤ - ١٢٥).
(٤) انظر مجاز القرآن ١/١٣١.
(٥) في (هـ) خيراً.
(٦) في (د) (لآتيناهم).
(٧) في (د) ما يوعظون.
(٨) في (هـ) أجراً.
(٩) كثيراً ما يفسر ابن عباس «الهدى» بمعنى «الرشاد» انظر تفسيره ٧٦، وانظر الخازن ١/٥٥٧ عن ابن عباس.
(١٠) في غير (أ) قوله.
(١١) انظر تفسير الطبري ٨/٥٣٤ - ٥٣٥ والدر ٢/١٨٢ كلاهما عن السدي والربيع ومسروق وقتادة وغرائب النيسابوري ٥/٩٢ عن السدي وأسباب النزول للسيوطي ٨٣.
(١٢) في (هـ) قال وفي (أ، د) وما.
(١٣) في (أ) حتى أريك.
(١٤) في (د) أعلا.
(١٥) انظر المعجم الصغير للطبراني ١/٢٦ والأوسط ١/٢٩٦ كلاهما عن عائشة، والكبير ١٢/٨٦ - ٨٧ عن الشعبي عن ابن عباس، والحلية لأبي نعيم ٤/٢٣٩ - ٢٤٠ والدر ٢/١٨٢ عن عائشة وفتح القدير ١/٤٨٥ «رواه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والضياء=

وقوله[1] ﴿والصديقين﴾: كل من صدق بكل ما أمر الله، لا يدخله شك، وصدق الأنبياء فهو صديق وهو قول الله تعالى ﴿والذين ءامنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾[2].

وقال[3] الكلبي[4]: الصديقون: أفاضل أصحاب النبي[5] ﷺ وقال مقاتل[6]: الصديقون أول من صدقوا الأنبياء حين عاينوهم[7].

وقوله[8] ﴿والشهداء﴾ يعني: القتلى في سبيل الله ﴿والصالحين﴾ هم سائر المسلمين ﴿وحسن أولئك[9]﴾ يعني: الأنبياء وهؤلاء ﴿رفيقاً﴾ صاحباً.

وسمي الصاحب رفيقاً، لارتفاقك به وبصحبته ويقال للجماعة في السفر «رفقة» لارتفاق بعضهم ببعض.

ووحد «الرفيق» لأن الواحد في التمييز ينوب عن الجماعة، نحو قولك: هو أجمل فتى، المعنى: هو أجمل الفتيان[10].

ـ قوله ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الثواب وهو الكون مع النبيين والصديقين ﴿الفضل[11] من الله﴾ تفضل به على من أطاعه ﴿وكفى بالله عليماً﴾ أي: أنه لا يضيع عنده عمل عامل لأنه لا يخفى عليه شيء.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ

= المقدسي في صفة الجنة وأخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس بنحوه» والطبري ٨/٥٣٤ عن سعيد بن جبير وغرائب النيسابوري ٥/٩٢ عن الكلبي وذكر اسم ذلك الصحابي صاحب القصة فقال هو ثوبان مولى رسول الله ﷺ. وعن مقاتل أنه رجل من الأنصار. ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ عن عائشة «رواه الطبراني في الصغير الأوسط ورجاله من رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة» (٧/٧) وانظر أسباب النزول للواحدي ١٢٢ ـ ١٢٣.

(١) في (د) قوله.

(٢) سورة الحديد/١٩.

(٣) في غير (أ) قال.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ والبحر ٣/٢٨٧ وغرائب النيسابوري ٥/٩٣ وفتح القدير ١/٤٨٥.

(٥) في (جـ، هـ) رسول الله.

(٦) في (د) وقال الصديقون.

(٧) انظر تفسير الطبري ٨/٥٣٠ والبحر ٣/٢٨٧ وغرائب النيسابوري ٥/٩٣.

(٨) في (د) قوله.

(٩) في (جـ، هـ) رفيقاً.

(١٠) انظر الفراء ١/١٦٨ والأخفش ١/٤٥٠ والبيان ١/٢٥٨ واللسان/ رفق، والمصباح المنير/ رفق.

(١١) في جميع النسخ: فضل.

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

ـ قوله عز وجل[1] ﴿يا أيها الذين ءامنوا خذوا حذركم[2]﴾ هذه الآية حث من الله على الجهاد. و «الحِذْر» بمعنى الحَذَر، كالمثل وتقول العرب: خذ حذرك أي: احذر[3]. والمعنى: اِحذروا عدوكم بأخذ العدة والسلاح.

وقوله[4] ﴿فانفروا ثباتٍ﴾ [5] يقال: نفر القوم ينفرون نفْراً، إذا نهضوا لقتال عدو وخرجوا لحرب [6].

و «الثبات» [7] جماعات متفرقة، واحدها «ثبة» قال قتادة [8]: الثبات: الفرق وقال مقاتل: عصباً متفرقين [9].

[10]﴿أو انفروا جميعاً﴾ خيرهم الله تعالى بين أن يقاتلوا جميعاً وبين أن يقاتل بعضهم دون بعض، فدل على أن الجهاد ليس من فروض الأعيان[11].

ـ قوله عز وجل[12] ﴿وإنَّ منكم لمن لَيُبَطِّئَنَّ﴾ يعني: عبد الله بن أبي، كان[13]، يتخلف عن رسول الله ﷺ إذا خرج لغزو، والخطاب للمؤمنين وجعله منهم من حيث الظاهر[14] وهو حقن الدم والموارثة. و «التبطئة»: التأخر عن الأمر تقول العرب: ما بطأ بك عنا، أي: ما أخرك، يقال: بطوء بُطْأ وأبطأ إبطاء وبطًّأ تبطئة، بمعنى واحد[15]

قال مقاتل ﴿ليبطئن﴾ أي: ليتخلفن عن الجهاد [16] وقال الكلبي: ليتثاقلن[17] ﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ من القتل وجهد من العيش ﴿قال قد أنعم الله عليَّ﴾ بالقعود ﴿إذْ لم أكن معهم شهيداً﴾ أي: لم أحضر معهم فيصيبني ما أصابهم من البلاء والشدة.

---

(١) في (جـ، د) قوله تعالى وفي (هـ) قوله.

(٢) في (هـ) حذرهم.

(٣) انظر اللسان/ حذر، وفتح القدير ١/٤٨٦ عن الفراء والبحر ٣/٢٩٠.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في غير (جـ) (فانفروا).

(٦) في (أ) وخرجوا الحرب. وانظر اللسان/نفر، ومفردات الراغب/ نفر، والمصباح المنير/ نفر، وأصل نفر: التفرق.

(٧) في (د) الثبات هو.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ ومجاهد ١٦٥ والدر ٢/١٨٣ عن مجاهد والطبري ٨/٥٣٧ عن قتادة ومجاهد.

(٩) انظر تفسير الطبري ٨/٥٣٧ ـ ٥٣٨ عن ابن عباس والسدي والضحاك والفراء ١/٢٧٥ وابن كثير ١/٥٢٤ عن مقاتل وغيره والدر ٢/١٨٣ عن ابن عباس والسدي وفتح القدير ١/٤٨٧ عن ابن عباس.

(١٠) في (جـ) قوله وفي (د) قوله وانظروا.

(١١) «و» «أو» في (أو انفروا) للتخيير وقال ابن عباس: هذه الآية نسختها (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) ـ سورة التوبة/١٢٢ ـ (البحر٣/٢٩٠).

(١٢) في (جـ، هـ) وقوله وفي (د) قوله.

(١٣) في (جـ) وكان.

(١٤) في (هـ) ومن حيث. وانظر تفسير ابن عباس ٧٤ وابن كثير ١/٥٢٤ عن ابن جريج وابن جرير، والدر ٢/١٨٣ عن مقاتل بن حيان.

(١٥) انظر اللسان/ بطأ ومفردات الراغب /بطؤ، والمصباح/ أبطأ.

(١٦) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٢٤ والدر ٢/١٨٣ كلاهما عن مقاتل بن حيان.

(١٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ ، والزجاج ٢/٧٩.

- **﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾** فتح ونصر وغنيمة **﴿ليقولن﴾** هذا المنافق قول نادم حاسد **﴿يا ليتني كنت معهم﴾** لأسعد بمثل[١] ما سعدوا به من الغنيمة.

وقوله **﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾** متصل في النظم بقوله **﴿قد أنعم الله عليَّ إذ[٢] لم أكن معهم﴾** كأن لم تكن بينكم وبينه مودة.

قال ابن الأنباري [٣]: كأن لم يعاقدكم على الإسلام ولم يبايعكم على الصبر والثبات فيه على ما ساء وسر.

وقرىء (تكن) بالياء والتاء [٤] فالتأنيث على الأصل والتذكير يحسن إذا كان التأنيث غير حقيقي سيما إذا وقع فاصل بين الفعل والفاعل.

وقوله[٥]**﴿فأفوز فوزاً عظيماً﴾** قال مقاتل[٦]: آخذ نصيباً وافراً، وإنما قال هذا: حرصاً على الدنيا وميلاً إليها ولا رغبة في الثواب. ولما ذم الله تعالى المنافق بالاحتباس عن الجهاد، أمر المؤمنين بالقتال فقال سبحانه.

- **﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون[٧] الحيوة الدنيا بالآخرة﴾** أي: يبيعون يقال: شريت بمعنى بعت[٨].

والمعنى: أنهم يختارون الجنة على البقاء في الدنيا فيجاهدون طلباً للشهادة[٩] في سبيل الله. **﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل﴾** شهيداً **﴿أو يغلب﴾** فينظر[١٠] ويقتل هو، فكلاهما سواء في الثواب، وهو قوله **﴿فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾** قال ابن عباس: ثواباً لا صفة له[١١].

- قوله جل جلاله[١٢]**﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾** قال المفسرون: هذا حض من الله تعالى على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين من أيدي المشركين[١٣].

والمعنى: لا عذر لكم في ترك القتال في سبيل الله **﴿و﴾** في **﴿المستضعفين[١٤] من الرجال والنساء والولدان﴾**

---

(١) في (د) مثل. (٢) في (د) إذا.

(٣) انظر الزجاج ٢/٨٠ والبحر ٣/٢٩٣ عن ابن عطية ومقاتل، والقرطبي ٥/٢٧٦، والوجيز للواحدي ١/١٦٠ وابن كثير ١/٥٢٤ وفتح القدير ١/٤٨٦.

(٤) قرأ ابن كثير وحفص ـ بالتاء ـ لتأنيث المودة كقوله (ولا تقبل منها شفاعة) سورة البقرة/ ٤٨ ـ وقرأ الباقون ـ بالياء ـ وحجتهم: أن المودة والود: بمعنى واحد، كما أن الموعظة بمعنى الوعظ كقوله (فمن جاءه موعظه) ـ سورة البقرة/ ٢٧٥. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٨، والسبعة ٢٣٥، والنشر ٢/٥٠، والتبيان ١/٣٧٢ والحجة لابن خالويه ١٢٥).

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الدر ٢/١٨٣ عن مقاتل.

(٧) في (د،هـ) يشترون.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨/٥٤٢ عن السدي وابن زيد، والأخفش ١/٤٥٠ والدر ٢/١٨٣ عن السدي.

(٩) في (د) الشهادة.

(١٠) في (هـ) فليطفر.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ وعنده «ثواباً وافراً في الجنة»، والدر ٢/١٨٣ عن سعيد بن جبير، وفتح القدير ١/٤٨٧ عن ابن عباس.

(١٢) في غير (أ) قوله.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ وابن كثير ١/٥٢٥ والدر ١٨ ـ ١٨٤ عن مجاهد وابن عباس.

(١٤) (والمستضعفين) عطف على اسم الله، أي: وفي سبيل المستضعفين. (انظر التبيان ١/٣٧٣ وغريب القرآن ١٣٠ والمشكل ١/٢٠٣).

قال ابن عباس [١]: يريد: قوماً بمكة قد استضعفوا فحبسوا وعذبوا، قال: وكنت أنا وأمي من المستضعفين، ولم يكن لهم قوة يمتنعون بها من المشركين، ولم يقدروا أن يهاجروا إلى المدينة فكانوا يدعون الله ويقولون ﴿**ربنا أخرجنا**﴾ إلى المدينة دار الهجرة ﴿**من هذه القرية**﴾ يعني: مكة ﴿**الظالم أهلها**﴾ يريد: جعلوا لله شركاء.

قال الزجاج [٢] ﴿**الظالم أهلها**﴾: نعت للقرية. وإنما وحد ﴿**الظالم**﴾ لأنه صفة يقع موضع الفعل، يقال: مررت بالقرية الصالح أهلها، أي: التي صلح أهلها ﴿**واجعل لنا من لدنك ولياً**﴾ ول[٣] علينا رجلاً من المؤمنين يوالينا ويقوم بأمورنا ﴿**واجعل لنا من لدنك نصيراً**﴾ ينصرنا على عدونا ويمنعنا منهم.

فاستجاب الله دعاءهم، وولى عليهم رسول الله ﷺ ـ لما فتحت مكة ـ عَتاب بن أسيد فكان ينصف المظلوم من الظالم، والضعيف من الشديد.

ـ قوله عز وجل[٤] ﴿**الذين ءامنوا يقاتلون في سبيل الله**﴾ في نصرة دين الله وهو سبيله الذي يؤدي إلى ثوابه ورحمته ﴿**والذين كفروا**﴾ يعني: المشركين واليهود والنصارى ﴿**يقاتلون في سبيل الطاغوت**﴾ في طاعة الشيطان ﴿**فقاتلوا أولياء الشيطان**﴾ قال ابن عباس[٥]: يعني: عبدة الأصنام[٦] ﴿**إن كيد الشيطان**﴾ سعيه في إيقاع الضرر بالمؤمنين على جهة الاحتيال ﴿**كان ضعيفاً**﴾[٧] يعني: خذلانه إياهم يوم قتلوا ببدر.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾

ـ قوله عز وجل[٨] ﴿**ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم . .**﴾ الآية، نزلت الآية في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: عبد الرحمن بن عوف، والمقداد بن الأسود، وقدامة بن مظعون[٩]، وسعد بن أبي وقاص، كانوا يقولون

---

(١) انظر فتح الباري ٨/٢٠٥ والتبيان ١/٣٧٣ والمشكل ١/٢٠٣ والأخفش ١/٤٥٠).

(٢) انظر الزجاج ٢/٨٢ والتبيان ١/٣٧٣ والمشكل ١/٢٠٣ والأخفش ١/٤٥٠.

(٣) في (حـ) ولي.

(٤) في غير (أ) قوله.

(٥) انظر تفسير ابن عباس صـ ٣٦.

(٦) في (د) الأوثان.

(٧) في (هـ) يعني ضعيفاً.

(٨) في (حـ، هـ) قوله تعالى وفي (د) قوله.

(٩) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أبو عمرو وهو أخو عثمان بن مظعون وخال حفصة وعبد الله ابني عمر بن الخطاب وكان تحته صفية بنت الخطاب وهو من السابقين للإسلام هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وغيرها توفي سنة ٣٦ هـ (أسد الغابة٤/٣٩٤ ـ٣٩٦).

للنبي ﷺ أئذن لنا في قتال المشركين، فيقول لهم: كفوا أيديكم فإني لم أومر بقتالهم.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمروا بالقتال كرهه بعضهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١].

وقوله [٢] ﴿**كفوا أيديكم**﴾ قال ابن عباس: عن قتال عبدة الأصنام لأن الله تعالى لم يأمر بقتالهم[٣].

قال الزجاج[٤]: كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي ﷺ: لو أذنت لنا أن نقاتل المشركين، فأمروا بالكف وأداء ما افترض عليهم من غير القتال، وهو قوله ﴿**وأقيموا الصلوة واءتوا الزكوة فلما كتب**﴾ فرض ﴿**عليهم القتال إذا فريق منهم**[٥]﴾ يعني: جماعة منهم ﴿**يخشون الناس**﴾ المشركين ﴿**كخشية الله**﴾ كما يخشون [٦] الله ﴿**أو أشد خشية**﴾ قال الحسن[٧]: هذا كان منهم لما في طبع البشر من المخافة لا على كراهة[٨] أمر الله بالقتال.

﴿**وقالوا**﴾ جزعاً من الموت وحرصاً على الحياة ﴿[**لم كتبت علينا القتال**] **لولا أخرتنا إلى أجل قريب**﴾ أن: هلا[٩] تركتنا حتى نموت بأجالنا وعافيتنا من القتل؟ ﴿**قل**﴾ لهم يا محمد ﴿**متاع الدنيا قليل**[١٠]﴾ أي :ما تمتعون به من الدنيا وعيشها قليل ﴿**والآخرة خير**﴾ يعني: الجنة ﴿**لمن اتقى**﴾ الله ولم يشرك به شيئاً.

أخبرنا الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد الفارسي حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق حدثني محمد بن إسحاق بن خزيمة[١١]، قال: حدثنا عتبة بن عبد الله اليحمدي[١٢]، حدثنا ابن المبارك، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم[١٣] عن المستورد بن شداد الفهري[١٤] قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٧٤ والزجاج ٢/ ٨٣ والدر ٢/ ١٨٤ عن ابن عباس وقتادة وابن كثير ١/ ٥٢٥ ـ٥٢٦ والرازي ١٠/ ١٨٤ ـ١٨٥ وفتح القدير ١/ ٤٨٨ والطبري ٨/ ٥٤٩ ـ٥٥٠ عن ابن عباس وقتادة والسدي وأسباب النزول للواحدي ١٢٣ ـ ١٢٤ وللسيوطي ٨٣ والبحر ٣/ ٢٩٧ عن ابن عباس والمستدرك ـ كتاب الجهاد ٢/ ٦٦ ـ ٦٧ وفي كتاب التفسير ٢/ ٣٠٧ «صحيح على شرط البخاري» عن ابن عباس. هذا وقد ذكر ابن جرير عن مجاهد وابن عباس أن الآية في صنيع اليهود. عن ابن عباس (فلما كتبت عليهم القتال إذا فريق منهم) إلى قوله (لم كتبت علينا القتال): نهى الله تبارك وتعالى هذه الامة ان يصنعوا صنيعهم (تفسير الطبري ٨/ ٥٥٨ والبحر ٣/ ٢٩٧).

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر الدر ٢/ ١٨٤ عن ابن عباس وقتادة.

(٤) انظر الزجاج٢/ ٨٣.

(٥) في (جـ) إذا فريق منهم جماعة وفي (د) إذا فريق أي جماعة وفي (هـ) إذا فريق جماعة.

(٦) في (أ) يخشون من الله.

(٧) انظر تفسير القرطبي ٥/ ٢٨١ عن الحسن وغرائب النيسابوري ٥/ ١٠٢ والوجيز للواحدي ١/ ١٦١ «قرأ الحسن (قل متاع الدنيا قليل) قال: رحم الله عبداً صحبها على حسب ذلك وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم استيقظ (تفسير ابن كثير ١/ ٥٢٦).

(٨) في (هـ) كراهته.

(٩) في (خـ) هل لا تركتنا نموت.

(١٠) ساقطه من(حـ).

(١١) الحافظ الكبير إمام الأئمة شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ولد سنة ٢٢٣ هـ وعني بهذا الشأن في الحداثة سمع من عتبة بن عبد الله اليحمدي المروزي والطبقة فأكثر وجود وصنف واشتهر اسمه وانتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان توفي سنة ٣١١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ ـ٧٣٠).

(١٢) عتبة بن عبد الله اليحمدي الأزدي خزيمة أبو عبد الله المروزي روى عن مالك وابن المبارك وابن عيينة وغيرهم وعنه النسائي والترمذي وابن خزيمة وغيرهم قال النسائي: ثقة وقال في موضع آخر: لا بأس به توفي سنة ٢٤٤ هـ (التهذيب ٧/ ٩٧ ـ٩٨).

(١٣) قيس بن أبي خازم عوف بن الحارث الأحمسي البجلي تابعي جليل أدرك الجاهلية ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه فقبض وهو في الطريق سكن الكوفة وروى عن الأصحاب العشرة وهو أجود الناس إسناداً توفي سنة ٨٤ هـ. (الأعلام ٦/ ٥٨ تاريخ بغداد ١٢/ ٤٥٢ ـ٤٥٥، والجمع ٢/ ٤١٧ ـ٤١٨).

(١٤) المستورد بن شداد بن عمرو بن حنبل بن الأحنف بن حبيب بن عمرو بن سفيان بن محارب بن دثار القرشي الفهري الحجازي له ولأبيه صحبة روى عن النبي ﷺ وعن أبيه وعنه قيس بن أبي حازم وغيره توفي بمصر سنة ٤٥ هـ (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٦ ـ١٠٧)

يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم[١] فلينظر بم يرجع»[٢]

وقوله ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ قال ابن عباس: لا ينقصون[٣] من ثواب أعمالهم فتيل النواة[٤]. ثم أعلمهم أن آجالهم لا تخطئهم ولو تحصنوا[٥] بأمنع الحصون فقال:

-﴿أينما[٦] تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي: في حصون وقصور مطولة رفيعة[٧]، وقال السدي وقتادة[٨]: يعني بروج السماء الأثني [٩] عشر، يقال: شاد بناءه وأشاده وشيده، إذا رفعه.

وقوله [١٠] ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ إلى قوله ﴿من عندك﴾ هذا من قول اليهود والمنافقين عند مقدم النبي ﷺ المدينة، وكان قد بسط عليهم الرزق، فلما كفروا أمسك عنهم بعض الإمساك، فقالوا: ما رأينا أعظم شؤماً[١١] من هذا، نقصت ثمارنا وغلت أسعارنا، منذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه[١٢] فذلك قوله ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ يعني الخصب ورخص الأسعار ﴿يقولوا هذه [١٣] من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ [١٤] جدب وغلاء الأسعار قالوا هذه﴿من عندك﴾ من شؤم محمد[١٥] ﴿قل كل من عند الله﴾.

قال ابن عباس[١٦]: أما الحسنة فأنعم الله بها[١٧] عليك وأما السيئة فابتلاك بها﴿فمال هؤلاء[١٨] القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ لا يفهمون القرآن وتأويله فيؤمنوا ويعلمون أن الحسنة والسيئة من عند الله.

- قوله عز وجل [١٩] ﴿ما أصابك من حسنة[٢٠]﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء[٢١]: ما أصابك من حسنة يوم بدر من النصر والغنيمة ﴿فمن الله وما أصابك من سيئة﴾ يوم أحد من القتل والهزيمة ﴿فمن نفسك﴾ فبذنبك.

---

(١) اليم: البحر (حاشية (أ) .

(٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الجنة وصفة نعيمها ـ باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ٢/٥٤٠. والترمذي ـ كتاب الزهد ـ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ـ رقم ٢٤٢٥ (٣/٣٨٤) ومسند أحمد ٤/٢٢٨ ـ٢٢٩ والطبراني في الصغير ١/١٩٨ ـ وفي الكبير ٢٠/٣٠١ ـ كلهم من حديث المستورد.

(٣) في (د) مؤمن.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٥.

(٥) في (هـ) تمنعوا.

(٦) في (جـ،د) أين ما.

(٧) انظر غريب القرآن ٢/١٣٢، ومجاز القرآن ٢/١٣٢، والفراء ١/٢٧٧ وغريب الحديث ٢/٧٣ واللسان/ شيد.

(٨) انظر الدر ٢/١٨٤ عن السدي وأبي العالية وسفيان، وابن كثير ١/٥٢٦ عن السدي «وضعفه»، والقرطبي ٥/٢٨٣ عن السدي «قال ابن عطية: وهذا لا يعطيه ظاهر اللفظ»، والبغوي ٥/١٠٦ عن عطاء عن ابن عباس وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٦١ عن مالك.

(٩) في (هـ) الاثنا.

(١٠) في (د) قوله.

(١١) في (حـ) شر.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٨٤ والفراء ١/٢٧٨ وتفسير ابن عباس ٧٥ وغرائب النيسابوري ٥/١٠٤.

(١٣) في (هـ) هذا.

(١٤) في (د) أي جدب.

(١٥) انظر غريب القرآن ١٣٠.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٨/٥٥٧ والدر ٢/١٨٥ كلاهما عن ابن عباس.

(١٧) في (د) به.

(١٨) في (أ، د، هـ) فما لهؤلاء قال الفراء « (فمال) كثرت في الكلام حتى توهموا اللام متصلة ب (ما) وأنها حرف في بعضه، ولاتصال القراءة لا يجوز الوقف على اللام، لأنها خافضة» (معاني الفراء ١/٢٧٨).

(١٩) في غير (أ) قوله.

(٢٠) في (د) فمن الله.

(٢١) انظر تفسير الطبرى ٨/٥٥٨ عن ابن عباس والدر ٢/١٨٥ عن ابن عباس وابن زيد.

قال: وهذا مخاطبة من الله[١] تعالى للنبي ﷺ والمراد به أصحابه والنبي من ذلك[٢] بريء. قال الزجاج[٣]: هذا خطاب للنبي ﷺ يراد[٤] به الخلق ومخاطبة النبي ﷺ تكون للناس جميعاً، لأنه ﷺ لسانهم[٥].

ومعنى ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ أي: ما أصبتم من غنيمة أو أتاكم من خصب فمن تفضل الله عليك[٦] ﴿وما أصابك من سيئة﴾ أي: من جدب وهزيمة في حرب[٧] ﴿فمن نفسك﴾ أي: أصابكم ذلك بما كسبت أيديكم[٨].

وقال قتادة[٩] ﴿فمن نفسك﴾ عقوبة لذنبك يا ابن آدم، وكذلك قال الحسن والسدي وابن جريج والضحاك ﴿فمن نفسك﴾ فبذنبك، وهذا كقوله ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم[١٠]﴾ والحسنة تكون بمعنى الخصب والسيئة[١١]: بمعنى الجدب، قال الله تعالى ﴿وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾[١٢] يعني: الخصب والجدب.

ولا تعلق للقدرية بهذه الآية، لأن الحسنة والسيئة المذكورتين[١٣] ها هنا لا ترجعان إلى الطاعة والمعصية واكتساب العباد بحال، لأن الحسنة التي يراد بها الخير والطاعة لا يقال فيها: أصابتني، إنما يقال: أصبتها وليس في كلام العرب أصابت فلاناً حسنة، على معنى عمل خيراً، وكذلك أصابته سيئة، على معنى عمل معصية، غير موجود في كلامهم، إنما يقولون: أصاب سيئة إذا عملها واكتسبها.

قوله[١٤] ﴿وأرسلناك للناس رسولاً﴾ قال ابن عباس[١٥]: يريد أنك قد بلغت رسالاتي ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ على ما بلغت [من رسالات ربك][١٦].

ـ قوله جل جلاله[١٧] ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ قال ابن عباس[١٨]: يريد إن طاعتكم لمحمد ﷺ طاعة لله. وقال الحسن: جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين[١٩].

وذكر الشافعي ـ في الرسالة ـ في باب فرض طاعة الرسول ـ هذه الآية وقال: إن كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة والزكاة، لولا بيان رسول الله ﷺ ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كيف[٢٠] يمكننا أداء شيء من العبادات[٢١]

---

(١) في (هـ) وهذا من الله مخاطبة.

(٢) في (د) والذي برى من ذلك برى.

(٣) في (حـ، هـ) قال أبو إسحاق. وفي (د) قال أبو إسحاق الزجاج

(٤) في (حـ) ويراد.

(٥) انظر الزجاج ٢/٨٤ وغريب القرآن ١٣١ وابن كثير ١/٥٢٨.

(٦) في غير (أ) عليكم.

(٧) في (د) من حرب، وفي (هـ) في هرب.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٥ والزجاج ٢/٨٤ والبيان ١/٢٦١.

(٩) انظر تفسير الطبري ٨/٥٥٨ عن قتادة وابن كثير ١/٥٢٨ عن قتادة والحسن والسدي وابن جريج والزجاج ٢/٨٤ والدر ٢/١٨٥ عن قتادة وابن عباس وابن زيد.

(١٠) سورة الشورى/٣٠.

(١١) في (د) تكون بمعنى.

(١٢) سورة الأعراف/٦٨.

(١٣) في (هـ) المذكورين.

(١٤) من (جـ، د).

(١٥) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٥.

(١٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٧) في (جـ، د) قوله وفي (هـ) وقوله.

(١٨) انظر تفسير الطبري ٨/٥٦١.

(١٩) انظر تفسير الخازن ١/٥٦٣ عن الحسن.

(٢٠) في (جـ، هـ) ولا كان، وفي (د) ولا يمكننا.

(٢١) في (هـ) العباداة.

وإذا كـان الرسول ﷺ من الشريعة بهذه المنزلة، كانت طاعته على الحقيقة طاعة لله عز وجل [١].

وأخبرنا الأمام أبو طاهر الزيـادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد [٢]،أخبرنا إبراهيم بن عبد الله العبسي [٣]، أخبرنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع الإمام فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى الإمام فقد عصاني»[٤].

وقوله [٥] ﴿ومن تولى﴾ قال ابن عباس ومقاتل [٦]: أعرض عن طاعتك [٧] يا محمد ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ حافظاً من التولي والإعراض [٨]. ثم أمر بعد ذلك بالجهاد والإكراه على الدين بالسيف.

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

- قوله عز وجل[٩] ﴿ويقولون طاعة﴾ يعني: المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ: طاعة لأمرك[١٠]، قال مقاتل[١١] كـانوا إذا دخـلوا على النبي ﷺ قالوا: مرنا بما شئت فأمرك طاعة[وقال النحويون [١٢]: معناه أمرنا طاعة] [١٣] أي: أمرنا وشأننا أن نطيعك.

﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا [١٤] ﴿من عندك بيَّتَ طائفة منهم﴾ قال الزجاج [١٥] كل أمر فكر فيه بليل فقد بيت، ومنه

---

(١) ذكره الخازن في تفسيره/١/٥٦٣ عن الشافعي والرازي ١٠/١٩٣ ـ١٩٤ عن الشافعي.

(٢) في (هـ) أبو بكر بن محمد وهو الإمام الزاهد المعمر أبو بكر محمد بن عمر بن حفص النيسابوري السمسار العابد سمع منه أبو طاهر الزيادي وأبو إسحاق المزكي وطائفة أثنى عليه الحاكم وقال توفي سنة ٣٥هـ وله ٩٢ سنة (سير الأعلام ١٥/٣٧٦).

(٣) إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي الكوفي القصار المسند خاتمة أصحاب وكيع توفي سنة ٢٧٩ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/٦٣٥). و «العبسي» بعين مهملة وباء موحدة ساكنة وسين مهملة (عمدة القوي والضعيف ٩)

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به (٢/١٦٣) وفي كتاب الأحكام ـ الحديث الأول قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٤/٢٣٣). ومسلم في الصحيح ـ كتاب الامارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٢/١٢٩) وابن ماجة في السنن ـ كتاب الجهاد ـ باب طاعة الإمام ـ رقم ٢٨٥٩ (٢/٩٥٤). وشرح السنة للبغوي «بلفظه وسنده» وقال «حديث متفق على صحته» (١١٠/٤٠ ـ ٤١) وكذا أحمد في المسند ٢/٤٧١ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ص ٧٥.

(٧) في (جـ، د) طاعة محمد ﷺ.

(٨) في (د) الإعراض والتولي.

(٩) في غير (أ) قوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٧٥ والطبري ٨/٥٦٢، وابن كثير ١/٥٢٩، والدر ٢/١٨٥ ـ ١٨٦ عن ابن عباس والسدي.

(١١) انظر البحر ٣/٣٠٤ وفتح القدير ١/٤٩٠ كلاهما عن ابن عباس، والبغوي ١/٥٦٣ والرازى ١٠/١٩٤.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٨٥ والتبيان ١/٣٧٥ والفراء ١/١٧٨ والأخفش ١/٤٥١ والمشكل ١/٢٠٤ والبغوي ١/٥٦٣عن النحويين،والبيان ١/٢٦١.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(١٤) ليست في (د).

(١٥) انظر الزجاج ٢/٨٦، والرازي ١٠/١٩٥ عن الزجاج ومجاز القرآن ١/١٣٢ ـ ١٣٣.

قوله ﴿إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ [١] وقال ابن عباس: يريد ما أضمر في قلوبهم غير ما يقولون [٢].

وقال ابن قتيبة [٣]: ﴿ويقولون طاعة﴾ بحضرتك (فإذا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي يقول) أي: قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوه نهاراً.

﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يحفظ عليهم ليجازوا به[٤]. ﴿فأعرض عنهم﴾ قال ابن عباس [٥]: فاصفح عنهم وذلك أن الله تعالى نهى عن قتل المنافقين ﴿وتوكل على الله﴾ [٦] إعتمد بأمرك عليه ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ معتمداً وملجأ.

- قوله جل جلاله [٧] ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يعني: المنافقين، ومعنى [٨] «تدبرت الشيء»: نظرت في عاقبته يقول: أفلا يتأملون القرآن ويتفكرون فيه؟ ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ قال ابن عباس[٩]: لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب وباطل واختلاف [١٠].

وقال الزجاج [١١]: لولا أنه من عند الله لكان ما فيه من الأخبار عن الغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفاً، بعضه حق وبعضه باطل لأن الغيب لا يعلمه إلا الله.

وقال أهل المعاني [١٢]: ﴿لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ أي: لو كان من عند مخلوق لكان على قياس كلام العباد، بعضه بليغ حسن وبعضه مرذول فاسد، فلما كان جميع القرآن بليغاً ولم يختلف، عرف أنه من عند الله، وليس - بحمد الله - في القرآن اختلاف تناقض، ولا اختلاف تفاوت.

فأما اختلاف القراءات، واختلاف مقادير الآيات والسور، واختلاف الأحكام في الناسخ والمنسوخ فكل حسن وحق، وليس ذلك اختلافاً يؤدي إلى فساد وتناقض»[١٣].

---

(١) سورة النساء/ ١٠٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ٨/٥٦٥ وفتح القدير ١/٤٩٠ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) انظر غريب القرآن ١٣١، والبغوي ١/٥٦٣ عن ابن قتيبة وأبي عبيدة.

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر الوجيز للواحدي ١/١٦٣ «وصفح عنه يصفح صفحاً: أعرض عن ذنبه» (اللسان/ صفح).

(٦) في (جـ، د) أي اعتمد.

(٧) في غير (أ) قوله.

(٨) ساقطه من (أ).

(٩) انظر تفسير الخازن ١/٥٦٤، والبغوي ١/٥٦٤ كلاهما عن ابن عباس، وفتح القدير ١/٤٩١ عن قتادة.

(١٠) في غير (أ) كذب واختلاف وباطل.

(١١) انظر الزجاج ٢/٨٧.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٨/٥٦٧ عن قتادة وابن زيد، والرازي ١٠/١٩٧ والبغوي ١/٥٦٤ والخازن ١/٥٦٤، وغرائب النيسابوري ٥/١١٣ وفتح القدير ١/٤٩١.

(١٣) اختلاف التناقض: ما ضاده من كل جهة، ولا يوجد في الكتاب والسنة شيء من ذلك أبداً... قال القاضي أبو بكر: لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما يوجبه العقل.. وقال الكرماني: الاختلاف على وجهين: اختلاف تناقض: وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن. واختلاف تلازم: وهو ما يوافق الجانبين، وكاختلاف وجوه القراءات واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام.. (انظر الإتقان ٢/٣٠ - ٣١). «قال ابن زيد: إن القرآن لا يكذب بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً ما جهل الناس من أمره فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم وقرأ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً). قال: فحق على المؤمن أن يقول: كل من عند الله، يؤمن بالمتشابه، ولا يضرب بعضه ببعض، إذا جهل أمراً ولم يعرفه أن يقول: الذي قال الله حق، ويعرف أن الله لم يقل قولاً وينقضه، ينبغي أن يؤمن بحقيقة ما جاء من الله». (انظر الدر ٢/١٨٦، والطبري ٨/٥٦٧).

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾

- قوله جل جلاله [١] ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف**. . .[٢]﴾ الآية، نزلت في قوم كانوا يرجفون بسرايا رسول الله ﷺ ويخبرون بما وقع بها[٣] من هزيمة، وبما أدركت من غنيمة قبل أن يخبر بها النبي ﷺ [٤] فيضعفون قلوب المؤمنين ويؤذون النبي ﷺ بسبقهم إياه بالأخبار، فأنزل الله تعالى ﴿**وإذا جاءهم**﴾ يعني المنافقين وأصحاب الأراجيف ﴿**أمر من الأمن**﴾ حديث فيه أمن ﴿**أو الخوف**[٥]﴾ يعني الهزيمة ﴿**أذاعوا به**﴾ أفشوه وأظهروه [٦]، ولو سكتوا عنه حتى يكون الرسول هو الذي يفشيه وأولو [٧] الأمر مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﴿**لعلمه الذين يستنبطونه** [٨]﴾ يتبعونه [٩] ويطلبون علم ذلك ﴿**منهم**﴾.

ومعنى «الاستنباط» في اللغة: الاستخراج [١٠].

وقوله [١١] ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ قال ابن عباس ﴿**فضل الله**﴾: الإسلام ﴿**ورحمته**﴾: القرآن[١٢]. ﴿**لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً**﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: تم الكلام عند قوله ﴿**لاتبعتم الشيطان**﴾ ثم استثنى «القليل» من قوله ﴿**أذاعوا به**﴾ أي: أذاعوا به إلا قليلاً، يعني بـ «القليل» المؤمنين.

وهذا القول اختيار الكسائي [١٣] والفراء[١٤].

قال في رواية عطاء: ﴿**لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً**﴾ ممن عصم الله [١٥].

---

(١) في (حـ) وقول، وفي (د،هـ) قوله.

(٢) في (أ) أمر من الأمن الآية، وفي (د) أو الخوف نزلت.

(٣) في (د) بما وقع وبما.

(٤) في غير (أ) رسول الله ﷺ. وانظر في سبب النزول: تفسير الطبري ٨/٥٦٨ - ٥٧٠ عن السدي وابن جريج، والفراء ٢٧٩، والدر ٢/١٨٦ عن ابن جريج وابن عباس وفتح القدير ١/٤٩١ - ٤٩٢ عن ابن عباس والوجيز للواحدي ١/١٦٣.

(٥) في جميع النسخ: أو خوف.

(٦) انظر مجاز القرآن ١/٣٣ والفراء ١/٢٧٩.

(٧) في (حـ) أو أولي.

(٨) في (د) منكم.

(٩) في (حـ) فيتبعونه، وفي (هـ) يتطبعونه.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٣٢، ومجاز القرآن ١/١٣٤ والزاهر ١/٢٩١ والطبري ٨/٥٧١ وفتح الباري ٨/٢٠٧.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) انظر البحر ١/٢٤٤ عن أبي العالية والبغوي ١/٥٦٥ والوجيز للواحدي ١/١٦٣.

(١٣) في (جـ، د) الكلبي.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ والطبري ٨/٥٧٥ والدر ٢/١٨٧ وابن كثير ١/٥٣٠ كلها عن ابن عباس والبحر ٣/٣٠٨ عن ابن عباس وابن زيد والكسائي والفراء وغيرهم، وفتح القدير ١/٤٩١ - ٤٩٢ - عن ابن عباس - والكسائي والفراء والأخفش وأبي عبيدة وابن جرير، والفراء ١/٢٧٩ - ٢٨٠ والأخفش ١/٤٥١، والزجاج ٢/٨٩، والتبيان ١/٣٧٦، والمشكل ١١/٢٠٤ والبيان ١/٢٦٢ وغرائب النيسابوري ٥/١١٦ عن الفراء والمبرد، والخازن ١/٥٦٥ عن ابن عباس والفراء والطبري، والبغوي ١/٥٦٥ عن الكلبي والفراء.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٨/٥٧٦ - ٥٧٧ عن الضحاك وغيره، والبيان ١/٢٦٢، والتبيان ١/٣٧٦.

قال ابن الأنباري [١]: وهم الذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان [٢] والاشراك بالله بغير رسول الله ولا كتاب، مثل: زيد بن عمرو بن نفيل [٣]، وورقة بن نوفل، والبراء الشني [٤] وأبي ذر الغفاري، وطلاب الدين.

فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

وقوله عز وجل[٥] ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ أمر الله نبيه عليه السلام بالجهاد، ولو كان وحده لأنه قد ضمن له النصر[٦].

ومعنى، ﴿لا تكلف إلا نفسك﴾ لا ضرر عليك في فعل غيرك، ولا تهتم بتخلف من يتخلف عن الجهاد فعليهم ضرر ذلك.

﴿وحرض المؤمنين﴾ حضهم [٧] على القتال ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾. «عسى» معناها الإطماع والإطماع من الله واجب، لأن إطماع الكريم إيجاب[٨].

و «البأس»: الشدة في كل شيء، ومعنى ﴿بأس الذين كفروا﴾: شدة حربهم، وقد أنجز الله وعده بكف بأس هؤلاء الذين ذكرهم الله [٩].

﴿والله أشد بأساً﴾ أشد[١٠] عذاباً، «والعذاب» يسمى بأساً لما فيها من الشدة، ومنه قوله ﴿فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾[١١] ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾[١٢].

﴿وأشد تنكيلاً﴾ يقال: نكلت بفلان [١٣]، إذا عاقبته عقوبة تنكل غيره عن ارتكاب مثله، أي تجنبه[١٤].
وقال الحسن وقتادة: ﴿أشد تنكيلاً﴾ عقوبة[١٥].

مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) انظر غرائب النيسابوري ١١٦/٥ والبحر ٣٠٧/٣ والبغوي ٥٦٥/١ والخازن ٥٦٥/١ والرازي ٢٠٢/١٠ والقرطبي ٢٩٢/٥.
(٢) في (هـ) أوثان، وفي (أ) والأشتراك.
(٣) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن كعب بن لؤي القرشي العدوي وكان الخطاب والد عمر عمه وأخاه لأمه وكان زيد قد ترك عبادة الأوثان وفارق دينهم وكان لايأكل إلا ما ذبح على اسم الله وحده وكان على دين إبراهيم. توفي سنة١٧ قبل الهجرة. (الأعلام ١٠٠/٣، والبداية والنهاية ٢٣٧/٢).
(٤) لم أقف عليه.
(٥) في (جـ، د) قوله تعالى، وفي (هـ) قوله.
(٦) في (د. هـ) النصرة.
(٧) في (جـ، د) وحضضهم، وانظر المعنى في مجاز القرآن ١٣٤/١١.
(٨) انظر مجاز القرآن ١٣٤/١ وغرائب النيسابوري ١١٧/٥.
(٩) ليست في (د).
(١٠) ساقطه من (حـ).
(١١) في (د) (.. من بأس الله)، سورة غافر/ ٢٩.
(١٢) سورة الأنبياء/ ١٢.
(١٣) في (د) فلان.
(١٤) انظر اللسان/ نكلى، ومفردات الراغب/ نكلى.
(١٥) وهو قول ابن عباس في تفسيره صـ ٧٦، والبحر ٣٠٩/٣ عن الحسن وقتادة، والطبري ٥٨٠/٨، والدر ١٨٧/٢ كلاهما عن قتادة.

﴿كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ۝٨٥ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾

ـ قوله جل جلاله[1] ﴿من يشفع شفاعةً حسنةً﴾ قال الكلبي[2]: يصلح بين اثنين ﴿يكن له [نصيب﴾ أي][3] أجر ﴿منها ومن يشفع شفاعةً سيئةً﴾ يمشي بالنميمة ﴿يكن له [كفل]﴾ إثم ﴿منها﴾.

وقال[4] مجاهد: شفاعة حسنة وشفاعة سيئة: شفاعة الناس بعضهم لبعض[5].

قال الحسن[6]: ما يجوز في الدين أن يشفع فيه فهو شفاعة حسنة، وما لا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعة سيئة. قال: ومن يشفع شفاعةً حسنةً كان له فيها أجر وإن لم يشفع، لأن الله تعالى قال ﴿من يشفع﴾ ولم يقل: من يشفَّع.

ويؤيد هذا قول النبي[7] ﷺ: «اشفعوا تؤجروا»[8].

أخبرنا أبو صادق محمد بن أحمد بن شاذان الصيدلاني[9]، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي[10]، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، أخبرنا حفص بن عمر[11]، حدثني ابن جريج، عن عطاء، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه، ومن أعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع»[12]

وأما الكفل فقال أبو عبيدة والفراء وجميع أهل اللغة: الكفل الحظ والنصيب، وهو قول مجاهد والسدي، والربيع وابن زيد.

وقوله[13] ﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ قال الفراء وابن قتيبة: المقيت: المقتدر يقال: أقات على الشيء إذا قدر عليه

---

(١) في غير (أ) قوله تعالى.

(٢) قاله ابن عباس في تفسيره ٧٦، والبحر ٣٠٩/٣ عن مقاتل والكلبي وغرائب النيسابوري ١١٨/٥ ـ ١١٩ عن الحسن ومجاهد والكلبي وابن زيد.

(٣) ما بين المعقوفين من (د).

(٤) في (د) قال.

(٥) انظر تفسير مجاهد ١٦٧ والطبري ٥٨١/٨ وابن كثير ٥٣١/١ والدر ١٨٧/٢ وفتح القدير ٤٩٣/١ ـ ٤٩٤ كلها عن مجاهد.

(٦) انظر تفسير الطبرى ٥٨١/٨ ـ ٥٨٢ والدر ١٨٧/٢ كلاهما عن الحسن.

(٧) في غير (أ) قوله.

(٨) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب بدء الخلق ـ باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (٢٤٩/١). ومسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٤٤٦/٢) كلاهما من حديث أبي موسى.

(٩) في (هـ) أخبرنا أحمد بن شاذان الصيدلاني وفي باقي النسخ أحمد بن محمد. وقد سبق تحت اسم: محمد بن أحمد. .

(١٠) في (د) محمد بن يعقوب ـ في رواية ـ المعقلي.

(١١) حفص بن عمر بن أبي القاسم الحبطي الرملي نزل بغداد وحدث عن عبد الملك بن جريج وغيره وعنه محمد بن إسحاق الصاغاني وغيره ـ ثم روى الخطيب بسنده هذه الحديث قال ابن معين: ليس بشيء وقال علي بن الحسن بن حبان وجدت في كتاب أبي: لم يكن بثقة ولا مأمون أحاديثه أحاديث كذب (تاريخ بغداد ٢٠٠/٨ ـ ٢٠١)

(١٢) الحديث: رواه أبو داود ـ كتاب الأقضية ـ باب فيمن يعين على خصومه من غير أن يعلم أمرها ـ رقم ٣٥٩٧، ٣٥٩٨ (٣٠٥/٣). ومجمع الزوائد ـ كتاب الأحكام ـ باب في الشهود «رواه الطبراني في الأوسط وفيه رجاء السقطي ضعفه ابن معين ووثقه ابن حبان» ٢٠١/٤ وفي باب فيمن أعان في خصومة.

(١٣) في (حـ) قوله وفي (د، هـ) قوله تعالى.

وهو قول السدي ،وابن زيد واختيار الكسائي . وقال آخرون : المقيت الحافظ وهو قول ابن عباس وقتادة واختيار الزجاج قال: معنى المقيت الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ ، وقال مجاهد (المقيت) الشهيد.

قوله جل جلاله ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ التحية :السلام يقال :حيا يحيي[١] تحية إذا سلم : قال ابن عباس : ﴿وإذا حييتم بتحية﴾ يريد السلام ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ وهو الزيادة على التحية إذا كان المسلم من أهل الإسلام،[٢] يريد ورحمة الله وبركاته، وإذا كان من غير أهل دين الإسلام يقول وعليكم، لا يزيد على ذلك وهو قوله : ﴿أو ردوها﴾ قال الضحاك : إذا قال : السلام عليكم فقلت وعليكم [السلام][٣] ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حييته بأحسن منها وهنا منتهى السلام[٤].

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر أباذي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي أخبرني الحسن بن سفيان حدثنا عبدالله بن عمر[٥] الحفص حدثنا أبو أسامة حدثني موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد[٦]، عن أبي أمامة، عن مالك بن التيهان[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة»[٨].

قوله[٩] ﴿إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ قال ابن عباس[١٠] مجازياً، وقال الزجاج[١١]: أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

---

(١) في غير (د) حيي.

(٢) في (د) يعني، وانظر تفسير ابن عباس صـ ٧٦ والزجاج ٢/٩٢ والفراء ١/٢٨٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ).

(٤) انظر تفسير الطبرى ٨/٥٨٦ عن السدي وابن جريج والنخعي والدر ٢/١٨٨ عن الحسن والرازي ١٠/٢١٢

(٥) عبد الله بن عمر بن محمد بن أبان الأموي أبو عبد الرحمن الجعفي قال أبو حاتم صدوق وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٣٨هـ. (كتاب الجمع ١/٢٦٩، تهذيب التهذيب ٥/٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٦) أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس بن جابر الأنصاري روى عن أبيه وعبد الله بن رافع مولى أم سلمة وجابر بن زيد الجهني وعنه إسماعيل بن أبي أمية وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبي حبيب ذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ١/٤٠١).

(٧) مالك بن التيهان بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الأنصاري أبو الهيثم حليف بني عبد الأشهل، كان يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة ، وكانا من أول من أسلم من الأنصار بمكة من الستة وفي أهل العقبة الأولى الاثني عشر وفي السبعين توفي سنة ٢٠ هـ. (سير الأعلام ١/١٨٩ ـ ١٩٠).

(٨) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ٦/٩٢ «عن أبي أمامة عن أبيه وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف،» ١٩/٢٥٩ «عن أبي أمامة عن مالك بن التيهان». ومجمع الزوائد ـ كتاب الأدب ـ باب أجر السلام. «رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف» ٨/٣١ وانظر العلل المتناهية لابن الجوزي ٢/٧١٩ قال المؤلف: «هذا حديث لا يثبت ، قال أحمد: لا يحل عندي الرواية عن موسى بن عبيدة، وقال يحيى: ليس بشيء».

(٩) في (جـ،هـ) وقوله

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٧٦.

(١١) انظر الزجاج ٢/٩٣.

سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

ـ قوله عز وجل [1] ﴿**الله لا إله إلا هو ليجمعنكم**﴾هذه «لام» القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم في الموت أو في القبور ﴿ **إلى يوم القيامة** ﴾ سميت «القيامة» لأن الناس يقومون من قبورهم. ﴿**ومن أصدق من الله حديثاً**﴾ قال ابن عباس [2] : يريد موعداً لا خلف لوعده، وقال مقاتل [3] : لا أحد أصدق من الله في أمر البعث.

ـ قوله جل جلاله [4] ﴿**فما لكم في المنافقين فئتين**﴾ نزلت في قوم قدموا المدينة يزعمون أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، واستأذنوا رسول الله ﷺ أن يرجعوا إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها، فاختلف المسلمون فيهم، فقائل: يقول: هم منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون [5]، فبين الله تعالى نفاقهم [6].

ومعنى الآية: فما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين ﴿**والله أركسهم بما كسبوا**﴾ أي: ردهم إلى الكفر. يقال: ركست الشيء وأركسته [7] : لغتان إذا رددته وقلبت آخره على أوله[8].

قال الزجاج [9] : تأويل ﴿**أركسهم** ﴾ نكسهم وردهم إلى حكم الكفار من الذلّ والصغار والسبي والقتل ﴿**بما كسبوا**﴾ بما أظهروا من الارتداد.

وقوله [10] ﴿**أتريدون أن تهدوا من أضل الله**﴾ قال ابن عباس: ترشدوا من لم يرشده [11]الله، أي: أتقولون: هؤلاء مهتدون والله قد أضلهم ﴿**ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً**﴾ طريقاً إلى الجنة.

ـ قوله جل جلاله[12]﴿**ودوا لو تكفرون كما كفروا**﴾ أي :أنهم يودون لكم الكفر كما فعلوا هم فتكونون أنتم وهو

---

(١) في غير (أ) قوله.
المصدر السابق ٢/٩٣، واللسان/ قوم، والرازي ١٠/٢١٧ عن الزجاج.
(٢) تفسير الطبري ٨/٥٩٣ والخازن ١/٥٦٩ والوجيز للواحدي ١/١٦٤.
(٣) تفسير الطبري ٨/٥٩٣.
(٤) في (حـ) وقوله (د، هـ) قوله.
(٥) في (د) مؤمنين.
(٦) انظر نفسير ابن عباس ٧٦ ومجاهد ١٦٨ والزجاج ٢/٩٣ ـ ٩٤ بنحوه وفتح الباري، ٨/٢٠٦ والفتح الرباني ١٨/١١٥ والدر ٢/١٩٠ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، والطبري ٩/٩ ـ ١٠ عن مجاهد ـ والترمذي ٤/٣٠٦ عن زيد بن ثابت، ومسند أحمد ٥/١٨٤، ١٨٧، ١٨٨ وأسباب النزول للواحدي ١٢٥، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٦٨ ـ ٤٦٩ عن مجاهد وابن عباس.
(٧) في (د) أركسه.
(٨) انظر الفراء ١/٢٨١ وفتح القدير ١/٤٩٥ عن الفراء والنضر بن شميل والكسائي، واللسان/ ركس.
(٩) انظر الزجاج ٢/٩٤ وغريب القرآن ١٣٣ ومجاز القرآن ١/١٣٦ والدر ٢/١٩١ عن ابن عباس.
(١٠) في (د) قوله.
(١١) من لم يرشد.
(١٢) في (ج، هـ) وقوله، وفي (د) قوله.

سواء في الكفر ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أي: لا [١] توالوهم فإنهم أعداء لكم ﴿حتى يهاجروا [٢] في سبيل الله﴾ حتى يرجعوا إلى النبي ﷺ ودار الهجرة ثانياً.

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الهجرة وقبول حكم الإسلام ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ قال ابن عباس [٣]: ولا تستنصروا بهم على عدوكم.

ـ قوله عز وجل [٤] ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم. .﴾ الآية، هذا الاستثناء راجع إلى القتل، لا إلى الموالاة[٥] لأن موالاة [٦] المشركين والمنافقين حرام بكل حال.

ومعنى ﴿يصلون إلى قوم﴾ يتصلون بهم، ويدخلون فيما بينهم بالحلف والجوار قال ابن عباس: يريد: يلجأون إلى قوم ﴿بينكم وبينهم ميثاق﴾ وهم: بنو مدلج [٧] في قول الحسن [٨]. وقال الضحاك [٩]: بنو بكر بن زيد مناة، وقال مقاتل: هم خزاعة وجذيمة بن عبد مناف [١٠].

وقوله [١١] ﴿أو جاءوكم حصرت صدورهم﴾ معنى «حصرت»[١٢]: ضاقت، وكل من ضاق صدره بأمر فقد حصر. وهؤلاء الذين وصفوا بضيق الصدر عن القتال هم بنو مدلج، كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد أن لا يقاتلوه[١٣] فنهى الله تعالى عن قتال هؤلاء المرتدين إن اتصلوا بأهل عهد المسلمين، إما بحلف أو بجوار، لأن من انضم إلى قوم ذوي عهد مع النبي ﷺ فلهم حكمهم في حقن الدم والمال.

وقوله[١٤] ﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ كان بنو[١٥] مدلج قد عاهدوا أن لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشاً أن لا يقاتلوهم أيضاً، فهو قوله ﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم﴾ يعني: قريشاً.

ثم من الله تعالى على المسلمين بكف بأس المعاهدين فقال ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم﴾ يعني: إن ضيق صدروهم عن قتالكم إنما هو لقذف الله الرعب في قلوبهم.

---

(١) في (د) أولياء توالوهم.
(٢) في (د) تهاجروا.
(٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ بنحوه، وابن كثير ١/٥٣٣ عن ابن عباس.
(٤) في غير (أ) قوله.
(٥) في (د) المودة.
(٦) في (هـ) الموالاة ـ وانظر التبيان ١/٣٧٨ والمشكل ١/٢٠٥، والفراء ١/٢٨١، والبيان ١/٢٦٣ والبغوي ١/٥٧١ في معنى «الاستثناء».
(٧) بنو مدلج: قبيلة من كنانة، ومنهم القافة ـ مدلج بضم الميم ـ (اللسان/ دلج).
(٨) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٣٣ والدر ٢/١٩١ كلاهما عن الحسن والزجاج ٢/٩٥.
(٩) انظر غرائب النيسابوري ٥/١٢٨ والخازن ١/٥٧١ كلاهما عن ابن عباس وفتح القدير ١/٤٩٦ والبغوي ١/٥٧١ عن ابن عباس والضحاك.
(١٠) انظر غرائب النيسابوري ٥/١٢٨ والبغوي ١/٥٧١ كلاهما عن مقاتل والبحر ٣/٣١٥، وفتح القدير ١/٤٩٧ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ٩/١٩ عن عكرمة.
(١١) في (د) قوله.
(١٢) في (د) أي ضاقت. وانظر غريب القرآن ٣٤ ومجاز القرآن ١/١٣٦ وفتح الباري ٨/٢٠٦ والزاهر ١١/٥٢٥ والدر ٢/١٩١ عن السدي.
(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ والزجاج ٢/٩٥ والفراء ١/٢٨٢ وغرائب النيسابوري ٥/١١٢٩ عن الجمهور ومنتخب الكنز ١/٤٣٤.
(١٤) في (حـ) وهو قوله وفي (د) قوله.
(١٥) في (د) كانوا بنوا. . الا يقاتلون.

﴿فإن اعتزلوكم﴾ أي: اعتزلوا قتالكم ﴿وألقوا إليكم السلم﴾: أي المقادة [١] والاستسلام ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾ في قتالهم وسفك دمائهم.

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

ـ قوله جل جلاله [٢] ﴿ستجدون ءاخرين﴾ قال ابن عباس [٣]: هم بنو عبد الدار وقال الكلبي [٤]: هم أسد وغطفان وقال الحسن [٥]، هم قوم من المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ليأمنوا المسلمين ويظهرون [٦] لقومهم الموافقة لهم ليأمنوهم، وهو قوله ﴿يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ أطلع الله نبيه على نفاقهم ﴿كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها﴾ كلما ردوا إلى الشرك وخلوا فيه ﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم﴾ لم يتركوا قتالكم، ولم ينقادوا لكم بعهد أو صلح، ولم يقبضوا أيديهم عن قتالكم ﴿فخذوهم﴾ بالأسر ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً﴾ حجة بينة في قتلهم ولأنه ليس لهم عهد ولا ميثاق.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

ـ قوله جل جلاله [٧] ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً..﴾ الآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة [٨] حين قتل

---

(١) «وأعطاه مقادته: انقاد له، والانقياد: الخضوع تقول: قدته فانقاد واستقاد لي إذا أعطاك مقادته» (اللسان قود) وفي حاشية أ «مصدر ميمي بمعنى الإنقياد».

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) انظر تفسير البغوي ٥٧٢/١ عن الضحاك عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير البغوي ٥٧٢/١ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وتفسير ابن عباس ٧٦ وغرائب النيسابوري ١١٣٠/٥ والبحر ٣١٨/٣ عن مقاتل.

(٥) انظر البحر ٣١٩/٣ عن الحسن والزجاج ٩٦/٢ بنحوه والطبري ٢٧/٩ وفتح القدير ٤٩٧/١ كلاهما عن مجاهد وغريب القرآن ١٣٤ وابن كثير ٥٣٣/١.

(٦) في (حـ) فيظهرون.

(٧) في (حـ) قوله عز وجل، وفي (د) قوله، وفي (هـ) قوله تعالى.

(٨) عياش بن أبي ربيعة المخزومي ـ واسمه عمرو ـ ذو الرمحين بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي كان أحد المستضعفين =

الحارث بن زيد [١] ظنه كافراً ولم يشعر بإسلامه فقتله [٢].

قال قتادة[٣]: ﴿وما كان لمؤمن﴾ أي: ما كان له ذلك فيما أتاه الله من ربه وأمره به.

وقوله [٤]﴿إلاّ خطئاً﴾ جميع أهل النحو والمعاني [٥]: على أن هذا إستثناء منقطع من الأول، على معنى: ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً البتة إلا أن يخطىء المؤمن فكفارة خطئه [٦] ما ذكر من بعد. وصفة قتل الخطأ: هو أن يرمي إلى عرض أو إلى صيد فيخطىء فيصيب إنساناً فيقتله. وكذلك لو قتل رجلا ظنه كافراً، كما ظن عياش بـن أبي ربيعة، وكان مسلماً، كان قتل خطأ.

والواجب فيه الدية والكفارة، وهو قوله ﴿ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحرير رقبة مؤمنة﴾ قال المفسرون[٧]: هي المصلية المدركة عند عامة الفقهاء[٨]: يجوز وإن كانت صغيرة إذا كان أبواها[٩] مسلمين أو أحدهما. وقوله ﴿ودية مسلمة إلى أهله﴾ يعني: جميع ورثته.

وصفة الدية في قتل الخطأ: أن تكون مخففة، مائة من الإبل: عشرون بنت مخاض وعشـرون بنت لبون، وعشرون ابن لبون، وعشرون حقة، وعشرون جذعة[١٠].

وظاهر القرآن أوجب أن تكون الدية على القاتل في الخـطأ [١١]، غير أن النبي ﷺ بين [١٢] أن تكون الدية في

= بمكة وهاجر الهجرتين وكان النبي ﷺ يدعو له بالنجاة في القنوت، إستشهد في وقعه اليرموك سنة١٥ هـ. (شذرات ١/٢٨ وتهذيب التهذيب ٨/١٩٧).

(١) الحارث بن زيد بن أبي انيسة ـ أخو بني معيص ـ نزل فيه (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) كان يؤذي المسلمين بمكة وهو على شركه، فأسلم ولم يعلم أصحاب النبي ﷺ إسلامه حتى كان في هجرته قتله عياش بن أبي ربيعة ولا يظن أنه أسلم (أسد الغابة ١/٣٩٤).

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٧٧ ومجاهد ١٦٩ ـ ٧٠ والطبري ٩/٣٢ ـ ٣٤ عن مجاهد وعكرمة والسدي وكذا الدر ٢/١٩٢ ـ ١٩٣ وابن كثير ١/٥٣٤ عن مجاهد وأسباب النزول للواحدي ١٢٥ ـ ١٢٦ وللسيوطي ٨٦ والرازي ١٠/٢٢٧.

(٣) انظر تفسير الطبري ٩/٣٠ والدر ٢/١٩٢ كلاهما عن قتادة.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (حـ) والمتكلمين. وانظر الزجاج ٢/٩٧، ومجاز القرآن ١/١٣٦ ـ ١٣٧ والتبيان ١/٣٨٠ والبيان ١/٢٦٤ والمشكل ١/٢٠٥ وغرائب النيسابوري ٥/١٣٢ ـ ١٣٣ والطبري ٩/٣١ وابن كثير ١/٥٣٤.

(٦) في (أ) خطاءه وفي (جـ،هـ) خطائه وفي (د) ما ذكر بعد.

(٧) انظر تفسير الطبري ٩/٣٥ ـ ٣٦ عن الشعبي وابن عباس وإبراهيم والحسن وقتادة، والفراء ١/٢٨٢ والدر ٢/١٩٣ عن ابن عباس.

(٨) انظر تفسير الطبري ٩/٣٦ عن عطاء وابن كثير ١/٥٣٤ عن ابن جرير والجمهور.

(٩) في (د،هـ) أبواه.

(١٠) انظر أحكام القرآن لأبن العربي ١/٤٧٥ «فإن عدمت فقيمتها» والطبري ٩/٤٧ وابن كثير ١/٥٣٥ والدر ٢/١٩٣ كلها عن ابن مسعود مرفوعاً. بنت المخاض: الحوامل من النوق وقال ثعلب: العشار التي أتي عليها من حملها عشرة أشهر وابن المخاض: إذا استكمل سنة من يوم ولد ودخل في الثانية لأن أمه لحقت بالمخاض من الإبل (اللسان/ مخض). وبنت لبـون: ذات اللبن، وابن لبون: ولد الناقة إذا كان في العام الثاني وصار لها لبن (اللسان/ لبن). والحقة: وهي التي دخلت في السنة الرابعة (اللسان/ حقق). والجذعة: وهي التي دخلت في الخامسة. (اللسان/ جذع).

(١١) في (د) في الخطأ على القاتل.

(١٢) في (جـ،د) سن.

الخطأ على العاقلة وهم الأخوة وبنو الأخوة والأعمام وبنو الأعمام [(١)].

وقوله [(٢)] ﴿إلا أن يصدقوا﴾ أصله: يتصدقوا، فأدغمت التاء في الصاد ومعنى «التصدق» الإعطاء والمعنى: إلا أن يتصدقوا بالدية، فيعفوا ويتركوا [(٣)] الدية فتسقط.

وقوله ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ يعني: إن كان المقتول خطأ مؤمناً وقومه كفار، فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة، وليس فيه دية، لأن ورثته كفار فلا يرثونه [(٤)].

وقوله [(٥)] ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ هذا في الذمي الذي يقتل خطأ، فيجب فيه الدية والكفارة.

قال ابن عباس [(٦)]: هذا الرجل يكون معاهداً ويكون قومه أهل عهد، فتسلم إليهم دية ويعتق الذي أصابه رقبة.

وقوله [(٧)] ﴿فمن لم يجد﴾ يعني: الرقبة أو ثمنها ﴿فصيام شهرين متتابعين﴾ أي: فعليه ذلك به بدلا عن الرقبة، والتتابع واجب، حتى لو أفطر يوماً استأنف.

وقوله [(٨)] ﴿توبة من الله﴾ أي: اعملوا بما أوجبه [(٩)] للتوبة من الله، أي: ليقبل الله توبتكم فيما اقترفتموه من ذنوبكم.

- قوله عز وجلّ [(١٠)] ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ صورة القتل [(١١)] العمد: أن يقصد القتل بالسيف أو غيره من الالآت التي بها يقصد القتل غالباً، جرح أو لم يجرح، كالحجر الثقيل، والحديد الثقيل، وكذلك التخنيق والتغريق والتحريق، وما أشبهها.

والآية نزلت في كافر قتل مؤمناً وهو أن مقيس بن صبابة [(١٢)] كان قد أسلم هو وأخوه هشام [(١٣)] فقتل بنو النجار أخاه

(١) روى أبو داود في سننه - كتاب الديات - باب دية الجنين عن جابر: أن امرأتين من هذيل قتلت إحداهما الأخرى ولكل منهما زوج وولد، فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عاقلة القاتلة، وبرأ زوجها وولدها وقال: فقال عاقلة المقتولة: ميراثها لنا؟ قال: فقال رسول الله ﷺ لا ميراثها لزوجها وولدها رقم ٤٥٧٥، (١٩٢/٤) وانظر الزجاج ٩٧/٢ ومسند أحمد ٢٤٦/٤، ٢٤٩ عن المغيرة بن شعبة.

(٢) في (جـ،د) قوله.

(٣) في (أ) ويترك.

(٤) انظر الفراء ٢٨٢/١ - والدر ١٩٤/٢ عن إبراهيم وابن عباس، والطبري ٣٩/٩ - ٤٠. والمستدرك - كتاب التفسير - وصححه عن ابن عباس ٣٠٧/٢ - ٣٠٨.

(٥) في (حـ) قوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس صـ ٧٦، والطبري ٤/٩ والدر ١٩٤/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في (حـ) قوله.

(٩) في (هـ) أوجب، وفي (د) أوجب التوبة.

(١٠) في (جـ، هـ) قوله تعالى وفي (د) وقوله.

(١١) في (د) قتل.

(١٢) مقيس - بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء وسين مهملة - ابن صبابة الفهري - والأشهر السهمي - من بني سهم بن عمرو بن عصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر - «ذكر ابن الأثير قصة أخيه هشام وقتله لزهير» قتله النبي ﷺ يوم فتح مكة سنة ٨هـ. (الأعلام ٢١٠/٨ - وأسد الغابة/ ٤٠٠ وعمدة القوي والضعيف ص ٩).

(١٣) هشام بن صبابة بن سيار بن عبد الله بن كلب الكناني الليثي أخو مقيس بن صبابة «وذكر القصة عن ابن عباس» قال أبو عمر: قتل سنة ست مسلماً في غزوة ذي قرد وقال ابن منده: قتل في غزوة بني المصطلق سنة ست. (أسد الغابة ٤٠٠/٥ - ٤٠١).

هشاماً[1] خطأ، فأرسل رسول الله ﷺ مقيساً ومعه زهير بن عياض الفهري [2] ـ وكان من المهاجرين من أهل بدر ـ إلى بني النجار ليدفعوا إلى مقيس قاتل أخيه إن علموه، أو يجمعوا له دية أخيه إن لم يعلموا القاتل، فجمعوا لمقيس دية أخيه، فلما صارت إليه وثب على زهير فقتله وارتد إلى الشرك، وقال في ذلك أبياتاً منها:

فأدركت ثأري واضطجعت مؤسرا وكنت إلى الأوثان أول راجع[3]

وقوله [4] ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ إلى آخر الآية [5] وعيد شديد لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله به قتله، وحظر به سفك دمه، وقد وردت في قتل المؤمن أخبار شداد. أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الرازي، حدثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثنا عبيدة، عن عمار الدهني[6]، عن سالم بن أبي الجعد[7]، قال:

كنت عند ابن عباس فسأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً، فقال ابن عباس جزاؤه جهنم خالداً فيها ـ إلى آخر الآية ـ قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً فقال ابن عباس وأنّى له التوبة وقد سمعت نبيكم ﷺ يقول:

«ويح [8] له قاتل المؤمن يجيء يوم القيامة حامل رأسه بيمينه ـ أو بيساره ـ وفي يده الأخرى قاتله، يقول: يا رب هذا قتلني».

فوالذي نفسي بيده لقد نزلت على نبيكم فما نسخت حتى قبض، يعني: هذه الآية **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾**[9].

---

(١) في (د) هاشماً.

(٢) في (د) زهيراً، وهو: زهير بن عياض الفهري من بني الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه القرشي الفهري «عن ابن عباس: أرسل رسول الله ﷺ مقيس بن صبابة ومعه زهير بن عياض الفهري من المهاجرين ـ وكان من أهل بدر وحضر أحداً ـ إلى بني النجار، فجمعوا لمقيس دية أخيه، فلما صارت الدية إليه وثب على زهير بن عياض فقتله وارتد إلى الشرك».

(٣) انظر الدر ٢/١٩٥ والبحر ٣/٣٢٦ وأسد الغابة ٥/٤٠١١ والكامل لابن الأثير ٢/١٩٤ وأحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧٣.

(٤) في (د) قوله فجزاه.

(٥) وتمامها (غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً).

(٦) عمار بن معاوية الدهني والد معاوية بن عمار عن سالم بن أبي الجعد وأبي الطفيل وسعيد بن جبير وأبي الزبير وثقة أحمد وابن معين وأبو حاتم والناس وما علمت أحداً تكلم فيه إلا العقيلي توفي سنة ١٣٣ هـ. (الميزان ٣/١٧٠ ـ ١٧٢).

(٧) سالم بي أبي الجعد، واسمه رافع ـ الأشجعي مولاهم الكوفي وهو أخو عبيد وزياد وعمران ومسلم بنو أبي الجعد سمع جابر عبد الله والنعمان بن بشير وأنس بن مالك. وعبد الله بن عمرو وغيرهم توفي سنة ٩٨ هـ. (كتاب الجمع ١/١٨٨).

(٨) ويح: كلمة رحمة، تقول: ويح لزيد، ترفع على الابتداء ولك أن تقول: ويحا منصوب بإضمار فعل كأنك قلت: ألزمه الله ويحا، هذا على تقدير عدم الإضمار ويجوز أن تقول: ويح زيدٍ بالإضافة فمنصوب ـ أيضاً ـ بإضمار فعل كما مر (حاشية أ).

(٩) ذكره الحميدي في مسنده ١/٢٢٨ عن سالم والأثر بكامله ذكره الطبري ٩/٦٣ ـ ٦٤ والدر ٢/١٩٦ والترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب من سورة النساء ـ رقم ٥٠٢٠ وحسنه وقال: «وقد روي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس موقوفاً» (٤/٣٠٦ ـ ٣٠٧) وابن ماجة في السنن ـ كتاب الديات ـ باب هل لقاتل المؤمن توبة رقم ٢٦٢١ (٢/٨٧٤) وسنن النسائي ـ كتاب تحريم الدم ـ باب تعظيم الدم (٧/٨٥ ـ ٨٦). وفي كتاب القسامة ـ باب ما جاء في كتاب القصاص من المجتبى مما ليس في السنن تأويل قول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمناً متعمداً...) (٨/٦٢ ـ ٦٣). ومسند أحمد ١/٢٢، ٢٤٠، وانظر سنن البيهقي ٧/١٥ وفتح الباري ٨/٢٠٧ وصحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ (من يقتل مؤمناً متعمداً...) عن ابن عباس ٣/١٢٠ ـ ١٢١

أخبرنا أبو القاسم السراج، أخبرنا محمد بن محمد بن الحسن الكارزي [١] أخبرنا علي بن عبد العزيز [٢]، أخبرنا أبو عبيدة، حدثنا حجاج [٣]، عن ابن جرير، أخبرني القاسم بن أبي بزة،[٤] أنه سأل سعيداً: هل لمن قتل مؤمناً توبة؟ فقال: لا، فقرأ عليه هذه الآية ﴿والذين [٥] لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ إلى قوله ﴿إلا من تاب﴾. فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليّ، فقال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء [٦].

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا يحيى بن ساسويه [٧]، حدثنا سويد بن نصر [٨]، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سالم التيمي [٩] عن حميد عن أنس:

عن النبي ﷺ قال: «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»[١٠].

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق[١١]، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، أخبرنا

---

(١) محمد بن محمد بن الحسن بن الحارث الكارزي كان صحيح السماع مقبولاً في الرواية قال الحاكم: وجدته طلب الحديث إلى العراق والشام والحجاز، وحدث بنيسابور غير مرة توفي بمكة سنة ٣٦٢ هـ. (معجم البلدان ٧/٢٠٤، وغاية النهاية ٢/٢٣٩).

(٢) علي بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور الحافظ الصدوق أبو الحسن البغوي شيخ الحرم ومصنف المسند سمع أبا عبيد والقعنبي وعفان ومسلم بن إبراهيم وخلائق وعنه ابن أخيه أبو القاسم البغوي قال الدارقطني: ثقة مأمون وقال ابن أبي حاتم صدوق توفي سنة ٢٨٦هـ وعاش بضعا وتسعين عاماً. (تذكرة الحفاظ ٢/٦٢٢ - ٦٢٣).

(٣) حجاج بن محمد الحافظ أبو محمد المصيصي الأعور أحد الأثبات ترمذي الأصل سمع ابن جريج والطبقة قال ابن معين: أثبت أصحاب ابن جريج وقال أحمد ما كان أضبط وأصح حديثه وأشد تعهده للحروف توفي سنة ٢٠٦هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٤٥).

(٤) في (هـ) برزة، وهو: القاسم بن أبي بزة وهو ابن نافع بن أبي بزة واسم أبي بزة يسار المكي فارسي من همذان، ويقال: إن نافعاً مولى لبعض أهل مكة وقال أبو حاتم الرازي: هو مولى عبد الله بن السائب بن صيفي المخزومي سمع سعيد بن جبير وعنه ابن جريج توفي سنة ١٢٤ هـ (الجمع ٢/٤٢٠).

(٥) في (حـ) الذين، سورة الفرقان/ ٦٨ - ٧٠ وتمامها (ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً).

(٦) انظر سنن أبي داود - كتاب الفتن والملاحم - باب في تعظيم قتل المؤمن رقم ٤٢٧٣ عن سعيد بن جبير وانظر رقم ٤٢٧٢ عن زيد بن ثابت ورقم ٤٢٧٤، ٤٢٧٥ عن ابن عباس (٤/١٠٤ - ١٠٥) وانظر صحيح مسلم ٢/٦٠٨ وسنن النسائي ٧/٨٥ - ٨٦، ٨/٦٣ ومسند أحمد ١/٢٤٠ وسنن البيهقي ٧/١٦ والمستدرك ٢/٤٠٣، والدر٢/١٩٦ كلها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٧) يحيى بن ساسويه بسينين مهملتين الأولى مفتوحة بعد ألف والثانية مضمومة بعد واو ثم ياء معجم باثنتين من تحت وهاء. (عمدة القوي والضعيف صـ ١٠).

(٨) سويد بن نصر المروزي، رحل وكتب عن ابن المبارك وابن عيينة وعمر تسعين سنة توفي سنة ٢٤٠ هـ (شذرات الذهب ٢/٩٤).

(٩) سالم أبو النضر وهو ابن أبي أمية مولى عمر بن عبيد بن معمر القرشي التيمي المدني سمع أبا مرة مولى أم هانىء وسليمان بن يسار وعميراً مولى ابن عباس ونافعاً مولى أبي قتادة وعامر بن سعد وطائفة وعنه مالك وابن عيينة وموسى بن عقبة مات في زمن مروان. (كتاب الجمع ١/١٨٨ - ١٨٩).

(١٠) الحديث: رواه الحاكم في المستدرك - كتاب الإيمان - بلفظ «إن الله عز وجل أبى على من قتل مؤمناً - قالها ثلاثاً» عن عقبة بن مالك (١/١٨ - ١٩). وكشف الخفاء «رواه الطبراني والضياء في المختارة عن أنس» (١١/٣٦) وكذا الجامع الصغير ورمز له بالصحيح (١/٥).

(١١) في (د) أبو عبد الله بن إسحاق.

الحكم بن موسى [١]، حدثنا محمد بن سلمة [٢]، عن محمد بن إسحاق، عن إبراهيم بن المهاجر [٣]، عن إسماعيل - مولى عبد الله بن عمرو [٤] - عن عبد الله بن عمرو [٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقتل المؤمن أعظم [٦] عند الله من زوال الدنيا» [٧] ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبة.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى [٨]، أخبرنا[٩] أبو عمرو بن نجيد أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري [١٠]، حدثنا هشام بن حسان، قال: كنا عند محمد بن سيرين فقال له رجل من القوم ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه [١١] جهنم﴾ حتى ختم الآية، فقال محمد: أين أنت من هذه الآية ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[١٢] أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ، أخبرنا العباس بن حمدان [١٣]، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الشهيدي [١٤]، قال: سمعت قريش بن أنس [١٥] يقول:

---

(١) وقع في جميع النسخ: الحسن بن موسى، والمثبت في كتب السنة وانظر علل الحديث للرازي ٢/٣٤٠ قال ابن أبي حاتم «حدثنا أبو زرعة عن الحكم بن موسى عن محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن مهاجر عن إسماعيل مولى عبد الله بن عمرو عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» فقال أبو زرعة: هكذا حدثنا الحكم.

(٢) محمد بن سلمة بن عبد الله الإمام المفتي أبو عبد الله الحراني روى عن خاله أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد وابن إسحاق وطائفة وعنه أحمد بن حنبل وغيره قال ابن سعد: كان ثقة فاضلاً توفي سنة ١٩٢ (تذكرة الحفاظ ١/٣١٦).

(٣) إبراهيم بن المهاجر بن جابر البجلي الكوفي أبو إسحاق سمع صفية بنت شيبة وأبا الشعثاء سليمان وعنه شعبة وأبو الأحوص روى له مسلم. (كتاب الجمع ١/٢٣ وتهذيب التهذيب١/١٦٧ - ١٦٨).

(٤) إسماعيل السهمي - مولى عبد الله بن عمرو بن العاص - روى عن مولاه حديث «لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا» وعنه إبراهيم بن المهاجر روى له النسائي هذا الحديث الواحد وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ١/٣٣٧).

(٥) في (أ) عمر، وفي (هـ) عمر.

(٦) في (حـ) عند الله أعظم.

(٧) الحديث: رواه الترمذي - كتاب الديات - باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن - رقم ١٤١٤ برواية «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم» قال وروي موقوفاً وهو أصح (٢/٤٢٦) والطبراني في الصغير ١/٢١٤ بلفظه «ولم يروه عن إبراهيم إلا محمد بن إسحاق تفرد به محمد بن سلمة». وعلل الحديث للرازي ٢/٣٤٠ بإسناده ولفظه وفيه «الحكم بن موسى» بدل الحسن بن موسى. والجامع الصغير «رواه الترمذي والنسائي» ورمز له بالصحيح. (٢/١٢٣) كلهم من حديث عبد الله بن عمرو.

(٨) في (جـ،د) محمد بن إبراهيم بن يحيى.

(٩) في (د) حدثنا.

(١٠) في (جـ،هـ) إبراهيم بن عبد الله الأنصاري حدثنا هشام. محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري البخاري الأنس البصري الفقيه قاضي البصرة ثم قاضي بغداد ولد سنة ١١٨ هـ روى عنه البخاري وأبو حاتم وأبو مسلم الكجي وخلق وثقه ابن معين وغيره وقال النسائي ليس به بأس وقال أبو داود تغير تغيراً شديداً توفي سنة ٥١٢ هـ.

(١١) في (أ) (ومن يقتل مؤمناً متعمداً).

(١٢) سورة النساء/ ٤٨، ١١٦ وانظر الدر ٢/١٩٧ عن هشام بن حسان.

(١٣) لم أقف عليه.

(١٤) في (د) الشهيد: وهو: إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيدي أبو يعقوب البصري روى عنه الترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم قال النسائي: ثقة، وقال الدارقطني: ثقة مأمون وقال: هو وأبوه وجده ثقات توفي سنة ٢٥٧ هـ. (تهذيب التهذيب ١/٢١٣).

(١٥) قريش بن أنس عن ابن عون وجماعة صدوق مشهور وثقه يحيى بن معين والنسائي وابن المديني وقال النسائي تغير قبل موته بست سنين، وقال البخاري: اختلط ست سنين في البيت (الميزان ٣/٣٨٩).

كنت عند عمرو بن عبيد [١] في بيته، فأنشأ يقول: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله تعالى، فيقول [٢]: قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلت، ثم تلا هذه الآية ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ حتى فرغ منها. فقلت ـ وما في البيت أصغر مني ـ: أرأيت أن قال [٣] لك: فإني قلت ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟ قال: فما استطاع أن يرد عليّ شيئاً [٤].

وأما ما روي عن ابن عباس وغيره من السلف، أنهم قالوا: لا توبة للقاتل فإن الأولى لأهل الفتوى سلوك سبيل التغليظ، سيما في القتل. يدل على ذلك ما روي: أن سفيان سئل عن عقوبة القاتل قال: كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا: لا توبة له وإذا ابتلي الرجل قالوا له: تب [٥].

أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزي [٦]، فيما أذن لي [٧] روايته عنه قال أخبرنا محمد بن الحسين [٨]، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا أبو داود الحفري [٩]، حدثنا سفيان، عن أبي سعيد عن عطاء:

عن ابن عباس، أن رجلاً سأله: ألقاتل المؤمن توبة؟ فقال: لا وسأله آخر: ألقاتل المؤمن توبة؟ فقال: نعم، فقيل له: قلت لذلك: لا توبة لك، ولذلك: لك توبة قال: جاءني ذلك ولم يكن قتل، فقلت: لا توبة لك لكي لا يقتل، وجاءني هذا وقد قتل، فقلت: لك توبة لكي لا يلقي بيده إلى التهلكة [١٠].

فأما [١١] تأويل قوله تعالى ﴿فجزاؤه جهنم﴾ فقد روي مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال: «هو جزاؤه أن جازاه [١٢] [١٣]»

---

(١) في (حـ) عمر، وهو: عمرو بن عبيد بن باب البصري أبو عثمان المعتزلي القدري مع زهده وتألهه روى عن الحسن وأبي قلابة وعنه الحمادان وعبد الوارث ويحيى القطان وطائفة وكان أبوه من شرط الحجاج قال ابن معين: لا يكتب حديثه وقال النسائي: متروك الحديث مات سنة ١٤٣ هـ. (الميزان ٣/٢٧٣ ـ ٢٧٩).

(٢) في (حـ) فيقول الله، وفي (هـ) فيقول لي.

(٣) في (أ) كان لك.

(٤) انظر الدر ٢/١٩٧ ـ ١٩٨ عن قريش بن أنس، والميزان ٣/٢٧٣ ـ ٢٧٩ في ترجمة عمرو بن عبيد وكذا الضعفاء الكبير ٣/٢٨١ ـ ٢٨٢ في ترجمته وكذا تهذيب التهذيب ٨/٧١ ـ ٧٢ «قال يونس: كان عمرو يكذب في الحديث وقال يحيى بن معين: كان يدعو إلى بدعة ٣/٢٧٧ ـ ٢٨١.

(٥) انظر تفسير الثوري ٩٦، وغرائب النيسابوري ٥/١٤٢ عن ابن عباس.

(٦) لم أقف عليه. وقد ورد محدث بأسم محمد بن عبد العزيز الفقيه أبي عبد الرحمن فلعله هو وسيأتي.

(٧) في غير (أ) فيما أجازه له.

(٨) في (د) الحسن وهو: محمد بن الحسين بن محمد بن مهران المروزي الحدادي أبو الفضل شيخ مرو القاضي الكبير قال الحاكم: كان شيخ مرو في الحديث والفقة والتصوف والفتيا توفي سنة ٣٨٨هـ وكان من أبناء التسعين (سير الأعلام ١٦/٤٧٠).

(٩) عمر بن سعد بن عبيد الكوفي أبو داود الحفري قال الدارمي عن ابن معين: ثقة وقال أبو حاتم: صدوق وكان رجلاً صالحاً توفي سنة ٢٠٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٧/٤٥٢ ـ ٤٥٣).

(١٠) انظر الدر ٢/١٩٨ عن ابن عباس.

(١١) في (حـ) وأما تأويل قوله فجزاؤه.

(١٢) في (حـ) إن جازا.

(١٣) الحديث: انظر الدر ٢/١٩٧ «رواه ابن أبي حاتم والطبراني وأبو القاسم بن بشر بسند ضعيف عن أبي هريرة، وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن أبي مجلز. وأبو داود في السنن ـ كتاب الفتن والملاحم ـ باب في تعظيم قتل المؤمن رقم ٤٢٧٦ عن أبي مجلز في قوله تعالى (.. فجزاؤه جهنم) قال: هي جزاؤه فإن شاء الله أن يتجاوز عنه فعل (٤/١٠٥). والطبري ٩/٦١ عن أبي مجلز وأبي صالح والحلية لأبي نعيم ٢/٢٨١ عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وذكره العقيلي في ترجمة =

وروى [١] عاصم بن أبي النجود عن ابن عباس في قوله ﴿جزاؤه جهنم﴾ قال: هي جزاؤه، فإن شاء عذبه، وإن شاء غفر له [٢].

وبهذا قال عون بن عبد الله [٣]، وبكر بن عبد الله [٤] وأبو صالح، وقد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر: إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب، ثم [إن لم يجازه بذلك] [٥] لم يكن ذلك منه كذباً.

والأصل في هذا: أن الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد، وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد، بهذا وردت السنة عن رسول الله ﷺ فيما:

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهاني [٦] [أخبرنا عبد الله بن محمد الأصبهاني [٧]] حدثنا زكريا بن يحيى الساجي [٨] وأبو حفص السلمي [٩] وأبو يعلى الموصلي، قالوا [١٠]: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «من وعده الله على عمله ثواباً فهو منجزه له، ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار» [١١].

أخبرنا أبو بكر، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد بن حمزة [١٢]، حدثنا أحمد بن الخليل [١٣]، حدثنا الأصمعي، قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال [١٤]: يا أبا عمرو، يخلف [١٥] الله ما وعد؟ قال: لا، قال:

= العلاء بن ميمون ـ وهو لا يتابع على حديثه، ولا يعرف إلا به ـ قال المحقق ضعفه الذهبي نقلاً عن المصنف. (الضعفاء الكبير ٣/٣٤٦).

(١) في (هـ) عن عاصم.

(٢) انظر الدر ٢/١٩٧ عن عاصم وعون بن عبد الله وأبي صالح.

(٣) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي خطيب راوية شاعر كان من آدب أهل المدينة وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة توفي نحو سنة ١٥ هـ. (الأعلام ٥/٢٨٠).

(٤) بكر بن عبد الله بن عمرو الإمام القدوة الواعظ الحجة أبو عبد الله المزني البصري أحد الأعلام يذكر مع الحسن وابن سيرين حدث عن المغيرة بن شعبة وابن عباس وابن عمر وأنس وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث حجة فقيها توفي سنة ١٠٦ هـ (الأعلام/ ٥٣٢ ـ ٥٣٥).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من و(حـ).

(٦) في (حـ) الأصفهاني وفي (هـ) الأصبحاني سبق.

(٧) ساقطة من (هـ).

(٨) زكريا بن يحيى بن داود الحافظ أبو يحيى الساجي أحد الأثبات ما علمت فيه جرحاً أصلاً وقال أبو الحسن القطان مختلف فيه في الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون توفي سنة ٣٠٧ هـ. (الميزان ٢/٧٩).

(٩) لم أقف عليه. (١٠) في (حـ) قال.

(١١) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب التوبة ـ باب ما جاء في وعد الله ووعيده «رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفيه سهيل بن أبي حزم وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» عن أنس (١٠/٢١١). والدر ٢/١٧٠ وكنوز الحقائق ٢/١٢٢، كلهم من حديث أنس.

(١٢) محمد بن حمزة بن عمارة بن حمزة بن يسار الأصبهاني الفقيه أبو عبد الله والد الحافظ أبي إسحاق توفي سنة ٣٢١ (الوافي بالوفيات ٣/٢٥ ـ ٢٦).

(١٣) أحمد بن الخليل البغدادي جور ـ المعروف بجور ـ يروي عن الأصمعي وأبي بكر بن عياش، قال الدارقطني ضعيف لا يحتج به بقي إلى بعد سنة ٢٦٠ هـ. (الميزان ١/٩٦).

(١٤) وفي (أ) أبي عمرو بن أبي العلاء قال.

(١٥) يخلف: «أيخلف فهمزة الاستفهام محذوفة» (حاشية أ).

أفرأيت من أوعده الله على عمل عقاباً، أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان؟ إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله، ترى ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله.

قال: فأوجدني هذا في العرب، قال: أما سمعت قول الأول:

وإني وإن أوعدته أو عدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي[1]

والذي ذكره أبو عمرو بن العلاء ـ رحمه الله ـ مذهب الكرام، ويستحسن عند كل أحد خلف الوعيد كما قال السري الموصلي[2]:

إذا وعد السر أنجز وعده وإن أوعد الشر فالعفو مانعه

وأحسن يحيى بن معاذ[3] في هذا الفصل حيث قال: الوعد والوعيد حق، فالوعد حق العباد على الله، ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا. ومن أولى بالوفاء من الله؟.

والوعيد حقه على العباد، قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ، لأنه حقه، وأولاهما[4] بربنا الكرم والعفو إنه غفور رحيم[5].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

ـ قوله عز وجل[6] ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا ضربتم في سبيل الله﴾ أي: سرتم وغزوتم نزلت في أسامة بن زيد وأصحابه، بعثهم رسول الله ﷺ سرية، فلقوا رجلاً كان قد انحاز بغنم له إلى جبل ـ وكان قد أسلم ـ فقال لهم: السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله، فبدر إليه أسامة فقتله واستاقوا غنمه[7].

---

(١) انظر الحوار: في تفسير الرازي ١٨٣/٧ ـ ١٨٤ نقلاً عن الواحدي، وعيون الأخبار ١٤٢/٤ والبغوي ٥٧٨/١ والميزان ٢٧٣/٣ ـ ٣٧٩ وكذا البيت وسير الأعلام ٤٠٨/٦ ـ ٤٠٩ في ترجمة أبي عمرو بن العلاء، والبيت لعامر بن الطفيل (انظر ترجمته في الأعلام ٢٠/٤) والزاهر ١٣٦/٢ واللسان/ وعد، وديوان عامر بن الطفيل صـ ٥٨ تحت عنوان «أخلف إيعادي وأنجز موعدي»، وينجوه في ديوان السري الموصلي صـ ٩٣.

(٢) الرفا الشاعر أبو الحسن السري بن أحمد الكندي الموصلي صاحب الديوان المشهور مدح سيف الدولة بن حمدان والكبار قال ابن خلكان: كان في صباه يرفو ويطرز ويتولع بالأدب وينظم الشعر توفي سنة ٣٦٢ هـ. (شذرات الذهب ٧٣/٣، والبداية والنهاية ٢٧٤/١١). وانظر البيت في ديوانه صـ ١٦٩ في مدح سيف الدولة وتفسير الرازي ١٨٣/٧.

(٣) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الزاهد حكيم زمانه وواعظ عصره روى عن إسحاق بن سليمان الرازي وغيره تكلم في علم الكلام فأحسن الكلام فيه توفي سنة ٢٥٨ هـ. (شذرات ١٣٨/٢).

(٤) في (هـ) وأوليهما.

(٥) انظر غرائب النيسابوري ١٤٧/٣ ـ ١٤٨ بنحوه. من هنا تبدأ النسخة (ر) تبدأ بالبسملة أعلا الصفحة ويبدأ السطر الأول بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، قوله تعالى.

(٦) في غير (أ) قوله تعالى.

(٧) انظر صحيح البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات (٥٩/٣) ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب تحريم =

قوله [١] ﴿فتبينوا﴾ يقال: تبينت الأمر، أي: تأملته وتثبت فيه ومنه قوله ﷺ: «ألا إن التبين من الله، والعجلة من الشيطان، فتبينوا [٢]». وقرىء (فتثبتوا)، والمعنيان متقاربان [٣].

﴿ولا تقولوا لمن ألقي إليكم السلم [٤]﴾ أي: لاتقولوا لمن حياكم بهذه التحية ﴿لست مؤمناً﴾ فتقتلوه وتأخذوا ماله.

ومن قرأ(السلم)[٥] أراد الانقياد والاستسلام للمسلمين ومنه قوله ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم [٦]﴾ أي: استسلموا لأمره وقوله [٧] ﴿تبتغون عرض الحيوة الدنيا﴾ [جميع متاع الدنيا عرض] [٨]، يقال: إن الدنيا حاضر، قال ابن عباس [٩]: يعني الغنائم ﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾ يعني ثواباً كثيراً لمن ترك قتل من ألقى إليه السلام [١٠] ﴿كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم﴾ [قال سعيد بن جبير] [٨]: كنتم تكتمون إيمانكم في المشركين، فمن الله عليكم بإظهار الإسلام [١١].

[وقال قتادة: كنتم ضلالا فمن الله عليكم بالإسلام] [٨] وهداكم له [١٢].

ثم أعاد الأمر بالتبين فقال ﴿فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ قال عطية العوفي: هو خبير أنكم قتلتموه على ماله [١٣].

قال ابن عباس: ثم استغفر رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد وأمره أن يعتق رقبة [١٤].

= قتل المؤمن بعد أن قال لا إله إلا الله (٥٤/١) والترمذي - كتاب التفسير - من سورة النساء - رقم ٥٠٢١ (٣٠٧/٤) والمستدرك - كتاب معرفة الصحابة ١١٦/٣ وشرح السنة للبغوي (٢٤١/١٠ - ٢٤٢)، وسنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب على ما يقاتل المشركون رقم ٢٦٤٣ (٤٤/٣ - ٤٥) والبداية والنهاية ٢٢٤/٤ - ٢٢٥، والدر ١٩٩/٢ - ٢٠٢ وابن كثير ٥٣٨/١ - ٥٣٩ والطبري ٧٢/٩ - ٨٠ بروايات متعددة مع اختلاف في اسم القاتل واسم المقتول. وتفسير ابن عباس٧٧، والزجاج ٩٩/٢، ومسند أحمد ٢٢٩/١وأحكام القرآن لابن العربي ٤٨٠/١.

(١) في (جـ، هـ، و) وقوله.

(٢) الحديث: رواه الطبراني في الكبير - عن سهل بن سعد برواية «الأناة من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا» (١٤٨/٦) وغريب الحديث ٣٢/٢ بلفظه والمقاصد الحسنة عن الحسن مرسلاً «رفعه» صـ ١٥١ كشف الخفاء « رواه العسكري عن الحسن البصري مرسلاً» (٢٩٥/١) والجامع الصغير ١٢٤/١ عن سهل - كما ذكره الطبراني - ورمز له بالصحيح.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) - بالثاء المثلثة، وكذلك في الحجرات - أي فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، وقرأ الباقون - بالتاء المثناة - أي: فأفصحوا وأكشفوا، وحجتهم: الحديث (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٠٩ والسبعة ٢٣٦ والنشر ٢٥١/٢ والزجاج ٩٨/٢ والتبيان ٣٨٢/١ والفراء٤٥٢/١ - ٤٥٣ والحجة لابن خالويه ١٢٦).

(٤) في (و) لست مؤمناً.

(٥) في (د) السلام - قرأ نافع وابن عامر وحمزة (السلم) - بغير ألف - وقرأ الباقون (السلام) بالألف - أي: التحية وحجتهم: أن المقتول قال لهم: السلام عليكم.

(٦) سورة النحل/ ٨٧.

(٧) في (د) قوله.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٩) انظر تفسير ابن عباس صـ ٧٧.

(١٠) في (د، هـ، و،) السلام.

(١١) انظر غرائب النيسابوري ١٤٤/٥، والرازي ٥/١١ وابن كثير ٥٤٠/١، والدر ٢٠١/٢ والفتح القدير ٥٠٢/١ كلها عن سعيد.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٥٧٩/١ والدر ٢٠١/٢ كلاهما عن قتادة.

(١٣) انظر الوجيز للواحدي ١١٦٨/١.

(١٤) انظر تفسير البغوي ٥٧٨/١- ٥٧٩ والخازن ٥٧٨/١ كلاهما عن ابن عباس. وانظر الترمذي - كتاب المناقب - مناقب زيد بن حارثة رقم ٣٩٠٤ «عن ابن عمر حسن صحيح» «أنه كان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ» ٣٤١/٥ - ٥٤٢.

﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾

ـ قوله عز وجل [١] ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر**﴾ «الضرر»: النقصان وهو كل ما يضرك وينقصك من عمى ومرض وعلة [٢].

قال زيد بن ثابت: كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله**﴾ ولم يذكر ﴿**غير أولي الضرر**﴾ فقال ابن أم مكتوم [٣] فكيف وأنا أعمى لا أبصر؟ فتغشى النبي ﷺ الوحي ثم سري [٤] عنه فقال: آكتب ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر**﴾ فكتبتها[٥].

وقرىء (غير) رفعاً ونصباً، فمن رفع، فهو صفة للقاعدين، والمعنى: لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر، أي: لا يستوي القاعدون من الأصحاء والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤمنين.

ومن نصب (غير) جعله استثناء من القاعدين، يعني: لايستوي القاعدون إلا أولو الضرر، وهذا الوجه اختيار الأخفش، قال: لأنه استثني بها قوم لم يقدروا على الخروج [٦]، وهو أيضاً قراءة النبي ﷺ فيما أخبرنا: أحمد بن عبيد الله المخلدي[٧]، أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب الحافظ حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا أبو عمر الدوري، حدثنا علي بن حمزة الكسائي، حدثنا ابن أبي الزناد، [٨] عن أبيه، عن خارجة بن زيد [٩] عن أبيه:

---

(١) في (جـ، د، هـ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) انظر اللسان/ ضرر، والمصباح المنير/ ضرر، ومفردات الراغب/ ضر.

(٣) ابن أم مكتوم: مختلف في اسمه، فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري، وأهل العراق يسمونه: عمراً، كان ضريراً مؤذناً لرسول الله ﷺ مع بلال وسعد القرظ وأبي محذورة هاجر إلى المدينة وكان النبي ﷺ يستخلفه عليها، استشهد يوم القادسية أو بعدها. (سير الأعلام ١/ ٣٦٠ ـ ٣٦٥).

(٤) ثم سُري عنه: بتشديد الراء أي: كشف عنه (عمدة القوي والضعيف صـ ١٠).

(٥) انظر صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ (لا يستوي القاعدون. .) ٣/ ١٢١. والترمذي ـ كتاب الجهاد ـ باب الأول رقم ١٧٢١ «حسن صحيح» ٣/ ١١٠ وفي كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ برقم ٥٠٢٤ (٤/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩). وسنن أبي داود ـ كتاب الجهاد ـ باب في الرخصة في القعود من العذر رقم ٢٥٠٧، (٣/ ١١) والمستدرك ـ كتاب الجهاد ـ «صحيح الإسناد» ٢/ ٨١ ـ ٨٢ كلهم من حديث زيد.

(٦) قرأ نافع والكسائي وابن عامر (غير) ـ بالنصب ـ وقرأ ابن كثير ـ في رواية ـ بالنصب وقرأ الباقون ـ بالضم ـ. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٠ ـ ٢١١ والسبعة ٢٣٧ والنشر ٢/ ٢٥١ والتبيان ١/ ٣٨٣ والزجاج ٢/ ٩٩ والمشكل ١/ ٢٠٦ والطبري ٩/ ٨٥ ـ ٨٦ والحجة لابن خالويه ١٢٦ . .) وانظر الأخفش ١/ ٤٥٣ والرازي ١١/ ٧ عن الأخفش).

(٧) في (د) عبد الله.

(٨) في (د) ابن أبي زيادة، وهو: عبد الرحمن بن أبي الزناد ـ عبد الله ـ بن ذكوان المدني أبو محمد أحد العلماء الكبار وآخر المحدثين لهشام بن عروة ضعفه ابن معين فقال مرة: ليس بشيء، وقال أخرى: لا يحتج به، وكذا قال أبو حاتم وضعفه النسائي وقال أحمد: مضطرب الحديث، ووثقه مالك. قلت: قد مشاه جماعة وعدلوه وكان من الحفاظ المكثرين لاسيما عن أبيه وهشام بن عروة حتى قال ابن معين: هو أثبت الناس في هشام بن عروة توفي سنة ١٧٤ هـ (الميزان ٢/ ٥٧٥ ـ ٥٧٦).

(٩) خارجة بن عبد بن ثابت أبو زيد الأنصاري النجاري المدني أخو إسماعيل سمع أباه وغيره وعنه الزهري وعبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن هشام مات سنة ٩٩ هـ (كتاب الجمع ١/ ١٢٦).

أن النبي ﷺ قرأ ﴿غير أولي الضرر﴾ - نصباً - [(١)] وقوله [(٢)] ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ عطف على قوله (القاعدون [(٣)]) والمعنى : ليس المؤمنون [(٤)] القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمؤمنين المجاهدون سواء، إلا أولي الضرر، فإنهم يساوون المجاهدون، لأن الضرر أقعدهم عن الجهاد.

وقوله ﴿فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين﴾ يعني من أهل العذر ﴿درجة﴾ وذلك أن المجاهدين مباشرون للطاعة فلهم فضيلة على القاعدين من أهل العذر، وإن كانوا هم على نية الجهاد وقصده.

وقوله ﴿وُكلاًّ وعد الله الحسنى﴾ قال مقاتل [(٥)]: يعني المجاهد والقاعد [المقدور والحسنى: الجنة. قوله ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين] [(٦)] أجراً عظيماً﴾ يعني : القاعدين من غير عذر، والمجاهدون مفضلون عليهم بدرجات. قال ابن محيريز [(٧)]: هي سبعون درجة، ما بين كل درجتين عَدْوُ الفرس الجواد المضمر سبعين [(٨)] خريفاً [(٩)].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرج من بيته إلا جهاداً [(١٠)] في سبيله، وتصديق كلمته، بأن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة».

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى [(١١)].

- قوله ﴿درجات منه﴾ يعني: منازل بعضها أعلى من بعض من منازل الكرامة قال السدي: فضلوا بسبعمائة درجة.

---

(١) روى أبو داود في سننه - كتاب الحروف والقراءات - الحديث السابع رقم ٣٩٧٥ بسنده «وعنده (غير) - بالرفع -».
(٢) في (د) قوله.
(٣) في (د) والقاعدون.
(٤) في (د) ليس المؤمنين.
(٥) انظر تفسير ابن عباس ٧٧ والبغوي ١/٥٨١ عن مقاتل والطبري ٩٦/٩ والبحر ٣٣٢/٣ - ٣٣٣ وغرائب النيسابوري ١٤٦/٥.
(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).
(٧) عبد الله بن محيريز بن جناد بن وهب القرشي الجمحي أبو محيريز المكي أحد الأعلام سكن بيت المقدس وحدث عن عبادة بن الصامت ومعاوية وأبي سعيد وجماعة قال الأوزاعي: من كان مقتدياً فليقتد بمثل ابن محيريز توفي سنة ٩٩ هـ. (تذكرة الحفاظ ٦٨/١ - ٦٩).
(٨) في (حـ) سبعون خريفاً.
(٩) انظر تفسير الطبري ٩٨/٩ والدر ٢٠٥/٢ وفتح القدير ٥٠٤/١ كلها عن ابن محيريز وفرس جواد: بين الجودة، والانثى: جواد أيضاً، وجاد الفرس: أي صار رائعاً يجود جودة، فهو جواد للذكر والانثى وتضمير الفرس: أن تشد عليها سروجها وتضميرها: أن تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة، وعلفها قبل أن يسابق عليه (اللسان/ جود، ضمر).
(١٠) في (و) مجاهداً.
(١١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح - كتاب الإمارة - باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله عن أبي هريرة برواية «لا يخرجه من بيته إلا جهاداً، .. من أجر أو غنيمة» (٢/ ١٤٦) والبخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم عن أبي هريرة (١٩٢/٢).

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض[1]».

وقوله[2] ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يريد: للفريقين جميعاً، للمجاهدين[3] والقاعدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾

ـ قوله عزّ وجل[4] ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ قال الفراء[5]: إن شئت جعلت ﴿توفاهم﴾ ماضياً، وإن شئت كان على الاستقبال، يريد: تتوفاهم، فحذفت إحدى التاءين.

وقوله[2] ﴿ظالمي أنفسهم﴾ أي: بالمقام في دار الشرك. نزلت الآية[6] في قوم كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا، حتى خرج المشركون إلى بدر فخرجوا معهم فقتلوا يوم بدر، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم: ما ذكر الله سبحانه وهو قوله ﴿قالوا فيم[7] كنتم﴾ أي: أكنتم في المشركين أم في المسلمين؟ وهذا سؤال توبيخ وتعيير.

فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك وهو قوله ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ يعني: أرض مكة، فحاجتهم الملائكة بالهجرة عن دارهم، وهو قوله ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ يعني: المهاجرة إلى المدينة مع المسلمين. وذلك أن الله تعالى لم يرض بإسلام أهل مكة حتى يهاجروا[8]، ولذلك قال ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾ وذلك أنهم خرجوا مع المشركين يكثرون سوادهم فقتلوا معهم.

ثم ذكر أهل العذر في التخلف عن الجهاد فقال:

---

(١) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التوحيد ـ باب وكان عرشه على الماء ـ ضمن حديث أبي هريرة ٤/٢٨١ ومصنف ابن أبي شيبة ٥/٣٠٤ وشرح السنة للبغوي ١٠/٢٤٦ ومسند أحمد ٢/٣٣٥ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٢) في (د) قوله.

(٣) في (و) المجاهدين.

(٤) في غير (أ) قوله تعالى.

(٥) انظر الفراء ١/٢٨٤ والرازي ١١/١١ عن الفراء وذكره الزجاج بتمامه ٢/١٠٢ والتبيان ١/٣٨٤ وغرائب النيسابوري ٥/١٤٨.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٧٨ وفتح الباري ٨/٢١١ ـ٢١٢ وغرائب النيسابوري ٥/١٤٨، والطبري ٩/١٠٢ ـ١٠٣، والطبراني في الكبير ١١/٢٧٢، وابن كثير ١/٥٤٢ كلها عن ابن عباس والدر ٢/١٠٥ ـ١٠٦ عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وابن زيد وأسباب النزول للواحدي ١٣١ ـ ١٣٢ وللسيوطي ٨٨ ـ ٠٨٩

(٧) في (د) فيما.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٥/١٢٧ «وكانت الهجرة واجبة إلى أن فتحت مكة» وفي ٥/١٢٩ «قال أبو مسلم: إنه تعالى لما أوجب الهجرة على كل من أسلم استثنى من له عذر».

ـ ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ يريد: الذين أقعدهم عن الهجرة الضعف وقال ابن عباس[١]: هم ناس من المسلمين كانوا بمكة لا يستطيعون أن يخرجوا[٢] منها فيها جروا، فعذرهم الله، فهم أولئك قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله. وقوله[٣] ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ أي: لا يقدرون على حيلة في الخروج من مكة، ولا على نفقة، ولا قوة ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾[٤]: لا يعرفون طريقاً إلى المدينة دار الهجرة.

ـ ﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم. . .﴾ الآية، قال الزجاج: اعلم الله أن هؤلاء راجون العفو كما يرجو المؤمنون.

و «عسى»: كلمة ترجي[٥]، وما أمر الله أن يرجى[٦] من رحمته فمنزلة الواقع، وكذلك الظن بأرحم الراحمين.

ـ قوله ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً﴾[٧] قال الزجاج: المعنى: يجد في الأرض مهاجراً، لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة وإن اختلف اللفظان، وهو مأخوذ من الرغام وهو التراب، يقال: راغمت فلاناً أي هجرته وعاديته ولم أبال رغم أنفه، وإن لصق أنفه بالتراب[٨].

وقال أبو عمرو بن العلاء في قوله ﴿مراغماً﴾ الخروج عن العدو برغم أنفه[٩] وقال ابن قتيبة[١٠]: المراغمة والمهاجرة واحدة يقال: راغمت وهاجرت وذلك أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغماً، أي: مغاضباً لهم، فقيل للمذهب[١١] مراغم. قال ابن عباس في رواية[١٢] الوالبي: منحولاً من أرض إلى أرض وقال مجاهد[١٣] متزحزحاً[١٤] عما يكره وقال ابن زيد[١٥] مهاجراً.

وقوله ﴿وسعة﴾ أي: من الرزق وقال قتادة ﴿وسعة﴾ من العيلة إلى الغنى[١٦].

---

(١) انظر الطبري ٩/١٠٢، ١٠٩ والطبراني ١١/٢٧٢ وصحيح البخاري ـ كتاب التفسير قوله تعالى (إلا المستضعفين. . .) ٣/١٢٢ وفتح الباري ٢/١٧٢، ٨/٢١٢، والدر ٢/٢٠٦ وابن كثير ١/٥٤٢ كلها عن ابن عباس.

(٢) في (و) الخروج.

(٣) في (د) قوله.

(٤) في (هـ) أي يعرفون وفي (د) أي لا يعرفون

(٥) في (جـ، د) ترجى.

(٦) في (هـ) يرجا.

(٧) في (حـ) وسعه.

(٨) انظر الزجاج ٢/١٠٤ والخازن ١/٥٨٣، واللسان/ رغم ، عن الزجاج

(٩) انظر البحر ٣/٣٢٧ والخازن ١/٥٨٣ واللسان/ رغم.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٣٤ ومجاز القرآن ١/١٣٨ والزاهر ١/٦٢٣ عن أبي عبيدة.

(١١) «للمذهب: أي الطريق «(حاشية ١).

(١٢) أنظر تفسير ابن عباس ٧٨ والدر ٢/٢٠٧ وفتح القدير ١/٥٠٦ كلاهما عن ابن عباس والطبري ٩/١١٩ ـ ١٢٠ وابن كثير ١/٥٤٣ كلاهما عن ابن عباس والضحاك والحسن.

(١٣) انظر تفسير مجاهد ١٧١ والطبري ٩/١٢٠ وابن كثير ١/٥٤٣ والدر ٢/٢٠٧ وفتح القدير ١/٥٠٦ كلها عن مجاهد.

(١٤) في (حـ) مزحزحا، وهي رواية أخرى لمجاهد عند الطبري ٩/١٢٠.

(١٥) في (جـ،د) أبو زيد ـ وانظر تفسير الطبري ٩/١٢٠ ـ ١٢١، والدر ٢/٢٠٧ كلاهما عن ابن زيد وفتح القدير ١/٥٠٥ عن ابن زيد وأبي عبيدة.

(١٦) قال ابن عباس ٧٨ «في المعيشة» وانظر الطبري ٩/١٢٢ وابن كثير ١/٥٤٣، والدر ٢/٢٠٧ كلها عن قتادة.

وقال أهل المعنى: ﴿وسعة﴾ في إظهار الدين، وذلك أن المشركين كانوا قد ضيقوا عليهم في أمر دينهم حتى منعوهم[١] من إظهاره.

قوله عزّ وجل[٢] ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: كان عبد الرحمن بن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب بالآية التي نزلت ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...﴾ فلما قرأها المسلمون قال ضمرة بن جندب[٣] الليثي لبنيه ـ وكان شيخاً كبيراً ـ احملوني فإني لست من المستضعفين، وإني لأهتدي إلى الطريق، فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة، فلما بلغ التنعيم[٤] أشرف على الموت، فصفق بيمينه على شماله، وقال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك، أبايعك على ما بايعك[٥] به رسول الله ﷺ فمات حميداً فبلغ خبره[٦] أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا[٧]: لو وافى المدينة لكان أتم أجراً فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية، وهذا قول جماعة المفسرين[٨].

ومعنى ﴿وقع أجره على الله﴾: وجب ثوابه[٩]، والمؤمن إذا قصد طاعة ثم أعجزه العذر عن إتمامها كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة. وهذا معنى قوله ﴿ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟

---

(١) في (و) يمنعوهم. وانظر تفسير الطبري ١٢٢/٩ والبغوي ٥٨٣/١، وغرائب النيسابوري ١٥١/٥.

(٢) ليست في (جـ، هـ، و) وفي (د) قوله.

(٣) في جميع النسخ حبيب بن ضمرة وفي «مجمع الزوائد، والطبراني في الكبير، وابن كثير والدر، وأسد الغابة، وغيرها وهو: ضمرة بن عمرو الخزاعي ـ وقيل ضمرة ـ بن جندب، وقيل ضمضم ـ عن ابن عباس: أن عبد الرحمن بن عوف كتب إلى أهل مكة (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم..) الآية (اسد الغابة ٦١/٣). وترجم له مرة أخرى تحت اسم: جندب بن ضمرة الليثي (المصدر السابق ٣٥٩/١).

(٤) «التنعيم: مكان بين مكة والمدينة، بقرب من مكة» (اللسان/ نعم).

(٥) في (و) بايع.

(٦) في (و) حديثه.

(٧) ليست في (حـ).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧٨، والطبراني ٢٧٢/١١ وأسد الغابة ٦١/٣ وغرائب النيسابوري ١٥٠/٥ وفتح القدير ٥٠٦/١ كلها عن ابن عباس وتفسير مجاهد ١٧٠ وابن كثير ٥٤٣/١ عن ابن عباس وسعيد بن جبير، والدر ٢٠٧/٢ ـ ٢٠٨ عن ابن عباس وسعيد وقتادة وعكرمة والسدي والطبري ١١٧/٩ ـ ١١٨ عنهم والوجيز للواحدي ١٦٩/١.

(٩) انظر مجاز القرآن ١٣٨/١.

ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

ـ قوله جل جلاله[1] ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصّلوٰة. . .﴾ الآية، يقال: قصر الصلاة وأقصرها وقصرها، كل ذلك جائز[2].

وفرضُ المسافر أربع، إلاّ إن رخص له في القصر، إن شاء أخذ بالرخصة وإن شاء أتم على أصل الفرض لأن الله تعالى قال ﴿فليس عليكم جناح أن تقصروا﴾ وهذا اللفظ للإباحة، لا للإيجاب.

وقوله[3] ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ قال ابن عباس[4]: يريد أن يقتلكم ومثل هذا قوله ﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾[5] أي: يقتلهم.

وظاهر قوله ﴿إن خفتم﴾ يوجب أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف، وليس الأمر على ذلك، فإن القصر مباح في السفر عند الأمن، ولكن الآية نزلت على غالب أسفار النبي ﷺ وأكثرها لم تخل عن خوف العدو، والقصر في الأمن جائز.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار[6] عن عبد الله بن أمية[7] قال:

قلت لعمر بن الخطاب: فيم إقصار الناس للصلاة اليوم، وإنما قال الله ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ وقد ذهب ذلك اليوم؟ فقال: عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»[8] أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف[9] حدثنا الفضل بن

---

(١) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٢) انظر اللسان/ قصر، والمصباح المنير/ قصر.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٨.

(٥) سورة يونس/ ٨٣.

(٦) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار المكي القرشي روى عن أبي هريرة. وابن عمر وابن الزبير وعبد الله بابيه وعنه ابن جريج وغيره قال ابن سعد وأبو سعد وأبو زرعة والنسائي ثقة. (تهذيب التهذيب ٣١٣/٦).

(٧) يعلى بن امية بن أبي عبيدة التميمي المكي ـ ويقال يعلى بن منية ومنية أمة نسب إليها، وهي أخت عتبة بن غزوان ـ روى عن النبي ﷺ وعنه ابن عمر وبنوه صفوان وعثمان ومحمد وأخوه عبد الرحمن وعبد الله بن بابيه ومجاهد وعطاء وعكرمة توفي سنة ٣٧ هـ (سير الأعلام ١٠٠/٣ ـ ١٠١ والأعلام ٢٦٩/٩).

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب المساجد ـ باب صلاة المسافر وقصرها (٢٧٧/١) والترمذي كتاب التفسير ـ من سورة النساء رقم ٥٠٢٥ حسن صحيح (٣٠٩/٤) وابو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب صلاة المسافر رقم ١١٩٩ (٣/٢) وشرح السنة للبغوي ١٦٨/٤ وقال هذا حديث صحيح، ومسند احمد ٢٥/١، ٢٦، ومصنف عبد الرزاق ٥١٧/٢ والطبري ١٢٤/٩ ـ ١٢٥ كلهم من حديث يعلى بن امية.

(٩) محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج ابو النضر الفقية الطوسي كان عالما ثقة عابداً له رحلة في طلب الحديث وكان من ائمة خراسان توفي سنة ٣٤٤ هـ عن تسعين سنة (البداية والنهاية ٢٢٩/١١، وسير الأعلام ٤٩٠/١٥ ـ ٤٩١).

عبد الله بن مسعود اليشكري[١]، حدثنا مالك بن سليمان الهروي[٢]، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري[٣]، عن محمد بن سيرين، عن ابن عباس قال:

«سافر رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة لا يخاف إلا الله يصلي ركعتين»[٤]

ـ قوله عزّ وجل ﴿وإذا كنت فيهم...﴾ الآية أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد المقرىء[٥] ـ قراءة عليه في داره بالحيرة سنة خمس وعشرين وأربعمائه ـ حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن زياد السمندي[٦] ـ سنة ثلاث وستين ـ أخبرنا المفضل بن محمد الجندي ـ بمكة في المسجد الحرام سنة أربع وثلاثمائة ـ أخبرنا علي بن زياد اللحجي [٧]، حدثنا أبو قرة موسى بن طارق [٨] قال: ذكر سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: حدثنا أبو عياش الزرقي [٩] قال: صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال، لو كنا[١٠] أصبنا منهم غرة[١١] فقالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم، فقال:[١٢] وهي العصر، قال: فنزل جبريل بهؤلاء الآيات بين الأولى[١٣] والعصر﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوٰة فلتقم طائفة منهم معك﴾وهم بعسفان [١٤]، وعلى المشركين خالد بن الوليد[١٥].

---

(١) الفضل بن عبد الله بن مسعود اليشكري الهروي عن مالك بن سليمان يروي العجائب قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، شهرته عند من كتب من أصحابنا حديثه تغني من التطويل في أمره، فلا ادري أكان يقبلها او تدخل عليه (الميزان ٣/٣٥٣).

(٢) مالك بن سليمان الهروي قاضي هراة عن إسرائيل وشعبة وغيرهما قال العقيلي: فيه نظر وكذا قال السليماني وضعفه الدارقطني (الميزان ٣/٤٢٧).

(٣) يزيد بن ابراهيم التستري ابو سعيد البصري التميمي قال عبد الله بن احمد عن أبيه ثقة وقال أبو زرعة والنسائي ثقة توفي سنة ١٦٣ (تهذيب التهذيب ١١/٣١١ ـ ٣١٢).

(٤) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب السفر ـ باب التقصير في السفر ـ رقم ٢٤٥ وصححه (٢/٢٦) والطبراني في الكبير ١١/١١٨، ١٢/١٩٢ وفي الصغير ١/٣١ ومسند احمد ١/٢٢٦ ومصنف عبد الرزاق ٢/٥١٦ كلهم من حديث ابن عباس

(٥) في (جـ،د) سعد.

(٦) في (د) السيدي.

(٧) ابو الحسن علي بن زياد اللحجي سمع ابن عيينة وغيره وعنه المفضل بن محمد الجندي وكان مستقيم الحديث (الأنساب ٣/٣٢١، واللباب ٣/١٢٩). «علي بن زياد اللخمي هكذا وقع بالخاء المعجمة والميم نسبة إلى لخم وهو خطأ حسن وصوابه اللحجي نسبة إلى اللبلد المعروف باليمن قريباً من عدن، وهذا الرجل كان مشهوراً بلحج وهو كثاني النسب مات سنة ٢٣٥ هـ وشيخه ابو قرة موسى بن طارق» (عمدة القوي والضعيف صـ ١٠).

(٨) في (د) ابو مرة، وهو موسى بن طارق ابو قرة الزبيدي صاحب ابن جريج صدوق قال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به ووثقه ابن حبان وهو شيخ علي بن زياد اللحجي مات سنة ٢٠٣ هـ (الميزان ٤/٢٠٧ عمدة القوي والضعيف ٢٠).

(٩) ابو عياش الزرقي زيد بن الصامت ـ وقيل ابن النعمان وقيل عبد الرحمن بن معاوية بن الصامت ـ ابن زيد خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق بن عبد بن حارثة بن عضب بن جشم بن الخزرج روى عن النبيﷺ حديث صلاة الخوف بعسفان وعنه مجاهد وأبو صالح الزيات مات في خلافة معاوية. (تهذيب التهذيب ١٢/١٩٣).

(١٠) في (د) فلو كنا.

(١١) «الغرة: الغفلة، أي كانوا غافلين عن حفظ مقامهم وما هم فيه من مقابلة العدو». (اللسان/ غرر).

(١٢) في (د) قال وهي صلاة العصر.

(١٣) الأولى: الظهر (حاشية أ).

(١٤) عُسْفان ـ بضم اوله وسكون السين ـ قربة جامعة بين مكة والمدينة (اللسان/ عسف).

(١٥) الحديث: رواه ابو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب صلاة الخوف ـ رقم١٢٣٦(٢/١١ ـ١٢) والترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء رقم=

قال الزجاج[١]: «الهاء والميم» في ﴿**فيهم**﴾[٢] يعودان على المؤمنين، أي: ﴿**وإذا كنت**﴾ أيها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم ﴿**فأقمت الصلاة**﴾، أي: أقمتها، «وإقامة الصلاة»: الابتداء في تأديتها ﴿**فلتقم طائفة منهم معك**﴾ أي: فلتقف، يقال: قام الرجل إذا وقف ومنه قوله ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا﴾[٣] أي: وقفوا قال ابن عباس[٤]: **تصفهم يصلون معك**.

﴿**وليأخذوا أسلحتهم**﴾ أي: وليأخذ الباقون[٥] أسلحتهم ﴿**فإذا سجدوا**﴾ أي: فإذا سجدت[٦] الطائفة التي قامت معك ﴿**فليكونوا من ورائكم**﴾ أي: الذين أمروا بأخذ السلاح.

قوله[٧] ﴿**ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك**﴾ قال ابن‌عباس[٨]: يريد الذين كانوا من ورائهم من لم **يكونوا صلوا فليصلوا معك**[٩] وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم يريد: الذين صلوا أولاً[١٠].

﴿**ود الذين كفروا لو تغفلون**﴾ أي: يتمنى الكفار لو كنتم مشتغلين كلكم بالصلاة غافلين ﴿**عن أسلحتكم وأمتعتكم**[١١] **فيميلون عليكم ميلة واحدة**﴾ فيقصدونكم بالقتال ﴿**ولا جناح عليكم إن كان أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم**﴾ قال ابن‌عباس[١٢]: يريد: ثقل السلاح على المريض وفي المطرة فرخص لهم في وضع **الأسلحة**[١٣].

وقوله ﴿**وخذوا حذركم**﴾ أي: راعوا العدو وراقبوهم بقلوبكم كيلا يغفلون.

ـ قوله جل جلاله[١٤] ﴿**فإذا قضيتم الصلوة**﴾ يعني: صلاة الخوف ﴿**فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم**﴾ يعني[١٥] المرضى الذين لا يستطيعون الجلوس[١٦] ﴿**فإذا اطمأننتم**﴾ أي: في بلادكم وزالت حركة السفر ﴿**فأقيموا الصلوة**﴾ فأتموها[١٧]. ﴿**إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً**﴾[١٨] فرضاً مؤقتاً، قال ابن عباس[١٩]: فريضة بأوقاتها. والمراد بالمصدر ها هنا: المفعول، يقال وقته بمعنى وقته[٢٠].

= ٥٠٢٦ حسن صحيح (٤/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) والمستدرك كتاب صلاة الخوف وصححه (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) والطبراني في الكبير ٥/ ٣٤٣ والطبري ٩/ ١٣١ ومصنف عبد الرزاق ٢/ ٥٠٥ ومسند احمد ٤/ ٥٩ كلهم من حديث ابي عياش

(١) انظر الزجاج ٢/ ١٠٥.
(٢) في (هـ) هم.
(٣) سورة البقرة/ ٢٠
(٤) انظر الدر ٢/ ٢١٢ عن ابن عباس.
(٥) في (د) وليأخذوا الواقفين.
(٦) في (د) إذا.
(٧) في (د) قوله.
(٨) انظر تفسير الطبري ٩/ ١٤٩ والدر ٢/ ٢١٤ كلاهما عن ابن عباس.
(٩) في (د) أول
(١٠) في جميع النسخ/ عن امتعتكم واسلحتكم.
(١١) في (د) مرضا.
(١٢) انظر تفسير الطبري ٩/ ١٦٣ والدر ٢/ ٢١٤ كلاهما عن ابن عباس.
(١٣) من (أ،د).
(١٤) في (جـ،د) قوله وفي (هـ) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.
(١٥) في غير (أ) هم المرضى.
(١٦) في (هـ) بالجلوس.
(١٧) انظر غريب القرآن ١٣٥ ومجاز القرآن ١/ ١٣٨ والدر ٢/ ٢١٣ عن مجاهد وقتادة.
(١٨) في (د) قال ابن عباس.
(١٩) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٥٥٠، والدر ٢/ ٢١٥ كلاهما عن ابن عباس والزجاج ٢/ ١٠٨ بنحوه.
(٢٠) انظر مجاز القرآن ١/ ١٣٩.

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

ـ قوله جل جلاله [1] ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم﴾[2]: لا تضعفوا عن طلب العدو يعني: أبا [3] سفيان وأصحابه، وذلك أنهم لما انصرفوا من أحد أمر الله نبيه ﷺ أن يسير في آثارهم، فندب النبي ﷺ الناس، فاشتكوا ما بهم من الجراحات، فأنزل الله هذه الآية[4].

وقوله[5] ﴿إن تكونوا تألمون [فإنهم يألمون كما تألمون]﴾ و«الألم»: الوجع وقد ألم الرجل يألم ألماً فهو آلم[6].

وقال قتادة[7]: إن كنتم تتوجعون فإنهم يتوجعون كما تتوجعون، أي: أن ألمتم جراحكم، فهم أيضاً في مثل حالكم من ألم الجراح.

﴿وترجون من الله﴾[8] من الأجر والثواب والنصرة ﴿ما لا يرجون﴾ هم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما حكم لأوليائه بالثواب ولأعدائه بالعقاب.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾

ـ قوله عز وجل[9] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ نزلت في رجل يقال له طعمة بن أُبَيْرق[10]، سرق درعاً،

---

(١) في (حـ) وقوله، وغير (أ) قوله.

(٢) في (جـ،د) أي لا.

(٣) في (د) ابو سفيان.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٧٩ والطبري ١٧٣/٩ عن ابن عباس والوجيز للواحدي ١٧١/١.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الاخفش ٤٥٤/١ واللسان/ ألم، ومفردات الراغب/ ألم.

(٧) انظر الدر ٢١٥/٢ عن قتادة وتفسير ابن عباس ٧٩، والزجاج ١٠٨/٢.

(٨) في (د) قوله وترجون من الله اي الأجر.

(٩) في (د) قوله، وفي (هـ، و) وقوله تعالى

(١٠) طعمة بن ابيرق بن عمرو بن حارثة بن ظفر بن الخزرج بن عمرو شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرا، وطعمة يتكلم في إيمانه (اسد الغابة ٧٥/٣).

فاستودعها يهودياً، فوجدت عنده، فقال: استودعنيها طعمة بن أبيرق، فأنكر وقال: إنما سرقها اليهودي، فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي، **فانطلقوا** إلى النبي ﷺ وكان هوى رسول الله ﷺ مع طعمة فنزل قوله[1] تعالى ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب**﴾[2] القرآن ﴿**بالحق**﴾ لا بالتعدي في الحكم ﴿**لتحكم بين الناس بما أراك الله**﴾ بما علمك الله ﴿**ولا تكن للخائنين خصيماً**﴾. «الخصيم»: الذي يخاصمك.

أي لا تكن[3] مخاصماً، ولا دافعاً عن خائن، يعني: طعمة وقومه.

ـ ﴿**واستغفر الله**﴾ قال السدي: مما أردت من الجدال عن طعمة، وقال ابن عباس: من همك يقطع اليهودي.

ـ ﴿**ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم**﴾ يعني: **طعمة** ومن عاونه من قومه وهم يعلمون أنه سارق.

و «الاختيان» كالخيانة، يقال: خانه واختانه وقد ذكرنا ذلك عند قوله ﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾[4].

ومعنى [﴿**يختانون أنفسهم**﴾]: [5] يخونونها بالمعصية، والعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه.

وقد صرحت الآية بالنهي عن المجادلة عن الظالمين، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قد جادل عن طعمة على غير بصيرة فعاتبه الله[6] بهذا، وأمره بالاستغفار، ونهاه عن المعاودة إلى مثله[7].

فما ظنك بمن يعلم ظلم الظالم ثم يستجيز معاونته؟

وقوله[8] ﴿**إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً**﴾ أي: خائناً فاجراً، وذلك أن طعمة خان في الدرع وأثم في رميه[9] اليهودي.

ـ قوله جل جلاله[10] ﴿**يستخفون من الناس**﴾ «الاستخفاء» الاستتار، يقال استخفيت من فلان، أي: تواريت منه، قال الله تعالى ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾[11] أي: مستتر[12] ـ والمعنى: يستترون من الناس، يعني: طعمة وقومه كيلا يطلعوا على كذبهم وخيانتهم [﴿**ولا يستخفون**﴾] ولا يستترون ﴿**من الله وهو معهم**﴾ أي: عالم بما يخفون وما

---

(١) في غير (أ) فنزلت. وانظر في سبب النزول: تفسير ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه «عن قتادة بن النعمان قال: كان اهل بيت منا يقال لهم بنو ابيرق ـ بشر وبشير ومبشر ـ وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب... فابتاع عمي رفاعة بن زر جملاً من الدرمك فجعله في مشربة له وفي المشربة سلاح له درعان وسيفاهما وما يصلحهما فعدا عديّ من تحت الليل فنقب المشربة وأخذ الطعام والسلاح واسم اليهودي: لبيد بن سهل أو زيد بن السمين هكذا في الدر ٢/٢١٦ ـ٢١٧، وابن كثير ١/٥٥٠ ـ٥٥١ والطبري ٩/١٧٧ ـ١٨١ والطبراني في الكبير ١٩/٩ ـ٢١ والمستدرك ٤/٣٨٥ ـ٣٨٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) في (حـ) الكتاب بالحق أي القرآن وفي (د) الكتاب أي القرآن، وفي (و) الكتاب بالحق لا بالتعدي.

(٣) في (د) أي تكن.

(٤) سورة البقرة/ ١٨٧.

(٥) ليست في (و).

(٦) في (د) فعاتبه الله تعالى هذا.

(٧) انظر الدر ٢/٢١٧ عن ابن زيد.

(٨) في (د) قوله تعالى.

(٩) في (د) أي يرمي.

(١٠) في غير (أ) وقوله.

(١١) سورة الرعد/ ١٠.

(١٢) انظر اللسان/ خفا، والمصباح المنير/ خفى، ومفردات الراغب/ خفى

يعلنون ﴿إذ يبيتون﴾ يهيئون ويقدرون [﴿ما لا يرضى﴾] ما لا يرضاه الله ﴿من القول﴾ وهو أن طعمة قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع، وأحلف أني لم أسرقها، فتقبل يميني، لأني على دينهم ولا تقبل يمين اليهودي [١].

﴿وكان الله بما يعملون محيطاً﴾ أحاط بسرائرهم [٢].

ثم خاطب قوم طعمة فقال:

- ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم﴾ خاصمتم ﴿عنهم﴾ عن طعمة وقومه، يعني: جماعة من الأنصار من قرابة طعمة جادلوا عنه عن قومه ﴿فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ أي: لا أحد يفعل ذلك ﴿أم مَن[٣] يكون وكيلا﴾ أي: لا يكون عليهم يوم القيامة وكيل[٤] يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم.

ثم عرض التوبة على طعمة بقوله:

- ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله. . .﴾[٥] الآية:

[أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي بن عبدش[٦]][٧] أخبرنا الحسين بن علي الدارمي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن نصر بن سندوية[٨]، حدثنا إبراهيم بن راشد[٩]، حدثنا داود بن مهران[١٠]،حدثني عمر بن يزيد الفأفاء[١١]، عن أبي إسحاق، عن عبد خير، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ [قال رأيته على المنبر ـ يعني: علياً][١٢] وهو يقول: سمعت أبا بكر الصدّيق: رضي الله عنه، وهو الصدوق ـ يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد أذنب ذنباً فقام فتوضأ[١٣] فأحسن الوضوء ثم قام يصلي فاستغفر الله إلا كان حقاً على الله أن يغفر له».

ينادي على المنبر: صدق أبو بكر صدق[١٤] أبو بكر، ذلك بأن الله قال ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[١٥].

- [قوله جل جلاله[١٦] ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه﴾ أي: إنما ضر بما فعل نفسه، لأنه لا يؤخذ غير الآثم

---

(١) انظر الزجاج ١١٢/٢، والطبري ١٨٦/٩ عن السدي.

(٢) في (د) سرائرهم.

(٣) في جميع النسخ: أمن.

(٤) في (د) وكيلا.

(٥) وتمامها (يجد الله غفوراً رحيماً)

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٨) احمد بن نصر بن سندويه بن يعقوب بن حسان ابو بكر المعروف بحبشون البندار سمع يوسف القطان والحسن بن عرفة وطائفة وعنه الدارقطني وغيره قال أبو القاسم الأزهري عن الدارقطني: صدوق كتبنا عنه توفي سنة ٣٢١ هـ (تاريخ بغداد ١٨٢/٥).

(٩) إبراهيم بن راشد الآدمي شيخ لمحمد بن مخلد، وثقه الخطيب واتهمه ابن عدي. (الميزان ٣٠/١).

(١٠) داود بن مهران أبو سليمان الدباغ سمع داود بن عبد الرحمن العطار وسفيان بن عيينة وطائفة وعنه إبراهيم بن راشد الآدمي وغيره قال وثقه العجلي وغيره توفي سنة ٢١٧ هـ (تاريخ بغداد ٣٦٢/٨ ـ ٣٦٣).

(١١) لم أقف عليه.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (جـ).

(١٣) في (د) وتوضأ وفي (هـ) فتوضى.

(١٤) في (هـ) مرتين.

(١٥) رواه ابن ماجة في السنن ـ كتاب إقامة الصلاة ـ باب ما جاء في أن الصلاة كفارة رقم ١٣٩٥ (٤٤٦/١) ومسند أحمد ٢/١، ٩، ١٠ عن علي، وتقدم مثله عند تفسير الآية ١٣٥ من سورة آل عمران.

(١٦) في غير (أ) قوله.

بإثمه﴿وكان الله عليماً﴾بالسارق ﴿حكيماً﴾حكم بالقطع على طعمة في السرقة[1]][2]

ـ قوله تعالى﴿ومن يكسب خطيئة﴾قال الكلبي [3]: لما نزلت هذه الآيات[4] عرف قوم طعمة أنه الظالم فأقبلوا عليه وقالوا[5]: بؤ بالذنب واتق الله، فقال: لا والذي يُحلف به ما سرقها إلا اليهودي، فأنزل الله تعالى﴿ومن يكسب خطيئة﴾يقول: بيمينه الكاذبة﴿أو إثماً﴾يعني سرقه الدرع ورميه بها اليهودي﴿فقد احتمل بهتانا﴾برميه اليهودي البريء﴿وإثماً مبيناً﴾يعني: يمينه الكاذبة.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

ـ قوله جل جلاله[6] ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ قال ابن عباس[7]: بالنبوة والعصمة ﴿لهمت﴾ قال الفراء والزجاج[8]: المعنى لقد همت﴿طائفة منهم إن يضلوك﴾ يخطئوك في الحكم، وذلك: أنهم سألوا النبي ﷺ أن يجادل عن طعمة ويرمي بسرقته اليهودي.

﴿وما يضلون الا أنفسهم﴾لأنهم يعملون عمل الضالين [9] بتعاونهم على الإثم والعدوان، وشهادتهم بالزور والبهتان﴿وما يضرونك[10] من شيء﴾لأن الضرر على من شهد بغير حق. ثم ذكر منته عليه فقال ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾قال الزجاج [11]: بين لك في كتابه ما فيه الحكمة التي لا يقع معها ضلال ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾يعني: من أحكام الدين﴿وكان فضل الله عليك [12]﴾بالنبوة والعصمة﴿عظيماً﴾.

۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ

(١) في (د) سرقه.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (و).
(٣) انظر الدر ٢/١١٧ عن ابن زيد والخازن ١/٥٩٦.
(٤) في (أ، هـ) الآية.
(٥) في (د) وقالوا له أبو.
(٦) في غير (أ) قوله تعالى، في (د) قوله.
(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ وغرائب النيسابوري ٥/١٧٠ والوجيز للواحدي ١/١٧٣.
(٨) انظر الفراء ١/٢٨٧ والزجاج ٢/١١٣ والمستدرك ٤/٣٨٦ ـ ٣٨٧.
(٩) في (و) الضلال.
(١٠) في (هـ) يضرنك.
(١١) انظر الزجاج ٢/١١٣.
(١٢) ليست في (و).

فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾

ـ قوله عز وجل [(١)] ﴿**لا خير في كثير من نجواهم**﴾ «النجوى» سر بين اثنين ومنه قوله ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ [(٢)] قال مجاهد [(٣)] : هذه الآية عامة بين الناس، يريد: أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث، إلا ما كان من أعمال الخير، وهو قوله﴿**إلا من أمر بصدقة**﴾قال أبو عبيدة[(٤)]: إلا في نجوى من أمر بصدقة، ثم حذف المضاف.

﴿**أو معروف**﴾قال ابن عباس: [(٥)] بصلة رحم أو بطاعة لله، ويقال لأعمال البر كلها: معروف، لأن العقول تعرفها.

وقوله [(٦)] ﴿**أو وإصلاح بين الناس**﴾هذا مما حث عليه رسول الله، فقال لأبي أيوب الأنصاري: «ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم[(٧)]؟ قال: نعم [(٨)] يا رسول الله، قال: تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم

---

(١) في غير (أ) قوله.

(٢) ليست في (جـ، د) والآية من سورة المجادلة /٧.

(٣) انظر تفسير البغوي ١/٥٩٧ عن مجاهد وغرائب النيسابوري ٥/١٧٣، الدر ٢/٢١٨ عن عكرمة.

(٤) انظر مجاز القرآن ١/١٣٩ وغرائب النيسابوري ٥/١٧٤، والرازي ١١/٤١ كلاهما عن أبي عبيدة، والزجاج ٢/١١٥ والأخفش ١/٤٥٤.

وانظر التبيان ١/٣٨٩ والمشكل ١/٢٠٨ والبيان ١/٢٦٧.

(٥) ذكره الخازن ١/٥٩٧، والبغوي ١/٥٩٧.

(٦) في (د) قوله وإصلاح.

(٧) والعرب تقول: خير الإبل حُمْرُها وصهبها وبعير أحمر: لونه مثل لون الزعفران، وقيل إذا لم يخالط حمرته شيء وحمر النعم: كرائمها وهو مثل في كل نفيس. (المصباح /الحمر، واللسان/حمر).

(٨) في (د) فقال نعم، وفي (هـ) فقال بلى.

اذا تباعدوا»[(١)] وروت أم حبيبة[(٢)] أن النبي ﷺ قال: «كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا ما كان من أمر[(٣)] بمعروف، أو نهي عن المنكر، أو ذكر الله»[(٤)].

وروي أن رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث، فقال سفيان: ألم تسمع قول الله ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة...﴾ فهذا هو بعينه[(٥)] ثم أعلم الله أن ذلك إنما ينفع من ابتغى ما عند الله، فقال ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات[(٦)] الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ثوابا لا حدّ له.

ـ قوله جل جلاله[(٧)] ﴿ومن يشاقق الرسول..﴾ الآية، قال ابن عباس[(٨)]: ثم حكم رسول الله ﷺ على طعمة بالقطع، فهرب ولحق بالمشركين[(٩)]، فنزل قوله ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ أي: خالفه ﴿من بعد ما تبين له الهدى﴾ ظهر له أن دين الله الإسلام[(١٠)]، وأن ما أتى به محمد ﷺ حق وصدق ﴿ويتبع غير سبيلِ المؤمنين﴾ غير دين الموحدين.

وذلك أن طعمة ترك دين الإسلام، وخالف المسلمين.[(١١)] ﴿نوله ما تولى﴾ ندعه وما[(١٢)] اختار لنفسه ﴿ونصله جنهم﴾ ندخله إياها[(١٣)] ﴿وساءت مصيراً﴾ ساءت جهنم موضعاً يصار اليه.

ـ قوله عز وجل[(١٤)] ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾ مضى الكلام في هذه الآية في هذه السورة[(١٥)].

---

(١) الحديث: رواه البزار في الزوائد ـ كتاب الأدب ـ باب الإصلاح بين الناس رقم ٢٠٦٠ عن أنس ٢/٤٤١، والطبراني في الكبير ٤/١٣٨ عن أبي أيوب «وفي إسناده موسى بن عبيدة وهو متروك». ٨/٣٠٧ عن أبي أمامة الباهلي.

ومجمع الزوائد ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الإصلاح بين الناس ـ عن أبي أمامة «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن حفص صاحب أبي أمامة لم أعرفه وبقية رجاله ثقات» وعن أنس «رواه البزار وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري وهو متروك» ٨/٧٩ ـ ٨٠.

(٢) أم حبيبة: رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف زوج النبي ﷺ هاجرت إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب وزوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب مات بأرض الحبشة نصرانياً فخلف عليها رسول الله ﷺ أنكحه إياها عثمان بن عفان بأرض الحبشة ولدت قبل الهجرة بخمس وعشرين سنة وماتت سنة ٤٤ هـ.

(الأعلام ٣/٦٠ والطبراني في الكبير ٢٣/٢١٨).

(٣) في (د) إلا من كان في أمر.

(٤) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب الزهد ـ باب ما جاء في حفظ اللفظ رقم ٢٥٢٥ «حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس» (٣/٣٢ ـ ٣٣). والطبراني في الكبير ٢٣/٢٤٣ قال المحقق: «ومحمد بن يزيد قال الحافظ: مقبول أي عند المتابعة ولا متابع له ـ فيما يعلم ـ فالحديث ضعيف».

وابن ماجة في السنن ـ كتاب الفتن ـ باب كف اللسان في الفتنة رقم ٣٩٧٤ (٢/١٣١٥) والجامع الصغير ٢/٩٧ ورمز له بالصحيح، كلهم من حديث أم حبيبة.

(٥) انظر الطبراني في الكبير ٢٣/٢٤٣ وابن كثير ١/٥٥٤ والبحر ٣/٣٤٩ كلها عن سفيان والسائل هو: سعيد بن حسان.

(٦) في (حـ، د) ابتغا. (٣) في (أ، و) مرضاة.

(٧) في غير (أ) قوله، وفي (هـ) قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى﴾. وفي (د) أي يخالفه.

(٨) انظر الزجاج ٢/١١٦ وابن كثير ١/٥٥٢ والطبري ٩/١٨٥ ـ ١٨٩ عن ابن زيد والسدي والضحاك، ٩/٢٠٥ عن ابن جرير، والمستدرك ٤/٣٨٧.

والترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء رقم ٥٠٢٧ «حديث غريب ويروى عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً» في قصة طعمة عن قتادة بن النعمان (٤/٣١٠ ـ ٣١٣).

(٩) في (د) وهرب ولحق المشركين، وفي (هـ) والتحق بالمشركين.

(١٠) في (حـ) أن الإسلام دين الله.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) في (حـ) فيما اختار.

(١٣) في (هـ) جهنم.

(١٤) في غير (أ) قوله.

(١٥) انظر ذلك عند تفسير الآية ٤٨ من سورة النساء.

ـ قوله جل جلاله [1] ﴿إن يدعون من دونه [2] ﴾قال ابن عباس [3] : يعنـي عبادتهم الأوثان «اللات والعزى ومناة» وأشباهها من الآلهة التي كانو يعبدونها وقال الحسن[4] : لم يكن حي من أحياء العرب إلا ولهم صنم يعبدونه[5] فيسمونه « أنثى بني فلان» فأنزل الله ﴿إلا اناثاً﴾.

وقال مقاتل وقتادة والضحاك[6]: ﴿إلا اناثاً﴾إلا مواتـاً لا روح فيه[7]. وقـوله [8] ﴿وإن يـدعون إلا شيـطاناً مريداً﴾[أي: ما يعبدون بعبادتهم لها إلا شيطاناً مريداً] [9] بطاعتهم له في عبادتها، فتلك العبادة إذاً ليست للأوثان بل هي للشيطان.

قال الزجاج[10]: يعني بـ «الشيطان» ها هنا: إبليس وهم إذا أطاعوه فيما سول لهم، فقد عبدوه، و«المـريد» الخبيث الشرير، وشيطان مريد ومارد واحد[11] قال الزجاج: ومعنى «مريد» خارج عن الطاعة[12].

ـ وقوله [13] ﴿لعنه الله﴾قال ابن عباس: دحره [14] الله وأخرجه من الجنة ﴿وقال﴾يعني: إبليس﴿لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾قال ابن عباس يعني من اتبعه وأطاعه[15] وقال الكلبي[16] : ﴿نصيباً مفروضاً﴾: معلوماً. وكل من أطاع إبليس [17] فيما يزينه له فهو من نصيبه المفروض.

ـ قوله تعالى [18]﴿ ولأضلنهم﴾ قال ابن عباس [19]: عن [20] سبيل الهدى وطرق الحق. و «إضلاله»: وسواس ودعاء إلى الباطل ولو كان إليه شيء من الضلالة سوى الدعاء إليها لأضل جميع الخلق ولكنه كما قال رسول الله ﷺ: «خلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء »[21] يعني [22] انه يزين للناس الباطل وركوب الشهوات ولا يخلق لهم الضلالة.

---

(١) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٢) في (أ) إلا إناثاً، و«إن» هاهنا: نافية (حاشية أ).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ والزجاج ٢/١٢٠ والفراء ١/٢٨٨ وغريب القرآن ١٣٥، والطبري ٩/٢٠٧ عن أبي مالك والسدي وابن زيد.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩/٢٠٩ وغرائب النيسابوري ٥/١٧٦ والرازي ١١/٤٦ والدر ٢/٢٢٣ وفتح القدير ١/٥١٨ كلها عن الحسن.

(٥) في (جـ) يعبدونها تسمى.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٧٤ والزجاج ٢/١٢٠ والطبري ٩/٢٠٨ عن قتادة وابن عباس، والحسن، ومجاز القرآن ١/١٤٠ والدر ٢/٢٢٣ عن الحسن وقتادة.

(٧) في (و) فيها. (٨) في (د) قوله. (٩) ما بين المعقوفتين ساقط من (و). (١٠) انظر الزجاج ٢/١١٧ وابن كثير ١/٥٥٦.

(١١) انظر اللسان / مرد، والمصباح المنير / مرد، ومفردات الراغب / مرد.

(١٢) انظر الزجاج ٢/١١٨.

(١٣) في غير (أ) قوله.

(١٤) «دحره: أي أبعده» (حاشية أ).

(١٥) انظر البحر ٣/٣٥٢ بنحوه عن ابن عطية.

(١٦) في (جـ، د) الكلبي محمد بن السائب. وانظر الدر ٢/٢٢٣ عن الكلبي.

(١٧) ساقطة من (هـ). (١٨) في غير (أ) وقوله وفي (د) قوله. (١٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٠. (٢٠) في (د) من سبيل.

(٢١) الحديث: انظر تنزيه الشريعة المرفوعة ١/٣١٥، والميزان ١/٦٣٤ وتذكرة الموضوعات ص ٦٨ والمجروحين ١/٢٨١ كلها في ترجمة خالد بن عبد الرحمن العطار العبدي أبو الهيثم ليس بمعروف بالنقل وحديثه غير محفوظ ترك حديثه لأجل هذا الحديث، وانظر اللالىء ١/٢٥٤ والموضوعات لابن الجوزي ١/٢٧٢ ـ ٢٧٣» قال العقيلي: خالد بن عبد الرحمن ليس بمعروف بـالنقل ولا يعـرف لهذا الحديث أصل وقال الدارقطني: خالد هذا مجهول لا أعلمه روى شيئاً غير هذا الحديث، وانظر الضعفاء الكبير ٢/٨ ـ ٩ في ترجمة خالد بن عبد الرحمن العبدي أبي الهيثم العطار.

(٢٢) في (د، هـ) قوله.

وقوله ﴿ولأمنينهم﴾[١] التمنية: تسهيل سبيل إدراك المنية وهو ما يتمناه الإنسان[٢]، والشيطان يمني الإنسان بأن يخيل إليه إدراك ما يتمناه من المال وطول العمر.

قال ابن عباس[٣]: يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي[٤]: ولأمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث وقال الزجاج[٥]: أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون من الآخرة حظاً.

وقوله[٦] ﴿ولآمرنهم فليبتكن ءاذان الأنعام﴾ «البتك» القطع[٧]، و «التبتيك»: التقطيع وهو في هذا الموضع: قطع آذان البحيرة عند جميع أهل التفسير[٨].

وقوله ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال ابن عباس[٩]: يريد دين الله وهو قول مجاهد والحسن والضحاك وقتادة والسدي وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير. ومعنى: «تغيير دين الله»: تبديل الحرام حلالاً، والحلال حراماً ومن ارتكب محظوراً أو أتى منهياً فقد غير دين الله.

[١٠] ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله﴾[١١]: من يطعه فيما يدعوه إليه من الضلال ﴿فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ خسر الجنة ونعيمها.

ـ قوله جل جلاله[١٢] ﴿يعدهم ويمنيهم﴾ معنى «وعد الشيطان وتمنيته»: ما يصل إلى قلب الإنسان من نحو ما يجده من أنه سيطول عمرك وتنال من الدنيا لذتك وتعلو على أعدائك. وكل هذا غرور وتمنية، وستهجم عن قريب على الأجل[١٣]، وقد أبطل أيام عمره في رجاء ما لم يدرك منه شيئاً. فالعاقل من لم يعرج على هذا، وجد في الطاعة، وعلم أنه[١٤] سينقطع عن الدنيا قريباً، وصدق الله في قوله ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي: إلا ما يغرهم بايهام[١٥] النفع فيما فيه الضر.

ـ قوله تعالى ﴿أولئك﴾ يعني: الذين اتخذوا الشيطان ولياً ﴿مأواهم جهنم﴾ مرجعهم ومصيرهم إليها ﴿ولا[١٦] يجدون عنها محيصاً﴾ يقال: حاص عن الأمر إذا عدل عنه[١٧]. والمعنى: أنهم لا بد لهم من ورودها والخلود فيها فلا معدل لهم عنها.

---

(١) في (حـ) والمنية.

(٢) انظر اللسان/ منى.

(٣) انظر تفسير الخازن ١/٥٩٩ عن ابن عباس والبحر ٣/٣٥٣ وابن كثير ١/٥٥٦.

(٤) انظر تفسير الخازن ١/٥٩٩ عن الكلبي وتفسير ابن عباس ٨٠ والبحر ٣/٣٥٣.

(٥) انظر الزجاج ٢/١١٩.

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر مجاز القرآن ١/١٤٠.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ والزجاج ٢/١١٩ وغريب القرآن ١٣٦ والطبري ٩/٢٢٤ عن قتادة والسدي، والدر ٢/٢٢٣ عن قتادة والسدي والضحاك.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٠ ومجاهد ١٧٤ والثوري ٩٧ والزجاج ٢/١١٩ وغريب القرآن ١٣٥ والطبري ٩/٢١٨ ـ ٢١٩ والدر ٢/٢٢٤ كلاهما عن ابن عباس والضحاك، وإبراهيم وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وابن كثير ١/٥٥٦ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وغيرهم.

(١٠) في (حـ، د) قوله.

(١١) في (د) أي، وفي (حـ) من يطيعه.

(١٢) في غير (أ) قوله.

(١٣) في (هـ) أجل.

(١٤) في (د) وعلم أن.

(١٥) في (د) بإلهام.

(١٦) في (أ) لا يجدون.

(١٧) وهو رأي أبي عبيدة في مجاز القرآن ١/١٤٠ والطبري ٩/٢٢٦ واللسان /حيص، والمصباح المنير/حاص.

ـ قوله عز وجل[١] ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ظاهر إلى قوله [٢]:

ـ ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾أكثر المفسرين[٣]: على أن هذا في المسلمين وأهل الكتاب وذلك أن المسلمين قالوا: نحن أهدى منكم وقال أهل الكتاب: نحن أهدى منكم، فأنزل الله هذه الآية، يقول: ليس ثواب الله بالأمنية ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

قال الحسن [٤] هذا في الكفار خاصة لأنهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير، والمؤمن يجازى بأحسن عمله، ويتجاوز عن سيئاته ثم قرأ ﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا..﴾الآية [٥].

وقال آخرون: هذا عام في كل من عمل سوءاً من مسلم وكافر ولكن المؤمن يجزى به في الدنيا[٦].

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الزمجاري، وأخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن السقطي حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي[٧]، عن أبي بكر الصديق، قال: قلت: كيف الصلاح يا رسول الله بعد هذه الآية ﴿من يعمل سوءاً يجزبه﴾ فقال: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تصيبك اللأواء[٨]؟ قلت: بلى، قال: فذلك ما تجزون»[٩].

أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد الواعظ[١٠]، أخبرنا أبو صالح البيهقي حدثنا مكي بن عبدان حدثنا أبو الأزهري، حدثنا روح، حدثنا إبراهيم بن يزيد حدثنا عبد الله بن إبراهيم[١١]، قال: سمعت أبا هريرة يقول:

لما نزلت ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به﴾ بكينا وحزنا وقلنا: يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شيء قال:

«أما والذي نفسي بيده إنها لكما أنزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسددوا إنه لا يصيب أحداً منكم مصيبة إلا كفر الله تعالى بها خطيئة، حتى الشوكة يشاكها أحدكم في قدمه»[١٢].

---

(١) في (جـ،هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٢) وتمامه ﴿سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً﴾.

(٣) انظر تفسير الطبري ٩/٢٢٨ ـ ٢٢٩ وابن كثير ١/٥٥٧ والدر ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، كلها عن ابن عباس ومسروق وقتادة والسدي والضحاك وأبي صالح، وأسباب النزول للسيوطي ٩٤ وللواحدي ١٣٤ ـ ١٣٥ وأسد الغابة ٦/٤٤٤ عن بعض الصحابة والرازي ١١/٥٢.

(٤) في (د) وقال الحسن، وانظر تفسير الطبري ٩/٢٣٧ ـ ٢٣٨ عن الحسن والضحاك وابن زيد، والدر ٢/٢٢٨، ٢٣٠ عن الحسن.

(٥) سورة الزمر /٣٥، وتمامها ﴿ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾.

(٦) انظر تفسير الطبري ٩/٢٣٦ عن قتادة وعائشة ومجاهد والدر ٢/٢٢٧ ـ ٢٢٨ عن عائشة ومحمد بن المنتشر والربيع وابن مسعود.

(٧) أبو بكر بن أبي زهير الثقفي ـ واسم أبيه معاذ ـ بن رباح روى عن أبيه وله صحبة وأنس بن مالك وأرسل عن أبي بكر الصديق وعنه إسماعيل بن أبي خالد وغيره مقبول من الثالثة. (تهذيب التهذيب ١٢/٢٤، والتقريب ٢/٣٩٦).

(٨) «النصب: التعب» و«اللأواء: الشدة» (حاشية أ).

(٩) الحديث رواه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة «صحيح الإسناد» عن أبي بكر ووافقه الذهبي ومسند أحمد ١/١١ والطبري ٩/٢٤١ ـ ٢٤٣ بستة أسانيد وابن كثير ١/٥٥٧ والدر ٢/٢٢٦ كلهم من حديث أبي بكر والحديث مرسل.

(١٠) في (هـ) الواعد.

(١١) عبد الله بن إبراهيم بن قارظ الزهري من أهل المدينة سمع أبا هريرة وغيره، روى عنه عمر بن عبد العزيز وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو صالح السمان روى له مسلم. (الجمع ١/٢٧١).

(١٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب البر والصلة ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن (بنحوه) ٢/٤٢٨ والترمذي ـ=

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو ابن الحرث عن بكر بن سوادة[1] عن عبيد بن عمير، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ:

أن رجلاً تلا هذه الآية ﴿من يعمل سوءاً يجزبه﴾ فقال: إنا لنجزى بما عملنا هلكنا فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «نعم يجزى به في الدنيا بمصيبة في جسده وماله وما يؤذيه»[2].

وقوله [3] ﴿ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾ قال ابن عباس [4] ﴿ولياً﴾ يمنعه ﴿ولا نصيراً﴾[5] ينصره، وتأويل هذه الآية ظاهر في الكفار، وأما في المسلمين فإنه ناصر لأحد في القيامة دون الله تعالى ولا ولي للمسلمين غير الله، وشفاعة الشافعين تكون بإذن الله.

قال قتادة: ثم أفلج [6] الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله:

ـ ﴿ومن يعمل من الصالحات. . .﴾ الآية، قال المفسرون [7]: بين الله تعالى بهذه [8] الآية فضيلة المؤمنين على غيرهم.

قال مسروق [9] لما نزل قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾[10] قال أهل الكتاب للمسلمين: نحن وأنتم سواء فنزل ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾ وما بعده من قوله ﴿ومن أحسن ديناً. . .﴾ الآية.

وقوله[11] ﴿ولا يظلمون نقيراً﴾ قال ابن عباس[12]: «النقير»: النقرة التي تكون[13] في ظهر النواة، ينبت الله منها[14] النخلة، يريد: لا ينقصون قدر منبت النواة.

ـ قوله عز وجل[15] ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله﴾ يعني: توجه بعبادته إلى الله خاضعاً له ﴿وهو محسن﴾ قال ابن عباس[16]: موحد لله لا يشرك به شيئاً ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾، ملة إبراهيم: داخلة في ملتنا،

= كتاب التفسير ـ من سورة النساء رقم ٥٠٢٩ «حديث حسن غريب» (٣١٤/٤) ومسند الحميدي ٤٨٥/٢ كلهم من حديث أبي هريرة. والطبري ٢٤٠/٩.

(١) بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي الفقيه عداده في أهل مصر سمع عبد الرحمن وجبير وغيره وعنه عمرو بن الحرث وغيره توفي سنة ١٢٨ هـ (الجمع ٥٨/١ حسن المحاضرة ٢٩٨/١).

(٢) الحديث: رواه السيوطي في الدر ٢٢٧/٢ «أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح عن عائشة»، والطبري ٢٣٦/٩ ـ ٢٣٧، ومسند أحمد ٦٦/٦ وأبو داود ـ كتاب الجنائز ـ باب عيادة النساء رقم ٣٠٩٣ (بنحوه) (١٨٤/٣) ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة النساء ـ رواه أحمد وأبو يعلى ورجالها رجال الصحيح (١٢/٧) ـ كلهم من حديث عائشة.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٨١.

(٥) في (د، و) ناصر.

(٦) «أفلج الله حجته: أظهرها وقومها» (اللسان / فلج وحاشية أ).

(٧) وانظر تفسير ابن كثير ٥٥٧/١ عن قتادة والدر ٢٢٥/٢ ـ ٢٢٦ عن السدي والضحاك.
وانظر الدر ٢٣٠/٢ عن عكرمة وقتادة ومسروق.

(٨) في (د) هذه الآية.

(٩) انظر تفسير الطبري ٢٢٨/٩ والرازي ٥٥/١١ والدر ٢٣٠/٢ كلها عن مسروق.

(١٠) في (د) من يعمل.

(١١) في (د، هـ، و) وقوله.

(١٢) انظر الدر ١٧١/٢ عن ابن عباس وغريب القرآن ١٢٩، والطبري ٢٤٩/٩ عن مجاهد وابن عطية، واللسان /نقر.

(١٣) في (د) النقرة تكون.

(١٤) في (أ) منه وفي (و) فيها.

(١٥) في (جـ، و) وقوله، وفي (د، هـ) قوله.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٨١.

وفي ملتنا زيادة على ملة إبراهيم، فمن[1] اتبع الإسلام فقد اتبع ملة إبراهيم، وذكرنا[2] معنى «الحنيف»[3].

وقوله [4] ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ قال الزجاج [5]: «الخليل» المحب، والمحب الذي ليس في محبته خلل [5]. فجائز أن يكون إبراهيم [6] سمي خليل الله لأنه الذي أحبه الله محبة تامة، وأحب الله هو محبة تامة، قال: وقيل [7]:

«الخليل»: الفقير، فجائز أن يكون سمي فقيراً لله، أي: الذي يجعل فقره وفاقته إلى الله و«الخلة»: الحاجة، و«الخلة»: الصداقة [8].

قال ابن عباس ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ صفياً بالرسالة والنبوة [9]. أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي، أخبرنا محمد بن يزيد الجوري حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي المهلب الكناني[10] عن عبيد الله بن زحر[11]، عن علي بن يزيد[12]، عن القاسم، عن أبي أمامة قال:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً،كما اتخذ إبراهيم خليلاً[13] وإنه لم يكن نبي إلا له [14] في أمته خليل، ألا وإن خليلي أبو بكر»[15].

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن محمد النضروي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج، أخبرنا محمد

---

(١) في (و) ذلك من اتبع.

(٢) في (و) وذكرنا فيما مضى.

(٣) انظر ذلك عند تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة.

(٤) في (د، و) قوله.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٢٢ والقرطبي ٥/٤٠٠ عن الزجاج، والزاهر ١/٦٠٤.

(٦) في (د) إنما سمي.
وانظر الزجاج ٢/١٢٢، والزاهر ١/٦٠٥.

(٧) في (حـ) قبل، وفي (د) قد قيل.

(٨) انظر الزجاج ٢/١٢٣ والزاهر ١/٦٠٤ واللسان / خلل «والخَلة ـ بفتح الخاء ـ الحاجة».

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨١.

(١٠) في (د) عن المهلب. . وهو: أبو المهلب الكناني: مطرح بن يزيد الأسدي الكوفي عداده في الشاميين روى عن عبيد الله بن زحر وبشر بن نمير وجماعة وعنه أبو بكر بن عياش وعاصم بن أبي النجود وخلق قال الدوري عن ابن معين: ليس بشيء وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث. (تهذيب التهذيب ١٠/١٧١).

(١١) عبيد الله بن زحر الضمري الإفريقي ضعفه ابن معين وقال الحاكم: لين الحديث روى عن علي بن يزيد الألهاني وخالد بن أبي عمران والأعمش وجماعة قال ابن حبان يروي الموضوعات فإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات.
(تهذيب التهذيب ٧/١٢ ـ ١٣، والموضوعات ١/٢٢٤).

(١٢) علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني ـ ويقال الهلالي ـ أبو عبد الملك .. ويقال أبو الحسن ـ الدمشقي روى عن القاسم بن عبد الرحمن صاحب أبي أمامة نسخة كبيرة وعنه عبيد الله بن زهر وغيره ضعفه أحمد وابن معين وقال البخاري: منكر الحديث ضعيف مات في العشر الثاني بعد المائة.
(تهذيب التهذيب ٧/٣٩٦ ـ ٣٩٧). وقال النسائي متروك (الموضوعات لابن الجوزي ١/٢٢٤).
وفي أسباب النزول للواحدي «عن القاسم بن أبي أمامة» خطأ.

(١٣) ليست في (و).

(١٤) في (هـ) وله.

(١٥) الحديث: رواه الطبراني ٨/٢٣٧ عن أبي أمامة الباهلي. ومجمع الزوائد ـ كتاب المناقب ـ باب جامع في فضل أبي بكر ـ «رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف» عن أبي أمامة (٩/٤٥) والجامع الصغير ١/٦٦ «رواه الطبراني عن أبي أمامة» ورمز له بالضعيف.

ابن عبد الله الحضرمي، حدثنا موسى بن إبراهيم المروزي[١] حدثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل[٢] عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ: «يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال: لإطعامه الطعام يا محمد»[٣].

ـ قوله جلّ جلاله[٤] ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ إخبار عن سعة قدرته وكثرة مملوكاته ليرغب إليه بالطاعة ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ علم إحاطة وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه شيء.

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

---

(١) موسى بن إبراهيم أبو عمران المروزي عن ابن لهيعة كذبه يحيى وقال الدارقطني وغيره: متروك (الميزان ٤/١٩٩).

(٢) في (أ) أبو خليل، «أبو قبيل: بقاف مفتوحة وباء موحدة من تحت مكسورة وياء ـ معجمة بنقطتين من تحت ولام واسمه: حيي بن هانىء المعافري»(عمدة القوي والضعيف ص ١).

أبو قبيل: حيي بن هانىء بن ناضر المعافري المصري وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وقال أبو حاتم: صالح الحديث وكان له علم بالملاحم والفتن روى عن عقبة بن عامر وابن عمرو توفي بالأندلس سنة ١٢٨ هـ.

(الميزان ١/٦٢٤ وحسن المحاضرة ١/٢٩٨).

(٣) الحديث: رواه الطبري في تفسيره بنحوه ٩/٢٥٢ ـ وكذا ابن كثير ١/٥٥٩ ـ ٥٦٠ والدر ١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ ورواه أبو حيان في البحر ٣/٣٥٦ بلفظه وكذا في أسباب النزول للواحدي ١٣٥.

(٤) في غير (أ) قوله.

ـ قوله عز وجل[١] ﴿ويستفتونك في النساء﴾ يطلبون منك الفتوى، وهو[٢] تبين المشكل من الأحكام.

﴿قل الله يفتيكم فيهن﴾ يبين لكم الحكم فيهن، أي: في توريثهن، وكانت العرب لا تورث النساء والصبيان شيئاً من الميراث ـ كما ذكرنا أول السورة ـ فنزلت الآية في توريث اليتامى.

وقوله[٣] ﴿وما يتلى عليكم﴾ موضع «ما» رفع، لأن المعنى: الله يفتيكم والكتاب يفتيكم، يعني آية المواريث في أول هذه السورة[٤].

وقوله[٥] ﴿في يتامى النساء﴾ يعني: في النساء اليتامى، فأضيفت الصفة إلى الاسم كما تقول: كتاب الكامل، ويوم الجمعة، وهذا قول الكوفيين، وعند البصريين لا يجوز إضافة الصفة إلى الموصوف[٦].

والمراد بـ «النساء» ها هنا: أمهات اليتامى، أضيفت إليهن أولادهن اليتامى وقوله[٧] ﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ قال ابن عباس[٨]: يريد: ما فرض لهن من الميراث ﴿وترغبون﴾ عن ﴿أن تنكحوهن﴾ لدمامتهن[٩].

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: نزلت في اليتيمة، يرغب وليها نكاحها ولا ينكحها فيعضلها[١٠] طمعاً في ميراثها، فنهي[١١] عن ذلك.

وقوله[١٢] ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يعني: الصغار من الصبيان قال ابن عباس[١٣] يريد: انهم لم يكونوا يورثون صغيراً[١٤] من الغلمان ولا من الجواري، وهو عطف على ﴿يتامى النساء﴾.

---

(١) في (جـ، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٢) في (د، هـ، و) وهي: «والفتيا والفتوى: ما أفتى به الفقيه ـ الفتح في «الفتوى» لأهل المدينة، والفتيا: تبيين المشكل من الأحكام» (اللسان / فتا).

(٣) في (د) قوله ما يتلى.
وفي إعراب «ما» وجوه: الجر عطفاً على الضمير المجرور بـ «في»، والنصب على معنى: نبين لكم ما يتلى، والرفع عطفاً على ضمير المتكلم في (يفتيكم) أو على اسم على الله، أو مبتدأ وخبر محذوف، تقديره: وما يتلى عليكم في الكتاب يبين لكم.
(انظر التبيان ٣٩٣/١، والمشكل ٢٠٩/١، والبيان ٢٦٧/١).

(٤) انظر تفسير الآية السابعة من سورة النساء، وانظر في سبب النزول: تفسير الطبري ٢٥٣/٩ ـ ٢٥٤ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وشعبة والدر ٢٣١/٢ ـ ٢٣٢ عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

(٥) في (د) قوله في يتامى النساء يعني النساء.

(٦) انظر البحر ٣٦٢/٣ والبيان ٢٦٧/١.

(٧) في (د، و) قوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٧١ والوجيز للواحدي ١٧٦/١،

(٩) «لدمامتهن: أي لقبحهن» حاشية (أ).

(١٠) في (هـ) فيعظلها.

(١١) في (و) فنهى الله عن ذلك. انظر صحيح البخاري ـ كتاب التفسير (ويستفتونك في النساء) ١٢٢/٣، والطبري ٢٥٤/٩ وابن كثير ٥٦١/١ والدر ٢٣١/٢ ومسلم بشرح النووي ١٥٢/١٨ ـ ١٥٦ كلهم من حديث عائشة.

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٢٦٥/٩ ـ ٢٦٦ وابن كثير ٥٦١/١ والدر ٢٣١/٢ والمستدرك ٣٠٨/٢ عن ابن عباس وغيره.

(١٤) في (و) صغار.

والمعنى: يفتيكم في المستضعفين أن تعطوهم حقوقهم لأن ما يتلى عليكم في باب اليتامى[١] من قوله ﴿وءاتوا اليتامى أموالهم﴾ يدل على الفتيا في إعطاء حقوق الصغار من الميراث.

وقوله ﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ قال الفراء[٢]: «أن» في موضع خفض على معنى: ويفتيكم في أن تقوموا لليتامى بالقسط.

قال ابن عباس: يريد بالعدل في مهورهن، وفي مواريثهن[٣].

﴿وما تفعلوا من خير﴾[٤] يريد: من حسن فيما أمرتكم به ﴿فإن الله كان به عليماً﴾ يجازيكم عليه ولا يضيع لكم شيئاً منه[٥].

ـ قوله تعالى ﴿وإن امرأة خافت. . .﴾[٦] الآية.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب، أن ابنة محمد بن مسلمة [٧] كانت عند رافع بن خديج [٨]، فكره منها أمراً، إما كبراً وإما غيرة، فأراد طلاقها فقالت: لا تطلقني وأمسكني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله تعالى ﴿وإن امرأة خافت﴾ أي: علمت ﴿من بعلها﴾ زوجها ﴿نشوزاً﴾ ترفعا عليها لبغضها ﴿أو إعراضاً﴾ عنها لموجدة أو أثرة[٩].

قال مقاتل[١٠]: ﴿نشوزاً﴾: عصياناً يعني الأثرةوهو قول ابن عباس ﴿أو إعراضاً﴾ عنها لما به من الميل إلى أخرى[١١].

وقوله ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا[١٢] بينهما صلحاً﴾ جعل الله تعالى الصلح جائزاً بين الرجل والمرأة إذا رضيت منه بإيثار غيرها عليها.

---

(١) في (جـ، د) عليكم من باب، وفي (د) في يتامى النساء.

(٢) انظر الفراء ١/٢٩٠، والزجاج ٢/١٢٥، والتبيان ١/٣٩٤، والمشكل ١/٢٠٩ والبيان ١/٢٦٨.

(٣) انظر تفسير الطبري ٩/٢٦٦ وغرائب النيسابوري ٥/١٩٧ والخازن ١/٦٠٥ كلها عن ابن عباس والبحر ٣/٣٦٢ عن ابن عباس ومجاهد.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في غير (أ) شيء منه وفي (د) منه شيئاً.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) لم أقف عليه. وأبوها : محمد بن سلمة بن خالد الأنصاري الصحابي مذكور في الطبقة الأولى من الأنصار أسلم على يد مصعب بن عمير وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح شهد بدراً والمشاهد كلها توفي سنة ٤٣ هـ.
(النجوم الزاهرة ١/١٢٥).

(٨) رافع بن خديج بن عدي بن يزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث الأنصاري الحارثي أبو عبد الله سمع النبي ﷺ توفي سنة ٧٣ (كتاب الجمع ١/١٣٩).

(٩) انظر في سبب النزول: المستدرك ـ كتاب التفسير ـ «صحيح على شرط الشيخين» ٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ والطبري ٩/٢٧٥ وابن كثير ١/٥٦٣ والدر ٢/٢٣٢ وأسباب النزول للواحدي ١٣٧ وللسيوطي ٩٥ كلها عن سعيد بن المسيب وغيره.

(١٠) انظر الفراء ١/٢٩٠ وابن كثير ١/٥٦٣ عن سعيد بن المسيب.

(١١) انظر تفسير الطبري ٩/٢٧٢ وابن كثير ١/٥٦٣ كلاهما عن ابن عباس.

(١٢) في (أ) يصلحا وهي قراءة سيأتي الكلام عنها.

قال المفسرون[١]: هذا الصلح في القسمة وهو أن يقول الرجل لامرأته: إنك دميمة أو قد دخلتِ في السن، وأريد أن أتزوج عليك شابة جميلة وأوثرها عليك في القسم بالليل والنهار، فإن رضيتِ فأقيمي، وإما كرهت خليت سبيلك، فإن رضيت بذلك وإلا كان الواجب على الزوج تمام[٢] حقها من المقام عندها، أو تسريحها بإحسان.

وكل[٣] ما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز وهو أن تترك له من مهرها[٤] أو بعض أيامها، ومعنى ﴿يصلحا﴾ يتصالحا فأدغم[٥] التاء في الصاد.

وقرىء ﴿يصلحا﴾ من الإصلاح عند التنازع، كقوله ﴿فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم﴾ [٦].

وقوله ﴿والصلح خير﴾ من النشوز والإعراض والفرقة يقول: إن يصالحا على شيء خير من أن يتفرقا أو يقيما على النشوز والإعراض.

وقوله: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أي ألزمت البخل قال المفسرون: أحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة شحاً بحقه قبل صاحبه فالمرأة تشح على مكانها من زوجها. والرجل يشح على المرأة بنفسه إذا كان غيرها أحب إليه منها.

وقوله: ﴿وإن تحسنوا﴾ أن تصلحوا ﴿وتتقوا﴾ الجور والميل ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

ـ قوله عز وجل ﴿ولن تستطيعوا. . . .﴾ الآية قال المفسرون لن تقدروا على التسوية بينهن في المحبة التي هي ميل الطباع، لأن ذلك مما لا تقدرون عليه ﴿ولو حرصتم﴾ أي اجتهدتم ﴿فلا تميلوا كل الميل﴾ إلى التي تحبون في النفقة والقسمة.

قال أبو عبيدة: لا يقدر أحد على العدل بين الضرائر بقلبه وليس يؤاخذ به، لأنه لا يستطيع ولا يملكه، لكن عليه أن لا يميل بنفسه وهو الذي وقع عليه النهي قال الشافعي: بلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقسم فيقول «اللهم هذا قسمي فيما أملك[٧] وأنت أعلم فيما لا أملك» يعني: محبته لعائشة.

وقوله﴿فتذروها كالمعلقة﴾قال ابن عباس لا أيما ولا ذات بعل.

---

(١) انظر غريب القرآن ١٣٦، وابن كثير ١/٥٦٢ ـ ٥٦٣ عن عائشة وعلي وابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد والشعبي، والدر ٢/٢٣٢ ـ ٢٣٣ عن عائشة وسعيد بن المسيب وعمر وعلي وابن عباس.

(٢) في (و) إتمام.

(٣) في (جـ، و) وكلما.

(٤) في (و) المهر.

(٥) في غير (أ) فأدغمت.

(٦) سورة البقرة / ١٨٢.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي (أن يُصْلحا) بضم الياء وسكون الصاد وكسر اللام ـ وحجتهم في ذلك: أن العرب إذا جاءت مع الصلح بـ «بين» قالت: أصلح القوم بينهم وأصلح الرجلان بينهما قال الله عز وجل (فأصلحوا بينهما) وإذا لم تأت بـ «بين» قالوا: تصالح الرجلان، وأيضاً: مجيء المصدر (صلحاً) على غير بناء الفعل ولو كان (يصالحا) لكان المصدر «تصالحا». وقرأ ابن كثير وابن نافع وابن عامر وأبو عمرو (يصالحا) بفتح الياء والتشديد وفتح اللام ـ أي: يتصالحا وحجتهم: أن المعروف من كلام العرب إذا كان بين إثنين مشاجرة أن يقولوا: تصالح القوم فهم يتصالحون.

(٧) رواه الترمذي في النكاح (٢/٣٠٤) (١١٤٩) وأبو داود في النكاح (٢/٢٤٢) (٢١٣٤) والحاكم في المستدرك (٢/٢٤٢).

قال المفسرون: يقول: لا تميلوا إلى الشابة كل الميل فتدعوا الأخرى كالمنوطة لا في الأرض وفي السماءِ كذلك هذه لا تكون مخلاة فتزوج ولا ذات بعل يحسن عشرتها.

﴿وإن تصلحوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾ لما ملت إلى التي تحبها.

ـ قوله تعالى ﴿وإن يتفرقا. .﴾ الآية ذكر الله تعالى جواز الصلح بين الزوجين إن أحبا أن يجتمعا ويتآلفا فإن أبت الكبيرة الصلح وأبت إلا التسوية بينها وبين الشابة فتفرقا بالطلاق،فقد وعد الله لهما أن يغني كل واحد منهما عن صاحبه بعد الطلاق، وهو قوله ﴿يغن الله كـلاً من سعته﴾ قال الكلبي أمر الله المرأة بزوج أو الزوج بامرأة.

﴿وكان الله واسعاً﴾ الجميع خلقه في الرزق والرحمة ﴿حكيماً﴾ فيما حكم ووعظ وعلم ذكر ما يوجب الرغبة إليه في طلب الخير منه فقال:

﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: هو مالك ما فيها ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وإياكم﴾ أوصى ﴿أن اتقوا الله وإن تكفروا﴾ بما أوصاكم به ﴿فإن لله ما في السموات وما في الأرض﴾ يعني أن له ملائكة من السماوات والأرض هم أطوع له منكم. ﴿وكان الله غنياً﴾ لا حاجة له. والله تعالى غني بذاته لأنه قادر على ما يريد ﴿حميداً﴾ محموداً على نعمه.

قوله جلّ جلاله ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ﴿ويأت بآخرين﴾ قال مقاتل: يخلق غيركم أمثل وأطوع له منكم.

ـ ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ قال ابن عباس: يريد متاع الدنيا ﴿فعند الله ثواب الآخرة﴾ قال الزجاج: كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث والحساب وكانوا مقرين بأن الله خالقهم فكان تقربهم إلى الله تعالى إنما هو ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها فأعلم الله تعالى أن خير الدنيا والآخرة عنده فينبغي أن يطلب من عنده ثواب الدنيا والآخرة.

ـ قوله عز وجل[١] ﴿يا أيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط﴾[٢] قوام: مبالغة من قائم. قال ابن عباس: كونوا قوالين[٣] بالعدل في الشهادة على من كانت[٤] ﴿ولو على أنفسكم﴾ وقال الزجاج[٥]: قوموا بالعدل، واشهدوا لله بالحق، وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على[٦] والديه أو أقربيه.

وشهادة الإنسان على نفسه: إقراره بما عليه من الحق فكأنه قيل: ولو كان لأحد عليكم حق فأقروا على أنفسكم.

وقوله[٧] ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً﴾ أي: أن يكن[٨] المشهود غنياً أو فقيراً، قال ابن عباس: يقول[٩]: لا تحابوا غنياً لغناه، ولا ترحموا فقيراً لفقره[١٠] وقال عطاء: لا تحيفوا على الفقير، ولا تعظموا الغني فتمسكوا على القول فيه.

---

(١) في غير (أ) قوله وفي (حـ) قوله تعالى.

(٢) في (هـ) شهداء.

(٣) في (د) قوامين.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٢، والطبري ٩/٣٠٤ والبغوي ١/٦٠٩ والبحر ٣/٣٦٩ كلها عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٢٩.

(٦) في(و) وعلى والديه وأقربيه.

(٧) في (جـ، د) قوله.

(٨) في (د) كان.

(٩) ساقطة من (و).

(١٠) انظر تفسير الطبري ٩/٣٠٤ والدر ٢/٢٣٤ وفتح القدير ١/٥٢٤ ـ ٥٢٥ كلها عن ابن عباس.

وقوله [1] ﴿فالله أولى بهما﴾ أي: أعلم بهما لأنه يتولى علم أحوالهما من الغنى والفقر، وهذا معنى قول الحسن: الله أعلم بغناهم وفقرهم.

وقوله [2] ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ [قالت مقاتل [3]: فلا تتبعوا الهوى في الشهادة واتقوا الله] [4] أن تعدلوا عن الحق إلى الهوى، وهذا من العدول الذي هو الميل والجور، قال ابن عباس [5]: تميلوا عن الحق.

وقوله[2] ﴿وإن تلووا أو تعرضوا﴾ قال مجاهد [6]: ﴿وإن [7] تلووا﴾ تبدلوا الشهادة ﴿أو تعرضوا﴾ تكتموها فلا تقيموها وهذا من لي اللسان، كأنه لواها من الحق إلى الباطل. وقال السدي[8]: «اللي» دفع الشهادة و«الإعراض»: الجحود. وقرىء ﴿تلوا﴾ ـ بواو واحدة[9] من ولاية الشيء، وهو الإقبال[10] عليه، وخلاف الإعراض عنه. والمعنى: إن تقبلوا أو تعرضوا.

﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ فيجازي المقبل المحسن بإحسانه والمسيء المعرض بإعراضه. وقال قطرب[11] ﴿وإن تلوا﴾ من الولاية، يريد: إن تلوا القيام بالحق وتتولوه[12]، وتعرضوا عنه فلا تقوموا به.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾

ـ قوله عز وجل[13] ﴿يا أيها الذين ءامنوا ءامِنُوا..﴾[14] الآية، قال ابن عباس في رواية الكلبي [15]: نزلت في مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل[16].

---

(١) في (د) قوله فالله أولى بهما وفي (و) أي أعلم بما.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٢.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٥) انظر فتح القدير ١/٥٢٥ عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٧٨ والطبري ٩/٣٠٨ وابن كثير ١/٥٦٥ والدر ٢/٢٣٤ كلها عن مجاهد.

(٧) في (هـ) فإن.

(٨) انظر تفسير الطبري ٩/٣٠٨ عن السدي والزجاج ٢/١٢٩.

(٩) قرأ حمزة وابن عامر (تلوا) بضم اللام ـ وفيه وجهان ـ أحدهما: أن يكون أصله تلووا فأبدل من الواو المضمومة همزة فصار تلؤوا ـ بإسكان اللام ـ ثم طرحت الهمزة وطرحت حركتها على اللام. ويجوز أن يكون من الولاية. وقرأ الباقون (تلووا) ـ بواوين من لويت فلاناً حقه لياً، أي: دافعته وماطلته يقال: لوى فلان غريمه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٥ ـ ٢١٦ والسبعة ٢٣٩ والنشر ٢/٢٥٢ والزجاج ٢/١٢٩ والتبيان ١/٣٩٨، والمشكل ١/٢١٠ والفراء ١/٢٩١ والأخفش ١/٤٥٦ والحجة لابن خالويه ١٢٧).

(١٠) في غير (أ) وهي إقبال.

(١١) انظر الزجاج ٢/١٢٩ والطبري ٩/٣١٠ وضعفه.

(١٢) في (أ) أو تعرضوا وفي (حـ) أي تعرضوا.

(١٣) في (جـ، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(١٤) ليست في (د، هـ).

(١٥) في (د) قال ابن عباس نزلت.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٢، والدر ٢/٢٣٤ وفتح القدير ١/٥٢٥ كلاهما عن ابن عباس وغرائب النيسابوري ٥/٢٠٨ وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ كلاهما عن الكلبي.

وقال الضحاك:[١] الخطاب لليهود والنصارى يقول: ﴿يا أيها الذين ءامنوا﴾ بموسى والتوراة وعيسى والإنجيل ﴿ءامنوا﴾ بمحمد ﷺ والقرآن.

وقال جماعة من المفسرين[٢]: الخطاب للمؤمنين وتأويل ﴿ءامنوا بالله﴾[٣] أقيموا واثبتوا ودوموا عليه. وقال مجاهد[٤]: الآية خطاب للمنافقين وذلك أنهم آمنوا في الظاهر بألسنتهم وكفروا بقلوبهم فقال الله تعالى: ﴿ءامنوا﴾ بقلوبكم [﴿بالله ورسوله﴾].

وقوله[٥] ﴿والكتاب الذي على رسوله﴾ قال ابن عباس[٦]: يريد القرآن ﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾ يريد: كل كتاب نزل على النبيين، وذلك أنه اسم الجنس[٧] فصلح للعموم.

ـ قوله عز وجل[٨] ﴿إن الذين ءامنوا ثم كفروا...﴾ الآية، أكثر المفسرين على أن هذه الآية نزلت في اليهود[٩].

قال قتادة[١٠]: آمنت اليهود بالتوراة ثم كفرت بمخالفتها، ثم آمنت بالإنجيل ثم كفرت بمخالفته ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بمحمد ﷺ والقرآن[١١] ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ ما أقاموا على ذلك لأن الله أخبر أنه يغفر كفر الكافر إذا انتهى، فإذا أطلق القول بأنه لا يغفر لهم، علم أن المراد به: ما أقاموا عليه.

﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ طريق[١٢] هدى. وهذا إخبار عمن في معلوم الله أنه لا يؤمن.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾

ـ قوله جلّ جلاله[١٣] ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ قال المفسرون[١٤]: إن المنافقين كانوا يتولون اليهود، فألحقوهم بالتبشير في العذاب، ومعنى «بشرهم»: أخبرهم. ثم وصفهم فقال:

---

(١) انظر الدر ٢/٢٣٤ وفتح القدير ١/٥٢٥ كلاهما عن الضحاك.
(٢) انظر الزجاج ٢/١٢٩ ـ ١٣٠ وغرائب النيسابوري ٥/٢٠٨ وابن كثير ١/٥٦٦ وفتح القدير ١/٥٢٤.
(٣) ليست في (و).
(٤) انظر الدر ٢/٢٣٥ عن مجاهد والزجاج ٢/١٣٠ وفتح القدير ١/٥٢٤.
(٥) في (د) قوله.
(٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٢ والطبري ٩/٣١٢.
(٧) في (د) اسم للجنس.
(٨) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.
(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٣، والزجاج ٢/١٣٠ والفراء ١/٢٩٢، وفتح القدير ١/٥٢٨ عن قتادة.
(١٠) انظر تفسير الطبري ٩/٣١٥، والدر ٢/٢٣٤ وفتح القدير ١/٥٢٨ كلها عن قتادة والفراء ١/٢٩٢.
(١١) في (جـ، د) قوله.
(١٢) في (د) طريقاً.
(١٣) في غير(أ) قوله وفي (حـ) قوله تعالى.
(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٣ وفتح القدير ١/٥٢٦.

ـ ﴿الذين يتخذون الكافرين﴾ يعني: اليهود ﴿أولياء من دون المؤمنين﴾ كان المنافقون يوالون اليهود ويتوهمون أن لهم القوة والمنعة وذلك قوله ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ أي: القوة بالظهور على محمد ﷺ وأصحابه. والمعنى: أيطلبون أن يتقووا(١) بهم فيظهروا على المسلمين؟

وقوله(٢) ﴿فإن العزة لله جميعاً﴾(٣) أي: الغلبة والقوة لأنه عزيز بعزه ومعز من عز من عباده بما خلق من العزة، فله العزة جميعاً من كل وجه.

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

ـ قوله تعالى(٤) ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب...﴾ الآية، قال المفسرون(٥): الذي نزل عليهم في الكتاب(٦): النهي عن مجالستهم، وهو قوله ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا فأعرض(٧) عنهم...﴾ الآية.

وكان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن ويكذبون به فنهى الله المسلمين عن مجالستهم.

وقوله ﴿أن إذا سمعتم ءايات الله يكفر بها ويستهزأ(٨) بها﴾ أي: إذا سمعتم المكفر بآيات الله والاستهزاء بها ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي يأخذوا في حديث غير الكفر والاستهزاء.

﴿إنكم إذاً مثلهم(٩)﴾ [أي: إنكم كافرون مثلهم](١٠) لأن من رضي بالكفر فهو كافر. وهذا يدل على أنّ من

(١) في (د) يتقوا. (٢) في (د) قوله، وفي (هـ) وهو قوله.

(٣) «(جميعاً): بالتذكير لأن (العزة) في المعنى (العز) ولذا لم يقل: جمعاء» (البيان ١/ ٢٧٠).

(٤) في غير (أ) قوله، وفي (حـ) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ٢/ ١٣٢، والدر ٢/ ٢٣٥ عن إبراهيم النخعي والسدي وفتح القدير ١/ ٥٦١ والوجيز ١/ ١٧٩.

(٦) من (د).

(٧) في (حـ) في آياتنا.. الآية وتمامها ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ سورة الأنعام/ ٦٨.

(٨) في (د) ويستهزوا.

(٩) «أي: أمثالهم وقد يأتي» مثل «ـ أيضاً ـ للاثنين والجماعة كما يأتي للواحد». (البيان ١/ ٢٧١).

(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

رضي بمنكر يراه، خالط أهله[١] كان في الإثم بمنزلة المباشر[٢]. وقد ورد النهي في هذه الآية عن القعود مع الذين يخوضون في آيات الله بالباطل فلا يجوز القعود عند من يتكلم في القرآن وتفسيره بالباطل.

وقوله[٣] ﴿إن الله جامع المنافقين. . .﴾ الآية، يريد: أنهم كما اجتمعوا على الاستهزاء يجتمعون في جهنم على العقاب.

ـ قوله تعالى[٤] ﴿الذين يتربصون بكم. . .﴾ هذه الآية ـ أيضاً ـ من صفة المنافقين قال الكلبي[٥]: ينتظرون بكم الدوائر والأحداث ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ أي: ظهور على اليهود ﴿قالوا﴾ للمؤمنين ﴿ألم نكن معكم﴾ فأعطونا من الغنيمة ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ قال ابن عباس[٦]: ظفر على المسلمين ﴿قالوا ألم نستحوذ عليكم﴾ ألم نغلب عليكم.

و «الاستحواذ»: الاستيلاء على الشيء[٧] ومنه قوله ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾[٨] أي: غلب. قال المبرد[٩]: معناه: ألم نغلبكم على رأيكم[١٠] ونصرفكم عن الدخول في جملة المؤمنين.

وقوله ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ أي: بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم، ومراد المنافقين بهذا الكلام: إظهار المنة على الكافرين، أي: فاعرفوا لنا الحق هذا عليكم ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ بين المؤمنين والمنافقين، قال ابن عباس[١١] يريد أنه أخر عقاب المنافقين إلى الموت، ووضع عنهم السيف في الدنيا.

وقوله[٣] ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ قال ابن عباس والسدي: حجة يوم القيامة[١٢].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الحشاب أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير عن الأعمش عن ذر[١٣]، عن يسيع[١٤] قال: كنت عند علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال رجل: يا أمير المؤمنين أرأيت قول الله تعالى ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ وهم يقاتلوننهم

---

(١) في (هـ) وخالة أهلها.
(٢) انظر غرائب النيسابوري ٥/٢١٤ ـ ٢١٥ عن أهل العلم، والبحر ٣/٣٧٤.
(٣) في (د) قوله.
(٤) في غير (أ) قوله.
(٥) انظر تفسير ابن عباس ٨٣.
(٦) المصدر السابق ص ٨٣.
(٧) انظر غريب القرآن ١٣٦ ومجاز القرآن ١/١٤١.
(٨) سورة المجادلة /١٩ وانظر مفردات الراغب /حوذ، واللسان /حوذ.
(٩) انظر تفسير البغوي ١/٦١٢ عن المبرد والبحر ٣/٣٧٥ وابن كثير ١/٥٥٧ وفتح القدير ١/٥٢٧، ٥٢٨ كلاهما عن السدي.
(١٠) في (هـ) ألم نغلبكم ونصرفكم. .
(١١) انظر غرائب النيسابوري ٥/٢١٦ وفتح القدير ١/٥٢٧ والرازي ١١/٨٣ والوجيز للواحدي ١/١٨٠.
(١٢) انظر تفسير الطبري ٩/٣٢٨ وابن كثير ١/٥٦٧ كلاهما عن ابن عباس والسدي والبحر ٣/٣٧٦ عن علي وابن عباس والدر ٢/٢٣٥ عن ابن عباس وأبي مالك والسدي وأحكام القرآن لابن العربي ١/٥٠٩.
(١٣) ذر بن عبد الله بن زرارة المرهبي الكوفي الهمذاني تابعي ثقة قال أحمد: لا بأس به هو أول من تكلم في الإرجاء وقال الأزدي: يتكلمون فيه كان مرجئاً وقال أبو داود: كان مرجئاً وقال ابن معين والنسائي ثقة وروى له البخاري ومسلم (تقريب الميزان ٢/٣٢، وكتاب الجمع ١/١٣٣).
(١٤) يسيع بن معدان الحضرمي والكندي ـ ويقال له أسيع ـ كوفي تابعي ثقة من الطبقة الثالثة (تقريب التهذيب ٢/٣٨٠، وعمدة القوي والضعيف ص ١٠).

فيظهرون عليهم، فقال علي ـ رضي الله عنه ـ ادنه ادنه، ثم قال: ﴿فالله[١] **يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين**﴾ يوم القيامة ﴿**على المؤمنين سبيلا**﴾[٢] قال أهل المعاني[٣]: وذلك أن الله يظهر ثمرة إيمان المؤمنين، ويصدق موعدهم[٤] ولم يشركهم الكفار في شيء من اللذات وكما شاركوهم اليوم حتى يعلموا أن الحق معهم دونهم.

ـ قوله عزّ وجل[٥] ﴿**إن المنافقين يخادعون الله**﴾ يعملون على المخادع بما يظهرونه من الإيمان ويبطنون خلافه من الكفر، ﴿**وهو خادعهم**﴾ مجازيهم على خداعهم وذلك أنهم يعطون نورا كما يعطى المؤمنون فإذا مضوا على الصراط طفىء نورهم وبقوا في الظلمة[٦].

﴿**وإذا قاموا إلى الصلٰوة**﴾[٧] أي: مع المؤمنون ﴿**قاموا كسالى**﴾[٨] متثاقلين لأنهم لا يرجون لها[٩] ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً ﴿**يراءون الناس**﴾ بصلاتهم لكي يراهم الناس مصلين[١٠] لا يريدون بها وجه الله. قال قتادة[١١]: والله لولا الناس ما صلى المنافقون، وما يصلون إلا رياء وسمعة.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن رجاء، حدثنا مسدد بن قطن حدثنا عمرو بن زرارة حدثنا أبو جنادة عن الأعمش عن خيثمة عن عدي قال:

قال رسول الله ﷺ «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها، وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا: أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون[١٢] بمثلها، فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذلك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين، تراءون الناس بخلاف ما تعطوني[١٣] من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلوني، وتركتم للناس ولم تتركوا لي، فاليوم أذيقكم العذاب[١٤]، مع حرمتكم من الثواب»[١٥].

وقوله[١٦] ﴿**ولا يذكرون الله إلا قليلاً**﴾ قال الحسن[١٧]: إنما قلَّ ذلك لأنهم يعملونه رياء، ولو أرادوا به وجه الله لكان كثيراً. وقال قتادة[١٨]: إنما قل لأن الله لم يقبله وما رد الله فهو قليل وما قبله فهو كثير.

---

(١) في (د) الله يحكم.

(٢) انظر تفسير الثوري ٩٨ وكنز العمال ٢/٣٩٠ والدر ٢/٢٣٥ وابن كثير ١/٥٦٧ وفتح القدير ١/٥٢٨ والبحر ٣/٣٧٦ والطبري ٩/٣٢٧ والرازي ١١/٨٣ والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ «صحيح الإسناد» ٢/٣٠٩. كلهم عن علي رضي الله عنه.

(٣) انظر فتح القدير ١/٥٢٧ ذكره ابن عطية عن أهل التأويل.

(٤) في (حـ) موعدهم.

(٥) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٦) تقدم مثل ذلك وعند تفسير الآية ١٥ من سورة البقرة. وانظر غرائب النيسابوري ٦/٣ عن ابن عباس والدر ٢/٣٣٥ عن الحسن والسدي وفتح القدير ١/٥٣٠ عن الحسن والسدي ومجاهد وسعيد بن جبير.

(٧) في (حـ) قوله.

(٨) في (د) كسلى.

(٩) في (د) لا يرجون ثواباً ولا يخافون على تركهم.

(١٠) في (و) يصلون.

(١١) انظر تفسير الطبري ٩/٣٣١ والدر ٢/٢٣٦ كلاهما عن قتادة.

(١٢) في (د) بها أحد قط.

(١٣) في الحديث المتقدم: بخلاف ما في قلوبكم.

(١٤) في الحديث المتقدم: العذاب الأليم.

(١٥) الحديث: تقدم عند تفسير الآية ١٥ من سورة البقرة.

(١٦) في (د) قوله.

(١٧) انظر تفسير الطبري ٩/٣٣٢ والدر ٢/٢٣٦ كلاهما عن الحسن.

(١٨) انظر تفسير الطبري ٩/٣٣٢، والدر ٢/٢٣٦ وغرائب النيسابوري ٦/٤ والرازي ١١/٨٥ كلها عن قتادة.

ـ قوله عز وجل[1] ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ يقال: ذبذبه فتذبذب أي: حركة فتحرك، وهو كتحريك شيء ما معلق بين السماء والأرض[2].

ومعنى ﴿بين ذلك﴾: بين الكافرين والمؤمنين، يعني: أنهم مرددون[3] بين الكفر والإيمان.

قال السدي وقتادة[4]: ليسوا بمشركين مصرحين بالشرك، وليسوا[5]، بمؤمنين ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ قال ابن عباس[6]: لا من الأنصار ولا من اليهود.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن بلال، أخبرنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي[7]، حدثنا أبو معاوية عن محمد بن سوقة عن أبي جعفر[8] عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «مثل المنافق مثل الشاة بين الربضين[9]، إن جاءت إلى هذه نطحتها، وإن جاءت إلى هذه نطحتها»[10].

وقوله ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ قال ابن عباس[11]: من أضله[12] الله فلن تجد له دينا.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

---

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) وقوله.

(٢) انظر اللسان / ذبب، ومفردات الراغب /ذب.

(٣) في (حـ) مترددون. وفي (د) مردودون.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩/٣٣٤ عن السدي وقتادة والرازي ١١/٨٥ وابن كثير ١/٥٦٩، والدر ٢/٢٣٦ كلها عن قتادة.

(٥) في (جـ، د) ولا بمؤمنين.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٣ والطبري ٩/٣٣٥ وابن كثير ١/٥٦٨ والدر ٢/٢٣٦ وفتح القدير ١/٥٣٠ كلها عن مجاهد.

(٧) محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي أبو جعفر الكوفي السراج روى عن أبي معاوية وابن عيينة وطائفة وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم قال ابن أبي حاتم: سئل عنه أبي فقال: صدوق، وسمعت منه مع أبي وهو ثقة توفي سنة ٢٦٠ هـ.
(تهذيب التهذيب ٩/٥٨ ـ ٥٩).

(٨) أبو جعفر القارىء المدني المخزومي مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ـ اسمه ـ يزيد بن القعقاع، وقيل غير ذلك ـ روى عن مولاه وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم قال ابن معين والنسائي ثقة وقال أبو حاتم صالح الحديث. مات في ولاية مروان.
(تهذيب التهذيب ١٢/٥٨).

(٩) «بين الربضين: مربض غنمين، وروي بين الربيضين»، الربيض: الغنم نفسها و«الربض/ موضعها الذي تربض فيه» (اللسان / ربض). وفي (هـ) مثل الشاتين الربضتين.

(١٠) الحديث: رواه الطبراني في الصغير ١/٢١١ ومسند أحمد ٢/٣٢، ٤٧، ٦٨ . . . وسنن الدارمي ١/٩٣ ومسند الحميدي ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣ والجامع الصغير ٢/١٥٥ ورمز له بالصحيح، كلهم من حديث ابن عمر.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٨٣.

(١٢) في (و) من أضل.

ـ قوله جل جلاله[١] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ قال المفسرون[٢]: نهى الله المؤمنين أن يوالوا اليهود من قريظة والنضير، وأوعدهم على ذلك بقوله ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ حجة بينة[٣] في عقابكم بموالاة الكفار؟ أي: إنكم إذا واليتموهم صارت الحجة عليكم في عقابكم.

ـ قوله عز وجل[٤] ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ قال ابن عباس[٥] في أسفل النار. قال الأخفش وأبو عبيدة[٦]: جهنم أدراك، أي: منازل، وكل منزل منها درك.

وقال الضحاك[٧]: «الدرج»: إذا كان بعضها فوق بعض، و«الدرك»: إذا كان بعضها أسفل من بعض. وقرىء ﴿الدرك﴾ ـ بفتح الراء وجزمه ـ وهما لغتان[٨].

قال الزجاج[٩]: الاختيار فتح الراء لأنه أكثر في الاستعمال[١٠]. وقوله[١١] ﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾ أي: مانعاً يمنعهم من عذاب الله من جهة شافعة أو غير ذلك.

ـ ﴿إلا الذين تابوا﴾ من النفاق ﴿وأصلحوا﴾ العمل لله ﴿واعتصموا بالله﴾ وثقوا[١٢] به والتجأوا إليه ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ من شائب الرياء[١٣].

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ المنافقون[١٤] شر من كفر بالله وأولاهم بمقته، وأبعدهم من الإنابة إليه لأنه شرط عليهم في التوبة: الإصلاح والاعتصام ولم يشرط ذلك على غيرهم ثم شرط الإخلاص لأن النفاق ذنب القلب والإخلاص توبة القلب.

ثم قال ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ ولم يقل: فأولئك المؤمنون[١٥]، أو من المؤمنين، غيظاً عليهم. ثم أوقع أجر المؤمنين في التسويق لانضمام المنافقين إليهم فقال ﴿وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾.

ـ قوله جل جلاله[١٦] ﴿ما يفعل الله بعذابكم...﴾ الآية «ما» استفهام معناه التقرير، أي: إن الله لايعذب الشاكر المؤمن.

---

(١) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في (جـ، د) وابن عباس، وانظر تفسير الطبري ٩/٣٣٦ وابن كثير ١/٥٧٠.

(٣) انظر تفسير الطبري ٩/٣٣٧ عن عكرمة وابن كثير ١/٥٧٠ عن ابن عباس وغيره والدر ٢/٢٣٦ وفتح القدير ١/٥٣٠ كلاهما عن ابن عباس، قال «كل سلطان في القرآن فهو حجة».

(٤) في غير (أ) قوله.

(٥) انظر تفسير الطبري ٩/٣٣٩ وفتح الباري ٨/٢١٤ وابن كثير ١/٥٧٠ والدر ٢/٢٣٦ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر مجاز القرآن ١/١٤٢ والزجاج ٢/١٣٥ واللسان / درك كلاهما عن أبي عبيدة.

(٧) انظر تفسير الرازي ١١/٨٧ عن الضحاك والبحر ٣/٣٨٠ عن ابن عباس ومفردات الراغب /درك.

(٨) قرأ حمزة والكسائي وعاصم ـ بسكون الراء ـ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر بفتحها ـ وهما لغتان (انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٨ والسبعة ٢٣٩ والنشر ٢/٢٥٣، والزجاج ٢/١٣٥ ـ ١٣٦ والتبيان ١/٤٠١ والفراء ١/٢٩٢، والحجة لابن خالويه ١٢٧).

(٩) انظر الزجاج ٢/١٣٦.

(١٠) في (هـ) أكثر استعمالاً.

(١١) في (جـ، د) قوله.

(١٢) في (و) وتقووا.

وانظر اللسان / شوب «والشائبة: واحدة الشوائب وهي الأقذار والأدناس».

(١٣) في (د) سائر الرياء.

(١٤) انظر البحر ٣/٣٨٠.

(١٥) في (د) المؤمنين.

(١٦) في غير (أ) قوله.

قال ابن عباس في رواية عطاء: ما يريد الله بعذاب خلقه ﴿إن شكرتم﴾[١] اعترفتم بإحسانه﴿وءامنتم﴾ بنبيه، وهذا على التقديم والتأخير، أي: إن آمنتم وشكرتم لأن الإيمان يقدم على سائر الطاعات، ولا تنفع طاعة دون الإيمان.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا مسلم، حدثنا هداب بن خالد حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل قال:

«كنت ردف رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل، فقال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال[٢]: يا معاذ بن جبل قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله، إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ألا يعذبهم»[٣].

وقال قتادة في هذه الآية: إن الله لا يعذب شاكراً ولا مؤمناً[٤].

﴿وكان الله شاكراً﴾ شاكراً للقليل من أعمالكم ﴿عليماً﴾ بنياتكم.

﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾

ـ قوله عز وجل[٥] ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ قال عطاء عن ابن عباس[٦] نزلت الآية في الضيافة ينزل الرجل بالرجل عنده سعة فلا يضيفه فإن تناوله بلسانه فقد عذره الله، وهو قوله ﴿إلا من ظلم﴾ معنى: لا يحب الله أن يجهر بالقبيح في القول، لكن المظلوم يجهر بشكواه.

وقال قتادة والحسن والسدي وابن زيد: هذه الآية عامة في كل مظلوم وله أن ينتصر من ظالمه[٧] بالدعاء عليه بما لا يعتدي فيه[٨].

---

(١) في (د) المؤمنين.

(٢) في (أ) ساعة وقال، وفي (د) ساعة قال. (٣) الحديث: تقدم.

(٤) انظر تفسير الطبري ٩/٣٤٣ والدر ٢/٢٣٧ وفتح القدير ١/٥٣٠ كلها عن قتادة.

(٥) في (جـ، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٧٩ والزجاج ٢/١٣٧ وغريب القرآن ١٣٦ والدر ٢/٢٣٧ والطبري ٩/٣٤٦ ـ ٣٤٧ وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ وللسيوطي ٩٦ كلها عن مجاهد، والفراء ١/٢٩٣.

(٧) في (د) ممن ظلمه.

(٨) انظر تفسير الطبري ٩/٣٤٤ ـ ٣٤٨ والدر ٢/٢٣٧ كلاهما عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وابن زيد، وفتح القدير ١/٥٣١ عن ابن عباس.

وقوله ﴿وكان الله سميعاً﴾ أي: لقول المظلوم ﴿عليماً﴾ بما في قلبه فليتق الله ولا يقل إلا الحق.

ـ قوله جـل جلاله[1] ﴿إن تبدوا خيراً﴾ قال ابن عباس[2]: يريد من أعمال البر مثل الصدقة والضيافة ﴿أو تعفوا عن سوء﴾ يأتيك من أخيك المسلم ﴿فإن الله كان عفواً﴾ لمن عفا ﴿قديراً﴾ على ثوابه.

ـ قوله جـل جلاله[1] ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ يعني: اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ومحمد ﷺ والقرآن ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ أي: بين الإيمان بالله ورسله.

ولا يصح الإيمان بالله والتكذيب برسله أو ببعض منهم، وذلك قوله ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾ لا يصح التصديق ببعض الأنبياء دون بعض لأن كل نبي قد دعا إلى تصديق من بعده من الأنبياء فإذا كذبوهم فقد كذبوا من تقدم منهم.

وقوله[3] ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ بين إيمان ببعض الرسل[4] وكفر ببعض مذهبا يذهبون إليه.

ـ ﴿أولئك الكافرون حقاً﴾ ذكر «حق[5]» ها هنا: تأكيد لكفرهم، إزالة لتوهم من يتوهم أن إيمانهم ببعض الرسل يزيل عنهم اسم الكفر. ثم نزل في المؤمنين قوله تعالى:

ـ ﴿والذين ءامنوا بالله ورسله[6] ولم يفرقوا بين أحد منهم. . .﴾ إلى آخر الآية[7].

يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

ـ قوله جـل جلاله[8] ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ قال المفسرون[9]: إن اليهود قالوا للنبي ﷺ إن كنت صادقاً أنك نبي فأتنا بكتاب جملة من السماء كما أتي به موسى فأنزل الله هذه الآية.

وقوله ﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك﴾ يعني: السبعين الذين ذكرنا قصتهم عند قوله ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾[10].

---

(١) في غير (أ) قوله.
(٢) انظر البحر ٣/٣٨٥ عن ابن عباس.
(٣) في (د) قوله.
(٤) في (هـ) بين إيمان ببعض وكفر ببعض الرسل.
(٥) في (جـ، د) حقاً.
(٦) في (هـ) ورسوله.
(٧) وتمامها ﴿أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

(٨) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.
(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٤ والزجاج ٢/١٣٨ وابن كثير ١/٥٧٢ عن القرظي والسدي وقتادة والطبري ٩/٣٥٦ عن القرظي والسدي وكـذا الدر ٢/٢٣٨ عنهما وفتح القدير ١/٥٣٥ عن القرظي وابن جريج وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ وللسيوطي ٩٦.
(١٠) سورة البقرة / ٥٥.

وقوله[١] ﴿ثم اتخذوا العجل﴾ يعني: الذين خلفهم موسى مع هارون حين خرج لميقات ربه. وقوله ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني: العصا واليد وفلق البحر ﴿فعفونا عن ذلك﴾ ولم نستأصل عبدة العجل ﴿وءاتينا موسى سلطاناً مبيناً﴾ حجة بينة قوي بها على من ناواه[٢].

ـ قوله جل جلاله[٣] ﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾ مفسر في سورة البقرة إلى قوله[٤] ﴿وقلنا لهم لا تعتدوا في السبت﴾ أي: لا تعتدوا باقتناص السمك فيه. يقال: عدا عُدوا وعَدْوا وعَدَاء وعُدْوانا، أي: ظلم وجاوز الحد[٥].

وقرأ نافع (لا تعْدُّوا) ـ ساكنة العين مشددة الدال ـ أراد: لا تعتدوا ثم أدغم التاء في الدال لتقاربهم، وروى ورش[٦] (لا تَعَدوا) ـ فتح العين ـ وذلك أنه لما أدغم التاء في الداخل نقل حركتها إلى العين.

وقوله ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ قال ابن عباس[٧]: عهداً مؤكداً في النبي ﷺ.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾

ـ قوله تعالى[٨] ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ «ما» ها هنا: صلة مؤكدة والآية تفسيرها ظاهر إلى قوله ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم﴾ يقال: طبع الله على قلب الكافر، أي: ختم عليه فلا يعي وعظاً ولا يوفق للخير[٩]. قال الزجاج: جعل الله مجازاتهم على كفرهم أن طبع على قلوبهم[١٠].

وقوله[١١] ﴿فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ قد مر[١٢] في هذه السورة.

---

(١) في (د) قوله.

(٢) «ناوأه: عاداه» (حاشية أ).

(٣) في غير (أ) وقوله (وفي (د) قوله.

(٤) في (و) وقوله.

(٥) وانظر تفسير الآية ٥٨ من سورة البقرة. «وعدا عليه عَدْواً وعَداء وعَدَوَاناً وعُدْواناً وعُدْوى وتعدى واعتدى كله: ظلم» (المصباح المنير / عدا، واللسان / عدا، ومفردات الراغب / عدا).

(٦) ورش: شيخ الإقراء بالديار المصرية أبو سعيد عثمان بن سعيد القيرواني ثم المصري صاحب نافع ولد سنة ١١٠ هـ وأخذ القراءة عن نافع وهو الذي لقبه بورش لشدة بياض انتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه وكان ماهراً بالعربية توفي سنة ١٩٧ هـ. (شذرات ١/٣٤٩ والأعلام ٤/٣٦٦).

قرأ نافع (لا تعدوا) بإسكان العين وتشديد الدال ـ وحجته قوله تعالى: ﴿وكانوا يعتدون﴾ ـ سورة البقرة /٦١ ـ وقرأ ورش (لا تعدوا) ـ بفتح العين ـ نقل فتحة التاء إلى العين مثل «يهدي». وقرأ الباقون (لا تعدوا) ـ خفيفة الدال ـ من عدا يعدو إذا جاوز الحد، وحجتهم قوله تعالى ﴿إذ يعدون في السبت﴾ سورة الأعراف /١٢٦.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٨، والسبعة ٢٤٠ والنشر ٢/٢٥٣ والتبيان ١/٤٠٣، والحجة لابن خالويه ١٢٨).

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٥.

(٨) في غير (أ) قوله وفي (و) وقوله.

(٩) ذكره ابن منظور في اللسان / طبع «فلا يعي وعظاً ولا يوفق للخير».

(١٠) انظر الزجاج ٢/١٣٩، والطبري ٩/٣٦٥ عن قتادة.

(١١) في (د، هـ) قوله.

(١٢) في (د) قدم وفي (و) تقدم وانظر ذلك عند تفسير الآية ٤٦.

ـ قوله عز وجل ﴿وبكفرهم﴾ يعني: بالمسيح وجحدوا أنه نبي ﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ حين رموها بالزنا، وزعموا أن عيسى لغير رِشْدَة[1].

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح [عيسى ابن مريم]﴾ اليهود تدعي أنهم قتلوا المسيح، وكذبوا في ذلك، قال[2] الله تعالى ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ أي: ألقى شبهه على غيره حتى ظنوا لما رأوه أنه المسيح. وذلك أن عيسى ـ عليه السلام ـ لما أراد الله تعالى رفعه إلى السماء قال لأصحابه: أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقي عليه شبهه فقتل وصلب وهم يظنون أنهم قتلوا عيسى[3].

وقوله[4] ﴿وإن الذين اختلفوا فيه﴾ أي: في قتله، وكان اختلافهم فيه أنهم لما قتلوا الشخص المشبه به، كان الشبه قد ألقي على وجهه، ولم يلق عليه[5] شبه جسد عيسى، فلما قتلوه ونظروا إليه قالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، فذلك اختلافهم فيه.

وقوله[6] ﴿لفي شك منه﴾ أي: من قتله ﴿ما لهم به﴾ بعيسى ﴿من علم﴾ قُتل أو لم يقتل ﴿إلا اتباع الظن﴾ لكنهم[7] يتبعون الظن في قتله ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ وما قتلوا المسيح على يقين من أنه المسيح.

ـ ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أي: إلى الموضع الذي لا يجري لأحد سوى الله فيه حكم، فكان رفعه إلى ذلك الموضع رفعاً لأنه رفع عن أن يجري عليه حكم العباد.

يؤكد هذا أن الحسن قال[8] ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أي: إلى السماء، كما قال ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله﴾[9] وكانت الهجرة إلى المدينة.

﴿وكان الله عزيزاً﴾ في اقتداره على نجاة من يشاء من عباده ﴿حكيماً﴾ في تدبيره في نجاة عيسى.

ـ قوله جل جلاله[10] ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ قال الزجاج[11]: المعنى: وما منهم أحد إلا ليؤمنن به، أي: بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به، حتى تكون الملة[12] واحدة ملة الإسلام.

قال عطاء عن ابن عباس: إذا نزل عيسى[13] إلى الأرض لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبد غير الله

---

(١) «لغير رشدة» ـ بكسر الراء وإسكان الشين المعجمة وفتح الدال المهملة يقال: هو لغير رشدة ولِغِية ـ بكسر اللام والغين المعجمة ـ إذا كان لغير نكاح (عمدة القوي والضعيف ص ١٠) وانظر تفسير ابن عباس ٨٥ والزجاج ٢/١٣٩ والطبري ٩/٣٦٧ عن ابن عباس والسدي وجويبر، وابن كثير ١/٥٧٣ عن السدي وابن عباس.

(٢) في (د) قول الله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٥ والزجاج ٢/١٤٠ والطبري ٩/٣٦٨ ـ ٣٧٠ عن وهب وقتادة وابن كثير ١/٥٧٤ وفتح القدير ١/٥٣٥ كلاهما عن ابن عباس والدر ٢/٢٣٨ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.

(٤) في (د) قوله تعالى.

(٥) في (د) على شبه.

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (د) أي لكنهم.

(٨) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٨٥ وفتح القدير ١/٣٤٦ عن الحسن.

(٩) سورة النساء/ ١٠٠.

(١٠) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(١١) انظر الزجاج ٢/١٤١ ـ ١٤٢ والفراء ١/٢٩٤.

(١٢) في (جـ، د) ملة.

(١٣) من (أ، د).

إلا آمن به وصدقه وشهد أنه روح الله وكلمته وعبده ونبيه، وهذا قول الحسن وقتادة وسعيد بن جبير[١].

أخبرنا محمد بن إبراهيم الفارسي أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الثوري أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أخبرنا مسلم حدثنا عبد بن حميد [٢] عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي [٣]، عن صالح عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يقول:

قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر[٤] الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».

ثم يقول أبو هريرة: إقرءوا ـ إن شئتم ـ ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾[٥]. قوله ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ على أن قد بلغ رسالة ربه وأقر بالعبودية على نفسه[٦].

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾

ـ قوله تعالى [٧] ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ قال مقاتل[٨]: كان الله عز وجل حرم على أهل التوراة أن يأكلوا الربا، ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلماً، فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس بالباطل

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٨٥ والدر ٢/٢٤١ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وأبي مالك والحسن وكذلك الطبري ٩/٢٨١ وابن كثير ١/٥٧٧ وللزجاج رأي آخر وهو: «ما من أحد إلا ليؤمنن بعيسى ممن كفر به قبل موته لأن الميت قبل موته يعاين عمله فيعلم صالحه من طالحه، وكل كافر إذا عاين آمن بكل نبي كفر به قبل موته».
(الزجاج ٢/١٤٢، والفراء ١/٢٩٥).
وعن ابن عباس «ما من يهودي إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته» ـ أي اليهودي ـ (الدر ٢/٢٤١) وعن محمد بن الحنفية: الهاء راجعة إلى أهل الكتاب كلهم. وعن شهر بن حوشب: الهاء راجعة إلى «النصارى».

(٢) عبد بن حميد الحافظ أبو محمد الكشي صاحب المسند والتفسير ـ واسمه عبد الحميد فخفف ـ سمع يزيد بن هارون والطبقة وكان ثقة ثبتاً توفي سنة ٢٤٩ هـ. (شذرات ٢/١٢٠).

(٣) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الحافظ الإمام أبو إسحاق الزهري المدني سمع أباه قاضي المدينة والزهري وصالح بن كيسان وغيرهم وعنه ابنه يعقوب وسعد وأحمد بن حنبل وغيره مات سنة ١٨٤ هـ.
(تذكرة الحفاظ ١/٢٥٢ ـ ٢٥٣).

(٤) في (د) يكسر.

(٥) الحديث: رواه البخاري ـ كتاب بدء الخلق ـ باب نزول عيسى ابن مريم ٢/٢٥٦ ومسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب نزول عيسى ابن مريم حكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١/٧٦) والترمذي ـ كتاب القدر ـ باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم رقم ٢٣٣٤ (٣/٣٤٤) ومسند أحمد ٢/٢٤٠.. كلهم من حديث أبي هريرة.

(٦) ذكره الطبري ٩/٣٩٠ عن قتادة.

(٧) في (جـ، هـ، و) قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٩/٣٩١ والدر ٢/٢٤٦ كلاهما عن قتادة وتفسير مجاهد ١٨١ وابن كثير ١/٥٨٤، والخازن ١/٦٢١ عن مقاتل.

وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد ﷺ فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر. . .﴾ الآية[١].

ـ قوله[٢] ﴿**وأكلهم أموال الناس بالباطل**﴾ يعني: ما أخذوه من الرشى في الحكم وغير ذلك. قوله ﴿**وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً**﴾ خص «الكافرين منهم» لأنه علم أن منهم من يؤمن فيأمن العذاب.

ـ قوله جل جلاله[٣] ﴿**لكن الراسخون في العلم منهم**﴾ هذا استثناء لمؤمني أهل الكتاب. وعني بـ «الراسخين»: المبالغين في علم الكتاب، كعبد الله بن سلام وعدة نفر. قال الزجاج[٤]: يعني أنهم بعلمهم وبصيرتهم وثبوتهم في علمهم آمنوا بالنبي ﷺ.

وقوله ﴿**والمؤمنون**﴾ قال ابن عباس[٥] ﴿**والمؤمنون**﴾ من أمة محمد[٦] ﷺ.

قوله[٧] ﴿**والمقيمين الصلوة**﴾ نص سيبويه على أن ﴿**والمقيمين**[٨]﴾: نصب على المدح والعرب تقول: جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد، على معنى: أذكر المطعمين وهم المغيثون وكذلك هذه الآية هنا معناها: اذكر المقيمين[٩] وهم المؤتون الزكاة.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

ـ قوله جل جلاله[١٠] ﴿**إنا أوحينا إليك. . .**﴾ الآية قال ابن عباس[١١]: إن جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ:

---

(١) سورة الأنعام / ١٤٦.

(٢) في (د) قوله.

(٣) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٤) انظر الزجاج ٢/١٤٢.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ١/٥٨٤ عن ابن عباس.

(٦) في (و) من أمة رسول الله ﷺ.

(٧) في (جـ، هـ، و) وقوله.

(٨) في (د) المقيمين.

(٩) (جـ، هـ) المقيمن الصلاة.

وانظر الكتاب ٢/٦٣، ٦٦ والزجاج ٢/١٤٤ وفتح القدير ١/٥٣٧ عن سيبويه والفراء ١/١٠٦ ـ ١٠٧ والطبري ٩/٣٩٥ وضعفه حيث قال: «وأما من وجه ذلك إلى النصب على وجه المدح لـ «الراسخين في العلم» ـ وإن كان ذلك قد يحتمل على بعد من كلام العرب لما ذكرت قبله من العلة وهو أن العرب لا تعدل عن إعراب الاسم المنعوت بنعت في نعته إلا بعد تمام خبره ـ وكلام الله جل ثناؤه أفصح الكلام فغير جائز توجيهه إلا إلى الذي هو أولى به من الفصاحة».

واختار أن يكون «المقيمين» في موضع خفض نسقاً على «ما» التي في قوله ﴿**بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك**﴾ وأن يوجه معنى «المقيمين الصلاة، إلى الملائكة. وانظر غرائب النيسابوري ٦/٢٣ ـ ٢٤ عن البصريين ثم طعن الكسائي في قولهم ـ كما ذهب الطبري ـ. وانظر التبيان ١/٤٠٧ والمشكل ١/٢١٢ والبيان ١/٢٧٥ ومجاز القرآن ١/١٤٢.

(١٠) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(١١) انظر تفسير الطبري ٩/٤٠٠ وأسباب النزول للسيوطي ٩٧، وابن كثير ١/٥٨٥ والدر ٢/٢٤٦ وفتح القدير ١/٥٣٩ كلها عن ابن عباس.

ما أوحى الله ولا إلى أحد من بعد موسى فكذبهم الله وأنزل ﴿إنا أوحينا إليك﴾ الآية.

وقوله[١] ﴿وءاتينا داود زبوراً﴾ «الزبور»: الكتاب وكل كتاب زبور، وهو فعول بمعنى مفعول، كالرسول والركوب والحلوب، وأصله من زَبرت الكتاب[٢] بمعنى كتبت. وقرأ حمزة (زُبوراً[٣]) ـ بضم الزاي ـ على أنه جمع «زبر» وهو الكتاب سمي المفعول باسم المصدر، ثم جمعه كما يسمى المكتوب كتاباً، ثم يجمع على كتب.

ـ قوله تعالى[٤] ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك...﴾ الآية، قال الكلبي[٥]: يقول من الرسل من قد سميناهم لك في القرآن وعرفناكهم إلى من بعثوا وما رد عليهم قومهم ومنهم من لم نسمه لك.

وقوله[٦] ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ أي: مخاطبة من غير واسطة، وتأكيد «كلم»[٧] بالمصدر: يدل على أنه سمع كلام الله حقيقة، لا كما تقول القدرية: إن الله تعالى خلق كلاماً في محل فسمع موسى ذلك الكلام[٨] لأنه لا يكون ذلك كلام الله.

قال أحمد بن يحيى[٩]: لو قال: وكلم الله من غير أن يؤكد بالمصدر لاحتمل كما قالوا فلما قال ﴿تكليماً﴾ سقط الشك الذي كان يدخل في الكلام لأن أفعال المجاز لا تؤكد بذكر المصادر، لا يقال: أراد الحائط أن يسقط إرادة.

ـ قوله جل جلاله[١٠] ﴿رسلاً مبشرين﴾ أي: بالجنة لمن أطاع ﴿ومنذرين﴾ بالنار لمن عصى ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ لأنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة لأن هذه الأشياء إنما وجبت ببعث الرسل، وقد قال في آية أخرى ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾[١١] فبين أنهم كانوا يحتجون بعدم الرسل[١٢] لو لم تبعث إليهم ﴿وكان الله عزيزاً﴾ في اقتداره على إنجاز موعوده على ألسنة رسله ﴿حكيماً﴾ في إرساله الرسل.

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾

(١) في (د) وقوله تعالى.
(٢) من (أ)، وانظر الزاهر ١/١٦٩ ـ ١٧٠ ومجاز القرآن ١/٣٥٩ وفتح القدير ١/٥٣٨ وقد تقدم مثل ذلك عند تفسير الآية ١٨٤ من سورة آل عمران.
(٣) قرأ حمزة (زُبوراً) ـ بضم الزاي ـ حيث وقع هذا الحرف أي كتباً وصحفاً جمع زبر وزبور كبيت وبيوت وقرأ الباقون ـ بالفتح ـ وحجتهم: أن الآثار كذا جاءت، «زبور داود» كما جاء توراة موسى وإنجيل عيسى. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٩ والسبعة ٢٤٠ والنشر ١/٢٥٣ والبيان ١/٤٠٩ والزجاج ٢/١٤٥ والحجة لابن خالويه ١٢٨).
(٤) في غير (أ) وقوله وفي (د) قوله.
(٥) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والخازن ١/٦٢٤.
(٦) في (د) قوله.
(٧) ليست في (د).
(٨) في (د) كلام أنه لا يكون.
(٩) انظر الزجاج ٢/١٤٦ بنحوه وفتح القدير ١/٥٣٨ عن الفراء والنحاس والتبيان ١/٤٠٩، والبيان ١/٢٧٧، والبحر ٣/٣٩٨ عن ثعلب.
(١٠) في غير (أ) قوله.
(١١) سورة طه / ١٣٤.
(١٢) في غير (أ) الرسول.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

ـ قوله عز وجل [١] **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾** قال المفسرون [٢]: إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد سألنا اليهود عنك وعن صفتك فزعموا أنهم لا يعرفونك في كتابهم فائتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولاً، فنزل **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾** قال الزجاج [٣] «الشاهد»: هو المبين لما يشهد به والله عز وجل يبين ما أنزل إليه بنصب المعجزة له وبين صدق نبيه بما يغني عن بيان أهل الكتاب [٤]. وقوله **﴿أنزله بعلمه﴾** أي: أنزله وفيه علمه قال الزجاج [٥]: أنزل القرآن الذي فيه علمه **﴿والملائكة يشهدون﴾** من قامت له المعجزة شهدت له الملائكة بصدقه **﴿وكفى بالله [٦] شهيداً﴾** تسلية للنبي [٧] ﷺ عن شهادة أهل الكتاب بشهادة الله والملائكة [٨].

ـ قوله جل جلاله [٩] **﴿إن الذين كفروا﴾** يعني اليهود **﴿وصدوا عن سبيل الله﴾** دين الإسلام بقولهم: ما نعرف صفة محمد في كتابنا **﴿قد ضلوا ضلالاً بعيداً﴾** بعدوا عن سبيل الخير، فلا يهتدون.

ـ قوله **﴿إن الذين كفروا﴾** يعني: اليهود **﴿وظلموا﴾** محمداً ﷺ بكتمانه نعته **﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾** [يعني: من مات منهم على الكفر] [١٠] **﴿ولا ليهديهم [١١] طريقاً﴾** يعني: دين الإسلام.

ـ **﴿إلا طريق جهنم [١٢]﴾** يعني طريق اليهودية وهو طريق جهنم **﴿خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً﴾** لأنه قادر على أن يخلق لهم العذاب والألم شيئاً بعد شيء إلى ما لا يتناهى.

ـ قوله جل جلاله [١٣] **﴿يا أيها الناس﴾** قال ابن عباس: يريد المشركين **﴿قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم﴾** أي بالهدى والصدق وشهادة أن لا إله إلا الله **﴿فآمنوا خيراً لكم﴾** قال الزجاج [١٤]: قال الخليل وجميع

---

(١) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.
(٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والطبري ٩/٤٠٩ وأسباب النزول للواحدي ١٣٨ وابن كثير ١/٥٨٩ كلها عن ابن عباس.
(٣) انظر الزجاج ٢/١٤٦ والزاهر ١/١٢٥، ١٢٧.
(٤) في (و) أهل مكة وقوله بعلمه.
(٥) انظر الزجاج ٢/١٤٦.
(٦) في (د) وكفا وفي (هـ) شهيدً.
(٧) في (د) النبي.
(٨) في (د) وملائكته.
(٩) في غير (أ) قوله.
(١٠) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).
(١١) في (و) سبيلاً طريقاً.
(١٢) «(إلا طريق جهنم): استثناء من جنس الأول لأن الأول في معنى العموم إذ كان في سياق النفي» (انظر التبيان ١/٤١١).
(١٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والطبري ٩/٤١٢ والبحر ٣/٤٠٠ عن ابن عباس.
(١٤) ذكره الزجاج عن الخليل والبصريين ٢/١٤٧ مع إيضاح أكثر فيقول: «لأنك إذا قلت: انته خيراً لك، فأنت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره. =

البصريين: هذا محمول على المعنى كأن معنى قوله «ءامنوا خيراً لكم» [١]: ائتوا خيراً لكم.

وقوله [٢] ﴿وإن تكفروا﴾ أي: بتكذيب محمد ﷺ ﴿فإن لله ما في السموات والأرض﴾ ملكاً واقتداراً عليه، أي: أنه غني عنكم وعن إيمانكم ﴿وكان الله عليماً﴾ بما يكون منكم من إيمان وكفر ﴿حكيماً﴾ في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم.

ـ قوله جل جلاله [٣] ﴿يا أهل الكتاب﴾ يريد: النصارى ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ أي: لا تتجاوزوا حد الحق. يقال: غلا يغلو غلواً إذا جاوز الحق [٤].

والنصارى غلت في المسيح، فجاوزوا به منزلة الأنبياء حتى جعلوه إلّها. وذلك أن الماريعقوبية ـ نصارى أهل نجران ـ قالوا: عيسى هو الله، وقالت النسطورية: هو ابن الله، وقال المرقوسية: هو ثالث ثلاثة.

فأنزل الله تعالى ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾[٥].

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطوعي[٦]، أخبرنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري، أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا محمد بن عبد الرحمن[٧]، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عوف الأعرابي، عن زياد بن حصين[٨]، عن أبي العالية عن ابن عباس قال:

قال رسول الله: «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٩].

= كأنك قلت: انته وائت ما هو خير لك وادخل فيما هو خير لك. وانظر التبيان ١/ ٤١١ وفتح القدير ١/ ٥٤٠ كلاهما عن الخليل وسيبويه، والمشكل ١/٢١٣ عن سيبويه والطبري ٩/ ٤١٤ عن البصريين والبيان ١/ ٢٧٨. وقال أبو عبيدة «نصب على ضمير جواب: يكن خيراً لكم» (مجاز القرآن ١/ ١٤٣).

(١) في (د) قال الزجاج.

(٢) في (د) قوله.

(٣) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٤) انظر مجاز القرآن ١/ ١٤٣ واللسان / غلا، ومفردات الراغب / غلا.

(٥) عن ابن عباس قال «وافترقوا ثلاث فرق، قالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها» (الدر ٢/ ٢٣٨).

وفي تفسير ابن عباس: «ثم نزل في نصارى نجران؛ النسطورية ـ وهم الذين قالوا عيسى ابن الله، والماريعقوبية وهم الذين قالوا: عيسى هو الله، والمرقوسية: وهم الذين قالوا: ثالث ثلاثة والملكانية: وهم الذين قالوا: عيسى والرب شريكان فأنزل الله فيهم ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم..﴾» (تفسير ابن عباس ٨٦).

(٦) أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن بالويه المزكي لحق أبا بكر القطان توفي سنة ٤١٠ هـ (تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥١).

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن سهم بن حكيم الأنطاكي روى عن ابن المبارك وبقية ومعتمر بن سليمان وغيرهم وعنه أبو يعلى الموصلي ومسلم وأبو القاسم البغوي ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٤٣ هـ (تهذيب التهذيب ٩/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٨) زياد بن الحصين بن قيس الرياحي اليربوعي البصري أبو جهمة سمع أبا العالية الرياحي وعنه الأعمش وغيره روى له مسلم. (كتاب الجمع ١/ ١٤٩).

(٩) الحديث: رواه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ١/ ٤٦٦، والطبراني في الكبير ١٢/ ١٥٦ ومسند أحمد ٣/ ٣٤٧ والحلية ٢/ ٢٢٣ وابن ماجة ـ كتاب المناسك ـ باب قدر حصى الرمل ـ رقم ٣٠٢٩ (٢/ ١٠٠٨) وعلل الحديث للرازي ١/ ٢٧٦ وصححه بهذا السند ـ ضمن حديث ابن عباس بلفظ «إياكم والغلواء فإنما هلك من كان قبلكم بالغلواء» والجامع الصغير ١/ ١١٦ ورمز له بالصحيح. كلهم من حديث ابن عباس.

وقوله[١] ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ أي: فليس لله ولد ولا زوجة ولا شريك هذا هو الحق. ثم أخبر عن عيسى فقال ﴿إنما المسيح عيسى ابن[٢] مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ ذكرنا تفسير هذا في سورة آل عمران[٣]. قال الكلبي: يعني قوله (كن) فكان من غير أب[٤].

وقوله ﴿وروح منه﴾ أي: من خلقه وإحداثه وذلك أن الله تعالى لما أخرج الأرواح من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم ثم ردها إلى صلبه أمسك عنده روح عيسى إلى أن أراد خلقه، ثم أرسل ذلك الروح إلى مريم فدخل فيها فكان منه عيسى وهذا قول أبي بن كعب[٥].

أخبرنا أبو إبراهيم بن أبي القاسم الواعظ[٦]، حدثنا أبو عمرو بن نجيد، أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة[٧] حدثنا ابن جابر عم عمير بن هانيء[٨]، عن جنادة بن أبي أمية[٩] عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله[١٠]، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة شاء».

رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم عن ابن[١١] جابر[١٢].

وقوله[١٣] ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ قال الزجاج[١٤]: لا تقولوا آلهتنا[١٥] ثلاثة، يعني: قولهم الله وصاحبته وابنه.

---

(١) في (د، و) قوله. (٢) (ابن) ليست في (هـ). (٣) انظر تفسير الآية ٣٩ من سورة آل عمران.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٦ والبغوي ١/٦٢٧ وابن كثير ١/٥٩٠، والطبري ٩/٤١٩ والدر ٢/٢٤٨ كلاهما عن قتادة وسبق مثل هذا عند تفسير الآية ٣٩، ٤٥ من سورة آل عمران.

(٥) انظر المستدرك ٢/٣٢٣ ـ ٣٢٤، ٢/٣٧٣ والطبري ٩/٤٢١ ـ ٤٢٢ والقرطبي ٦/٢٢ كلها عن أبي بن كعب.

(٦) في (د، هـ) إبراهيم بن أبي . . وفي (د) بن أبو القاسم.

(٧) صدقة بن خالد أبو العباس مولى أم البنين بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية الأموي القرشي سمع زيد بن واقد وعنه هشام بن عمار روى له البخاري (الجمع ١/٢٢٥).

(٨) عمير بن هانيء العنسي الداراني تابعي روى عن معاوية وابن عمر وجماعة وعنه معاوية بن صالح والأوزاعي وطائفة وثقه العجلي وقال الفسوي: لا بأس به وقال أبو داود كان قدرياً قتل سنة ١٢٧ هـ. (الميزان ٣/٢٩٧).

(٩) جنادة بن أبي أمية ـ واسم أبي أمية كثير ـ الدوسي ـ والصواب السدوسي ـ سمع عبادة بن الصامت وعنه عمير بن هانيء وغيره توفي سنة ٦٧ هـ روى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١/٧٩).

(١٠) ليست في (هـ).

(١١) في (د) عن أبي جابر، وفي (و) عن جابر.

(١٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار عن عبادة بلفظ «من قال أشهد. . . من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» (١/٣٣).
والبخاري في الصحيح ـ كتاب بدء الخلق ـ باب قوله تعالى ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم﴾ إلى قوله ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ عن عبادة بلفظ «من شهد. .» (٢/٢٥٤).

(١٣) في (جـ، د) قوله.

(١٤) انظر الزجاج ٢/١٤٨ وفتح القدير ١/٥٤١ والزجاج وتفسير ابن عباس ٨٦، والفراء ١/٢٩٦ والبيان ١/٢٧٩ وقال أبو عبيدة: «لا تقولوا هم ثلاثة» (مجاز القرآن ١/١٤٤، وفتح القدير ١/٥٤١ عن أبي عبيدة والفراء).

(١٥) في (د) إلهنا.

﴿انتهوا خيراً لكم﴾ أي: ائتوا بالانتهاء عن قولكم [خيراً لكم مما تقولون ﴿إنما الله إله واحد سبحانه﴾ نزه نفسه][1] ﴿أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً من غير شريك في ذلك، وإذا استحال الشرك في وصفه استحال الولد ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ أي: مفوضاً إليه القيام بتدبير ملكه الذي لا ملك أوسع منه.

لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

ـ قوله تعالى[2] ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ المفسرون يقولون: «الاستنكاف والاستكبار» واحد[3].

قال الكلبي[4]: لن يتعظم وقال الأخفش ومقاتل[5]: لن يأنف وقال الزجاج[6]: أي: ليس [7] يستنكف الذي [8] يزعمون أنه إله أن يكون عبداً لله ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ من كرامة الله والمواطن الشريفة وهم أكبر من البشر.

ثم أوعد من استكبر عن عبادة الله تعالى فقال ﴿ومن يستنكف عن عبادته..﴾ الآية.

ـ قوله عز وجل [9] ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قال ابن عباس[10]: يريد بـ «البرهان» النبي ﷺ وما جاء من البيان. (11) وإنما قيل للنبي ﷺ برهان، لما معه من المعجزة التي تشهد بصدقه.

وقوله[12] ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ يريد: القرآن، سماه نوراً، لأنه يتبين به الأحكام، كما تتبين الأشياء بالنور[13].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٢) في (جـ، د، هـ) قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ٤٢٤/٩ وابن كثير ٥٩١/١ وفتح القدير ٥٤٣/١ كلاهما عن ابن عباس، واللسان / نكف، عن المفسرين.

(٤) انظر تفسير الطبري ٤٢٧/٩ والبغوي ٦٢٨/١.

(٥) وهو قول الزجاج ١٤٩/٢ وابن عباس ٨٦ وغريب القرآن ٣٧ ومجاز القرآن ١٤٤/١، وفتح القدير ٥٤٢/١ عن الزجاج.

(٦) انظر الزجاج ١٤٨/٢ واللسان / نكف عن الزجاج والوجيز للواحدي ١٨٧/١.

(٧)) في (د) أي لن.

(٨) في (جـ، و) الذين.

(٩) في غير (أ) قوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٨٧ والثوري ٩٨ والطبري ٤٢٧/٩.

(١١) في (جـ، د، خـ) البينات.

(١٢) في (د) قوله

(١٣) في (جـ، د، و) كما يتبين بالنور.

ـ قوله[١] ﴿فأما الذين ءامنوا بالله واعتصموا به﴾امتنعوا به من زيغ الشيطان [٢] ﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾ قال ابن عباس[٣] : يريد: الجنة ﴿وفضل﴾ يتفضل عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾ ديناً مستقيماً.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾﴾

ـ قوله جل جلاله[٤] ﴿يستفتونك. . .﴾ الآية أنزل الله تعالى في الكلالة آيتين، إحديهما[٥]: في الشتاء وهي التي في أول السورة، والأخرى في الصيف وهي هذه الآية [ولهذا[٦] تسمى هذه الآية][٧] آية الصيف.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا أبو خليفة، حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب يقول:

آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ وآخر سورة أنزلت «براءة» رواه البخاري عن أبي الوليد، ورواه مسلم عن بندار عن غندر كلاهما عن شعبة [٨].

أخبرنا أبو بكر الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا مسلم حدثنا عمرو الناقد، حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر أنه سمع جابر بن عبد الله يقول [٩] :

مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعودانني ماشيين، فأغمي علي، فتوضأ ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت، فقلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرد على شيئاً حتى نزلت آية الميراث ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[١٠].

---

(١) من (أ) وفي (هـ) وقوله.

(٢) امتنعوا عن زيغ.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٧ وغرائب النيسابوري ٦/ ٣٤ عن ابن عباس.

(٤) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٥) في (جـ، د) أحدهما وفي (و) إحداهما.

(٦) في (هـ) ولهذي.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د) والآية الأولى رقم ١٢ من سورة النساء.

(٨) رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التفسير ـ ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة. . ﴾ (١٢٣/٣) ومسلم ـ كتاب الفرائض ـ باب آخر آية أنزلت آية الكلالة (٤/٢) والطبري ٤٣٣/٩، وابن كثير ٥٩٢/١ كلهم من حديث البراء.

(٩) في (د) قال أتاني رسول الله.

(١٠) انظر صحيح البخاري ـ كتاب المرضى ـ باب عيادة المغمى عليه (٣/٤). ومسلم ـ كتاب الفرائض ـ باب ميراث الكلالة ـ الباب الأول (٢/٢ ـ ٣).

والترمذي ـ كتاب الفرائض ـ باب ما جاء في ميراث الأخوات رقم ٢١٧٨ (٢٨٢/٣). وفي كتاب التفسير ـ (يستفتونك. . .) رقم ٥٠٠٢ (٣٠١/٤).

وسنن أبي داود ـ كتاب الفرائض ـ باب في الكلالة رقم ٢٨٨٦ (١١٩/٣). كلهم من حديث جابر.

قال ابن عباس[١] يريد: من ليس له ولد ولا والد[٢] ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ أراد: ولا والد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، ودل[٣] على المحذوف: أن الفتيا في الكلالة، والكلالة من ليس له ولد ولا والد، فإن كان له أحدهما لم يسم كلالة.

وقوله[٤] ﴿وله أخت﴾ أراد: من أبيه وأمه، لأن ذكر أولاد الأم قد سبق في أول السورة ﴿فلها نصف ما ترك﴾ هذا بيان فرضها عند الانفراد، ولها نصف المال بالتسمية.

وقوله[٥] ﴿وهو يرثها إن لم يكن لها ولد﴾ يعني: أن الأخ يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن للأخت ولد، وهذا في الأخ من الأب والأم، أو من الأب.

وقوله ﴿فإن كانتا اثنتين﴾ ظاهر إلى قوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾.

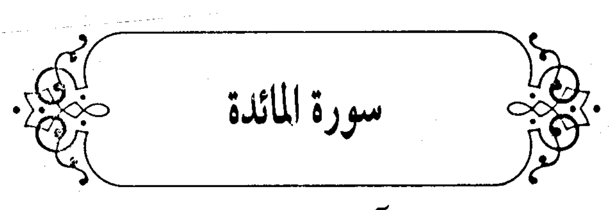
وروي أن أبا بكر الصديق قال في خطبته: ألا إن الآية التي أنزل الله تعالى في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها الله في الولد والوالد[٦]، والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم[٧]، والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مما جرت به الرحم من العصبة[٨].

وقوله ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ أي: لئلا تضلوا، أو: أن لا تضلوا وهذا كقوله تعالى ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾[٩] أي: لئلا تزولا. هذا قول الفراء والكسائي[١٠].

وقال البصريون: المحذوف ها هنا: مضاف، على تقدير: يبين الله لكم كراهة أن تضلوا فحذف المضاف[١١].

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٨٧ والدر ٢/٢٥٠ عن ابن عباس والزجاج ٢/٢٤.
(٢) في (جـ، د) قال.
(٣) في (د) دل.
(٤) في (د) قوله تعالى، وفي (هـ) قوله.
(٥) في (د) قوله.
(٦) آية ١١.
(٧) آية ١٢.
(٨) انظر الدر ٢/٢٥١ والطبري ٩/٤٣١ ومنتخب الكنز ٤/٢٠٦ كلها عن أبي بكر الصديق.
(٩) سورة فاطر/ ٤١.
(١٠) انظر الفراء ١/٣٨٣ والبحر ٣/٤٠٩ عن الفراء والكسائي والزجاج، والطبري ٩/٤٤٥ والزجاج ٢/١٤٩، والبيان ١/٢٨١ وفتح القدير ١/٥٤٤ عن الفراء والكسائي.
(١١) ذكره الزجاج ٢/١٤٩ - ١٥٠ وفتح القدير ١/٥٤٤ عن البصريين، والبيان ١/٢٨١. وقال العكبري «(أن تضلوا) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مفعول يبين أي: يبين لكم ضلالكم لتعرفوا الهدى، والثاني: هو مفعول له تقديره: مخافة أن تضلوا. والثالث: تقديره: لئلا تضلوا - وهو قول الكوفيين - ومفعول يبين على هذا الوجه محذوف أي يبين لكم الحق.
(التبيان ١/٤١٤، والمشكل ١/٢١٥ - ٢١٦).



سورة المائدة

مدنيّة وآياتها عشرون ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي بن أحمد الخفاف[1]، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر حدثنا إبراهيم بن شريك، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا سلام بن سليم، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال:

قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات»[2].

«بسم الله الرحمن الرحيم»

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾

﴿يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود﴾[3] قال ابن عباس في رواية الوالبي: بالعهود[4]، يعني: ما أحل وما حرم، وما فرض وما حد في القرآن[5]، وقال مجاهد[6]: ما عقد الله على العباد وما أحل لهم وحرم عليهم، وقال الضحاك[7]: بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها مما أحل وحرم، ومما فرض من الصلاة وسائر الفرائض.

---

(١) في (جـ، و) أبو سعيد.

(٢) الحديث: سبق الكلام في مثل ذلك الحديث في أوائل السور المتقدمة.
وانظر الموضوعات لابن الجوزي ٢/٢٣٩ ـ ٢٤٠، واللآلىء المصنوعة ١/٢٢٦ ـ ٢٢٧ والفوائد المجموعة ١/٢٩٦، وتنزيه الشريعة المرفوعة ١/٢٨٥.

(٣) في (د) قوله تعالى.

(٤) في (جـ) بالعقود، وفي (د) العقود.

(٥) انظر تفسير الطبري ٦/٣٢ (طبعة دار المعرفة /لبنان ط ٤/١٩٨٠)، والبحر ٣/٤١١، وابن كثير ٢/٣، وفتح القدير ٢/٧، والدر ٢/٢٥٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٢٤ كلها عن ابن عباس.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٨٣ والطبري ٦/٣٣، والبحر ٣/٤١١ كلها عن مجاهد.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢/٣ عن الضحاك، والطبري ٦/٣٣ عن ابن جريج.

و «العقود»: أوكد العهود، جمع العقد، بمعنى المعقود، وهو الذي أحكم وما فرضه الله علينا فقد أحكم ذلك ولا سبيل إلى نقضه بحال [١].

وقال مقاتل بن حيان ﴿أوفوا بالعقود﴾ بالعهود التي عهد الله[٢] إليكم في القرآن مما أمركم من طاعته[٣] أن تعملوا بها، ونهيكم الذي نهاكم عنه، وبالعهد الذي بينكم وبين المشركين، وفيما يكون من العهد بين الناس[٤].

ثم ابتدأ كلاماً آخر فقال ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ و «البهيمة» اسم لكل ذي أربع من دواب البر والبحر[٥]، وقال الزجاج[٦]: كل حي لا يميز فهو بهيمة[٧]. و «الأنعام» جمع النعم، وهي الإبل والبقر والغنم وأجناسها[٨].

والمراد بـ ﴿بهيمة الأنعام﴾: الأنعام، وزاد ذكر «البهيمة» للتأكيد، كما يقال نفس الإنسان وهذا قول الحسن والربيع والضحاك[٩] والسدي وابن عباس في رواية عطاء قالوا: هي الأنعام كلها.

وقال في رواية الكلبي: ﴿بهيمة الأنعام﴾: وحشها، كالظباء[١٠] وحمر الوحش.

وقوله ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ أي: إلا ما يقرأ عليكم في القرآن مما حرم عليكم، وهو قوله ﴿حرمت عليكم الميتة....... ﴾ الآية.[١١]

وقوله[١٢] ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ يقال: رجل حرام وقوم حرم أي: محرمون[١٣] والمعنى: إلا أن تحلوا الصيد في حال الإحرام فإنه لا يحل لكم إذا كنتم محرمين.

وقوله ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ قال الزجاج[١٤]: أي: الخلق له، يحل منه ما يشاء لمن يشاء، ويحرم ما يريد[١٥].

ـ قوله عز وجل[١٦] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تحلّوا شعائر الله﴾ قال أبو عبيدة[١٧] «الشعائر» في كلام العرب: الهدايا المشعرة، أي المعلمة. وقال الزجاج: هي ما أشعر أي أعلم، ليهدى إلى بيت الله الحرام[١٨].

---

(١) انظر اللسان / عقد.
(٢) في (د) أعهد.
(٣) في (هـ) من طاعة.
(٤) انظر الدر ٢/٢٥٣ عن مقاتل.
(٥) انظر اللسان / بهم، والمصباح المنير / بهم.
(٦) انظر الزجاج ٢/١٥٣ واللسان / بهم عن الزجاج والمصباح /بهم.
(٧) في (د) كل من لا يميز وهو حي.
(٨) انظر اللسان: نعم، ومفردات الراغب / نعم، والمصباح المنير / نعم «والأنعام: تطلق على الأنواع الثلاثة، فإذا انفردت الإبل فهي «نعم» وإن انفردت البقر والغنم لم تسم «نعماً».
(٩) في (د) والسدي والضحاك، وانظر غريب القرآن ١٣٨، والطبري ٦/٣٣ عن الحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي والضحاك، وكذا ابن كثير ٢/٣، والدر ٢/٢٥٣ عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وأحكام القرآن ٢/٥٢٩ عن السدي والربيع والضحاك.
(١٠) في (جـ) كالظبي، وفي (هـ) كالظباء.
وانظر تفسير ابن عباس ٨٧، والزجاج ٢/١٥٣ ـ ١٥٤، والفراء ١/٢٩٨، والطبري ٦/٣٤، وأحكام القرآن ٢/٥٢٩ والبغوي ٢/٣ عن الكلبي.
(١١) سورة المائدة / ٣.
(١٢) في (د) قوله.
(١٣) انظر مجاز القرآن ١/١٤٥، وفتح الباري ٨/٢١٦.
(١٤) انظر الزجاج ٢/١٥٥، وابن عباس ٨٧.
(١٥) في (د) يحل منه ما يشاء ويحرم ما يشاء.
(١٦) في غير (أ) قوله، وفي (هـ) وقوله وفي (جـ) وقوله.
(١٧) انظر مجاز القرآن ١/١٥٦، وغرائب النيسابوري ٦/٤٦ والرازي ١١/١٢٨ كلاهما عن أبي عبيدة.
(١٨) انظر معاني الزجاج ٢/١٥٥.

نزلت في الحطيم بن ضبيعة[١]، أتى النبي ﷺ من اليمامة إلى المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فلم يسلم، فلما خرج مرّ بسرح [٢] المدينة فاستاق الإبل فطلبوه فعجزوا عنه، فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية [٣] سمع تلبية حجاج اليمامة، فقال [٤] لأصحابه: هذا الحطيم وأصحابه فدونكم ـ وكان قد قلد ما نهب من سرح النبي [٥] ﷺ وأهداه إلى الكعبة ـ فلما توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى هذه الآية[٦].

والمعنى: لا تحلوها بإباحتها والإغارة عليها. وقوله [٧] ﴿ولا الشهر الحرام﴾ أي: بالقتال فيه ﴿ولا الهدي﴾ وهي كل ما [٨] أهدي إلى بيت الله من ناقة أو بقرة وشاة ﴿ولا القلائد﴾ هي جمع قلادة، وأراد: ولا ذوات القلائد، يعني: الهدايا المقلدة. وعلى قول ابن عباس: أراد ولا أصحاب القلائد وهم الذين قلدوا بعيرهم ليأمنوا [٩].

وكانت الحرب في الجاهلية قائمة بين العرب إلا في الأشهر الحرم[١٠]، فمن وجد في غير الأشهر الحرم أصيب منه، إلا أن يكون مشعراً بدنة[١١]، أو سائقاً هدياً أو مقلداً نفسه وبعيره من لحاء شجر الحرم، أو محرماً بعمرة إلى البيت، فلا يتعرض لهؤلاء. فأمر الله المسلمين بإقرار هذه الأمنة على ما كانت عليه في الجاهلية، لضرب من المصلحة إلى أن نسخها[١٢].

وقوله[١٣] ﴿ولا ءامّين البيت الحرام﴾ أي: قاصديه[١٤]، يعني: الذين يريدون الحج ﴿يبتغون فضلاً من ربهم﴾ يعني: التجارة ﴿ورضواناً﴾ بزعمهم وفيما يظنون.

وهذ الآية من أولها إلى ها هنا منسوخة بقوله ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾[١٥]. وقوله ﴿وإذا حللتم

(١) في (جـ، هـ، و) حطيم، قال الحضرمي: «ذكره السهيلي في شرح السيرة فقال فيه «الحطم» واسمه شريح بن ضبعية، فلعل الذي وقع في كتاب الواحدي تصغيره، (عمدة القوي والضعيف ص ١٠). وهو: الحطم بن ضبعية أخو بني عبد القيس بن ثعلبة خرج في بكر بن وائل واجتمع إليه المشركون واشتد حصاره على المسلمين شهراً كاملاً، وذلك في حرب ردة أهل البحرين، قتله قيس بن عاصم سنة ١٢ هـ. (الكامل لابن الأثير ٢/٣٦٩ ـ ٣٧٠).

(٢) السرح: القطيع (حاشية «أ»).

(٣) أي عام قضاء العمرة التي أحصر عنها في العام الماضي (حاشية أ).

(٤) في (أ) وقال.

(٥) في (هـ) رسول الله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ وعنده «شريح بن ضبعية» والطبري (٦/٣٨ ـ ٣٩) عن السدي وعكرمة، والدر ٢/٢٥٤ عنهما وفيهما «الحطيم بن هند البكري» وكذا ابن كثير ٢/٥ عن ابن عباس وفيه «الحطم بن هند البكري» وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٣٧.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في (د) وهو كلما.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢/٤ ـ ٥، والدر ٢/٢٥٤ كلاهما عن ابن عباس، وتفسير مجاهد ١٨٣، وغريب القرآن ١٣٩، والتبيان ١/٤١٥.

(١٠) في (د) الشهر الحرام، وفي (هـ) أشهر الحرم.

(١١) في (هـ) البدنة.

(١٢) انظر الزجاج ٢/١٥٦، والطبري ٦/٣٩ ـ ٤٠ عن ابن زيد وقتادة والضحاك وغيرهم والدر ٢/٢٥٤ عن قتادة ومجاهد والضحاك.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) «أي» ساقطة من (جـ، د، و) وفي (د) قاصدين.

(١٥) سورة التوبة /٥ وفي جميع النسخ «اقتلوا» وانظر الزجاج ٢/١٥٦ وابن كثير ٢/٥ عن ابن عباس، والطبري ٦/٤٠ عن قتادة والسدي والدر ٢/٢٥٤ عن قتادة.

فَاصطادوا﴾ أي: إذا خرجتم من إحرامكم حل لكم الصيد ،قال الزجاج [١]: هذا لفظ أمر معناه الإباحة، لأن الله تعالى حرم الصيد على المحرم وأباحه إذا حل من إحرامه، وليس أنه واجب عليه إذا حل أن يصطاد.

وقوله ﴿ولا يجرمنكم [شنئان قوم]﴾ «الجرم» معناه في اللغة: الكسب، والجارم الكاسب [٢].

«والشنئان»: البغض [يقال: شنئْت الرجل أشنؤُه [٣]، شنئاً وشنآناً، إذا بغضته ويجوز شنآناً ـ بسكون النون] [٤].

﴿أن صدوكم﴾ أي: لأن صدوكم ﴿عن المسجد الحرام﴾ ومن أجل أن صدوكم. ومن قرأ «إن صدّوكم» ـ بكسر (إن) جعله للجزاء على معنى: «إن صدوكم عن المسجد الحرام» فلا تكسبوا عدواناً[٥].

ومعنى الآية: لا يحملنكم بغض كفار مكة [﴿أن صدوكم ﴾ يوم الحديبية ﴿عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ على حجاج اليمامة، فتستحلوا منهم محرماً، وتمنعوهم عن المسجد الحرام كما منعكم كفار مكة] [٦]، أو تعرضوا للهدي [٧].

وقوله [٨] ﴿وتعاونوا﴾ قال الفراء [٩] ليعن بعضكم بعضاً ﴿على البر﴾ وهو ما أمرت به ﴿والتقوى﴾ ترك ما نهيت عنه.

قال الزجاج[١٠]: ما مضى من هذه الآية كله منسوخ، إلا تعاون المسلمين على التقوى. وقوله[١١] ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ قال عطاء: يريد: معاصي الله والتعدي في حدوده[١٢].

ثم حذرهم فقال ﴿واتقوا الله﴾ فلا[١٣] تستحلوا ما حرم ﴿إن الله شديد العقاب﴾ إذا عاقب.

---

(١) انظر الزجاج ٢/١٥٦ وغريب القرآن ١٣٩.

(٢) انظر غريب القرآن ١٣٩، والزاهر ١/٣٧٥، والأخفش ٢/٤٦٠ واللسان / جرم.

(٣) في (أ) اشنآوه، وفي باقي النسخ: اشناه.

وانظر غريب القرآن ١٤٠، ومجاز القرآن ١/١٤٧، والزاهر ١/٣٧٥، والأخفش ٢/٤٥٩، واللسان / شنأ، وقرأ نافع (شنئان) ـ بإسكان النون ـ وكذا عاصم وابن عامر وأبو بكر، وقرأ الباقون ـ بالفتح ـ فمن سكن فقد يكون مصدراً كلياً ويكون صفة كسكران، أي: مبغض قوم، قال الجوهري: وهو شاذ في اللغة لأن لم يجيء من المصادر عليه ـ والفتح هو الاختيار لأن المصادر مما أوله مفتوح جاء أكثرها محركاً مثل: غليان من غلي وضربان من ضرب، قال الفراء «الشنئان» بالإسكان ـ الاسم ـ وبالفتح المصدر (انظر الحجة لأبي زرعة ٢١٩ ـ ٢٢٠، والسبعة ٢٤٢، والنشر ٢/٢٥٣، والزجاج ٢/١٥٦، والتبيان ١/٤١٦، والبيان ١/٢٨٣، واللسان شنأ، والبحر ٣/٤٢٢).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إن صدوكم) ـ بكسرة الهمزة ـ وحجتها: أن الآية نزلت قبل فعلهم وصدهم، قال اليزيدي: معناه: لا يحملنكم بغض قوم أن تعتدوا إن صدوكم. وقرأ الباقون ـ بالفتح ـ لأن صدوكم وحجتهم: أن الصد قد وقع من الكفار وسورة المائدة في آخر ما نزل من القرآن.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٠، والسبعة ٢٤٢، والنشر ٢/٢٥٤، والتبيان ١/٤١٧، والزجاج ٢/١٥٧ والمشكل ١/٢١٧ ـ ٢١٨، والفراء ١/٣٠٠، والحجة لابن خالويه ١٤٩).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٧) انظر أسباب النزول للسيوطي ص ٩٩.

(٨) في (د، هـ) قوله.

(٩) انظر الفراء ١/٣٠٠، والطبري ٦/٤٣، وفتح القدير ٢/٧.

(١٠) انظر الزجاج ٢/١٥٧.

(١١) في (د) قوله تعالى.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والبحر ٣/٤٢٣ عن عطاء.

(١٣) في (د) أن لا

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

- قوله عز وجل [١] ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ مفسر في سورة البقرة، إلى قوله: ﴿والمنخنقة﴾ [٢] وهي التي تنخنق فتموت، و «الانخناق»: إنعصار الحلق، يقال خنقه فانخنق [٣].

قال قتادة [٤]: كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، حتى إذا ماتت أكلوها، قال الزجاج [٥]: وبأي وجه اختنقت فهي حرام.

﴿والمَوْقُوذَةُ﴾: المضروبة حتى تموت ولم تذك، قال الزجاج [٦]: هي التي تقتل ضرباً يقال: وقذتها أقذها وقذاً.

﴿والمتردية﴾ هي التي تقع من جبل أو من موضع مشرف فتموت، يقال: تردى، إذا سقط في قلِيب أو من جبل، ومنه قوله ﴿إذا تردى﴾ [٧] أي: سقط في النار [٨].

﴿والنطيحة﴾ التي تنطحها شاة [٩] أو كبش فتموت.

وقوله [١٠] ﴿وما أكل السبع﴾ قال قتادة [١١]: كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً [١٢] فقتله وأكل منه أكلوا ما بقي، فحرمه الله، والتقدير: وما أكل منه السبع.

وقوله﴿إلا ما ذكيتم﴾ [١٣] أي: إلا ما أدركتم ذكاته وهي الذبح، يقال: ذكى فلان الشاة إذا ذبحها الذبح التام يجوز معه الأكل ولا يحرم [١٤].

---

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى. وانظر تفسير الآية ١٧٣ من سورة البقرة.
(٢) في (د) والمنخنقة إلى قوله وهي التي.
(٣) «الخنِق» بكسر النون: مصدر قولك: خنَقه يخنُقه خَنْقاً وخِنقاً فهو مخنوق وخنيق..» (اللسان / خنق) وانظر مجاز القرآن ١٥١/١، والفراء ٣٠١/١، والزاهر ٣٨٦/١ والطبري ٤٤/٦ عن ابن عباس.
(٤) انظر تفسير الطبري ٤٥/٦، وابن كثير ٨/٢، وفتح القدير ٩/٢ كلها عن قتادة والدر ٢٥٦/٢ عن ابن عباس.
(٥) انظر الزجاج ١٥٨/٢.
(٦) انظر الزجاج ١٥٨/٢، وغريب القرآن ١٤٠، والطبري ٤٥/٦ عن ابن عباس وقتادة والمصباح المنير / وقذ واللسان: وقذ، ومفردات الراغب: وقذ، ومجاز القرآن ١٥١/١، والفراء ٣٠١/١، والزاهر ٣٨٦/١.
(٧) سورة الليل / ١١.
(٨) انظر غريب القرآن ١٤٠، ومجاز القرآن ١٥١/١، والفراء ٣٠١/١، والزاهر ٣٨٦/١ والطبري ٤٥/٦ عن ابن عباس والسدي.
(٩) في (جـ) نطحها كبش أو شاة، وفي (د، هـ) تنطحها كبش أو شاة، وفي (و) نطحتها شاة أو كبش.
(١٠) في (د) قوله.
(١١) في (أ) شاه.
(١٢) انظر تفسير الطبري ٤٦/٦، وغرائب النيسابوري ٥١/٦ كلاهما عن قتادة وأحكام القرآن لابن العربي ٥٣٩/٢ عن ابن عباس وقتادة ومجاز القرآن ١٥١/١، وابن كثير ١٠/٢، وفتح القدير ٩/٢.
(١٣) في (جـ) إلا ما ذكيتم بالتشديد.
(١٤) انظر اللسان / ذكاه والمصباح / ذكى.

وهذا إستثناء من جميع هذه المحرمات التي ذكرت.

قال ابن عباس [١] يقول: ما أدركت من هذا كله وفيه روح فأذبحه فهو حلال وإدراك حياته أن توجد له عين تطرف، أو ذنب يتحرك، فأكله جائز إذا ذكي.

وقوله [٢] ﴿وما ذبح على النصب﴾ قال ابن عباس [٣]: يريد: الأصنام التي تنصب وتعبد [٤] من دون الله.

وقال الفراء [٥]: ﴿النصب﴾: الآلة التي تعبد من أحجار، قال الزجاج: ﴿النصب﴾ حجارة كانت لهم يعبدونها، وهي الأوثان [٦]. . وتقدير الآية على هذا القول: وما ذبح على اسم النصب.

وقال مجاهد وقتادة وابن جريج [٧]: كانت حول البيت أحجار كان أهل الجاهلية يذبحون عليها، وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها.

وقوله ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ أي: تطلبوا علم ما قسم لكم [٨] من الخير والشر بالأزلام قال المفسرون: [٩] كان أهل الجاهلية إذا أراد أحدهم سفراً أو غزواً أو تجارة أو غير ذلك طلب من الأزلام، وهي قدام كانت في الكعبة عند سدنة البيت مكتوب على بعضها أمرني ربي، وعلى بعضها: نهاني ربي، فإن خرج السهم الأمر مضى لحاجته، وإن خرج السهم الناهي لم يمض، وواحد الأزلام: زُلَم وَزلَم [١٠].

قال الزجاج [١١]: أخبر الله تعالى أن الأستقسام بالأزلام حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا، وأخرج من أجل طلوع نجم كذا لأن الله تعالى يقول ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ [١٢] وذلك دخول في علم الله الذي هو غيب، فهو حرام كالإزلام التي ذكرها الله تعالى.

وقد روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من تكهن أو استقسم، أو تطيِّر ترده عن سفره لم ينظر إلى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة [١٣]».

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والطبري ٦/٤٦، وابن كثير ٢/١١ كلاهما عن ابن عباس وقتادة والزجاج ٢/١٥٩، وغريب القرآن ١٤٠، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٤٠ عن ابن عباس وزيد بن ثابت.

(٢) في (د، هـ) قوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، وغريب القرآن ١٤٠ ـ ١٤١، والتبيان ١/٤١٨، وفتح الباري ٨/٢٢٣، والدر ٢/٢٥٦.

(٤) في (جـ، د، و) تعبد.

(٥) انظر الفراء ١/٣٠١، وابن عباس ٨٨، وغريب القرآن ١٤٦.

(٦) انظر الزجاج ٢/١٦٠ ومجاز القرآن ١/١٥٢.

(٧) انظر تفسير مجاهد ١٨٥، والطبري ٦/٤٨ عنه، والدر ٢/٢٥٧ عن مجاهد، وابن كثير ٢/١١ عن مجاهد وابن جريج.

(٨) في (د) ما قسم من الخير.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، ومجاهد ١٨٥، والزجاج ٢/١٦٠، وغريب القرآن ١٤١، وفتح الباري ٨/٣٢٣، والفراء ١/٣٠١، والطبري ٦/٤٩، والدر ٢/٣٥٦، وابن كثير ٢/١١ كلها عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد.

(١٠) انظر معنى (الأزلام) في مجاز القرآن ١/١٥٣، والتبيان ١/٤١٨، وفتح الباري ٨/٣٢٣، وعمدة القوي والضعيف ص ١٠، والمصباح: زلم، واللسان / زلم.

(١١) انظر الزجاج ٢/١٦٠ ـ ١٦١. (١٢) سورة لقمان / ٣٤.

(١٣) الحديث: رواه أبو نعيم في الحلية ٥/١٧٤ عن أبي الدرداء. ومجمع الزوائد ـ كتاب الطب باب ـ فيمن أتى كاهناً أو عَرافاً «رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما ثقات» عن أبي الدرداء. (٥/١١٨).

وقوله [١] ﴿ذلكم فسق﴾ أي: الاستقسام بالأزلام فسق، وهو كل ما يخرج به من الحلال [٢] إلى الحرام.

وقوله [٣] ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾ قال الكلبي [٤]: نزلت لما دخل رسول الله ﷺ مكة في حجة الوداع، يئس أهل مكة أن يرتد المسلمون راجعين إلى دينهم.

﴿فلا تخشوهم﴾ أن يظهروا على دينكم ﴿واخشون﴾ [٥] في مخالفة أمري.

وقوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ أجمعوا على أن المراد بـ ﴿اليوم﴾: يوم عرفة، وهذه الآية نزلت يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء [٦]. ومعنى ﴿أكملت لكم دينكم﴾ أي: ببيان الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام، فلم ينزل بعد هذه الآية شيء من الفرائض.

قال ابن عباس في رواية الوالبي [٧]: بعث الله نبيه ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدق به المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدقوا به زادهم الزكاة، فلما صدقوا به زادهم الصيام، فلما صدقوا به زادهم الحج، فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم أكمل لهم الدين، فقال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [٨].

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري بها أخبرنا أحمد بن جعفر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن عون [٩]، قال أخبرني أبو عميس [١٠]، عن قيس بن سالم [١١]، عن طارق بن شهاب [١٢] قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية هي؟ قال: قوله عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾. قال [١٣]: فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ،

---

(١) في (د) قوله.

(٢) في غير (أ) عن الحلال.

(٣) في (جـ، د) قوله تعالى، وفي (د) قوله، وفي (هـ) وقوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والطبري ٦/٥١، عن مجاهد وابن زيد، والقرطبي ٦/٦٠ عن الضحاك، وفتح القدير ٢/١٢ عن ابن عباس، والرازي ١١/١٣٧.

(٥) في غير (جـ) واخشوني.

(٦) انظر صحيح البخاري ـ كتاب التفسير ـ من سورة المائدة ـ ٣/١٢٣، وفتح الباري ٨/٢١٧ ـ ٢١٨، وتفسير الثوري ٩٩، والفتح الرباني ١٨/١٢٥ ـ ١٢٦ وصحيح مسلم ٢/٦٠٥، وابن كثير ٢/١٢، ١٣ والدر ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨.

(٧) في (هـ) في الدالبي، وفي (د) بعث الله النبي ﷺ.

(٨) انظر تفسير البغوي ٦/١٨٩، والخازن ٦/١٨٩ كلاهما عن ابن عباس. و«بها: أي بزمجاره» (حاشية أ، هـ).

(٩) في (و) جعفر بن محمد بن عون.

(١٠) أبو عميس: عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أخو عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي سمع إياس بن سلمة وقيس بن مسلم وابن أبي مليكة وغيرهم وعنه جعفر بن عون وأبو أسامة، وأبو معاوية الضرير وأبو نعيم. (كتاب الجمع ١/٣٩٩).

(١١) قيس بن مسلم الجدلي ـ من قيس عيلان ـ الكوفي أبو عمرو سمع طارق بن شهاب وعنه الثوري وشعبة توفي سنة ١٢٠هـ. (كتاب الجمع ٢/٤١٨).

(١٢) طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة بن هلال بن عوف بن جشم بن زفر بن عمرو بن لؤي بن درهم بن معاوية بن أحمس البجلي الأحمسي أبو عبد الله رأى النبي ﷺ وغزا في خلافة أبي بكر وعمر وثلاثاً وثلاثين غزوة وسمع عمر وأبا موسى وأبا بكر وابن مسعود توفي سنة ٨٣ هـ. (كتاب الجمع ١/٢٣٤).

(١٣) ساقط من (د).

والساعة التي نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة يوم الجمعة.

رواه البخاري عن الحسن بن الصباح [(١)]، ورواه مسلم عن عبد بن حميد كلاهما عن جعفر بن عون.

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد بن الحرث[(٢)]، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا ابن فضيل، عن هارون بن أبي وكيع[(٣)]، عن أبيه[(٤)]، قال:

لما نزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ - وهو يوم الحج الأكبر[(٥)] - بكى عمر بن الخطاب، فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله إنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص، فقال: صدقت [(٦)].

وقوله [(٧)] ﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾ يريد: أنه أنجز لهم ما وعدهم في قوله ﴿ولأتـم نعمتي عليكم﴾ [(٨)] وكان من تمام نعمته أن دخلوا [(٩)] مكة آمنين مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين.

وقوله ﴿ورضيت لكم الإسلام دينا﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا عبدوس بن أحمد الحافظ[(١٠)]، حدثنا الحسين بن عبد الله بن حمران الرقي[(١١)]، حدثنا عصمة بن فضالة[(١٢)]، حدثنا موسى بن عقبة[(١٣)]، عن القسم بن محمد،

---

(١) الحسن بن الصباح البزار أبو علي الواسطي ثم البغدادي سمع ابن عيينة وإسحاق الأزرق وروح بن عبادة وجعفر بن عون وغيرهم روى له البخاري توفي سنة ٢٤٩ هـ. (كتاب الجمع ١/٨٣).

(٢) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - أول سورة المائدة - ٣/١٢٣، ومسلم - كتاب التفسير - الحديث الخامس ٢/٦٠٥ كلاهما عن طارق بن شهاب عن عمر.

(٣) هارون بن عنترة بن عبد الرحمن أبو عبد الرحمن بن أبي وكيع الكوفي روى عن أبيه ومحارب بـن دثار وسعيد بن جبير وغيرهم وعنه ابنه عبد الملك وغيره قال ابن معين وأبو زرعة لا بأس به مستقيم وقال البرقاني: سألت الدارقطني عنه فقال يحتج به وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٤٢ هـ (تهذيب التهذيب ١١/٩ - ١٠).

(٤) عنترة بن عبد الرحمن الكوفي الشيباني روى عن عمر وعلي وابن عباس وأبي الدرداء وعنه ابنه هارون وغيره ذكره ابن حبان في الثقات روى له النسائي حديثاً واحداً عن ابن عباس وثقه أبو زرعة وأبو حاتم. (تهذيب التهذيب ٨/١٦٢ - ١٦٣).

(٥) في (هـ) أكبر بكا، وفي (د) بكا.

(٦) الحديث: رواه ابن جرير في تفسيره ٦/٥٢ عن هارون بن عنترة عن أبيه، وكذا ابن كثير ٢/١٣، والبحر ٣/٤٢٦، والدر ٢/٢٥٨.

(٧) في (د) قوله.

(٨) سورة البقرة / ١٥٠.

(٩) في (د) نعمته عليهم أن أدخلهم وفي (هـ) نعمه.

(١٠) عبدوس بن أحمد بن عباد الثقفي الهمذاني الحافظ المجود أبو محمد - واسمه عبد الرحمن - قال شيرويه - في تاريخ همذان - روى عنه عامة أهل الحديث ببلدنا وكان يحسن هذا الشأن ثقة متقناً، قال صالح بن أحمد الحافظ سمعت أبي يقول كان عبدوس ميزان بلدنا في الحديث توفي سنة ٣١٢. (تذكرة الحفاظ ٢/٧٧٣).

(١١) في (جـ،هـ) حمدان، وهو الحافظ المسند أبو علي الحسين بن عبد الله بن يزيد بن الأزرق الرقي المالكي القطان الجصاص رحل وصنف وثقه الدارقطني توفي سنة ٣١٠ هـ (سير الأعلام ١٤/٢٨٦ - ٢٨٧).

(١٢) عصمة بن محمد بن فضالة بن محمد بن فضالة بن محمد بن شريك بن جميع بن مسعود الأنصاري الخزرجي حدث عن موسى بن عقبة وغيره قال ابن معين: يروي أحاديث كذباً كان كذاباً قد رأيته كان شيخاً له هيئة ومنظر من أكذب الناس، وقال مرة: كان يضع الحديث قال الدارقطني: متروك. (تاريخ بغداد ١٢/٢٨٦).

(١٣) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي المدني أبو محمد مولى الزبير بن العوام أخو إبراهيم ومحمد، سمع نافعاً وكريباً وعنه أنس بن=

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: عن رسول الله ﷺ قال: قال عز وجل: «إني نظرت في الأديان فارتضيت لكم الإسلام ديناً، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق، فإن البخيل بعيد عن الله بعيد عن الجنة بعيد عن الناس قريب من النار»[(١)].

وقوله[(٢)] ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ قال الزجاج[(٣)]: من دعته الضرورة في مجاعة. و«المخمصة»: خلاء البطن من الطعام جوعاً[(٤)].

﴿غير متجانفٍ لإثم﴾ قال قتادة[(٥)]: غير متعرض لمعصية وأصله من «الجنف» الذي هو الميل ﴿غير متجانف﴾ غير مائل ﴿لإثم﴾ وهو أن يأكل من الميتة فوق الشبع تلذذاً[(٦)] وقوله ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ قال ابن عباس[(٧)]: غفر الله له ما أكل مما حرم عليه حين اضطر إليه ورحيم بأوليائه حيث أحل لهم ما حرم عليهم في المخمصة إذا اضطروا إلى أكلها.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

ـ قوله جل جلاله[(٨)] ﴿يسئلونك ماذا أحل لهم...﴾ الآية.

= عياض، ويحيى الأنصاري ومالك وابن جريج مات سنة ١٤١. (كتاب الجمع ٢/٤٨٣).

(١) الحديث: انظر مجمع الزوائد ـ كتاب الزكاة ـ باب في السخاء «رواه الطبراني في الأوسط عن عمران بن حصين ـ بنحوه ـ وفيه عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك». وبنحوه عن عائشة «رواه الطبراني في الأوسط وفيه سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف (٣/١٢٧)، وفي كتاب الأدب ـ باب ما جاء في حسن الخلق عن جابر رواه الطبراني في الأوسط وفيه إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر وهو ضعيف وكذلك مقدام بن داود.» وعن عمران بن الحصين ـ بنحوه ـ «رواه الطبراني وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك. (٨/٢٠). والجامع الصغير ١/٦٧ عن عمران » ورمز له بالضعيف.

وانظر المجروحين لابن حبان ٢/١٣٤ «عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ قال جبريل: قال الله تبارك وتعالى: «إن الدين ارتضيته لنفسي ولم يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه» ذكره عند ترجمة عبد الملك بن مسلمة ـ وهو شيخ يروي المناكير الكثيرة ـ وانظر علل الحديث للرازي ٢/٣٤٣.

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر الزجاج ٢/١٦٢.

(٤) ذكره ابن منظور في اللسان: خمص، وانظر غريب القرآن ١٤١، ومجاز القرآن ١/١٥٣ والأخفش ٢/٤٦١، والطبري ٦/٥٥.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، وغريب القرآن ١٤١، والفراء ١/٣٠١، والطبري ٦/٥٥، والدر ٢/٢٥٩ كلاهما عن قتادة.

(٦) انظر مجاز القرآن ١/١٥٣، والزاهر ١/١٢١.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ بنحوه، والطبري ٦/٥٦.

(٨) في (جـ، و) قوله تعالى، وفي (د، هـ) قوله.

روي أن عدي بن حاتم وزيد الخيل[١] جاءا إلى رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد الصيد بالكلاب والبزاة[٢] وقد حرم الله عز وجل الميتة، فماذا لنا منها؟ فنزلت هذه الآية[٣].

وقوله ﴿قل أحل لكم الطيبات﴾[٤] قال المفسرون: أحل الله للعرب[٥] ما استطاعوا مما لم ينزل بتحريمه تلاوة مثل: الضباب واليرابيع والأرانب وغيرها، فكل حيوان استطابته العرب فهو حلال، وكل حيوان استخبثته العرب فهو حرام، وهو قوله ﴿ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾[٦].

و «الطيب» في اللغة: المستلذ، والحلال المأذون فيه يسمى ـ أيضاً ـ طيباً تشبيهاً بما هو مستلذ[٧].

وقوله[٨] ﴿وما علمتم من الجوارح﴾ يريد: وصيد ما علمتم[٩]، فحذفه. و «الجوارح»: الكواسب من الطير والسباع، الواحدة: جارحة، سميت جوارح لأنها تكسب أربابها الطعام بصيدها، وهي الكلاب والفهود والبزاة والصقور والزمج والعقاب[١٠] فما اصطادت من هذه الجوارح صيداً فقتلته[١١] فهو حلال.

وقوله ﴿مكلبين﴾ «المكلِّب» الذي يُعلِّم الكلاب أخْذ الصيد، يقال للصائد: مكلب، ومعنى ﴿مكلبين﴾: مؤدبين[١٢].

---

(١) في (هـ) زيد بن الخليل، وهو: زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب أبو منكف الطائي كان من أحسن العرب وأطوله رجلاً يسمى زيد الخيل لخمس أفراس كن له، قدم على رسول الله ﷺ في وفد طيّىء ـ وهو سيدهم ـ فأسلم وحسن إسلامه ثم سماه الرسول ﷺ زيد الخير توفي سنة ٩ هـ (البداية والنهاية ٥/٦٣، والأعلام ٣/١٠١).

(٢) البزاة: جمع البازي والباز: لغة في البازي والجمع أبواز وبيزان. (اللسان: بأز، بوز).

(٣) ذكره ابن كثير ٢/١٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وكذا الدر ٢/٢٦٠، وكذا فتح القدير ٢/١٦، وأسباب النزول للواحدي ١٤٢، وللسيوطي ١٠٠ ـ ١٠١.
وصحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان وسؤر الكلاب ١/٤٤. وأبو داود ـ كتاب الصيد ـ باب في الصيد رقم ٢٨٤٧ ٣/١٠٨ كلاهما عن عدي.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (د) ما.

(٦) سورة الأعراف /١٥٧، وانظر غرائب النيسابوري ٦/٥٨، والبحر ٣/٤٢٨، والبغوي ٢/١٢، والخازن ٢/١٢، وابن كثير ٢/١٥ عن مقاتل، وفتح القدير ٢/١٢، واللسان / طيب.
و «الضب»: دويبة من الحشرات معروف وهو يشبه الورل تشبه الجرذون وهي أنواع فمنها ما هو على قدر الجرذون ومنها ما هو أكبر منه، ومنها دون العنز وهو أعظمها (اللسان/ ضبب. والمصباح / الضب) واليرابيع ـ والعامة تقول: جربوع ـ جمع يربوع: دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه واذناه أطول منها ورجلاه أطول من يديه عكس الزرافة. (المصباح/ ربع، واللسان / ربع).

(٧) في (د) المستلذ الحلال من المأذون. انظر اللسان / طيب.

(٨) في (د) قوله تعالى.

(٩) في (د) ما علمتم من الجوارح.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٤١، ومجاز القرآن ١/١٥٤، والزاهر ١/٣٧٠ والأخفش ٢/٤٦٤ و «الزُمَّج» بضم الزاي وتشديد الميم المفتوحة وجيم ـ طائر دون العقاب (عمدة القوي والضعيف ص ١٠) و «العقاب: طائر من الجوارح» (اللسان: عقب، والمصباح: عقب).

(١١) في غير (أ) في اصطيادات هذه الجوارح، وفي (جـ، د) فقتله.

(١٢) «المكلب: الذي يغري الكلب على الصيد، ويقال للذي يعلمها أيضاً مكلب، ونصب (مكلبين) على الحال، أي: في حال مكلبين هذه الجوارح، أي: إغرائكم إياها على الصيد، وذكر الكلاب، لأنها أكثر وأهم، والمراد: جميع جوارح الصيد (حاشية أ).

﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ تؤدبونهن لطلب الصيد، وأن لا يأكلن الصيد كما أدبكم الله ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ إذا كان الضاري معلماً ثم صاد صيداً فجرحه وقتله وأدركه الصائد ميتاً فهو حلال إذا لم يأكل منه.

فإن أكل منه، فعند ابن عباس وطاووس والشعبي والسدي: لم يحل أكله وهو الأظهر من مذهب الشافعي[1] وعند جماعة من الصحابة: يحل وإن أكل، وهو أحد قولي الشافعي[2].

وقوله[3] ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ إذا أرسلتم الكلاب واطلقتموها على الصيد والأولى للصائد[4] أن يرسل الجارحة على اسم الله، فإن نسي حل أكل صيده كالذابح من المسلمين إن نسي اسم الله على ذبيحته حل أكلها.

ـ قوله جل جلاله[5] ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ كرر إحلال الطيبات تأكيداً ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ يعني: ذبائح اليهود والنصارى، وإن لم يذكروا اسم الله وذكروا عيسى وعزيراً.

قال الشعبي وعطاء[6]: في النصراني يذبح فيقول: باسم المسيح، فالأكل يحل منه[7]، فإن الله تعالى قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون.

وقوله ﴿وطعامكم حل لهم﴾ يريد: ذبائحنا لهم حلال[8]، فإذا اشتروها منا كان الثمن لنا حلالاً، واللحم لهم حلال، قال الزجاج ﴿وطعامكم حل لهم﴾ تأويله: حل لكم أن تطعموهم[9].

وقوله[10] ﴿والمحصنات من المؤمنات﴾ قال مجاهد[11]: يعني الحرائر، وقال ابن عباس[12]: يريد العفائف من المؤمنات.

وقوله ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ قال ابن عباس[13] يريد الحرائر وإماء أهل الكتاب حرام نكاحهن[14].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦/ ٥٩ ـ ٦٠ عن ابن عباس والشعبي وطاووس وسعيد بن جبير وإبراهيم والسدي، وابن كثير ٢/ ١٠ عن أبي هريرة وابن عباس والحسن والشعبي وأبي حنيفة وأحمد والشافعي ـ في المشهور ـ وكذا ٢/ ١٦ عن الشافعي وطائفة، قال ابن كثير «وهو الصحيح من مذهب الشافعي وهو أنه إذا أكل الكلب من الصيد يحرم مطلقاً» والفراء ١/ ٣٠٢.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦/ ٦١ عن سلمان وقتادة وسعيد بن المسيب وشعبة، والزجاج ٢/ ١٦٤، وابن كثير ٢/ ١٠ عن علي وسعيد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس «أن الصيد يؤكل وإن أكل منه الكلب» حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم: يؤكل ولم لم يبق منه إلا بضعة، وإلى ذلك ذهب مالك والشافعي في القديم.

وانظر فتح القدير ٢/ ١٤ عن بعض الشافعية، وأحكام القرآن ٢/ ٥٤٧ عن الشافعي.

(٣) في (د، هـ) قوله. (٤) في (د) فالأولى. (٥) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٦) انظر تفسير الطبري ٦/ ٦٥ عن الشعبي وعطاء وغيرهم وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٥٥ عن الشعبي والشافعي، وفتح القدير ٢/ ١٤ ـ ١٥. عن الشعبي وغيره.

(٧) في(جـ) حلال. (٨) في (و) حلال لهم. (٩) انظر الزجاج ٢/ ٦٥. (١٠) في (د) قوله.

(١١) انظر تفسير مجاهد ١٨٦، والطبري ٦/ ٦٧، وابن كثير ٢/ ٢٠ والدر ٢/ ٢٦١ كلها عن مجاهد، وابن عباس ٨٨ والزجاج ٢/ ١٦٥.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٨٨، والزجاج ٢/ ١٦٥، والدر ٢/ ٢٦١ عن الضحاك.

(١٣) في (د) قال ابن عباس في رواية مجاهد، وانظر تفسير ابن عباس ٨٨ ومجاهد ١٨٦ والزجاج ٢/ ٣٩، ١٦٥، والطبري ٦/ ٦٧ عن مجاهد وسفيان والسدي.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٩، وقال الزجاج: والكتاب يدل على أن الأمة إذا كانت غير مؤمنة لم يجز التزوج بها لقوله ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً. . .﴾ سورة النساء ٢٥ (الزجاج ٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦).

واختلفوا في الحربيات من أهل الكتاب، فعن ابن عباس: لا يحل نكاحهن، وإنما يحل نكاح الذميات[١].

وعن الحسن وسعيد بن المسيب: يحل نكاح الكتابيات ذميات كن أو حربيات[٢].

وقوله[٣] ﴿إذا ءاتيتموهن أجورهن﴾ يعني: مهورهن، وتقييداً التحليل بإيتاء المهور يدل على تأكيد وجوبه.

وقوله ﴿محصنين غير مسافحين﴾ يعني: تنكحوهن بالمهر والبينة غير معالنين بالزنا ﴿ولا متخذي[٤] أخدانٍ﴾ تسرون بالزنا.

قال الزجاج [٥]: حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة اتخاذ الصديقة وأحله على جهة الإحصان وهو التزويج [٦].

وقوله ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ قال ابن عباس ومجاهد[٧]: بالله الذي يجب الإيمان به وقال الكلبي[٨]: بشهادة إن لا إله إلا الله، فجعل كلمة التوحيد إيماناً.

وقال مقاتل[٩]: يقول بما أنزل على محمد ﷺ[١٠] فسمى القرآن إيماناً لأنه يجب الإيمان به.

وقال الزجاج ﴿ومن يكفر[١١] بالإيمان فقد حبط عمله﴾ أي: من بدَّل شيئاً مما أحل الله فجعله حراماً، أو أحل شيئاً مما حرم الله فهو كافر بالإجماع وقد حبط جميع ما تقرب به إلى الله[١٢].

وقوله[١٣] ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ قال ابن عباس: خسر الثواب[١٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٠ عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير الطبري ٦/٦٩ عن الحسن وابن المسيب.

(٣) في (د) قوله تعالى.

(٤) في (د) ومتخذي.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٦٦.

(٦) في (د) الزوج.

(٧) انظر تفسير الطبري ٦/٧٠، والبحر ٣/٤٣٣، وغرائب النيسابوري ٦/٦٤ والرازي ١١/١٤٩ كلها عن ابن عباس ومجاهد وانظر تفسير ابن عباس ٨٩ والثوري ١٠٠.

(٨) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٨٩ والبحر ٣/٤٣٣، والبغوي ٢/١٦، والرازي ١١/١٤٩ كلها عن النبي.

(٩) انظر تفسير البغوي ٢/١٦ عن مقاتل، والبحر ٣/٤٣٣ عنه وغرائب النيسابوري ٦/٦٤ عن قتادة.

(١٠) في (جـ) محمد عليه السلام وسمي.

(١١) في (هـ) من يكفر.

(١٢) انظر الزجاج ٢/١٦٦، والبحر ٣/٤٣٣ عن الزجاج.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) انظر البغوي ٢/١٦ عن ابن عباس والطبري ٦/٧٠.

ـ قوله عز وجل[(١)] ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلٰوة فاغسلوا وجوهكم﴾ قال زيد بن أسلم[(٢)]: يعني إذا قمتم من النوم. قال الزجاج: المعنى: إذا أردتم القيام إلى الصلاة كقوله ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ [(٣)] المعنى: إذا أردت أن تقرأ قال ابن الأنباري [(٤)]: وهذا كما تقول: إذا اتجرت فاتجر في البز[(٥)]، وإذا آخيت فآخِ أهل الحسب، يريد: إذا أردت التجارة، وإذا أردت مؤاخاة الناس.

وقوله ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ هي جمع مرفق، وهو المكان الذي يرتفق به أي: يتكأ عليه من اليد، وكثير من النحويين يجعلون ﴿إلى﴾ ها هنا: بمعنى «مع»، ويوجبون غسل المرفق، وهو مذهب أكثر العلماء[(٦)].

وقوله ﴿وامسحوا برءوسكم﴾ «المسح» مسحك شيئاً بيدك كمسح العرق عن جبينك وكمسحك رأسك في وضوئك[(٧)].

وظاهر الآية: لا يوجب التعميم في مسح الرأس، لأنه إذا مسح البعض فقد حصل ماسحاً[(٨)]، ولا يلتفت إلى قول من قال: إن «الباء» توجب التعميم، لأن ذلك لا يعرفه أهل النحو[(٩)].

وقوله[(١٠)] ﴿وأرجلكم إلى الكعبين﴾ في «الأرجل» قراءتان: النصب والخفض أما النصب فهو ظاهر إلا أنه عطف على المغسول، لوجوب[(١١)] غسل الرجلين بإجماع لا يقدح فيه قول من خالف.

وأما الكسر: فقال أبو حاتم وابن الأنباري: الكسر بالعطف على المسح غير أن المراد بالمسح في الأرجل الغسل، روي ذلك عن ابن زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل، قالوا: تمسحت للصلاة في معنى توضأت. قال أبو حاتم وذلك أن المتوضىء لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحاً.

وعلى هذا: الرأس والرجل ممسوحان، إلا أن المسح في الرجل المراد به الغسل، يدل على ذلك ذكر التحديد

---

(١) في (د، هـ، و) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧٢/٦ وأحكام القرآن لابن العربي ٥٥٩/٢ ، وابن كثير ٢١/٢ والدر ٢٦٢/٢، وفتح القدير ١٩/٢ كلها عن زيد. وانظر الزجاج ١٦٦/٢، والبحر ٤٣٤/٣، وغرائب النيسابوري ١٣/١.

(٣) سورة النحل / ٩٨.

(٤) ذكره الخازن ١٦/٢.

(٥) البز: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البز من الثياب أمتعة البزاز، وقيل البز: متاع البيت خاصة، والبزاز: بائع البز وحرفته البزازة. (اللسان / بزز وحاشية أ).

(٦) انظر الزجاج ١٦٧/٢ وفتح القدير ١٧/٢، واللسان /إلى «عن العباس وجماعة من النحويين. قال العكبري: قيل (إلى) بمعنى «مع» كقوله ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ ـ سورة هود /٥٢ ـ وليس هذا بالمختار، والصحيح: أنها على بابها وأنها لانتهاء الغاية، وإنما وجب غسل المرافق بالسنة، وليس بينهما تناقض لأن (إلى) تدل على انتهاء الفعل، ولا يتعرض بنفي المحدود إليه ولا بإثباته ألا ترى انك إذا قلت سرت إلى الكوفة، فغير ممتنع أن تكون بلغت أول حدودها ولم تدخلها وأن تكون دخلتها فلقد قام الدليل على أنك دخلتها لم يكن متناقضاً لقولك: سرت إلى الكوفة، فعلى هذا تكون (إلى) متصلة بـ «اغسلوا» ويجوز أن تكون في موضع الحال، وتتعلق بمحذوف والتقدير: وأيديكم مضافة إلى المرافق. (التبيان ٤٢١/١، واللسان / إلى عن المبرد والزجاج).

(٧) «والمسح: «إمرارك يدك على الشيء السائل أو المتطلخ تريد إذهابه بذلك كمسحك رأسك من الماء وجبينك من الرشح مسحه يمسحه مسحاً وتمسَّح منه وجه» (اللسان / مسح).

(٨) هكذا بالنصب في جميع النسخ على أن «حصل» بمعنى «صار».

(٩) انظر التبيان ٤٤٢/١ وابن كثير ٢٤/٢ وفتح القدير ١٧/٢ وشرح معاني الآثار ٣٠/١ ـ ٣١.

(١٠) في (د) قوله.

(١١) في (هـ) المفصول غسل فوجوب الرجلين إجماع.

وهو قوله ﴿إلى العكبين﴾ والتحديد إنما جاء في المغسول لا في الممسوح[١].

وقال جماعة من أهل المعاني[٢]: «الأرجل» معطوفة على الرؤوس في الظاهر لا في المعنى، قد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيها مختلف، كما قال[٣]:

يا ليت بعلك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

المعنى: وحاملاً رمحا. وكذلك قول الآخر: علفتها تبناً وماء بارداً[٤] المعنى: وسقيتها ماء.

فكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤوسكم واغسلوا أرجلكم، فلما لم يذكر الغسل عطف «الأرجل» على «الرؤوس» في الظاهر.

و «كعب الإنسان» ما أشرف من فوق رسغه عند قدمه، وقال الأصمعي: الكعبان: الناشزان من جانبي القدم[٥].

والأخبار متواترة بوجوب الغسل والوعيد لمن ترك من قدمه لمعة لم يصبها الماء.

أخبرنا أبو صالح منصور بن عبد الوهاب البزار، أخبرنا محمد بن أحمد بن سنان المقري، حدثنا علي بن حمدويه[٦]، حدثنا سلمة بن شبيب[٧]، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين[٨]، حدثنا معقل بن عُبيد الله[٩]، عن أبي

---

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص (وأرجلكم) ـ بالفتح ـ ومن حجتهم: ذكر التحديد وهو للمغسول وعن ابن مسعود قال: خللوا بين الأصابع بالماء لا تلحتها النار. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: هل علمت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ مسح على القدمين؟ فقال: والله ما أعلمه. وقال الفراء: وقد يعطف بالاسم على الاسم ومعناه كما قال عز وجل ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾ ثم قال ﴿وحور عين﴾ ـ سورة الواقعة /١٧ ـ ٢٢ ـ وهن لا يطاف بهن على أزواجهن.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة، وأبو بكر وعاصم (وأرجلكم) بالكسر عطفاً على الرؤوس وحجتهم: ما روي عن ابن عباس أنه قال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

وقال الشعبي: نزل جبريل عليه السلام بالمسح، ألا ترى أنه أهمل ما كان مسحاً ومسح ما كان غسلاً في التيمم.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢١ ـ ٢٢٣، والسبعة ٢٤٦ ـ ٢٤٧، والنشر ٢/٢٥٤، والزجاج ٢/١٦٧، والتبيان ١/٤٢٢ ـ ٤٢٤، والمشكل ١/٢١٩ ـ ٢٢٠، والحجة لابن خالويه ١٢٩، والبيان ١/٢٨٥، عن أبي زيد الأنصاري والجر ٣/٤٣٧ عن داود واللسان / كعب).

(٢) انظر التبيان ١/٤٢٢ ـ ٤٢٤ والمشكل ١/٢٢٠ والحجة لأبي زرعة ٢٢٣ عن الفراء والبغوي ٢/١٩ والخازن ٢/١٩.

(٣) انظر البيت: معاني الفراء ١/١٢١، ١٢٣، ٤٧٣، والزاهر ١/١٤٧ ومجاز القرآن ٢/٦٨، والزجاج ٢/١٦٨، والأخفش ٢/٤٦٦، والكامل للمبرد ١/٣٣٤، ٣٧١، والخزانة ٢/٢٣١، ٣/١٤٢، والطبري ١/١٤٠، والحجة لأبي زرعة ٢٢٢ وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٥٧٨. والشاعر هو: عبد الله بن الزبعري.

(٤) انظر الفراء ١/١٤ «أنشد بعض بني أسد يصف فرسه»:

علفتها تبناً وماء بارداً حتى شتت همالة عيناها

والزجاج ٢/١٦٨، والخازن ٢/١٣١، ٣/١٤٠ «ولا يعرف قائله» وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٧٨.

(٥) انظر اللسان / كعب، والقرطبي ٦/٩٦ عن الأصمعي والجمهور، والزجاج ٢/١٦٨ والخازن ٢/١٩، والطبري ٦/٨٧، وغرائب النيسابوري ٦/٧٤، والبحر ٢/٤٢٧.

(٦) في (د) علي بن أحمد، وهو: علي بن الحسن بن محمد بن حمدون بن سنجان السنجاني كان أحد فقهاء الشافعيين، ورد نيسابور قاضياً بها سنة ٣١٦ هـ. (طبقات الشافعية ٣/٤٤٤).

(٧) سلمة بن شبيب أبو عبد الرحمن الحجري النيسابوري السمعي قال النسائي: ما علمنا به بأساً وقال الحاكم: هو محدث أهل مكة والمتفق على إتقانه وصدقه توفي سنة ٢٤٧ هـ (تهذيب التهذيب ٤/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٨) الحسن بن محمد بن أعين القرشي الحراني ـ مولى أم عبد الملك بنت محمد بن مروان أبو علي سمع معقل بن عبيد الله وزهير بن معاوية وطائفة وعنه سلمة بن شبيب وغيره توفي سنة ٢١٠ هـ (كتاب الجمع ١/٨٢).

(٩) معقل بن عبيد الله الجزري أبو عبد الله عن عطاء ونافع وميمون بن مهران وأبي الزبير وعنه الحسن بن محمد بن أعين وهي نسخة رواها =

الزبير، عن جابر قال: أخبرني عمر بن الخطاب: أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي ﷺ فقال له: ارجع فأحسن وضوءك، فرجع فتوضأ ثم صلى. رواه مسلم عن سلمة بن شبيب[١].

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر العدل، أخبرنا محمد بن عبد الله بن زكريا الحافظ[٢]، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الفقيه[٣]، حدثني عبيد بن شريك القطعي[٤] حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن حيوة بن شريح[٥]، عن عقبة بن مسلم[٦]، عن عبيد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي[٧] قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للأعقابِ بطون الأقدام من النار»[٨].

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي، أخبرنا عمرو بن عبد الله البصري[٩]، حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب[١٠]، أخبرنا خالد بن مخلد[١١]، حدثنا محمد بن جعفر، سمعت زيد بن أسلم، قال: أخبرني عطاء بن

= مسلم عن سلمة بن شبيب قال أحمد صالح الحديث، ولابن معين فيه قولان أحدهما ضعيف والآخر لا بأس به وروي الكوسج عن ابن معين: ثقة توفي سنة ١٦٦ هـ.
(الميزان ٤/١٤٦، وكتاب الجمع ٢/٥١٣).

(١) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الطهارة ـ باب وجوب استيعاب جمع أجزاء محل الطهارة ـ عن جابر ١/١٢١.

(٢) أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوية النيسابوري ثم المصري القاضي سمع بكر بن سهل الدمياطي والنسائي وطائفة توفي سنة ٣٦٦ هـ وله تسعون سنة. (شذرات ٣/٥٧).

(٣) أبو العباس الدغولي محمد بن عبد الرحمن الحافظ الفقيه روى عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم ومحمد بن إسماعيل الأحمسي وطبقتهما وكان من كبار الحفاظ توفي سنة ٣٢٥ هـ (العبر ٢/٢٥).

(٤) عبيد بن عبد الواحد بن شريك أبو محمد البزار حدث عن آدم بن أبي إياس ويحيى بن بكير وسعيد بن أبي مريم المصريين ونعيم بن حماد المروزي وغيرهم قال الدارقطني صدوق، وقال أبو مزاحم: كان أحد الثقات توفي سنة ٢٨٨ هـ (تاريخ بغداد ١١/٩٩ ـ ١٠٠).

(٥) حيوة بن شريح بن صفوان التجيبي أبو زرعة المصري الفقيه الزاهد أحد الزهاد والعلماء السادة قال حرب عن أحمد: ثقة ثقة، وقال ابن معين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٥٨ هـ. (تهذيب التهذيب ٣/٦٩ ـ ٧٠).

(٦) عقبة بن مسلم التجيبي أبو محمد القاضي المصري إمام جامعها عن ابن عمر وابن عمرو وعنه حيوة بن شريح وثقه العجلي توفي قريباً من سنة ١٢٠ هـ. (حسن المحاضرة ١/٢٦٩).

(٧) عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معدي كرب بن عمرو بن عصم بن عمرو بن عويج بن عمرو بن زيد أبو الحارث الزبيدي نزيل مصر صحابي مشهور روى عن النبي ﷺ وشهد فتح مصر ذكر أبو جعفر الطحاوي أن وفاته كانت بـ «سفط القدور» قرية أسفل مصر وكان اسمه العاصي فسماه النبي ﷺ عبد الله وهو آخر من توفي من الصحابة بمصر سنة ٨٦ هـ (تهذيب التهذيب ٥/١٧٨ ـ ١٧٩، والتقريب ١/٤٠٧، والبداية والنهاية ٩/٦٧). ويتشرف المحقق بالانتساب لجواره ومن خدام مسجده وراثة عن آبائه بقرية «صفط تراب» ـ الآن من قرى مركز «المحلة الكبرى».

(٨) الحديث رواه الترمذي ـ كتاب الطهارة ـ باب ما جاء «ويل للأعقاب من النار» رقم ٤١ «حديث حسن صحيح». (١/٣٠).
والمستدرك ـ كتاب الطهارة ـ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ١/١٦٢ ومجمع الزوائد ـ كتاب الطهارة ـ باب فيمن لم يحسن الوضوء رواه أحمد والطبري ورجاله ثقات ١/٢٤٠. ومسند أحمد ٤/١٩١. كلهم من حديث عبد الله بن الحارث.
وصحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب غسل الأعقاب ـ عن أبي هريرة «ويل للأعقاب من النار» ١/٤٣.

(٩) الإمام القدوة والزاهد الصالح أبو عثمان عمرو بن عبد الله بن درهم النيسابوري المطوعي الغازي المعروف بالبصري سمع محمد بن عبد الوهاب الفراء وغيره وعنه أبو طاهر الزيادي وغيره أثنى عليه الحاكم توفي سنة ٣٣٤ هـ (سير الأعلام ١٥/٣٦٤ ـ ٣٦٥).

(١٠) محمد بن عبد الوهاب بن حبيب بن مهران العبدي أبو محمد الفراء النيسابوري قال النسائي: ثقة وقال مسلمة بن الحجاج ثقة صدوق توفي سنة ٢٧٢ هـ (تهذيب التهذيب ٩/٣١٩ ـ ٣٢٠، وسير الأعلام ١٢/٦٠٧).

(١١) خالد بن مخلد الإمام المحدث أبو الهيثم القطواني الكوفي سمع مالكاً وسليمان بن بلال وعدّة وعنه البخاري والجماعة والدارمي وهو=

يسار، عن عبد الله الصنابحي[١]، قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا توضأ المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت من وجهه، فإذا[٢] غسل يديه خرجت من يديه حتى تخرج من بين أظافره، فإذا[٢] مسح رأسه خرجت من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت من رجليه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا عمد إلى الصلاة كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له» [٣].

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر، قال: قرىء علي بن وهب: أخبرك مالك بن أنس، عن سهل بن أبي صالح[٤]، عن أبيه، عن أبي هريرة:

أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج[٥] من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشها يداه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ فإذا[٦] غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ـ أو مع آخر قطر الماء ـ حتى يخرج نقياً من الذنوب».

رواه مسلم عن أبي الطاهر، عن ابن وهب[٧].

أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن التاجر، حدثنا محمد بن عبد بن الحسين القطراني[٨] حدثنا أبو مليك محمد بن عبد العزيز الكلابي[٩]، حدثنا سفيان بن وكيع[١٠]، حدثنا سفيان بن عيينه، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

= شيعي صدوق يأتي بغرائب وبمناكير مات سنة ٢١٣ هـ وقال ابن معين: ما به بأس. (تذكرة الحفاظ ١/٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(١) عبد الله الصنابحي مختلف في صحبته روى عن النبي ﷺ وعنه عبادة بن الصامت وعطاء بن يسار قال الدوري قال ابن عبد الله الصنابحي روى عنه المؤمنون يشبه أن يكون له صحبة ـ وفيه ذكر حديث «إذا توضأ العبد المسلم..» (تهذيب التهذيب ٦/٩٠ ـ ٩١). وترجم له الذهبي في سير الأعلام (٣/٥٠٥ ـ ٥٠٧) تحت اسم عبد الرحمن وقال «وبعضهم يهم فيه فيقول: عبد الله وبعضهم يقول أبو عبد الرحمن».

(٢) في (هـ) وإذا.

(٣) الحديث رواه ـ الترمذي ـ كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في فضل الطهور: «حسن صحيح»(١/ ٤) وابن ماجة ـ كتاب الطهارة ـ باب ثواب الطهور رقم ٢٨١ (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤) ومسند أحمد ٤/ ٣٤٨.

والمستدرك ـ كتاب الطهارة ـ خروج الخطايا بالوضوء «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» (١/ ١٢٩ ـ ١٣٠).

(٤) سهل بن أبي صالح ـ واسمه ذكوان ـ السمان أبو يزيد المدني قال أحمد: ما أصلح حديثه روى له البخاري ومسلم توفي سنة ١٣٨ هـ. (كتاب الجمع ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٥) في (د) خرجت.

(٦) في (هـ) وإذا.

(٧) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الطهارة ـ باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء ـ عن أبي هريرة ١/ ١٢١.

(٨) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ويعرف بالشيخ الصدوق محدث إمامي كبير لم ير في القميين مثله نزل بالسند وارتفع شأنه في خراسان له نحو ثلاثمائة مصنف توفي سنة ٣٨١ هـ (الأعلام ٧/ ١٥٩) والقطراني: منسوب إلى القطران. (عمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٩) لم أقف عليه.

(١٠) سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرؤاس قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها، وقال أبو زرعة يتهم بالكذب وبلاؤه ممن يلقنه. (الميزان ٢/ ٧٣).

قال رسول الله ﷺ: «تحشر أمتي يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فيقال هؤلاء أمة محمد ﷺ فيتمنى الخلائق أنهم كانوا أمة محمد ﷺ [١]».

وقوله[٢] ﴿**وإن كنتم جنباً فَاطَّهَّرُوا**﴾[٣]، فأدغمت التاء في الطاء، لأنهما من مكان واحد.

قال مقاتل: فاغتسلوا[٤]. وباقي الآية مشروح في سورة النساء[٥]، إلى قوله ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج**﴾ يعني: من ضيق في الدين، ولكنه جعله واسعاً حين[٦] رخص في التيمم ﴿**ولكن يريد ليطهركم**﴾ من الأحداث والجنابات والذنوب والخطيئات، لأن الوضوء يكفر الذنوب.

روى أبو أمامة أن النبي ﷺ قال: «الطهور يكفر ما قبله ويصير الصلاة نافلة»[٧]. وقوله[٨] ﴿**وليتم نعمته عليكم**﴾ أي: ببيان الشرائع، وقال محمد بن كعب القرظي: بغفران الذنوب.

أخبرنا سعيد بن محمد العدل، أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه حدثنا محمد بن معاذ الماليني، حدثنا الحسين بن الحسن بن حرب المروزي [٩]، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا أبو معشر المدني[١٠] حدثني محمد بن كعب حدثني عبد الله بن واره[١١]، عن حمران[١٢] - مولى عثمان - قال:

مرت على عثمان[١٣] فخارة من ماء[١٤]، فدعا به فتوضأ فأسبغ[١٥] وضوءه، ثم قال: لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً ما حدثتكم به، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) الحديث: انظر كنوز الحقائق ٢/٢٢ «رواه الطبراني» ٢/٢٣ «رواه ابن ماجة» والمتفق عليه من حديث أبي هريرة.
وانظر صحيح البخاري - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء والغر المحجلون - عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل». ١/٣٨.

(٢) في (د) قوله.

(٣) «جنباً: للمفرد والمثنى والجمع، والذكر والأنثى - بلفظ واحد» (مجاز القرآن ١/١٥٥).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٨٩، والدر ٢/٢٦٣ عن قتادة، وفتح القدير ٢/١٨.

(٥) في (د) مشروح في النساء، وانظر تفسير الآية ٤٣.

(٦) في (د) حتى.

(٧) الحديث: رواه الإمام أحمد في المسند برواية «ما من عبد يسمع أذان صلاة فقام إلى وضوئه إلا غفر له ما سلف من ذنوبه وقام إلى صلاته وهي نافلة». ٥/٢٥٤.
وبرواية «إن الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة» ٥/٢٦١.
ومجمع الزوائد - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء «رواه أحمد من طريق صحيحة» ١/٢٢٣ والطبراني في الكبير ٧/١٤٧. كلهم من حديث أبي أمامة.

(٨) في (د، و) قوله.

(٩) في (د) المقري سبق. (١٠) في (د) أبو مشعر، سبق.

(١١) في (د) عبد بن داود، وهو: عبد الله بن وارة كان في حياة النبي ﷺ روى عنه محمد بن كعب القرظي عن حمران مولى عثمان أنه توضأ فأسبغ الوضوء «الحديث» (أسد الغابة ٣/٢٢٦).

(١٢) حمران بن أبان - مولى عثمان بن عفان - سمع عثمان ومعاوية وعنه عطاء بن أبي رباح وأبو التياح والوليد بن مسلم أبو بشر وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم وغيرهم طال عمره وتوفي سنة نيف وثمانين روى له البخاري ومسلم (كتاب الجمع ١/١١٥، وسير الأعلام ٤/١٨٣).

(١٣) في (هـ) مرة. (١٤) في (د) فخارة ماء. (١٥) في (و) وأسبغ.

«ما توضأ عبد[١] فأسبغ وضوءه ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى[٢]».

وقال محمد بن كعب: وكنت إذا سمعت الحديث من رجل من أصحاب رسول الله ﷺ التمسته في القرآن، فالتمست هذا فوجدته ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك﴾[٣] فعلمت أن الله لم يتم النعمة عليه حتى غفر ذنوبه ثم قرأت الآية التي في سورة المائدة ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ حتى بلغت[٤] ﴿ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم﴾ فعرفت [٥] أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم [٦].

وقوله [٧] ﴿لعلكم تشكرون﴾ قال عطاء: [٨] لكي تشكروا نعمتي، وتطيعوا أمري [٩].

ـ قوله عز وجل[١٠] ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ قال مقاتل: يعني بـ «النعمة» الإسلام ﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾ قال مجاهد والكلبي ومقاتل[١١]: هو ما أخذ عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم، وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى.

وقال جماعة من المفسرين[١٢]: يعني بالميثاق حين بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في كل ما أمر ونهى والأيمان التي أخذت عليهم يوم بيعة العقبة، ويوم بيعة الرضوان.

قال السدي[١٣] وكل مؤمن آمن بالله ورسله فهذا داخل في هذا الميثاق. وقوله[١٤] ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾[١٥] قال ابن عباس: بخفيات القلوب والضمير[١٦] والنيات.

---

(١) في (د) عبداً.

(٢) الحديث: رواه الإمام أحمد في المسند ١/٥٧، ٥٩، ٦٨، ومجمع الزوائد ـ كتاب الطهارة ـ باب ما جاء في الوضوء «رواه أحمد وهو في الصحيح ورجاله موثوقون» ١/٢٢٩. وانظر صحيح البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً ـ بنحوه ـ ١/٤٢. ومسلم ـ كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ـ بنحوه ـ ١/١١٥. وعلل الحديث للرازي رواه بإسناده وصححه برواية «ما من عبد توضأ وأسبغ وضوءه...» ١/١٥٣. كلهم من حديث حمران عن عثمان.

(٣) سورة الفتح / ١ ـ ٢.

(٤) في غير (د) بلغ.

(٥) في (د) فعلمت.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢/٢٢، والدر ٢/٢٦٤ كلاهما عن محمد بن كعب.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/٨٩، والقرطبي ٦/١٠٨.

(٩) في (د، هـ) قوله، وفي (جـ) قوله، وليست في (جـ).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٨٩، والطبري ٦/٩٠ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/١٩.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٧٩، ومجاهد ١٨٧، والطبري ٦/٩٠، والدر ٢/٢٦٥، وفتح القدير ٢/١٩ ـ ٢٠ كلها عن مجاهد وابن كثير ٢/٢٠ عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي وغرائب النيسابوري ٦/٨٤ عن الكلبي ومقاتل.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٦/٩٠ عن ابن عباس، والقرطبي ٦/١٠٨ ـ ١٠٩ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٢/٣٠، وفتح القدير ٢/١٩ عن جمهور المفسرين.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٦/٩٠ بنحوه عن السدي، والبحر ٣/٤٤٠.

(١٤) في (د) قوله.

(١٥) في (أ) بما يصنعون.

(١٦) في (هـ) في الضمير، وانظر تفسير ابن عباس ٧٩ قال «بما في القلوب»، والطبري ٦/٩٠ ـ ٩١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

ـ قوله جل جلاله[1] ﴿يا أيها الذي ءامنوا كونوا قوامين لله﴾ معنى القيام لله أن تقوم لله بالحق في كل ما يلزم القيام به من الأمر بالمعروف والعمل به، والنهي عن المنكر وتجنبه.

﴿شهداء لله﴾ تشهدون بالعدل ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا﴾ أي: لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿اعدلوا﴾ في الولي والعدو ﴿هو أقرب للتقوى﴾ أي: هو أقرب لاتقاء النار.

ـ قوله جل جلاله[2] ﴿يا أيها الذين ءامنوا اذكروا نعمة الله عليكم. . . .﴾ الآية، قال المفسرون: دخل رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه على بني النضير ـ وكانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات ـ فقال النبي ﷺ: رجل من أصحابي أصاب[3] رجلين معهما أمام متى فلزمني ديتها فأريد أن تعينوني، فقالوا: اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، وهموا باغتيالهم والفتك بهم، فأذن الله تعالى به حتى فاتوا بأنفسهم، فهو قوله ﴿إذ هَمَّ قوم﴾ يعني: يهود بني النضير ﴿أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾ بالقتل والاغتيال ﴿فكف أيديهم عنكم﴾ بأن أخبركم حتى خرجتم من عندهم.

ثم أخبر الله تعالى عن نقض بني إسرائيل عهد الله، كما نقضت هذه الطبقة فقال:

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ

---

(١) في غير (أ) قوله، وفي (جـ) قوله تعالى.

(٢) في غير «أ» قوله.

(٣) في (هـ) أصحاب. وانظر في ذلك: الزجاج ١٧١/٢، والطبري ٩٢/٦ ـ ٩٤ عن عاصم بن عمرو وقتادة ومجاهد ويزيد بن أبي زياد وعكرمة وغيرهم، وابن كثير ٣١/٢ عن ابن إسحاق ومجاهد وعكرمة، وفتح القدير ٢٠/٢ عن ابن عباس وأسباب النزول للواحدي ١٤٣ ـ ١٤٤، والسيوطي ١٠٣. ودلائل النبوة لأبي نعيم ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٣، والدلائل للبيهقي ٣٥٤/٣ ـ ٣٥٥. والرازي ١٨٢/١١ ـ ١٨٣ عن ابن عباس والكلبي ومقاتل، والقاتل هو: عمرو بن أمية الضمري، والمقتولان رجلان من بني سليم.

تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

- **﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾** قال الكلبي ومقاتل[١]: أخذ الله ميثاقهم على أن يعملوا بما في التوراة **﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾** «النقيب» الأمين الكفيل [٢] على قومه.

أخذ من كل سبط منهم نقيب فبعثوا إلى مدينة الجبارين الذين أمر موسى بالقتال معهم ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك إلى قومهم، فرجعوا ينهون عن قتالهم، وكانوا قد تواثقوا بينهم أن لا يفعلوا، فنكثوا العهد إلا رجلين: كالب بن يوفنا[٣]، ويوشع بن نون[٤].

﴿وقال الله إني معكم﴾ بالعون والنصرة والدفع عنكم بهذه الشرائط، وهي[٥] قوله **﴿لئن أقمتم الصلوٰة وآتيتم الزكوٰة وءامنتم برسلي وعزرتموهم﴾** «التعزير»: التوقير، والتعزير النصر باللسان والسيف.

قال عطاء[٦]: يريد: وقرتموهم، وقال السدي[٧]: نصرتموهم بالسيف، وقال مقاتل: أعنتموهم[٨].

﴿وأقرضتم الله﴾[٩] قال ابن عباس[١٠] يعني الصدقات للفقراء والمساكين **﴿قرضاً حسناً﴾** قال الضحاك[١١]:

---

(١) انظر تفسير الطبري ٩٥/٦ عن أبي العالية وفتح القدير ٢٢/٢ ـ ٢٣ عن أبي العالية وابن عباس، والبحر ٤٤٧/٣، والخازن ٢٥/٢.

(٢) في غير (أ) الكفيل الأمين، وانظر مجاز القرآن ١٥٦/١ في معنى «النقيب».

(٣) كالب ـ بفتح الكاف واللام وباء معجمة بواحدة ـ ابن يوفنا ـ بياء معجمة باثنتين من تحت مضمومة وفاء مفتوحة ونون مشددة بعدها ألف.
ختن موسى على أخته مريم بنت عمران، وهو من سبط يهوذا.
(البحر ٤٥٥/٤، وعمدة القوي والضعيف ص ١٠).

(٤) يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى وقد كان نبي بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وهو الذي خرج من مصر ودخل بهم بيت المقدس، وهو الذي حبست عليه الشمس حتى دخلها. (البداية والنهاية ٣١٨/٦ ـ ٣١٩).
وانظر تفسير مجاهد ١٨٨ ـ ١٨٩، والطبري ٩٦/٦ عن الربيع والسدي ومجاهد وغرائب النيسابوري ٩٣/٦ عن مجاهد والسدي والكلبي، والدر ٢٦٧/٢، وفتح القدير ٢١/٢، ٢٢ كلاهما عن مجاهد.

(٥) في (د) وهو.

(٦) انظر مجاز القرآن ١٥٦/١، ٢١٧/٢، وفتح القدير ٢١/٢ عن أبي عبيدة، والطبري ٩٨/٦ عن أبي عبيدة، وابن زيد. «قال الرازي» لو كان التعزير هو التوقير لكان قوله تعالى (وتعزروه وتوقروه) تكراراً (الرازي ١٨٦/١١).

(٧) انظر تفسير الطبري ٦٨/٦ عن السدي، وتفسير مجاهد ص ١٩٠، والدر ٢٦٧/٢ وفتح القدير ٢٢/٢ كلاهما عن مجاهد وتفسير ابن عباس ٩٠، وغريب القرآن ١٤١، واللسان: عزر «ورجح هذا المعنى».

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والدر ٢٦٧/٢، وفتح القدير ٢٢/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٩) في (هـ) قرضاً حسناً.
وانظر تفسير القرطبي ١١٤/٦، والبغوي ٢٦/٢، والرازي ١٨٦/١١ ورشحه «لأنه قد سبق إيتاء الزكاة الواجبة».

(١٠) في (و) قال مقاتل.

(١١) وانظر تفسير القرطبي ١١٤/٦، وفتح القدير ٢١/٢.

تبتغون به وجه الله، وقال ابن المبارك: حلالاً طيباً من أموالكم [١]. وقوله [٢] ﴿فمن كفر بعد ذلك منكم﴾ أي: بعد العهد والميثاق ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ قصد الطريق، ثم أخبر عن نقضهم فقال [٣]:

- ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ «ما»: صلة مؤكدة، يريد: فبنقضهم، كما قال ﴿فبما رحمة من الله﴾ [٤].

قال قتادة [٥]: انهم كذبوا الرسل بعد موسى، وقتلوا الأنبياء، ونبذوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه.

وقوله ﴿لعناهم﴾ قال ابن عباس [٦]: عذبناهم بالجزية، وقال مقاتل [٧]: عذبناهم بالمسخ، وقاء عطاء أخرجناهم من رحمتنا، وهو اختيار الزجاج قال: باعدناهم من الرحمة.

﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ «القسوة»: الصلابة والشدة في كل شيء، يقال قسا يقسو قسوة فهو قاس وحجر قاس [٨]. وقرأ حمزة (قسية) على وزن فعيلة بمعنى قاسية مثل عالم وعليم [٩].

قال ابن عباس ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ يابسة عن الإيمان [١٠] ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ يعني: صفة محمد ﷺ وآية الرجم ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ قال ابن عباس [١١]: تركوا نصيباً مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد والإيمان به [١٢]

﴿ولا تزال تَطَّلِعُ على خائنة منهم﴾ أي: على خيانة، قال مقاتل: يعني بـ «الخيانة»: الغش للنبي ﷺ، وقال يمان بن زباب [١٣]: على كذب وفجور، وقال عطاء: على خيانة منهم مثلما خانوك حين هموا بقتلك [١٤]:

---

(١) انظر تفسير البغوي ١/٢٥٢ عن ابن المبارك، وانظر معنى «القرض الحسن» عند تفسير الآية ٢٤٥ من سورة البقرة.

(٢) في (د) قوله.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) سورة آل عمران: ١٥٩، وانظر فتح الباري ٨/٢١٦.

(٥) انظر الدر ٢/٢٦٨ بنحوه عن قتادة.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والرازي ١١/١٨٦، وغرائب النيسابوري كلاهما عن ابن عباس.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٦/٩٥، والرازي ١١/١٨٦، والبحر ٣/٤٤٥ كلها عن الحسن ومقاتل.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٦/٩٥، والرازي ١١/١٨٦، والبحر ٣/٤٤٥ كلها عن عطاء والزجاج ٢/١٧٤.

(٩) انظر مجاز القرآن ١/١٥٨، والزاهر ١/٤٤٣ ـ ٤٤٤، وغرائب النيسابوري ٦/٩٥.

(١٠) قرأ حمزة والكسائي (قسية) ـ بغير ألف مشددة ـ وحجتهما: أن فعيلاً أبلغ في الذم والمدح من فاعل وقال آخرون: بل معنى قسية غير معنى القسوة، وإن معنى القسية التي ليست بخالصة الإيمان، أي التي قد خالطها كفر فهي فاسدة، ولذا قال للدرهم الذي قد خالطه شيء من نحاس وغيره قسية. وقرأ الباقون (قاسية) وحجتهم إجماعهم على قوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾ ـ سورة الزمر /٢٢ ـ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٣ ـ ٢٢٤ والسبعة ٢٤٣ والنشر ٢/٢٥٤ والتبيان ١/٤٢٧، والزجاج ٢/١٧٤ والحجة لابن خالويه ١٢٩).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والزجاج ٢/١٧٤، وغريب القرآن ١٤٢ والطبري ٦/٩٩.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والزجاج ٢/١٧٤، وغريب القرآن ١٤٢، ومجاز القرآن ١/١٥٨والرازي ١١/١٨٧ وغرائب النيسابوري. ٦/٩٦ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) يمان بن زباب خراساني مفسر له «معاني القرآن» قال الدارقطني ضعيف من الخوارج (عمدة القوي والضعيف ص ١٠، والميزان ٤/٤٦٠). وانظر تفسير الطبري ٦/١٠٠ وفتح القدير ٢/٢٣ كلاهما عن قتادة والقرطبي ٦/١١٦ والدر ٢/٢٦٨ عن مجاهد.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٠ ـ ١٠١ عن مجاهد وعكرمة وابن كثير ٢/٣٢ عن مجاهد وغيره، والدر ٢/٢٦٨ عن مجاهد.

وقوله ﴿إلا قليلاً منهم﴾ يعني: من أسلم منهم ولم ينقضوا العهد ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ منسوخ بآية السيف[١] ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ يعني: المعافين المتجاوزين. قال ابن عباس: إذا عفوت فأنت محسن[٢].

ـ قوله عز وجل[٣] ﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ قال مقاتل[٤] أخذ عليهم الميثاق كما أخذ على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتبعوه، وهو مكتوب عندهم في الإنجيل.

﴿فنسوا حظاً مما ذكروا به﴾ فتركوا ما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ فكان ذلك الحظ ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ قال المؤرج[٥]: حرشنا بعضهم على بعض، وقال النضر[٦]: هيجنا، وقال الكلبي[٧]: ألقينا بينهم العداوة والبغضاء.

قال مجاهد وقتادة والسدي[٨]: يعني: بين اليهود والنصارى، وقال الربيع[٩] يعني: بين النصارى خاصة وذلك ما بين فرق النصارى من الاختلاف والعداوة، وهذا اختيار الزجاج قال: تأويل ﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ أي: صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً. ﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ وعيد لهم[١٠].

قال قتادة[١١]: لما ذكر نقضهم العهد وتركهم ما أمروا به دعاهم على إثر ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ فقال:

ـ ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ قال عطاء عن ابن عباس[١٢]: يريد: تكتمون [مما في التوراة والإنجيل، لأنهم أخفوا منه آية الرجم وأمر][١٣] محمد ﷺ وصفته. ﴿ويعفو عن كثير﴾ يتجاوز عن كثير مما كتموه فلا يخبرهم بكتمانه.

وقوله ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ ضياء من الضلالة وهدى، يعني: الإسلام، وقال قتادة[١٤] يعني: النبي ﷺ وهو

---

(١) انظر تفسير الطبري ٦/١٠١، وابن كثير ٢/٣٣، وفتح القدير ٢/٢٣ كلها عن قتادة والدر ٢/٢٦٨ عن مجاهد، والناسخ والمنسوخ لابن سلامة ص ١٥٠.

(٢) انظر غرائب النيسابوري ٦/٩٦، والرازي ١١/١٨٨ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) في غير (أ) قوله وفي (و) قوله تعالى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والرازي ١١/١٨٨، والبحر ٣/٤٤٧ عن قتادة وابن كثير ٢/٣٣.

(٥) في (و) مؤرج وانظر البحر ٣/٤٤٣ عن مؤرج، والطبري ٦/١٠٢.

(٦) في (جـ، د) النضر بن شميل، وانظر البحر ٣/٤٤٣ عن النضر ومجاز القرآن ١/١٥٩.

(٧) وهو قول ابن عباس وتفسيره ص ٩٠ وابن كثير ٢/٣٣.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والطبري ٦/١٠٢ ـ ١٠٣ عن مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم والبحر ٣/٤٤٧ عنهم.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٣، والبحر ٣/٤٤٧، والدر ٢/٢٦٨ وابن كثير ٢/٣٣ كلها عن الربيع، قال الزجاج: «وتأويل (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء) أنهم صاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً، ومنهم النسطورية واليعقوبية والملكانية ـ وهم الروم ـ فكل فرقة منهم تعادي الأخرى» (الزجاج ٢/١٧٦).

(١٠) في (هـ) وعيداً.

(١١) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٢ ـ ١٠٣ عن قتادة.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والطبري ٦/١٠٣، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٤ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (و) وبعدها: محمداً.

(١٤) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٠، والطبري ٦/١٠٣، والدر ٢/٢٦٨ كلاهما عن قتادة والزجاج ٢/١٧٦، وفتح القدير ٢/٢٣ عن الزجاج.

اختيار الزجاج؛ قال: «النور» محمد ﷺ وهو الذي يبين ﴿وكتاب مبين﴾ يعني: القرآن فيه بيان[1] ما يختلفون فيه.

يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

ـ قوله جل جلاله[2] ﴿يهدي به الله﴾ أي بالكتاب المبين ﴿من اتبع[3] رضوانه﴾ اتبع ما رضيه الله تعالى مما مدحه وأثنى عليه، وهو دين الإسلام ﴿سبل السلام﴾ قال ابن عباس[4]: يريد: دين الإسلام دين الله، والسلام: اسم من أسماء الله تعالى.

وقال الزجاج[5]: جائز أن يكون أراد طريق السلام، أي: طرق[6] السلامة التي من سلكها سلم في دينه، ويجوز أن يكون أراد: سبل دار السلام، كما قال ﴿لهم دار السلام [7]﴾ ويراد بها طرق الجنة، ولكنه على حذف المضاف.

وقوله [8] ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور [9]﴾ قال ابن عباس[10]: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿بإذنه﴾ أي بتوفيقه وإرادته ﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾.

قال الحسن: هو الذي يأخذ بصاحبه حتى يؤديه إلى الجنة: يعني: الإسلام. ثم أخبر بكفر النصارى فقال:[11]

ـ ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ وذلك أنهم اتخذوه رباً ومعبوداً وجعلوه إلٰهاً ﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾ فمن يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئاً ﴿إن أراد أن يهلك المسيحَ ابن مريم﴾ وهذا احتجاج على

---

(١) في (جـ، و) يعني في بيان ما يختلفون فيه.

(٢) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٣) في (هـ) التبع.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والخازن ٢/ ٢٨ عن ابن عباس والطبري ٦/ ١٠٤ عن السدي.

(٥) انظر الزجاج ٢/ ١٧٦ والطبري ٦/ ١٠٤ وغرائب النيسابوري ٦/ ٩٨.

(٦) في (د) طريق السلامة وهي ساقطة من (و).

(٧) سورة الأنعام / ١٢٧.

(٨) في (د) قوله تعالى.

(٩) في (د) بإذنه.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩٠، والطبري ٦/ ١٠٤.

(١١) انظر البحر ٣/ ٤٤٨ عن الحسن.

النصارى وهو: لو كان المسيح إلّهاً لقدر على دفع أمر الله إذا أتى بإهلاكه وإهلاك غيره.

ـ قوله جل جلاله[١] ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ قال ابن قتيبة[٢]: يعنون أنه من حدبه وعطفه[٣] علينا كالأب المشفق، وقيل إن هذا من باب حذف المضاف، معناه: نحن أبناء رسل الله.

قال ابن عباس[٤]: إنما قالوا هذا حين حذرهم النبي ﷺ عقوبة الله.

وقوله[٥] ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ أي: لم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى بذنوبهم، وهم الذين مسخهم الله تعالى قردة وخنازير من أصحاب السبت وأصحاب المائدة.

وهذا احتجاج عليهم [٦]، وتكذيب لقولهم ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ لأن الوالد لايعذب ولده والحبيب لا تطيب نفسه بتعذيب حبيبه.

ثم صرح بتكذيبهم فقال ﴿بل أنتم بشر ممن خلق﴾ كسائر بني آدم مجزيون بالإحسان والإساءة ﴿يغفر لمن يشاء﴾ قال عطاء[٧]: لمن يوحد ﴿ويعذب من يشاء﴾ من لا يوحد، وقال السدي[٨]: يهدي منكم من يشاء فيغفر له، ويميت منكم[٩] من يشاء على كفره فيعذبه.

﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي: أنه [يملك ذلك لا شريك له فيعارضه[١٠]] وهو يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء ﴿وإليه المصير﴾ وإليه يؤول أمر العباد في الآخرة.

ـ قوله عز وجل[١١] ﴿[يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم] على فترة من الرسل﴾ قال ابن عباس[١٢]: على انقطاع من الأنبياء. يقال: فتر الشيء يفتر فتوراً، إذا سكنت حدته وانقطع عما كان عليه[١٣].

والنبي ﷺ بعث بعد انقطاع الرسل، لأن الرسل كانت متواترة بعضها في إثر بعض إلى وقت رفع الله عيسى عليه السلام.

وقوله[١٤] ﴿أن تقولوا﴾ أي: لئلا تقولوا ﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير [فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير]﴾.

---

(١) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.
(٢) انظر تفسير البغوي ٢/٢٨، والخازن ٢/٢٩.
(٣) والحدب: الشفقة، (حاشية(أ)).
(٤) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٥ ـ ١٠٦، والرازي ١١/١٩٢، وابن كثير ٢/٣٥، والدر ٢/٢٦٩ كلها عن ابن عباس.
(٥) في (د، هـ) قوله.
(٦) في (و) لهم.
(٧) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٦.
(٨) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٦، والدر ٢/٢٦٩، وفتح القدير ٢/٢٥ كلها عن السدي.
(٩) في (و) ويميت منهم.
(١٠) ما بين المعقوفتين مكرر في (هـ).
(١١) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.
(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩١، والرازي ١١/١٩٤، وغرائب النيسابوري ٦/١٠٠، والخازن ٢/٢٩ كلها عن ابن عباس والزجاج ٢/١٧٧، والطبري ٦/١٠٧ عن قتادة.
(١٣) انظر اللسان: فتر، والمصباح / فتر، ومفردات الراغب: فتر.
(١٤) في (د) قوله.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

ـ قوله تعالى[١] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء﴾ قال الكلبي[٢]: جعل منكم أنبياء على عهد موسى بن عمران وهم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه، فانطلقوا معه إلى الجبل.

﴿وجعلكم ملوكاً﴾ قال ابن عباس[٣]: جعل لهم الخدم والحشم، وقال مجاهد[٤]: كل من لا يدخل عليه إلا بإذنه فهو ملك، وقال قتادة [٥]: كانوا أول من ملك الخدم وسخر لهم[٦] من بني آدم، وقال السدي يعني: وجعلكم أحراراً تملكون أنفسكم بعدما كنتم في أيدي القبط[٧] بمنزلة العبيد وأهل الجزية[٨].

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا محمد بن أبي مريم[٩]، حدثنا ابن لهيعة[١٠]، عن دراج[١١]، عن أبي الهيثم[١٢]، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ

(١) في غير س(أ) قوله وفي (هـ) وقوله.
(٢) انظر تفسير الخازن ٢/٣٠ عن الكلبي، والفراء ١/٣٠٣، والطبري ٦/١٠٨، والبحر ٣/٤٥٢ عن مقاتل والكلبي.
(٣) انظر تفسير الثوري ١٠١، وابن كثير ٢/٣٦ عن ابن عباس، والدر ٢/٢٦٩ عن ابن عباس وقتادة.
(٤) ذكره القرطبي ٦/١٢٤ عن ابن عباس، وانظر الزجاج ٢/١٧٧، والرازي ١١/١٩٦ وغرائب النيسابوري ٦/١٠٤ كلاهما عن الزجاج، والفراء ١/٣٠٣، والطبري ٦/١٠٩ عن مجاهد.
(٥) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٨ ـ ١٠٩، وابن كثير ٢/٣٧، والدر ٢/٢٦٩، وفتح القدير ٢/٢٨ كلها عن قتادة.
(٦) في (و) الخدم من بني آدم.
(٧) في (د) أيد القط.
(٨) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٩، والرازي ١١/١٩٦، وابن كثير ٢/٣٧، وغرائب النيسابوري ٦/١٠٤ وفتح القدير ٢/٢٧ كلها عن السدي.
(٩) في غير (د) ابن أبي مريم، ولم أقف عليه.
(١٠) في (هـ) ابن أبي لهيعة.
(١١) دراج بن سمعان بن التجيبي بن أسامة التجيبي أبو السمح المصري القاضي مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ يقال اسمه عبد الرحمن ودراج لقب ـ ولد سنة ١٢٥ هـ يروي عن أبي الهيثم العتواري قال أحمد: أحاديثه مناكير ولينة، وقال عباس عن يحيى ليس به بأس، وقال عثمان بن سعيد عن يحيى: ثقة، وقال النسائي: منكر الحديث وقال أبو حاتم: ضعيف مات سنة ١٨٢ هـ. (الأنساب ٣/٢٥ ـ ٢٦، الميزان ٢/٢٤ ـ ٢٥، وحسن المحاضرة ١/٢٦٦).
(١٢) أبو الهيثم العتواري: سليمان بن عمرو ـ نسبه إلى عتوارة بطن من كنانة ـ يروي عن أبي سعيد وعنه دراج وغيره وثقه ابن معين. =

قال: كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة كتب ملكاً[١].

أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، أخبرنا (أبو أحمد بن عيسى)، أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثنا أبو الحسن القشيري [٢]، حدثنا أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب، حدثني أبو هانيء، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من[٣] فقراء المهاجرين؟

فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟

قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك[٤].

وروي أن الحسن تلا هذه الآية فقال: وهل الملك[٥] إلا مركب وخادم ودار؟ وقوله **﴿وءاتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾** قال مجاهد والكلبي[٦]: بأن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى، وفلق لهم البحر، وأنجاهم من عدوهم.

ـ قوله تعالى[٧] **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾** قال قتادة[٨]: هي الشام كلها، وقال عكرمة والسدي[٩]: هي أريحا، وقال الكلبي[١٠]: دمشق وفلسطين. ومعنى **﴿المقدسة﴾**: المطهرة[١١]، وتلك الأرض طهرت من الشرك، وجعلت مسكناً وقراراً للأنبياء.

= (الكاشف ١/٣٩٩، وحسن المحاضرة ١/٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(١) الحديث: رواه الطبري ٦/١٠٩ موقوفاً ، والدر ٢/٢٦٩ عن ابن عباس ٢/٢٦٩ ـ ٢٧٠ عن أبي سعيد «أخرجه ابن أبي حاتم»، وابن كثير ٢/٣٧، قال ابن أبي حاتم: ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «الحديث وهذا حديث غريب» وفتح القدير ٢/٣٨ عن ابن عباس. وما بين المعقوفتين مكرر في (جـ).

(٢) هو الإمام مسلم.

(٣) في (هـ) ألسنا فقراء من المهاجرين.

(٤) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٨/١١٠، والطبري ٦/١٠٨، وابن كثير ٢/٣٦، والدر ٢/٢٧٠، وفتح القدير ٢/٢٧، وصحيح مسلم ٢/٥٩٠.

(٥) في (أ) الملوك، وانظر تفسير الطبري ٦/١٠٩، وابن كثير ٢/٣٦، والدر ٢/٢٧٠ كلها عن الحسن.

(٦) انظر تفسير الطبري ٦/١٠٩، والدر ٢/٢٧٠ كلاهما عن مجاهد، والزجاج ٢/١٧٧، والفراء ١/٣٠٣، وابن كثير ٢/٣٧، وفتح القدير ٢/٢٩ عن مجاهـد وابن عباس.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/١١٠، والدر ٢/٢٧٠، وفتح القدير ٢/٢٧، ٢٩ كلها عن قتادة.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/١١٠ عن السدي وابن عباس وابن زيد، والرازي ١١/١٩٧ عن عكرمة والسدي وابن زيد، والدر ٢/٢٧٠ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/٢٧ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٢/٣٧٦ عن عكرمة عن ابن عباس.

قال ابن كثير: «وفي ذلك نظر، لأن أريحا ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس، وقد قدموا من بلاد مصر.. إلا أن يكون المراد بأريحا: أرض بيت المقدس».

(١٠) في (أ، هـ) قال الكلبي والسدي، وفي (د). قال: والسدي.

وانظر تفسير ابن عباس ٩١، والرازي ١١/١٩٧ عن الكلبي، والزجاج ٢/١٧٨، وفتح القدير ٢/٢٧ عن الزجاج وغريب القرآن ١٤٢، والفراء ١/٣٠٤، واللسان / قدسي.

(١١) انظر مجاز القرآن ١/١٦٠، واللسان / قدسي، ومفردات الراغب / قدسي.

وقوله[١] ﴿التي كتب الله لكم﴾ قال ابن عباس والسدي[٢]: أمركم بدخولها، وفرض عليكم دخولها ﴿ولا ترتدوا على أدباركم﴾ لا ترجعوا إلى دينكم الشرك بـالله وإلى معصيته[٣] ﴿فتنقلبوا خاسرين﴾.

ـ ﴿قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين﴾ قال المفسرون[٤]: هم العمالقة فرقة من عاد. وأراد بـ «الجبارين»: الطوال الأقوياء العظام، من قولهم: رجل جبار، إذا كان طويلاً عظيماً، تشبيهاً بالجبار[٥] من النخل، وهو الذي فات الأيدي بطوله[٦]. قال قتادة[٧]: كانت لهم أجسام وخلق عجب ليس لغيرهم.

أخبر الله تعالى أنهم أبَوْا على موسى دخول تلك القرية، واعتلوا بأن فيها قوماً جساماً[٨] أقوياء لا يطيقونهم، وأنهم لا يدخلونها حتى يخرج منها هؤلاء القوم، فذلك قوله ﴿فإن يخرجوا منها فإنا داخلون﴾.

ـ قوله عز وجل[٩] ﴿قال رجلان﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة[١٠]: هما يوشع بن نون وكالب ﴿من الذين يخافون﴾ الله في مخالفة أمره ﴿أنعم الله عليهما﴾ بالإسلام، قال عطاء[١١]: بالصلاح والفضل واليقين.

﴿ادخلوا عليهم الباب. . .﴾ الآية، قال المفسرون[١٢]: إنهما قالا لبني إسرائيل: نحن أعلم بالقوم، إنهم قد مُلِئوا منا رعباً، إنا رأيناهم فكانت أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة وإنكم تغلبونهم، وذلك قوله ﴿فإذا[١٣] دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا﴾ في نصره[١٤] إياكم على الجبارين ﴿إن كنتم مؤمنين﴾. مصدقين بما أتاكم به رسوله.

ـ ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها﴾ قال المفسرون[١٥]: إن عشرة من النقباء نقضوا العهد وقالوا لبني إسرائيل: رأينا حصوناً منيعة[١٦]، وجبابرة،ولا يدان لكم بهم، فجبن القوم وخافوا، ولم يثقوا بنصر الله، وقالوا لموسى ﴿فاذهب[١٧] أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾. قال الحسن: هذا القول كفر منهم بالله[١٨].

---

(١) في (د) قوله.

(٢) انظر تفسير الطبري ١١١/٦، والدر ٢٧٠/٢، وفتح القدير ٢٩/٢ كلها عن السدي، وابن كثير ٣٧/٢ عن ابن عباس.

(٣) في (د) ومعصيته.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ٣٧/٢، والدر ٢٧٠/٢ عن زيد بن أسلم وابن عباس، وفتح القدير ٢٧/٢.

(٥) في (د) شبهاً بالجبار من الفقل.

(٦) انظر اللسان / جبر، والزاهر ١٧٧/١.

(٧) انظر الدر ٢٧٠/٢ عن قتادة.

(٨) في (و) عظاماً أقوياء.

(٩) في (حـ، هـ) قوله تعالى، وفي (د، و) قوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩١، ومجاهد ١٨٩، والطبري ١١١/٦ عن مجاهد، وابن كثير ٣٨/٢ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس، والدر ٢٧٠/٢ عن ابن عباس وعطية، وفتح القدير ٢٩/٢ عن ابن عباس.

(١١) انظر تفسير القرطبي ١٢٧/٦، وفتح القدير ٢٨/٢.

(١٢) انظر الدر ٢٧١/٢ عن قتادة، وفتح القدير ٢٢/٢، ٢٨ عن مجاهد.

(١٣) في (د) وإذا.

(١٤) في (د، و) نصرته.

(١٥) انظر تفسير الطبري ١١٦/٦ عن الضحاك وابن عباس، والدر ٢٧٠/٢، وفتح القدير ٢٩/٢ كلاهما عن ابن عباس.

(١٦) في (هـ) مانعة.

(١٧) في (د) يا موسى اذهب.

(١٨) انظر تفسير القرطبي ١٢٨/٦، والبحر ٤٥٦/٣ كلاهما عن الحسن، وغرائب النيسابوري ١٠٨/٦، وفتح القدير ٢٨/٢.

وقال المفسرون[١]: إنما قالوا هذا جهلاً منهم، وفسقوا بذلك، لأن الله تعالى سماهم فاسقين في هذه القصة، وكذلك موسى سماهم فاسقين، وهو قوله ﴿فافرق[٢] بيننا وبين القوم الفاسقين﴾[٣]، وقوله ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾[٤].

قال الزجاج[٥]: أعلم الله أن أهل الكتاب لم يزالوا غير قابلين من الأنبياء قبل النبي ﷺ وأن الخلاف شأنهم.

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد الزاهد [٦]، أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن أسد الهروي [٧]، حدثنا حمدان بن عمر [٨]، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم [٩]، حدثنا الأشجعي[١٠] عبيد الله، عن سفيان، عن مخارق[١١]، عن طارق بن شهاب، عن ابن مسعود قال: قال المقداد ـ وهو على فرس يوم بدر ـ: يا رسول الله، إنا لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن امض[١٢] ونحن معك، فكأنه سري عن رسول الله ﷺ. رواه البخاري عن حمدان بن عمر[١٣].

أخبرنا أبو سعد بن أبي رشيد العدل، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن أبي عدي[١٤]، عن حميد، عن أنس:

أن النبي ﷺ يوم خرج إلى بدر استشار الناس، فأشار عليه أبو بكر، ثم استشارهم[١٥] فأشار عليه عمر، فسكت، فقال رجل من الأنصار: إنما يريدكم، قالوا: يا رسول الله، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب

---

(١) انظر تفسير القرطبي ٦/١٢٨، والبحر ٣/٤٥٦، والرازي ١١/٢٠٠ عن المفسرين.

(٢) في (د) ففرق.

(٣) سورة المائدة / ٢٥.

(٤) سورة المائدة / ٢٦.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٧٩.

(٦) في (د) سعد، وفي (هـ) شعيب.

(٧) الحافظ محمد بن أحمد بن أسد الهروي الأصل السلامي البغدادي أبو بكر كان إماماً ثقة ثبتاً توفي سنة ٣٢٣ هـ (شذرات ٢/٣٠٠).

(٨) حمدان بن عمر: هو أحمد بن عمر ـ لقبه حمدان ـ أبو جعفر البغدادي سمع أبا النضر هاشم بن القاسم وغيره وعنه البخاري في تفسيره سورة المائدة حديثاً واحداً توفي سنة ٢٥٨ هـ (كتاب الجمع ١/١١، تاريخ بغداد ٨/١٧٤ ـ ١٧٥).

(٩) هاشم بن القاسم أبو النضر الكناني من بني ليث بن كنانة من أنفسهم خراساني الأصل سمع شعبة بن الحجاج وعبد الرحمن المسعودي وعبيد الله الأشجعي وغيرهم وعنه أحمد وابن معين وآخرون قال أحمد: أبو النضر شيخنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ووثقه ابن معين ولد سنة ١٣٤ وتوفي سنة ٢٠٧ هـ (تاريخ بغداد ١٤/٦٣ ـ ٦٥).

(١٠) الأشجعي الإمام الحافظ الثبت أبو عبد الرحمن عبيد الله بن عبد الرحمن الكوفي سمع إسماعيل بن أبي خالد وهاشم بن عروة وغيرهما ثم لزم سفيان الثوري وعنه أبو النضر وابن معين: صالح ثقة توفي سنة ١٨٢ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٣١١ ـ ٣١٢).
في جميع النسخ الأشجعي عن عبيد الله والأشجعي هو عبيد الله الراوي عن الثوري وانظر الإسناد عند البخاري ١/١٢٤.

(١١) مخارق بن عبد الله بن جابر ـ ويقال ابن خليفة ـ ويقال مخارق بن عبد الرحمن ـ الأحمسي الكوفي سمع طارق بن شهاب وغيره وعنه سفيان الثوري وإسرائيل ـ في تفسير سورة المائدة عند البخاري ـ (كتاب الجمع ٢/٥٢٢).

(١٢) في (د) امضي.

(١٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب التفسير ـ (فاذهب أنت وربك فقاتلا. .) ٣/١٢٤ والطبراني في الكبير ١٠/٢٦٢ كلاهما عن ابن مسعود.

(١٤) وفي (حـ، د) محمد بن عدي.

(١٥) في (و) استشار الناس.

أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد [١] لكنا معك [٢].

ـ قوله تعالى [٣] ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي [٤]﴾ قال الكلبي [٥]: لما قالوا: إذهب[٦] أنت وربك غضب موسى، وكان رجلاً حديداً[٧]، فـ ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ يقول: لم يطعني منهم إلا نفسي وأخي [والمعنى: لا أملك إلا طاعة نفسي وأخي][٨].

﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ فاقض واحكم بيننا وبين القوم العاصين.

ـ ﴿قال فإنها﴾[٩] فإن الأرض المقدسة ﴿محرمة عليهم﴾ ممنوعة منهم دخولها ﴿أربعين سنة﴾ قال ابن عباس[١٠]: حرم الله على الذين عصوا دخول بيت المقدس[١١] فماتوا في التيه، ولم يدخل بيت المقدس ممن خرج من مصر أحد، لا موسى ولا هارون إلا الرجلان اللذان قالا (ادخلوا عليهم الباب) يوشع وكالب، دخلا بأبناء الذين خرجوا من مصر بعدما تاهوا أربعين سنة.

وقال الكلبي[١٢]: قال الله تعالى لموسى: إذ سميتهم فاسقين فإنها محرمة عليهم. وقوله[١٣] ﴿يتيهون في الأرض﴾ يقال: تاه يتيه تَوْهاً وتَيْهاً إذا تحير ولم يهتد، وأرض تيه، وتيهاء ومتيهة: يتيه فيها الإنسان[١٤].

قال مجاهد والحسن[١٥]: كانوا يصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا. وقوله[١٦] ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تحزن على القوم الذين عصوك وعصوني.

---

(١) «بِرك الغماد ـ بباء مكسورة في أوله ـ: موضع باليمن، وقيل: مدينة النجاشي» (عمدة القوي والضعيف ص ١١).

(٢) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الجهاد ـ باب غزوة بدر ـ ٩٥/٢. ومسند أحمد ١٠٥/٣، ١٨٨، ومصنف عبد الرزاق ٣٥٠/٥ كلهم من حديث أنس.

(٣) في (د) قوله.

(٤) في (و) فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين.

(٥) انظر تفسير الطبري ١١٦/٦، والدر ٢٧١/٢ كلاهما عن السدي، والبحر ٤٥٩/٣ عن ابن عباس.

(٦) في (هـ) فاذهب.

(٧) ليست في (د). «ورجل حديد وحُدَاد من قوم أحدَّاء وأحدَّة وحِدَاد: يكون في اللسان والفهم والغضب. . واستحد: غضب» (اللسان / حدد).

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٩) في غير (أ) فإنها محرمة عليهم.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١١٧/٦ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٤٠/٢، والدر ٢٧١/٢ ـ ٢٧٢ كلاهما عن ابن عباس، والمشكل ٢٢٣/١.

(١١) في (و) البيت المقدس.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، والطبري ١١٩/٦ عن ابن عباس، والبغوي ٣٣/٢، والخازن ٣٣/٢.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) انظر اللسان / تيه، ومفردات الراغب / تيه.

(١٥) انظر تفسير الطبري ١١٩/٦، والدر ٢٧٢/٢، وفتح القدير ٢٢/٢ كلها عن مجاهد.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، والطبري ١١٩/٦، والدر ٢٧٢/٢ كلاهما عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٤٢، قال الأخفش «فهي من آسى يأسى أسى شديداً، وهو الحزن، ويئس من اليأس وهو انقطاع الرجاء، وهو من يئست، وأما أسوت تأسو أسواً، فهـذا الدواء للجراحة، وأست أؤوس أوساً، فهو في معنى أعطيت» (الأخفش ٤٦٧/٢ ـ ٤٦٨) وانظر التبيان ٤٣١/١، ومجاز القرآن ١٦١/١، وغريب القرآن ١٤٢).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

ـ قوله عز وجل [١] **﴿واتل عليهم﴾** واقرأ على قومك **﴿نبأ﴾** خبر [٢] **﴿ابني ءادم﴾** قابيل وهابيل **﴿بالحق﴾** كما كان **﴿إذ قربا [٣] قربانا﴾** كان هابيل صاحب غنم، فنظر إلى خير كثير فتقرب إلى الله تعالى، ونظر[٤] قابيل إلى شر قمحه فتقرب به إلى الله تعالى، فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل، ولم تحمل قربان قابيل، فعلم أن الله تعالى قد قبل من أخيه ولم يقبل منه فحسده، وهو قوله **﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال﴾** هابيل[٥] **﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾** قال ابن عباس: قال له هابيل: إنما يتقبل الله ممن كان زاكي القلب[٦].

والمعنى: من المتقين للمعاصي.

ـ قوله جل جلاله[٧] **﴿لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني [ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك]﴾** يقول هابيل لأخيه: لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل **﴿إني أخاف الله رب العالمين﴾** في قتلك.

---

(١) في (حـ، هـ) قوله وفي (د، و) قوله تعالى.

(٢) ليست في (أ) وفي (د) أي خبر.

(٣) في (هـ) إذا.

(٤) في (حـ) فنظر.

(٥) ليست في (حـ، د).

(٦) انظر تفسير ابن عباس ٩٢.

«لما أهبط آدم إلى الأرض كان له ولدان: هابيل وقابيل، فقرب كل واحد منهما قرباناً، وكان قربان هابيل خيراً من قربان قابيل، فتقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل، فحسده على ذلك، وقتل قابيل هابيل» (انظر تتمة المختصر ١/١٨، وتفسير مجاهد ١٩٣، والزجاج ٢/١٨٢، والطبري ٦/١٢٠ عن ابن عمرو وابن عباس ومجاهد وغيرهم، والدر ٢/٢٧٣ عنهم، والكامل لابن الأثير ١/٤٢ - ٤٣).

(٧) في (حـ، و) قوله تعالى، وفي (د، هـ) قوله.

ـ ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة[١]: تحتمل إثم قتلي[٢] وإثمك الذي كان منك قبل قتلي.

وقال الزجاج[٣]: ترجع إلى الله بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك. ﴿فتكون من أصحاب النار﴾ بالإثمين ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ قال ابن عباس: يريد: ان جهنم جزاء من قتل أخاه ظلماً[٤].

ـ قوله جل[٥] جلاله ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ قال مجاهد[٦]: [شجعته نفسه على قتل أخيه، وقال قتادة[٧]، زينت[٨] له نفسه[٩]، وقال ابن زباب[١٠] سهلت له ذلك، واختاره الأزهري فقال: المعنى: سهلت له نفسه قتل أخيه، أي: جعلته سهلاً وهونته[١١]. وتقدير الكلام: فصورت له نفسه أن قتل أخيه طوع له سهل عليه.

﴿فأصبح من الخاسرين﴾ قال ابن عباس: خسر دنياه[١٢] وآخرته، أما الدنيا فأسخط[١٣] والديه وبقي بلا أخ، وأما الآخرة فأسخط ربه وصار إلى النار[١٤].

أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد حدثنا محمد بن حماد، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق[١٥]، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ[١٦] قال: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل».

رواه مسلم عن ابن نمير عن أبي معاوية، ورواه البخاري عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه، كلاهما عن الأعمش[١٧]، أخبرنا أبو نصر أحمد بن علي القاضي[١٨] حدثنا محمد بن يعقوب[١٩]، حدثنا محمد بن إسحاق

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، وغرائب النيسابوري ٦/١١٦، والرازي ١١/٢٠٧ كلاهما عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة، ومجاهد ١٩٣، وغريب القرآن ١٤٢، والدر ٢/٢٧٤، والطبري ٦/١٢٤، وابن كثير ٢/٤٤ كلها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

(٢) في (و) إثم القتل.

(٣) انظر الزجاج ٢/١٨٢ ـ ١٨٣، والرازي ١١/٢٠٧، وغرائب النيسابوري ٦/١١٦ كلاهما عن الزجاج.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٢.

(٥) في غير (أ) قوله.

(٦) انظر تفسير مجاهد ١٩٣، والطبري ٦/١٢٦، وفتح القدير ٢/٣٢ كلاهما عن مجاهد، ومجاز القرآن ١/١٦٢.

(٧) في (و) سخابة يعني قتل لعن وقال مجاهد.

(٨) في (د) تزينت.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/١٢٦، والدر ٢/٢٧٥، وفتح القدير ٢/٣٢ كلها عن قتادة والتبيان ١/٤٣٢.

(١٠) في (د) يمان بن ديان: تسهلت، وفي (هـ، و) يمان: سهلت.

(١١) انظر تفسير الرازي ١١/٢٠٨ عن المفسرين، وفتح ٢/٣١، واللسان / طوع عن الأزهري.

(١٢) في غير (أ) خسر آخرته ودنياه.

(١٣) في (د) فسخط.

(١٤) انظر البحر ٣/٤٦٥، والخازن ٢/٤٠ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ٦/١٢٦، وغرائب النيسابوري ٦/١١٨.

(١٥) في (د) مشروق.

(١٦) في (حـ) عن عبد الله بن مسعود قال لا تقتل..

(١٧) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ـ باب إثم من سن القتل ٢/٤١.
والبخاري في الصحيح ـ كتاب بدء الخلق ـ باب (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) ٢/٢٢٩، وفي كتاب الديات ـ باب قول الله تعالى ﴿ومن أحياها..﴾ ٤/١٨٦ كلاهما من حديث ابن مسعود.

(١٨) في (د، و) العافي، لم أقف عليه.

(١٩) سبق.

الصغاني، حدثنا عفان، حدثنا همام، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ابن آدم الذي قتل أخاه عليه نصف عذاب أهل النار»[(١)].

أخبرنا أبو سعد بن أبي بكر الغازي[(٢)]، أخبرنا محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ[(٣)]، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الرفاء[(٤)]، حدثنا محمد بن حميد[(٥)]، حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق[(٦)]، عن حكيم بن جبير[(٧)] عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عمرو قال:

قال رسول الله ﷺ: «أشقى الناس رجلان: عاقر ناقة ثمود، وابن آدم الذي قتل أخاه، ما يسفك على الأرض دم إلا لحقه منه شيء لأنه أول من سن القتل»[(٨)].

ـ قوله عز وجل[(٩)] ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ قال المفسرون[(١٠)]: إن قابيل لما قتل أخاه تركه بالعراء، ولم يدر ما يصنع به، لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله في جراب على ظهره حتى أروح[(١١)] ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ يثير التراب من الأرض.

قال ابن عباس[(١٢)]: وكانا غرابين اقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، وقابيل ينظر، ثم بحث في الأرض حتى جعل له حفرة فدفنه فيها، ففعل قابيل مثلما فعل الغراب.

---

(١) الحديث: انظر الدر ٢/٢٧٦ «أخرجه ابن جرير والبيهقي في الشعب عن ابن عمرو» وكشف الأستار عن زوائد البزار ـ كتاب العلم ـ باب في من سن سنة سيئة رقم ١٩٠ عن ابن عمرو بلفظ «ابن آدم الذي قتل أخاه ليقاسم أهل النار نصف عذابهم قسمة صحاحاً» ١/١٠٧، والطبري «قال عبد الله بن عمرو: إنا لنجد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم» وقد روي عن النبي ﷺ بنحو ما روي عن ابن عمرو. ٦/١٢٥.

(٢) ذكر في موضع آخر باسم: محمد بن عبد الرحمن بن محمد الغازي، لم أقف عليه.

(٣) في (حـ) محمد بن أحمد بن إسحاق، وفي (و) أحمد بن محمد بن محمد بن إسحاق.

(٤) محمد بن إبراهيم الرفاء حدث عن إبراهيم بن سعيد الجوهري وروى عنه أبو بكر بن مسلم الختلي (تاريخ بغداد ١/٤٠٠).

(٥) محمد بن حميد الرازي أبو عبد الله الحافظ روى عن جرير بن عبد الحميد ويعقوب القمي وخلق وكان من أوعية العلم أثنى عليه أحمد، وقال ابن خزيمة: لو عرفه أحمد لما أثنى عليه خرج له الترمذي وأبو داود وقال ابن أبي شيبة: كثير المناكير، قال البخاري فيه نظر مات ـ سنة ٢٤٨ هـ (شذرات ٢/١١٨).

(٦) في (حـ) بين أبي إسحاق.

(٧) حكيم بن جبير الأسدي ـ ويقال مولى الحكيم بن أبي العاصي ـ الثقفي الكوفي ؛ـ روى عن أبي وائل والنخعي وأبي صالح السمان وغيرهم قال أحمد: ضعيف الحديث مضطرب وقال ابن معين: ليس بشيء وقال الدارقطني: متروك (تهذيب التهذيب ٢/٤٤٥ ـ ٤٤٦).

(٨) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ سورة المائدة ـ برواية «أشقى الناس ثلاثة.. ثم ذكر الحديث» ولم يذكر الثالث، قال الهيثمي: «قلت سقط من الأصل الثالث، والظاهر أنه قاتل علي رضي الله عنه وفيه ابن إسحاق وهو مدلس» ٧/١٤. وفي كتاب الفتن ـ باب فيمن سن القتل ـ عن ابن عمرو ٧/٢٩٩ والطبري في التفسير ٦/١٢٥ عن ابن عمرو، والجامع الصغير ١/٤٣ عن ابن عمر ورمز له بالصحيح.

(٩) في غير (أ) قوله.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٦/١٢٧ عن ابن عباس، وابن كثير ٢/٤٥ ـ ٤٦ عن السدي وابن عباس ومجاهد وعطية وابن إسحاق، والدر ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦ عن ابن مسعود وابن جريج ومجاهد وابن عباس، وفتح القدير ٢/٣٢ عن ابن مسعود وناس من الصحابة.

(١١) «أروح اللحم: تغيرت رائحته» (اللسان / روح).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٢، ومجاهد ١٩٤، والطبري ٦/١٢٧، والدر ٢/٢٧٦ كلاهما عن ابن عباس.

وتقدير الكلام: يبحث في الأرض على غراب ميت ﴿ليريه كيف يواري سوءة[١] أخيه﴾ كيف يستر جيفة أخيه، ﴿قال﴾ قابيل ﴿يا ويلتى﴾[٢] أي: قد لزمني الويل بحملي[٣] جيفة ميت ﴿أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين﴾ على حمله والتطواف به حين رأى الغراب فعل ذلك.

ـ قوله تعالى[٤] ﴿من أجل ذلك﴾ أي: بسبب قتل قابيل أخاه ﴿كتبنا[٥] على بني إسرائيل﴾ قال عطاء: قضينا، وقال الكلبي[٦]: فرضنا على بني إسرائيل ﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس﴾ وجب عليه[٧] القصاص ﴿أو فساد في الأرض﴾ يعني: الإشراك بالله ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ قال مجاهد: من[٨] قتل نفساً محرمة يصلى النار بقتلها، كما يصلاها لو قتل الناس جميعاً.

وقال المحسن [٩]: يجب عليه القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه القتل لو قتل الناس جميعاً.

وقال سعيد بن جبير[١٠] من استحل قتل نفس فهو كذلك في دماء الناس[١١] كلهم [لا يتحرج [١٢] لها. ﴿ومن أحياها﴾ مخافة من الله، وتحرجاً[١٣] من قتلها فكذلك يرى دماء الناس كلهم][١٤] حراماً.

وهذا كما يروى[١٥] عن قتادة والضحاك، أنهما قالا[١٦]: عظم الله أجرها، وعظم وزرها، فمن استحل قتل مسلم بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنهم لا يسلمون منه، ﴿ومن أحياها﴾ فحرمها وتورع عن قتلها ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ لسلامتهم عنه.

قال مجاهد[١٧]: ومن يقتلها فقد أحياها.

قوله[١٨] ﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ قال ابن عباس[١٩]: بأن لهم صدق ماجاءوا به من الفرائض والحلال والحرام[٢٠] ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ مجاوزون حد الحق.

إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي

---

(١) في (أ) سوأة.
(٢) في (هـ) يا ويلتا.
(٣) في (هـ) بحمل.
(٤) في غير (أ) قوله.
(٥) انظر معنى «كتب» في تفسير الآية ١٧٨، ١٨٣ من سورة البقرة.
(٦) وانظر مجاز القرآن ١/٦٦، والفراء ١/١١٠، والبحر ٢/٩، واللسان / كتب.
(٧) في (و) عليها.
(٨) في (حـ) وقال مجاهد، وفي (هـ) قال مجاهد، وانظر تفسير مجاهد ١٩٤، وابن كثير ٢/٤٧، وفتح القدير ٢/٣٣ كلاهما عن مجاهد، وغريب القرآن ١٤٣.
(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢/٤٧، وفتح القدير ٢/٣٤ كلاهما عن ابن زيد.
(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٢/٤٧ عن سعيد بن جبير والحسن.
(١١) في (و) المسلمين.
(١٢) في (د، و) يتحرم.
(١٣) في (د) وتحرجها.
(١٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ).
(١٥) في (د) روي.
(١٦) انظر تفسير قتادة ١١٨، وتفسير الطبري ٦/١٣١، وابن كثير ٢/٤٧ كلاهما عن قتادة.
(١٧) انظر تفسير مجاهد ١٩٤، والطبري ٦/١٣٠، وابن كثير ٢/٤٧ كلاهما عن مجاهد.
(١٨) في (حـ، هـ) قوله تعالى.
(١٩) انظر تفسير الطبري ٦/١٣٢.
(٢٠) في (حـ) ثم إن كثيراً منهم في الأرض.

ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

ـ قوله عز وجل [(١)] ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله. . .**﴾ الآية، نزلت في قصة العرنيين، وهي ما أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبد الله الشيباني [(٢)]، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا أبو مسلم الكجي، حدثنا عبد الرحمن بن حماد[(٣)]:

حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: أن رهطاً من عكل وعرينة[(٤)] أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف[(٥)]، فاستوخمنا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود أن يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها[(٦)]، فقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الزود، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وتركهم في الحرة حتى ماتوا على حالهم.

قال قتادة: ذكر لنا أن الآية نزلت فيهم ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله. . .**﴾ الآية رواه مسلم عن ابن المثنى[(٧)]، عن عبد الأعلى، عن سعيد، إلى قوله قتادة[(٨)].

---

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في (د) ابن الشيباني وفي أسباب النزول: أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي وهو: أحمد بن عبيد بن أحمد بن ثابت أبو نصر البخاري الفقيه المعروف بالثابتي قدم بغداد وهو حدث فسمع من أبي القاسم بن حبابة وأبي طاهر المخلص وأبي القاسم الصيدلاني وغيرهم ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الأسفراييني، كان ليناً توفي سنة ٤٤٧ هـ (تاريخ بغداد ٤/٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٣) عبد الرحمن بن حماد بن شعيب ـ ويقال ابن عمارة ـ أبو سلمة الشعيثي البصري ـ ويقال العنبري ـ سمع ابن عون وغيره وعنه البخاري وطائفة توفي سنة ٢١٢ هـ، (تهذيب التهذيب ٦/١٦٤، كتاب الجمع ١/٢٩١).

(٤) «عكل ـ بضم المهملة وإسكان الكاف ـ قبيلة من تيم الرباب، وعُرَينة ـ بالعين والراء المهملتين والنون مصغراً ـ: حي من قضاعة وحي من بجيلة، والمراد الثاني» (فتح الباري ١/٢٦٨).

(٥) «والريف: أرض فيها زرع» واستوخمنا: استثقلنا من الوخامة، أي: نحن أهل ماشية من ذوات الضرع، والمعنى: أنهم من أهل البادية لا من أهل المدن، والزود: من الإبل ما بين الثنتين إلى التسع ـ وكانت سنة ست ـ» (الفتح الرباني ١٦/١٢٤، وحاشية أ). «وسمل أعينهم»: السمل: أن تفقأ العين بحديد أو بغير ذلك.
وأما قطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، فيروى ـ والله أعلم ـ أن هذا كان في أول الإسلام قبل أن تنزل الحدود، فنسخ بالنهي عن المثلة» (غريب الحديث ١/١٧٣ ـ ١٧٥).

(٦) في (هـ) ففعلوا ذلك فصحوا.

(٧) في جميع النسخ «عن المثنى».

(٨) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب القسامة ـ باب حكم المحاربين والمرتدين ـ عن أنس ٢/٣٨.
وانظر تفسير الطبري ٦/١٣٣، وأسباب النزول للواحدي ١٤٤ كلاهما عن قتادة.
وانظر الحديث ـ صحيح البخاري ـ كتاب ـ الوضوء ـ باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها ـ عن أنس بألفاظ متقاربة ١/٥٣ ـ ٥٤. وفي مواضع أخرى من صحيح البخاري.

ومعنى ﴿يحاربون الله ورسوله﴾: يعصونهما ولا يطيعونهما، وكل من عصاك فهو حرب لك.

﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ أي: بالقتل[١] والسرقة وأخذ الأموال، فكل من أخذ السلاح على المسلمين فهو محـارب لله ولرسوله، وإن كان في بلد كالمكابر في البلاد، وهذا قول مالك والأوزاعي ومذهب الشافعي[٢].

وقوله تعالى[٣] ﴿أن يقتلوا . .﴾ إلى قوله ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: «أو»: دخلت للتخيير ومعناها: الإباحة، إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد[٤].

وقال ابن عباس ـ في رواية ـ عطية ـ: «أو»: ليست للإباحة، إنما هي مرتبة للحكم[٥] باختلاف الجناية، فمن قتل وأخذ المال صلب وقتل، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل، ومن أخاف[٦] السبيل ولم يقتل نفي، وهذا قول قتادة والسدي ومذهب الشافعي[٧].

قال الشافعي[٨]: ويحد كل واحد بقدر فعله، فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى، ثم حسمت[٩]، ثم رجله اليسرى ثم حسمت، وذلك معنى قوله ﴿من خلاف﴾.

وقوله ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ قال ابن عباس[١٠]: هو أن يهدر الإمام دمه، فيقول[١١]: من لقيه فليقتله هذا فيمن لم يقدر عليه.

فأما المقبوض عليه فنفيـه من الأرض بالحبس[١٢] والسجن، لأنه إذا سجن وضع من التقلب في البلاد فقد نفي منها أنشد ابن قتيبة وابن الأنباري قول بعض المسجونين:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها   فلسنا من الأحياء فيها ولا موتى

---

(١) في (د) القتل.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، وابن كثير ٢/ ٥٠ عن مالك والليث والأوزاعي وأحمد بن حنبل، والدر ٢/ ٢٧٩ عن الشعبي والأشعث وقتادة وعطاء، وفتح القدير ٢/ ٣٤ عن مالك، والشافعي وأبي ثور.

(٣) في غير (أ) قوله، وفي (هـ) قوله.

(٤) انظر تفسير مجاهد ١٩٥، والطبري ٦/ ١٣٨ عنهم، وكذا الدر ٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، وابن كثير ٢/ ٥٠ ـ ٥١ عنهم، وانظر أحكام القرآن ٢/ ٦٠٠ عن ابن المسيب ومالك.

(٥) في (د) الحكم.

(٦) في (د) خاف.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والطبري ٦/ ١٣٦ ـ ١٣٧ عن ابن عباس وقتادة والسدي، وسعيد بن جبير، والدر ٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ عن قتادة وعطاء وسعيد بن المسيب وابن عباس، وابن كثير ٢/ ٥١ عن ابن عباس وقتادة والسدي وغيرهم، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥٩٩ عن الحسن وقتادة وابن عباس والشافعي وجماعة.

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٦/ ١٢٤، وفتح القدير ٢/ ٣٥ ـ ٣٦ كلاهما عن الشافعي.

(٩) «والحسم: المنع، وحسمه الشيء يحسمه حسماً: منعه إياه» (اللسان / حسم).

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والزجاج ٢/ ١٨٦، وابن كثير ٢/ ٥١ عن ابن عباس.

(١١) في (د) فليقول.

(١٢) في (د) فأما المقبوض فنفيه من الأرض الحبس.

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا[١]

وقوله[٢] ﴿ذلك لهم خزي في الدنيا﴾ أي: فضيحة وهوان ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهذا للكفار الذين نزلت فيهم الآية.

ثم جرى حكم هذه الآية على المحاربين من المسلمين، فبقي العذاب العظيم في الآخرة للكافرين. والمسلم إذا عوقب بجنايته[٣] في الدنيا، كانت عقوبته كفارة له[٤].

ـ قوله تعالى[٥] ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ أكثر أهل التفسير: على أن المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها[٦] الله تعالى، ولا يطالب بشيء مما أصاب، لا مال ولا دم، وكذلك لو آمن من بعد القدرة عليه لم يطالب[٧] بشيء.

قال الزجاج[٨]: جعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك أدعى إلى الدخول في الإسلام.

فأما المسلم المحارب إذا تاب واستأمن من قبل القدرة عليه، فقال السدي[٩]:هو كالكافر إذا آمن لا يطالب[١٠] بشيء إلا إذا أصيب عنده مال بعينه فإنه يرد إلى أهله.

وبهذا حكم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في حارثة بن[١١] بدر،وكان قد خرج محارباً وذلك ما:

---

(١) انظر غرائب النيسابوري ١٢٦/٦ «قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال حبسه» وكذا تفسير الرازي ٢١٧/١١، والبحر ٤٧١/٣، وعيون الأخبار ٨١/١ ـ ٨٢.
وقبلهما: إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى...
وبعدها: وتعجبنا الرؤيا بحل حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

(٢) في (د) قوله.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) روى أبو داود في السنن ـ كتاب الحدود ـ باب ما جاء في المحاربة ـ عن محمد بن سيرين، قال: كان هذا قبل أن تنزل الحدود ـ يعني: حديث أنس. رقم ٤٣٧١.
وعن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في المشركين رقم ٤٣٧٢ ١٣٢/٤.

(٥) في (د، هـ، حـ) قوله.

(٦) في (د) التي ذكره الله ولا يطلب.

(٧) في (د) لم يطلب بشيء.
وانظر تفسير ابن عباس ٩٣، والطبري ١٤٢/٦ عن عكرمة والحسن ومجاهد، وابن كثير ٥٢/٢، والدر ٢٧٧/٢ عن ابن عباس ٢٧٩/٢ عن قتادة وعطاء، والبيان ٢٩٠/١.

(٨) انظر الزجاج ١٨٧/٢.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٤٣/٦ ـ ١٤٤، والدر ٢٧٩/٢ ـ ٢٨٠ كلاهما عن السدي.

(١٠) في (د) لا يطلب.

(١١) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني تابعي من أهل البصرة ـ وقيل أدرك النبي ﷺ له أخبار في الفتوح وقصة مع عمر وعلي، أمّره عليّ على قتال الخوارج توفي سنة ٦٤. (الأعلام ١٦٢/٢).

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا يحيى، حدثنا خالد [١]، عن عامر [٢] قال:

كان حارثة بن بدر التميمي أفسد [٣] في الأرض وحارب، فأتى سعيد بن قيس [٤] فانطلق سعيد إلى علي ـ رضي الله عنه ـ فقال يا أمير المؤمنين، ما جزاء من حارب وسعى في الأرض فساداً؟ قال: أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، قال: فإن تاب قبل أن يقدر عليه، قال: تقبل توبته، قال: فإنه حارثة بن بدر، فأتاه به فأمنه، وكتب له كتاباً[٥].

وقال الشافعي[٦]: يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله، ولا تسقط حقوق بني آدم ما كان قصاصاً أو مظلمة في مال.

ـ قوله عز وجل[٧] **﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله﴾** أي: اتقوا عقابه بطاعته **﴿وابتغوا﴾** أطلبوا **﴿إليه الوسيلة﴾** ومعنى «الوسيلة»[٨] الوصلة والقربة من وسل إليه، إذا تقرب إليه[٩].

[قال ابن عباس[١٠]: «وابتغوا إليه الوسيلة» القربة،وقال قتادة][١١]: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه[١٢]، وقال الكلبي: اطلبوا إليه[١٣] القربة بالأعمال الصالحة[١٤].

﴿وجاهدوا في سبيله﴾ في طاعته **﴿لعلكم تفلحون﴾** كي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

ـ قوله تعالى[١٥] **﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً...﴾** الآية[١٦]، أخبرنا الله تعالى أن

---

(١) مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام بن ذي مران بن شرحبيل بن ربيعة الكوفي روى عن الشعبي وغيره وعنه ابنه إسماعيل وإسماعيل بن أبي خالد ويحيى القطان وجرير بن حازم وخلق ضعفه ابن معين، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال مرة: ثقة توفي سنة ١٤٤ هـ. (تهذيب التهذيب ١٠/٣٩ ـ ٤٠).

(٢) في (جـ، و) عن الشعبي، وفي (د) ابن الشعبي.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) سعيد بن قيس بن زيد من بني زيد بن مريب فارسي من سلالة ملوك همذان كان خاصاً بالإمام علي بن أبي طالب وقاتل معه يوم صفين توفي سنة ٥٠ هـ.
(الأعلام ٣/١٥٣).

(٥) انظر تفسير الطبري ٦/١٤٣، وابن كثير ٢/٥٢، والدر ٢/٢٧٩، وفتح القدير ٢/٣٧، ومنتخب الكنز ١/٤٣٨ كلها عن الشعبي.

(٦) انظر الأم ٤/١٣٩ وما بعدها، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٠٣، وغرائب النيسابوري ٦/١٢٦، وذلك بعد القدرة عليه، وفتح القدير ٢/٣٦ كلها عن الشافعي، وضعفه الشوكاني.

(٧) في (جـ، هـ، و) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٨) في (هـ) الوصيلة، وفي (و) يعني الوسيلة.

(٩) انظر اللسان / وسل، والمصباح المنير: وسل، ومفردات الراغب: وسل.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والزجاج ٢/١٨٧، ومجاز القرآن ١/١٦٤، وابن كثير ٢/٥٢ عن ابن عباس، والمستدرك ٢/٣١٢ عن حذيفة، وفتح القدير ٢/٣٨ عن ابن عباس وحذيفة.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(١٢) في (د) أطلبوا القربة.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٦/١٤٧، وابن كثير ٢/٥٢، والدر ٢/٢٨٠ وفتح القدير ٢/٣٨ كلها عن قتادة.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، ومجاهد ١٩٥، وغريب القرآن ١٤٣، والطبري ٦/١٤٦ عن أبي وائل، والدر ٢/٢٨٠.

(١٥) في غير (أ) قوله.

(١٦) وتمامها **﴿ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم﴾**.

الكافر يوم القيامة لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها، ثم[١] فدى بذلك نفسه من العذاب لم يقبل منه ذلك الفداء، ثم أخبر أنهم خالدون في النار لا يخرجون فقال:

- ﴿**يريدون أن يخرجوا من النار**﴾ وإراداتهم الخروج يحتمل وجهين: أحدهما: أنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج[٢] منها، كما قال الله تعالى: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾[٣].

والثاني[٤]: أنهم يتمنون ذلك ويردونه بقلوبهم، كقوله تعالى ﴿ربنا أخرجنا منها﴾[٥] قال الله تعالى ﴿**وما هم بخارجين منها**﴾.

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر المزكي، أخبرنا أبو علي بن أبي موسى[٦] أخبرنا الحسين بن محمد بن مصعب[٧]، حدثنا يحيى بن حكيم، حدثنا أبو داود [٨]، حدثنا المسعودي، عن يزيد الفقير [٩] عن جابر قال: يخرج قوم من النار بعد أن احترقوا، قال: قلت: أليس الله يقول[١٠]: ﴿**يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها**﴾؟ قال: اقرأ ما قبلها، إنما هذه للكفار ﴿**إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه...**﴾ الآية كلها[١١].

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾

- قوله عز وجل[١٢] ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما**﴾ قال الحسن والسدي والشعبي: أراد الأيمان[١٣].

---

(١) في (د) ثم قال فدى.

(٢) في (و) الخروج.

(٣) سورة السجدة / ٢٠.

(٤) في (د) للثاني.

(٥) سورة المؤمنون / ١٠٧.

(٦) في (هـ) أبو علي بن موسى.

(٧) في (د) الحسن.

(٨) أبو داود الطيالسي: الحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الأصل مولى آل الزبير البصري أحد الأعلام الحفاظ قال الفلاس وابن المديني: ما رأيت أحفظ منه، وقال رفيقه ابن مهدي: هو أصدق الناس توفي سنة ٢٠٤ هـ. (تذكرة الحفاظ ١/٣٥١-٣٥٢).

(٩) سمي فقيراً، لوجع كان بفقار ظهره، وهو يزيد بن صهيب (عمدة القوي والضعيف ص ١٩) وهو يزيد بن صهيب الفقير أبو عثمان الكوفي قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي: ثقة وقال أبو حاتم وابن خراش صدوق سمع جابر بن عبد الله وغيره (كتاب الجمع ٢/٥٧٤ ـ ٥٧٥، وتهذيب التهذيب ١١/٣٣٨).

(١٠) في (أ) يقول الله تعالى.

(١١) انظر الدر ٢/٢٨٠، وفتح القدير ٢/٣٨ كلاهما عن يزيد الفقير، وانظر تفسير الطبري ٦/١٤٧ عن يزيد النحوي عن عكرمة أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس...

(١٢) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (جـ) قوله.

(١٣) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٢ والخازن ٢/٤٧ عن الحسن والسدي والشعبي، والطبري عن ابن مسعود وإبراهيم والسدي ٦/١٤٨.

وكذلك في قراءة عبد الله ﴿فاقطعوا أيمانهما﴾[١] وأراد: يميناً من هذا ويميناً من هذه فجمع قال الفراء والزجاج[٢]: كل شيء موحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤوسهما وملئت ظهورهما وبطونهما ضرباً، ومثله قوله تعالى ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾[٣] وذلك أن الإضافة تبين أن المراد بالجمع التثنية، فإذا قلت: شبعت بطونهما، علم أن للاثنين بطنين والتثنية في «هما» أغنتك عن التثنية في «بطن».

وهذه الآية مجملة في إيجاب القطع على السارق، وتفصيل ذلك مأخوذ من السنة وقوله[٤] ﴿جزاء بما كسبا﴾ قال الزجاج: نصب لأنه مفعول له، والمعنى فاقطعوهما لجزاء فعلهما، وكذلك ﴿نكالا من الله﴾.

قال ابن شهاب نكل الله بالقطع في السرقة عن أموال الناس.

﴿والله عزيز﴾ في انتقامه من السارق ﴿حكيم﴾ فيما أوجبه من قطع يده.

قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة وبجنبي أعرابي، فقرات هذه الآية فقلت: نكالاً من الله والله غفور رحيم ـ سهواً ـ فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ قلت كلام الله، قال أعد، فأعدت «والله غفور رحيم» فقال ليس هذا كلام الله، فتنبهت وقرأت «والله عزيز حكيم» فقال: أصبت هذا كلام الله، قلت له: أتقرأ القرآن؟ قال: لا قلت: فمن أين علمت أني أخطأت؟ قال: يا هذا، عز فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع.[٥]

ـ قوله عز وجل[٦] ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾ قال ابن عباس[٧]: أي تاب بنية صادقة وترك ظلم الناس فإن الله يتجاوز عنه [ولا يسقط عنه القطع بالتوبة. قال مجاهد (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح) تاب الله عليه والحد كفارة له[٨].

وقال الكلبي[٩]: ﴿فمن تاب بعد ظلمه وأصلح﴾ العمل بعد القطع والسرقة فإن الله يتجاوز عنه][١٠].

ـ قوله تعالى[١١] ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء﴾ قال الضحاك[١٢]: يعذب من يشاء على الذنب الصغير إذا قام عليه ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ الذنب الكبير إذا نزع عنه.

وقال السدي[١٣]: يهدي من يشاء فيغفر له، ويعذب من يشاء فيميته على كفره.

---

(١) انظر الزجاج ٢/١٨٩، والرازي ١١/٢٢٧ وهي قراءة شاذة والتبيان ١/٤٣٥ والدر ٢/٢٨٠ والفراء ١/٣٠٦ ومختصر الشواذ لابن خالويه ٣٣ كلها عن ابن مسعود.

(٢) انظر الفراء ١/٣٠٦ ـ ٣٠٧، والخزانة ٧/٥٣٥ عن الفراء والزجاج ٢/١٨٩ والبيان ١/٢٩٠ وقال أبو عبيدة: «ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الجمع موقع هذا الجمع على الاثنين» (مجاز القرآن ١/٩ ـ ١٠).

(٣) سورة التحريم / ٤.

(٤) في (د، هـ) قوله.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٩٠ والرازي ١١/٢٢٩ عن الزجاج.

(٦) انظر البحر ٣/٣٨٣ والرازي ١١/٢٢٩ عن الأصمعي.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٣ والقرطبي ٦/١٧٤ والرازي ١١/٢٣٠.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/١٤٩ والدر ٢/٢٨١ وفتح القدير ٢/٤٠ كلها عن مجاهد.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والطبري ٦/١٤٩ عن ابن عباس.

(١٠) ما بين المعقوفتين مكرر في (د).

(١١) في غير س(أ) قوله.

(١٢) انظر البحر ٣/٤٨٥ عن ابن عباس والضحاك، والبغوي ٢/٥٠ عن ابن عباس والطبري ٦/١٠٦.

(١٣) تقدم مثل ذلك عن السدي عند تفسير الآية ١٨ من السورة.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

ـ قوله جل جلاله[١] **﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾** قال الزجاج[٢]: أي لا يحزنك مسارعتهم في نصرة الكفر إذ كنت موعوداً النصر[٣] عليهم.

وقوله **﴿من الذين قالوا ءامنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾** قال ابن عباس[٤]: هم المنافقون **﴿ومن الذين هادوا﴾** يعني يهود المدينة **﴿سماعون للكذب﴾** [أي: فريق سماعون للكذب][٥] يسمعون منك ليكذبوا عليك[٦]، أي: إنما يجالسونك ويسمعون منك ليكذبوا عليك، ويقولوا إذا خرجوا من عندك: سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منك.

﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ يعني: يهود خيبر.

قال الزجاج: أي: هؤلاء عيون لأولئك الغُيَّب، ينقلون إليهم أخبارك[٧].

﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ [من بعد أن وضعه الله مواضعه][٨] يعني: آية الرجم **﴿يقولون﴾** يعني يهود

(١) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٢) انظر الزجاج ٢/١٩٠.

(٣) في (جـ) إذا كنت، وفي (د) إذا كنت موعوداً، وفي (و) بالنصر..

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٣، والدر ٢/٢٨١. وفتح القدير ٢/٤٣ كلاهما عن ابن عباس، والزجاج ٢/١٩١.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (جـ).

(٦) في (د) منكم ليكذبوا عليكم.

(٧) انظر الزجاج ٢/١٩١.

(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

خيبر ليهود المدينة ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ قال المفسرون[١]: إن رجلاً وامرأة من أشرف أهل خيبر زنيا فكان حدهما الرجم، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فبعثوا الزانيين إلى بني قريظة ليسألوا محمداً ﷺ عن قضائه في الزانيين إذا أحصنا، ما حدهما، قالوا: إن أفتاكم بالجلد فخذوه واجلدو الزانيين وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به، فذلك قوله تعالى ﴿إن أوتيتم هذا﴾[٢] يعني: الجلد ﴿فخذوه﴾ فاقبلوه واعملوا به ﴿وإن لم تؤتوه﴾ يعني: الجلد ﴿فاحذروا﴾ أن تعملوا بغير الجلد.

حدثنا[٣] القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري ـ إملاءً سنة عشر وأربعمائة أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسي، حدثنا محمد بن حماد الأبيوردي، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن البراء بن عازب قال:

مُر على النبي[٤] ﷺ بيهودي محمماً[٥] مجلوداً، فدعاهم، فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا[٦]: نعم، فدعا رجلاً من أشرافهم فقال أنشدك بالله[٧] الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال: لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتاب الرجم، ولكنه كثر[٨] في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا[٩] [الشريف تركناه[١٠]، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه حد الله، فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على[١١]] الشريف والوضيع، فاجتمعنا[١٢] على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ إلى قوله ﴿إن أوتيتم هذا فخذوه﴾. يقولون: ائتوا محمداً ﷺ فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا.

رواه مسلم عن يحيى بن يحيى، عن أبي معاوية[١٣].

وقوله[١٤] ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ قال ابن عباس ومجاهد: ضلالته[١٥]، وقال الحسن وقتادة[١٦]: عذابه، وقال

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٩٤، والزجاج ٢/١٩٢ ـ ١٩٣ والفتح الرباني ١٨/١٢٩ والدر ٢/٢٨١ ـ ٢٨٣ عن أبي هريرة وابن عباس وجابر، وابن كثير ٢/٥٩، وفتح القدير ٢/٤٣ ـ ٤٤ عن أبي هريرة وابن عمر، والطبري ٦/١٥٠ عن أبي هريرة والرازي ١١/٢٣٢ ـ ٢٣٣ عن المفسرين وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦١٩ ـ ٦٢٠.

(٢) في (جـ، هـ، و) هذا فخذوه يعني الجلد فاقبلوه.

(٣) في (د، و) أخبرنا.

(٤) في (د) رسول الله يهودي.

(٥) «محمماً» وهو تسويد الوجه بالفحم (حاشية أ).

(٦) في (جـ) فقالوا.

(٧) في (د) أنشدك الله.

(٨) في (جـ) لما كبير وفي (د) لما كبير من.

(٩) في (جـ) وجدنا.

(١٠) في (د) تركاه.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (جـ).

(١٢) في (و) فأجمعنا، وعند مسلم: فجعلنا.

(١٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الحدود ـ باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنى ٢/٥٤ ـ ٥٥. وأبو داود في السنن ـ كتاب الحدود ـ باب في رجم اليهوديين رقم ٤٤٤٨ ٤/١٥٤. ومسند أحمد ٤/٢٨٦، وأسباب النزول للواحدي ١٤٥، وللسيوطي ١٠٦/، والطبري ٦/١٥٠. كلهم من حديث البراء بن عازب مع تغاير في بعض الألفاظ.

(١٤) في (جـ، هـ، د) وقوله في (و) ضلاله.

(١٥) انظر البحر ٣/٤٨٨ عن ابن عباس ومجاهد والدر ٢/٢٨٣ عن ابن عباس، والطبري ٦/١٥٤، وغرائب النيسابوري ٦/١٤٣ ،وفتح القدير ٢/٤١.

(١٦) انظر البحر ٣/٤٨٨ عن الحسن وقتادة.

الزجاج: قيل فضيحته وقيل: كفره[١].

﴿**فلن تملك من الله شيئاً**﴾ لن تغني عنه، ولن تدفع عذاب الله عنه ﴿**أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم**﴾.

وقال ابن عباس[٢]: أن يخلص نياتهم، وقال الزجاج: أن يهديهم [٣]. ودلت هذه الآية على أن الله تعالى غير مريد إسلام الكافر، وأنه لم يطهر قلبه من الشك والشرك، ولو فعل ذلك لآمن، فهذه الآية من أشد الآيات على القدرية.

وقوله [٤] ﴿**لهم في الدنيا خزي**﴾ خزي المنافقين: هتك سترهم بإطلاع النبي ﷺ على كفرهم، وخزي اليهود: فضيحتهم بظهورهم وكذبهم في كتابه الرجم وأخذ الجزية منهم.

﴿**ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾ وهو الخلود في النار.

ـ قوله جل جلاله[٥]﴿**سماعون للكذب**﴾ قال الحسن [٦]: يعني حكام اليهود يسمعون الكذب ممن يكذب عندهم في دعواهم ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونها، فسمعوا كذبه وأكلوا رشوته فهو قوله ﴿**أكالون للسحت**﴾ وهو كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار[٧]، والمراد بـ «السحت» ها هنا: الرشوة في الحكم.

قال مسروق: كنت جالساً عند عبد الله[٨] بن مسعود فقال له رجل: ما السحت قال: الرشى في الحكم[٩].

أخبرنا الفضل بن أحمد بن محمد بن إبراهيم[١٠]، أخبرنا أبو علي بن أبي موسى، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي[١١]، حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن نافع[١٢]، حدثنا علي بن الحسن السامي[١٣]،

---

(١) انظر الزجاج ٢/١٩٣، والبحر ٣/ ٤٨٨ عن الزجاج ومجاز القرآن ١/١٦٦ وتفسير ابن عباس ص ٩٤.

(٢) انظر تفسير الخازن ٢/٥٤ عن ابن عباس.

(٣) انظر الزجاج ٢/١٩٣.

(٤) في (د، هـ) قوله.

(٥) في غير (أ) قوله.

(٦) انظر تفسير الرازي ١١/٢٣٥، والبحر ٣/٤٨٨ كلاهما عن الحسن، والطبري ٦/١٥٤ ـ ١٥٥ عن الحسن وقتادة والدر ٢/١٨٣ عن ابن عباس والحسن.

(٧) انظر مجاز القرآن ١/١٦٦، وغريب القرآن ١٤٣، واللسان / سحت ومفردات الراغب / سحت.

(٨) في (د) عند ابن مسعود.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/١٥٤ ـ ١٥٥، والدر ٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣، وفي كليهما: «الرشي في الدين قال سفيان: يعني في الحكم»، ومنتخب الكنز ١/٤٣٨ عن مسروق، وذكر الطبري «قيل لعبد الله: ما السحت؟ قال الرشوة قالوا: في الحكم؟ قال: ذلك الكفر» وروى الأثر عن الضحاك وابن عباس ٦/١٥٥.

(١٠) في (أ، هـ، و) الفضيل، وفي الفضيل بن محمد، سبق ٣٠٣.

(١١) في (د) سرور الأنماطي، وهو: محمد بن إبراهيم بن نيروز أبو بكر سمع محمد بن عمرو بن نافع ويزيد بن محمد الرمادي وأبا حفصة وغيرهم وعنه الدارقطني وجماعة ذكره يوسف القواس في جملة شيوخه توفي سنة ٣١٨ هـ.
(شذرات ٢/٢٨٠، وتاريخ بغداد ١/٤٠٨).

(١٢) في (د) رافع وهو: محمد بن عمرو بن نافع المصري حدث عنه محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي. (تاريخ بغداد ١/٤٠٨ في ترجمة ابن نيروز).

(١٣) علي بن الحسن بن يعمر السامي عن سعيد بن أبي عروبة ومالك وعنه الربيع بن سليمان المرادي وجماعة قال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب.
(الميزان ٣/١١٩).

حدثنا خليد بن دعلج [١] عن قتادة، عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ: من أخذ رشوة في الحكم كانت ستراً بينه وبين الجنة[٢] وقوله[٣] ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ هذا تخيير للنبي ﷺ في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه، إن شاء حكم وإن شاء ترك.

قال إبراهيم والشعبي وعطاء وقتادة[٤]: هذا التخيير ثابت[٥] اليوم لحكام المسلمين، إن شاءوا حكموا بينهم بحكم الإسلام، وإن شاءوا أعرضوا.

وقال الحسن وعكرمة والسدي[٦]: هذا التخيير منسوخ بقوله ﴿وأن احكم بما أنزل الله﴾ ومذهب الشافعي - رضي الله عنه - أنه يجب على الحاكم منا أن يحكم بين أهل الذمة الذين قبلوا الجزية ورضوا بجريان أحكامنا عليهم إذا تحاكموا إليه، لأن في إمضاء حكم الإسلام عليهم صغاراً لهم[٧].

وقوله[٨] ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ قال عكرمة عن ابن عباس[٩]: كان النضير أشرف من قريظة، فكان إذا قتل رجل النضير[١٠] رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، وإذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا نقتله[١١]، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ فأتوه فنزلت ﴿وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾ النفس بالنفس.

- قوله عز وجل[١٢] ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾ هذا تعجيب[١٣] من الله تعالى لنبيه ﷺ

---

(١) في (د) دحلج، وهو: خليد بن دعلج السدوسي سكن الموصل ثم حدث بدمشق ثم سكن بيت المقدس روى عن قتادة وعطاء وثابت البناني وعن سخبرة وضمرة بن ربيعة والوليد بن سليم وغيرهم قال أحمد وابن معين ضعيف وقال أبو حاتم: صالح ليس بالمتين حدث عن قتادة أحاديث منكرة، وقد عده الدارقطني في المتروكين ولم يخرج له أحد من الستة، وقال أبو عروبة: كذاب يضع الحديث كذب كذباً فاحشاً.

(تهذيب التهذيب ٣/١٥٨، الميزان ١/٦٦٤، والموضوعات ١/١٤٤).

(٢) الحديث: انظر كنز العمال ٦/١٢٠ عن أنس بلفظ «لعن آخذ الرشوة في الحكم كانت ستراً بينه وبين الجنة». بدون عزو.

(٣) في (جـ، د) قوله.

(٤) انظر تفسير الطبري ٦/١٥٨، والرازي ١١/١٣٥ كلاهما عن الشعبي وعطاء وقتادة وغيرهم، والدر ٢/٢٨٥ عن الشعبي والزهري وعطاء.

(٥) في (هـ) تخيير اليوم.

(٦) في (و) وقتادة، وانظر الطبري ٦/١٥٨ عنهم وكذا الرازي١/٢٣٥والزجاج٢/١٩٤ - ١٩٥، والدر ٢/٢٨٤ - ٢٨٥ عن ابن عباس وعكرمة والسدي، ٢/٢٩٠ عن مجاهد وقتادة وابن عباس، وابن كثير ٢/٦٠ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم والمستدرك - كتاب التفسير «صحيح الإسناد» عن ابن عباس ٢/٣١٢.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ٦/١٤٥، وفتح القدير ٢/٤٢ كلاهما عن الشافعي وغيره والرازي ١١/٢٣٥.

(٨) في غير (أ) قوله.

(٩) انظر مجمع الزوائد ٧/١٥ - ١٦، والفتح الرباني ١٨/١٣٠، والدارقطني ٣/١٩٨ وزوائد ابن حبان ٤٣٠ والنسائي ٨/١٨ - ١٩ وابن كثير ٢/٦٠ والدر ٢/٢٨٤ - ٢٨٥ رقم ٤٤٩٤ عن ابن عباس ٤/١٦٨.

(١٠) في (د) من بني النضير.

(١١) في (د) ادفعوه إليه بقتله.

(١٢) في (جـ، هـ) وقوله، وفي (د) قوله، وفي (هـ) قوله (وكيف يحكونك) هذا.

(١٣) في (د) تعجب، وفي (أ، جـ، د، هـ) نبيه.

من تحكيم اليهود إياه بعد علمهم بما في التوراة من حكم الزاني وحده، ثم إعراضهم وتركهم القبول لحكمه، فعدلوا عما يعتقدونه حكماً إلى ما يجحدون أنه من عند الله، طلباً للرخصة، فظهر جهلهم في هذه القصة.

وقوله[١] ﴿فيها حكم الله﴾ قال ابن عباس: يريد[٢]: الرجم ﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ أي: يعرضون عما في التوراة من الحكم ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾[٣] وما أولئك الذين[٤] يعرضون عن الرجم بالمؤمنين[٥].

ـ قوله تعالى[٦] ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى﴾ بيان الحكم الذي جاءوا يستفتون فيه النبي ﷺ ﴿ونور﴾ بيان أن أمر محمد ﷺ حق ﴿يحكم بها النبيون﴾ من لدن موسى إلى عيسى.

قال ابن عباس[٧]: وذلك أن الله بعث في بني إسرائيل ألوفاً من الأنبياء ليس معهم كتاب، إنما بعثهم بإقامة التوراة، وهو قوله ﴿الذين أسلموا﴾ أي: الذين انقادوا لحكم التوراة.

﴿للذين هادوا﴾ قال ابن عباس[٨]: تابعوا من الكفر، أي يحكمون بالتوراة لهم وفيما بينهم.

﴿والربانيون والأحبار﴾ فقهاء اليهود وعلماؤهم، واحدها حَبْر وحِبْر ﴿بما استحفظوا من كتاب الله﴾.

قال ابن عباس[٩]: بما استودعوا وكلفوا حفظه من كتاب الله ﴿وكانوا عليه شهداء﴾ كانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله ﴿فلا تخشوا الناس﴾ في إظهار صفة محمد ﷺ.

﴿واخشون﴾[١٠] في كتمان ذلك والخطاب لعلماء اليهود ﴿ولا تشتروا﴾ ولا تستبدلوا ﴿بآياتي﴾[١١] بأحكامي وفرائضي ﴿ثمناً قليلاً﴾ يعني: متاع[١٢] الدنيا، وهو قليل، لأنه ينقطع ويذهب.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [اختلفوا في هذا وفيما بعده من قوله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم][١٣] الظالمون﴾، ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾.

فقال جماعة[١٤] إن الآيات الثلاث نزلت في الكفار ومن غيَّر حكم الله من اليهود وليس في أهل الإسلام منها شيء، لأن المسلم ـ وإن ارتكب كبيرة ـ لا يقال له كافر وهذا قول قتادة والضحاك وأبي صالح ورواية البراء عن النبي ﷺ.

---

(١) في (و) قوله.
(٢) نظر تفسير ابن عباس ٩٤، والطبري ٦/١٠٦ عن السدي.
(٣) في (د) المؤمنين.
(٤) في (جـ) الذين أي.
(٥) في (د) بمؤمنين.
(٦) في (جـ، د) قوله.
(٧) انظر تفسير ابن عباس ٩٤.
(٨) انظر الزجاج ٢/١٩٥ والقرطبي ٦/١٨٩ والزاهر ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٦.
(٩) انظر غريب القرآن ١١٤ والزجاج ٢/١٩٥.
(١٠) في غير (د) واخشوني.
(١١) ليست في (و)، وفي (جـ، د) بآياتي أي.
(١٢) في (و) متاع الحياة الدنيا.
(١٣) ما بين المعقوفتين مكرر في (أ).
(١٤) انظر مسند أحمد ١/٢٤٦، والفتح الرباني ١٨/١٣٠ ـ ١٣١، والطبري ٦/١٦٣ ـ ١٦٤ عن أبي صالح والضحاك وعكرمة وغيرهم، وابن كثير ٢/١٦٠ ـ ١٦١ عن ابن عباس وقتادة ومقاتل، والدر ٢/٢٨١ عن ابن عباس، ٢/٢٨١ عن ابن عباس وأبي صالح والضحاك.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي[(١)]، أخبرنا أبو الهيثم أحمد بن محمد بن محمد بن غوث الكندي[(٢)]، حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة عن البراء بن عازب:

عن النبي ﷺ: أنه رجم يهودياً ويهودية ثم قال ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، [﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾][(٣)]، ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ قال: نزلت كلها في الكفار.

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي[(٤)] شيبة[(٥)].

قال قتادة في الآيات الثلاث[(٦)]: ليست والله كما تأولها أهل الشبهات وأهل البدع وأهل الفرى على الله وعلى كتابه، وإنما أنزل ما تسمعون في أهل الكتاب حينما نبذوا كتاب الله، وعطلوا حدوده، وتركوا أمره، وقتلوا رسله.

وقال الوالبي عن ابن عباس[(٧)]: من جحد شيئاً من حدود الله فقد كفر، ومن أقرها ولم يحكم بها فهو ظالم فاسق.

وقال طاووس[(٨)]: قلت لابن عباس، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر؟قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله.

وقال عبد العزيز بن يحيى[(٩)]: إنها تقع على جميع ما أنزل الله،لا على بعضه وكل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، وأما من حكم بما أنزل الله من التوحيد وترك الشرك، ثم لم يحكم بما أنزل الله من الشرائع فليس هو من أهل هذه الآية.

وقال ابن مسعود والحسن والسدي[(١٠)] هذه الآيات عامة في اليهود وفي هذه الأمة[(١١)] فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر.

---

(١) في (د) أبو محمد، وفي (و) عبد الله بن محمد.
(٢) في (د) بن عون الكندي، لم أقف عليه.
(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).
(٤) في (هـ) بكر بن شيبة.
(٥) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الحدود ـ باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ـ عن البراء (٢/٥٤ ـ ٥٥).
(٦) انظر تفسير الطبري ٦/١٦٤، والدر ٢/٢٨٨ كلاهما عن قتادة.
(٧) انظر تفسير الطبري ٦/١٦٦، وابن كثير ٢/٦١، والدر ٢/٢٨٦، وفتح القدير ٢/٤٥ كلها عن ابن عباس.
(٨) انظر الطبري ٦/١٦٦، وابن كثير ٢/٦١، والدر ٢/٢٨٦، وفتح القدير ٢/٤٥ وأحكام القرآن ٢/٦٢٥ كلها عن طاووس عن ابن عباس والمستدرك ـ كتاب التفسير «صحيح الإسناد» عن ابن عباس ٢/٣١٣.
(٩) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي سمع عبد الله بن معاذ الصنعائي ومروان بن معاوية وابن عيينة والشافعي وغيرهم قدم بغداد في أيام المأمون وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القرآن وكان من أهل الفضل والعلم وله مصنفات توفي سنة ٢٤٠ هـ (تاريخ بغداد ١٠/٤٤٩، والعبر ١/٣٤١) وانظر الأثر في تفسير الرازي ١٢/٦، وغرائب النيسابوري ٦/١٤٩ كلاهما عن عبد العزيز بن يحيى الكناني.
(١٠) انظر تفسير الطبري ٦/١٦٦ عنهم، وابن كثير ٢/٦١ عنهم والدر ٢/٢٨٣، ٢٨٦ عن ابن مسعود والحسن والنخعي.
(١١) في (و) هذه الآية.

أخبرنا أبو بكر الحارثي [١]، أخبرنا عبد الله بن محمد بن حيان[٢]، حدثنا أبو يحيى الرازي[٣]، حدثنا سهل بن عثمان العسكري [٤]، حدثنا أبو عبيدة [٥] عن عمار، عن مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن ابن مسعود قال: ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو ظالم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو فاسق[٦].

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)

- قوله عز وجل [٧] ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس**﴾ قال الوالبي عن ابن عباس [٨]: أخبر الله بحكمه في التوراة وهو أن النفس تقتل بالنفس، إلى قوله ﴿**والجروح قصاص**﴾ فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقؤون بالعين[٩] العينين.

وقال مجاهد عن ابن عباس: ان [الله كتب][١٠] على بني إسرائيل القصاص في القتل، ليس بينهم دية في نفس ولا جرح، وذلك قوله تعالى ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس**﴾ تقتل ﴿**بالنفس والعين**﴾ تفقأ ﴿**بالعين**﴾.

ومن رفع[١١] «العين» فإنه عطف جملة على جملة، ولم يجعل الواو للاشتراك في الناصب كما جعله من نصب.

وقوله ﴿**والجروح قصاص**﴾ تعميم بعد التخصيص، لأنه ذكر العين بالعين والأنف بالأنف وما بعدهما، وهذا من

(١، ٢، ٣، ٤) سبق.

(٥) في (جـ، د، هـ) عبيده.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٦١ عن مسروق وعلقمة عن ابن مسعود والدر ٢/ ٢٨٣ عن مسروق عن ابن مسعود.

(٧) في غير (أ) قوله، وفي (د) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٦٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٦٢٥، وابن كثير ٢/ ٦٢، والدر ٢/ ٢٨٨ وفتح القدير ٢/ ٤٨ كلها عن ابن عباس.

(٩) في (جـ) بالنفس النفس ويفقؤون العين بالعين.

(١٠) من (هـ). وانظر الدارقطني ٣/ ٩٩٩، والزجاج ١/ ٢٣٤، والرازي ١٢/ ٧ وأحكام القرآن ٢/ ٦٢٥، والطبري ٦/ ١٦٧ - ١٦٨ والدر ١/ ١٧٣ كلها عن ابن عباس.

(١١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (والعينَ بالعين والأنفَ بالأنف والأذنَ بالأذن والسنَ بالسن) كلها بالنصب (والجروحُ) رفعاً وحجتهم ذكرها اليزيدي عن أبي عمر: رفع على الابتداء: يعني: والجروحُ من بعد ذلك قصاص، وحجة أخرى: هي إنما اختيار والانقطاع عن الكلام الأول والاستئناف بـ (الجروح) لأن خبر الجروح يتبين فيه الإعراب.
وقرأ الكسائي - كلها بالرفع - وحجته في ذلك صحة الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قرأ (والعينُ بالعين والأنفُ بالأنف) - كلها بالرفع - قال الزجاج: رفعه على العطف على موضع (النفس بالنفس) والعامل فيها المعنى «وكتبنا عليهم» النفس «أي قلنا لهم النفس» ويجوز أن يكون على الاستئناف.
واختار الفراء الرفع، وقد أجمعوا على الرفع في قوله ﴿**إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**﴾ - سورة الأعراف/ ١٢٨ - فكان إلحاق ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى.
وقرأ نافع وعاصم وحمزة - جميع ذلك بالنصب - وحجتهم: أنهم جعلوا الواو للاشتراك في النصب (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٥ - ٢٢٧، والسبعة ٢٤٤، والنشر ٢/ ٢٥٤، والتبيان ١/ ٤٣٩، والزجاج ٢/ ١٩٦، والفراء ١/ ٢٩٠ - ٣١٠).

الجروح أيضاً، والقصاص في الجروح إنما يثبت فيما يمكن أن يقتص فيه[١]، مثل الشفتين والذكر والأنثيين والقدمين واليدين، فأما ما لا يمكن القصاص فيه من رضّة[٢] لحم أو كسر عظم أو جراحة في البطن ففيه أرش[٣].

وقوله ﴿فمن تصدق به﴾ أي: عفا عن القصاص الذي وجب له ﴿فهو كفارة له﴾ قال ابن عباس[٤]: مغفرة له عند الله وثواب عظيم، وقال الشعبي[٥]: كفارة لمن تصدق به.

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري[٦]، حدثنا عمر بن الخطاب[٧]، حدثنا عبد الله بن الفضل[٨]، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير، عن مغيرة[٩]، عن الشعبي عن عبادة[١٠] بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق من جسده بشيء[١١] كفر الله عنه بقدره من ذنوبه»[١٢].

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

ـ قوله جل جلاله[١٣] ﴿وقفينا على ءاثارهم بعيسى ابن مريم﴾ أي: جعلناه يقفو آثار النبيين الذي كانوا قبله، أي: يتبعهم في شرعهم وكتابهم، وهو قوله ﴿مصدقاً[١٤] لما بين يديه من[١٥] التوراة﴾ بعث عيسى بتصديقه.

﴿وءاتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾ ليس هذا تكريراً[١٦] للأول، لأن الأول

---

(١) في (د) منه فيه.

(٢) و«الرض: الدق الجريش، رض الشيء يرضه رضاً فهو مرضوض ورضيض ورضرضة: لم ينعم دقه وقيل رضه رضاً كسره، ورضاضة: كسارة» (اللسان / رضض).

(٣) والأرش من الجراحات: ليس له قدر معلوم، وقيل: هو دية الجراحات (اللسان / أرش).

(٤) انظر تفسير البحر ٤٩٧/٣ والبغوي ٥٩/٢ كلاهما عن ابن عباس وغيره والفراء ٣١٢/١، وفتح القدير ٤٧/٢.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٦٣/٢ عن الشعبي والدر ٢٨٨/٢ عن جابر وابن عمر والحسن.

(٦) الحسين بن محمد بن حبش أبو علي الدينوري المقرىء صاحب موسى بن جرير الرقي توفي سنة ٣٧٣ هـ (شذرات ٨١/٣).

(٧) في (د) رضي الله عنه، وهو: عمر بن الخطاب السجستاني الحافظ نزيل الأهواز عن أبي عاصم والفريابي وعنه أبو داود وابنه وأبو سعيد بن الأعرابي وخلق توفي سنة ٢٦٤ (الكاشف ٣٠٩/٢).

(٨) عبد الله بن الفضل ـ ويقال أبي الفضل ـ المدني أبو رجاء الخراساني عن هشام ابن حسان، منكر الحديث ذكره البناني، وقال العقيلي: منكر الحديث. (الميزان ٤٧٢/٢).

(٩) مغيرة بن مقسم الفقيه الحافظ أبو هشام الضبي مولاهم الكوفي الأعمى ولد أعمى وكان عجيباً في الذكاء حدث عن أبي وائل والشعبي ومجاهد وخلق، وعنه شعبة والثوري وجرير وغيرهم وثقه أحمد والعجلي. (تذكرة الحفاظ ١٤٣/١).

(١٠) في (د) قتادة.

(١١) في (د) شيء.

(١٢) الحديث: رواه أحمد في المسند ٣٣٠/٥ عن عبادة بلفظ «من تصدق عن جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدر ذنوبه». ومجمع الزوائد ـ كتاب الديات ـ باب ما جاء في العفو عن الجاني والقاتل عن عبادة ـ «رواه أحمد والطبراني ورجال المسند رجال الصحيح». ٢٠٢/٦.

(١٣) في (حـ) قوله، (د، هـ) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) في (حـ) ومصدقاً.

(١٥) في (أ، هـ) لما بين يديه من الكتاب يعني التوراة.

(١٦) في (حـ) بتكرير الأول، وفي (د، هـ) تكرير للأول.

لعيسى، والثاني للإنجيل، لأن الإنجيل[1] أنزل وفيه ذكر التصديق بالتوراة، كما أن عيسى جاء يدعو الناس إلى التصديق بالتوراة.

وقوله ﴿**وهدى وموعظة**﴾[2] معناه: هادياً وواعظاً ﴿**للمتقين**﴾ الذين يتقون الشرك.

ـ قوله جل جلاله[3] ﴿**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه**﴾ هذا إخبار عما فرض عليهم في ذلك الوقت من الحكم بما تضمنه الإنجيل.

والتقدير: قلنا وليحكم أهل الإنجيل، ثم حذف القول، وحذف القول في القرآن كثير. و«اللام» في «ليحكم»[4]: لام الأمر، ولذلك جزم ﴿**وليحكم**﴾[5]. وقرأ حمزة (وليحكمَ) ـ بكسر اللام وفتح الميم[6] ـ على معنى: آتيناه الإنجيل ليحكم، فيكون كقوله[7] ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾[8].

وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

ـ قوله عز وجل[9] ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق...**﴾ الآية، قال قتادة[10]: لما أخبر الله تعالى بصنيع أهل الكتاب قبلكم وبحكمهم بغير ما أنزل الله، وعظ[11] نبيه ﷺ والمؤمنين بموعظة بليغة، فقال ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق**﴾، قال مقاتل[12]: يعني: القرآن لم ينزل عبثاً.

﴿**مصدقاً لما بين يديه من الكتاب**﴾ قال ابن عباس[13]: يريد: كل كتاب أنزله الله تعالى على الأنبياء.

﴿**ومهيمناً عليه**﴾ قال الوالبي والسدي وقتادة والحسن[14]: أميناً وشاهداً على الكتب التي خلت قبله، فما أخبر

---

(١) ساقطة من (د) وكتبت آخر الجملة.

(٢) في (و) للمتقين.

(٣) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٤) في (حـ، د) وليحكم.

(٥) انظر التبيان ١/٤٤٠، والبيان ١/٢٩٤، وابن كثير ٢/٦٤.

(٦) وقرأ الباقون (ولْيحكمْ) ـ ساكنة اللام والميم ـ على الأمر، وحجتهم: أن الله عز وجل أمر بالعمل بما في الإنجيل، كما أمر نبينا ﷺ في الآية التي بعدها بالعمل بما أنزل الله بقوله ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله**﴾ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٧ ـ ٢٢٨، والسبعة ٢٤٤، والنشر ٢/٢٥٤، والتبيان ١/٤٤٠، والزجاج ٢/١٩٧ ـ ١٩٨، والفراء ١/٣١٢، والحجة لابن خالويه ١٣١، والبيان ١/١٩٤).

(٧) في (د) قوله.

(٨) سورة النساء / ١٠٥.

(٩) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(١٠) انظر الدر ٢/٢٨٩ عن قتادة.

(١١) في (و) النبي.

(١٢) انظر الدر ٢/٢٨٩ عن ابن عباس.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٥.

(١٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٥، والطبري ٦/١٧٢، وابن كثير ٢/٦٥ كلاهما عن الوالبي وابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد والحسن، والدر ٢/٢٨٩ عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٤٤.

أهل الكتاب بأمر، فإن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا.

وقال جماعة من أهل اللغة: «المهيمن»: الرقيب الحافظ، يقال: هيـمن الرجل يهيمن هيمنة إذا كان رقيباً على الشيء، وهو قول الخليل وأبي عبيدة[١]: قال أبو عبيدة [٢]: «المهيمن»: الشاهد المصدق، واحتج بقول حسان:

إن الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الألباب [٣]

وقوله[٤] ﴿**فاحكم بينهم بما أنزل الله**﴾ يعني: بين اليهود بالقرآن، والرجم على الزانيين ﴿**ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**﴾ يقول [لا[٥] تتبعهم عما عندك من الحق فتتركه وتتبعهم، كما تقول][٦]: لا تتبع زيداً[٧] عن رأيك، أي: لا تترك رأيك وتتبعه.

وقوله[٤] ﴿**لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً**﴾ «الشرعة والشريعة»: واحدة[٨]، وهي ما شرع الله للعباد من الصلاة والصوم والنكاح والحج وغيره، معنـاها[٩] في اللغة: الطريقة، لشروع الناس فيها.

و«المنهاج»: الطريق الواضح، يقال: نهج الأمر وأنهج، لغتان، إذا وضح[١٠] قال ابن عباس والحسن ومجاهد: ﴿شرعةً ومنهاجاً﴾: سبيلاً وسنة[١١].

قال قتادة[١٢]: الخطاب للأمم الثلاث، أمة موسى، وأمة عيسى، وأمـة محمد صلوات الله عليهم أجمعين، للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، والدين واحد، لا يقبل الله إلا الإخلاص[١٣].

وقوله[١٤] ﴿**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة**﴾ على أمر واحد، ملة الإسلام ﴿**ولكن ليبلوكم**﴾ أي: ليختبركم ﴿**في ما [ءاتاكم]**﴾ أعطاكم من الكتاب والسنن[١٥] ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾ سارعوا في الأعمال الصالحات ﴿**إلى الله مرجعكم جميعاً**﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿**فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون**﴾ من الفرائض والدية والسنن.

ـ وقوله[١٦] ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾ قد[١٧] ذكرنا أن هذا ناسخ للتخيير في قوله ﴿**فاحكم بينهم وأعرض عنهم**﴾[١٨].

ومعنى ﴿**بما أنزل الله**﴾: بحدود الله، وما أنزل في كتابه. ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ قال مقاتل[١٩]: إن رؤساء اليهود

---

(١) في (د) وأبو عبيدة. وانظر تفسير الرازي ١١/١٢، وغرائب النيسابوري ١٥٥/٦ كلاهما عن الخليل وأبي عبيدة، والزجاج ١٩٧/٢، والزاهر ١٨١/١ عن أبي عبيدة، وفتح القدير ٤٧/٢.

(٢) في (هـ) وقال أبي عبيدة.

(٣) انظر البيت في تفسير الرازي ١١/١٢، والبحر ٥٠١/٣، والخازن ٥٩/٢، والبغوي ٦٠/٢، والقرطبي ٢١٠/٦.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (د) ولا.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (حـ).

(٧) في (حـ) لا تتبع عن رأيك.

(٨) في (د) واحد وهو.

(٩) في (و) ومعناه.

(١٠) انظر اللسان / شرع، وغريب القرآن ١٤٤، وفتح القدير ٤٧/٢ ـ ٤٨، والطبري ١٧٤/٦، والأخفش ٤٧١/٢.

(١١) انظر تفسير الثوري ١٠٣، والطبري ١٧٥/٦ عن ابن عباس ومجاهد، وابن كثير ٦٦/٢ عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعكرمة، والدر ٢٩٠/٢ عن ابن عباس وقتادة، وفي تفسير ابن عباس ص ٩٥ «فرائض وسنناً». واللسان / شرع عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير الطبري ١٧٤/٦، وابن كثير ٦٦/٢، والدر ٢٩٠/٢ كلها عن قتادة.

(١٣) في (حـ) المخلص.

(١٤) في (د، و) قوله.

(١٥) في (د) والسنة.

(١٦) في (د، هـ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٧) في (أ) وقد.

(١٨) انظر تفسير الآية ٤٢ من هذه السورة.

(١٩) انظر تفسير الطبري ١٧٧/٦، وغرائب النيسابوري ١٥٧/٦ ـ ١٥٨، والدر ٢٩٠/٢، وابن كثير ٦٧/٢، وفتح القدير ٤٩/٢ كلها عن =

قال بعضهم لبعض: انطلق بنا إلى محمد لعلنا نفتنه ونرده عما هو عليه، فإنما هو بشر، فأتوه، وقالوا له: قد [١] علمت أنا إن اتبعناك لاتبعك الناس، وإن لنا خصومة، فاقض لنا على خصومنا [٢] إذا تحاكمنا إليك ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأنزل الله تعالى ﴿ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ قال ابن عباس: يردوك [٣] إلى أهوائهم.

قال أبو عبيدة[٤]: كل من صرف عن الحق إلى الباطل وأميل عن القصد فقد فتن. وقوله[٥] ﴿فإن تولوا﴾ فإن أعرضوا عن الإيمان والقرآن ﴿فاعلم [أنما يريد الله أن يصيبهم]﴾ إن إعراضهم من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا بالقتل والجلاء والجزية ﴿ببعض ذنوبهم﴾ ويجازيهم بالباقي في الآخرة ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ يعني: اليهود.

ـ قوله جل جلاله[٦] ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ قال المفسرون[٧]: معناه: أتطلب اليهود في [حكم][٨] الزانيين حكماً لم يأمر الله تعالى به، وهم أهل كتاب، كما يفعل أهل الجاهلية.

وقرأ ابن عامر[٩] ﴿تبغون﴾ ـ بالتاء ـ على معنى: قل لهم يا محمد أفحكم الجاهلية تبغون؟

﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ قال الزجاج: أي: من أيقن تبيَّن عدل الله في حكمه[١٠].

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

ـ قوله عز وجل[١١] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ قال عطية: جاء عبادة بن الصامت فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله تعالى ورسوله من ولاية اليهود، وآوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: لكن أخاف الدوائر ولا أبرأ من ولاية اليهود، فأنزل الله تعالى فيهما[١٢] هذه الآية والتي بعدها[١٣].

= ابن عباس، والبحر ٣/٥٠٣ ـ ٥٠٤ عن ابن عباس ومقاتل، وأسباب النزول للواحدي ١٤٧ وللسيوطي ١٠٧.

(١) في (أ) لقد.

(٢) في (حـ، د، هـ) يردونك، وانظر تفسير الرازي ١٢/١٤ عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ٦/١٥٨، وفتح القدير ٢/٤٨.

(٣) في (أ) خصومتنا.

(٤) في (حـ، هـ، و) أبو عبيد، وانظر تفسير الرازي ١٢/١٤، وغرائب النيسابوري ٦/١٥٨.

(٥) في (د) قوله.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) ذكره الزجاج ٢/١٩٨.

(٨) من معاني القرآن للزجاج.

انظر الحجة لأبي زرعة ٢٢٨، والسبعة ٢٤٤، والنشر ٢/٢٥٤، والتبيان ١/٤٤٢، والحجة لابن خالويه ١٣١.

(٩) في (هـ) ابن عباس.

(١٠) انظر الزجاج ١/١٩٨.

(١١) في (حـ، هـ) قوله تعالى، وفي (د، و) قوله.

(١٢) في (و) فيهم.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٦/١٧٧ ـ ١٧٨، وأسباب النزول للواحدي ١٤٧ ـ ١٤٨، وللسيوطي ١٠٧، وابن كثير ٢/٦٨ ـ ٦٩، وفتح القدير ٢/٥٢، والدر ٢/٢٩٠ ـ ٢٩١ كلها عن عطية العوفي عن عبادة.

ومعنى «لا تتخذوهم أولياء»: لا تعتمدوا على الاستنصار بهم، ولا توالوهم. أخبرني محمد بن عبد العزيز المروزي ـ فيما أجاز لي ـ أخبرني محمد بن الحسين الحدادي، أخبرنا محمد بن يحيى، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا وكيع، أخبرنا إسرائيل عن سماك، عن عياض الأشعري[(١)].

عن أبي موسى، أنه وفد إلى عمر بن الخطاب فقال: إن عندنا نصرانياً كاتباً من حاله وحاله[(٢)]، فقال: قاتلك الله، أما سمعت قول الله تعالى ﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ ألا اتخذت حنيفاً؟ قال: قلت: دينه له، ولي كتابته، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله[(٣)] ثم أوعد على موالاتهم فقال ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ قال ابن عباس[(٤)]: كافر مثلهم، وقال الزجاج[(٥)]: من عاضدهم[(٦)] على المسلمين فإنه معهم. ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال ابن عباس[(٧)]: لا يرشد الكافرين ولا المشركين ولا المنافقين.

ـ قوله جل جلاله[(٨)] ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين[(٩)] ﴿يسارعون فيهم﴾ قال الكلبي ومجاهد[(١٠)]: يسارعون في موالاة اليهود ومصانعتهم، وقال الزجاج[(١١)]: في معاونتهم على المسلمين.

﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه من جدب أو قحط ولا يعطوننا الميرة والقرض.

﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ يعني[(١٢)]: فتح مكة في قول الكلبي والسدي[(١٣)]، وقال الضحاك: فتح قـ اليهود[(١٥)]، وقال قتادة ومقاتل[(١٦)]: بالقضاء الفصل من نصر محمد على من خالفه.

---

(١) عياض بن غنم الأشعري شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة وعنه الشعبي وسماك بن حرب وحصين بن عبد الرحمن روى له مسلم وغيره توفي سنة ٧٧ هـ.
(كتاب الجمع ١/٤٠٢، والبداية والنهاية ٩/٢٤، وسير الأعلام ٤/١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) «قوله من حاله وحاله: حكاية ما وقع في كلام أبي موسى، كأنه قال: إنه يكرم المسلمين، ومن حاله أن يعطي عطاء كثيراً» (حاشية أ).

(٣) انظر كنز العمال ٩/٢٠٥، والدر ٢/٢٩١، وابن كثير ٢/٦٨، والرازي ١٢/١٦ كلها عن عياض، وغرائب النيسابوري ٦/١٦٠، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٣٤.

(٤) انظر تفسير الطبري ٦/١٧٩، والرازي ١٢/١٦، وغرائب النيسابوري ٦/١٦٠، وفتح القدير ٢/٥٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٩٨.

(٦) في (حـ) عاهدهم.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٧٦ في معنى «الهدى».

(٨) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ٩٥، والطبري ٦/١٨٠ عن عطية، والدر ٢/٢٩١ عن عطية ومجاهد.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ٩٦، والطبري ٦/١٨٠ عن مجاهد، وفتح القدير ٢/٥٢ عن عطية.

(١١) انظر غريب القرآن ١٤٤. (١٢) في (و) يريد.

(١٣) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٦ وغريب القرآن ١٤٤، والدر ٢/٢٩٢، وابن كثير ٢/٦٨. والطبري ٦/١٨١ كلها عن السدي، والبغوي ٢/٦٣ عن السدي والكلبي.

(١٤) عن (و) فتح قرض.

(١٥) انظر تفسير البغوي ٢/٦٣ عن الضحاك، وفتح القدير ٢/٥٠، والبحر ٣/٥٠٨.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٦/١٨١، والدر ٢/٢٩٢ كلاهما عن قتادة، والبغوي ٢/٦٣ عن قتادة ومقاتل، وابن كثير ٢/٦٨.

﴿أو أمر من عنده﴾ أي: خصب وسعة لمحمد [١] وأصحابه، وقال مقاتل: يعني: القتل [٢] والجلاء لليهود.
﴿فيصبحوا﴾ يعني: المنافقين ﴿على ما أسروا في أنفسهم﴾ من موالاة اليهود ودس الأخبار إليهم ﴿نادمين﴾.

ـ قوله عز وجل[٣] ﴿ويقول الذين ءامنوا﴾، وقرأ أبو عمرو (ويقولَ الذين[٤]) ـ نصباً على معنى: وعسى أن يقول الذين آمنوا، وقرأ أهل الحجاز (يقول) بغير واو ـ استغناء عن حرف العطف، لملابسة هذه الآية بما قبلها.

قال الزجاج: ﴿ويقول الذين ءامنوا﴾ في وقت إظهار الله نفاق المنافقين ﴿أهؤلاء﴾ يعني المنافقين ﴿الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ حلفوا بالله بأغلظ الأيمان انهم مؤمنون ﴿إنهم لمعكم[٥]﴾.

أي: إن المؤمنين حينئذ يتعجبون من كفرهم وحلفهم بالباطل، قال الله تعالى ﴿حبطت أعمالهم﴾ بطل[٦] كل خير عملوه بكفرهم وغشهم المسلمين ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ خسروا الدنيا بافتضاحهم، والآخرة بفوت الثواب والمصير إلى النار.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ

---

(١) في (هـ) بمحمد.

(٢) في (د) بالقتل.
وانظر تفسير ابن عباس ٩٦، والبحر ٣/٥٠٨ عن مقاتل وابن السائب.

(٣) في (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.
قرأ أبو عمرو (ويقولَ) ـ بالنصب ـ عطفاً على قوله ﴿فعسى الله أن يأتيَ بالفتح﴾ وأن يقول الذين آمنوا وقرأ أهل الحجاز (يقولُ) ـ بالرفع بغير واو ـ وكذلك هي في مصاحفهم، وحجتهم: ما روي عن مجاهد في تفسيره ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ فتح مكة ﴿أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ ﴿يقول الذين ءامنوا﴾ أي: حينئذ يقول الذين آمنوا.
وقرأ أهل الكوفة (ويقولُ) ـ بالرفع والواو ـ على الانقطاع، أو عطفاً على قوله ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم﴾، ﴿ويقول الذين ءامنوا﴾ أي: وترى الذين آمنوا يقولون (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٠ ـ ٢٣١، والسبعة ٢٤٥، والنشر ٢/٢٥٤، والتبيان ١/٤٤٤ والمشكل ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩، والفراء ١/٣١٣، والأخفش ٢/٤٧٢ «ومنع أبو عمر من قراءة النصب»، والمصاحف لابن أبي داود ص ٣٧ والحجة لابن خالويه ١٣١ ـ ١٣٢).

(٤) ليست في (و).

(٥) في غير (أ) إنهم معكم.

(٦) في (د) حبطت أعمالهم بكل خير.

ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾

ـ قوله تعالى[١] ﴿**يا أيها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه**﴾ وقرأ أهل الحجاز (يرتدد)[٢]، بإظهار دالَّين، قال الزجاج[٣]: وهو الأصل، لأن الثاني إذا سكن من المضاعف ظهر التضعيف نحو (إن يمسسكم) ويجوز في اللغة: إن يمسكم، لأنه يحرك[٤] الثاني بالفتح عند الإدغام.

قال الحسن: علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم، فأخبر أنه ﴿**[فسوف يأتي الله]**[٥] **بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ واختلفوا في ذلك القوم من هم؟

فقال علي بن أبي طالب والحسن والضحاك وقتادة وابن جريج: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومنكري الزكاة[٦].

قال قتادة: لما قبض الله نبيه ﷺ ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة وأهل المدينة وأهل البحرين من عبد قيس، فقال المرتدون: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فلا تغصب أموالنا، فكُلم أبو بكر في ذلك فقال: والله لا أفرق بين ما جمع الله، قال الله ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[٧] والله لو منعوني عقالاً مما أدوا إلى رسول الله[٨] ﷺ لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله ﷺ حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة المفروضة.

قال أنس بن مالك[٩]: كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا: أهل القبلة، فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج على إثره.

---

(١) في (حـ، د) قوله، وفي (و) وقوله.

(٢) قرأ نافع وابن عامر (يرتدد) ـ بدالين ـ وحجتهما: إجماع الجميع في سورة البقرة ﴿**ومن يرتدد منكم عن دينه**﴾ ـ آية ٢١٧ ـ. والإظهار لغة أهل الحجاز وهو الأصل لأن التضعيف إذا سكن الثاني من المضاعفين ظهر التضعيف نحو قوله ﴿**إن يمسسكم قرح**﴾ ـ سورة آل عمران/ ١٤٠ ـ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٠، والسبعة ٢٤٥، والنشر ٢/ ٢٥٥، والتبيان ١/ ٤٤٥، والزجاج/ ٢٠٠ والمصاحف لابن أبي داود ٣٧ ـ ٤٣، والحجة لابن خالويه ١٣٢).

(٣) في (و) يتحرك.

(٤) في جميع النسخ أنه سيأتي بقوم، وفي (حـ) يحبونهم.
وانظر تفسير الرازي ١٢/ ١٩، وغرائب النيسابوري ٦/ ١٦٢، وكلاهما عن الحسن، وفتح القدير ٢/ ٥٢ عن الحسن وقتادة.

(٥) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٨٢ ـ ١٨٣، والرازي ١٢/ ١٩، وغرائب النيسابوري ٦/ ١٦٥ كلها عن علي والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج، وابن كثير ٢/ ٧٠ عن الحسين، والدر ٢/ ٢٩٢ عن الضحاك والحسن وقتادة.

(٦) انظر المستدرك ـ كتاب الزكاة (صحيح الإسناد) ١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧، والطبري ٦/ ١٨٣، والدر ٢/ ٢٩٢ وفتح القدير ٢/ ٥٢ كلها عن قتادة.

(٧) سورة البقرة/ ٤٣، ٨٣، ١١٠، وسورة النساء/ ٧٧، وسورة النور/ ٥٦ وسورة المزمل/ ٢٠.

(٨) في (و) النبي.

(٩) انظر تفسير البغوي ٢/ ٦٤، والخازن ٢/ ٦٤ كلاهما عن أنس، وفتح القدير ٢/ ٥٢ عن قتادة.

وقال ابن مسعود[١]: كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه في الانتهاء ورأينا ذلك[٢] رشداً.

وقال الحسن: لولا ما فعل أبو بكر لألحد الناس في الزكاة إلى يوم القيامة.

وقال أبو بكر بن عياش[٣]: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر، ولقد قام يوم الردة مقام نبي من الأنبياء.

وقال آخرون: المراد بقوله ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم**...﴾ الآية، الأشعريون وهو تفسير النبي ﷺ على[٤] ما:

أخبرنا الأستاذ أبو إبراهيم الواعظ، أخبرنا الإمام أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا أبو خليفة الجمحي، حدثنا أبو عمرو الحوضي، حدثنا شعبة، عن سماك عن عياض الأشعري قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ قال رسول الله ﷺ «هم قوم هذا» يعني: أبا موسى الأشعري.

رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن عثمان بن السماك، عن عبد الملك بن محمد، عن وهب بن جرير، عن شعبة[٥].

وقوله[٦] ﴿**أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين**﴾ قال ابن عباس[٧]: تراهم للمؤمنين كالولد لوالده، وكالعبد لسيده، وهم في الغلظة على الكافر كالسبع على فريسته، وهذا[٨] كقوله ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[٩].

قال الزجاج في هذه الآية: يقول[١٠] الله تعالى: إن ارتد أحد عن دينه الذي هو الإيمان فسوف يأتي الله بقوم مؤمنين غير منافقين، أذلة على المؤمنين، أي: جانبهم لين للمؤمنين ليس أنهم أذلة مهانون، أعزة على الكافرين، أي: جانبهم غليظ على الكافرين[١١].

قوله[١٢] ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم**﴾ لأن المنافقين كانوا ـ يراقبون الكفار[١٣] ويظاهرونهم، ويخافون لومهم، فأعلم الله أن الصحيح الإيمان لا يخاف في نصرة الدين بيده ولسانه[١٤] لومة لائم.

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/٦٤، والخازن ٢/٦٥ كلاهما عن ابن مسعود.
(٢) في (د) ورأيناه رشداً.
(٣) انظر المصدرين السابقين عن أبي بكر بن عياش.
(٤) في (حـ، هـ) وهو تفسير النبي ﷺ ما.
(٥) الحديث: رواه الحاكم في المستدرك ـ كتاب التفسير «صحيح على شرط مسلم» ٢/٢١٣ والطبراني في الكبير ١٧/٣٧١، والدر ٢/٢٩٢، وتاريخ بغداد ٢/٣٩.
ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة المائدة ـ «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» ٧/١٦ كلهم عن حديث عياض الأشعري.
(٦) في (د، و) قوله.
(٧) انظر تفسير الخازن ٢/٦٦، والقرطبي ٦/٢٢٠ كلاهما عن ابن عباس، والبغوي ٢/٦٦ عن عطاء.
(٨) في (و) وهو.
(٩) سورة الفتح / ٢٩.
(١٠) في (و) يقول إن ارتد.
(١١) انظر الزجاج ٢/٢٠٠ ـ ٢٠١.
(١٢) من (أ، هـ).
(١٣) ساقطة من (د).
(١٤) في (و) وسانه، والعبارة ذكرها الزجاج ٢/٢٠١.

أخبرنا أبو معمر المفضل بن إسماعيل الإسماعيلي، أخبرنا الإمام جدي أبو بكر الإسماعيلي، حدثنا[١] عبد الله بن الصقر السكري، حدثنا الفضل بن السخيت [٢] حدثني صالح بن بيان [٣]، عن المسعودي، عن القسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود قال:

قال رسول الله ﷺ: «من أراد الجنة لا شك فلا يخف في الله لومة لائم»[٤].

وقوله[٥] ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ أي: محبتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين، وشدتهم على الكافرين، تفضل من الله عليهم، لا توفيق لهم إلا به[٦].

ـ قوله عز وجل[٧] ﴿إنما وليكم الله ورسوله...[٨]﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطية العوفي: نزلت في قصة عبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت حين تبرأ من اليهود وقال[٩]: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا[١٠].

وقال جابر بن عبد الله[١١]: إن اليهود هجروا من أسلم منهم ولم يجالسوهم، فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله، إن قومنا قد هجرونا، وأقسموا أن لا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله وبرسوله[١٢] وبالمؤمنين أولياء.

والآية عامة في جميع المؤمنين، فكل مؤمن ولي لكل مؤمن، لقوله تعالى ﴿والمؤمنين[١٣] والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾[١٤]، ونحو هذا روي عن أبي جعفر الباقر، قال: نزلت في الذين آمنوا، فقيل له: إن أناساً[١٥] يقولون: إنها نزلت في علي بن أبي طالب، فقال: علي من الذين آمنوا[١٦].

---

(١) في (و) أخبرنا.

(٢) الفضل بن سخيت عن صالح بن بيان الساحلي وعبد الرزاق وطائفة قال ابن معين: ما سمع عبد الرزاق لعن الله من يكتب عنه وهو أبو العباس السندي كذاب رواها الختلي عن يحيى (الميزان ٣/٣٥١، وتاريخ بغداد ١٢/٣٦٢).

(٣) صالح بن بيان الثقفي ـ ويقال العبدي ـ ويعرف بالساحلي من أهل الأنبار ولي قضاء سيراف وحدث عن شعبة والثوري وعبد الرحمن المسعودي وعنه الفضل بن سخيت وغيره، قال الدارقطني وأبو نعيم الأصفهاني: متروك الحديث.
وقال أبو بكر الخطيب: أحاديثه كلها واهية الإسناد غير محفوظة المتون إلا من طريق لا تثبت به حجة.
(تاريخ بغداد ٩/٣١٠ ـ ٣١١، والميزان ٢/٢٩٠، والموضوعات ٢/٦٩).

(٤) الحديث: روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن ابن مسعود قال: ينتهي الإيمان إلى الورع، ومن أفضل الدين أن لا يزال باله غير خال عن ذكر الله عز وجل، ومن رضي بما أنزل الله من السماء إلى الأرض دخل الجنة إن شاء الله، ومن أراد الجنة لا شك فيها فلا يخف في الله لومة لائم.
قال أبو نعيم: الحديث موقوف على ابن عباس (٩/٢٤٩).

(٥) في (حـ، د) قوله.

(٦) العبارة ذكرها الزجاج ٢/٢٠١.

(٧) في (حـ، د) قوله تعالى، وفي (د، و) قوله.

(٨) في (و) والذين ءامنوا.

(٩) في غير (أ) وقال.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٦/١٨٦، والبغوي ٢/٦٦، والدر ٢/٢٩١، ٢٩٣ كلها عن عطية وابن عباس.

(١١) انظر غرائب النيسابوري ٦/١٦٦ ـ ١٦٧، والبغوي ٢/٦٦ ـ ٦٧، والخازن ٢/٦٦، وأسباب النزول للواحدي ١٤٨ كلها عن جابر.

(١٢) في (د) ورسوله.

(١٣) في (د) والمؤمنين.

(١٤) سورة التوبة / ٧١.

(١٥) في (هـ، و) ناساً.

(١٦) انظر تفسير الطبري ٦/١٨٦، والبغوي ٢/٦٧، وسير الأعلام ٤/٤٠٦، وابن كثير ٢/٧١، والدر ٢/٢٩٤ كلها عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر.

وقوله ﴿وهم راكعون﴾ قال ابن عباس[١]: يعني صلاة التطوع بالليل والنهار، وإنما أفرد الركوع بالذكر تشريفاً له.

ـ قوله جل جلاله[٢] ﴿ومن يتول[٣] الله ورسوله والذين ءامنوا﴾ يعني: يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين، قال ابن عباس[٤]: يريد المهاجرين والأنصار ﴿فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

معنى «الحزب» في اللغة: الجماعة، وحزب الرجل: أصحابه الذين معه على رأيه، والمؤمنون حزب الله، والكافرون حزب الشيطان[٥].

قال الحسن[٦]: ﴿حزب الله﴾ جند الله، وقال أبو روق: أولياء الله[٧] ومعنى ﴿هم الغالبون﴾: أنهم غلبوا[٨] اليهود، فقتلوا قريظة، وأجلوا بني النضير من ديارهم، وغلبوهم[٩] عليها، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولوا الله ورسوله والذين آمنوا[١٠].

ـ قوله تعالى[١١] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً﴾[١٢] قال ابن عباس: كان رجال من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكان ناس من المسلمين يودونهم، فأنزل الله[١٣] تعالى هذه الآية.

ومعنى (اتخاذهم الدين هزو ولعبا): تلاعبهم بالدين[١٤] وإظهارهم ذلك باللسان واستبطانهم الكفر.

وقوله[١٥] ﴿والكفار﴾ يعني: كفار مكة، وهو نسق على قوله﴿من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ يعني[١٦]: اليهود.

ومن نصب: كان نسقاً على قوله ﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا﴾ كأنه قال:ولا تتخذوا الكفار[١٧] ﴿أولياء واتقوا

---

(١) انظر تفسير البغوي ٦٧/٢ عن ابن عباس، والبحر ٥١٤/٣.

(٢) في غير (أ) وقوله، وفي (د) قوله.

(٣) في (د، و) يتولى.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٦ وعنده «يعني محمداً وأصحابه» وعند ابن كثير ٧١/٢ عن ابن عباس «من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا» والبغوي ٦٧/٢، والخازن ٦٧/٢ كلها عن ابن عباس.

(٥) ذكره ابن منظور في اللسان / حزب، وانظر مفردات الراغب /حزب.

(٦) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٦، وغرائب النيسابوري ١٧٠/٦، والرازي ٣٢/١٢ كلاهما عن الحسن.

(٧) انظر غرائب النيسابوري ١٧٠/٦، والرازي ٣٢/١٢ كلاهما عن أبي روق.

(٨) في (د) غلبوا عامة اليهود.

(٩) في (أ) وغلبوا.

(١٠) في غير (أ) والمؤمنين.

(١١) في (حـ، هـ) قوله.

(١٢) ليست في (حـ، و).

(١٣) في (د) فأنزل هذه..

وانظر تفسير الطبري ١٨٧/٦، والدر ٢٩٤/٢، وأسباب النزول للواحدي ١٤٩، وللسيوطي ١٠٨ وفتح القدير ٥٦/٢ وغرائب النيسابوري ١٧٠/٦ كلها عن ابن عباس زاد النيسابوري: كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا..» والوجيز للواحدي ٢١٠/١، والرازي ٣٢/١٢.

(١٤) في (د) في الدين.

(١٥) في (و) وهو قوله والكفار أولياء.

(١٦) في غير (أ) وهم اليهود.

(١٧) قرأ أبو عمرو والكسائي (من قبلكم والكفار) ـ بالخفض ـ على النسق على (الذين أوتوا الكتاب) المعنى:من الذين أوتوا الكتاب ومن الكفار.

=

الله﴾ بطاعته **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** بوعده، وعيده، أي: فلا توالوهم واتركوا موالاتهم.

ـ قوله عز وجل[١] **﴿وإذا ناديتم إلى الصلوٰة اتخذوها[٢] هزواً ولعباً﴾** أي: إذا دعوتم الناس إلى الصلاة بالأذان. «والنداء»: الدعاء بأرفع الصوت[٣].

قال المفسرون: كان المؤذن إذا أذن للصلاة تضاحكت اليهود فيما بينهم، وتغامزوا على طريق السخف[٤] والمجون، استهزاء بالصلاة، وتجهيلاً لأهلها، وتنفيراً للناس عنها، وعن الداعي إليها[٥].

﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ما لهم في إجابتهم لو أجابوا إليها، وما عليهم في استهزائهم بها.

ـ قوله جل جلاله[٦] **﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن ءامنا بالله﴾** الآية.

يقال: نقمت على الرجل أنقم، إذا أنكرت عليه شيئاً وبالغت في كراهته[٧].

قال ابن عباس[٨]: إن نفراً من اليهود سألوا رسول الله ﷺ عمن يؤمن به من الرسل فقال: أومن **﴿بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل﴾** إلى قوله: **﴿ونحن له مسلمون﴾**[٩]، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

ومعنى **﴿هل تنقمون منا﴾**: هل تكرهون منا وتنكرون علينا[١٠] **﴿إلا أن ءامنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل﴾** وهذا مما ينكر أو يعاب به.

وقوله[١١] **﴿وإن أكثركم فاسقون﴾** قال الزجاج: المعنى: هل تكرهون[١٢] إلا إيماننا وفسقكم [أي: إنما كرهتم

= وقرأ الباقون ـ بالنصب ـ على النسق على قوله **﴿لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً﴾** ولا تتخذوا الكفار (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٠ ـ ٢٣١، والسبعة ٢٤٥، والنشر ٢/٢٥٥، والتبيان ١/٤٤٦، والزجاج ٢/٢٠٤ والفراء ١/٣١٣، والبيان ١/٢٩٨ والحجة لابن خالويه ١٣٢).

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في (د) واتخذوها.

(٣) انظر اللسان / ندى، والمصباح /ندى، ومفردات الراغب /ندا.

(٤) «السُّخف والسَّخف والسخافة: رقة العقل، سخُف ـ بالضم ـ سخافة فهو سخيف. والسَخف ضعف العقل» (اللسان /سخف، وحاشية (أ)).

و «مجن الشيء يمجن مجوناً، إذا صلب وغلظ، ومنه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه (اللسان /مجن).

(٥) انظر تفسير ابن عباس ٩٦، والطبري ٦/١٨٨ عن السدي، وأسباب النزول للواحدي ١٤٩، والدر ٢/٢٩٤، وفتح القدير ٢/٥٦ كلها عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ٦/١٧١ عن الكلبي، والرازي ١٢/٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٣٤.

(٦) في غير (أ) قوله.

(٧) انظر اللسان / نقم، ومفردات الراغب: نقم، والمصباح / نقم.

(٨) انظر تفسير الطبري ٦/١٨٩، وغرائب النيسابوري ٦/١٧٩، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٨، والرازي ١٢/٣٤ والدر ٢/٢٩٤ ـ ٢٩٥ كلها عن ابن عباس، والوجيز للواحدي ١/٢١١.

(٩) سورة البقرة / ١٣٦.

(١٠) انظر مجاز القرآن ١/١٧٠، والطبري ٦/١٨٨.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) في (د) تنكرون.

إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق، لأنكم فسقتم][1] بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم الأموال، وهذا معنى قول الحسن: لفسقكم نقمتم علينا[2].

ـ قوله جل جلاله ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك [مثوبة عند الله]﴾ يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: قل لليهود: هل أخبركم بشر مما نقمتم من إيماننا [3] ثواباً وجزاءً ﴿من لعنه الله﴾ أي: هو من لعنة الله ﴿وغضب عليه﴾ يعني: اليهود ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ يعني بـ «القردة» أصحاب السبت وبـ «الخنازير» كفار مائدة عيسى [4].

وقال الوالبي عن ابن عباس: ان المسخين من أصحاب السبت، لأن شبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم خنازير[5].

وقوله[6] ﴿وعبد الطاغوت﴾ قال الزجاج[7]: ﴿عبد﴾ نسق على ﴿لعنه الله﴾ لأن المعنى: لعنه الله وعبد الطاغوت، أي: أطاع الشيطان فيما سول له.

وقرأ حمزة (وعبُد) ـ بضم الباء ـ (الطاغوتِ) ـ بالكسر ـ[8] على تأويل: وجعل منهم عبد الطاغوت، وأراد بـ «العبد»: العبد، فضمت الباء للمبالغة، قال أوس بن حجر[9]:

أبني لبينى إنّ أمكم أمة وإن أباكم عبد

أراد: عبداً، فضم الباء.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٢) انظر الزجاج ٢/٢٠٥ والفراء ١/٣١٣، وغرائب النيسابوري ٦/١٧٨ عن الحسن.

(٣) في (و) على إيماننا.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٦ يقول (وجعل منهم القردة) في زمن داود النبي ﷺ والخنازير بعد أكلهم من المائدة، وانظر غرائب النيسابوري ٦/١٨٠.

(٥) انظر البحر ٣/٥١٨ عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ٦/١٨٠، وفتح القدير ٢/٥٥ ـ ٥٦ عن مجاهد.

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (و) قال: عبد نسق على قوله.

(٨) قال الفراء: الباء تضمها العرب للمبالغة في المدح والذم، نحو: رجل حذر ويقظ، فتأويل (عبُد) أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكذا قراءة مجاهد.
قال الزجاج: وكأن اللفظ لفظ واحد يدل على الجميع، كما تقول للقوم: منكم عبد العصا، يريد: إن فيكم عبيد العصا.
وقرأ الباقون (وعبَد) ولهم في ذلك حجتان، إحداهما: النسق على قوله (من لعنه الله) و (عبد الطاغوت)، والثانية: أن ابن مسعود وأبيا قرءا (وعبدوا الطاغوت) حملاً على معنى (من) كما قال (ومنهم من يستمعون إليك) على المعنى ثم قال (ومنهم من ينظر إليك) ـ سورة يونس /٤٢ ـ ٤٣ ـ على اللفظ.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣١ ـ ٢٣٢ والسبعة ٢٤٦، والنشر ٢/٢٥٥، والزجاج ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧، والفراء ١/٢١٤، والتبيان ١/٢٤٨، والمشكل ١/٢٣١، والحجة لابن خالويه ١٣٢ ـ ١٣٣).

(٩) أوس بن حجر بن مالك التميمي أبو شريح شاعر تميم في الجاهلية ـ أو من كبار شعرائها وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى عمر طويلاً ولم يدرك الإسلام، في شعره حكمة ورقة مات سنة ٢ قبل الهجرة (الأعلام ١/٣٧٤) وانظر البيت في ديوانه ص ٢١ من القصيدة رقم ٨، وكلمة (عبد) ساكنة في ديوانه، وانظر غرائب النيسابوري ٦/١٨٠، والفراء ١/٣١٤ ـ ٣١٥، والزاهر ١/٤٧٩، والحجة لأبي زرعة ٢٣١ واللسان: عبد.

وليس «عبد» لفظ جمع، لأنه ليس في أبنية الجموع[١] شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة، كقوله ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[٢].

وقوله ﴿أولئك﴾ أي: أهل هذه الصفة ﴿شر مكاناً﴾ من المؤمنين، قال ابن عباس[٣]: لأن مكانهم سقر، ولا شر في مكان المؤمنين حتى يقال: اليهود شر مكاناً منهم، ولكن هذا مبني على كلام الخصم وكذلك قوله ﴿قل[٤] هل أنبئكم بشر من ذلك﴾ لأنهم قالوا: لا نعرف أهل دين شراً منكم، فقيل لهم [٥] شر منهم من كان بهذه الصفة.

وقوله[٦] ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ أي: عن[٧] قصد الطريق.

ـ قوله عز وجل[٨] ﴿وإذا جاءوكم قالوا ءامنا...﴾ الآية، قال الكلبي إن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ وقالوا: [٩] صدقنا أنك رسول الله وهم يسرون الكفر، وهو قوله ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرين، والكفر معهم في كلتي حالتيهم[١٠].

﴿والله أعلم بما كانوا يكتمون﴾ أي: من نفاقهم وإبطانهم الكفر.

ـ ﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان﴾ قال ابن عباس[١١]: يجترئون على الخطأ والتعدي على الناس بما لا يحل ﴿وأكلهم السحت﴾ يعني: الرشي في الحكم ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾[١٢] ذم لفعلهم.

ـ قوله[١٣] ﴿لولا﴾ هلا[١٤] ﴿ينهاهم﴾ عما يرتكبونه من القبيح ﴿الربانيون والأحبار﴾ فقهاء اليهود، وعلماؤهم ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾.

قال الضحاك[١٥]: ما في القرآن آية أخوف عندي من هذه الآية، أساء الله الثناء[١٦] على الفريقين على اليهود وعلى العلماء بترك النكير عليهم فيما صنعوا. ودلت الآيتان على أن: تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه.

ـ قوله عز وجل[١٧] ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ قال المفسرون: إن الله تبارك وتعالى كان قد بسط[١٨] على

---

(١) في (د) المجموع.

(٢) (لا تحصوها) ليست في (جـ، د) والنص من سورتي إبراهيم / ٣٤، والنحل/ ١٨، وانظر الزجاج ٢/ ٢٠٦.

(٣) انظر تفسير الرازي ١٢/ ٣٧، وغرائب النيسابوري ٦/ ١٨١ كلاهما عن ابن عباس، والخازن ٢/ ٦٩.

(٤) ليست في (جـ، د).

(٥) في (د) لا نعرف أهل شر منكم فقيل له.

(٦) في (جـ، هـ) قوله، وليست في (د).

(٧) في (د) أي قصد.

(٨) في غير (أ) قوله.

(٩) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٩١ ـ ١٩٢ عن قتادة وابن عباس، والخازن ٢/ ٦٩، والدر ٢/ ٢٩٥، وفتح القدير ٢/ ٥٦. كلها عن قتادة، والرازي ١٢/ ٣٨.

(١٠) في (جـ، د) حالتهم، وفي (و) حاليهم.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ص ٩٧ بنحوه.

(١٢) في غير (أ) يفعلون. خطأ.

(١٣) من (جـ، د).

(١٤) في (أ) هل لا، وليست في (و) وفي (د) هلا ينهاكم.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٦/ ١٩٣، والرازي ١٢/ ٤٠، وابن كثير ٢/ ٧٤، والدر ٢/ ٢٩٦ كلها عن الضحاك بن مزاحم، وفتح القدير ٢/ ٥٦ ـ ٥٧ عن الضحاك وابن عباس.

(١٦) في (د) إلينا.

(١٧) في (د) قوله، وفي (هـ، و) قوله تعالى.

(١٨) في (د) إن الله بسط.

اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالاً وأخصبهم ناحية، فلما عصوا الله في محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من النعمة فعند ذلك قالت اليهود: يد الله مغلولة، أي: مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة بالبخل، وهذا قول قتادة والضحاك وعكرمة والكلبي [(١)].

وقال الزجاج [(٢)]: أخبر الله تعالى بعظيم فريتهم فقال ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ أي: يده ممسكة عن الإسباغ علينا، كما قال عز وجل ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ [(٣)] أي: لا تمسكها عن الإنفاق.

وقوله [(٤)] ﴿غلت أيديهم﴾ أي: جعلوا بخلاء وألزموا البخل، فهم أبخل قوم ولا يلقى يهودي أبداً غير لئيم بخيل [(٥)].

وقال الحسن [(٦)]: ﴿غلت أيديهم﴾ في نار جهنم على الحقيقة [(٧)]، أي: شدت إلى أعناقهم.

وتأويله [(٨)]: أنهم جوزوا على هذا القول بأن غلت أيديهم في نار جنهم. ﴿ولعنوا بما قالوا﴾ أي [(٩)]: عذبوا في الدنيا بالجزية، وفي الآخرة بالنار.

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه [(١٠)]، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد القزويني [(١١)]، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر، حدثنا سهل بن عمار، حدثنا حفص بن عبد الله، حدثنا أبو عصمة نوح بن أبي مريم [(١٢)] عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ﷺ من لعن شيئاً لم يكن للّعنة أهلاً، رجعت اللعنة على اليهود بلعنة الله إياهم [(١٣)].

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٩٤/٦ عن قتادة والضحاك، وابن كثير ٧٥/٢ عن قتادة وابن عباس والضحاك والسدي وعكرمة، والبحر ٥٢٣/٣ عن ابن عباس والكلبي، والرازي ٤٠/١٢ ـ ٤١، والوجيز للواحدي ٢١٢/١.

(٢) في غير (أ) قال الزجاج، وانظر الزجاج ٢٠٨/٢، وعنده «الاتساع» بدل «الإسباغ» وانظر الفراء ٣١٥/١، وغريب القرآن ١٤٤.

(٣) سورة الإسراء /٢٩.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (جـ) بخيل لئيم.

(٦) انظر تفسير الرازي ٤١/١٢، وغرائب النيسابوري ١٨٧/٦ كلاهما عن الحسن، وفتح القدير ٥٧/٢.

(٧) في (د) وعلى الحقيقة.

(٨) في (د) وتأويل هذا.

(٩) من (أ).

(١٠) أبو عبد الرحمن النيلي محمد بن عبد العزيز بن عبد الله شيخ الشافعية بخراسان روى عن أبي عمرو بن حمدان وجماعة قال الأسنوي: كان إماماً في المذهب أديباً شاعراً صالحاً زاهداً ورعاً سمع الحديث وأملى وطال عمره ولد سنة ٣٥٧ هـ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ (شذرات ٢٥٨/٣).

(١١) علي بن العباس بن محمد بن أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن العلوي القزويني، قال الأزهري قدم علينا في سنة نيف وثمانين وثلاثمائة، وقال أبو عبد الله بن بكير: كان هذا العلوي حافظاً (تاريخ بغداد ٢٧/١٢).

(١٢) نوح بن أبي مريم يزيد بن عبد الله أبو عصمة الرازي عالم أهل «مرو» وهو نوح الجامع لأنه أخذ الفقه عن أبي حنيفة وابن أبي ليلى، والحديث عن حجاج بن أرطأة، والتفسير عن الكلبي ومقاتل والمغازي عن ابن إسحاق، وروي عن الزهري وابن المنكدر وعنه نعيم بن حماد وسويد بن نصر، قال أحمد: لم يكن بذاك في الحديث وقال مسلم وغيره متروك الحديث وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الحاكم وضع أبو عصمة حديث فضائل القرآن الطويل مات سنة ١٧٣ هـ. (الميزان ٢٧٩/٤ ـ ٢٨٠).

(١٣) الحديث: روى الهيثمي في مجمعة الزوائد ـ كتاب الأدب ـ باب فيمن لعن من ليس بأهل للعنة ـ عن أبي موسى «إن استطعت أن لا تلعن شيئاً فافعل فإن اللعنة إذا خرجت من صاحبها فكان الملعون لها أهلاً أصابته وإن لم يكن لها أهلاً فكان اللاعن لها أهلاً رجعت عليه، وإن لم يكن لها أهلاً أصابت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، فإن استطعت أن لا تلعن شيئاً أبداً فافعل».

رواه الطبراني وفيه: علي بن الجعد، وثقة ابن حبان، وقال ابن معين: يضع الحديث، وكذبه، وفيه من لم أعرفه ٧٤/٨.

وقوله[١] ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ هذا جواب لليهود، ورد لما افتروه وإبطال لما بهتوا فيه، أجيبو على قدر كلامهم لما قالوا ﴿يدا الله مغلولة﴾ يريدون به: تبخيل الله، فقيل ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ أي: هو جواد ﴿ينفق كيف يشاء﴾.

ومعنى التثنية في ﴿يداه﴾: المبالغة في الجود والإنعام.

ومذهب قوم إلى أن معنى «اليد» في هذه الآية: النعمة، فقالوا في قوله ﴿يد الله مغلولة﴾: نعمة الله مقبوضة، وفي قوله ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ نعمتاه[٢]، أي: نعمة الدنيا والآخرة ﴿ينفق كيف يشاء﴾ يرزق كما يريد، إن شاء قتر وإن شاء وسع[٣].

وقوله[٤] ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ أي: كلما أنزل عليك شيء من القرآن كفروا به فيزيد[٥] كفرهم[٦]، ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ أي: بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد[٧] وقيل: أراد طوائف اليهود، وهو اختيار الزجاج[٨]، قال: جعلهم الله مختلفين في دينهم[٩] متباغضين، وهو أحد الأسباب التي أذهب الله[١٠] بها جدهم وشوكتهم.

﴿كلما أقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾ قال ابن عباس: كلما أرادوا محاربتك ردهم الله تعالى وألزمهم الخوف منك ومن أصحابك، وهذا قول الحسن[١١].

وقال قتادة[١٢]: هـذا عام في كل حرب طلبتها[١٣] اليهود، فلا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم[١٤] من أذل الناس.

وقوله ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾[١٥] قال الزجاج[١٦]: أي يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم.

---

(١) في (د، هـ) قوله... هذا جواب اليهود.

(٢) في (هـ) أي نعمتاه: نعمة الدنيا.

(٣) «وقال ابن جني: أكثر ما تستعمل الأيادي في النعم لا في الأعضاء، واليد: النعمة والإحسان تصطنعه والمنة والصنيعة، وفي الحديث «اليد العليا خير من اليد السفلى» العليا: المعطية، والسفلى السائلة..».
(اللسان: يدي، وانظر الأخفش ٢/٤٧٣، وغرائب النيسابوري ٦/١٨٥، والبحر ٣/٥٢٣).

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (د) فيزيدهم، وفي (هـ) ويزيد.

(٦) في (جـ، د) قوله وألقينا.

(٧) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ٩٧، والطبري ٦/١٩٥ عن مجاهد، وغرائب النيسابوري ٦/١٩٠ عن الحسن ومجاهد، والدر ٢/٢٩٧ عن الربيع.

(٨) في (أ) وهو اختيار وقال، وانظر الزجاج ٢/٢٠٩.

(٩) في (هـ) دينه.

(١٠) في (جـ) التي أذهب بها جدهم «والجد: البخت والحظ والرزق» (اللسان / جدد).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ٩٧، والدر ٢/٢٩٧ عن الحسن، والزجاج ٢/٢٠٩.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٦/١٩٦، وغرائب النيسابوري ٦/١٩١ والدر ٢/٢٩٧ كلها عن قتادة.

(١٣) في (جـ، هـ) طلبته.

(١٤) في (د، هـ) وجدتم من أذل الناس قوله.

(١٥) في (أ) يسعون.

(١٦) انظر الزجاج ٢/٢١٠، وفتح القدير ٢/٥٨.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾

ـ قوله جل جلاله[١] ﴿**ولو أن أهل الكتاب ءامنوا**﴾ صدقوا محمداً ﷺ ﴿**واتقوا**﴾ اليهودية والنصرانية ﴿**لكفرنا عنهم سيئاتهم**﴾ التي عملوها قبل أن تأتيهم. والمعنى: محونا ذنوبهم التي سلفت بالإيمان بك.

ـ ﴿**ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل**﴾ قال ابن عباس[٢]: عملوا بما فيها من التصديق بك، والوفاء[٣] لله، وأظهروا ما فيها ﴿**لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم**﴾ قال ابن عباس [٤]: لأنزلت عليهم القطر [٥]، وأخرجت لهم من نبات الأرض كلما أرادوا.

وقوله [٦]، ﴿**منهم أمة مقتصدة**﴾ أي: مؤمنة، وهم العادلة غير الغالية ولا المقصرة، ومعنى الاقتصاد في اللغة: الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير [٧]. ﴿**وكثير منهم ساء ما يعملون**﴾ بئس شيئاً عملهم، قال ابن عباس: عملوا القبيح وما لا يرضي الله تعالى مع التكذيب للنبي ﷺ[٨].

ـ قوله عز وجل ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ قال الحسن: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعثني بالرسالة[٩] فضقت بها ذرعاً وعرفت[١٠] أن الناس مكذبي، فأوعدني[١١] فيها: لأبلغها أو ليعذبنني»[١٢].

وقال ابن الأنباري[١٣] كان النبي ﷺ يجاهر ببعض القرآن أيام كان بمكة ويخفي بعضه، إشفاقاً على نفسه من

---

(١) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) وهو قول الزجاج ٢/٢١٠، وانظر الدر ٢/٢٩٧، وفتح القدير ٢/٥٨ ـ ٥٩ كلاهما عن مجاهد، والرازي ١٢/٤٦.

(٣) في (د) ولو فالله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ٩٧، والطبري ٦/١٩٧، والدر ٢/٢٩٧ كلاهما عن ابن عباس، والفراء ١/٣١٥، وغريب القرآن ١٤٤.

(٥) القطر: أي المطر (حاشية (أ).

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر اللسان: قصد، ومفردات الراغب / قصد.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/٧٣، والخازن ٢/٧٣ كلاهما عن ابن عباس والطبري ٦/١٩٨.

(٩) في (جـ، د، و) برسالته.

(١٠) في (و) وعلمت.

(١١) في (د) فأوعدوني.

(١٢) الحديث: روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى أرسلني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعلمت أن الناس مكذبي فأوعدني إن لم أبلغها ليعذبني». قال أبو نعيم: «غريب بهذا اللفظ عن أبي هريرة، وعطاء، تفرد به كلثوم في النسخة» ٥/٥٠٢.

وانظر مسند الحميدي ٢/٣٩٠ ـ ٣٩٢ عن عون بن مالك الجشمي عن أبيه، والدر ٢/٢٩٨، وفتح القدير ٢/٦٠، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٩، وأسباب النزول للواحدي ١٥٠ كلها عن الحسن.

(١٣) انظر القرطبي ٦/٢٤٢، والوجيز للواحدي ١/٢١٤.

تسرع[1] المشركين إليه وإلى أصحابه، فلما أعزه الله بالمؤمنين[2] قال له ﴿**بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾.

والمعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك من ربك مجاهراً به، فإن أخفيت منه شيئاً لخوف يلحقك ﴿**فما بلغت رسالته**﴾ قال ابن عباس[3]: يقول إن كتمت آية مما أنزلت [4] إليك لم تبلغ رسالتي.

يعني: أنه إن ترك إبلاغ البعض كان كمن لم يبلغ، وحاشا [5] لرسول الله ﷺ أن يكتم شيئاً مما أوحي إليه، فقد قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول ﴿**بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ [6].

وقوله[7] ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ أي: يمنعك[8] أن ينالوك بسوء من قتل أو أسر.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان النبي[9] ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ فأخرج النبي ﷺ رأسه من القبة فقال: يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله[10].

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ، أخبرنا إسماعيل بن نجيد، أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا محمد بن العلاء[11]، حدثنا الحِماني، حدثنا النضر[12] عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يحرس وكان عمه أبو طالب يرسل كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت هذه الآية، فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عماه، إن الله قد عصمني من الجن والإنس[13].

---

(١) في (د) اشتقاقاً على نفسه عن شرع.

(٢) في (أ) بعباده المؤمنين.

(٣) انظر تفسير الطبري ٦/١٩٨، والخازن ٢/٧٤، وابن كثير ٢/٧٨ كلها عن ابن عباس.

(٤) في (و) أنزل إليك ولم، وفي (جـ) فلم تبلغ، وفي (د) ثم تبلغ.

(٥) في (و) وحاشى.

(٦) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب معنى قول الله عز وجل ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ ١/٨٩. والترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب من سورة الأنعام رقم ٥٠٦٣ «حسن صحيح». ٤/٣٢٨.
وصحيح ابن حبان ـ كتاب الوحي ـ ذكر تعداد عائشة قول ابن عباس: من أعظم الفرية رقم ٦٠ (١/٢٢٩ ـ ٢٣٠).
والبخاري في الصحيح ـ كتاب التفسير ـ باب (يا أيها الرسول بلغ) ٣/١٢٥، وفي كتابه التوحيد، باب (يا أيها الرسول بلغ) ٤/٣٠٥.

(٧) في (د) قوله.

(٨) ليست في (د).
وانظر معنى (يعصمك) في مجاز القرآن ١/١٧١، والزاهر ١/٥٧٩.

(٩) في (د) إن رسول الله، وفي غير (أ) كان رسول الله.

(١٠) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب من سورة المائدة (يا أيها الرسول بلغ..) رقم ٥٠٣٧ «حديث غريب» ٤/٣١٧.
والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ «صحيح الإسناد» ٢/٣١٣.
والطبري ٦/١٩٩، وأسباب النزول للسيوطي ١٠٩، والدلائل للبيهقي ٢/١٨٤ كلهم عن حديث عائشة.

(١١) في (د) أخبرنا ابن العلاء.

(١٢) النضر بن عبد الرحمن أبو عمر الخراز عن عكرمة وغيره وعن وكيع والمحاربي وجماعة ضعفه أحمد والدارقطني، وقال البخاري: ضعيف ذاهب الحديث، وقال النسائي متروك، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه. (الميزان ٤/٢٦٠).

(١٣) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة المائدة «رواه الطبراني وفيه النضر بن عبد الرحمن وهو ضعيف». ٧/١٧. =

وقوله ﴿إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ قال ابن عباس[١]: لا يرشد من كذبك وأعرض عن ذكري.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ـ وقوله جل جلاله[٢] ﴿يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾[٣] قال ابن عباس[٤]: لستم على شيء من الدين، حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان صفته ونعته، وهو قوله ﴿حتى تقيموا التوراة والإنجيل﴾ أي: تقيموا أحكامهما وما يجب عليكم فيها ـ وقد سبق تفسير هذا إلى قوله ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾[٥]. وهذا تسلية للنبي ﷺ، يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إن كذبوك.

ـ قوله جل جلاله[٦] ﴿إن الذين ءامنوا والذين هادوا﴾ ـ سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة[٧] ـ وارتفع الصابئون في هذه الآية بالابتداء، على التقديم في الكلام والتأخير، على تقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله[٨] . . . إلى آخر الآية، والصابئون والنصارى كذلك أيضاً كما تقول: إن عبد الله ومحمد قائم، تريد: إن عبد الله قائم ومحمد كذلك، هذا مذهب الخليل وسيبويه[٩].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾

= والطبراني في الكبير ١١/٢٥٦ ـ ٢٥٧، والدر ٢/٢٩٨ كلهم عن ابن عباس. وانظر أسباب النزول للسيوطي ص ١١٠ «ومن غريب ما ورد في سبب نزولها. .»

وقال الحضرمي «وفي هذا الكلام نظر، لأن سورة المائدة مدنية من غير خلاف، وموت أبي طالب كان في مكة قبل الهجرة، فلو لم تذكر «الآية» لزال الإشكال لأن حراسته بمكة» (عمدة القوي والضعيف ١١).

(١) انظر تفسير الخازن ٢/٧٤ عن ابن عباس، والطبري ٦/٢٠٠.

(٢) في غير (أ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٣) في (أ) لستم قال ابن عباس.

(٤) انظر تفسير القرطبي ٦/٢٤٤، والطبري ٦/٢٠٠، وفتح القدير ٢/٦٢، ٦٤ كلها عن ابن عباس، وابن كثير ٢/٨٠.

(٥) وهو قوله ﴿وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ وانظر تفسير الآية ٦٤ من هذه السورة.

(٦) في غير (أ) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير الآية ٦٢.

(٨) في (د) واليوم الآخر.

(٩) انظر الكتاب ٢/٤٤ ـ ١٥٥، وفتح القدير ٢/٦٢ عن الخليل وسيبويه، والزجاج ٢/٢١٢، والفراء ١/٣١٠ ـ ٣١١، ومجاز القرآن ١/١٧٢ ـ ١٧٣، والبيان ١/٢٩٩.

ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

ـ قوله جل جلاله[1] **﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾** ـ مفسر إلى آخر الآية في سورة البقرة[2].

ـ قوله تعالى[3] **﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾** قال ابن عباس: ظنوا أن الله لا يعذبهم[4]، ولا يبتلوا بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل.

وقريء (ألا تكون) ـ رفعاً[5] ـ على تقدير: أنه لا تكون، ثم خففت المشددة وحذف الضمير[6].

وقوله[7] **﴿فعموا وصموا﴾** أي: عن الهدى فلم يعقلوه، قال الزجاج[8]: تأويله أنهم لم يعملوا بما سمعوا، وربما رأوا من الآيات، فصاروا كالعمي الصم.

﴿ثم تاب الله عليهم﴾ بإرساله محمداً ﷺ داعياً إلى الصراط المستقيم، فكانوا بذلك معرضين للتوبة **﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾** بعد تبين الحق، يعني: الذين لم يؤمنوا منهم **﴿والله بصير بما يعملون﴾** من قتل الأنبياء وتكذيب الرسل [9].

---

(١) انظر تفسير الآية ٦٢.

(٢) انظر تفسير الآية ٨٧.

(٣) في غير (أ) قوله وفي (جـ) وقوله.

(٤) في (د) أن لا يعذبهم الله، وانظر تفسير ابن عباس ص ٩٨ بنحوه، والخازن ٢/٧٦.

(٥) في (و) بالرفع.

قرأ أبو عمر وحمزة والكسائي ـ بالرفع ـ كما في موضع آخر (ألا يقدرون على شيء) ـ سورة الحديد /٢٩ أي: إنهم لا يقدرون.

وقرأ الباقون (ألا تكونَ) ـ نصباً ـ ونصبه بـ «أن» و«لا»: لا تفصل بين العامل والمعمول فيه وحجتهم: قوله **﴿وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله﴾** ـ سورة البقرة /٢٤٦ ـ، **﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾** ـ سورة الحديد/١٠ ـ وما أجمعوا عليه يرد المختلف فيه إليه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٣، والسبعة ٢٤٧، والنشر ٢/٢٥٥، والتبيان ١/٤٥٢، والزجاج ٢/٢١٤، والمشكل ١/٢٣٣، ومجاز القرآن ١/١٧٤ والأخفش ١/١٠٤، والحجة لابن خالويه ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٦) في (و) وحذفت الضمة.

(٧) في (د، و) قوله.

(٨) انظر الزجاج ٢/٢١٣.

(٩) في (و) الرسل عليهم السلام.

ـ قوله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ إلى قوله ﴿من[1] يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾.

حدثنا[2] إسماعيل بن أحمد الواعظ، أخبرنا عبد الله بن محمد الحافظ، أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن يحيى الذهلي، حدثنا محمد بن عبيد[3]، عن الأعمش، عن أبي سفيان[4]، عن جابر قال:

أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان[5]؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار.

رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية، عن الأعمش [6].

وأخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن الحسن الحافظ، أخبرنا أبو حفص الكتاني [7]، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر التمار [8] حدثنا يحيى بن معين[9]، حدثنا الأنصاري، عن سفيان، عن أبي الزبير عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أعلمكم ما علم نوح ابنه؟قالوا: بلى، قال[10]: يا بني إني آمرك أن لا تشرك بالله شيئاً، فإنه من يشرك بالله شيئاً فقد حرم الله عليه الجنة، وأنهاك عن الكِبْر، فإنه لا يدخل الجنة من كان قلبه فيه مثقال حبة من خردل من كبر[11]».

---

(١) في غير (و) ومن يشرك: خطأ.

(٢) في (د) أخبرنا.

(٣) محمد بن عبيد بن أبي أمية ـ واسمه عبد الرحمن، ويقال إسماعيل: الطنافسي أبو عبد الله الكوفي الأحدب روى عن الأعمش وغيره وعنه الذهلي وغيره قال العجلي كوفي ثقة وكان عثمانياً وكان حديثه أربعة آلاف يحفظها، وثقه النسائي والدارقطني توفي سنة ٢٠٤ هـ. (تهذيب التهذيب ٩/٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٤) أبو سفيان: طلحة بن نافع القرشي مولاهم المكي سمع جابر بن عبد الله وغيره وعنه الأعمش وحصين وأبو بشر بن المثنى وسعيد وحجاج السلمي توفي سنة ١٢٤. (كتاب الجمع ١/٢٣٢، والعقد الثمين ٥/٧٢).

(٥) «الموجبة»: تكون من الحسنات والسيئات وأوجب الرجل: أتى بموجبه من الحسنات أو السيئات، وأوجب الرجل إذا عمل عملاً يوجب له الجنة أو النار. (اللسان / وجب).

(٦) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.. عن جابر ١/٥٢.

(٧) عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير بن هارون بن مهران أبو حفص المقرىء المعروف بالكتاني سمع أبا القاسم البغوي وأبا بكر بن مجاهد وأبا بكر النيسابوري وغيرهم ولد سنة ٣٠٠ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ، مقرىء محدث ثقة آخر من قرأ على ابن مجاهد وثقه الخطيب (غاية النهاية ١/٥٨٧ ـ ٥٨٨ وتاريخ بغداد ١١/٢٦٩).

(٨) أحمد بن محمد بن عبيد الله أبو الحسن التمار المقرىء حدث عن يحيى بن معين وعثمان بن أبي شيبة وأبي همام الوليد بن شجاع وغيرهم وعنه أبو حفص الكتاني وغيره وكان ثقة ـ توفي سنة ٣١٩ هـ.
(تاريخ بغداد ٥/٥٢ ـ ٥٣).

(٩) يحيى بن معين الإمام الفرد سيد الحفاظ أبو زكريا المري مولاهم البغدادي مولده في سنة ١٥٨ هـ روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وأبو زرعة وأبو يعلى وأحمد بن الحسن الصوفي وخلائق قال النسائي: أبو زكريا الثقة المأمون أحد الأئمة في الحديث وقال ابن المديني: لا نعلم أحداً من لدن آدم عليه السلام ـ كتب من الحديث ما كتب يحيى بن معين، وقال: انتهى علم الناس إلى يحيى بن معين توفي سنة ٢٣٣ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٩ ـ ٤٣١).

(١٠) ليست في (أ).

(١١) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب الوصايا ـ باب وصية نوح عليه السلام «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات» عن=

ـ قوله ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ قالت النصاري ـ لعنهم الله ـ الإلَهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى، وكل واحد من هؤلاء إلَه، والله أحد ثلاثة آلهة، يبين هذا قول الله تعالى للمسيح ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾[(١)]؟

ولا بد أن يكون في الآية إضمار واختصار، لأن المعنى إنهم قالوا: إن الله ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة لأن المعنى مفهوم، ولا يكفر من يقول: إن الله ثالث ثلاثة إذا لم يرد[(٢)] به الآلهة، لأنه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم، كقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾[(٣)]. والذي يبين أنهم أرادوا بالثلاثة: الآلهة، قوله في الرد عليهم ﴿وما من إلَه إلا إلَه واحد[(٤)] وإن لم ينتهوا عما يقولون﴾ من الكفر والشرك ﴿ليمسن الذين كفروا منهم﴾ أي: ليصيبن الذين أقاموا على هذا القول ﴿عذاب أليم﴾.

ـ قوله ﴿أفلا يتوبون إلى الله﴾[(٥)] قال الفراء: هذا أمر في لفظ الاستفهام وكقوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾[(٦)] أي: انتهوا، والمعنى: إن الله يأمرهم بالتوبة والاستغفار من هذا الذنب العظيم.

ـ قوله ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أي: أنه رسول ليس بإلَه، كما أن مَن قبله من الرسل لم يكونوا آلهة ﴿وأمه[(٧)] صِدِّيقة﴾ صدقت بآيات الله، كما قال في صفتها ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾[(٨)].

﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الآدميين، فكيف يكون إلَهاً[(٩)] من لا يقيمه إلا أكل الطعام؟

قال ابن عباس: يريد: هما لحم ودم يأكلان ويشربان ويبولان ويتغوطان[(١٠)]. قال ابن قتيبة[(١١)]: هذا ألطف ما يكون من الكناية، لأنه عبر عن الحدث بالطعام، وذلك أن من أكل الطعام فلا بد له من أن يحدث[(١٢)] فلما ذكر أكل الطعام صار كأنه أخبر عن عاقبته، والطعام والحدث ليسا من أوصاف الآلهة.

قوله ﴿انظر كيف نبين لهم الآيات﴾ قال ابن عباس: نفسر لهم أمر ربوبيتي ﴿ثم انظر أنى يؤفكون﴾ يصرفون عن

= ابن عمر وبألفاظ متقاربة (٤/٢١٩ ـ ٢٢٠)، وذكره ابن حبان في ترجمة موسى بن عبيدة الربذي عن عبد الله بن دينار عن جابر بألفاظ متقاربة. (المجروحين ٢/٢٣٥).
ورواه أحمد في المسند ٢/١٧٠ عن ابن عمر كما ذكر الهيثمي. وكذا الحاكم ـ المستدرك ـ كتاب الإيمان وصححه عن ابن عمر. ١/٤٩.

(١) سورة المائدة / ١١٦.
(٢) في (أ، هـ) إذا لم يرد الآلهة.
(٣) سورة المجادلة / ٧.
(٤) في (أ) إلا إلَه واحد فإن.
(٥) في (د) ويستغفرونه قال الفراء وهذا أمر من لفظ. وانظر الفراء ١/٢٠٢ وغرائب النيسابوري ٧/٧، والبحر ٣/٣٣٦ والبغوي ٢/٧٧ والرازي ١٢/٦٠ كلها عن الفراء، والتبيان ١/٤٥٩.
(٦) سورة المائدة / ٩١.
(٧) في (د) وأما.
(٨) سورة التحريم /١٢.
(٩) في (د) الاها، وفي (هـ) إله.
(١٠) انظر البحر ٣/٣٣٧ عن بعض المفسرين.
(١١) انظر غريب القرآن ١٤٥، والكامل للمبرد ٢/٢٩١، والخازن ٢/٧٨.
(١٢) في (د) وذلك من أكل الطعام لا بد له أن يحدث، وفي (و) وذلك أنه من أكل الطعام لا بد له أن يحدث.

الحق الذي يؤدي إليه تدبر الآيات [١]. يقال: أفكه يأفكه إفكا، إذا صرفه، وكل من صرف عن شيء، فهو [٢] مأفوك عنه.

- ﴿قل﴾ للنصارى ﴿أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾ لأنه لا يملك النفع والضر إلا الله تعالى ﴿والله هو السميع﴾ لكفركم ﴿العليم﴾[٣] بضميركم.

- قوله[٤] ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ - تقدم تفسيره في سورة النساء[٥].

قوله[٦] ﴿غير الحق﴾ معناه: مخالفاً للحق، أي: في دينكم المخالف للحق، وذلك أنهم خالفوا الحق في دينهم، ثم غلوا فيه بالإصرار عليه ﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ يعني: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، والآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي ﷺ، نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم وأن يقلدوهم فيما هووا.

(والأهواء): جمع هوى، والمراد بها[٧]: المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة.

وقوله[٨] ﴿وأضلوا كثيراً﴾ يعني: من اتبعهم على هواهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ عن قصد الطريق. والمعنى: إنهم ضلوا بإضلال غيرهم.

لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾

- قوله[٩] ﴿لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم﴾ يعني: أصحاب السبت وأصحاب المائدة، أما أصحاب السبت: فإنهم لما اعتدوا[١٠]، قال داود: اللهم العنهم واجعلهم آية ومثلاً لخلقك[١١] فمسخوا قردة.

وأما أصحاب المائدة: فأنهم لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى: اللهم العنهم كما لعنت أصحاب

---

(١) انظر غريب القرآن ١٤٥، ومجاز القرآن ١/١٧٤ ـ ١٧٥ والطبري ٦/٢٠٣. «أفَك يأفِك، وأفِك يأفَك، وأفِك إفكا وأفوكا وأَفْكا وأَفَكا، إذا كذب، والأفك ـ بالفتح. مصدر قولك أفِكه عن الشيء يأفِكه أفكا: صرفه عنه وقلبه ورجل مأفوك: مخدوع عن رأيه (اللسان / أفك).

(٢) في غير (هـ) عن شيء: مأفوك عنه.

(٣) في (د) عليم.

(٤) في (و) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير الآية ١٧١.

(٦) في (جـ، و) وقوله.

(٧) في (هـ) والمراد بهذا.

(٨) في (د) قوله.

(٩) في (هـ) وقوله.

(١٠) في (و) في السبت.

(١١) في (هـ) بخلقك.

السبت، فأصبحوا خنازير. . . وهذا قول الحسن وقتادة ومجاهد [١].

قوله[٢] ﴿ذلك بما عصوا﴾ الله والرسل ﴿وكانوا يعتدون﴾ يتجاوزون ما أمر به. أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي[٣]، أخبرنا أبو عمر بن مطر، حدثنا آدم بن موسى بن عمران الولاهيجي[٤]، حدثنا أبو محمد جعفر بن علي الخواري[٥]، حدثنا محمد بن إسماعيل العلوي[٦] حدثني عمي موسى بن جعفر[٧] عن مالك بن أنس، عن أبي سهل بن مالك، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: دوروا مع القرآن حيثما[٨] دار، قالوا: يا رسول الله أرأيت إن لم نطق ذلك؟ قال: كونوا كحواريِّي عيسى ابن مريم، شُقوا بالمناشير في الله وصلبوا في جذوع النخل في الله[٩]، قالوا: يا رسول الله أرأيت إن لم نطق ذلك؟ قال: قتل في طاعة الله خير من حياة في معصية الله، إن بني إسرائيل ملكتهم ملوك بعد أنبيائهم فغيروا سننهم، وعملوا فيهم بغير الحق، فلم يمنعهم ذلك من جورهم أن حابوهم وضاحكوهم وأكلوهم[١٠] وشاربوهم، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض، ولعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، لتأمرن[١١] بالمعروف ولتنهوُن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا عليهم خياركم فلا يستجاب لهم[١٢].

ـ وقوله[١٣] ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ «التناهي» تفاعل من النهي، أي كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً عن المناكير[١٤].

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ٩٩، والطبري ٦/٢٠٥، والدر ٢/٣٠١، وفتح القدير ٢/٦٦ كلها عن قتادة ومجاهد وأبي مالك، وغرائب النيسابوري ٧/١١، والرازي ١٢/٦٣، والبحر ٢/٥٣٩ كلاهما عن أكثر المفسرين.

(٢) من (جـ، د).

(٣) في (و) أبو محمد.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) في (أ) جعفر علي، وفي (د) الخوارزمي وهو: جعفر بن أبي الحسن الخُواري قال الدارقطني: متروك. (الميزان ١/٤٠٥).

(٦) محمد بن إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الجعفري من أهل المدينة يروي عن حاتم بن إسماعيل وموسى بن جعفر وسفيان بن حمزة، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: منكر الحديث يتكلمون فيه. (الأنساب ٣/٢٦٧ ـ ٢٦٨).

(٧) موسى بن جعفر بن محمد بن علي العلوي الملقب بالكاظم عن أبيه قال ابن أبي حاتم صدوق إمام، وقال أبو حاتم الرازي: ثقة إمام. (الميزان ٤/٢٠١).

(٨) في (هـ، و) حيث دار.

(٩) في (و) النخل قالوا.

(١٠) في (هـ) وأكلوهم.

(١١) في (د) ليأمرون بالمعروف وينهون.

(١٢) الحديث: انظر الجامع الصغير ٢/١٦ «دوروا مع كتاب الله حيثما دار».
رواه الحاكم عن حذيفة ورمز له السيوطي بالصحيح. وانظر /١٢٢ لتأمرون بالمعروف «رواه الطبراني في الأوسط ورمز له بالحسن» وهذه الجملة في المستدرك ـ كتاب قتال أهل البغي ـ وباقي الحديث مختلف ٢/١٤٨.
وانظر مجمع الزوائد ـ كتاب الفتن ـ باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عن أبي هريرة ـ بلفظ «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم» رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حيان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها ٧/٢٢٦. والطبراني في الكبير ٢٠/٩٠ بنحوه عن معاذ بن جبل، والطبري ٦/٢٠٦ عن ابن زيد وأبو نعيم في الحلية ٢/١٦٥ ـ ١٦٦ بنحوه عن معاذ.

(١٣) في (د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) في (أ) المنكر.

قال ابن عباس: كان بنو إسرائيل ثلاث فرق، فرقة اعتدت في السبت، وفرقة نهتهم ولكنهم لم يدعوا مجالستهم ولا مواكلتهم، وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم، وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعاً.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون[١] عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه، ولتأْطِرُنَّه على[٢] الحق أطراً، أو ليضربن[٣] الله قلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم»[٤]. ثم ذم فعلهم بقوله ﴿لبئس ما كانوا يفعلون﴾.

ـ قوله[٥] ﴿ترى كثيراً منهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن[٦]: يعني من المنافقين ﴿يتولون الذين كفروا﴾ ـ اليهود ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾ بئس ما قدموا من العمل لمعادهم ﴿أن سخط الله عليهم﴾ ـ والباقي[٧] ظاهر إلى قوله:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

ـ ﴿لتجدن أشد الناس عداوة...﴾ الآية، قال المفسرون: إن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبي ﷺ، وكان ينبغي[٨] أن يكونوا أقرب إلى المؤمنين لأنهم يؤمنون بموسى والتوراة والكفار كانوا يكذبون بهما، ولكنهم[٩] حسدوا النبي ﷺ والمؤمنين.

---

(١) في (د) ولتنهن و«الأطر: عطف الشيء تقبض على أحد طرفيه فتعوجه، أطره يأطِره ويأطُره فانأطر انئطاراً وأطَّره فتأطر: عطفه فانعطف، وتأطروه على الحق: تعطفوه عليه» (اللسان / أطر).

(٢) في (هـ) إلى الحق.

(٣) في (د) ليضربن.

(٤) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب الفتن ـ باب وجوب إنكار المنكر عن أبي موسى، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ٧/٢٦٩.

وانظر الترمذي ـ كتاب ـ باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ عن حذيفة رقم ٢٢٥٩ بألفاظ مختلفة وحسنه. ٣/٣١٦ ـ ٣١٧.

(٥) في (د) قوله تعالى.

(٦) في (و) والشعبي.

(٧) وهو قوله (وفي العذاب هم خالدون ـ ٨١ ـ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ٩٩، والزجاج ٢/٢١٩ عن عكرمة، والوجيز للواحدي ١/٢١٧، والدر ٢/٢٩١.

(٩) في (د) لكنهم حسدوا النبي ﷺ والمؤمنون.

قوله[١] ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي: يعني: النجاشي ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله ﷺ وآمنوا به[٢] ولم يرد جميع النصارى، مع ظهور عداوتهم للدين[٣].

وقوله[٤] ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً﴾ قال الزجاج[٥]: «القس والقسيس»: من رؤساء النصارى، ويجمع القسيس: قسيسين[٦]، وقال قطرب: القسيس: العالم بلغة الروم[٧].

و«الرهبان» جمع راهب، مثل فارس وفرسان، و«الرهبانية» مصدر: الراهب والترهب: التعبد في صومعة[٨].

قال ابن الأنباري[٩]: مدحهم الله تعالى بالتمسك بدين عيسى، وأنهم استعملوا في أمر محمد ﷺ ما أخذ عليهم[١٠] في التوراة والإنجيل.

فتأويل قوله ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً﴾: ذلك بأن منهم علماء بوصاة[١١] عيسى عليه السلام.

الدليل على ذلك قوله ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ أي: عن اتباع الحق والإذعان إليه كما استكبر اليهود وعبدة الأوثان.

ـ قوله ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول...﴾ الآية، قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: النجاشي وأصحابه، قرأ عليهم جعفر الطيار ـ بالحبشة ـ (كهيعص)[١٢] فما زالوا يبكون حتى فرغ من القراءة فذلك قوله ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾: يريد الذي نزل على محمد ﷺ وهو الحق.

أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن الفضل التاجر، أخبرنا أحمد بن محمد بن

---

(١) في (جـ، د، هـ) وقوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ٩٩، والطبري ٧/٢ ـ ٣ عنهم، وابن كثير ٨٥/٢ عن ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والسدي، والزجاج ٣٢٠/٢، والفراء ٣١٨/١، وأسباب النزول للواحدي ١٥٢، وللسيوطي ١١١، والدر ٣٠٢/٢ ـ ٣٠٣ عن عطاء ومجاهد وعبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير وعروة وقتادة والسدي وابن عباس وفتح القدير ٦٨/٢ ـ ٦٩ عن مجاهد وعطاء وابن الزبير، واللسان / قسس عن الفراء.

(٣) قال أبو بكر الرازي: من الجهال من يظن أن في هذه الآية مدحاً للنصارى وإخباراً بأنهم خير من اليهود وليس كذلك لأن ما في الآية من ذلك إنما هو صفة قوم قد آمنوا بالله وبالرسول ﷺ يدل عليه ما ذكره في نسق التلاوة من إخبارهم في مقالتي الطائفين: أن مقالة النصارى أقبح وأشد استحالة وأظهر فساداً من مقالة اليهود، لأن اليهود تقر بالتوحيد في الجملة، وإن كان فيها مشبه ببعض ما اعتقدته في الجملة من التوحيد بالتشبيه. (انظر البحر ٤/٤).

(٤) في(جـ، هـ، و) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ٢٢٠/٢، واللسان: قسس، والبحر ٣/٤.

(٦) «يجمع القسيس قسيسين» ساقطة من (و).

(٧) انظر تفسير الرازي ٦٧/١٢ وغرائب النيسابوري ١٤/٧ والبغوي ٨١/٢ وفتح القدير ٦٧/٢ كلها عن قطرب.

(٨) انظر اللسان: رهب، والمصباح: رهب.

(٩) انظر تفسير الخازن ٨١/٢، ٨٣ عن قتادة، والقرطبي ٢٥٨/٦.

(١٠) في (و) ما أخذ في التوراة.

(١١) «أي بوصية» (حاشية (أ)).

(١٢) المراد من أول سورة مريم.

الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو صالح ـ كاتب الليث[١]، حدثني الليث، حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٢]، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، قالوا:

لما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار، قال[٣] كفار قريش: إن ثأركم بأرض الحبشة فبعثوا عمرو[٤] بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة[٥]، وأهدوا للنجاشي، وسمع[٦] رسول الله ﷺ ببعث قريش عمرو بن العاص[٧]، وابن أبي ربيعة، فبعث عمرو بن أمية الضمري[٨] وكتب معه إلى النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ، ثم دعا جعفر[٩] أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل الله فيهم **﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين ءامنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾** إلى قوله **﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا ءامنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾**[١٠].

قال ابن عباس[١١]: مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق. وقال الزجاج[١٢]: مع من شهد من أنبيائك ومؤمني عبادك بأنك لا إله غيرك.

ـ وقوله[١٣] **﴿وما لنا لا نؤمن بالله....﴾** الآية، قال المفسرون[١٤]: إن هؤلاء الوفد لما رجعوا إلى قومهم لاموهم على ترك دينهم، فأجابوهم بهذا.

---

(١) عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهني المصري أبو صالح ـ كاتب الليث بن سعد على أمواله، وهو صاحب حديث وعلم مكثر وله مناكير حدث عن معاوية بن صالح والليث وموسى بن علي وخلق، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون توفي سنة ٢٢٢ هـ. (الميزان ٢/٤٤٠، وحسن المحاضرة ١/٣٤٦).

(٢) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي المدني الفقيه أحد الفقهاء السبعة، يقال اسمه محمد والأصح أن اسمه كنيته روى عن أبيه وعن عمار بن ياسر وعائشة وأبي هريرة وجماعة استصغر يوم الجمل فرد هو وعروة بن الزبير وكان ثقة حجة فقيهاً إماماً وكان يقال له: راهب قريش توفي سنة ٩٤ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٦٣ ـ ٦٤، والعبر ١/٨٣).

(٣) في (د، و) قالت.

(٤) في (هـ) عمر.

(٥) عبد الله بن أبي ربيعة ـ واسمه عمرو ـ بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي أبو عبد الرحمن المكي والد عمر الشاعر له صحبة ولاه النبي ﷺ الجند ومخاليفها فلم يزل عليها حتى مات في أيام عثمان توفي سنة ٣٥ هـ.
(تهذيب التهذيب ٥/٣٠٨، والعقد الثمين ٥/١٣٦).

(٦) في (د) فسمع.

(٧) في (د) عمرا وابن.

(٨) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري الكناني من أبطال الصحابة أسلم بعد أحد وأسر يوم بئر معونة بعثه النبي ﷺ رسولاً إلى النجاشي روى عنه بنوه والشعبي وأبو قلابة وعدة توفي زمن معاوية نحو سنة ٥٥.
(الأعلام ٥/٢٣٨ ـ الكاشف ٢/٣٢٤، وسير الأعلام ٣/١٧٩).

(٩) في (جـ، د) بجعفر.. ثم أمر جعفرَ.

(١٠) انظر مسند أحمد ١/٢٠١ ـ ٢٠٣ عن جعفر، ٥/٢٩٠ ـ ٢٩٢ عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أم سلمة.
والدر ٢/٣٠٢ «أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية والواحدي من طريق طارق بن شهاب» وكذا في فتح القدير ٢/٦٩، وانظر الطبري ٧/٥ عن عروة، والمستدرك ـ كتاب التفسير «صحيح الإسناد» عن أبي موسى ٢/٣٠٩ ـ ٣١٠.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والطبري ٧/٥، وابن كثير ٢/٨٦، وفتح القدير ٢/٦٩ كلها عن ابن عباس.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٢٢٠، والبحر ٤/٦ عن الزجاج.

(١٣) في (د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٤) انظر الزجاج ٢/٢٢١، وغرائب النيسابوري ٧/١٦، وفتح القدير ٢/٦٩ عن سعيد بن جبير، والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ عن ابن عباس. «صحيح الإسناد» ٢/٣١٣، والخازن ٢/٨٣ عن ابن عباس.

وقوله[1] ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾[2].

- قوله ﴿فأثابهم الله بما قالوا. . .﴾ الآية إنما علق الثواب بمجرد القول لأنه سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوا[3]، وهو المعرفة[4] في قوله ﴿مما عرفوا من الحق﴾ والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص، واستكانة القلب ومعرفته إذا اقترن به القول فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب.

وقال ابن عباس في قوله ﴿بما قالوا﴾ يعني[5]: بما سألوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين وقولهم ﴿ونطمع[6] أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين﴾، وهذا يدل على مسألتهم الجنة.

وعلى هذا التفسير «القول»: معناه المسألة.

وقوله ﴿[جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها] وذلك جزاء المحسنين﴾ يعني: الموحدين[7] المؤمنين.

ولما ذكر الله الوعد لمؤمني أهل الكتاب، ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب فقال:

- ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

- قوله[8] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ «الطيبات» اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب.

قال المفسرون: همَّ[9] قوم من أصحاب النبي ﷺ أن يرفضوا الدنيا ويحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وأن يصوموا النهار ويقوموا[10] الليل ويخصوا أنفسهم، فأنزل الله هذه الآية[11].

واعلم أن الطيبات لا ينبغي أن تجتنب، وسمى الخصاء اعتداء فقال ﴿ولا تعتدوا﴾ أي: لا تجبوا أنفسكم، «هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وإبراهيم»[12].

---

(١) في (د) قوله.

(٢) سورة الأنبياء /١٠٥ وفي (أ) إن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وفي (د) إنما الأرض. . وفي (هـ) يرثه.

(٣) في (د) بما قالوا.

(٤) في (هـ) المغفرة.

(٥) ساقطة من (جـ، د).

(٦) في (هـ) نطع، وفي (جـ، هـ) (ونطمع أن يدخلنا ربنا). وانظر غرائب النيسابوري ٧/١٦ عن ابن عباس.

(٧) في (هـ) موحدين.

(٨) في (د) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٩) في (د) هم. . . . هموا أن يرفضوا.

(١٠) في (هـ) ويقوم.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والزجاج ٢/٢٢١، والترمذي ٤/٣١٩ عن ابن عباس والطبري ٧/٧، والدر ٢/٣٠٧ - ٣٠٨ كلاهما عن ابن عباس، وأبي مالك وعكرمة وقتادة وإبراهيم وأبي قلابة وعائشة، وابن كثير ٢/٨٧ - ٨٨ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي، والفراء ١/٣١٨، وأسباب النزول للواحدي ١٥٢ - ١٥٣ وللسيوطي ١١١ - ١١٢ والرازي ١٢/٧٠، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٣٧ عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والطبري ٨/٨ عن ابن عباس، والدر ٢/٣٠٨ عن السدي ومجاهد وابن عباس.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد[١]، حدثنا عبد الرحيم بن منيب، حدثنا الفضل بن موسى[٢]، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت قيساً يذكر قال: قال عبد الله بن مسعود:

كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا له: ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم قرأ هذه الآية ﴿**لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾.

رواه البخاري عن عمرو بن عون[٣]، عن خالد، ورواه مسلم عن ابن نمير، عن أبيه، كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد[٤].

ثم أمرهم أن يأكلوا مما أحل[٥] لهم فقال:

- ﴿**وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً**﴾ قال ابن عباس[٦]: يريد من طيبات الرزق اللحم وغيره.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

- قوله تعالى[٧] ﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم**﴾ قال المفسرون: إن القوم لما حرموا الطيبات من المآكل والمناكح حلفوا على ذلك، فلما نزل قوله[٨]: ﴿**لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**[٩]﴾ قالوا يا رسول الله، وكيف نصنع بأيماننا فأنزل الله تعالى هذه الآية[١٠].

وتقدم الكلام في معنى «لغو اليمين» في سورة البقرة[١١].

وقوله[١٢] ﴿**ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**﴾ وقرىء بالتشديد والتخفيف وبالألف[١٣] يقال: عقد فلان

(١) في (جـ، د) الطوسي.

(٢) السيناني الحافظ الإمام الحجة أبو عبد الله الفضل بن موسى المروزي أحد أئمة خراسان - وسينان من قرى مَرْو - رحل وسمع قال أبو نعيم: ثبت وقال وكيع: ثقة صاحب سنة ولد سنة ١١٥ هـ وتوفي سنة ١٩٢ هـ (تذكرة الحفاظ ١/٢٩٦ - ٢٩٧).

(٣) عمرو بن عون الحافظ الثبت أبو عثمان السلمي الواسطي البزاز روى عنه البخاري وأبو داود وأبو زرعة وخلق وثقه جماعة. قال أبو زرعة: قل من رأيت أثبت منه وقال أبو حاتم ثقة حجة توفي سنة ٢٢٥ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٤٢٦).

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - (لا تحرموا ما أحل الله لكم) ٣/١٢٥، ومسلم - كتاب النكاح - باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيح ثم نسخ ١/٥٨٥ كلاهما عن حديث ابن مسعود.

(٥) في (هـ) أحل الله لهم.

(٦) رواه الترمذي في كتاب التفسير - من سورة المائدة: عن ابن عباس ٤/٣١٩.

(٧) في (د) قال لا يؤاخذكم.

(٨) من (أ).

(٩) في (د) ما أحل لكم.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٧/١٠، وأحكام القرآن ٢/٦٣٨، والدر ٢/٣١١ - ٣١٢، وفتح القدير ٢/٧٢ كلها عن ابن عباس - وابن كثير ٢/٨٨.

(١١) انظر تفسير الآية ٢٢٥.

(١٢) في (د، هـ) وقوله.

(١٣) قرأ حمزة والكسائي وعاصم (عَقَدتم) - بتخفيف القاف - أي أوجبتم، وحجتهم: أن الكفارة تلزم الحانث إذا عقد يميناً بحلف مرة=

اليمين والعهد، إذا وكده وأحكمه، وعقد وعاقد[١]. قال مجاهد: هو ما عقد عليه قلبك وتعمدته[٢].

وقوله[٣] ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين مد، وهو ثلثا[٤] مَنٍّ وهذا قول ابن عباس وزيد بن ثابت والحسن[٥] ومذهب الشافعي.

وقوله ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال ابن عباس[٦]: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة وقوتاً وسط وقوتاً دون ذلك، فأمروا بالوسط، وهو يعود إلى ما ذكرنا من قدر المد، لأنه وسط في طعام الواحد، ليس بسرف ولا تقتير.

وقوله ﴿أو كسوتهم﴾ «الكسوة» معناها: اللباس، وهي[٧] كل ما يكتسى به والتي تجزىء في الكفارة أقل ما يقع عليه اسم الكسوة، إذا رأوا رداء[٨]، أو قميص أو سراويل أو عمامة أو مقنعة، ثوب واحد لكل مسكين[٩].

وقوله ﴿أو تحرير رقبة﴾ يعني: اعتاق رقبة، ويجب أن تكون سليمة من عيب يمنع من العمل، ولا يجوز إعتاق الرقبة الكافرة في شيء في الكفارات. والحالف مخير بين هذه الثلاثة.

وقوله[١٠] ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾ قال قتادة[١١]: من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته فهو غير واجد، وجاز له الصيام.

قال الشافعي[١٢]: إذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة

= واحدة، كما يلزم بحلف مرات كثيرة إن كان ذلك على الشيء الواحد.

ولأن «فعَّلت» يراد به رددت الفعل مرة بعد مرة، وإذا شددت القاف سبق إلى وهم السامع أن الكفارة لا تجب على الحانث العاقد على نفسه يميناً بحلف مرة واحدة حتى يكرر الحلف وهذا خلاف جميع الأمة فإذا خففت زال الإشكال. وقرأ أبو عامر (عاقدتم) أي تحالفتم.

وقرأ الباقون (عقدتم) بالتشديد وحجتهم ذكرها أبو عمرو فقال: (عقدتم) أي وكدتم وتصديقها. قوله ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ - سورة النحل/٩١ - والتوكيد هو ضد اللغو في اليمين، واللغو ما لم يكن باعتقاد.

وأيضاً: أن الأيمان جمع يمين فكأنهم أسندوا الفعل إلى كل حالف عقد على نفسه يميناً (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٤، والسبعة ٢٤٧، والنشر ٢/٢٥٥ والتبيان ١/٤٥٧ والحجة لابن خالويه ١٣٤).

(١) انظر اللسان: عقد والمصباح المنير: عقد.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧/١٠، وفتح القدير ٢/٧٢ كلاهما عن مجاهد والدر ٢/٣١٢ وأحكام القرآن ٢/٦٤٤ كلاهما عن مجاهد.

(٣) في (د) قوله.

(٤) في (أ، د، هـ) ثلثاً منا. وانظر غرائب النيسابوري ٧/٢٤، وابن كثير ٢/٩٠ كلاهما عن ابن عباس وزيد بن ثابت والحسن وسعيد ابن المسيب والشافعي والدر ٢/٣١٢ عن ابن عباس وزيد وابن عمر وأبي هريرة وأسماء بنت أبي بكر.

(٥) ليست في (و).

(٦) انظر تفسير الطبري ٧/١٥ وابن كثير ٢/٨٩ والدر ٢/٣١٣ كلها عن ابن عباس.

(٧) في (أ) والكسوة معناه اللباس وهي، وفي (د) وهو، وفي (هـ) أو كسوتهم معناه: اللباس كل.

(٨) في (جـ) ردآً أو قميصاً وفي (هـ) قميس.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢/٩٠ عن الشافعي وآخرين.

(١٠) ساقطة من (د).

(١١) انظر تفسير الطبري ٧/١٩ وابن كثير ٢/٩١ والدر ٤/١٣٤ كلها عن قتادة.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٧/١٩، والرازي ١٢/٧٧، وغرائب النيسابوري ٧/٢٧ كلها عن الشافعي.

بالإطعام، وإن[١] لم يكن عنده هذا القدر[٢]، فله الصيام، وهو[٣] صيام ثلاثة أيـام متتابعات في قول ابن عباس والحسن وقتادة[٤].

وقال مجاهد: هو مخير في التتابع والتفريق[٥].

وقوله[٦] ﴿ذلك كفارة أيمانكم﴾ أي: ذلك الذي يغطي على آثامكم وحنث أيمانكم [﴿واحفظوا أيمانكم﴾][٧] عن الحنث فلا تحنثوا، وقال ابن عباس: لا تحلفوا[٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾

ـ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر...﴾ الآية، أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بـن عبد الله بن عبد الحكم[٩]، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحرث[١٠] أن ابن شهاب حدثه عن سالم بن عبد الله:

أن أول ما حرمت الخمر، أن سعد بن أبي وقاص وأصحاباً له شربوا فاقتتلوا، فكسر أنف سعد فأنزل الله تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾[١١].

أخبرنا أحمد بن محمد بن[الحـرث، أخبرنـا عبد الله بن محمـد بن][١٢] جعفر بـن حيان، حدثنـا أبو يحيـى

---

(١) في (د) ولم.

(٢) في (هـ) القد.

(٣) في (د) والصيام.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والطبري ٧/ ٢٠ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبي وإبراهيم، والدر ٢/ ٣١٤ عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأبي وابن مسعود، والفراء ١/ ٣١٨.

(٥) انظر الدر ٢/ ٣١٤ عن مجاهد قال «كل صوم في القرآن فهو متتابع إلا قضاء رمضان فإنه عدة من أيام أخر»، وانظر الطبري ٧/ ٢٠.

(٦) في (د) قوله.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (هـ).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٠، والقرطبي ٦/ ٢٨٥.

(٩) في (أ) عبد محمد بن عبد الله بن الحكم.

(١٠) في (أ) عمر.

وانظر صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٢/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥ والطبري ٧/ ٣٧، والدر ٢/ ٣١٥، والفتح الرباني ١٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣ كلهم عن سالم.

(١١) في (د) لعلكم تفلحون.

(١٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

عبد الرحمن بن محمد الرازي، حدثنا سهل بـن عثمان العسكري، حدثنا عبد الرحيم، عن زكريا بن أبي زائدة[١]، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة قال:

قال عمر بن الخطاب: اللهم بين لنا في الخمر، فإنها تذهب المال والعقل، فأنزلت الآية التي في سورة البقرة ﴿يسئلونك عن الخمر والميسر﴾ [٢]، فدعي [٣] عمر فقرأت عليه، فلم ير فيها ذلك البيان فقال: اللهم بين لنا في الخمر فإنها تذهب المال والعقل، فأنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [٤] فدعي عمر فقرئت عليه، فلم ير فيها ذلك البيان، فقال: اللهم بين لنا في الخمر فإنها تذهب المال والعقل فأنزلت الآية ﴿**إنما الخمر والميسر**...﴾ حتى بلغ إلى قوله ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ فقال عمر: انتهينا يا رب [٥].

قال ابن عباس في قوله ﴿**إنما الخمر**﴾: يريد الخمر من جميع الأشربة التي تخمر حتى تشتد وتسكر [٦].

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن أحمد الشيباني، أخبرنا محمد بن محمد بن يعقوب الحافظ، أخبرنا محمد بن زمان وحبيب الحضرمي أن محمد بن رمح حدثهم، أخبرنا الليث عند يزيد بن أبي حبيب أن خالد بـن كثير، حدثهم أن السري بن إسماعيل حدثهم أن الشعبي حدثه أنه سمع النعمان بن بشير يقول قال رسول الله ﷺ إن من الحنطة خمـراً ومن الشعير خمراً ومن الزبيب خمراً ومن العسل خمراً وأنا أنهى عن كل مسكر[٧].

أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني ـ إملاءً في مسجد عقيل سنة ست عشرة [٨] وأربعمائة ـ أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي الجوسقاني [٩]، أخبرنا الحسن بن سفيان[١٠]، حدثنا علي بن حجر، حدثنا سلمة بن صالح[١١]، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال:

قال رسول الله ﷺ: ما أسكر كثيره، فقليله حرام[١٢].

---

(١) زكريا بن أبي زائدة بن ميمون بن فيروز الهمذاني الأعمى الكوفي أبو يحيى مولى عمرو بن عبد الله الوادعي ـ واسم أبي زائدة خالد، ويقال هبيرة ـ سمع الشعبي وخالد بن سلمة توفي سنة ١٤٨ هـ. (كتاب الجمع ٢/ ٥٣٠).

(٢) سورة البقرة / ٢١٩. (٣) في (و) فدعا. (٤) سورة النساء / ٤٣.

(٥) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب سورة المائدة رقم ٥٠٤٣ وصححه عن عمر ٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.
وأبو داود ـ كتاب الأشربة ـ باب في تحريم الخمر ـ رقم ٣٦٧٠ ٣/ ٣٢٥. ومسند أحمد ١/ ٥٣، والطبري ٧/ ٢٢ كلهم عن حديث عمر.

(٦) انظر البحر ٢/ ١٥٤.

(٧) أخرجه أبو داود في الأشربة باب الخمر (٣٦٧٦) (٣٦٧٧) والترمذي في الأشربة ٣/ ١٩٧ (١٩٣٤) والحاكم (٤/ ١٤٨) في الأشربة وصححه ووافقه الذهبي.

(٨) في (د) ستة.

(٩) أبو جعفر محمد بن علي الجوسقاني من أهل أسفرايين روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بـن محمد الاسفراييني توفي سنة ٣٥٠ هـ (الأنساب ٣٠/ ٣٧٠).

(١٠) في (جـ، د) الحسين.

(١١) سلمة بن صالح الأحمر واسطي عن ابن المنكدر وغيره يكنى أبا إسحاق كان قاضي واسط روى عن ابن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء كتبت عنه وقال النسائي ضعيف يروي حديث «ما أسكـر كثيره قليله حرام» (الميزان ٢/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(١٢) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب الأشربة ـ باب ما أسكر كثيره فقليله حرام رقم ١٩٢٧ «حسن غريب عن جابر» وفي الباب عن غيره. ٣/ ١٩٤.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا سفيان بـن عيينه، عن الزهري، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «كل شراب أسكر فهو حرام».

رواه البخاري عن علي بن المديني، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن سفيان بـن عيينة(١).

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن وهب، حدثني حميد بن زياد أبو صخر(٢)، أن رجلا حدثه عن عمارة بن حزم(٣)، أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص ـ وهو في الحجر بمكة(٤)، وسئل عن الخمر ـ فقال: والله إن عظيماً عند(٥)الله الشيخ مثلي ـ وأخذ بلحيته ـ يكذب في هذا المقام على نبي الله ﷺ، جاءني رجل ـ وأنا في هذا المقام ـ فسألني عن الخمر، فقلت: ذاك رسول الله ﷺ، اذهب فسله(٦) وارجع إليَّ فأخبرني ما قال لك، فنظرت إليه حتى قعد إلى رسول الله ﷺ ثم رجع إلي فقال لي: سألته عن الخمر، فقال:

«هي أكبر الكبائر، وأم الفواحش، من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع أمه وخالته وعمته» (٧).

أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن الحافظ، أخبرنا أحمد بن شاذان، حدثنا أبو القسم البغوي، حدثنا أبو نصر التمار (٨)، حدثنا كوثر بن حكيم (٩) عن نافع، عن ابن عمر، أن رسـول الله ﷺ قال: إن الله لعن الخمر وعاصرها والمعتصر والجالب والمجلوب إليه والبائع والمشتري والساقي والشارب، وحرم ثمنها على المسلمين(١٠)

= وأبو داود ـ كتاب الأشربة ـ باب النهي عن المسكر رقم ٣٦٨١ ٣٢٧/٣.
والبيهقي في السنن ـ كتاب الأشربة ـ باب ما أسكر كثيره فقليله حرام ٢٩٦/٨ ومسند أحمد ٣٤٣/٣، وشرح السنة للبغوي ٢٥١/١١ «هذا حديث حسن غريب من حديث جابر». كلهم من حديث جابر.

(١) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الأشربة ـ باب الخمر من العسل وهو البتع ٣٢١/٣.
ومسلم ـ كتاب الأشربة ـ باب بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام ١٩٩/٢ كلاهما من حديث عائشة.

(٢) في (د) ابن صخر سبق.

(٣) عمارة بن عمرو بن حزم النجاري الأنصاري تابعي شريف سيد من أهل المدينة روى عن أبي بن كعب وغيره وعنه سلمة بن دينار، وعمر بن كثير وطائفة وثق توفي سنة ٧٣ هـ (الأعلام ١٩٤/٥ والكاشف ٣٠٣/٢).

(٤) في (هـ) وهجر مكة.

(٥) في (د) عظم الله عند الشيخ.

(٦) في (د، هـ) فساله.

(٧) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب الأشربة ـ باب ما جاء في الخمر ومن يشربها «رواه الطبراني وعتاب لم أعرفه وابن لهيعة حديثه حسن وفيه ضعف» عن ابن عمرو ٦٨/٥، والدارقطني ـ كتاب الأشربة ـ رقم ٣ «لفظ الحديث» عن ابن عباس ٢٤٧/٤، والجامع الصغير ١٢/٢ عن ابن عباس، ١٢/٢ ـ ١٣ عن ابن عمر ورمز لهما بالصحيح.

(٨) عبد الملك بن عبد العزيز أبو نصر التمار سمع مالك بن أنس وكوثر بن حكيم والحمادين وغيرهم وعنه مسلم وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وغيرهم قال النسائي: ثقة توفي سنة ٢٢٨ هـ (تاريخ بغداد ٤٢٠/١٠ ـ ٤٢٢).

(٩) كوثر بن حكيم عن عطاء ومكحول وهو كوفي نزل حلب وحدث عنه مبشر بن إسماعيل وأبو نصر التمار قال أبو زرعة: ضعيف وقال ابن معين: ليس بشيء وقال أحمد أحاديثه بواطيل ليس بشيء، وقال الدارقطني وغيره: متروك وقال البخاري: منكر الحديث. (الميزان ٤١٦/٣).

(١٠) الحديث: رواه الحاكم في المستدرك ـ كتاب البيوع وصححه ٣٢/٢. ومسند أحمد ٢٥/٢ ومصنف ابن أبي شيبة ٤٤٧/٦ ـ ٤٤٨ كلهم من حديث ابن عمر بألفاظ متقاربة وانظر مثل ذلك تفسير الآية ٢١٩ من سورة البقرة والحديث ذكره ابن حبان ـ في ترجمة كوثر بن حكيم. (المجروحين ٢٢٨/٢).

أخبرنا محمد بن محمد[١] بن أحمد المنصوري، أخبرنا أخبرنا علي بن عمر الحافظ حدثنا أبو عمر القاضي حدثنا علي بن اشكاب[٢] حدثنا علي بن ربيعة[٣]، حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نعم[٤]، عن الوليد بن عبادة[٥]، قال: سمعت عبد الله بن عمرو[٦] يقول:

قال رسول الله ﷺ «الخمر أم الخبائث، ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة [٧] أربعين يوما، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية [٨]. أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الغازي[٩]، أخبرنا محمد بن بشر بن العباس البصري [١٠]، أخبرنا محمد بن إدريس السامي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنامحمد بن عبيد بن واقد، حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني [١١]، عن سهيل بن أبي صالح[١٢]، عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ «مدمن الخمر كعابد وثن»[١٣].

---

(١) القاضي أبو عمر المالكي محمد بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم القاضي ببغداد ومعاملاتها في سائر البلاد وكان من أئمة الإسلام علماً ومعرفة وفصاحة وبلاغة وعقلاً ورياسة روى الكثير عن المشايخ وعنه الدارقطني وغيره من الحفاظ وله مصنفات توفي سنة ٣٢٠ هـ عن ٧٨ سنة (البداية والنهاية ١١/١٧١ ـ ١٧٢).

(٢) في (د) علي بـن ساكار، وهو: علي بن الحسين بن إبراهيم بن الحربة إشكاب المحدث أبو الحسن قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي وهو صدوق ثقة توفي سنة ٢٦١ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٥٥٩ وتهذيب التهذيب ٧/٣٠٢).

(٣) محمد بن ربيعة الكلابي عن الأعمش قال ابن معين: لا بأس به وقال مرة: ثقة وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال الأزدي: فيه لين ونظر، وقال عثمان بن أبي شيبة: كذاب. (الميزان ٣/٥٤٥).

(٤) في (أ، د، هـ) نعيم، وهو: الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْم ـ بضم النون وسكون المهملة ـ البجلي الكوفي روى عن أبيه وفاطمة بنت علي بن أبي طالب وعبادة بـن الوليد وغيرهم وعنه محمد بن ربيعة وطائفة قال ابن معين: ضعيف وقال أبو حاتم: صالح الحديث وذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ٢/٤٣١)

(٥) الوليد بن عبادة بن الصامت المدني الأنصاري أبو عبادة، يقال إنه ولد في آخر زمن النبي ﷺ سمع أباه وروى عنه ابنه عبادة توفي في خلافة سليمان بن عبد الملك، وهو أخو يحيى بن عبادة. (كتاب الجمع ٢/٥٣٦).

(٦) في (أ، هـ) عمر، وفي (د، و) عمر.

(٧) ليست في (د).

(٨) الحديث: رواه الدارقطني ـ كتاب الأشربة ـ الحديث الأول ٤/٢٤٧ ومجمع الزوائد ـ كتاب الأشربة ـ باب ما جاء في الخمر ومن يشربها «رواه الطبراني في الأوسط» عن شيخه سباب بن صالح ولم أعرفه ٦/٧٢، وذكره الرازي في علل الحديث وصحح إسناده ٢/٢٨، ومسند أحمد ٢/٣٥ والجامع الصغير ٢/١٣ «طس» ورمز له بالصحيح وكذا في كشف الخفاء ١/٣٨٢ كلهم من حديث ابن عمرو.

(٩) في (هـ) الرازي.

(١٠) في (د، هـ) بشير.

(١١) محمد بن سليمان الأصبهاني عن سهيل بن أبي صالح وعطاء بن السائب قال أبو حاتم لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج بـه وقال النسائي: ضعيف وقال ابن عدي: هو قليل الحديث: أخطأ في غير شيء ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٨١ هـ (الميزان ٣/٥٦٩، وتهذيب التهذيب ٩/٢٠١).

(١٢) في (د) سهل بن صالح.

(١٣) الحديث: رواه ابن ماجة في السنن ـ كتاب الأشربة ـ باب مدمن الخمر رقم ٣٣٧٥ ٢/١١٢٠، وانظر كشف الخفاء ٢/٢٠٠ ـ ٢٠١ والدر ٢/٣٢٣ «وقال البخاري ولا يصح من حديث أبي هريرة» والعلل المتناهية لابن الجوزي ٢/٦٧١ قال المؤلف: لا يصح تفرد به محمد بن سليمان الأصبهاني وانظر تذكرة الموضوعات ١٠٧. ومسند أحمد ١/٢٧٢ عن ابن عباس.
وانظر الحديث للرازي «سألت أبي عن حديث رواه الحسن بن عطية وعبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من لقي الله وهو مدمن خمر كان كعابد وثن» ورواه أحمد بن يونس فقال: عن إسرائيل عن=

أخبرنا أبو سعيد فضيل بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي،[١] حدثنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن نافع العصري، حدثنا علي بن الحسن الشامي، حدثنا عبيد الله بن عمر العمري[٢]، عن نافع، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: لا تجالسوا شربة[٣] الخمر، ولا تشيعوا جنائزهم، ولا تزوجوهم ولا تتزوجوا إليهم، فإن شارب الخمر يبعث يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه، يدلع لسانه[٤] على صدره يسيل لعابه على بطنه، يقذره من يراه[٥].

﴿والميسر﴾: القمار كله، وتقدم معنى الكلام فيه[٦].

﴿والأنصاب﴾ قال ابن عباس[٧]: آلهتهم التي نصبوها يعبدونها، واحدها: نصب. والأزلام سهام مكتوب عليها: خير وشر ـ ومعنى الكلام فيه الانصاب والأزلام[٨]. وقوله[٩] ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ أي: قبيح مستقذر، يقال: رجَس الرجل رجَساً، ورجُس إذا عمل قبيحاً[١٠].

قال الزجاج[١١]، بالغ الله تعالى في ذم هذه الأشياء فسماها رجساً، وأعلم أن الشيطان يسول ذلك لبني آدم، وقد قرن الله تعالى تحريم الخمر بتحريم عبادة الأوثان تغليظاً وابلاغاً في النهي عن شربها.

لذلك قال ابن عباس[١٢]: لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض فقالوا: حرمت الخمر، وجعلت[١٣] عدلاً للشرك.

وقوله[١٤] ﴿فاجتنبوه﴾ أي كونوا جانباً[١٥] منه ﴿لعلكم تفلحون﴾.

ـ قوله تعالى[١٦] ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ أما الخمر فقال

= ثوير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال أبي: حديث حكيم عندي أصح، قلت لأبي فحكيم بن جبير أحب إليك أو ثوير؟ فقال ما فيهما إلا ضعيف غال في التشيع، قلت فأيهما أحب إليك؟ قال هما متقاربان.

وسألت أبي عن حديث رواه المؤمل بن إسماعيل عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «مدمن الخمر كعابد وثن» سمعت أبي يقول هذا خطأ إنما هو كما رواه حسن بن صالح عن محمد بن المنكدر قال حدثت عن ابن عباس عن النبي ﷺ ٢/٣٧.

(١) في (د) أخبرنا الشيخ.

(٢) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عثمان العدوي القرشي المدني سمع نافعاً وغيره توفي سنة ١٤٤ هـ روى له البخاري ومسلم.
(كتاب الجمع ١/٣٠٢ ـ ٣٠٣).

(٣) «شربة: جمع شارب ككفرة: جمع كافر» (حاشية (أ).

(٤) «يدلع لسانه: يخرجه» (عمدة القوي ص ١١).

(٥) الحديث: أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٣/٤٢ وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ وفيه جماعة ضعفاء ـ يعني في إسناده المذكور عنده ـ وانظر تنزيه الشريعة ٢/٢٣٠، واللآلىء المصنوعة ٢/٢٠٥.

(٦) انظر تفسير الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ٨٨ وغريب القرآن ١٤٦.

(٨) انظر تفسير الآية ٣ من سورة المائدة.

(٩) في (د) قوله.

(١٠) انظر اللسان / رجس، والمصباح / رجس.

(١١) انظر الزجاج ٢/٢٢٤.

(١٢) انظر فتح الباري ٨/٢٢٤.

(١٣) ساقطة من (د).

(١٤) في (د) قوله تعالى.

(١٥) في (حـ) أي كنتم، وفي (و) منه جانباً.

(١٦) في (حـ، د) قوله.

ابن عباس [(١)]: إن رجلاً من الأنصار كان مؤاخياً لسعد بن أبي وقاص، فدعاه إلى الطعام وشربوا مسكراً، فوقع بين الأنصاري وبين سعد [(٢)] مراء ومفاخرة فأخذ الأنصاري لحي بعير فضرب به وجه سعد حتى أثر في وجه سعد.

وأما الميسر فقال قتادة [(٣)]: كان الرجل يقامر على أهله وماله، فيقمر ويبقى حريباً[(٤)] سليباً، فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء إلى مالهِ في يدي [(٥)] غيره.

وقوله [(٦)] ﴿ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة﴾ وذلك أن من اشتغل بشرب الخمر أو القمار ألهاه ذلك [(٧)] عن ذكر الله وعبادته.

ثم أمر بالانتهاء عن هذه الأشياء فقال ﴿فهل أنتم منتهون﴾ قال ابن عباس [(٨)]: قالوا: انتهينا ربنا.

قال ابن الأنباري [(٩)]: بين[(١٠)] تحريم الخمر في قوله ﴿فهل أنتم منتهون﴾ إذ[(١١)] كان معناه فانتهوا.

قال الفراء[(١٢)]: ردد عليٌّ أعرابي: هل أنت ساكت، هل أنت ساكت، وهو يريد: اسكت اسكت، ولما ذكر الأمر باجتناب الخمر وما بعدها، أمر بالطاعة فقال:

- ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فيما يأمركم ﴿واحذروا﴾ المحارم والمناهي ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عما أمرتم ﴿فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ معناه: الوعيد، كأنه قيل: فاعلموا أنكم قد استحققتم العقاب[(١٣)] لتوليكم عما بلغ رسولنا. و «البلاغ» معناه: التبليغ، و «المبين»: الظاهر، أي: ليس على رسولنا إلا أن يبلغ ويبين.

- وقوله[(١٤)] ﴿ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا..﴾ الآية، قال المفسرون: لما نزل تحريم الخمر والميسر قالوا: يا رسول الله[(١٥)]، ما نقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[(١٦)] وقوله[(١٧)] ﴿فيما طعموا﴾ يعني: من الخمر والميسر.

---

(١) انظر الدر ٢/٣١٥، والفتح الرباني ١٨/١٣٢، وصحيح مسلم ٢/٣٦٤ ـ ٣٦٥، وانظر ما تقدم في تفسير الآية السابقة.
(٢) في (د) وسعد.
(٣) انظر تفسير الطبري ٧/٢٣، والدر ٢/٣٣٠ كلاهما عن قتادة.
(٤) «فيبقى حريباً ـ بحاء مهملة وراء مهملة مكسورة بعد ياء معجمة باثنتين وباء موحدة ـ يقال: حربه يحربه إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء» (عمدة القوي والضعيف ص ١١).
(٥) في (حـ، د، و) يد غيره.
(٦) في (د) قوله.
(٧) في (د) ألهاه عن ذكره.
(٨) انظر الدر ٢/٣١٤ عن أبي هريرة، ٢/٣١٥ عن بريدة، ٢/٣١٨ عن محمد بن قيس.
(٩) انظر البحر ٤/١٥، والخازن ٢/٩٠.
(١٠) ساقطة من (د).
(١١) في (أ، هـ) إذا.
(١٢) ذكره ابن منظور في اللسان / هلل عن الفراء.
(١٣) في (هـ) العذاب.
(١٤) في (حـ، هـ، و) قوله تعالى، وفي (د) قوله.
(١٥) في (د) ﷺ.
(١٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠١ وفتح الباري ٨/١٢٤ ـ ١٢٥، والفتح الرباني ١٨/١٣٢ ـ ١٣٣ ومسلم بشرح النووي ١٣/١٤٨ ـ ١٤٩، ومسند أحمد ١/٢٣٤، والطبري ٧/٢٤ ـ ٢٥، وصحيح البخاري ـ كتاب المظالم ـ باب صب الخمر في الطريق ٢/٦٩. والترمذي ـ كتاب التفسير ـ رقم ٥٠٤٤، ٥٠٤٥ ٤/٣٢٠ ـ ٣٢١.
والمستدرك ـ كتاب الأشربة ـ «صحيح على شرط مسلم» ٤/٢٤١ ـ ١٤٢.
(١٧) في (د) قوله.

وقوله [١] ﴿إذا ما اتقوا﴾ [يعني: المعاصي والشرك ﴿ثم اتقوا﴾] [٢] داموا على الاتقاء ﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾ اتقوا ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه.

أخبرنا أبو إسحاق الثعالبي، أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا أبو الأزهر [٣]، حدثنا روح، حدثنا سعيد عن قتادة قال:

لما أنزل الله تحريم الخمر في «المائدة» ـ بعد غزوة الأحزاب ـ قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله ﷺ: أصيب فلان يوم بدر، وفلان يوم أحد وهم يشربونها، ونحن نشهد أنهم في الجنة. فأنزل الله تعالى ﴿ليس على الذين ءامنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا..﴾ الآية.

يقول: [٤] شربها القوم على تقوى من الله وإحسان، وهي يومئذ حلال، ثم حرمت فيما بعد [٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

ـ قوله تعالى [٦] ﴿يا أيها الذين ءامنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد..﴾ الآية، أي: ليختبرن طاعتكم من معصيتكم [٧] بصيد البر خاصة، وكان هذا عام الحديبية، كانت الوحش والطير [٨] تغشاهم في رحالهم كثيرة وهم محرمون، فنهوا عنها ابتلاءً [٩] قوله [١٠] ﴿تناله أيديكم﴾ يعني: الفراخ [١١] وصغار الوحش ﴿ورماحكم﴾ [١٢] يعني: الكبار ﴿ليعلم الله﴾ ليرى الله ﴿من يخافه بالغيب﴾ من يخاف الله ولم يره، كقوله ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ [١٣].

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بعد النهي ﴿فله عذاب أليم﴾ قال ابن عباس: يوسع ظهره وبطنه جلداً، ويسلب ثيابه [١٤].

---

(١) في (د، و) قوله.
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).
(٣) في (د) حدثنا الأزهر.
(٤) في (حـ) يقول الله.
(٥) انظر تفسير الطبري ٧/٢٥، والدر ٢/٣٢١ كلاهما عن قتادة.
(٦) في (حـ، د) قوله.
(٧) في (و) معصيته.
(٨) في (د، و) الطير والوحش.
(٩) انظر غرائب النيسابوري ٧/٣٥، وابن كثير ٢/٩٧، والرازي ١٢/٨٥، والدر ٢/٣٢٧ كلها عن مقاتل.
(١٠) في (حـ، هـ) وقوله.
(١١) في (و) يعني الصغار من الوحش والفرخ.
(١٢) في (د) ويواحكم.
(١٣) سورة ق / ٣٣.
(١٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠١ بنحوه، والرازي ١٢/٨٦، والدر ٢/٣٢٧، وغرائب النيسابوري ٧/٣٥ كلها عن ابن عباس.

ـ قوله تعالى [1] ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ حرم الله تعالى قتل الصيد على المحرم فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرماً.

قوله [2] ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ قال الزهري: [3]: نزل القرآن بالعمد، وجرت السنة في الخطأ، يعني: أن المخطىء في قتل الصيد ألحق بالمتعمد في وجوب الجزاء عليه بالسنة.

وهذا مذهب عامة الفقهاء. قال ابن جريج: قلت لعطاء: ﴿ومن قتله منكم متعمداً﴾ فمن قتله خطأ يغرم، وإنما جعل الغرم على من قتله متعمداً، قال: يعظم بذلك حرمات الله، ومضت به السنن[4]. وقوله [5] ﴿فجزاءه مثل ما قتل من النعم﴾ أي: فعليه جزاء مماثل للمقتول. ففي النعامة: بدنة، وفي حمار الوحش: بقرة، وفي الضبع: كبش، وفي [الظبي: شاة، وفي الغزال]: [6] جمل.

ومن قرأ ﴿فجزاء مثل ما قتل﴾ على الإضافة إلى «مثل» [7]، كان معناه: فجزاء ما قتل، ويكون «المثل»: صلة، كما تقول: أنا أكرم مثلك، أي: أكرمك، ومعنى القراءتين [8] سواء.

وقوله [9] ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ قال ابن عباس: يريد: يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم من أهل ملتكم ودينكم، فقيهان عدلان، فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به.[10]

﴿هدياً بالغ الكعبة﴾ قال ابن عباس[11]: يريد: إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به ﴿أو كفارة طعام مساكين﴾ يعني: أو عليه ـ بدل الجزاء ـ الكفارة، وهي طعام مساكين.

---

(١) في (د) قوله.

(٢) في (حـ، هـ، و) وقوله.

(٣) في (د) الأزهري.. وجرت السنة في بالخطأ.
وانظر تفسير الطبري ٧/٢٨، وأحكام القرآن ٢/٦٦٨، وابن كثير ٢/٩٨، والدر ٢/٣٢٧ كلها عن الزهري.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧/٢٨ عن ابن جريج، وأحكام القرآن ٢/٦٦٨ عن ابن عباس وعمر وعطاء والحسن والنخعي والدر ٢/٣٢٧ عن الشافعي وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير وعمر وعطاء ومجاهد، وفتح القدير ٢/٧٩ عن ابن عباس.

(٥) في (د، و) قوله، وفي (د) فجزاء من قتل.
والصيد المحظور: «قال الشافعي: إنه البري المتوحش المأكول اللحم، أما الأول فلقوله بعد ذلك (أحل لكم صيد البحر) وأما المتوحش: فيدخل فيه نحو الظبي وإن صار مستأنساً، ويخرج الإنس وإن صار متوحشاً إبقاء لحكم الأصل، وأما كونه مأكولاً: فلقوله تعالى: ﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمت حرماً﴾ فيعلم منه أن مما يحل أكله في غير الإحرام» (غرائب النيسابوري ٧/٣٥ ـ ٣٦).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د)،.
وانظر الدر ٢/٣٢٨ عن المفسرين بتوسع.

(٧) في (د) إلى المثل.

(٨) في (حـ) القولين.
قرأ عاصم وحمزة والكسائي (فجزاءٌ) ـ منون ـ (مثلُ) ـ بالرفع ـ على معنى: فعليه جزاء مثل الذي قتل، فتكون (مثل) من نعت للجزاء.
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فجزاءُ) ـ مضموم ـ(مثل): ـ مضافة ـ فكأنه قال: فجزاء مثل المقتول واجب عليه، أي فداؤه.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٥ ـ ٢٣٦، والسبعة ٢٤٧ ـ ٢٤٨، والنشر ٢/٢٥٥، والتبيان ١/٤٦٠، والزجاج ٢/٢٢٨، والحجة لابن خالويه ١٣٤).

(٩) في (حـ، هـ، د) وقوله.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠١ بنحوه، والزجاج ٢/٢٢٨، وابن كثير ٢/٩٩، وفتح القدير ٢/٧٨، والطبري ٧/٣١، وغرائب النيسابوري ٧/٤٠ عن ابن عباس بلفظه.

(١١) انظر تفسير الطبري ٧/٣٠، وابن كثير ٢/١٠٠ كلاهما عن ابن عباس، والدر ٢/٣٣٠ عن مجاهد وعطاء وابن عباس.

وقرىء بإضافة كفارة إلى طعام [١]، وذلك أنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء: الهدي والطعام والصيام، استجيزت الإضافة لذلك، كأنه قيل: كفارة طعام لا كفارة هدي ولا كفارة صيام.

قال الشافعي: إذا قتل صيداً فإن شاء جزاه بمثله، وإن شاء قوم المثل دراهم ثم [يشتري] [٢] بالدراهم طعاماً، ثم يتصدق به، وإن شاء صام عن كل مد [٣] يوماً، وهو قوله **﴿أو عدل ذلك صياماً﴾**.

قال الفراء [٤]: «العَدل»: ما عادل الشيء من غير جنسه، و «العِدل»: المثل.

قال ابن الأعرابي: [٥] عَدل الشيء وعِدله سواء: مثله.

والجزاء إنما يجب فيما يؤكل لحمه من الدواب والطيور، فأما ما لا يؤكل لحمه فلا جزاء في قتله، أخبرنا القاضي أبو بكر الحبري، حدثنا محمد بن يعقوب، أخبرنا الربيع، أخبرنا [٦] الشافعي، أخبرنا مالك، عن نافع عن ابن عمر [٧]:

أن رسول الله ﷺ قال: «خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح، الغراب، والحدأة، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور» [٨].

قوله [٩] **﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾** قال عطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير: إذا عاد إلى قتل الصيد محرماً بعدما حكم عليه في المرة الأولى [١٠] حكم عليه ثانياً فهو بصدد الوعيد، لقوله **﴿فينتقم الله منه﴾** أي: يكافئه عقوبة بما صنع **﴿والله عزيز﴾** منيع **﴿ذو انتقامٍ﴾** من أهل معصيته، أي: ذو مكافأة لهم بالعقوبة.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر (أو كفارة) غير منون (طعامِ) خفض، وحجتهما: قوله (إن هذا لهو حق اليقين) ـ سورة الواقعة/ ٩٥ ـ فأضاف الحق إلى اليقين وهما واحد، وقوله (ولدار الآخرة) سورة يوسف/ ١١٠ ـ وقال الفراء: إنما جاز أن تضاف الكفارة إلى الطعام، لاختلاف اللفظين. وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (أو كفارةٌ) منوناً ـ (طعامُ) رفعاً، وحجتهم: أن الطعام هو الكفارة، فلا يضاف الشيء إلى نفسه.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٧، والسبعة ٢٤٨، والنشر ٢/ ٢٥٥، والتبيان ١/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، والمشكل ١/ ٢٣٨، والأخفش ٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧، والحجة لابن خالويه ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) من (د).

(٣) في (أ) عن كل يوم مداً.

وانظر تفسير الرازي ١٢/ ٩٥، وابن كثير ٢/ ١٠٠ كلاهما عن الشافعي، والطبري ٧/ ٣٥ عن عطاء وابن عباس ومجاهد وعكرمة، والدر ٢/ ٣٢٨ عن ابن عباس والضحاك.

(٤) انظر الفراء ١/ ٣٢٠، والرازي ١٢/ ٩٥، والزاهر ١/ ٢٤٥، والبغوي ٢/ ٩٣، وفتح القدير ٢/ ٧٨ كلها عن الفراء.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٢/ ٩٥ عن ابن الأعرابي والزجاج، والزجاج ٢/ ٢٢٩، والزاهر ١/ ٢٤٥، وفتح القدير ٢/ ٧٨ كلها عن البصريين.

(٦) في (و) أخبرنا.

(٧) في (و) عن ابن عمر قال: قال رسول الله.

(٨) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الحج ـ باب ما يقتل المحرم من الدواب ١/ ٣١٤ ومسلم ـ كتاب الحج ـ باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ١/ ٤٩٤ والترمذي ـ كتاب الحج ؛ـ باب ما جاء ما يقتل المحرم من الدواب رقم ٨٣٩ ٢/ ١٦٦ وأبو داود ـ كتاب الحج ـ باب ما يقتل المحرم من الدواب رقم ١٨٤٦ ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠ كلهم من حديث ابن عمر.

(٩) ساقطة من (هـ، و).

(١٠) انظر الطبري ٧/ ٣٩ عنهم، والدر ٢/ ٣٣١ عنهم وابن عباس.

ـ قوله [١] ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ قال ابن عباس: [٢]: يريد: ما أصيب من داخل البحر، وعني بـ «البحر» جميع المياه والأنهار داخلة في هذا.

وقوله [٣] ﴿وطعامه﴾ يعني: ما لفظه البحر أو حسر عنه الماء [٤] ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾ منفعة للمقيم والمسافر، تأكلون وتبيعون، ويتزود منه عابر السبيل.

﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً﴾ كل صيد صاده المحرم من البر أو صيد له بأمره لم يحل له أكله ﴿واتقوا الله﴾ فلا تستحلوا الصيد في الإحرام، ثم حذرهم بقوله ﴿الذي إليه تحشرون﴾ فيجزيكم بأعمالكم[٥].

۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾

ـ قوله تعالى ﴿جعل الله الكعبة﴾ [٦] قال مجاهد: [٧] سمي البيت كعبة لتربيعها، وقال ابن أبي نجيح [٨]: إنما سميت الكعبة لأنها مربعة مكعبة على عمل الكعب. و ﴿البيت الحرام﴾ معناه: أن الله تعالى قد حرم أن يصاد عنده، وأن يختلى ما عنده من الخلاء، وأن يعضد [٩] شجره، وما عظم من حرمته.

قوله[١٠] ﴿قياماً للناس﴾ أي: سبباً لقيام الناس إليها بالحج وقضاء النسك، فيصلح بذلك دينهم، لأنه يحط عنهم الذنوب والأوزار عندها، ويغفر لهم ما اقترفوه قبل حجها.

وقال جماعة من المفسرين: [١١] ﴿جعل الله﴾ حج ﴿الكعبة البيت الحرام قياماً﴾ لمعاش الناس ومكاسبهم بما يحصل لهم في زيارتهم من التجارة وأنواع البركة.

قال سعيد بن جبير: من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة أصابه[١٢]. وقوله[١٣] ﴿والشهر الحرام﴾ يريد:

---

(١) في (د) بعد حكم.

(٢) في (د) قوله تعالى.

(٣) انظر الدر ٢/٣٣٢ عن ابن عباس.

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٠١ عن ابن عباس وابن جرير وأبي بكر الصديق وزيد بن ثابت وخلق.

(٦) في (حـ) البيت، وفي (هـ، و) البيت الحرام.

(٧) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢/٦٩٢، والدر ٢/٣٣٣ كلاهما عن مجاهد وعكرمة، والطبري ٧/٤٩ عن عكرمة، وقال مجاهد «لأنها مربعة».

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/٤٩ عن ابن أبي نجيح.

(٩) «وأن يعضد شجره: يقطع» (حاشية أ).

(١٠) في (حـ، هـ، و) وقوله.

(١١) انظر الدر ١/٢٢٢ عن ابن عباس وابن عمر وأبي الزبير ومجاهد وقتادة، ٢/٣٣٤ عن زيد بن أسلم وانظر تفسير الآية ١٩٨ من سورة البقرة.

(١٢) في (د) الكعبة الحرام، وفي (د) الكعبة قيا.

(١٣) انظر الدر ٢/٢١٢ عن سعيد بن جبير.

الأشهر الحرم، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتغاورون ويسكفون الدماء بغير حقها، فإذا دخل الشهر الحرام أمنوا على أموالهم وأنفسهم وانبسطوا في متاجرهم، وكذلك إذا أهدى الرجل هدياً، أو قلد بعيره من لحاء شجر الحرم أمن كيف تصرف، وذلك قوله ﴿والهدي والقلائد﴾ ولو لم يؤمن الله العرب بهذه الأشياء لفسدت الأرض وفني الناس.

وقوله [1] ﴿ذلك [2] لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ قال ابن قتيبة [3]: فعل الله ذلك لعلمه بما فيه صلاح شؤونهم ليعلموا أنه كما علم ما فيه الخير لهم أنه يعلم أيضاً ما في السموات وما في الأرض.

قال ابن [4] الأنباري: ذكر الله في هذه السورة غيوباً كثيرة من أخبار الأنبياء ـ عليهم السلام وتباعهم [5] وأشياء من أحوال المنافقين واليهود كانت مستورة عن النبي ﷺ والمسلمين، فلما دل عليها قال ﴿ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ أي: ذلك يدلكم على أنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأنه لا تخفى عليه خافية.

ـ قوله ﴿إعلموا أن الله شديد العقاب﴾ قال الكلبي [6]: لمن استحل الحرام ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ لمن تاب.

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا خارجة، عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم [7] المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم [7] الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته [8] أحد» [9].

ولما أنذر الله بشدة العقاب، أخبر أنه ليس على الرسول إلا التبليغ [10] فقال:

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

ـ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ [11] أي: فقد بلغ وأنذر وبشر ﴿والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾ أي: لا يخفى عليه شيء مما تظهرون وما تسرون.

---

(١) في (د) قوله.

(٢) ليست في (أ).

(٣) انظر تفسير الطبري ٧/٥٠ ـ ٥١، والقرطبي ٦/٣٢٦، والبحر ٤/٢٦، والبغوي ٢/٩٧، وفتح القدير ٢/٧٩.

(٤) في (د، هـ) قال، وانظر الزجاج ٢/٢٣٢ ذكره ثم عقب بقوله «ودليل هذا القول: قوله عز وجل ﴿ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾.

وانظر البحر ٤/٢٦، والبغوي ٢/٩٧ كلاهما عن الزجاج.

(٥) في غير (أ) وأتباعهم، وفي (د) وأشياعهم.

(٦) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١٠١.

(٧) في (هـ) يعلموا المؤمنوا... يعلموا الكفار.

(٨) في (و) من رحمته.

(٩) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب التوبة ـ باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ٢/٤٩٤ والترمذي ـ كتاب الدعوات ـ باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار رقم ١٠ ٥/٢٠٩ كلاهما من حديث أبي هريرة.

(١٠) في (و) البلاغ. (١١) في (هـ) بلاغ.

قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

ـ قوله تعالى ﴿**قل لا يستوي الخبيث** [١] **والطيب**﴾ روى جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن الخمر كانت تجارتي، وإني اعتقدت [٢] من بيعها مالاً فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة [٣] الله؟. فقال النبي ﷺ: إن أنفقته في حج، أو جهاد، أو صدقة، لم يعدل عند الله جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب [٤].

وأنزل الله تصديقاً لقول رسوله ﴿**قل لا يستوي الخبيث والطيب**﴾ قال عطاء والحسن: الحرام [٥] والحلال. ﴿**ولو أعجبك كثرة الخبيث**﴾ معنى «الإعجاب»: السرور بما يتعجب منه، تقول: يعجبني المال والغنى أي: يسرني، قال عطاء عن ابن عباس [٦]: يريد: أن أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا، وما عند الله خير وأبقى.

ثم أمر بالتقوى فقال ﴿**فاتقوا** [٧] **الله يا أولي الألباب...**﴾ الآية.

ـ قوله تعالى[٨] ﴿**يا أيها الذين ءامنوا لا تسئلوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم**﴾ قال المفسرون إن رسول الله ﷺ سئل حتى أحفوه [٩] بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: لا تسألوني عن شيء في مقامي هذا إلا أخبرتكموه، فقام رجل من بني سهم كان يطعن في نسبه وهو عبد الله بن حذافة [١٠] فقال: يا نبي الله من أبي؟

---

(١) في (هـ) خبيث.

(٢) في (و) اعتقلت.

واعتقدت: أي جمعت (حاشية أ).

(٣) في (هـ) بطاعت.

(٤) الحديث: رواه السيوطي في أسباب النزول نقلاً عن الواحدي ص ١١٤، وأسباب النزول للواحدي ١٥٧، وغرائب النيسابوري ٧/٤٩ - ٥٠، والبحر ٤/٢٧ كلهم من حديث جابر.

(٥) في (حـ، د، و) الحلال والحرام،

وانظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والبحر ٤/٢٧ عن ابن عباس والحسن، والدر ٢/٣٣٤ عن أبي هريرة، وفتح القدير ٢/٨١.

(٦) ذكره الخازن ٢/٩٧.

(٧) في (حـ، د) واتقوا.

(٨) في (د) قوله.

(٩) «أحفاه: ألح عليه في المسألة، وأحفى السؤال: ردد» (اللسان / حفا، المصباح / حفي).

(١٠) في (حـ، د) أبي قيس، وهو: عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سعد بن عمرو القرشي السهمي أبو حذافة أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة مع أخيه قيس روى عن النبي ﷺ توفي نحو سنة ٣٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٥/ ١٨٥).

فقال: أبوك حذافة بن قيس، وقام آخر فقال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال: في النار وقام آخر فقال: يا رسول الله، الحج علينا في كل عام؟ فقال رسول الله ﷺ: ويحك، وما يؤمنك أن أقول نعم، والله لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ما استطعتم، فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم. فأنزل الله هذه الآية [١].

وسأل عن موضع أبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النار فهو مما يسوء السائل بيانه.

وأما من سأل عن نسبه، فإنه لم يأمن من أن يلحقه النبي ﷺ بغير أبيه فيفتضح فضيحة تبقى عليه بسؤال لم يكلف ذلك.

وأما السائل عن الحج، فقد سأل عما كان مرفوعاً عنه، لأنه كان ظاهر ما نزل من فرض الحج كفاية، فلو كان العدد في الوجوب مراراً لبين في التنزيل أو على لسان الرسول، فسؤاله إذاً عن شيء عفا الله وهو قوله ﴿**عفا الله عنها**﴾.

وهذا مؤخر في النظم مقدم في المعنى: لأن التقدير: لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم عفا الله عنها.

ومعنى ﴿**عفا الله عنها**﴾: أي: كف وأمسك عن ذكرها، فلم يوجب فيها حكماً. قال الزجاج [٢]: أعلم الله أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك، ولا وجه في المسألة عما عفا الله عنه [٣] ولا فيما فيه إن ظهر فضيحة على السائل.

وقوله [٤] ﴿**وإن تسئلوا عنها**﴾ أي: عن أشياء ﴿**حين ينزل القرآن**﴾ فيها من فرض أو إيجاب أو نهي أو حكم ومست حاجتكم إلى ما هو من جملة ما نزل فيه القرآن وليس في ظاهرها دليل على شرح ما بكم إليه حاجة، فإذا سألتم [٥] عنها حينئذ ﴿**تبد لكم**﴾.

ـ قوله [٦] ﴿**قد سألها قوم من قبلكم**﴾ أي: [٧] سأل الآيات التي بهم غنى عنها فتكلفوا سألتها، كقوم عيسى سألوا المائدة ثم كفروا بها، وقوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها وكفروا بها.

ـ قوله تعالى [٨] ﴿**ما جعل الله من بحيرة**﴾ أي: ما أوجبها [٩] ولا أمر بها. و «البحيرة»: فعيلة من البحر وهو الشق، يقال: بحر ناقته، أي شق أذنها، وهي بمعنى المفعولة.

قال المفسرون [١٠]: البحيرة: الناقة إذا نتجت خمسة أبطن شقوا أذنها، وامتنعوا عن ركوبها [١١] وذبحها ولا يجز

---

(١) انظر صحيح البخاري ـ كتاب الصلاة ـ باب وقت الظهر عند الزوال ١٠٤/١. وكتاب التفسير ـ من سورة المائدة (لا تسئلوا عن أشياء. . .) ١٢٦/٣. ومسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عمّا لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما يقع ونحو ذلك ٣٣٨/٢ ـ ٣٣٩، والطبري ٥٢/٧ ـ ٥٣، وابن كثير ١٠٤/٢ ـ ١٠٥، والزجاج ٢٣٢/٢ ـ ٢٣٣، وفتح الباري ١٥١/١ ـ ١٥٢، ٢٢٦/٨ ـ ٢٢٧، ومسلم بشرح النووي ١١٢/١٥، وما بعدها، والفتح الرباني ١٥٩/١، ١٤/١١ ـ ١٩.

(٢) انظر الزجاج ٣٣٣/٢.

(٣) في (د) عفا الله إن ظهر.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (هـ) ستتم.

(٦) في (حـ، و) قوله تعالى.

(٧) في (د) أي قد سأل، وفي (و) أي الآيات.

(٨) في (د) قوله.

(٩) في (د) ووسمها وما أمر.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والزجاج ٢٣٤/٢ ـ ٢٣٥، وغريب القرآن ١٤٧، وابن كثير ١٠٧/٢ ـ ١٠٨، والدر ٣٣٧/٢ كلاهما عن ابن عباس، ومجاز القرآن ١٧٩/١ ـ ١٨٠.

(١١) في (هـ) كركوبها.

لها وبر، ولا يحمل على ظهرها، ولا تمنع من ماء ولا مرعى [١].

وقوله ﴿ولا سائبة﴾ قال أبو عبيدة [٢] : كان الرجل إذا مرض أو قدم من سفر نذر نذراً ، أو شكر نعمة ، سيب بعيراً، فكان بمنزلة [٣] البحيرة في جميع ما حكموا لها.

وقال الفراء [٤]: إذا ولدت الناقة عشرة أبطن كلها إناث سيبت فلم تركب [٥] . وقال ابن عباس: [٦] هي التي تسيب للأصنام، أي: تعتق لها، وقال سعيد بن المسيب: السائبة من الإبل، كانوا يسيبونها لطواغيتهم [٧].

وقوله [٨] ﴿ولا وصيلة﴾ [٩] الوصيلة من الغنم: كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت [١٠] أخاه فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم[١١].

وقوله[١٢] ﴿ولا حامٍ﴾ قال ابن عباس وابن مسعود: إذا[١٣] نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره[١٤] وسيب لأصنامهم فلا يحمل عليه.

قال قتادة: كان هذا كله تشديد شدده الشيطان على أهل الجاهلية في أموالهم وتغليظاً[١٥].

وإن أول من فعل ذلك عمرو بن لحى[١٦].

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد المزكي، أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الشيباني[١٧]، أخبرنا

---

(١) في (حـ، و) عن ماء، وفي (هـ) ولا تمنعوا عن ماء ولا مرعاً.

(٢) في (أ) وقال أبو عبيدة.

وانظر مجاز القرآن ١/ ١٨٠، والزجاج ٢/ ٢٣٥، وغريب القرآن ١٤٧، وابن كثير ٢/ ١٠٨ عن أبي روق والسدي.

(٣) في (هـ) بمن زلة.

(٤) انظر الفراء ١/ ٣٢٢، والزاهر ٢/ ١١٧، وابن كثير ٢/ ١٠٨ عن محمد بن إسحاق.

(٥) في (هـ) تركبوا.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، وغرائب النيسابوري ٧/ ٦٢ عن ابن عباس، وفتح الباري ٨/ ٢٢٨، والزاهر ٢/ ١١٧.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/ ٦٠، وابن كثير ٢/ ١٠٧، والدر ٢/ ٣٣٧ كلها عن سعيد.

(٨) في (هـ) ولا وصيلة ولا حام.

(٩) في (أ) جعلوها.

(١٠) في (هـ) وصلة، وفي (و) وصلت أخاها فلا.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والزجاج ٢/ ٢٣٥، ومجاز القرآن ١/ ١٨٠، وغريب القرآن ١٤٧، وابن كثير ٢/ ١٠٨ عن ابن عباس، والدر ٢/ ٣٣٧، والزاهر ٢/ ١١٧.

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) في (حـ) وإذا، وفي (هـ) إذا نتجه.

(١٤) في (هـ) حما ذهره.

انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، والدر ٢/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ عن أبي الأحوص عن أبيه وابن عباس ومجاز القرآن ١/ ١٧٩ والزجاج ٢/ ٢٣٥، وغريب القرآن ١٤٨، وفتح الباري ٨/ ٢٢٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٧٠١.

(١٥) في (د) تغليظاً، وانظر الدر ٢/ ٣٣٩ بنحوه عن قتادة.

(١٦) عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف الأزدي من قحطان أول من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغير دين إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. (تاريخ بغداد ٥/ ١٧٣، والأعلام ٥/ ٢٥٧).

(١٧) محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني أبو بكر الجوزقي ـ نسبة إلى جوزق قرية بنيسابور ـ الحافظ المعدل شيخ نيسابور=

محمد بن عبد الرحمن السرخسي [١]، أخبرنا أبو بكر بن أبي خيثمة [٢]، أن الفضل بن غانم [٣] حدثهم، حدثنا سلمة [٤]، عن أبي إسحاق [٥]، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي [٦] أن أبا صالح السمان حدثه، أنه سمع أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، وانه كان[٧] أول من غير دين إسماعيل، ونصب[٨] الأوثان، وسيبَّ السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة وحمى الحامي»[٩].

وقوله ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ قال ابن عباس[١٠]: يريد عمرو بن لحي وأصحابه يتقولون على الله الأباطيل في تحريم هذه الأنعام[١١]، وهم جعلوها محرمة لا[١٢] الله عز وجل [حرمها][١٣].

وقوله[١٤] ﴿وأكثرهم لا يعقلون﴾ قال الشعبي وقتادة[١٥]: يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب وافتراء على الله من الرؤساء الذين حرموا هذه الأنعام.

- قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم﴾ يعني: لهؤلاء المشركين الذين يحرمون على أنفسهم هذه الأنعام ﴿تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ في القرآن من[١٦] تحليل ما حرمتم على أنفسكم ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه ءاباءنا﴾ من الدين والمنهاج

= ومحدثها ومصنف الصحيح روى عن السراج وأبي حامد الشرقي والطبقة توفي سنة ٣٨٨ هـ عن ٨٢ سنة (شذرات ٣/١٢٩ - ١٣٠).

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد السرخسي الدغولي أبو العباس الإمام الحافظ الفقيه - الثبت كان من أئمة هذا الشأن ومن كبار الحفاظ أثنى عليه ابن عدي وابن خزيمة وغيرهما توفي سنة ٣٢٥ هـ (شذرات ٢/٣٠٧).

(٢) في (د) خيثمت، وهو: أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب الحافظ الحجة أبو بكر بن الحافظ النسائي ثم البغدادي صاحب التاريخ الكبير سمع أباه وأبا نعيم وعفان بن مسلم وخلقاً قال الدارقطني: ثقة مأمون، وقال الخطيب: ثقة عالم متقن حافظ أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل وابن معين توفي سنة ٢٧٩ هـ عن ٩٤ سنة (تذكرة الحفاظ ٢/٥٩٦).

(٣) الفضل بن غانم الخزاعي عن مالك قال يحيى: ليس بشيء، وقال الدارقطني: ليس بالقوي وقال الخطيب: ضعيف (الميزان ٣/٣٥٧).

(٤) في (د) بن سلمة، سبق ٥٧٨.

(٥) أبو إسحاق الشيباني الإمام سليمان بن فيروز الكوفي الحافظ مولى بني شيبان متفق على ثقته توفي سنة ١٤١ هـ (تذكرة الحفاظ ١/١٥٣).

(٦) محمد بن إبراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعيد بن تيم أبو عبد الله التيمي القرشي المدني توفي سنة ١٢٠ هـ. (كتاب الجمع ٢/٤٣٤، وتهذيب التهذيب ٩/٦٥).

(٧) ليست في (جـ، هـ).

(٨) في (و) فنصب.

(٩) الحديث: صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب قصة خزاعة ٢/٢٦٨ - ٢٦٩. وصحيح مسلم - كتاب صفة الجنة - باب النار يدخلها الجبارون ٢/٥٣٩.

ومسند أحمد ٢/٢٧٥. كلهم من حديث أبي هريرة.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٢، وغرائب النيسابوري ٧/٦٣ عن ابن عباس.

(١١) في (د) يقولون.

(١٢) في (أ) إلا الله.

(١٣) من الوجيز.

(١٤) في (د) قوله.

(١٥) انظر تفسير الطبري ٧/٦٠ - ٦١ عن الشعبي وقتادة، والدر ٢/٣٣٩ عن الشعبي.

(١٦) في (جـ) في تحليل.

﴿أو لو كان ءاباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ مضى تفسيره [١].

ـ قوله تعالى ﴿يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم﴾ قال الفراء وابن الأنباري[٢]: هذا أمر من الله، تأويله[٣] احفظوا أنفسكم من ملابسة المعاصي.

قال الزجاج [٤]: إذا قلت: عليك زيداً، فتأويله: إلزم زيداً، وعليكم أنفسكم معناه: الزموا أمر أنفسكم، فإنما ألزمكم الله أمرها.

﴿لايضركم من ضل﴾ من أهل الكتاب ﴿إذا اهتديتم﴾ ولا تدل الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن يتأول فيقال: إذا حفظ المرء نفسه عن المعاصي وكان مهتدياً لم يضره ضلال غيره من أهل دينه، ولا يجب عليه الأمر بالمعروف، وقد صرح أبو بكر الصديق رض الله عنه بهذا فيما:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد [الزعفراني، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب] [٥] المفيد، حدثنا [٦] أحمد بن عبد الرحمن السقطي، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال:

يا أيها[٧] الناس إنكم تقرؤون هذه الآية تضعونها على غير موضعها ﴿يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب»[٨].

قال أبو عبيدة [٩]: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية على غير متأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف فأراد أن يعلمهم أنها ليست كذلك، وأنه لو كان وجهها ذلك ما[١٠] تكلم رسول الله ﷺ بخلافها.

والذي أذن الله في الإمساك عن تغييره من المنكر: الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم أهل ملل يتدينون بها، ثم قد صولحوا على أن شرطهم ذلك. فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا تدخل في هذه

---

(١) انظر تفسير الآية ١٧٠ من سورة البقرة.
(٢) انظر الفراء ١/٣٢٢ ـ ٣٢٣، والبيان ١/٣٠٧، وانظر تفسير ابن عباس ١٠٢.
(٣) في (جـ، د) معناه.
(٤) انظر الزجاج ٢/٢٣٥.
(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).
(٦) في (د) أخبرنا.
(٧) في (هـ) أيها.
(٨) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر رقم ٢٢٥٧، روي بطرق كثيرة عن إسماعيل ورفعه بعضهم ووقفه بعضهم ٣/٣١٦.
وفي كتاب التفسير ـ من سورة المائدة رقم ٥٠٥٠ «حسن صحيح» ٤/٣٢٢. وأبو داود في السنن ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٤٣٣٨. ٤/١٢٢.
ومسند أحمد ١/٢، ٥، ٧، ٩ كلهم عن أبي بكر.
وانظر علل الحديث للرازي «سمعت وأبا زرعة وسئل عن حديث رواه شعيب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر عن النبي ﷺ «الحديث» قال أبو زرعة: وقد وقفه ابن عيينة ووكيع ويحيى القطان عن إسماعيل ويونس بن أبي إسحاق ورواه يونس عن طارق بن بيان بن بشر بن قيس عن أبي بكر موقوف، ورواه الحكم عن قيس عن أبي بكر موقوف قال أبو زرعة: وأحسب إسماعيل بن أبي خالد كان يرفعه مرة ويوقفه مرة. (٢/٩٨).
(٩) انظر تفسير الطبري ٧/٦٤ عن السدي، والبحر ٤/٣٦.
(١٠) في (أ) جاء تكلم.

الآية، والذي يدل على صحة هذه الجملة ما أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، [أخبرنا أبو بكر عبد الله بن يحيى][١] الطلحي، حدثنا[٢] أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصبهاني، حدثنا محمد بن عامر بن[٣] إبراهيم[٤] حدثنا أبي[٥] عن عمر بن خليفة الأنصاري[٦]، عن كثير بن أبي كثير[٧]، قال: حدثنا ابن عباس وهو يومئذ ضرير في بصره ـ وذكر عتيق بن عثمان فقال رحمه الله:

قعد على منبر رسول الله ﷺ ـ يوم سمي [٨] خليفة رسول الله ﷺ ـ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها [٩] من منبره، ثم قال: سمعت الحبيب ـ وهو جالس في هذا المجلس ـ إذ [١٠] تأول **﴿يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾** فسرها[١١] وكان تفسيره لها أن قال: نعم، ليس من قوم عمل فيهم بمنكر وسن فيهم بقبيح، فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم.

ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال: إلا أكن سمعتها من الحبيب قصمتُها[١٢] ولابن مسعود ـ رضي الله عنه في هذه الآية طريقة أخرى وهي ما: أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا عبد الله، عن أبي جعفر[١٣]، عن الربيع، عن أبي العالية قال:

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٢) في (د) أخبرنا.

(٣) الإمام المجود والحافظ الرحال صاحب المسند الكبير أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أسيد الأصبهاني سمع نصر بن علي الجهضمي وابن الفرات وغيرها وعنه أبو بكر الطلحي وعثمان بن السماك وآخرون توفي سنة ٣١٠ هـ. (سير الأعلام ١٤/٤١٦ ـ ٤١٧).

(٤) محمد بن عامر بن إبراهيم الإمام العلامة أبو عبد الله الأشعري مولاهم الأصبهاني سمع أباه وأبا داود والطيالسي قال ابن أبي حاتم: صدوق توفي سنة ٢٦٧ هـ وكان من أبناء الثمانين (سير الأعلام ١٢/٥٩٤ ـ ٥٩٥).

(٥) عامر بن إبراهيم بن واقد بن عبد الله الأصبهاني المؤذن مولى أبي موسى الأشعري روى عن مالك بن أنس وحماد بن سلمة وإسماعيل بن خليفة، وعنه ابناه محمد وإبراهيم ويونس بن حبيب وغيرهم قال عمر بن علي: حدثنا عامر بن إبراهيم وكان ثقة من خيار الناس توفي سنة ٢٠١ هـ. (تهذيب التهذيب ٥/٦١).

(٦) عمر بن خليفة ـ ويقال ابن أبي خليفة ـ عن هشام بن حسان قال العقيلي: منكر الحديث (الميزان ٣/١٩٢).

(٧) في (و) عن كثير: وهو كثير بن أبي كثير المزني خادم ابن عباس روى عنه وعنه عمر بن خليفة وهشام بن حسان. (تهذيب التهذيب ٨/٤٢٧).

(٨) في (د) يوم خليفة.

(٩) في (جـ، د) يجلس عليها من منبره.

(١٠) في (أ، هـ) إذا، وفي (جـ، د) فإذا.

(١١) في (و) ثم فسرها.

(١٢) الحديث: رواه أبو داود في السنن ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي ـ رقم ٤٣٣٦، ٤٣٣٧ (٤/١٢١ ـ ١٢٢) بنحوه عن ابن مسعود، وكنز العمال ٢/٦٨١ ـ ٢٨٢ عن ابن عباس.

(١٣) أبو جعفر الرازي التميمي يقال اسمه عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان مروزي الأصل سكن الري روى عن الربيع بن أنس وحميد الطويل وعاصم بن أبي النجود والأعمش وعطاء بن السائب وكثير بن أبي سليم وغيرهم قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: ليس بقوي وقال حنبل عن أحمد: صالح الحديث، وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: ثقة قال ابن عبد البر: ثقة عالم بتفسير القرآن. (تهذيب التهذيب ١٢/٥٦ ـ ٥٧).

كانوا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل منهما إلى صاحبه، فقال بعضهم ألا أقوم إليهما فآمرهما [١] بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال بعضهم: عليك نفسك، إن الله تعالى يقول [٢] ﴿**يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾ فسمعها ابن مسعود فقال: مه، لم يجيء تأويل هذه الآية بعد، إن القرآن حين نزل [٣] كان منه آي مضي تأويلها من قبل أن ينزل، ومنه آي وقع تأويلها على عهد رسول الله ﷺ، ومنه آي وقع تأويلها بعد رسول الله ﷺ بسنين ومنه آي يقع [٤] تأويلها عند الساعة [٥] ما ذكر من أمر الساعة، ومنه [٦] أي يقع ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، ولم يذق بعضكم بأس بعض فمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه[٧].

ويدل على صحة ما ذهب إليه ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد[٨]، أخبرني محمد بن شعيب، أخبرنا عقبة بن أبي حكيم[٩] حدثني عمرو بن جارية[١٠]، عن أبي أمية[١١] قال: أتينا أبا ثعلبة الخشني[١٢] فقلنا[١٣]: كيف نصنع بهذه الآية؟ قال: أية[١٤] آية؟ فقلت ﴿**يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾فقال أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) في (جـ) ألا أقوم فأمرهما، وفي (د) ألا أقوم آمرهما.

(٢) في (جـ، د) قال.

(٣) في (د) حين نزل منه.

(٤) في ؛هـ) وقع.

(٥) في (و) وما ذكر.

(٦) في (جـ) فمنه أي يقع وفي (أ، هـ) وقع.

(٧) انظر تفسير الطبري ٦١/٧ ـ ٦٢ عن ابن مسعود، وابن كثير ١٠٩/٢ ـ ١١٠، والدر ٣٣٩/٢ ـ ٣٤٠ كلاهما عن أبي العالية وسنن البيهقي ٩٢/١٠ عن ابن مسعود ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة المائدة ـ «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» عن ابن مسعود ١٩/٧.

(٨) العباس بن الوليد بن مزيد العذري البيروتي المحدث العابد، روى عن أبيه ومحمد بن شعيب وجماعة قال أبو داود كان صاحب ليل توفي سنة ٢٧٠ هـ وله مائة سنة (شذرات ١٦٠/٢).

(٩) عتبة بن أبي حكيم الهمذاني الأردني روى عن عمرو بن جارية اللخمي وقتادة ومكحول قال أبو حاتم صالح وقال ابن معين: ضعيف وقال مرة: ثقة ولينه أحمد وهو متوسط حسن الحديث قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به توفي سنة ١٤٧ هـ.
(الميزان ٢٨/٣، وتهذيب التهذيب ٩٤/٧ ـ ٩٥).

(١٠) عمرو بن جارية ـ بجيم وراء مهملة بعدها ياء معجم مثناة من تحت ـ هو اللخمي يقال: إنه عم عتبة بن أبي حكيم روى عن أبي أمية الشيباني وعروة بن محمد بن عمار بـن ياسر وعنه عتبة بن أبي حكيم ذكره ابن حبان في الثقات.
(عمدة القوي ص ١١، وتهذيب التهذيب ١١/٨).

(١١) أبو أمية الشيباني الدمشقي اسمه يحمد ـ وقيل اسمه عبد الله ـ بن آخامر روى عن معاذ بن جبل وأبي ثعلبة الخشني وكعب الأحبار وعنه عمرو بن جارية اللخمي وغيره ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم أدرك الجاهلية.
(تهذيب التهذيب ١٥/١٢).

(١٢) أبو ثعلبة الخشني صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً واختلف في اسمه واسم أبيه والأشهر منها: جرثوم بن ناشر روى عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة توفي سنة ٨٥ هـ وقيل في أول إمرة معاوية. (البداية والنهاية ١٣/٨).

(١٣) في (د، و) فقلنا له.

(١٤) في (و) أي آية.

«نعم ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت الأمر لا يدان لك به، فعليك نفسك ودع أمر العوام، وذكر الحديث [١]. وقوله ﴿**إلى الله مرجعكم جميعاً**﴾ قال عطاء [٢]: مصيركم من خالقكم ﴿**فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ قال: يجازيكم بأعمالكم.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ـ قوله عز وجل [٣] ﴿**يا أيها الذين ءامنوا شهادة بينكم...**﴾ الآية قال المفسرون: إن تميماً الداري [٤] وأخاه عدياً [٥] ـ كانا نصرانيين ـ خرجا إلى الشام ومعهما بديل [٦] مولى عمرو بن العاص ـ وكان مسلماً مهاجراً، خرجوا [٧] تجاراً، فلما قدموا الشام مرض بديل، فكتب كتاباً فيه نسخة جميع ما معه، وطرحه في جُوالقه [٨] ولم يخبر صاحبيه بذلك، وأوصى إليهما وأمرهما أن يدفعا متاعه إذا رجعا إلى أهله، ومات بديل ـ رحمه الله ـ فأخذا من متاعه إناء من فضة منقوشاً بالذهب، ودفعا باقي المتاع إلى أهله لما قدما [٩]، ففتشوا فأصابوا الصحيفة بذكر ما كان معه وفيه ذكر الإناء، فقالوا لتميم وعدي: إنا فقدنا من متاعه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال، فقالا: ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء

(١) الحديث: رواه الترمذي في كتاب التفسير ـ من سورة المائدة ـ رقم ٥٠٥١ «حسن غريب» ٣٢٣/٤، وأبو داود ـ كتاب الملاحم ـ باب الأمر والنهي رقم ٤٣٤١ ١٢٣/٤.
والمستدرك ـ كتاب الرقاق ـ «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي ٤٢٢/٤ والطبراني في الكبير ٢٢: ٢٢٠، والحلية ٣٠/٢ وشرح السنة للبغوي ٣٤٧/١٤ ـ ٣٤٨ كلهم من حديث أبي ثعلبة وفي آخره «فإن من ورائكم أيام الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله..».

(٢) انظر تفسير الطبري ٦٥/٧، والبحر ٣٧/٤.

(٣) في (جـ، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٤) في (أ) إن تميم، وهو: تميم بن أوس بن خارجة الداري الصحابي أسلم سنة تسع روى عنه أنس وشهر وقبيصة بن ذؤيب توفي سنة ٤٠ هـ روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً. (الكاشف ١٦٧/١ ـ ١٦٨ وتهذيب التهذيب ٧١/٦).

(٥) عدي بن بداء كان نصرانياً قال أبو نعيم: لا يعرف لعدي إسلام (أسد الغابة ٥/٤ ـ ٦).

(٦) بديل أبي مريم: بديل بن مارية مولى عمر بن العاص السهمي روى عنه المطلب بن أبي وداعة وابن عباس قصة الجام ـ إناء من فضة ـ لما سافر هو وتميم الداري وعدي بن بداء (أسد الغابة ٢٠٣/١).

(٧) في (هـ) خرج.

(٨) «الجُوالَق والجُوالِق وعاء والجمع جَوالِق ـ بفتح الجيم» (اللسان / جلق).

(٩) في (د) لما قدموا.

وأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه، وما لنا بالإناء من علم، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية والتي بعدها[١].

فقوله ﴿شهادة بينكم﴾ قال الفراء [٢]: أي ليشهدكم اثنان ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: أسبابه ومقدماته ﴿حين الوصية﴾ وقت وصيته ﴿اثنان﴾ ذوا عدل منكم من أهل دينكم وملتكم ﴿أو ءاخران من غيركم﴾ من غير أهل ملتكم في قول عامة المفسرين.

قال شريح[٣]: إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته فأشهد يهودياً أو نصرانياً أو أي كافر فشهادته جائزة.

وقال آخرون [٤]: لا تجوز شهادة أهل الذمة في شيء من أحكام المسلمين، ولا يقبل قولهم، ولا يثبت بشهادتهم حكم، وعليه الناس اليوم.

وقالوا في قوله ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي: من حيكم وقبيلتكم ﴿أو ءاخران من غيركم﴾ أي: من غير قبيلتكم ورفقتكم، هو قول الحسن والسدي وابن موسى، قالوا ﴿ذوا عدل منكم أو ءاخران من غيركم﴾ قال: [٥] كلهم مسلمون.

قوله ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض﴾ إن سافرتم وسرتم فيها ﴿فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ قال عامة المفسرين [٦]: من بعد صلاة العصر، وأهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويتجنبون فيه الأكاذيب والحلف الكاذب [٧] ﴿فيقسمان﴾ فيحلفان ﴿بالله إن ارتبتم﴾ شككتم في قول الآخرين [٨] الذين ليسا من أهل ملتكم.

وقوله ﴿لا نشتري به ثمناً﴾ أي: لا نبيع عهد الله بعرض نأخذه من الدنيا ﴿ولو كان ذا قربى﴾ ولو كان المشهود له[٩] ذا قربى، والمعنى لا نحابي في شهادتنا أحداً ولو كان ذا قربى ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ أضيف الشهادة إلى الله،

---

(١) انظر صحيح البخاري ـ كتاب الوصايا ـ باب قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت..﴾ ٢/١٣٣ ـ ١٣٤.
والترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب من سورة المائدة ـ رقم ٥٠٥٣. ٣/٣٢٥.
وسنن أبي داود ـ كتاب الأقضية ـ باب شهادة أهل الذمة وفي الوصية في السفر رقم ٣٦٠٦ (٣/٣٠٧ ـ ٣٠٨).
والطبري ٧/٧٥، وابن كثير ٢/١١٢، والدر ٢/٣٤١ ـ ٣٤٢، وفتح القدير ٢/٨٨ ـ ٨٩.

(٢) انظر الفراء ١/٣٢٣. وفي (د) أي يشهدكم.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧/٦٧، وابن كثير ٢/١١١، والدر ٢/٣٤٣ كلها عن شريح وانظر الزجاج ٢/٢٣٧ ـ ٢٣٨ والفراء ١/٣٢٤، والطبري ٧/٦٧ عن سعيد بن المسيب وسليمان التيمي وإبراهيم، والدر ٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣ عن ابن عباس وسعيد بن المسيب.

(٤) انظر الزجاج ٢/٢٣٧ ـ ٢٣٨ والطبري ٧/٦٨ ـ ٦٩ عن الزهري والحسن وعكرمة وعبيدة والدر ٢/٣٤٣ عن الزبير وعكرمة وابن شهاب؛

(٥) في (و) قالوا.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٣ والزجاج ٢/٢٣٨ والطبري ٧/٧٢ وأحكام القرآن ٢/٧٢٤ عن شريح والشعبي وابن جبير وقتادة وابن كثير ٢/١١٢ عن ابن عباس وابن جبير وإبراهيم وقتادة وعكرمة والدر ٢/٣٤٢ عن عكرمة، ٢/٣٤٤ عن عبيدة وفتح القدير ٢/٩٠ عن عبيدة.

(٧) في (هـ، د) الكاذبة.

(٨) في (د) الآخر من الذين ليسنا... قوله.

(٩) في (أ) المشهود له عليه وفي (حـ) عليه، وفي (و) عليه له.

لأمره بإقامتها والنهي عن كتمانها ﴿إنا إذاً لمن الآثمين﴾ أي [١]: إن كتمناها لكنا من الآثمين.

ولما رفعوهما إلى رسول الله ﷺ ونزلت الآية أمرهم [٢] رسول الله ﷺ «أن يستحلفوهما بالله الذي لا إله إلا هو ما قبضنا [٣] له غير هذا ولا كتمنا، فحلفا على ذلك وخلي سبيلهما. ثم اطلع على إناء من فضة معهما فارتفعوا إلى النبي ﷺ فنزل قوله:

ـ ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثماً﴾ أي: فإن اطلع على أنهما أتيا خيانة واستوجبا إثماً بيمينهما الكاذبة ﴿فآخران يقومان مقامهما﴾ أي: مقام الشاهدين اللذين من غيركم ﴿من الذين استحق عليهما﴾ أي: من ورثة الميت وهم الذين استحق [٤] عليهم الوصية ﴿الأوليان﴾ [٥] أي: الأقربان للميت.

وقرأ حمزة [٦] ﴿الأولين﴾ وهو نعت لجميع الورثة المذكورين في هذه الآية في قوله ﴿من الذين استحق عليهم﴾ [وتقديره من الأولين الذين استحق عليهم] [٧] الإيصاء.

وإنما قيل لهم الأولين، لتقدم ذكرهم في قوله ﴿يا أيها الذين ءامنوا شهادة بينكم﴾ وكذلك ﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾ وذكر [٨] في اللفظ قبل قوله﴿أو ءاخران من غيركم﴾وقرأ حفص (استحق) ـ بفتح الحاء والتاء ـ بمعنى وجب، والمعنى: فآخران من الذين وجب عليهم الإيصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته.

وقوله [٩] ﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ قال ابن عباس[١٠]: ليميننا أحق من يمينهما.

وسميت اليمين هاهنا شهادة، لأن اليمين كالشهادة على ما يجب عليه أنه كذلك. ﴿وما اعتدينا﴾ فيما قلنا من أن شهادتنا أحق من شهادتهما.

فلما نزلت هذه الآية قام[١١] عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة[١٢] السهميان فحلفا بالله أنهما[١٣] ما خانا

---

(١) في (د) أي كتمانها.
(٢) في (د) أمرها.
(٣) في (أ، د، و) قبضنا.
(٤) في (د) استحقوا.
(٥) في (جـ) للأوليان.
(٦) قرأ حمزة وعاصم ـ في رواية أبي بكر (استُحق) بضم التاء (الأولين) جمعاً، قال الفراء: كان ابن عباس أيضاً يقرأ (الأولين) يجعله نعتاً للذين، وحجة ما قاله ابن عباس قال: أرأيت إن كان الأوليان صغيرين كيف يقومان مقامهما.
وقرأ الباقون (استُحق) بضم التاء (الأولياء) وتأويلها: الأولى فالأولى، قال الفراء: أراد وليـي المورث يقومان مقام النصرانيين إذا اتُّهما أنهما قد خانا. وقرأ حفص (استَحق) بفتح التاء (الأوليان) على التثنية، ورفع بـ (استحق).
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٨ ـ ٢٣٩ والسبعة ٢٤٨ ـ ٢٤٩ والنشر ٢/٢٥٦، والتبيان ١/٤٦٩، والزجاج ٢/٢٣٩، والحجة لابن خالويه ١٣٥).
(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).
(٨) في (د) ذكر.
(٩) في (د) قوله.
(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٣.
(١١) في (هـ) قوم.
(١٢) المطلب بن أبي وداعة الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر أسلم يوم الفتح، أسر والده في بدر وهو أول من فدى أسيراً فدى والده بأربعة آلاف درهم. (أسد الغابة ٥/١٩٠ والطبراني في الكبير ٢٠/٢٨٨).
(١٣) في (د) إن هما.

وكذبا، فدفع [(١)] الإناء إليهما وإلى أولياء الميت [(٢)].

ـ قوله **﴿ذلك أدنى [(٣)] [أن يأتوا بالشهادة على وجهها]﴾** أي: ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين أدنى إلى الإتيان بالشهادة [(٤)] على ما كُتب **﴿أو يخافوا﴾** أي أقرب إلى أن يخافوا **﴿أن ترد أيمان﴾** على أولياء الميت **﴿بعد أيمانهم﴾** فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا ذلك الحكم.

﴿واتقوا الله﴾ أن تحلفوا أيماناً كاذبة، أو تخونوا أمانة **﴿واسمعوا﴾** الموعظة **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** وعيد لهم بحرمان الهداية.

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن

---

(١) في (د) فدفعا.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧/٧٥، والدر ٢/٣٤٢ كلاهما عن عكرمة، ثم إن تميماً الداري أسلم وبايع النبي ﷺ وكان يقول: صدق الله ورسوله أنا أخذت الإناء.

(٣) في (هـ) أدنا.

(٤) في (هـ) بالشهادة على وجهها أي.

تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

ـ قوله عز وجل [١] ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ الآية انتصب [٢] «اليوم» بفعل محذوف على تقدير: احذروا واذكروا يوم [٣] يجمع الله الرسل ﴿فيقول ماذا أجبتم﴾ قال الكلبي: ماذا أجابكم قومكم في التوحيد [٤].

ومعنى المسألة من الله للرسل: التوبيخ للذين أرسلوا إليهم. ﴿قالوا لا علم لنا﴾ قال ابن عباس: إن للقيامة زلازل وأهوالا حتى تزول القلوب عن مواضعها فإذا رجعت القلوب شهدوا لمن صدقهم وعلى من كذبهم وهذا قول الحسن ومجاهد والسدي، قالوا: من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم[٥].

وحكى ابن الانباري[٦] عن جماعة من أهل التفسير أنهم قالوا: معنى الآية لا حقيقة لعلمنا إذ كنا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم وقت حياتنا[٧]، ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا، وإنما الجزاء يستحق بما يقع به الخاتمة مما[٨] يموتون عليه، فلما خفي[٩] عليهم الذي ماتت عليه الأمم لم يكن لعلمهم حقيقة فقالوا (لا علم لنا).

يدل على صحة هذا التأويل قوله﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ أي: أنت الذي يعلم ما غاب[١٠]ونحن نعلم ما نشاهد، ولا نعلم ما في البواطن.

---

(١) في (د، و) قوله تعالى.

(٢) في (جـ، د) انتصاب.

(٣) في (هـ) يوماً.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٣، والطبري ٧/٨١.

(٥) انظر الزجاج ٢/١٤٠، والفراء ١/٣٢٤، والدر ٢/٣٤٤ ـ ٣٤٥ عن ابن عباس والبغوي ٢/١٠٨ عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والرازي ١٢/١٢٢ ـ ١٢٣ عن ابن عباس وضعفه يقول الله تعالى في صفة أهل الثواب (لا يحزنهم الفزع الأكبر) وذكر عن ابن عباس قولاً آخر «إنهم (قالوا لا علم لنا) لأنك تعلم ما أظهروا وما أضمروا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، فلهذا المعنى نفوا العلم عن أنفسهم، لأن علمهم عند الله كلا علم».

(انظر غريب القرآن ١٤٨، والطبري ٧/٨٢، وابن كثير ٢/١١٤، والدر ٢/٣٤٤ كلها عن الحسن ومجاهد والسدي).

(٦) في (هـ) ابن الأعرابي.

وانظر الزجاج ٢/٢٤١، والبحر ٤/٤٨ عن ابن جريج، والرازي ١٢/١٢٣، وفتح القدير ٢/٩٠ والخازن ٢/١٠٧، والطبري ٧/٨٢ عن ابن جريج، قال ابن جرير: «وأما الذي قاله ابن جريج من أن معناه ماذا عملت الأمم بعدكم وماذا أحدثوا؟ فتأويل لا معنى له، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا بما أعلمها الله من ذلك.. وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألتهم إياه يدل على غير ذلك».

(٧) في (أ) حيوتنا.

(٨) في (أ) فما يموتون.

(٩) في (د) خفيت.

(١٠) في (د) ما يجاب.

ـ قوله[1] ﴿إذْ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ مفسر في سورة البقرة وآل عمران[2] إلى قوله ﴿وإذْ كففت بني إسرائيل عنك﴾ أي: منعتهم عن قتلك ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية من معجزات عيسى ـ عليه السلام ـ ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين﴾ أي: ما هذا الذي جئت به إلا سحر. ومن قرأ ﴿إلا ساحر﴾ أشار به إلى الشخص، يعني: عيسى[3]

ـ قوله[4] ﴿وإذْ أوحيت إلى الحواريين﴾[5] قال عامة المفسرين[6] أي: ألهمتهم، كما قال ﴿وأوحى ربك إلى النحل[7]﴾ أي: ألهمها وقذف في قلوبها ـ وباقي الآية ظاهر.

ـ قوله[8] ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك﴾ قال ابن الأنبارى[9]: لا يجوز لأحد أن يتوهم على الحواريين أنهم شكوا في قدرة الله، ولا يدل قولهم ﴿هل يستطيع ربك﴾ على أنهم شكوا في استطاعته، وهذا كما يقـول الإنسان لصاحبه هل تستطيع أن تقوم معي، وهو يعلم أنه مستطيع للقيام، لكنه يريد: هل يسهل عليك وهل يخف عليك، وكذلك في الآية: هل يقبل ربك دعاءك وهل يسهل عليك[10] إنزال المائدة.

وقرأ الكسائي (تستطيع) ـ بالتاء ـ (ربك) نصباً[11] ـ على معنى: هل تستطيع سؤال ربك ومرادهم بالاستفهام: التلفظ في استدعاء السؤال، كما تقول لصاحبك هل تستطيع كذا؟ وأنت عالم أنه يستطيع، ولكن قصدك بالاستفهام التلفظ.

---

(١) في (د، هـ) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير الآيات ٧٨، ٢٥٣ من سورة البقرة، و٤٨، ٤٩ من سورة آل عمران.

(٣) قرأ حمزة والكسائي (إلا ساحراً) ـ بالألف ـ وحجتهما: الإجماع في قوله (فقالوا ساحر كذاب) سورة غافر / ٢٤.
وقرأ الباقون (إلا سحر) وحجتهم قوله (إن هذا إلا سحر يؤثر) سورة المدثر/٢٤ ـ و ـ وقوله (سحر مستمر) سورة القمر /٣ وأخرى ذكرها اليزيدي عن أبي عمرو فقال: ما كان في القرآن (مبين) فهو سحر ـ بغير ألف ـ وما كان (عليم) فهو ساحر. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٣٩ ـ ٢٤٠، والسبعة ٢٤٩ والنشر ٢٥٦/٢ والتبيان ٤٧٢/١، والحجة لابن خالويه ١٣٥).

(٤) في (جـ، هـ، د) قوله تعالى.

(٥) في (هـ) حوارين.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٤ والزجاج ٣٤٢/٢، وغريب القرآن ١٤٨ ـ ١٤٩ ومجاز القرآن ١٨٢/١، والفراء ٣٢٥/١، والزاهر ٣٥٣/٢، والطبري ٨٣/٧، وابن كثير ١١٥/٢ عن الحسن والسدي، والدر ٣٤٦/٢ وفتح القدير ٩٢/٢ كلاهما عن السدي وقتادة.

(٧) سورة النحل / ٦٨.

(٨) في (جـ، د) قوله تعالى.

(٩) انظر البحر ٥٣/٤ عن ابن الأنباري والأخفش ٤٨١/٢، والطبري ٨٤/٧.، وفتح القدير ٩٢/٢.

(١٠) في (و) يسهل عليه.

(١١) قرأ الكسائي(هل تستطيع) بالتاء (ربَّك) بنصب الياء مع إدغام اللام في التاء أي: هل تقدر يا عيسى أن تسأل ربك لأنهم كانوا مؤمنين، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: كان القوم أعلم بالله من أن يقولوا (هل يستطيع ربك) إنما قالوا: هل تستطيع ربك، وحجته: قبلها (وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا) قال أهل البصرة: المعنى هل تستطيع سؤال ربك مثل (واسأل القرية). وقرأ الباقون (هل يستطيع ربُّك): فعل وفاعل أي: هل يستجيب ربك لك إن سألته وإنما أرادوا بذلك أن يأتيهم بآية يستدلون بها على صدقه.

وحجة: قول عيسى لهم: (اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) استعظاماً لما قالوه، فقالوا (نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا).

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ والسبعة ٢٤٩، والنشر ٢٥٦/٢، والتبيان ٤٧٣/١، والزجاج ١٢٤٣/٢ والفراء ٣٢٥/١، والترمذي ٢٥٨/٤ والمستدرك كتاب التفسير «صحيح الإسناد» ٢٣٨/٢.

قال ابن عباس[١]: قال عيسى لأصحابه: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوماً ثم لا تسألون[٢] شيئاً إلا أعطاكم[٣] فصاموا ثلاثين يوماً ثم قالوا: يا معلم الخير قد فعلنا الذي أمرتنا فسل من أمرتنا أن نصوم له أن يطعمنا، فذلك قوله ﴿**هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء**﴾.

«والمائدة»[٤]: الخوان بما عليه من الطعام». ﴿**قال**﴾ عيسى ﴿**اتقوا الله إن كنتم مؤمنين**﴾ أي اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم قبلكم.

ـ قوله[٥]﴿**قالوا نريد أن نأكل منها**﴾أي: نريد سؤال المائدة من أجل هذا﴿**وتطمئن قلوبنا**﴾تزداد يقيناً، وذلك أن الدلائل كلما كثرت قويت المعرفة في النفس﴿**ونعلم أن قد صدقتنا**﴾في أنا إذا صمنا ثلاثين لا نسأل الله شيئاً إلا أعطانا.

وقوله[٦]﴿**ونكون عليها من الشاهدين**﴾أي: نقر لله بالوحدانية ولك بالنبوة من جهة ذلك الدليل الذي نراه في المائدة، فدعا عيسى وقال:

ـ ﴿**اللهم [ربنا]أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولناوءاخرنا**﴾ أي: نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل[٧] فيه عيداً، نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا.[٨]

﴿**وءاية منك**﴾ دلالة على توحيدك وصحة نبوة نبيك﴿**وارزقنا**﴾عليها طعاماً نأكله﴿**وأنت خير الرازقين**﴾

ـ ﴿**قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعدمنكم**﴾أي: بعد إنزال المائدة﴿**فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين**﴾يعني: جنساً من العذاب لا يعذب به غيرهم.

قال الزجاج[٩]: فهذا العذاب جائز أن يعجل لهم في الدنيا، وجائز أن يكون لهم في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة.

واختلف العلماء في نزول المائدة، فقال الحسن[١٠]: والله ما نزلت المائدة، وإن القوم لما سمعوا الشرط في

---

(١) انظر تفسير الطبري ٧/٨٥، وابن كثير ٢/١١٦، والدر ٢/٣٤٨، وفتح القدير ٢/٩٤ كلها عن ابن عباس.

(٢) في (جـ، د، و) تسلوه، وفي (هـ) تسلونه.

(٣) في (د) أعطاكموه.

(٤) في (هـ) المائدة: الخوان مما عليه. قال أبو عبيدة: أصلها أن تكون مفعولة فجاءت فاعلة كما يقولون: تطليقة بائنة وعيشة راضية، وإنما ميد صاحبها بما عليها من الطعام، فيقال: مادني يميدني (مجاز القرآن ١/١٨٢، واللسان / ميد عن أبي عبيدة) وانظر الزاهر ١/٤٧٧ والطبري ٧/٨٥، وابن كثير ٢/١١٦، والدر ٢/٢٤٦ عن سعيد بن جبير وفتح القدير ٢/٩٣ عن قطرب.

(٥) من (أ، د).

(٦) في (د، و) قوله.

(٧) في (د) نتخذ يوماً تنزل فيه عيداً.

«مجاز «العيد» هاهنا: عائدة من الله علينا وحجة وبرهان (مجاز القرآن ١/١٨٣).

(٨) قال الزجاج: وقيل في التفسير: إنها نزلت عليهم في يوم الأحد وكان عليها خبز وسمك فالنصارى تجعل الأحد عيداً فيما قيل لذلك (الزجاج ٢/٢٤٣، والفراء ١/٣٢٥ ـ ٣٢٦).

(٩) انظر الزجاج ٢/٢٤٤، والرازي ١٢/١٣٢ عن الزجاج.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٧/٨٧، وابن كثير ٢/١١٩ والدر ٢/٣٤٨ ـ ٣٤٩ والرازي ١٢/١٣٢ ـ ١٣٣ كلها عن الحسن ومجاهد.

قوله﴿فمن يكفر بعد منكم﴾استعفوا، وقالوا: لا نريدها وهذا أيضاً قول مجاهد. والصحيح أنها نزلت، قال ابن عباس[١]: نزلت الملائكة بمائدة من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا، وقال الكلبي: نزلت وعليها خبز ورز وبقل[٢].

أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا أبوالحسن محمد بن الحسن السراج حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا الحسن بن قزعة[٣]، حدثنا سفيان بن حبيب[٤]، عن سعيد، عن قتادة، وعن خلاس بن عمرو، عن عمار بن ياسر[٥] قال:

قال رسول الله ﷺ: أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد[٦]، فخافوا وادخروا ورفعوا، فمسخوا قردة وخنازير[٧].

ـ ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءَأنت قلت للناس..﴾ الآية هذا استفهام معناه التوبيخ لمن ادعى ذلك على المسيح[٨]، ويكذبهم[٩] المسيح فيكون ذلك توبيخاً لهم، وهو قوله ﴿قال سبحانك﴾ أي: برأتك من السوء ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾أي: لست استحق العبادة فأدعو الناس إليها﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾لأنه لا يخفى عليك علم[١٠] شيء﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾قال ابن عباس[١١]: تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك.

---

(١) انظر تفسير الطبري ٧/٨٦ عن ابن عباس والزجاج ٢/٢٤٣، وابن كثير ٢/١١٤ ـ ١١٥ عن ابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وعطية، والدر ٢/٣٤٦ ـ ٣٤٨ عن سلمان وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي وابن جبير وابن الأنباري عن وهب وعطية وقتادة، وفتح القدير ٢/٩٤ عن ابن عباس وعمار.

(٢) انظر تفسير البغوي ٢/١١١ عن الكلبي، وابن كثير ٢/١١٧، وفتح القدير ٢/٩٤ كلاهما عن عكرمة والرز والرنز: لغة في الأرز (اللسان / رزز).

(٣) الحسن بن قزعة بن عبيد الهاشمي أبو علي ـ ويقال أبو محمد ـ الخلقاني البصري روى عن سفيان بن حبيب وغيره وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجة والبزار وغيرهم قال يعقوب بن شيبة وأبو حاتم: صدوق وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٥٠ هـ (تهذيب التهذيب ٢/٢١٦).

(٤) سفيان بن حبيب البصري البزار روى عن عاصم الأحول وطائفة قال أبو حاتم: ثقة أعلم الناس بحديث سعيد بن أبي عروبة توفي سنة ١٨٦ هـ (شذرات ١/٣٠٩).

(٥) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن الحصين بن ثعلبة المخزومي حليف لهم ـ ويقال مولاهم يكنى أبا اليقظان شهد بدراً وسمع النبي ﷺ شهد صفين مع علي بن أبي طالب سنة ٣٧ هـ وهو ابن نيف وتسعين سنة. (كتاب الجمع ١/٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٦) ليست في (أ).

(٧) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة المائدة رقم ٥٠٥٤ قال الترمذي «هذا حديث غريب ورواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاس عن عمار موقوفاً ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة» ثم ذكر نحوه رقم ٥٠٥٥ عن سعيد ولم يرفعه وقال: «وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا» (٤/٣٢٦).
وكذا قال ابن كثير بعد ذكر حديث عمار: الموقوف أصح وهو الصواب وخلاس عن عمار منقطع (البداية والنهاية ٣/٨٦ ـ ٨٧) وانظر الميزان في ترجمة خلاس بن عمرو (الميزان ١/٦٥٨).

(٨) انظر غرائب النيسابوري ٧/٨٣ والدر ٢/٣٤٩ عن ابن جريج وفتح القدير ٢/٩٤.

(٩) في (د، و) وتكذيبهم.

(١٠) في (د) لا يخفى عليك شيء.

(١١) انظر تفسير البغوي ٢/١١٤ والخازن ٢/١١٤ كلاهما عن ابن عباس وفتح القدير ٢/٩٥ واللسان: نفس.

والمعنى: تعلم ما أخفيه من سري وغيبي ولا أعلم ما تخفيه أنت ولم تطلعنا عليه فلما كان سر عيسى يخفيه في نفسه، جعل أيضاً سر الله مما يخفيه الله في نفسه ليزدوج الكلام ويحسن النظم.

وقال الزجاج[١]: «النفس» في اللغة تقع عبارة عن حقيقة الشيء، فمعنى﴿تعلم ما في نفسي﴾أي: تعلم ما أضمره﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾أي: لا أعلم ما في حقيقتك وما عندي[٢] علمه.

والتأويل: إنك تعلم ما أعلم، ولا أعلم ما تعلم، يدل على هذا قوله﴿إنك أنت علام الغيوب﴾. ثم ذكر ما قال لقومه فقال:

- ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به﴾ فسر ذلك فقال﴿أن الله ربي وربكم﴾أي: أمرتهم بعبادتك لأنك ربي وربهم﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت مقيماً فيهم﴿فلما توفيتني﴾يعني: وفاة الرفع إلى السماء من قوله ﴿إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾ [٣]، ﴿كنت أنت الرقيب عليهم ﴾الحفيظ عليهم تحفظ أعمالهم﴿وأنت على كل شيء شهيد﴾قال ابن عباس[٤]: شهدت مقالتي فيهم وبعد ما رفعتني إليك شهدت ما يقولون بعدي.

- قوله﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك . . ﴾الآية قال الحسن وأبو العالية﴿إن تعذبهم﴾فبإقامتهم على كفرهم ﴿وإن تغفر لهم﴾فبتوبة كانت منهم[٥].

وقال ابن الانباري[٦]: هذا على التبعيض، أي إن تعذب بعضهم الذين أقاموا على الكفر فهم عبادك، وإن تغفر لبعضهم الذين انتقلوا عن الكفر إلى الإسلام فأنت في ذلك قاهر غالب عادل[٧] لا يعترض عليك معترض.

وهذا اختيار الزجاج، لأنه قال: والذي عندي: أن عيسى عليه السلام قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جميعهم: إن تعذب من كفر بك فإنهم عبادك أنت[٨] العادل فيهم، وإن تغفر لهم لمن أقلع منهم وآمن فأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد حكيم في ذلك.

- قوله[٩]﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾أي: ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في هذا اليوم، ولأنه يوم الجزاء، وما تقدم في الدنيا الصدق[١٠] إنما يتبين نفعه في هذا اليوم.

قال المفسرون[١١]: هذا تصديق لعيسى فيما قال، وذلك أنه كان صادقاً في الدنيا ولم يقل للنصارى: اتخذوني إلٰها فنفعه صدقه.

---

(١) انظر الزجاج ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٦، واللسان: نفس عن الزجاج.
(٢) في جميع النسخ وما عندك علمه وهي ساقطة من (هـ)، والمثبت من معاني الزجاج.
(٣) سورة آل عمران / ٥٥.
(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٥.
(٥) انظر تفسير الرازي ١٢/١٣٧، والخازن ٢/١١٥، وفتح القدير ٢/٩٦ عن ابن عباس.
(٦) انظر الزجاج ٢/٢٤٦ ـ ٢٤٧ وغرائب النيسابوري ٧/٨٤ والبحر ٤/٦٢ والبغوي ١/١١٤.
(٧) ساقطة من (د).
(٨) في (جـ، د) وأنت العادل.
(٩) من (أ، د) وفي (د) قوله تعالى.
(١٠) في (د) صدقهم، وفي (و) فإنما.
(١١) انظر تفسير البغوي ٢/١١٥ ـ ١١٦ عن قتادة والدر ٢/٣٥٠ عن قتادة والسدي.

ومن قرأ (هذا يومُ) ـ بالرفع ـ فعلى الابتداء والخبر جعل «اليوم» خبر المبتدأ الذي هو «هذا» والمعنى: قال الله: هذا اليوم يوم منفعة الصادقين.

ومن قرأ ـ بالنصب ـ فعلى الظرف على تقدير[﴿قال الله هذا﴾يعني: ما تقدم ذكره في يوم ينفع الصادقين صدقهم أي[1]]: قال الله هذا في يوم القيامة[2].

وقوله ﴿رضي الله عنهم﴾أي: بطاعتهم[3] ﴿ورضواعنه﴾بثوابه﴿ذلك الفوز العظيم﴾قال الحسن[4]: فازوا بالجنة ونجوا من النار. قال مقاتل[5]: ثم عظم نفسه عما قالت النصارى من أن معه إلها[6] فقال:

- ﴿لله ملك السموات والأرض﴾قال الحسن[7]: يريد خزائن السماوات[8] وهي المطر وخزائن الأرض وهي النبات.

قوله﴿وما فيهن وهو على كل شيء قدير﴾إشارة إلى أن الآمال[9] يجب أن تتعلق بالله تعالى لعظيم ملكه وسعة قدرته.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (جـ).

(٢) قرأ نافع (هذا يومَ) بالنصب والمعنى: هذه الأشياء تقع في يوم ينفع الصادقين.. وقرأ الباقون (يومُ) بالرفع على الخبر (وهذا) مبتدأ فإن سأل وقال: لم أضفت اليوم إلى الفعل، والفعل لا يدخله الجر، وعلامة الإضافة سقوط التنوين من (يوم)؟
فالجواب عنه: أن إضافة أسماء الزمان إلى الأفعال في المعنى ومعناه أنك تضيف إلى المصادر والتقدير: هذا يوم نفع الصادقين، وكذلك قوله (يوم تبيض وجوه) سورة آل عمران /١٠٦ أي يوم ابيضاض الوجوه واسوداد الوجوه، وإنما أضيفت إلى المصادر. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٢ والسبعة ٢٥٠ والنشر ٢/٢٥٦ والتبيان ١/٤٧٧ والزجاج ٢/٢٤٧، والحجة لابن خالويه ١٣٦).

(٣) في (و) بطاعته.

(٤) وهو قوله ابن عباس في تفسيره ص ١٠٥ والخازن ٢/١١٦.

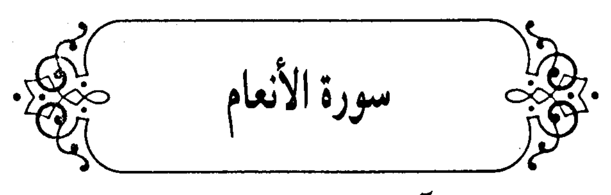
(٥) انظر تفسير الطبري ٧/٩٢ والبحر ٤/٦٤ والخازن ٢/١١٦ وفتح القدير ٢/٩٥ ـ ٩٦.

(٦) في (د) الاها.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ص ١٠٥ وسبق مثل هذا عن الحسن.

(٨) في (أ) خزائن السماوات والأرض.

(٩) في (و) إشارة الآمال.



سورة الأنعام

مكيّة وآياتها خمس وستون ومائة

عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود قال: أنزلت سورة الأنعام ومعها سبعون ألف ملك[1].

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الخفاف، أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن شريك الأسدي، حدثنا أحمد بن يونس حدثنا سلام بن سليم المدائني، حدثنا هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن أبي أمامة، عن أبي بن كعب قال:

قال رسول الله ﷺ: «أنزلت عليَّ سورة الأنعام جملة واحدة، وتبعها [2] سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، [3] ومن قرأ سورة الأنعام صلى الله عليه، واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل حرف في سورة الأنعام يوماً وليلة» [4].

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم المزكي [5]، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الوراق [6]، حدثنا جعفر بن محمد بن سوار، حدثنا محمد بن عبيد الأسدي [7] حدثنا بشير بن زاذان [8]، حدثني أبو الحجاج رشدين بن سعد [9]، عن محمد بن مسلم، عن أبي صالح - رفع الحديث الى النبي ﷺ - قال: « من قرأ ثلاث آيات من أول

---

(١) انظر الزجاج ٢/٢٤٩، والدر ٣/٢ - ٤ عن ابن مسعود وعطاء ومجاهد، وابن كثير ٢/١٢٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٢) في (جـ، و) ومعها.

(٣) في (أ) بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير.

(٤) الحديث: رواه الطبراني في الصغير ١/٨١ عن ابن عمر، والدر ٣/٢ عن ابن عباس وابن عمر، ٣/٣ عن أبي بن كعب، والحلية ٣/٤٤ عن ابن عمر.

ومجمع الزوائد - كتاب التفسير - سورة الأنعام - عن ابن عمر «رواه الطبراني في الصغير وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف».

وانظر الموضوعات لابن الجوزي ١/٢٤٠، وتنزيه الشريعة المرفوعة ١/٢٨٥، والفوائد المجموعة ٢٩٦، واللآلىء المصنوعة ١/٢٢٦ - ٢٢٧.

(٥) في (د) أبو عبيد.

(٦) في (د) بن عبد الرزاق، وهو: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن حسنوب الزاهد الوراق الحسنوبي البكاء من أهل نيسابور سمع ابن خزيمة ومحمد بن البوشنجي وجعفر بن محمد بن سوار وغيرهم وعنه الحاكم أبو عبد الله وأثنى عليه توفي سنة ٣٦٢ هـ، وهو ابن ٩٥ سنة (الأنساب ٢/٢٦٧ - ٢٦٨).

(٧) في (د) عبيد الله، وهو: محمد بن عبيد الله بن عبد الملك الأسدي الهمذاني الجلاب عن ابن عيينة وجماعة وعنه أبو حاتم والترمذي وأبو بشر الدولابي وخلق، صالح عابد توفي سنة ٢٤٣ هـ (الكاشف ٣/٧٤).

(٨) بشير بن زاذان ضعفه الدارقطني وغيره واتهمه ابن الجوزي (المغني في الضعفاء ١/١٠٨ والميزان ١/٣٢٨).

(٩) رشدين بن سعد المهري المصري أبو الحجاج عن زهرة بن معبد ويونس بن يزيد وعنه قتيبة وأبو كريب وخلقه، قال أحمد: لا يبالي =

سورة الأنعام حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك [يحفظونه، وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة، ونزل ملك] من السماء السابعة معه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يلقي في قلبه شيئاً من الشر ضربه بها، وجعل بينه وبين الشيطان سبعين ألف حجاب، فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى: ابن آدم، ابْقَ تحت ظلي، وكل من ثمار جنتي، واشرب من ماء الكوثر، واغتسل من ماء السلسبيل، فأنت عبدي وأنا ربك، لا حساب عليك ولا عذاب».

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل، أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسين هارون، حدثنا إسحاق بن محمد بن مروان، وحدثنا أبي، حدثنا نصر بن مزاحم، عن محمد بن عبيد الله، عن أبي إسحاق الشيباني:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

ـ [(١)] ﴿**الحمد لله**﴾ قال ابن عباس[(٢)]: يريد على كل فعال، وبكل لسان، وعلى نعم الإسلام، وعلى صحة الأبدان.

وقوله[(٣)] ﴿**الذي خلق السموات والأرض**﴾ قال الزجاج[(٤)]: ذكر أعظم الأشياء المخلوقة، لأن السماء بغير عمد ترونها، والأرض غير مائدة بنا ﴿**وجعل الظلمات والنور**﴾ «جعل» هاهنا: بمعنى خلق، كقوله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[(٥)] وقال الحسن[(٦)]: أراد بـ «الظلمات»: الكفر و «النور»: الإيمان، وقال السدي: يعني[(٧)]: الليل والنهار، وقوله[(٣)] ﴿**ثم الذين كفروا**﴾ يعني عبدة الأوثان ﴿**بربهم يعدلون**﴾ قال مجاهد: يشركون به غيره[(٨)].

يقال: عدل الكافر بربه عدلاً وعدولاً، إذا سوى به غيره فعبده، و «العدل»: التسوية، عدل الشي بالشيء، إذا سواه به [(٩)].

= عمن روى وليس به بأس، وقال: أرجو أنه صالح الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، قلت: كان صالحاً عابداً سيىء الحفظ غير متعمد توفي سنة ١٨٨ هـ (الميزان ٢/٥٩ ـ ٥١).

(١) في (د، و) قوله تعالى.

(٢) انظر الدر ١/١١ بنحوه عن ابن عباس، والبحر ٤/٦٧.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر الزجاج ٢/٢٤٩.

(٥) سورة الأنبياء /٣٠، وانظر مجاز القرآن ١/١٨٥، والبيان ١/٣١٣.

(٦) في (د) قال ابن عباس، وانظر تفسير ابن عباس ١٠٥، والدر ٣/٤ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/٩٨ ـ ٩٩ عن ابن عباس والحسن، والبحر ٤/٦٨ عن الحسن.

(٧) في (د) بمعنى، وبه قال الزجاج ٢/٢٤٩، والطبري ٧/٩٢، والدر ٣/٤ كلاهما عن السدي.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/٩٣، والدر ٣/٣٤ كلاهما عن مجاهد.

(٩) انظر اللسان / عدل، والمصباح المنير / عدل، ومفردات الراغب / عدل.

قال الزجاج: [١] أعلم الله تعالى أنه خالق ما ذكر [٢] في هذه الآية، وأن خالقها لا شيء مثله، ثم أعلم أن الكفار يجعلون له عـدلاً فيعبدون الحجارة والموات.

ـ قوله [٣] ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ قال ابن عباس [٤]: يعني: آدم، والخلق من نسله ﴿ثم قضى أجلاً﴾ يعني: أجل الحياة [٥] إلى الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ [٦] يعني: أجل الموت إلى البعث وقيام الساعة. وهذا قول ابن عباس والحسن وسعيد بـن المسيب وقتادة والضحاك ومقاتل.

قال ابن عباس [٧]: إن الله تعالى قضى لكل نفس أجلين، من مولده إلى موته ومن موته إلى مبعثه، فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له [٨] في أجل الحياة من أجل الممات إلى البعث، وإذا كان غير صالح ولا واصل لرحمه [٩] نقصه الله من أجل الحياة وزاد في أجل البعث، وذلك قوله ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ [١٠].

[١١] ﴿ثم أنتم﴾ يا معشر المشركين بعد هذا البيان ﴿تمترون﴾ تشكون وتكذبون بالبعث.

ـ قوله [١٢] ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ قال الزجاج وابن الأنباري [١٣]: هو المعبود في السموات والأرض، كما تقول: هو الخليفة في الشرق والغرب.

﴿يعلم سـركم﴾ ما تسرون مما لا يطلع عليه غيركم ﴿وجهركم﴾ ما تجهرون به وتعلنونه ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ معنى: «الكسب» الفعل لاجتلاب نفع أو دفع ضر [١٤] ولهذا لا يوصف فعل الله سبحانه بأنه كسب.

وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ

---

(١) انظر الزجاج ٢/٢٤٩.
(٢) في (د) ما في ذكر هذه.
(٣) في (حـ، و) وقوله.
(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٥، والدر ٣/٤، وفتح القدير ٢/٩٩ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ٧/٩٤ عن مجاهد والضحاك والسدي، وابن كثير ٢/١٢٣.
(٥) في (و) الحياة الدنيا.
(٦) «أي وقت مؤقت» (مجاز القرآن ١/١٨٥) (وأجـل): مرفوع بالابتداء (الأخفش ٢/٤٨٢).
(٧) انظر تفسير الطبري ٧/٩٤ عن الحسن وقتادة والضحاك، وغريب القرآن ١٥٠، وابن كثير ٢/١٢٣، وفتح القدير ٢/٩٨ ـ ٩٩ كلاهما عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك، وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة ومقاتل وزيد بن أسلم وعطية، والدر ٣/٤ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد.
(٨) في (د) زاد الله في أجل.
(٩) في (جـ، د) للرحم.
(١٠) سورة فاطر /١١.
(١١) في (حـ، د) قوله.
(١٢) في (و) قوله تعالى.
(١٣) انظر الزجاج ٢/٢٥٠، والقرطبي ٦/٣٩٠، وفتح القدير ٢/٩٩، والبحر ٤/٧٢ عن الزجاج.
(١٤) في (د) ضرر.

نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾

ـ قوله ﴿وما تأتيهم من ءاية من ءايات ربهم﴾ قال عطاء [1]: يريد: القرآن ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ تاركين التفكر فيها.

ـ [2] ﴿فقد كذبوا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿بالحق لما جاءهم﴾ قال ابن عباس[3]: بما جاءهم به الصادق الأمين عن الله تعالى ﴿فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤون﴾ أي: أخبار استهزائهم وجزاؤه فهذا وعيد لهم على استهزائهم بالقرآن. والمعنى: سيعلمون عاقبة استهزائهم إذا عذبناهم.

ـ قوله: ﴿ألم يروا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ من أمة وجماعة يعني: من أهلك من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل. والقرن: الأمة من الناس، وأهل كل مدة قرن[4].

قوله[5] ﴿مكناهم في الأرض ما لم نمكن[6]﴾ قال ابن عباس [7]: أعطيناهم ما لم نعطيكم يعني: وسعنا عليهم في كثرة العبيد والمال والأنعام.

يقال: مكنته ومكنت له، إذا أقدرته على الشيء بإعطاء ما يصح به الفعل من العدة[8] وفي هذا رجوع من الخبر إلى الخطاب. ﴿وأرسلنا السماء﴾ يعني: المطر ﴿عليهم مدراراً﴾ كثير الدر [9].

يقال: سحاب مدرار وغيث مدرار، إذا تتابع منه المطر. ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ بكفرهم وتكذيبهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا[10] وأوجدنا ﴿من بعدهم قرناً ءاخرين﴾.

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

ـ قوله[11] ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس﴾ قال الكلبي: قال مشركون مكة[12]: لن نؤمن لك يا محمد حتى

---

(١) انظر تفسير الطبري ١١٩/٢ عن عطاء، وفتح القدير ١٠٢/٢ عن قتادة.

(٢) في (حـ، د) قوله.

(٣) انظر تفسير البغوي ١١٩/٢ عن عطاء، والبحر ٧٤/٤.

(٤) انظر مجاز القرآن ١٨٥/١، وفتح القدير ١٠٢/٢، واللسان / قرن، والمصباح / قرن، ومفردات الراغب / قرن.

(٥) في (حـ، و) وقوله.

(٦) في (د) يكن.

(٧) انظر تفسير الطبري ٩٦/٧، والدر ٥/٣، وفتح القدير ١٠٢/٢ كلها عن قتادة.

(٨) انظر مفردات الراغب / مكن، والمصباح / مكن.

(٩) انظر اللسان / درر.

(١٠) في (د) أي خلقنا، وفي (د) خلقنا.

(١١) في (حـ) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٢) في (أ) مشركو العرب.

وانظر أسباب النزول للواحدي ١٥٩، وغرائب النيسابوري ١٠٥/٧ ـ ١٠٦ كلاهما عن الكلبي والبغوي ١١٩/٢ ـ ١٢٠ عن الكلبي ومقاتل.

تأتينا بكتاب من عند الله معه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله، فنزلت هذه الآيـة.
و «القرطاس»: كأنه يتخذ من بردى يكون بمصر، وكل كاغد قرطاس[١].

قوله ﴿**فلمسوه بأيـديهم**﴾ قال قتادة[٢]: فعاينوا ذلك معاينة ومسوه[٣] بأيديهم ﴿**لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**﴾ قال الزجاج[٤]: لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا سحر، أخبر الله سبحانه أنهم يدفعـون[٥] الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركاً بالحس لنسبوه إلى السحر.

ـ قوله[٦] ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه ملك**﴾ قال المفسرون[٧]: طلبوا ملكاً يرونه يشهد فقال الله تعالى ﴿**ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر**﴾ لأهلكوا بعذاب الاستئصال، وقال مجاهد وعكرمة: لقامت الساعة[٨] ﴿**ثم لا ينظرون**﴾ قال ابن عباس[٩]: لا يؤخرون لتوبة، لأنه يجب أن يجروا على سنة من قبلهم ممن طلبوا[١٠] الآيات فلم يؤمنوا فأهلكوا، كعاد وثمود.

ـ قوله[١١]﴿**ولو جعلناه ملكاً**﴾ أي: لو جعلنا الرسول ملكاً كما يطلبون ﴿**لجعلناه رجلاً**﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس.[١٢]﴿**وللبسنا عليهم ما يلبسون**﴾ يقال: لبست الأمر ألبسه لبساً، إذا شبهته وجعلته مشكلاً[١٣]. قال الضحاك[١٤]: ولخلطنا عليهم ما يخلطون حتى يشكوا فلا يـدروا أملك هو أم آدمي؟. ثم عزى نبيهﷺ عن تكذيب المشركين فقال:

ـ ﴿**ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم**[١٥]﴾ قال عطاء: فحـل وقال الربيع[١٦]: نزل، [وقال الضحاك: أحاط][١٧] وقال الفراء: يقال حاق بهم يحيق حيقاً وحيوقاً[١٨] وقال الزجاج[١٩]: أحاط بهم العذاب

---

(١) ذكره ابن منظور في اللسان / قرطس، «والبردى ـ بالفتح ـ نبت معروف، واحدته بردية» (اللسان / برد) والكاغد: معروف، وهو فارسي معرب» (اللسان / كغد).
(٢) انظر تفسير الطبري ٧/٩٦ ـ ٩٧، والدر ٣/٥ كلاهما عن قتادة.
(٣) في (حـ، و) ولمسوه.
(٤) انظر الزجاج ٢/٢٥٢.
(٥) في (و) يبتغون.
(٦) في (حـ، و) قوله تعالى، وفي (د) قوله قالوا.
(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، وابن كثير ٢/٦٣، ٣/٣١٠، والدر ٣/٥، وفتح القدير ٢/١٠٢ كلاهما عن محمد بن إسحاق.
(٨) انظر تفسير الطبري ٧/٩٧ عن مجاهد وعكرمة، والدر ٣/٥٥ وفتح القدير ٢/١٠٢ كلاهما عن مجاهد، وتفسير الثوري ص ١٠٦.
(٩) انظر تفسير الطبري ٧/٩٧، وفتح القدير ٢/١٠٢ كلاهما عن ابن عباس.
(١٠) في (د) طلب الآيات لا يؤمنوا، وفي (و) طلب...
(١١) في (حـ، و) وقوله.
(١٢) في (حـ، د) قوله.
(١٣) انظر اللسان / لبس، والمصباح / لبس.
(١٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، والدر ٣/٥، وفتح القدير ٢/١٠٢ كلاهما عن ابن عباس، وابن كثير ٢/١٢٤ عن ابن عباس والضحاك.
(١٥) في (حـ) بالذين سخروا بهم قال عطاء: فحل بالذين سخروا منهم، وفي (د، و) قال عطاء: فحل بالذين سخروا منهم. وانظر تفسير الطبري ٢/١٢٠ عن عطاء، والبحر ٤/٦٦.
(١٦) انظر تفسير البغوي ٢/١٢٠ عن الربيع بن أنس، وتفسير ابن عباس ١٠٦، والطبري ٧/٩٨ والبحر ٤/٦٦.
(١٧) ما بين المعقوفتين مكرر في (أ)، وانظر البحر ٤/٦٦، والبغوي ٢/١٢٠ كلاهما عن الضحاك والطبري ٧/٩٨.
(١٨) انظر غرائب النيسابوري ٧/١٠٨ عن الفراء، واللسان / حيق عن الفراء، والطبري ٧/٩٨، والبحر ٤/٦٦ والقرطبي ٦/٣٩٤، وفتح القدير ٢/١٠١.
(١٩) انظر الزجاج ٢/٢٥٤، والرازي ١٢/١٦٣، واللسان / حيق كلاهما عن الزجاج.

الذي هو جزاء استهزائهم. كما تقول: أحاط بفلان عمله، وأهلكه كسب، أي: جزاء كسبه. ثم حذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية فقال:[١]

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

- ﴿قل سيروا﴾ سافروا ﴿في الأرض ثم انظروا﴾ اعتبروا ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ مكذبي الرسل، قال قتادة: دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

- قوله[٢] ﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾ هذا أمر من الله تعالى لنبيهﷺ بسؤال قومه، [ثم أمره بالجواب فقال][٣] ﴿قل لله﴾ جاء السؤال والجواب من جهة واحدة، وهذا[٤] إخبار عن عظم ملكه.

ثم أخبر أنه أوجب على نفسه الرحمة تلطفاً في الاستدعاء إلى الإنابة فقال﴿كتب﴾ ربكم[٥] ﴿على نفسه الرحمة﴾ قال ابن عباس[٦]: قضى لنفسه أنه أرحم الراحمين.

أخبرنا أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم الأثري بجرجان[٧]. أخبرنا أبو الحسن علي بن المثنى[٨]. أخبرنا

---

(١) انظر تفسير الطبري ٧/٩٩، والدر ٣/٥ ـ ٦ كلاهما عن قتادة.

(٢) في (حـ) قوله تعالى.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) في (د) وهو إخبار.

(٥) ليست في (د).

(٦) انظر تفسير الطبري ٧/٩٩، والبحر ٤/٨١.

(٧) أبو الحارث محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن سليمان الأثري الخبوشاني الاستوائي كان قد رحل وسمع الكثير وكان قديماً صاحب حديث طاف في أكناف خراسان وحصل الكثير وكانت وفاته سنة نيف وثلاثين وأربعمائة. (الأنساب ٥/٤٣).

(٨) علي بن المثنى الكوفي عن أبي إسحاق، ضعفه الأزدي (الميزان ٣/١٥٢).

محمد بن إسحاق الرملي [١]. حدثنا هشام بن عمار حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» رواه مسلم عن زهير بن حرب عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد [٢].

وقوله [٣] ﴿**ليجمعنكم إلى يوم القيامة**﴾ هذا ابتداء كلام، و «اللام» فيه: لام القسم، كأنه قال: والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة[٤].

قال الزجاج[٥]: معناه: ليجمعنكم إلى اليوم الذي أنكرتموه، وهو اليوم الذي لا ريب فيه ﴿**الذين خسروا أنفسهم**﴾ أي: بالشرك بالله تعالى أوبقوا أنفسهم ﴿**فهم لا يؤمنون**﴾ لما سبق لهم من القضاء بالشقاوة والخسران.

ـ قوله[٦] ﴿**وله ما سكن في الليل والنهار**﴾ قال ابن عباس[٧]: له ما استقر في الليل والنهار ممن خلق. وهذا عام في كل مخلوق، لأن كل ما طلعت عليه الشمس وما غربت[٨] فهو من ساكني الليل والنهار. ولهذا قال ابن الأعرابي[٩]: وله ما حل في الليل والنهار.

وقال أهل المعاني[١٠] في الآية محذوف، والتقدير: وله[١١] ما سكن وتحرك في الليل، والنهار، فحذف ذكر الحركة واكتفى بذكر السكون، كقوله ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[١٢] يعني: الحر والبرد.

ـ قوله[١٣] ﴿**قل أغير الله أتخذ ولياً**﴾ هذا استفهام معناه الإنكار، أي: لا أتخذ ولياً غير الله ولا أعبد سواه ﴿**فاطر السموات والأرض**﴾ خالقهما ابتداء لا على مثال سبق. و «الفطرة»: ابتداء الخلقة. قال ابن عباس: كنت لا أدري ما ﴿**فاطر السموات والأرض**﴾ حتى أحتكم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: أنا ابتدأت حفرها.

وقال ابن الأعرابي: يقال[١٤] هو أول من فطر هذا، أي: ابتدأه[١٥] قوله[١٦] ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ قال السدي

---

(١) في (حـ) الديلي، سبق.
(٢) الحديث: صحيح مسلم ـ كتاب التوبة ـ باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه عن أبي هريرة ٢/٤٩٣. وصحيح البخاري ـ كتاب التوحيد ـ باب (وكان عرشه على الماء) عن أبي هريرة ٤/٢٨١.
(٣) في (د) قوله.
(٤) انظر الأخفش ٢/٤٨٢، وفتح القدير ٢/١٠٣ عن الفراء.
(٥) انظر الزجاج ٢/٢٥٤.
(٦) في (حـ، و) قوله تعالى.
(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، والطبري ٧/١٠١، والدر ٣/٦، وفتح القدير ٢/١٠٦ كلها عن السدي.
(٨) ساقط من (و).
(٩) انظر اللسان / سكن عن ابن الأعرابي، وغرائب النيسابوري ٧/١١٤، والرازي ١٢/١٦٨.
(١٠) انظر تفسير البغوي ٢/١١٢، والبحر ٤/٨٣، وغرائب النيسابوري ٧/١١٤، وفتح القدير ٢/١٠٤، والرازي ١٢/١٦٨.
(١١) ساقط من (و).
(١٢) سورة النحل / ٨١.
(١٣) في غير (أ) قوله تعالى.
(١٤) في (حـ، و) وقوله.
(١٥) ذكره ابن منظور في اللسان / فطر عن ابن عباس وابن الأعرابي، وانظر الطبري ٧/١٠١، وابن كثير ٣/٤٦، والبحر ٤/٨٤، والرازي ١٢/١٦٨ والدر ٣/٧، وفتح القدير ٢/١٠٦ كلها عن ابن عباس.
(١٦) في (حـ، و) وقوله.

والكلبي[١]: يرزق ولا يرزق ﴿قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ من هذه الأمة[٢]، أي: قيل لي: كن أول المسلمين ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي: أمرت بدين الحنفية، ونهيت عن الشرك.

ـ ﴿قل﴾ للمشركين﴿إني أخاف إن عصيت ربي﴾ فيما أمرت به ونهيت عنه ﴿عذاب يوم عظيم﴾ وهو يوم القيامة.

ـ ﴿من يصرف عنه﴾ العذاب ﴿يومئذ فقد رحمه﴾ فقد أوجب الله له الرحمة لا محالة أي: له مع صرف العذاب عنه الرحمة. وقرأ حمزة (يَصْرِف) ـ بفتح الياء وكسر الراء ـ أي: يصرف الله عنه العذاب يومئذ، يعني: يوم القيامة فقد رحمه[٣]. ﴿وذلك الفوز المبين﴾ لأنه فاز بالرحمة ونجا من العذاب.

ـ وقوله[٤] ﴿وإن يمسسك الله بضرّ﴾ أي: إن جعل الضر يمسسك ويصيبك، وهو اسم جامع لكل ما يتضرر به الإنسان من فقر ومرض وزمانة، كما أن الخير: اسم جامع لكل ما ينتفع به الإنسان[٥]. قوله[٦] ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ أي: لا يكشف ذلك الضر الذي أصابك غير الله، ولا يصرفه عنك غيره. وقوله[٧] ﴿وإن يمسسك بخير﴾ يصبك بغنى وسعة في الرزق وصحة في الجسم ﴿فهو على كل شيء قدير﴾ من الغنى والفقر.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البغدادي . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن شيبان الرملي[٨]، حدثنا عبد الله بن ميمون القداح[٩]، عن شهاب بن خراش[١٠]، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن عباس أنه قال:

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٦، وغريب القرآن ١٥١، وابن كثير ٢/١٥٢، والطبري ٧/١٠٢ عن السدي، وكذا الدر ٣/٧، وفتح القدير ٢/١٠٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٢٥.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وعاصم ـ في رواية أبي بكر ـ (من يَصرف) مفتوحة الياء مكسورة الراء، وحجتهم: قوله قبلها ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ وأيضاً فقد ختم الكلام بمثل معنى يصرف فقال (فقد رحمه) ولم يقل، فقد رُحم، فيكون على نظير مما لم يسم فاعله. وقرأ الباقون (يُصرف) بضم الياء وفتح الراء، وحجتهم: أن هذا الوجه أقل إضماراً لأنه إذا قال ﴿من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه﴾ أي: فقد رحمه الله لأنه تقدمه (إن عصيت ربي) وفي يصرف ذكر العذاب وإذا قال (يَصرف) أضمر ذكر العذاب، وفي قراءتهم ذكر العذاب في (يصرف) فحسب، أي: إن (يَصرف) ـ بالفتح ـ لا يفهم المصروف إلا بتقدير و(يصرف) بالضم فيها معنى المصروف المستفاد مما سبق (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٣، والسبعة ٢٥٤ والنشر ٢/٢٥٧، والتبيان ١/٤٨٤ ـ ٤٨٥، والزجاج ٢/٢٥٦ والمشكل ١/٢٤٧، والحجة لابن خالويه ١٣٧).

(٤) في غير (أ) قوله.

(٥) انظر اللسان / ضرر.

(٦) في (حـ، و) وقوله.

(٧) من (أ). الشيخ الكبير مسند خراسان علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان البغدادي الطرازي الحنبلي الأديب من كبار النيسابوريين حدث عن أبي العباس الأصم وغيره وعنه الخطيب، وغيره توفي سنة ٤٢٢ هـ (سير الأعلام ١٧/٤٠٩).

(٨) أحمد بن شيبان الرملي أبو عبد المؤمن روى عن ابن عيينة وجماعة وثقه الحاكم وقال ابن حبان: يخطىء وقال صالح الطرابلسي ثقة مأمون أخطأ في حديث واحد توفي سنة ٢٧٥ وقيل سنة ٢٦٨ هـ (شذرات ٢/١٥٤، وتهذيب التهذيب ١/٣٩، وسير الأعلام ١٢/٣٤٦).

(٩) عبد الله بن ميمون القداح المكي قال أبو حاتم: متروك، وقال البخاري: ذاهب الحديث، وقال أبو زرعة: واهي الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به توفي سنة ١٨٠ هـ (الميزان ٢/٥١٢، والأعلام ٤/٢٨٦).

(١٠) شهاب بن خراش بن حوشب بن يزيد بن الحارث الشيباني الحوشبي أبو الصلت الواسطي ابن أخي العوام روى عن أبيه وعمه وقتادة =

«أهدي إلى رسول[1] الله ﷺ بغلة، أهداها له كسرى[2] فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه، ثم سار ملياً[3] ثم التفت إلي فقال: يا غلام، فقلت: لبيك يا رسول الله، قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد مضى القلم بما هو كائن، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا، واعلم أن مع الصبر النصر، وأن مع الكرب الفرج، وأن مع العسر اليسر»[4].

ـ قوله[5] ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ «القهر»: الغلبة، والله القاهر[6] القهار قهر خلقه بقدرته وسلطانه فصرفهم على ما أراد طوعاً وكرهاً، يقال: أخذت الشيء قهراً، إذا أخذته دون رضا صاحبه، ومعنى «القاهر[7] في صفة الله تعالى»: يعود إلى أنه القادر الذي لا يعجزه شيء.

ومعنى ﴿فوق﴾ هاهنا: أن قهره قد استعلى عليهم فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار الذي لا ينفك عنه أحد،[8] ﴿و[هو الحكيم] الخبير﴾ العالم بالشيء.

ـ قوله ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ قال المفسرون[9] : قال أهل مكة للنبي ﷺ : ائتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن اليهود والنصارى ينكرونك ،فنزلت هذه الآية قال مجاهد: [10] أمر محمد ﷺ أن يسأل قريشاً، ثم أمر أن يخبرهم فيقول[11] ﴿الله شهيد بيني وبينكم﴾.

= وغيرهم وعنه عبد الرحمن بن مهدي وآدم بن أبي إياس والهيثم ابن خارجة قال ابن المبارك والمدائني وابن عمار: ثقة وقال ابن معين: لا بأس به، وقال مرة: ثقة توفي سنة ١٧٤ هـ (تهذيب التهذيب ٤/٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(١) في (حـ، و) النبي ﷺ.

(٢) آخر الأكاسرة مطلقاً يزوجوه بن شهريار بن برويز بن هرمز أنوشروان المجوسي الفارسي انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق وهرب إلى مرو وولت أيامه ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ٣٠ هـ، وكان ملكه ضعيفاً وضعفت مملكة فارس وزال ملكهم بالإسلام إلى الأبد.

(سير الأعلام ٢/٢٠٩، وتتمة المختصر ١/٧٦).

(٣) «مليا: أي طويلًا، أي ساعة طويلة» (اللسان / ملا).

(٤) الحديث: رواه الطبراني في الكبير ١١/١٢٣، ١١/٢٢٣، والحلية ١/٤١٣، والترمذي كتاب صفة القيامة ـ باب ٢٢ ـ رقم ٢٦٣٥ بنحوه «حسن صحيح» ٤/٧٦، والمستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة ـ «هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس، إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجا شهاب بن خراش ولا القداح في الصحيحين ـ وقد روى الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا».

قال الذهبي: قلت: لأن القداح قال أبو حاتم: متروك، والآخر: مختلف فيه، وعبد الملك لم يسمع من ابن عباس ـ فيما أرى ـ ٣/٥٤١ ـ ٥٤٢.

وقال الحضرمي: «وقع في حديث ابن عباس قال أهدى إلي النبي ﷺ بغلة أهداها له كسرى، هكذا وقع وسيط الواحدي وغيره. ولم يصح ذلك، والمعروف أنه لم يكن بينه وبين كسرى مهاداة، وأنه مزق كتابه فدعا ﷺ بتمزيق ملكه فكان، والمعروف أن المهدي للبغلة وغيرها هو المقوقس ملك مصر ـ والله أعلم (عمدة القوي والضعيف ص ١١ ـ ١٢).

(٥) في (حـ، و) قوله تعالى.

(٦) في (حـ) القهار القاهر، وفي (د) يقهر.

(٧) في (حـ) القهر، ذكره ابن منظور في اللسان / قهر.

(٨) انظر التبيان ١/٤٨٥ ـ ٤٨٦، والبحر ٤/٨٩، والوجيز للواحدي ١/٢٣٤

(٩) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، وأسباب النزول للواحدي ١٦٠. وغرائب النيسابوري ٧/١١٩ عن الكلبي، والرازي ١٢/١٧٥ ـ ١٧٦ عن ابن عباس.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٧/١٠٣، والدر ٣/٧ كلاهما عن مجاهد.

(١١) في (حـ) بأن يقول.

قال الزجاج: أمر الله نبيه[١] ﷺ أن يحتج عليهم بأن شهادة الله في نبوة نبيه أكبر شهادة، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له أنه رسول الله ﷺ، وهو قوله ﴿**وأوصي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**﴾ يريد: من أمتي إلى يوم القيامة.

قال الفراء: المعنى ومن بلغه[٢] القرآن من بعدكم، وكان مجاهد يقول: حيثما يأتي القرآن فهو داع[٣] ونذير، ثم قرأ هذه الآية، وقال القرظي: من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي ﷺ وكلمه[٤].

قوله ﴿**أئنكم لتشهدون أن مع الله ءالهة أخرى**﴾ هذا استفهام معناه الجحد والإنكار عليهم بهذه الشهادة، ثم أمر رسوله ﷺ بنفي هذه الشهادة عن نفسه بقوله ﴿**قل لا أشهد**﴾ ثم أمره بتوحيده والتبري مما سوى الإسلام فقال ﴿**قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون**﴾.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

- قوله ﴿**الذين ءاتيناهم الكتاب**﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿**يعرفونه**﴾ يعرفون محمداً بالنبوة والصدق بما يجدونه مكتوباً عندهم في[٥] صفته ونعته ﴿**كما يعرفون أبناءهم**﴾.

- وقد تقدم تفسير هذا في سورة البقرة ـ وباقي الآية مفسر في هذه السورة[٦].

- قوله ﴿**ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً**﴾ قال ابن عباس:[٧] ومن أكفر ممن اختلق على الله كذباً فأشرك به الآلهة، والمعنى: لا أحد أظلم منه.

﴿**أو كذب بآياته**﴾ يعني: القرآن، وهم اليهود والنصارى كذبوا القرآن ومعجزاته ﴿**إنه لا يفلح الظالمون**﴾ قال ابن عباس[٨]: لا يسعد من جحد ربوبية ربه وكذب رسله[٩].

---

(١) في (د) أمر الله أن يحتج.
وانظر الزجاج ٢/٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) في (أ) بلغ، وانظر الفراء ١/٣٢٩، والطبري ٧/١٠٤، عن ابن عباس والسدي، والدر ٣/٧، وفتح القدير ٢/١٠٦ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) في (حـ، د) داعي، وانظر تفسير الطبري ٧/١٠٤، والدر ٣/٧ كلاهما عن مجاهد.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧/١٠٤، وابن كثير ٢/١٢٦، والدر ٣/٧، وفتح القدير ٢/١٠٦ كلها عن القرظي وغرائب النيسابوري ٧/١٢١ عن سعيد بن جبير.

(٥) في (حـ، د) من صفته.

(٦) انظر تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة. وباقي الآية هو ﴿**الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون**﴾ انظر تفسير الآية ١٢ من هذه السورة.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، والطبري ٧/١٠٥.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٧، والخازن ٢/١٨٧ كلاهما عن ابن عباس، والبحر ٤/٢٦٦ عن عطاء.

(٩) في (و) رسوله وقوله.

ـ قوله: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾ انتصب «يوم» بمحذوف تقديره: واذكر يوم نحشرهم، يعني: يوم القيامة يجمع الله فيه الكفار والمشركين ثم يسألهم سؤال توبيخ عما أشركوا بالله من الأوثان وهو قوله ﴿ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ قال المفسرون[١]: إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنها تشفع لكم؟.

ـ قوله ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ وقرىء بالياء، لأن الفتنة بمعنى الافتتان فجاز تذكيره، وقرىء (فتنتهم) رفعاً ونصباً، فمن رفع جعله اسم كان وجعل ﴿إلا أن قالوا﴾ الخبر، ومن نصب جعل ﴿إلا أن قالوا﴾ الاسم و ﴿فتنتهم﴾ الخبر[٢].

قال الزجاج[٣]: تأويل هذه الآية تأويل حسن لطيف، وذلك أن الله تعالى ذكر فيما[٤] تقدم أمر المشركين وأنهم مفتونون بشركهم، ثم أعلم أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرؤوا منه وانتفوا عنه، وهو قولهم ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾. قرىء (ربنا) بالخفض على نعت (الله) ومن نصب جعله منادى مضافاً[٥].

ـ قال الله عز وجل[٦] ﴿وانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ باعتذارهم بالباطل وجحد شركهم في الآخرة، قاله قتادة وعطاء[٧].

قوله[٨] ﴿وضل عنهم﴾ أي: زال وبطل ﴿ما كنوا يفترون﴾ بعبادته[٩] من الأصنام فلم تغن عنهم شيئاً، وذلك

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧ وابن كثير ٤٥/٤ عن قتادة والسدي ومالك وابن زيد وزيد بن أسلم، والدر ٨/٣، وفتح القدير ١٠٦/٢ كلاهما عن عكرمة.

(٢) قرأ ابن كثير وحفص (ثم لم تكن) بالتاء (فتنتُهم) بالرفع اسماً لكان والخبر (إلا أن قالوا) وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر (ثم لم تكن) بالتاء(فتنتَهم) بالنصب خبراً لكان والاسم (إلا أن قالوا) وأنث الفعل لأنه جاء ملاصقاً للفتنة، وإنما جاز ذلك لأن الفتنة هي القول والقول هو الفتنة فجاز أن تحل محله.

وأيضاً: إن المصدر قد يقدر مذكراً ومؤنثاً، والتقدير ثم لم تكن فتنتهم إلا مقالتهم.

وقرأ حمزة والكسائي (ثم لم يكن) بالياء (فتنتَهم) بالنصب على الخبر وحجتهما: إجماع القراء في قوله ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا﴾ سورة النمل /٥٦.

وفي حرف عبد الله (فما كان فتنتهم) فهذا دليل على التذكير.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٣ ـ ٢٤٤، والسبعة ٢٥٤ ـ ٢٥٥، والنشر ٢٥٧/٢، والتبيان ٤٨٧/١، والزجاج ٢٥٨/٢، والمشكل ٢٤٨/١، والحجة لابن خالويه ١٣٦ ـ ١٣٧، ومجاز القرآن ١٨٨/١).

(٣) انظر الزجاج ٢٥٨/٢ ـ ٢٥٩، والرازي ١٨٢/١٢، وغرائب النيسابوري ١٢٣/٧، وفتح القدير ١٠٧/٢ كلها عن الزجاج.

(٤) في (حـ) فيما تقدم من أمر، وفي (د) فيها تقدم.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (والله ربِنا) بالكسر فيهما على النعت والثناء، وحجتهم: أنك إذا قلت: أحلف بالله ربي كان أحسن من أن تقول: أحلف بالله يا رب وقرأ حمزة والكسائي (واللهِ) بالكسر (ربَنا) بالنصب أي: يا ربنا على النداء، وحجتهما أن الآية ابتدئت بمخاطبة الله إياهم إذ قال للذين أشركوا (أين شركاؤكم) فجرى جوابهم إياه على نحو سؤاله لمخاطبتهم إياه فقالوا: (والله ربنا) بمعنى: والله يا ربنا (ما كنا مشركين) فأجابوه مخاطبين له، كما سألهم مخاطبين.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٤، والسبعة ٢٥٥، والنشر ٢٥٧/٢، والتبيان ٤٨٧/١ والزجاج ٢٥٩/٢، والفراء ٣٣٠/١، والأخفش ٤٨٣/٢، والحجة لابن خالويه ١٣٧أ، والدر ٨/٣).

(٦) في (حـ، و) قال الله تعالى، وفي (د) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٠٦/٧، والدر ٨/٣، وفتح القدير ١٠٩/٢ كلها عن قتادة، وابن كثير ١٢٧/٢ عن عطاء.

(٨) في (حـ) وقوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٩) في غير (أ) بعبادتهم ـ وفي (د، و) فلم تغني.

أنهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها لهم، فبطل ذلك في ذلك اليوم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

ـ وقوله[١] **﴿ومنهم من يستمع إليك..﴾** الآية نزلت في نفر من المشركين منهم النضر بن الحرث[٢]، جلسوا إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ فقال: أساطير الأولين مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية[٣].

وقوله[٤] **﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾** «الأكنة»، هو ما ستر الشيء يقال: كننت الشيء وأكننته: سترته[٥]. قال ابن عباس **﴿ومنهم من يستمع إليك﴾** يعني: القرآن **﴿وجعلنا على قلوبهم﴾** غطاءأن يفهموه[٦] ويعوه. قال الزجاج: والتقدير: كراهة أن يفقهوه، فحذف المضاف[٧]. **﴿وفي آذانهم وقراً﴾** «الوقر»: الثقل في الأذن، قال ابن عباس[٨]: صمما، وقال الضحاك: ثقلا[٩].

وليس المعنى أنهم لم يعلموا ولم يسمعوا، ولكنهم حرموا الانتفاع به، فكانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع. وهذه الآية دلالة صريحة على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى، ويجعل بعضها في أكنة فلا يفقه صاحبها[١٠] كلام الله تعالى ولا يؤمن به، وهو قوله **﴿وإن يروا كل ءاية لا يؤمنوا بها﴾** أي: كل علامة تدلهم على نبوتك لا يصدقوا بها هذا حالهم في البعد عن الإيمان[١١] **﴿حتى إذا جاؤوك يجادلونك﴾** يخاصمونك في الدين **﴿يقول الذين كفروا[١٢] إن هذا إلا أساطير الأولين﴾**[١٣] ما هذا القرآن إلا ما سطره الأولون، أي: كتبوه من أحاديثهم وواحد «الأساطير»: أسطورة، مثل أحدوثة وأحاديث. وقال أبو زيد الأخفش: لا واحد لها مثل عبابيد وأبابيل[١٤].

---

(١) في (حـ، و) وقوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٢) في (حـ) الحرث بن النضر، وهو: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي الرهيني قتله علي بن أبي طالب بالصفراء صبراً يوم بدر وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ وهو ابن خالة النبي ﷺ (الأنساب ١٩٧/٦، والأعلام ٣٥٧/٨).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، وأسباب النزول للواحدي ١٦٠، وغرائب النيسابوري ١٢٨/٧، والرازي ١٨٥/١٢ ـ ١٨٦ كلاهما عن ابن عباس، وهؤلاء النفر هم: أبو سفيان والوليد بن المغيرة، وعقبة وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمية وأبي ابنا خلف، والحرث بن عامر وأبو جهل والنضر بن الحرث..

(٤) في (د) قوله.

(٥) انظر مجاز القرآن ١٨٨/١، والمشكل ٢٤٨/١، والأخفش ٤٨٥/٢، واللسان / كنن.

(٦) في (د، و) يفقهوه، وانظر تفسير ابن عباس ص ١٠٧.

(٧) انظر الزجاج ٢٥٩/٢، والبيان ٣١٧/١.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، وغريب القرآن ١٥٢، ومجاز القرآن ١٨٩/١، والدر ٨/٣ عن السدي.

(٩) وبه قال الزجاج ٢٥٩/٢، واللسان / وقر.

(١٠) في (أ، د) صاحبه.

(١١) في (حـ، د) قوله.

(١٢) في غير (أ) كفروا منهم أن هذا.

(١٣) في (د) أي ما هذا.

(١٤) وقال الزجاج: واحد الأساطير أسطورة، كما قالوا: أحدوثة وأحاديث.

=

ـ قوله[١] ﴿وهم ينهون عنه﴾ يعني: المشركين ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ﴿وينأون[٢] عنه﴾ يتباعدون عنه فلا يؤمنون، [٣] وهذا قول الكلبي والحسن والسدي[٤]. و«النأي»: البعد، نأي ينأى[٥] نأياً.

وقال ابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير: نزلت في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به[٦]. وقوله[٧] ﴿وإن يهلكون﴾ أي؛ وما يهلكون بالتباعد عنه ﴿إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ أنهم يهلكونها.

ـ قوله ﴿ولو ترى﴾ يا محمد المشركين ﴿إذ وقفوا على النار﴾ أي: عاينوها ووقفوا عندها، فهم موقوفون على أن يدخلوها[٨] ﴿فقالوا يا ليتنا نرد﴾ إلى الدنيا، يتمنون الرد لكي يؤمنوا ويصدقوا وهو قوله ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ فقد شاهدنا وعاينا ما لا نكذب معه أبداً.

ومن نصب ﴿ولا نكذب﴾﴿ونكون﴾ قال الزجاج: نصب على الجواب بالواو[٩] في التمني، كما تقول: ليتك

= والأساطير: الأباطيل، والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطار وإسطارة وأسطير وأسطيرة وأسطور وأسطورة، وقال قوم: أساطير جمع أسطار وأسطار جمع سطر.

وقال أبو الحسن ـ الأخفشي ـ لا واحد له. (اللسان / سطر).

وانظر الأخفش ٤٨٦/٢، والطبري ١٠٩/٧ عن الأخفش، والرازي ١٨٨/١٢، وغرائب النيسابوري ١٢٩/٧ كلاهما عن أبي زيد، وفتح القدير ١٠٨/٢ ذكر الأقوال كلها.

والعبابيد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها، (اللسان / عبد). والأبابيل: جماعة في تفرقة. (اللسان / أبل).

(١) في (حـ، و) قوله.

(٢) في (و) وبنون.

(٣) في (حـ، د) أي.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، والزجاج ٢٦١/٢، والطبري ١٠٩/٧، والدر ٨/٣ ـ ٩ كلاهما عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي، وابن كثير ١٢٧/٣ عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية ومجاهد وقتادة والضحاك.

(٥) ساقطة من (د)، وانظر غريب القرآن ١٥٢، ومجاز القرآن ١٨٩/١، واللسان / نأى.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٠٧، والثوري ١٠٦ ـ ١٠٧، والزجاج ٢٦٢/٢ ورجح الرأي الأول، وابن كثير ١٢٧/٢ عن ابن عباس وعطاء بن دينار وجماعة، والدر ٨/٣ عن ابن عباس وابن دينار والقاسم، وأسباب النزول للواحدي ١٦٠، وللسيوطي ١١٧، والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ «صحيح على شرط الشيخين» عن ابن عباس ٣١٥/٢.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في (د) على يدخلوها.

(٩) في (د) قالوا في التمني كما تقول ليت تصير إلينا ونكرمك.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم ـ في رواية أبي بكر ـ (ولا نكذبُ) (ونكونُ) بالرفع فيهما، جعلوا الكلام منقطعاً عن الأول، قال الزجاج: المعنى: أنهم تمنوا الرد وضمنوا أنهم لا يكذبون، المعنى: يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المذنبين، أو يا ليتنا نرد ويا ليتنا لا نكذب.

وقرأ ابن عامر وحمزة وعاصم ـ في رواية حفص ـ (ولا نكذبَ) (ونكونَ) بالنصب فيهما جعلاه جواب التمني، لأن الجواب بالواو ينصب كما ينصب بالفاء.

وفي رواية ابن ذكوان قرأ ابن عامر (ولا نكذبُ) بالرفع (ونكونَ) بالنصب، جعل الأول نسقاً، والثاني جواباً. المعنى: يا ليتنا نرد فنكون من المؤمنين، وحجته: قوله ﴿لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾ سورة الزمر/٥٨ ـ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٥، والسبعة ٢٥٥، والنشر ٢٥٧/٢، والتبيان ٤٨٩/١، والزجاج ٢٦٢/٢ ـ ٢٦٣، والمشكل ٢٤٩/١، ٢٥٠، والحجة لابن خالويه ١٣٧ ـ ١٣٨).

تصير إلينا ونكرمك، المعنى: ليت مصيرك يقع وإكرامنا. والمعنى[١]: ليت ردنا وقع وأن[٢] لا نكذب ونكون من المؤمنين.

ـ قوله[٣] ﴿**بل بدا لهم**﴾[٤] «بل» هاهنا: رد[٥] لكلامهم، يقول الله تعالى: ليس على ما قالوا من أنهم ردوا لآمنوا[٦] **بدا لهم** ﴿**ما كانوا يخفون من قبل**﴾ فلذلك اعتذروا وتمنوا الرد، وذلك أن المشركين كانوا يجحدون الشرك في بعض المواقف كما أخبر عنهم بقوله ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾[٧] فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر، فذلك حين بدا لهم أي: ظهر لهم ما كانوا يخفون: يكتمون ويسترون[٨] من الشرك. ﴿**ولو ردوا**﴾ إلى الدنيا ﴿**لعادوا لما نهوا عنه**﴾. قال ابن عباس: إلى[٩] **ما نهوا عنه** من الشرك. ﴿**وإنهم لكاذبون**﴾ في قولهم ﴿**ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين**﴾.

وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٠﴾

ـ ﴿**وقالوا**﴾ يعني: منكري البعث ﴿**إن هي إلا حياتنا الدنيا**﴾ ما الحياة إلا هذه الحياة التي نحن فيها ولا حياة بعدها، وهو قوله ﴿**وما نحن بمبعوثين**﴾.

ـ قوله[١٠] ﴿**ولو ترى إذ وقفوا على ربهم**﴾ أي: على مسألة ربهم وتوبيخه إياهم بكفرهم وهو قوله ﴿**قال أليس هذا بالحق**﴾ يقول الله لهم: أليس هذا البعث حقاً؟ فيقرون حين لا ينفعهم ذلك ويقولون ﴿**بلى وربنا**﴾ فيقول الله تعالى ﴿**فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون**﴾ أي: بكفركم بالبعث.

قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾

ـ قوله ﴿**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله**﴾ إنما وصفوا بالخسران، لأنهم باعوا الإيمان بالكفر، فعظم خسرانهم في ذلك البيع. ومعنى ﴿**بلقاء الله**﴾: بالبعث والثواب والعقاب والمصير إلى الله.

قوله[١١] ﴿**حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة**﴾ يعني: الوقت الذي تقوم فيه القيامة. و «البغته»: الفجأة[١٢]، يعني:

(١) في غير (أ) والمعنى في الآية.
(٢) في (د) أن ولا نكذب أي إن رددنا لا نكذب.
(٣) في (حـ) قوله تعالى.
(٤) في (د) ما كانوا يخفون من قبل.
(٥) في (و) رداً.
(٦) بل بدا لهم.
(٧) سورة الأنعام / ٢٣.
(٨) في (حـ، د) ويسرون.
(٩) في (أ) أي ما نهوا، وانظر تفسير ابن عباس ١٠٨.
(١٠) في غير (أ) قوله تعالى.
(١١) في (حـ، د) وقوله.
(١٢) انظر مجاز القرآن ١/١٩١، والزاهر ٢/٨.
قال الزجاج: «إن قال قائل: ما معنى دعاء الحسرة وهي لا تعقل ولا تجيب؟ =

إنها تأتي فجأة لا يعلمها أحد فينتظرها. و ﴿قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ التفريط: التضييع والترك[١]. أي: على تركنا وضيعنا من عمل الآخرة في الدنيـا. ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ «الأوزار»: الأثقـال من الإثم[٢] قال ابن عباس: يريد: آثامهم وخطاياهم[٣].

قال المفسرون[٤]: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ريحـاً فيقول: أنـا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم، فذلك قوله ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾[٥]، أي: ركبانا.

وإن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحاً فيقول: أنا عملك السيّء طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم، وذلك قوله ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾ وهذا قول قتادة والسدي.

وقوله[٦] ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ يقال: وزرت الشيء آزره وزرا، إذا حملته[٧]. قال ابن عباس: بئس الحمل[٨] حملوا.

ـ قوله[٩] ﴿وما الحياة الدنيا﴾ يعني: الحياة في هذه الدار ﴿إلا لعب ولهو﴾ أي: باطل وغرور لأنها تنقضي وتفني، كاللعب واللهو لذة فانية عن قرب. ﴿ولَلدار الآخـرة﴾ يعني: الجنة ﴿خيـر للذين يتقون﴾ الشـرك ﴿أفلا يعقلون﴾ أنها كذلك فيصلوا لها.

وقرأ ابن عامر «ولدار الآخـرة» بالإضافة[١٠]، قال الفراء: يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، كقولهم: بارحة الأولى، ويوم الخميس، وحق اليقين.

= فالجواب عن ذلك: أن العرب إذا اجتهدت في الإخبار عن عظيم تقع فيه جملته نـداء فلفظه مـا ينبه والمنبه غيره..» (الزجاج ٢/٢٦٤).

(١) انظر مجاز القرآن ١/١٩٠، والرازي ١٢/١٩٨ عن أبي عبيدة.

(٢) (أوزارهم): واحدها وِزر ـ مكسورة الأول ـ ومجازها: آثامهم، والوِزر والوَزر: واحد، يبسط الرجل ثوبَه فيجعل فيه المتاع فيقال له: احمل وِزرك ووَزرَكَ ووزرتك ـ (مجاز القرآن ١/١٩٠).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٨، والرازي ١٢/١٩٩ عن ابن عباس، وغريب القرآن ١٥٢.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧/١١٤، والدر ٣/٩ كلاهما عن السدي وعمرو بن قيس الملائي، والـرازي ١٢/١٩٩، وغريب النيسـابوري ٧/١٣٤، كلاهما عن المفسرين، وابن كثير ٢/١٢٩ عن ابن أبي حاتم عن عمرو بن قيس والسدي.

(٥) سورة مريم / ٨٥.

(٦) في (د) قوله، وفي (و) وقوله تعالى.

(٧) انظر مجاز القرآن ٢/٢٦٤، والأخفش ٢/٤٨٧.

(٨) في (حـ، د) ما حملوا. وانظر تفسير ابن عباس ص ١٠٨.

(٩) في (و) وقوله.

(١٠) قرأ ابن عامر (ولدار الآخرة) بلام واحـدة مع الإضـافة وحجتـه قولـه ﴿كيف كان عـاقبة الـذين من قبلهم ولدار الآخـرة﴾ ـ سورة يوسف/١٠٩ ـ وإجماع القراء على ذلك فردوا ما اختلف فيه إلى ما اتفق عليه.

وقرأ الباقون (وللدار الآخرةُ) بلامين مع الرفع نعتاً للدار وحجتهم قوله ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ ـ سورة الأعراف/١٦٨ ـ وقرأ نافع وابن عامر وحفص (أفلا تعقلون) بالتاء ـ أي قل لهم: أفلا تعقلون. وقرأ الباقون بالياء وحجتهم: أن صدر الآية خبر.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٦، والسبعة ٢٥٦، والنشر ٢/٢٥٧، والتبيان ١/٤٩٠، والمشكل ١/٢٥١ والمصاحف لابن أبي داود ص ٤٥).

(١٠) في (و) مضاف.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

ـ قوله[١] ﴿**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون**﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ وتعزية عما يواجهه به قومه من التكذيب.

ـ قال أبو ميسرة: «مر النبي ﷺ بأبي جهل وأصحابه فقالوا: يا محمد، إنا والله لا نكذبك[٢]، وإنك عندنا صادق، ولكن نكذب ما جئت به» فنزلت هذه الآية[٣].

ـ وقوله[٤] ﴿**فإنهم لا يكذبونك**﴾ قال ابن عباس وقتادة والسدي ومقاتل[٥]: هذا في المعاندين الذين عرفوا صدق محمد ﷺ وأنه غير ذلك كاذب فيما يقول، ولكنهم عاندوا وجحدوا فأنزل الله تعالى فيهم ﴿**قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون**﴾ في العلانية إنك كذاب مفتر ﴿**فإنهم لا يكذبونك**﴾ في السر يعلمون أنك صادق، وقد[٦] عرفوا صدقك فيما مضى ﴿**ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ بالقرآن بعد المعرفة.

وقال قتادة:[٧] يعلمون أنك رسول الله، ولكن يجحدون، كقوله ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾[٨] وقرأ الكسائي ﴿**لا يكذبوك**﴾ مخففاً[٩]، واحتج بأن العرب تقول: كذبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب وإلى[١٠] صنعة الأباطيل من القول، وأكذبته[١١]، إذا أخبرت أن الذي تحدث به كذب ليس هو الصانع له.

(١) في (حـ، و) قوله تعالى.

(٢) في (حـ) ما نكذبك.

(٣) الحديث: رواه الترمذي ـ كتاب التفسير ـ من سورة الأنعام ـ رقم ٥٠٥٨ عن علي، ورقم ٥٠٥٩ عن ناجية بن كعب ٤/٣٢٦ ـ ٣٢٧، والمستدرك ـ كتاب التفسير «صحيح على شرط الشيخين» قال الذهبي: ما خرجا لناجية شيئاً ٢/٣١٥ وأسباب النزول للواحدي ١٦١، والسيوطي ١١٧، وابن كثير ٢/١٢٩، والدر ٣/٩ عن علي.

(٤) في (د، و) قوله.

(٥) ساقطة من (د) وفي (حـ) قد.

(٦) انظر تفسير الطبري ٧/١١٥ ـ ١١٦ عن السدي وغرائب النيسابوري ٧/١٣٦ عن السدي ومقاتل، وابن كثير ٢/١٢٩ عن أبي صالح وقتادة والزهري، والدر ٣/١٠ عن قتادة والحسن وأبي صالح.

(٧) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٢٩ عن قتادة وأبي صالح، والدر ٣/١٠، وفتح القدير ٢/١١٣ كلاهما عن قتادة.

(٨) سورة النمل / ١٤.

(٩) في (د) مخفف.

(١٠) في (حـ، و) صيغة.

(١١) في (د) وأكذبته أنا.

قرأ نافع والكسائي (لا يكْذِبونك) بإسكان الكاف وتخفيف الذال، وقرأ الباقون (لا يكَذِّبونك) بفتح الكاف وتشديد الذال، قال ابن عباس: لا يسمونك كذاباً ولكن ينكرون آيات الله بألسنتهم، وقلوبهم موقنة بأنها من عند الله.

وحجتهم قوله ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا﴾ سورة الأنعام/٣٤ ـ قال الزجاج: وتفسير (لا يكذبونك) أي: لا =

وقال الفراء: معنى التخفيف، لا يجعلونك كذاباً، ولكن يقالون: إن ما جئت به باطل.[(١)]

ويجوز أن يكون معنى القراءتين سواء، يقال كذبته وأكذبته، إذا نسبته إلى الكذب. ثم أخبر الله تعالى أن الرسل قبله قد كذبتهم الأمم فقال:

ـ ﴿**ولقد كذبت رسل من قبلك**﴾ قال ابن عباس: من لدن نوح إليك ﴿**فصبروا على ما كذبوا**﴾ رجاء ثوابي ﴿**وأوذوا**﴾ حتى نشروا بالمناشير وحرقوا بالنار ﴿**حتى أتاهم نصرنا**﴾ بتعذيب من كذبهم ﴿**ولا مبدل لكلمات الله**﴾ لا ناقض لما[(٢)] حكم به، وقد حكم في كتابه بنصر أنبيائه كقوله ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾،[(٣)] وكقوله[(٤)] ﴿ولقد سبقت كلمتنا. .﴾ الآيات[(٥)]. ﴿**ولقد جاءك من نبإى المرسلين**﴾ أي خبرهم في القرآن، وكيف أنجيناهم ودمرنا قومهم.

ـ قوله ﴿**وإن كان كبر عليك إعراضهم**﴾ أي: عظم عليك وشق أن أعرضوا عن الإيمان بك[(٦)] وبالقرآن.

وكان رسول الله ﷺ يحرص على إيمان قومه أشد الحرص، وكانوا إذا سألوه آية أراد أن يريهم الله ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عز وجل ﴿**فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض**﴾ وهو السَرَب له مخلص إلى مكان آخر[(٧)] ﴿**أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية**﴾ يقول الله تعالى: إن استطعت أن تغوص في الأرض، أو ترقى في السماء فتأتي قومك بآية فافعل[(٨)].

قال الزجاج[(٩)]: أعلم الله أنه بشر لا يقدر على الإتيان بالآيات، وفي تعجيزه عن الإتيان بما سألوا أمر له بالصبر إلى أن يدخل وقت العقاب.

قوله[(١٠)] ﴿**فلو شاء الله لجمعهم على الهدى**﴾. أخبر الله تعالى أنهم إنما تركوا الإيمان بمشيئة الله[(١١)]، ونافذ قضائه[(١٢)] فيهم، ولو شاء الله لاجتمعوا على الإيمان، كما قال ﴿فلوا شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾[(١٣)].

قوله[(١٤)] ﴿**فلا تكونن من الجاهلين**﴾ فإنه يؤمن بك بعضهم دون بعض، وإنهم لا يجتمعون على الهدى ثم ذكر من يؤمن فقال:

= يقدرون أن يقولوا لك فيما أنبأت به مما في كتبهم كذبت. ووجه آخر: إنهم لا يكذبونك بقلوبهم، أي: يعلمون أنك صادق بدليل قوله ﴿**ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٤٧ ـ ٢٤٩، والسبعة ٢٥٧، والنشر ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨، والتبيان ١/٤٩١، والزجاج ٢/٢٦٦. وغريب القرآن ١٥٣، والمشكل ١/٢٥١، والفراء ١/٣٣١، والحجة لابن خالويه ١٣٨).

(١) انظر الفراء ١/٣٣١، والحجة لأبي زرعة ٢٤٧ نقلاً عن الفراء.

(٢) في (أ) بما حكم.

(٣) سورة المجادلة /٢١.

(٤) ساقطة من (د) وفي (حـ، و) وقوله.

(٥) سورة الصافات /١٧١ ـ ١٧٣ وهي ﴿**لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**﴾.

(٦) في (د) به والقرآن.

(٧) ذكره ابن منظور في اللسان / نفق، وانظر غريب القرآن ١٥٣، والزاهر ١/٢٣٠ ـ والطبري ٧/١١٧، وابن كثير ٢/١٣٠ عن ابن عباس، والدر ٣/١٠ عن ابن عباس وقتادة.

(٨) انظر الأخفش ٢/٤٨٨، والبيان ١/٣٢٠، والطبري ٧/١١٧ عن ابن عباس.

(٩) انظر الزجاج ٢/٢٦٧.

(١٠) في (د) وقوله.

(١١) في (و) بمشيئته.

(١٢) في (أ) قضائهم.

(١٣) سورة يونس / ٩٩.

(١٤) من (أ، د).

ـ ﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ قال مجاهد وقتادة: (١) يعني المؤمنين الذين يسمعون الذكر فينتفعون به، وقال الزجاج(٢): يعني الذين يسمعون سماع قابلين. ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ يعني: الكفار، يقول الله سبحانه وتعالى: إنما يستجيب للحق المؤمنون، فأما الموتى وهم الكفار فإن الله يبعثهم في الآخرة ﴿ثم إليه[يرجعون]﴾ يرجعون فيجزيهم بأعمالهم.

وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

ـ ﴿وقالوا﴾ يعني: رؤساء قريش ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه ءاية من ربه﴾ يعنون نزول ملك(٣) يشهد بالنبوة ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل ءاية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ما عليهم في الآية من البلاء في إنزالها.

ـ قوله(٤) ﴿وما من دابةٍ في الأرض﴾ قال ابن عباس: يريد: كل ما دب(٥) على الأرض وجميع البهائم.

وقال الزجاج: (٦) جميع ما خلق الله في الأرض من حيوان لا يخلو إما أن يدب وإما أن يطير، وهو قوله ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ وذكر «الجناح» تأكيد، كقولك(٧) نعجة أنثى، وكلمته بفمي، ومشيت برجلي.

وقوله(٨) ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد(٩): أصناف مصنفة تعرف بأسمائها. يريد: أن كل جنس من الحيوان أمة تعرف باسمها، كالطير والظباء(١٠) والذئاب والأسود مثل بني آدم يعرفون بالإنس والناس.

وقال الزجاج(١١): يعني أمثالكم في أنهم يبعثون، لأنه قال ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ ثم أعلم أنه ما من دابة ولا طائر إلا أمثالكم(١٢) في الخلق والموت والبعث(١٣).

---

(١) انظر تفسير الطبري ٧/١١٨، والدر ٣/١٠ كلاهما عن مجاهد وقتادة.
(٢) انظر الزجاج ٢/٢٦٨.
(٣) في غير (أ) الملك.
(٤) في(حـ، و) قوله تعالى.
(٥) في (د) كلما.
وانظر تفسير الخازن ١/١٣٥ عن ابن عباس، والطبري ٣/٢٧٥، ٧/١١٩، والبحر ١/٤٥٥، ٤/١١٩، وانظر تفسير الآية ١٦٤ من سورة البقرة.
(٦) انظر الزجاج ٢/٢٦٩.
(٧) في (حـ، د) كقوله.
(٨) في (د) قوله.
(٩) انظر تفسير الطبري ٧/١١٩، وابن كثير ٢/١٣١، والدر ٣/١٠ كلها عن مجاهد.
(١٠) في (حـ) الظبي.
(١١) انظر الزجاج ٢/٢٦٩، والبحر ٤/١٢٠ عن الزجاج.
(١٢) في (د) قال مجاهد: أصناف مصنفة.
(١٣) في (و) في الخلق والبعث والموتى.

يدل على صحة هذا التأويل ما: أخبرنا أبو القاسم بن عبدان[(١)]، حدثنا محمد بن عبدالله بن محمد الضبي، أخبرني أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصنعاني[(٢)]، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد[(٣)]، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن جعفر الجزري[(٤)] عن يزيد بن الأصم[(٥)]، عن أبي هريرة في قوله عز وجل **﴿أمم أمثالكم﴾** قال: يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ[(٦)] للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً [(٧)].

وقال القتيبي [(٨)]: يريد أنهما مثلنا في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك.

وقوله[(٩)] **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** قال ابن عباس في رواية عطاء[(١٠)]: ما تركنا من شيء إلا وقد بيناه لكم وهذا من العام الذي أُريد به الخاص، لأن المعنى: ما فرطنا في الكتاب من شيء بالعباد إليه حاجة إلا وقد بيناه، إما نصاً، وإما دلالة، وإما مجملا، وإما مفصلا، كقوله **﴿ونزلنا[(١١)] عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾** أي: لكل شيء يحتاج إليه في أمر الدين. وقال في رواية الوالبي:[(١٢)] ما تركنا شيئاً إلا وقد كتبناه في أم الكتاب. وعلى هذا القول المراد بـ **﴿الكتاب﴾**: اللوح المحفوظ المشتمل على ما كان ويكون، كما روي في الخبر[(١٣)]: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة».

---

(١) أبو القاسم عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أحمد العبداني من أهل ريكنز عبدان كان إماماً فاضلاً يروي عن أبي بكر بن أبي الهيثم الترابي وأبي محمد مكي بن عبد الرزاق ـ الكشيبي وخاله القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الدهقاني. (الأنساب ٣٤٨/٨).

(٢) في جميع النسخ: محمد بن علي، وهو:
محمد بن عبد الله الصنعاني أبو عبد الله آخر من روى في الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم رحل المحدثون إليه في سنة ٣٦٧ هـ، وتوفي سنة ٣٧٠ هـ (شذرات ٧٥/٣).

(٣) الشيخ العالم المسند الصدوق أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الصنعاني الدبري راوية عبد الرزاق سمع تصانيفه منه سنة ٢١٠ هـ، وسماعه صحيح ولد سنة ١٩٥ هـ. قال الحاكم سألت الدارقطني عنه. فقال: صدوق ما رأيت فيه خلافاً توفي سنة ٢٨٥ هـ. (سير الأعلام ٤١٦/٣ ـ ٤١٧).

(٤) جعفر بن برهان مفتي الجزيرة ومحدثها الإمام أبو عبد الله الكلابي مولاهم الرقي حدث عن يزيد بن الأصم وميمون بن مهران وعطاء بن أبي رباح وابن شهاب وعنه السفيانان ومعمر وزهير بن معاوية وآخرون، عن الثوري قال: ما رأيت أفضل منه، وقال أحمد: لم يسمع من الزهري وهو لين فيه خاصة، وقال النسائي وغيره: ليس به بأس توفي سنة ١٥٤ هـ (تذكرة الحفاظ ١/ ١٧١ ـ ١٧٢).

(٥) يزيد بن الأصم ـ والأصم اسمه عبد عمرو ـ بن عدس بن معاوية يكنى أبا عوف وأمه برزة بنت الحارث أخت ميمونة الهلالية زوج النبي ﷺ سمع أبا هريرة وغيره توفي سنة ١٠٣ هـ (كتاب الجمع ٥٧٩/٢).

(٦) في (و) أنه يأخذ.

(٧) انظر الدر ١١/٣، وابن كثير ١٣١/٢، وفتح القدير ١١٥/٢، والطبري ١٢٠/٧، والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ «صحيح الإسناد» ٣١٦/٢ كلهم عن أبي هريرة.

(٨) في (حـ، و) ابن قتيبة، وانظر تفسير الطبري ١٣٢/٢ عن ابن قتيبة، وغرائب النيسابوري ١٤١/٧ عن المفسرين، والبحر ١٢٠/٤ عن ابن عطية.

(٩) في (د) قوله تعالى.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، وغريب القرآن ١٥٣.

(١١) في (د) وأنزلنا، سورة النحل /٨٩.

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والطبري ١١٩/٧، والدر ١١/٣ كلاهما عن ابن عباس.

(١٣) في غير (أ) كما روي في الحديث.

=

وقوله[1] ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ أي: مع الخلق إلى الموقف للحساب[2] والجزاء كما روينا عن أبي هريرة. وقد قال الله تعالى ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾[3].

ـ قوله[4] ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني: بما جاء [5] به محمد ﷺ ﴿صُمٌّ﴾ عن القرآن لا يسمعونه ﴿وبُكْمٌ﴾ عن القرآن لا ينطقون به ﴿في الظلمات﴾ يعني: ظلمات الشرك والكفر. ثم أخبر أنهم صاروا كذلك بمشيئة الله تعالى فقال ﴿من يشأ الله يضلله..﴾ [6] الآية.

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

ـ وقوله[7] ﴿قل أرأيتكم﴾ قال الفراء: العرب[8] تقول: أرأيتك وهم يريدون: أخبرني، كما تقول: أرأيتك إن فعلت كذا ماذا تفعل؟ أي أخبرني، وتترك التاء إذا أردت هذا المعنى موحدة[9] على كل حال، تقول: أرأيتك[10]، وأرأيتكما، وأرأيتكن[11].

وحذف الكسائي همزة الرؤية فقرأ «أرأيتكم» [12] بالتخفيف كما قالوا: ويلمه[13] وقرأ نافع بتليين الهمزة ولم يحذفها[14].

= رواه الطبراني في الكبير ـ ضمن حديث ابن عباس «.. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة» ٣٠٣/١٠ والترمذي ـ كتاب التفسير ـ سورة ن ـ رقم ٣٣٧٥ «حسن صحيح غريب» ٩٦/٥، ومجمع الزوائد ـ كتاب القدر ـ باب جف القلم بما هو كائن «رواه الطبراني ورجاله ثقات» ١٨٩/٧ ـ ١٩٠، وفي باب سبب الهداية ـ عن ابن عمرو «رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبراني ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات» ١٩٣/٧ ـ ١٩٤.

(١) في (د) وقوله تعالى ـ وفي (و) قوله.
(٢) في (و) للجزاء والحساب.
(٣) سورة التكوير /٥.
(٤) في (و) قوله تعالى.
(٥) في (حـ، و) ما جاء.
(٦) في (د) (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).
أخرج أبو الشيخ عن أبي يوسف المدني قال: كل مشيئة في القرآن إلى ابن آدم منسوخة نسختها ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾ (الدر ١١/٣).
(٧) في (حـ، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.
(٨) في (د) يقول العرب، وفي (حـ) أرأيتك كذا.
(٩) في (د) موجودة.
(١٠) ساقطة من (و).
(١١) في (أ، د)أريتكن، وانظر الفراء ٣٣٣/١، والرازي ٢٢٢/١٢،واللسان / رأى كلاهما عن الفراء، والزجاج ٢٧٠/٢، والأخفش ٤٨٩/٢.
(١٢) في (حـ، د) أرأيتكم.
(١٣) «ورجل وَيْلِمّه ووَيْلُمه: كقولهم في المستجاد ويلمه، يريدون: ويلَ أمه، كما يقولون لأب لك، يريدون: لا أب لك، فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد» (اللسان / ويل).
(١٤) قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو عمرو (أرأيتكم،أرأيتم،أرأيت) في كل القرآن بالهمز وحجتهم: أنهم لم يختلفوا فيما كان من غير استفهام، فكذلك إذا دخل حرف الاستفهام فالحرف على أصله.
وقرأ نافع (أرايتكم، أرايتم) بالألف من غير همز، وحجته: أنه كره اجتماع همزتين، وقرأ الكسائي (أرايتكم) بغير همز، وحجته: إجماع العرب على ترك الهمز في المستقبل في قولهم ترى ونرى فبني الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها، فإذا لم تكن في أولها همزة الاستفهام لم يترك الهمزة مثل رأيت. =

قال ابن عباس:[١] ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ يريد: الموت ﴿أو أتتكم الساعة﴾ القيامة ﴿أغير الله تدعون﴾ يريد: إلى من تتضرعون؟ إلى هذه الأصنام.

يريد: إنكم عند العذاب وعند الموت والشدائد تخلصون وتوحدون، وأنتم اليوم لا تصدقونني، احتج الله عليهم بما لا يدفعون، لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله ولم يلجأوا في كشفه إلا إليه، لأنه لا يملك كشف البلاء إلا هو.

وقوله[٢] ﴿إن كنتم صادقين﴾ جواب قوله ﴿أرأيتكم﴾ لأنه بمعنى أخبروني، كأنه قيل لهم: إن كنتم صادقين أخبروني من تدعون عند نزول البلاء بكم؟

ـ ﴿بل[٣] إياه تدعون﴾ نفى دعاءهم غير الله في الشدائد، وأثبت دعاءهم إياه ﴿فيكشف ما تدعون إليه﴾ أي: فيكشف الضر الذي من أجله دعوتموه[٤] ﴿إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ تتركونهم فلا تدعونهم لأنه ليس عندهم نفع ولا ضر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

ـ قوله[٥] ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم..﴾ في الآية محذوف تقديره: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلاً فخالفوهم ﴿بالبأساء﴾ يعني: الشدة والفقر ﴿والضراء﴾[٦] وهي الأمراض والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون﴾ لكي يتضرعوا[٧]، ومعنى «التضرع»: التذلل والانقياد للطاعة.

ـ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿تضرعوا[٨]﴾. قال الزجاج: أعلم الله نبيه أنه قد أرسل قبله[٩] إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا، وهو قوله ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فأقاموا على كفرهم ﴿وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ قال ابن عباس[١٠]: زين لهم الشيطان[١١] الضلالة التي هم عليها، فأصروا على معاصي الله.

= (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٠، والسبعة ٢٥٧، والنشر ١/٣٩٧ ـ ٣٩٨، والتبيان ١/٤٩٤ ـ ٤٩٥، والزجاج ٢/٢٧٠، والحجة لابن خالويه ١٣٩).

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩ بنحوه.
(٢) في (د) قوله.
(٣) في (د) بلى.
(٤) في (د) دعتموه.
(٥) في (حـ، و) قوله تعالى.
(٦) في (د) والإضراء.
(٧) في (د) يتضرعون.
(٨) ليست في (و).
(٩) في (د) أرسل إلى قوم.
وانظر الزجاج ٢/٢٧١ ـ ٢٧٢.
(١٠) انظر تفسير الخازن ٢/٣٣ عن ابن عباس، والطبري ٧/١٢٣، وفتح القدير ٢/١١٦.
(١١) من (أ).

ـ قوله ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ قال ابن عباس [١] : تركوا ما وعظوا به، وقال مقاتل [٢] : تركوا ما دعاهم إليه الرسل. ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ .

قال ابن عباس ومقاتل والسدي[٣]: رخاء الدنيا ويسرها وسرورها. وقال الزجاج[٤]: أبواب كل شيء كان مغلقاً عنهم من الخير.

وقوله[٥] ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ حتى ظنوا أن ذلك باستحقاقهم ففرحوا بذلك الرخاء والنعمة. ﴿أخذناهم بغتة﴾ فاجأهم عذابنا من حيث لا يشعرون. قال الحسن: من وُسع عليه فلم[٦] ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر[٧] عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأي له، ثم قرأ هذه الآية وقال: مكر بالقوم ورب الكعبة، أعطوا حاجاتهم ثم أخذوا.

أخبرنا أبو صادق محمد بن أحمد بن شاذف، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصغاني، حدثنا عبدالله بن صالح، حدثني حرملة بن عمران [٨] عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي للعبد ما يحب[٩] وهو مقيم على معصية فإنما ذلك منه استدراج، ثم تلا ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء. .﴾ إلى آخر الآيتين»[١٠].

وقوله[١١] ﴿فإذا هم مبلسون﴾ «الإبلاس»: البأس من النجاة عند ورود [١٢] الهلكة قال ابن عباس[١٣]: آيسون من كل خير، وقال الزجاج[١٤]: «المبلس»: الشديد الحسرة البائس الحزين.

ـ قوله ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ «دابر القوم»: آخرهم الذي يدبرهم، ودابر الرجل: عقبه، ويقال:

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والطبري ١٢٣/٧، والدر ١١/٣، وفتح القدير ١١٦/٢ ـ ١١٧ كلها عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٢٣/٧، والدر ١١/٣، وفتح القدير ١١٧/٢ كلها عن ابن جريج.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والطبري ١٢٣/٧ عن مجاهد وقتادة وابن جريج والسدي والفراء ٢٣٥/١، وابن كثير ١٣٢/٢ عن الزهري، والدر ١١/٣، وفتح القدير ١١٧/٢ كلاهما عن مجاهد وقتادة.

(٤) انظر الزجاج ٢٧٢/٢.

(٥) في (د) قوله.

(٦) في (د) برا.

(٧) في (د) قرا.

انظر تفسير الرازي ٢٢٦/١٢، وابن كثير ١٣٢/٢، والدر ١٢/٣ كلها عن الحسن.

(٨) حرملة بن عمران بن قراد التجيبي أبو حفص المصري جد حرملة صاحب الشافعي سمع ـ عبد الرحمن بن شماسة وعنه ابن وهب وجرير بن حازم وثقه أحمد ويحيى توفي سنة ١٦٠ هـ (حسن المحاضرة ٢٧٢/١، كتاب الجمع ١١٢/١، والكاشف ٢١٣/١).

(٩) في (و) ما أحب.

(١٠) الحديث: رواه أحمد في مسنده ١٤٥/٤، والطبراني في الكبير ٣٣٠/١٧ ـ ٣٣١، والطبري ١٢٤/٧ ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة الأنعام ـ «رواه أحمد والطبراني». ٢٠/٧، وفي كتاب الزهد «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف» ٢٤٥/١٠، والجامع الصغير ٢٦/١ «أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب» ورمز له بالحسن.

(١١) في (د، و) قوله.

(١٢) انظر غريب القرآن ١٥٤، ومجاز القرآن ١٩٢/١، والفراء ٣٣٥/١.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩.

(١٤) في (د) وقال: المبلسي، انظر الزجاج ٢٧٣/٢، والرازي ٢٢٦/١٢، وغريب النيسابوري ١٤٦/٧ كلاهما عن الزجاج، والزاهر ١٨٣/١.

دبر فلان القوم يدبرهم دبراً ودبوراً، إذا كان آخرهم. قال الكلبي ﴿دابر القوم﴾: دابرهم الذي يختلف في آخر القوم[١]. والمعنى: أنهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية.

قوله[٢] ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ قال الزجاج[٣]: حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم، لأن ذلك نعمة على الرسل[٤] الذين كذبوهم، فذكر الحمد ها هنا تعليم لهم ولمن آمن بهم أن يحمدوا الله على كفايته شر الذين ظلموا، وليحمد محمد وأصحابه ربهم إذا أهلك المشركين المكذبين.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾

- قوله[٥] ﴿قل أرأيتم﴾ أيها المشركون ﴿إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ أي: أذهبها أصلا حتى لا تبصروا ولا تسمعوا ﴿وختم على قلوبكم﴾ حتى لا تعرفوا شيئاً مما تعرفون من أمور الدنيا ﴿مَنْ إلَه غير الله يأتيكم به﴾ أي: بما أخذ منكم، يعني: هل يقدر أحد على رد هذه الأعضاء عليكم غير الله؟ وهذا كقوله ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ [٦].

وقوله [٧] ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ نبين لهم في القرآن العلامات التي تدل على توحيد الله ونبوة نبيه ﷺ ﴿ثم هم يصدفون﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة: ثم هم يعرضون [٨]. و«الصدوف»: الميل عن الشيء، يقال: صدف، إذا عدل ومال[٩].

- ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة﴾ قال ابن عباس والحسن: ليلاً أو نهاراً[١٠]. ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ قال الزجاج[١١]: هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم، لأنكم كفرتم وعاندتم، فقد علمتم أنكم ظالمون.

---

(١) انظر غريب القرآن ١٥٤، ومجاز القرآن ١/١٩٢، والزاهر ١/٥٧٣، والبحر ٤/١٣١، والطبري ٧/١٢٤ عن ابن زيد، والرازي ١٢/٢٢٦، واللسان / دبر.

(٢) في (حـ، و) وقوله.

(٣) انظر الزجاج ٢/٢٧٣، والخازن ٢/١٣٤ عن الزجاج.

(٤) في (د) الرسول.

(٥) ليست في (و).

(٦) سورة البقرة / ٢٠.

(٧) في (د) قوله.

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٠٩، والزجاج ٢/٢٧٣، وغريب القرآن ١٥٤، والطبري ٧/١٢٥، وابن كثير ٢/١٣٣ كلاهما عن مجاهد وقتادة، والدر ٣/١٢ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/١١٨ عن مجاهد.

(٩) انظر اللسان / صدف، والمصباح / صدف، ومفردات الراغب / صدف.

(١٠) انظر تفسير البغوي ٢/١٣٤ عن ابن عباس والحسن، والرازي ١٢/٢٢٨، وغرائب النيسابوري ٧/١٤٧، والبحر ٤/١٣٢ كلها عن الحسن، وقال ابن عباس في تفسيره ص ١٠٩ (بغتة) فجأة (أو جهرة) معاينة، وكذا في مجاز القرآن ١/١٩٣، وانظر الطبري ٧/١٢٦ عن مجاهد وفتح القدير ٢/١١٧.

(١١) انظر الزجاج ٢/٢٧٤، وفتح القدير ٢/١١٧ عن الزجاج.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

ـ وقوله[1] ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ بالثواب لمن آمن ﴿ومنذرين﴾ بالنار لمن كفر، أي: إنما قصدهم التبشير والإنذار، لا أن يأتوا بما يُقترح عليهم من الآيات. ثم ذكر ثواب من صدق فقال﴿فمن ءامن وأصلح﴾ العمل ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ وذكر عقاب المكذبين فقال:

ـ ﴿والذين كذبوا بآياتنا..﴾ الآية

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

ـ وقوله[2] ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ «الخزائن» جمع الخزانة، وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء.

قال الزجاج: أعلمهم النبي ﷺ أنه لا يملك خزائن الله التي[3] منها يرزق ويعطي ولا الغيب فيخبرهم بما غاب عنه مما مضى وما سيكون، وليس بملك يشاهد من أمور الله ما لا يشاهده البشر، وهو قوله ﴿ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحَى إليَّ﴾ أي: ما أنبأتكم من غيب[4] فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحي من الله. ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾. قال قتادة[5]: الكافر والمؤمن، وقال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك[6]: الضال والمهتدي ﴿أفلا تتفكرون﴾ أنهما لا يستويان[7].

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ

---

(١) في (حـ، د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) في (و) الذي منها يرزق ولا يعلم، وانظر الزجاج ٢/٢٧٤.

(٤) في (د) الغيب.

(٥) في (و) قوله تعالى وأنذر به الذين.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ٧/١٢٧، والدر ٣/١٢، وفتح القدير ٢/١٢٠ كلها عن قتادة.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/١٢٧، والدر ٣/١٢ كلاهما عن مجاهد، وفتح القدير ٢/١١٩.

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

ـ قوله[1] ﴿**وأنذر به**﴾ قال ابن عباس[2]: خوف بالقرآن ﴿**الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم**﴾ يريد: المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من الأهوال علماً بأنه سيكون ﴿**ليس لهم من دونه**﴾ أي: غير الله ﴿**وليٌّ ولا شفيع**﴾ لأن شفاعة الرسل والملائكة للمؤمنين إنما تكون بإذن الله تعالى ﴿**لعلهم يتقون**﴾ كي يخافوا فينتهوا عما نهيتهم.

ـ قوله ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم...**﴾ [3] الآية.

أخبرنا[4] سعيد بن محمد المقرىء، [أخبرنا أبو الحسين(أحمد) محمد بن أحمد بن جعفر، أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد الحيري] [5] حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا أحمد بن المفضل، حدثنا أسباط عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي [6]، عن أبي الكنود [7]، عن خباب بن الأرت [8] قال:

جاء الأقرع بن حابس التميمي[9] وعيينة بن حصن الفزاري [10] فوجدا[11] النبي ﷺ قاعداً مع بلال[12] وعمار وصهيب وخباب في ناس من فقراء المؤمنين، فلما رأوهم حوله[13] حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب[14] فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن

---

(١) في (و) قوله تعالى وأنذر به الذين.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والزجاج ٢/٢٧٥، وغرائب النيسابوري ٧/١٥١ عن ابن عباس والزجاج.

(٣) في (أ) بالغداة والعشي.

(٤) في (د) أخبرني.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٦) أبو سعد الأرحبي الكوفي قارىء الأزد ويقال أبو سعيد روى عن زيد بن أرقم وأبي الكنود وعنه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي وغيره ذكره ابن حبان في الثقات (تهذيب التهذيب ١٢/١٠٦).

(٧) أبو الكنود الأزدي الكوفي قيل اسمه عبد الله بن عامر وقيل عبد الله بن عمران وقيل غير ذلك روى عن علي وخباب وابن مسعود وابن عمر وعنه أبو سعد الأزدي ذكره ابن حبان في الثقات روي له ابن ماجة حديثه عن خباب في سبب نزول قوله تعالى (ولا تطرد..) (تهذيب التهذيب ١٢/٢١٣).

(٨) خباب بن الأرت يكنى أبا يحيى وقيل أبو عبد الله مولى عتبة بن غزوان وقيل مولى ثابت بن الأرت ابن أم أنمار الخزاعية شهد بدراً مع النبي ﷺ توفي سنة ٣٧ هـ (كتاب الجمع ١/١٢٤).

(٩) الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان المجاشعي الدارمي التميمي صحابي من سادات العرب في الجاهلية أسلم مع وفد تميم وشهد حنيناً وفتح مكة والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم توفي سنة ٣١ هـ (الأعلام ١/٣٤٣).

(١٠) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويه بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان الفزاري أبو مالك أسلم قبل الفتح - وقيل بعده - وشهد حنيناً والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم ومن الأعراب الجفاة ارتد سنة ١١ هـ فأسره خالد بن الوليد وحمله إلى أبي بكر فأعلن إسلامه فأطلقه (أسد الغابة ٤/٣٣١).

(١١) في غير (د) فوجدوا.

(١٢) بلال بن رباح التيمي مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو مؤذن النبي ﷺ يكنى أبا عبد الله ويقال أبو عبد الكريم ويقال أبو عمرو سمع النبي ﷺ توفي سنة ٢٠ وهو ابن بضع وستين سنة (كتاب الجمع ١/٦٠).

(١٣) في (د) فلما رأوهم حقروهم.

(١٤) ساقطة من (د).

جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية وما بعدها.

ومعنى قوله ﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾: يعبدون الله تعالى بالصلوات المكتوبة في قول عامة المفسرين[١]. وقال قتادة: يعني: صلاة الصبح وصلاة العصر[٢].

وقوله[٣] ﴿يريدون وجهه﴾ قال ابن عباس: يطلبون ثواب الله، ويعملون ابتغاء مرضاة الله[٤]. والمعنى: يريدون الله بطاعتهم، ويذكر لفظ «الوجه» للتعظيم، كما تقول: هذا وجه الرأي. قال الزجاج: أي لا يقصدون بعبادتهم إلا إياه[٥].

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل[٦]، حدثنا أبو علي بن أحمد الفقيه أخبرنا[٧] أبو يعلي محمد بن زهير الأيلي[٨]، حدثنا عمر بن يحيى بن نافع[٩]، حدثنا الحرث بن غسان[١٠]، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أنس بن مالك:

عن النبي ﷺ قال: «تعرض أعمال بني آدم في صحف مختمة، فيقول الله تعالى إقبلوا هذا ودعوا هذا، فتقول الملائكة: ما علمنا إلا خيراً، فيقول الله: هذا ما أريد به وجهي [وهذا ما لم يرد به وجهي][١١] ولا أقبل إلا ما أريد به وجهي»[١٢].

= الحديث: رواه ابن ماجة ـ كتاب الزهد ـ باب مجالسة الفقراء ـ رقم ٤١٢٧ ٢/١٣٨٢ ـ ١٣٨٣ ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ من سورة الأنعام ـ «رواه أحمد والطبراني ورجال الصحيح غير كردوس وهو ثقة» ٧/٢٠ ـ ٢١.
والطبراني في الكبير ٤/٧٦ ـ ٧٧، والحلية لأبي نعيم ١/١٤٦ ـ ١٤٧، ١/٣٤٤ ـ ٣٤٥ والدلائل للبيهقي ١/٣٥٢ ـ ٣٥٣، وأسباب النزول للسيوطي ١١٨ ـ ١١٩، وابن كثير ٢/١٣٤ ـ ١٣٥ قال ابن كثير: «وهذا حديث غريب فإن هذه الآية مكية والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر». وأي غرابة في هذا فقد وقع ذلك قبل إسلامهما، أكان يقع ذلك منهما بعد إسلامهما أم ظن ابن كثير أن الحادثة وقعت عليهما لا منهما؟

(١) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والدر ٣/١٤، وفتح القدير ٢/١٢١ كلاهما عن ابن عباس، والطبري ٧/١٢٩ ـ ١٣٠ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وإبراهيم والحسن، وابن كثير ٢/١٣٤ عن مجاهد وقتادة وابن المسيب والحسن.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧/١٢٩، والدر ٣/١٤، وفتح القدير ٢/١٢١ كلها عن مجاهد.

(٣) من (حـ، و) وفي (د) قوله.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢/١٣٦ ـ ١٣٧، والبحر ٤/١٣٦ كلاهما عن ابن عباس.

(٥) انظر الزجاج ٢/٢٧٦ بنحوه.

(٦) في (د، و) أخبرنا عبد الرحمن.

(٧) في (د) حدثنا.

(٨) محمد بن زهير الأبلي حدث عنه زاهر بن أحمد السرخسي وغيره، قال الدارقطني: أخطأ في أحاديث ما به بأس، وقال ابن غلام الزهري: اختلط قبل موته بسنين توفي سنة ٣١٨ هـ (الميزان ٣/٥٥١).

(٩) لم أقف عليه، ولعله محمد بن عمرو بن نافع.

(١٠) الحرث بن غسان البصري حدث عن أبي عمران الجوني عن أنس مرفوعاً «يجاء يوم القيامة بصحف مختمة... الحديث» وله عن ابن جريج قال العقيلي: حدثنا بمناكير (الميزان ١/٤٤١، والمغني في الضعفاء ١/١٤٣).

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٢) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب البعث ـ باب ما جاء في الحساب.
«رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح» ١٠/٣٥٠.
وانظر الضعفاء الكبير ١/٢١٨ ـ ٢١٩ في ترجمة الحارث بن غسان المري، ذكر الحديث بنحوه ثم قال العقيلي: وقد حدث هذا الشيخ=

قوله[١] ﴿ما عليك من حسابهم من شيء﴾ أي: من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم[٢] ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ أي: ليس رزقك عليهم ولا رزقهم عليك، وإنما يرزقك وإياهم الله، فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم ﴿فتكون من الظالمين﴾ .

قال الأنباري: عظم الأمر في هذا على النبي ﷺ وخوف بالدخول في جملة الظالمين، لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء وأولي الأموال على الضعفاء وذوي المسكنة، فأعلمه الله أن ذلك غير جائز.

ـ قوله[٣] ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ أي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير، ابتلينا أيضاً هؤلاء بعضهم ببعض، كما قال ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ [٤].

قال الكلبي[٥]: ابتلى هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي، فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله أنف أن يسلم ويقول: سبقني هذا بالإسلام فلا يسلم، وهو قوله ﴿ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾ يريدون الفقراء والضعفاء.

والاستفهام ها هنا معناه الإنكار[٦]، كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة أو خصوا بمنة، فقال الله تعالى ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ أي: بالذين يشكرون نعمته إذا من عليهم بالهداية. أي إنما يهدي الله إلى دينه من يعلم أنه يشكر نعمته.

والاستفهام في قوله ﴿أليس الله﴾ معناه التقرير، أي: أنه كذلك.

ـ قوله[٧] ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا . .﴾ الآية.

قال الحسن وعكرمة[٨]: نزلت في الذين سأل المشركون طردهم، فكان النبي ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام ويقول: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مَن أمرني أن أبدأهم بالسلام» وهو قوله ﴿فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ .

قال ابن عباس: قضى لكم[٩] ربكم على نفسه الرحمة.

= بمناكير، والحديث بغير هذا اللفظ في معنى الرياء. وكذا ذكره الذهبي في ترجمة الحارث نقلاً عن العقيلي (الميزان ١/٤٤١) كلهم من حديث أنس.

(١) في (و) وقوله.

(٢) في غير س(أ) فتطردهم.

(٣) في (و) قوله تعالى.

(٤) سورة الفرقان / ٢٠.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ٧/١٣٢ عن ابن عباس، والخازن ٢/١٣٨.

(٦) انظر فتح القدير ٢/١١٩ ـ ١٢٠ عن النحاس.

(٧) في (حـ) قوله عز وجل، وفي (و) قوله تعالى.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/١٣٢ ـ ١٣٣ وابن كثير ٢/١٣٥، وأسباب النزول للواحدي ١٦٣ وغرائب النيسابوري ٧/١٥٤ كلها عن عكرمة، والرازي ١٣/٢، وفي الدلائل للبيهقي ١/٣٥١ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم».

(٩) في غير (أ) قضى ربكم لكم.

وقال الزجاج: معنى «كتب»: أوجب ذلك إيجاباً مؤكداً[١].

قوله[٢] ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ يعني: أنه بجهله آثر العاجل القليل على الآجل الكثير، كقوله ﴿للذين يعملون السوءبجهالة﴾ [٣].

وقوله[٤] ﴿ثم تاب من بعده﴾ أي: رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فأنه غفور رحيم﴾

واختلفوا في قوله ﴿أنه﴾ و« ﴿فأنه﴾ [٥]، فمن فتحهما، جعل الأولى تفسيراً للرحمة كأنه قيل: كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم، ثم جعل الثانية بدلاً من الأولى كقوله ﴿أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون﴾ [٦].

ومن كسرها[٧]، كسر الأولى على الحكاية، كأنه لما قال ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ قال إنه من عمل منكمسوءاً بجهالة،وكسر الثانية لأنها دخلت على ابتداء[٨] وخبر وهي مستأنفة.

وأما نافع، فإنه أبدل الأولى من «الرحمة» ففتحها، واستأنـف ما بعد الفاء [٩].

ـ قوله[١٠] ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ يقول: وكما فصلنا ذلك في هذه السورة دلائلنا[١١] وأعلامـنا على المشركين، كذلك نميز ونبين لك حجتنا في كل حق ينكره أهل الباطل. ومعنى «التفصيل»: التمييز للبيان.

قوله[١٢] ﴿ولتستبين﴾ عطف على المعنى، كأنه قيل: ليظهر الحق وليستبين. و«السبيل»: يذكر ويؤنث، فلذلك قرىء ﴿ولتستبين﴾ بالتاء والياء، هذا فيمن رفع السبيل، ومن نصب السبيل، كانت التاء للخطاب، أي ﴿ولتستبين﴾ يا محمد[١٣] ﴿سبيل المجرمين﴾ يقال: استبان الشيء واستبنته.

---

(١) انظر الزجاج ٢/٢٧٩، وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١١٠.

(٢) في (حـ، و) وقوله.

(٣) سورة النساء / ١٧.

(٤) في (د) قوله.

(٥) ساقطة من (د) وفي (و) ومن، وفي (حـ، د) فمن فتحها.

(٦) سورة المؤمنون / ٣٥.

(٧) في (حـ) ومن كسرها.

(٨) في (حـ، د) الابتداء والخبر.

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي (إنه، فإنه) ـ بالكسر فيهما ـ على الحكاية.. وقرأ عاصم وابن عامر (أنه ـ فأنه) بالفتح فيهما. وقرأ نافع (أنه، فإنه) بالفتح في الأولى والكسر في الثانيـة.
(انـظر الحجـة لأبي زرعـة ٢٥٢ ـ ٢٥٣، والسبعـة ٢٥٨، والنشـر ٢/٢٥٨، والـزجـاج ٢/٢٧٨، والتبيـان ١/٥٠٠، والمشكـل ١/٢٥٣ ـ٢٥٤، والفراء ١/٣٣٦ ـ ٣٣٧ والأخفش ٢/٤٩٠، والحجة لابن خالويه ١٣٩ ـ ١٤٠).

(١٠) في (و) قوله تعالى.

(١١) في (أ) ودلائلنا.

(١٢) في (حـ) وقوله.

(١٣) قرأ ابن كثيروأبو عمرو وابن عامر (ولتستبين) بالتاء (سبيلُ) رفعاً، وكذلك قرأ حفص وعاصم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (وليستبين) بالياء (سبيلُ) رفعاً، والسبيل يذكر ويؤنث، وقرأ نافع (ولتستبين) بالتاء (سبيلَ) نصباً، أي ولتستبين أنت يا محمد، والمراد الأمة.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٣، والسبعة ٢٥٨، والنشر ٢/٢٥٨، والزجاج ٢/٢٧٩ ـ ٢٨٠ والتبيان ١/٥٠١، والفراء ١/٣٣٧، والزاهر ٢/٢٠٩، والأخفش ٢/٤٩٠، والحجة لابن خالويه ١٤١).

قال ابن عباس[١]: ﴿ولتستبين﴾ يا محمد ﴿سبيل المجرمين﴾ فيما جعلوا لله من الشركاء، وما بينت[٢] من سبيلهم يوم القيامة ومصيرهم إلى الخزي.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

ـ قوله ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأصنام نهيت عن عبادتها ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾. قال ابن عباس[٣]: يريد: دينكم.

قال الزجاج[٤]: أي إنما عبدتموها على طريق الهوى، لا على طريق البينة والبرهان، فأنا لا أتبعكم على ذلك.

﴿قد ضللت إذاً[٥]﴾ إن عبدتها ﴿وما أنا من المهتدين﴾ الذين سلكوا سبيل الهدى.

ـ قوله[٦] ﴿قل إني على بينة من ربي﴾ «البينة»: الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل.

قال ابن عباس[٧]: يريد: على يقين من ربي، وقال الزجاج: أنا على أمر بين لا متبع لهوى[٨].

﴿وكذبتم به﴾ أي: بالبيان الذي أتيتكم به وهو القرآن، والبينة والبيان بمعنى واحد. ﴿ما عندي ما تستعجلون

(١) انظر الزجاج ٢/٢٧٩، والفراء ١/٣٣٧، والطبري ٧/١٣٤، وابن كثير ٢/١٣٦.

(٢) في (د) يكتب، وفي (و) تبينت.

(٣) انظر فتح القدير ٢/١٢٢.

(٤) انظر الزجاج ٢/٢٨٠.

(٥) «معنى (إذاً) معنى الشرط، المعنى: «قد ضللت إن عبدتها» (الزجاج ٢/٢٨٠).

(٦) في (د) قوله تعالى.

(٧) عند ابن عباس في تفسيره ص ١١٠ «على بيان من ربي».

(٨) انظر الزجاج ٢/٢٨١.

به﴾، قال ابن عباس والحسن[١]: يعني العذاب، كانوا يقولون: يا محمد ائتنا بالذي تعدنا، كقوله ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾[٢].

﴿إن الحكم إلا لله﴾ ما الحكم الذي يفصل به بين المختلفين بإيجاب الثواب والعقاب إلا الله ﴿يقص الحق﴾ أي: يقول الحق، ومعناه: إن جميع ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق وقرىء «يقضي الحق»[٣] ومعناه: يقضي القضاء الحق.

﴿وهو خير الفاصلين﴾ خير من يفصل بين الحق والباطل.

ـ قوله ﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به[٤]﴾.

[قال ابن عباس: يقول لمحمد ﷺ: قل[٥] لو أن عندي ما تستعجلونه به][٦] من العذاب لم أمهلكم ساعة، وهو قوله ﴿لقضي الأمر بيني وبينكم﴾ [أي: لو كان الأمر بيدي لأنبأتكم بما[٧] تستعجلون به من العذاب ولفصل الأمر بيني وبينكم][٨] ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ يعني: أنتم ظلمتم إذ كذبتموني[٩] بعد علمكم بصدقي وأمانتي، والله أعلم بكم إن شاء عاجلكم بالعقوبة، وإن شاء أخرها.

ـ قوله[١٠]﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ قال ابن عباس والضحاك ومقاتل والحسن والسدي: مفاتح الغيب: خزائن الغيب[١١].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، أخبرنا محمد بن عثمان بن أبي سويد[١٢]،

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ٧/١٣٥، وأسباب النزول للواحدي ١٦٤، وغرائب النيسابوري ٧/١٥٦ عن الكلبي.

(٢) سورة الحج /٤٧، والعنكبوت /٥٣، ٥٤.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وعاصم (يقص) بضم القاف والصاد المهملة والمعنى: ان جميع ما أنبأ الله به أو أمر به فهو من أقاصيص الحق، واحتج ابن عباس لهذه القراءة بقوله (نحن نقص عليك) ـ سورة يوسف/٣ ـ وقال (إن هذا القرآن يقص) ـ سورة النمل /٧٦ ـ وأخرى قال مجاهد: لو كان (يقضي) لكانت يقضي بالحق بإثبات الباء، والباء مع القضاء، والعرب تقول: قضيت بالحق، قال تعالى ﴿والله يقضي بالحق﴾ ـ سورة غافر/ ٢٠ ـ وقرأ الباقون (يقضي) بالضاد المعجمة وسكون القاف من قضى يقضي إذا حكم وفصل.
وحجتهم: قوله (وهو خير الفاصلين) والفصل يكون في القضاء لا في القصص، وكان أبو عمرو يعتبر بهذه وقال: إنما الفصل في القضاء لا في القصص.
وكان الكسائي يعتبرها بقراءة ابن مسعود، قال: وفي قراءته (يقضي بالحق).
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٤، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٨، والتبيان ١/٥٠١ والزجاج ٢/٢٨١ ـ ٢٨٢ والفراء ١/٣٣٧ ـ ٣٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤٠ ـ ١٤١).

(٤) في (حـ) لقضي الأمر بيني وبينكم.

(٥) ساقطة من (حـ).
انظر تفسير ابن عباس ١١٠، والطبري ٧/١٣٦.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٧) في (حـ، و) ما.

(٨) ما بين المعقوفتين عليه خط في (أ).

(٩) في (د) وكذبتموني.

(١٠) في (حـ، و) قوله تعالى.

(١١) في (د) خزائن الله.
وانظر تفسير ابن عباس ١١١، والطبري ٧/١٣٦، والدر ٣/١٥، وفتح القدير ٢/١٢٣ وأحكام القرآن ٢/٧٣٨ كلها عن السدي والبغوي ٢/١٤٠ عن الضحاك ومقاتل، والبحر ٤/١٤٤ ـ ١٤٥ عن السدي وابن عباس.

(١٢) محمد بن عثمان بن أبي سويد الذراع بصري معمر روى عن عثمان بن أبي الهيثم ومسلمة بن إبراهيم وعنه ابن عدي وضعفه وقال: أصيب بكتبه فكان يشتبه عليه وأرجو ألا يتعمد الكذب توفي قبل ثلاثمائة عن بضع وتسعين سنة. (الميزان ٣/٦٤١ ـ ٦٤٢، وسير الأعلام ١٤/٤٩).

حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «مـفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله [لا يعلم متى تقوم [١] الساعة إلا الله، ولا يعلم ما تغيض [٢] الأرحام إلا الله] [٣] ولا يعلم ما في غـد إلا الله، ولا تعلم نفس[٤] بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله». رواه البخاري عن[٥] محمد، عن سفيان[٦].

وقوله[٧] ﴿ويعلم ما في البر والبحر﴾ قال مجاهد[٨]: البر: القفار، والبحر: كل قرية فيها[٩] ماء، لا يحدث فيهما شيء إلا بعـلم[٩] الله ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾.

قال الزجاج[١٠]: المعنى: أنه يعلمها ساقطة وثابتة. كما تقول: ما يجيئك أحد إلا وأنا أعرفه، ليس تأويله إلا وأنا أعرفه في حال مجيئه فقط.

وقوله ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ يعني: في الثرى [١١] تحت الأرض ﴿ولا رطب ولا يابس﴾.

قال ابن عباس[١٢]: يريد ما ينبت وما لا ينبت ﴿إلا في كتاب مبين﴾.

قال الزجاج[١٣]: يجوز أن يكون الله أثبت ذلك في كتاب[١٤] من قبل أن يخلق الخلق، كما قال ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾[١٥] فأعلم الله أنه أثبت ما خلق[١٦] من خلقه.

---

(١) في (أ) تقع.

(٢) في (و) ما في الأرحام.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٤) في (حـ) ولا تعلم ماذا تكسب غداً وما تدري.

(٥) محمد بن يوسف بن واقد أبو عبد الله الفريابي سمع الأوزاعي والثوري وإسرائيل وغيرهم، وعنه البخاري ومسلم ولد سنة ١٢٦ هـ. قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف وكان من أفضل أهل زمانه، وقال النسائي: ثقة توفي سنة ٢١٢ هـ (كتاب الجمع ٢/٤٥٢ ـ ٤٥٣، وتهذيب التهذيب ٩/٥٣٥ ـ ٥٣٧).

(٦) الحديث: رواه البخاري بروايات.

كتاب الاستسقاء ـ باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، عن ابن عمر ١/١٨٣ ـ ١٨٤.

وفي كتاب التفسير ـ (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) عن ابن عمر ٣/١٢٨.

وفي كتاب التوحيد ـ باب قول الله تعالى ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ عن ابن عمر ٤/٢٧٤، والرواية الأخيرة أقرب إلى ما ذكره المصنف مع التقديم والتأخير.

(٧) في (د، و) قوله.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/١٤١، والبحر ٤/١٤٥ كلاهما عن مجاهد.

(٩) في (د) كل قربة ماء... يعلمه الله.

(١٠) انظر الزجاج ٢/٢٨٢.

(١١) في (د) البر.

(١٢) انظر الدر ٣/١٥، وفتح القدير ٢/١٢٤ كلاهما عن ابن عباس، والبغوي ٢/١٤١ عن عطاء، والبحر ٤/١٤٦.

(١٣) انظر الزجاج ٢/٢٨٢، والرازي ١٣/١١ عن الزجاج.

(١٤) في (د) كتاب مبين.

(١٥) في (د) من قبل نبرأها، سورة الحديد/٢٢.

(١٦) في (حـ،و) من قبل خلقه.

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن حمدان العدل، أخبرنا القاسم بن غانم بن حمويه الطويل، [حدثني حمويه بن الحسين الطويل][١] حدثني أحمد بن الخليل البغدادي[٢]، حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن إسحاق عن نافع، عن ابن عمر:

أن النبي ﷺ قال: «ما من زرع على الأرض ، ولا ثمار على أشجار ، إلا عليها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان ابن فلان، وذلك قول الله عز وجل في محكم كتابه ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾[٣].

ـ قوله [٤] ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل**﴾ قال ابن عباس [٥]: يقبض أرواحكم في منامكم ﴿**ويعلم ما جرحتم**﴾ ما كسبتم من العمل ﴿**بالنهار ثم يبعثكم فيه**﴾ يرد [٦] إليكم أرواحكم. قال قتادة [٧]: البعث ها هنا: اليقظة.

﴿**ليقضى أجل مسمى**﴾ أي: أعماركم المكتوبة، قال السدي [٨]: يعني أجل الحياة إلى الموت ﴿**ثم إليه مرجعكم**﴾ بعد الموت ﴿**ثم ينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ يخبركم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

ـ ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ ـ تقدم تفسيره[٩] ﴿**ويرسل عليكم حفظة**﴾ قال ابن عباس[١٠] من الملائكة يحصون أعمالكم ،كقوله ﴿وإن عليكم لحافظين﴾[١١] وقال قتادة [١٢] يحفظون يا ابن آدم رزقك وعملك وأجلك، فإذا وفيت ذلك قبضت إلى ربك.

﴿**حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**﴾ يعني: أعوان ملك الموت ﴿**وهم لا يفرطون**﴾ لا يضيعون ولا يغفلون ولا يتوانون.

ـ ﴿**ثم رُدوا إلى الله**﴾[١٣] يعني: العباد يردون بالموت إلى الله ﴿**مولاهم الحق**﴾ الذي يتولى أمورهم ﴿**ألا له**

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ)، وهو: حمويه بن الحسين عن أحمد بن الخليل معاصر لابن صاعد لا يوثق به وخبره باطل، قال: حدثنا يزيد بن هارون عن ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً «ما من زرع.. الحديث» حدث بحديث كذب لا يعرف .
(الميزان١/ ٦٠٩، والمغني في الضعفاء١/١٩٣).

(٢) أحمد بن الخليل أبو علي التاجر البغدادي روى عن يزيد بن هارون وحجاج بن محمد وروح بن عبادة وغيرهم. قال النسائي والحاكم وأبو يحيى الخفاف: ثقة زاد الحاكم مأمون توفي سنة ٣٤٨ هـ (تهذيب التهذيب ١/ ٢٧ ـ ٢٨).

(٣) الحديث: انظر الدر ٣/ ١٥ «أخرجه الخطيب في تاريخه بسند ضعيف عن ابن عمر» وفتح القدير ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤، والعلل المتناهية ١/ ١٥٣. قال المصنف: هذا حديث غريب، واللآلىء المصنوعة ٢/ ٢٦٤، والفوائد المجموعة ٣١٧.

(٤) في (و) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١١، وفتح القدير ٢/ ١٢٤.

(٦) في (حـ) برده، وفي (د) أي برده.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٣٨، والدر ٣/ ١٦ كلاهما عن قتادة.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٣٨، وفتح القدير ٢/ ٩٨ كلاهما عن السدي.

(٩) راجع تفسير الآية ١٨ من هذه السورة.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١١١.

(١١) سورة الانفطار/ ١٠.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٣٩، والدر ٣/ ١٦ وكلاهما عن قتادة.

(١٣) في (حـ، د) قوله.

﴿الحكم﴾ أي: القضاء فيهم[١] ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ إذا حاسب فحسابه سريع، كقوله ﴿والله سريع الحساب﴾[٢]. وقد مضى.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۝٦٥﴾

ـ قوله ﴿قل من ينجيكم﴾[٣] وقرىء بالتخفيف، وهما لغتان، يقال: نجاه وأنجاه، قال الله تعالى ﴿فأنجاه الله من النار﴾[٤] وقال ﴿ونجينا الذين ءامنوا﴾[٥] وقوله[٦] ﴿من ظلمات البر والبحر﴾ قال ابن عباس: من أهوالهما وكرباتهما، قال[٧]: وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلها الطريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين[٨]، فأنجاهم.

قال الزجاج ﴿ظلمات البر والبحر﴾[٩]: شدائدهما، والعرب تعبر عن الشدة بالظلمة يقولون لليوم[١٠] الشديد يوم مظلم.

وقوله ﴿تدعونه تضرعاً﴾ أي: تظهرون إليه الضراعة في الدعاء، وهو شدة الفقر إلى الشيء والحاجة إليه ﴿وخفيةً﴾ سراً بالنية، أي: تضمرون فقركم وحاجتكم إليه كما تظهرون.

وقرىء ﴿وخفية﴾[١١] ـ بكسر الخاء ـ وهما لغتان.

---

(١) في (حـ. و) بينهم.

(٢) سورة البقرة/٢٠٢، والنور/٣٩، وراجع تفسير الآية الأولى.

(٣) في (حـ) قل ينجيكم.

(٤) سورة العنكبوت/٢٤.

(٥) في (د) ونجيناه، وفي غير (أ) الذين آمنوا معه، سورة فصلت/١٨.
قرأ عاصم وحمزة والكسائي (ينجيكم) بالتشديد من نجى ينجي، وحجتهم: قوله (قل من ينجيكم) وإجماعهم على التشديد فيها فكان إلحاق نظير لفظه به أولى من المخالفة بين اللفظين. وقرأ الباقون بالتخفيف وحجتهم: قوله (لئن أنجيتنا من هذه) ولم يقل نجيتنا(الحجة لأبي زرعة ٢٥٥، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان ١/٥٠٤، والزجاج ٢/٢٨٣، والحجة لابن خالويه ١٤١)

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (د) وكرباتهما قريش.

(٨) في (د) مخلصين له فأنجاهم الله. انظر تفسير ابن عباس ١١١، والدر ٣/١٦، والطبري ٧/١٤١ كلاهما عن قتادة.

(٩) لست في (د).

(١٠) في (د) اليوم وانظر الزجاج ٢/٢٨٤.

(١١) في جميع النسخ خيفة بدون واو.
قرأ عاصم ـ في رواية أبي بكر ـ (وخيفة) ـ بكسر الخاء ـ وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٥، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان ١/٥٠٤، والزجاج ٢/٢٨٤ والفراء ١/٣٣٨ والحجة لابن خالويه١٤١).
«والخُفية ـ بالضم ـ الإخفاء ـ والخِيفة بالكسر ـ من الخوف والرهبة» (الأخفش ٢/٤٩٠)

﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾[١] الظلمات والشدائد ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ من المؤمنين الطائعين لله.

وقرأ أهل الكوفة (لئن أنجانا) حملوه على الغيبة، لقوله قبله ﴿تدعونه﴾[٢].

ـ قوله[٣] ﴿قل الله ينجيكم منها﴾ أي: من تلك الشدائد التي دعوتموه لينجيكم منها ﴿ومن كل كربٍ﴾ وهو الغم الذي يأخذ بالنفس، يقال: كربه الغم، وإنه لمكروب[٤].

قال الزجاج[٥]: أعلمهم[٦] الله أن الذي دعوه وأقروا به هو ينجيهم، ثم هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها[٧] لا تنفع ولا تضر.

ثم أعلمهم أنه قادر على تعذيبهم فقال:

ـ ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾[٨] قال ابن عباس: يريد من السماء كما حصب قوم لوط[٩] وكما رمى أصحاب الفيل ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ يريد: كما خسف بقارون[١٠].

وهو قول السدي وابن جريج ومقاتل، قالوا: ﴿عذاباً من فوقكم﴾ الصيحة والحجارة والريح والغرق بالطوفان ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ الرجفة والخسف[١١].

وقوله[١٢] ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾.

---

(١) في (د) قوله.

(٢) قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي (لئن أنجانا) بالألف ـ وحجتهم أنها في مصاحفهم بغير تاء. وقرأ الباقون (لئن أنجيتنا) بالتاء على الخطاب لله، وحجتهم: قوله(لئن أنجيتنا من هذه) ـ سورة يونس/٢٢ ـ وهو مجمع عليه فردوا عليه ما اختلفوا فيه، قرأ بهذا الحجازيان ابن كثير ونافع وأهل الشام وابن عامر وأبو عمرو. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٥، والسبعة ٢٥٩، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان ١/٥٠٥، والفراء ١/٣٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤١ ـ ١٤٢، والمصاحف لابن أبي داود ٣٩، ٤٨).

(٣) ليست في (و) وفي (أ) قوله ينجيكم منها.

(٤) ذكره ابن منظور في اللسان/ كرب.

(٥) انظر الزجاج ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٦) في (أ) أعلم.

(٧) في (أ) أنه لا تنفع.

(٨) في (و) أو من تحت أرجلكم.

(٩) لوط ابن أخي إبراهيم الخليل أبو هارون بن آزر وهو تارح آمن لوط بعمه إبراهيم وهاجر معه إلى مصر وعاد إلى الشام وأرسله الله إلى أهل سدوم أهل كفر وفاحشة فدعاهم ونهاهم فلم يلتفتوا، كانوا يأتون الرجال ويقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر فأهلكهم الله (تتمة المختصر ١/٢٦ ـ ٢٧).

(١٠) قارون ابن عم موسى رزقه الله مالاً عظيماً قيل إن مفتاح خزائنه كانت حمل أربعين بغلاً وبنى داراً صفحها بالذهب فتكبر بماله على موسى وبغى في الأرض واتهم موسى بالسرقة والفجور فدعا عليهم الأرض بأن تأخذهم فابتلعتهم ثم خسف بقارون وبداره وقومه. (تتمة المختصر ١/٢٢).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١١، والزجاج ٢/٢٨٥، وغريب القرآن ١٥٤، وغرائب القرآن ٧/١٦٤ والطبري ٧/١٤١ عن السدي ومجاهد، وابن كثير ٢/١٤٣ عن السدي ومجاهد وأبي مالك وابن زيد وسعيد بن جبير والدر ٣/١٦ عن ابن عباس ومجاهد، والرازي ١٣/٢٢.

(١٢) في (د) قوله.

قال الزجاج[١]: بمعنى «يلبسكم» يخلط أمركم خلط اضطراب، لا خلط اتفاق. و (الشيع): جمع شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، والجمع شيع وأشياع[٢].

قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي[٣]: يبث فيكم الأهواء المختلفة فتصيرون فرقاً يقاتل بعضكم بعضاً ويخالف بعضكم بعضاً، وهو معنى قوله ﴿ويذيق بعضكم بأس بعضٍ﴾ أي: بالخلاف والقتال.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا أحمد بن حازم الغفاري أخبرنا يعلى بن عبيد[٤]، حدثنا عثمان بن حكيم، عن عامر بن سعد، عن أبيه قال:

أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى مررنا على مسجد بني معاوية، فدخل فصلى[٥] ركعتين وصلينا، فناجى ربه طويلاً، ثم قال: «سألت ربي ثلاثاً، سألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

رواه مسلم عن ابن نصير، عن أبيه، عن عثمان بن حكيم[٦].

وقال أبي بن كعب[٧] في هذه الآية: هي[٨] أربع خلال كلهن عذاب فجاء منهن[٩] اثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، لبسوا شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض.

وقوله[١٠] ﴿انظر كيف نصرف﴾ أي: نبين لهم ﴿الآيات﴾ في القرآن ﴿لعلهم يفقهون﴾ يعلمون.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ

---

(١) انظر الزجاج ٢/٢٨٥، والخازن ٢/١٤٣ عن الزجاج، وانظر مجاز القرآن ١/١٩٤، والأخفش ٢/٤٩٢.

(٢) ذكره ابن منظور في اللسان/ شيع.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧/١٤٢ ـ ١٤٣ عن ابن عباس ومجاهد والسدي، وابن زيد وابن كثير ٢/١٤٣، والدر ٣/١٦ ـ ١٧ كلاهما عن ابن عباس ومجاهد، وفتح القدير ٢/١٢٦ عن ابن عباس، والزجاج ٢/٢٨٥.

(٤) يعلى بن عبيد بن أبي أمية الإيادي أبو يوسف الطنافسي الحنفي مولاهم الكوفي سمع الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وعبد العزيز وسفيان العصفري وطائفة قال أحمد: صحيح الحديث وكان صالحاً في نفسه ووثقه ابن معين توفي سنة ٢٠٩ هـ (كتاب الجمع ٢/٥٨٧، وتهذيب التهذيب ١١/٤٠٢ ـ ٤٠٣)

(٥) في (أ) وصلى.

(٦) الحديث رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الفتن ـ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض عن عامر بن سعد عن أبيه باختلاف يسير.

(٧) في (د) أبيّ بن أبي كعب، انظر تفسير الطبري ٧/١٤٣ عن أبي العالية ٧٥/١٤٦ ـ ١٤٧ عن أبيّ، والبحر ٤/١٥١ عن أبي وأبي العالية، والدر ٣/١٧، وابن كثير ٢/١٤٢، وفتح القدير ٢/١٢٧ كلها عن أبيّ، ومجمع الزوائد ـ كتاب التفسير ـ باب من سورة الأنعام «رواه أحمد ورجاله ثقات» عن أبي ٧/٢١.

(٨) في (حـ) هن أربع.

(٩) ساقطة من (حـ).

(١٠) في (د) قوله، وفي (حـ).. نصرف الآيات.

مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

- قوله ﴿**وكذب به قومك**﴾ يعني: بالقرآن ﴿**وهو الحق قل لست عليكم بوكيل**﴾. قال الحسن[1]: لست عليكم بحافظ حتى أجازيكم على تكذيبكم وأعمالكم، إنما أنا منذر والله المجازي بأعمالكم.

والمعنى: لم أوكل بحفظكم ومنعكم من الكفر، وهذا مما نسخته آية القتال.

- ﴿**لكل نبإٍ مستقر**﴾ لكل خبر يخبره الله تعالى وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير.

قال مجاهد[2]: لكل نبأ حقيقة إما في الدنيا وإما في الآخرة.

﴿**وسوف تعلمون**﴾ ما كان[3] في الدنيا فسوف ترونه، وما كان في الآخرة فسوف يبدو لكم.

- قوله[4] ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في ءاياتنا**﴾ قال المفسرون: كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في رسول الله ﷺ والقرآن، فشتموا واستهزؤوا، فأمرهم الله تعالى ألا يقعدوا معهم فقال ﴿**فأعرض عنهم**﴾ حتى يخوضوا في حديث غيره[5].

وقال ابن عباس[6]: أمر الله تعالى رسول ﷺ فقال: إذا رأيت المشركين يكذبون بالقرآن وبك ويستهزؤون فاترك مجالستهم حتى يكون خوضهم في غير القرآن. ﴿**وإما ينسينك الشيطان**﴾[7] وقرأ ابن عامر ﴿ينسِّينك﴾ - بالتشديد - وأفعل وفعَّل يجريان مجرى واحداً[8].

قال ابن عباس[9]: يريد: إن نسيت فقعدت ﴿**فلا تقعد بعد الذكرى**﴾ وقم إذا ذكرت.

﴿**مع القوم الظالمين**﴾[10] يعني: المشركين.

- قوله ﴿**وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء**﴾ قال ابن عباس[11]: قال المسلمون لئن كنا كلما استهزأ

---

(١) انظر البحر ١٩٧/٤ عن الحسن، وغرائب النيسابوري ١٦٥/٧، وفتح القدير ١٢٨/٢.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١١، والطبري ١٤٧/٧ عن ابن عباس، وابن كثير ١٤٣/٢ عن مجاهد، والدر ٢٠/٣ عن ابن عباس ومجاهد.

(٣) في (د) أي لم يكن.

(٤) في (و) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٢، والطبري ١٤٨/٧ - ١٤٩ عن السدي وابن جريج، والدر ٢٠/٣ - ٢١ عن مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج ومقاتل.

وقال السدي: نسختها هذه الآية التي في سورة النساء (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها..) الآية، ثم أنزل بعد ذلك (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (الدر٢١/٣) . وانظر تفسير ابن كثير ١٤٤/٢ عن مجاهد والسدي وابن جريج.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٢، والطبرى ١٤٨/٧ عن مجاهد.

(٧) في (حـ، د) قوله.

(٨) انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٦، والسبعة ٢٦٠، والنشر ٢٥٩/٢، والبيان ٥٠٦/٢، والحجة لابن خالويه ١٤٢).

(٩) انظر تفسير الطبري ١٤٩/٧ عن السدي عن أبي مالك، وابن كثير ١٤٤/٢ عنهما وسعيد بن جبير، والدر ٢٠/٣ عنهم وقتادة، وذكره الرازي ٢٥/١٣.

(١٠) في (د) قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٢، والرازي ٢٦/١٣، وغرائب النيسابوري ١٦٦/٧، والبغوي ١٤٥/٢ كلها عن ابن عباس.

المشركون[١] بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت، فنزل ﴿وما على الذين يتقون﴾ أي: الشرك، والكبائر[٢] والفواحش ﴿من حسابهم﴾ من آثامهم ﴿من شيء ولكن ذكرى﴾ يقول: ذكروهم بالقرآن، فرخص لهم في مجالستهم على ما أمروا به من المواعظ لهم ﴿لعلهم يتقون﴾ الاستهزاء والخوض.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

- قوله ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ يعني: الكفار الذين إذا سمعوا بآيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عن ذكرها ﴿وذكر به﴾ وعظ بالقرآن ﴿أن تُبْسَل نفس بما كسبت﴾ قال الحسن ومجاهد وعكرمة[٣]: تسلم للهلكة.

و«الإبسال»: أن يبسل الرجل فيخذل، يقال: أبسلته بجنايته[٤]، أي: أسلمته بها، وهو الترك[٥].

ومعنى الآية: وذكرهم بالقرآن إسلام الجانين بجناياتهم لعلهم يخافون فيتقون. وقوله[٦] ﴿ليس لها﴾ أي: للنفس المبسلة ﴿من دون الله ولي ولا شفيع﴾ يعني في الآخرة[٧]. ﴿وإن تعدل كل عدلٍ﴾ وإن تفد كل فداء ﴿لا يؤخذ منها﴾ قال ابن عباس [٨]: إن تفد بالدنيا وما فيها لا يؤخذ منها.

وقال قتادة: لو جاءت بملء الأرض ذهباً لم يقبل منها [٩].

﴿أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾[١٠] أسلموا للهلاك ﴿لهم شراب من حميم﴾ وهو الماء الحار ﴿وعذاب أليم﴾ موجع[١١] مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ بكفرهم بالله والقرآن.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا

---

(١) في (د) المشركين.

(٢) في غير (أ) أي الكبائر والشرك.

(٣) انظر تفسير الطبري ٧/١٥٠ عن الحسن ومجاهد وعكرمة والرازي ١٣/٢٨ عن الحسن ومجاهد والبحر ٤/١٥٥ عن الحسن وعكرمة وابن كثير ٢/١٤٤ عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والدر ٣/٢١ عن ابن عباس والزجاج ٢/٢٨٧، ومجاز القرآن ١/١٩٤، وغريب القرآن ١٥٥.

(٤) في (و) بما جني.

(٥) انظر اللسان/ بسل.

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٢ بنحوه، والطبري ٧/ ١٥١ عن ابن زيد.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/١٥١ عن قتادة والسدي، والدر ٣/٢١ عن قتادة.

(٩) في (حـ،د) قوله.

(١٠) في غير (أ) مؤلم موجع.

لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

ـ قوله[1] **﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾** قال ابن عباس[2]: يقول: أنعبد من دون الله ما ليس عنده منفعة لنا إن عبدناه، وإن عصيناه لم يكن عنده لنا مضرة[3].

والمعنى: أنه جماد لا يقدر على فعل شيء.

وقوله[4] **﴿ونرد على أعقابنا بعد إذْ هدانا الله﴾**.

قال الكلبي[5]: نرد وراءنا إلى الشرك بالله **﴿كالذي استهوته﴾** استمالته وزينت له هواه **﴿الشياطين﴾** يقال: إستهواه الشيطان بكيده، إذا استغواه[6] **﴿[في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا]﴾**.

قال ابن عباس[7]: هذا مثل ضربه الله تعالى للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين[8] يدعون إلى الله، كمثل رجل ضل عن الطريق[9] إذ نادى منادٍ: يا فلان ابن فلان، هلم[10] إلى الطريق [وله أصحاب يدعونه يا فلان هلم إلى الطريق][11] فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه إلى الهلكة، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق.

قوله[12] **﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾** رد على من دعا إلى عبادة الأصنام[13]، وزجر عن إجابته، كأنه قيل: لا تفعل ذلك لأن هدى الله هو الهدى لا هدى غيره.

﴿وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ قال الزجاج[14] العرب تقول: أمرتك[15] لتفعل وأن تفعل وبأن تفعل. والمعنى: أمرنا لننقاد ونطيع لرب العالمين.

ـ قوله **﴿وأن أقيموا الصلوٰة واتقوه﴾**[16] أي: أمرنا أيضاً بإقامة الصلاة والاتقاء **﴿وهو الذي إليه تحشرون﴾** تجمعون إلى الموقف للحساب.

ـ قوله[17] **﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾** «الباء» ها هنا بمعنى «اللام» أي: خلقها للحق[18]

---

(١) في (و) وقوله.
(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٢.
(٣) في (و) لم يكن لنا منه مضرة.
(٤) في (د) قوله، وفي (و) قوله عز وجل.
(٥) وهو قول ابن عباس ص ١١٢، وبنحوه قال الزجاج ٢/٢٨٧، والبحر ٤/١٥٦.
(٦) انظر اللسان/ هوى، ومفردات الراغب/ هوى.
(٧) انظر تفسير الطبري ٧/١٥٣، وابن كثير ٢/١٤٥، وفتح القدير ٢/١٣٢ كلها عن ابن عباس، والدر ٣/٢١ ـ ٢٢ عن ابن عباس وقتادة.
(٨) في (د) والذين.
(٩) في (أ،حـ) إذا نادى.
(١٠) في (د) لهم.
(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ، و).
(١٢) في (حـ، و) وقوله.
(١٣) في (أ) الأوثان.
(١٤) انظر الزجاج ٢/٢٨٨، والقرطبي ٧/١٩ عن الفراء.
(١٥) في (أ) أمرتكم.
(١٦) ليست في (أ، و)، وفي (د) وأمرنا.
(١٧) من (أ، د).
(١٨) في (حـ،د) أي ما خلقها إلا للحق.

أي: لإظهار الحق، وهو إظهار صنعه وقدرته[1] ووحدانيته قوله[2] ﴿ويوم يقول﴾ أي: وقدر وقضى يوم يقول ﴿كن فيكون﴾ أي: جميع ما يخلق في ذلك الوقت.

المعنى: ويوم يقول للشيء كن فيكون، وهذا يدل على سرعة أمر البعث والساعة كأنه قال: ويوم يقول للخلق: موتوا فيموتون، وانتشروا فينتشرون.

﴿قوله الحق﴾ ابتداء وخبر، أي: قوله الصدق الكائن[3] الواقع لا محالة، أي: إن ما وعده الله حق كائن.

﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ كقوله ﴿مالك[4] يوم الدين﴾ والمعنى: إن الملوك يومئذ ملكهم زائل[5]، فتكون حقيقة الملك[6] لله وحده، كما قال ﴿والأمر يومئذ لله﴾[7] وله الأمر في كل وقت، ولكن لا أمر لأحد في ذلك اليوم مع أمر الله تعالى.

و«الصور»: قرن ينفخ فيه في قول جميع المفسرين[8].

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه، فليس يغيب عن علمه شيء. ﴿وهو الحكيم الخبير﴾.

۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

ـ قوله[9] ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه ءازر﴾ قال جماعة من المفسرين: آزر أبو إبراهيم قال الفراء[10] والزجاج: ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تارح، والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر، فكأن آزر لقب[11] له.

---

(١) ليست في (أ).

(٢) في (حـ،و) وقوله.

(٣) في (حـ) والكافر.

(٤) في غير (أ) ملك، سورة الفاتحة/٤.

(٥) في (حـ،د) يزول.

(٦) في (د) يوم لله.

(٧) سورة الانفطار/١٩.

(٨) انظر معاني الزجاج ٢/٢٩٠، وغرائب النيسابوري ،/١٦٩، والدر ٢٢/٣ عن ابن عمر وابن مسعود ومجاهد.

(٩) في (و) قوله تعالى.

(١٠) في (د،و) الزجاج والفراء.

(١١) في (د) لقباً.

وانظر الفراء ١/٣٤٠، والزجاج ٢/٢٩٠، وفتح القدير ٢/١٣٣ عن الفراء والزجاج وغرائب النيسابوري ٧/١٧١، والرازي ١٣/٣٧ كلاهما عن الزجاج.

=

قال ابن الأنباري[١]: قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتى يكون به أشهر منه باسمه، فجائز أن يكون آزر لقباً أبطل الاسم لشهرته، فخبر الله تعالى بأشهر اسميه[٢]، لأن اللقب مضارع للاسم.

وقوله[٣] **﴿أتتخذ أصناماً ءالهة﴾** هذا استفهام معناه الإنكار والتوبيخ لمن عبد الصنم [**﴿إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾**].

ـ وقوله[٤] **﴿وكذلك نري إبراهيم﴾** قال الزجاج[٥]: ومثل ما وصفنا من قول إبراهيم لأبيه نريه **﴿ملكوت السموات والأرض﴾** للاعتبار والاستدلال.

و «الملكوت» بمنزلة الملك، لأن التاء زيدت للمبالغة كالرغبوت[٦] والرهبوت.

قال مجاهد وسعيد بن جبير[٧]: كشف له عن السماوات[٨] والأرض حتى العرش، وأسفل الأرض[٩].

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا زياد[١٠]، عن ليث[١١]، عن شهر بن حوشب، عن سلمان قال:

لما رأى[١٢] إبراهيم ملكوت السماوات والأرض أبصر رجلاً على فاحشة فدعا عليه، ثم أبصر آخر على فاحشة[١٣] فدعا عليه، فقال له[١٤] الرب تعالى: لا تفعل فإنك عبد مستجاب الدعوة[١٥]، وإنما أنا من[١٦] عبدي على ثلاث خلال، إما أن يتوب في آخر زمانه فأقبل منه، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة تعبدني[١٧]، وإما أن يتولى فإن[١٨] جهنم من ورائه[١٩].

وقال قتادة[٢٠]: ملكوت السماوات: الشمس والقمر والنجوم، وملكوت الأرض: الجبال والشجر والبحار، وذلك

= «وتارح: بالتاء المثناة من فوق بعدها ألف وراء مفتوحة مهملة وحاء مهملة» (عمدة القوي والضعيف ١٢) وآزر: هو تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح كان يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها فيقول إبراهيم: من يشتري ما يضره ولا ينفعه، ولما أمر إبراهيم بدعاء قومه إلى التوحيد دعا أباه فلم يجبه (تتمة المختصر ١/٢٣ ـ ٢٤).

(١) انظر تفسير الطبري ٧/١٥٩، والرازي ١٣/٣٧ ـ ٣٨.

(٢) في (د) أسمائه.

(٣) في (حـ، د) قوله.

(٤) في (د) قوله.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر الزجاج ٢/٢٩١.

(٧) في (حـ) وكذلك نريه.

(٨) في (د) كالرغوب والرهوب.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، وابن كثير ٢/١٥٠ عن مجاهد وسعيد وعطاء والسدي، والدر ٣/٢٣ ـ ٢٤ عن ابن عباس ومجاهد والسدي.

(١٠) زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري أبو محمد الكوفي روى عن عبد الملك بن عمرو وحميد الطويل والأعشى وغيرهم وعنه سهل بن عثمان وأحمد بن حنبل وعبد الملك بن هشام صاحب السيرة وغيرهم قال أحمد: ليس به بأس وضعفه ابن المديني توفي سنة ١٨٣ هـ. (تهذيب التهذيب ٣/٣٧٦ ـ ٣٧٧).

(١١) في (و) الليث، سبق صـ ٤٨.

(١٢) في (د) رأى.

(١٣) ساقطة من (و).

(١٤) في (و) فقال الرب.

(١٥) في (و) الدعاء.

(١٦) في (د) مع عبدي.

(١٧) في (و) يعبدوني.

(١٨) في (د) في جهنم.

(١٩) انظر تفسير الطبري ٧/١٦١ عن سلمان وعطاء، ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/١٨٠ ـ ١٨١ والبغوي ٢/١٤٨ كلاهما عن سلمان، وغرائب النيسابوري ٧/١٧٣ عن ابن عباس، والدر ٣/٢٤ ـ ٢٥ عن علي وعطاء وشهر ومعاذ وسلمان الفارسي.

(٢٠) انظر تفسير الطبري ٧/١٦١، والخازن ٢/١٤٩، والدر ٣/٢٥ كلها عن قتادة.

أن الله تعالى أراه هذه الأشياء حتى نظر إليها مستدلاً بها على خالقها، وهو قوله [١] ﴿وليكون من الموقنين﴾ عطف على المعنى، لأن معنى الآية: نريه ملكوت السماوات والأرض، أي: ليستدل [٢] بها وليكون من الموقنين [٣].

ـ وقوله[٤] ﴿فلما جن عليه الليل﴾ يقال: جن عليه الليل، إذا ستره بظلمته جناً وجناناً وجنوناً وأجنهُ الليل أيضاً، إذا أظلم عليه[٥].

وقوله[٦] ﴿رءا كوكباً﴾ قال المفسرون[٧]: لما شب إبراهيم في السَرب الذي ولد فيه قال لأبويه: أخرجاني، فأخرجاه من السرب وانطلقا به حين[٨] غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل[٩] والخيل والغنم فقال: ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق.

ثم تفكر ونظر في خلق السماوات والأرض فقال: إن الذي خلقني ورزقني ربي، ما لي إلّه غيره. ثم نظر فإذا المشتري قد طلع ـ ويقال الزهرة ـ وكانت تلك[١٠] الليلة في آخر الشهر، فرأى الكوكب قبل القمر، فـ ﴿قال هذا ربي﴾ أي: تقولون: هذا ربي، وإضمار القول في القرآن كثير، كقوله ﴿ربنا تقبل منا﴾[١١] أي: يقولان[١٢] ربنا.

وكأن[١٣] إبراهيم قال لقومه: تقولان هذا ربي، أي هذا الذي يدبرني، لأنهم كانوا أصحاب نجوم، يرون التدبير في الخليقة لها.

وقيل: إنه قال: هذا ربي على جهة الاحتجاج على قومه، كأنه قال: هذا ربي عندكم وفيما تظنون وفي زعمكم، كقوله ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾[١٤] أي عند نفسك. والوجهان ذكرهما الزجاج وابن الأنباري[١٥].

وفي قوله ﴿[فلما أفل قال] لا أحب الآفلين﴾ دلالة على أن ما غاب بعد ظهوره فليس برب، لأن ما ظهر وأفل كان حادثاً مدبَّراً مسخراً مصرفاً، وذلك ينافي صفة الإلّه المعظم[١٦].

ـ قوله ﴿فلما رءا القمر بازغاً﴾ يقال: بزغ القمر إذا ابتدأ في الطلوع[١٧].

اعتبر إبراهيم في القمر والشمس، كما اعتبر في النجم، وكانت حجته فيها على قومه كالحجة في الكواكب، وهو قوله ﴿هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾.

---

(١) في (حـ،و) وقوله، وفي (د) قوله.

(٢) في (د) استدل به.

(٣) انظر البيان ١/٣٢٨.

(٤) ساقطة من (د) وفي (و) قوله.

(٥) انظر اللسان/ جنن «وقال الزجاج: يقال: جن عليه الليل وأجنه الليل إذا أظلم حتى يستره بظلمته».

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، والطبري ٧/١٦٣ عن ابن إسحاق، والدر ٣/٢٥ عن قتادة والسدي، و «السرب: ما للرجل من أهل ومال» (اللسان/ سرب).

(٨) في (د) حتى غابت.

(٩) في (و) الخيل والإبل.

(١٠) في (د) كانت في آخر الشهر.

(١١) سورة البقرة/ ١٢٧.

(١٢) في (د، و) يقولون.

(١٣) في (حـ) فكأن.. وفي (و) وكان إبراهيم يقول.

(١٤) سورة الدخان/ ٤٩.

(١٥) انظر الزجاج ٢/٢٩٢، وفتح القدير ٢/١٣٣، والبحر ٤/١٦٦ عن ابن الأنباري، والفراء ١/٣٤١، والأخفش ٢/٤٩٦.

(١٦) في (و) العظيم، وانظر معنى (أفل) في غريب القرآن ١٥٦ ومجاز القرآن ١/٩٩، وابن كثير ٢/١٥١.

(١٧) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٠، واللسان/ بزغ.

ومعنى ﴿لئن لم يهدني ربي﴾[1]: لئن لم يثبتني على الهدى[2]، ليس أنه لم يكن مهتدياً، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله عز وجل الثبات على الإيمان، وإبراهيم يقول ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾[3].

ـ قوله ﴿فلما رءا الشمس بازغة قال هذا ربي﴾ قال ابن الأنباري[4]: إنما قال ﴿هذا﴾[5] والشمس مؤنثة لأن الشمس بمعنى الضياء والنور، فحمل الكلام على التأويل، وأعان[6] على التذكير أيضاً: أن[7] الشمس ليس فيها علامة التأنيث، وأنشد قول الأعشى:

فـلا مزنـــة ودقــت ودقــهـــا ولا أرض أبـــقـــل أبقـــالهـــا[8]

فذكر أبقل إذ كانت الأرض عارية من علامات التأنيث.

وقوله ﴿هذا أكبر﴾ أي: من الكوكب والقمر، فلما توجهت الحجة على قومه ﴿قال [يا قوم] إني بريء مما تشركون﴾.

ـ ﴿إني وجهت وجهي﴾ قال الزجاج[9]: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله عز وجل ـ وباقي الآية مفسر فيما تقدم[10].

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾

ـ قوله عز وجل ﴿وحاجَّهُ قومه﴾ قال ابن عباس[11]: خاصموه وجادلوه في آلهتهم، وخوفوه بها، فقال منكراً عليهم ﴿أتحاجُّونِّي في الله﴾ أي: في توحيد الله ﴿وقد هدان﴾[12] أي: بين لي ما به اهتديت والتشديد على «النون»

---

(١) ليست في (حـ،و).
(٢) في (د) الهداية.
(٣) سورة إبراهيم/ ٣٥.
(٤) انظر المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/١٤٥ ـ ١٤٦، وفتح القدير ٢/١٣٤.
(٥) في (و) هذا ربي.
(٦) في (د) وأحاد.
(٧) في (أ) فإن، وفي (د،و) لأن.
(٨) انظر الكتاب ٢/٤٦ لعامر بن جوين، واللسان/ بقل، ومجاز القرآن ٢/٦٧، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٣٦٣، والكامل للمبرد ٢/٢٧٩، والطبري ١/٤٣٢، والفراء ١/١٢٧، ٢/٤٠٨، والخزانة ١/٤٥ «وهو من شواهد سيبويه ـ الشاهد الثاني ـ» ١/٥٠ وعزاه لعامر، وانظر ترجمته ١/٥٣ (والبيت من بحر المتقارب).
(٩) انظر الزجاج ٢/٢٩٤.
(١٠) باقي الآية هو (للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين).
وانظر معنى «فطر» في تفسير الآية ١٤ من هذه السورة، ومعنى «حنيفاً» في تفسير الآية ١٣٥ من سورة البقرة.
(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، والدر ٣/٢٦ عن ابن عباس والربيع، وفتح القدير ٢/١٣٥ عن ابن عباس.
(١٢) في جميع النسخ: هداني.

لاجتماع النونين وإدغام أحدهما في الآخر، وحذف نافع إحدى النونين تخفيفاً[١].

قوله ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ أي: هذه الأشياء التي تعبدونها لا تضر ولا تنفع ولا أخافها ﴿إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ لكن أخاف مشيئة ربي أن يعذبني ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ علمه علماً تاماً وتعلق به علمه ﴿أفلا تتذكرون﴾ أفلا تتعظون فتتركون عبادة الأصنام.

ثم أنكر خوفه آلهتهم[٢] فقال:

- ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾؟ وهذا سؤال تعجيز عن تصحيح الخوف ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾.

قال ابن عباس[٣]: يريد: ما ليس لكم في إشراكه بالله حجة.

﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أحق بأن يأمن من[٤] العذاب، الموحد أو المشرك؟ ﴿[إن كنتم تعلمون]﴾.

ثم بين أن الأحق[٥] بالأمن هو، فقال:

- ﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ﴾ قال جماعة المفسرين[٦]: لم يخلطوا إيمانهم بشرك، ونحو هذا روي مرفوعاً.

أخبرنا الحاكم أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي[٧]، أخبرنا أبو عمر ومحمد بن جعفر بن مطر، حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، والقاسم بن زكريا المطرز[٨]، ويوسف بن موسى المروروذي، وعبد الله بن زيدان البجلي، وأبو الحسين السمناني قالوا: حدثنا أبو كريب، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة[٩]، عن عبد الله بن مسعود قال:

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي (أتحاجوني) ـ بالتشديد ـ والأصل: أتحاجونني بنونين الأولى علامة الرفع والثانية مع ياء المتكلم في موضع النصب، فاجتمع حرفان من جنس واحد، فأدغموا الأولى في الثانية(أفغير الله تأمروني) ـ سورة الزمر/ ٦٤ ـ وقرأ نافع وابن عامر (أتحاجوني) ـ بالتخفيف ـ لكراهة الجمع بين نونين، فحذفت إحدى النونين طلباً للتخفيف.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٧ ـ ٢٥٨، والسبعة ٢٦١، والنشر ٢/٢٥٩، والتبيان ١/٥١٢ ـ ٥١٣، والحجة لابن خالويه ١٤٣، والبيان ١/٣٢٨).

(٢) في (د) اللهتهم.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٣، وابن كثير ٢/١٥٢ عن ابن عباس وغيره.

(٤) في (د) أي أحق بأن يأمن العذاب.

(٥) في (د) ثم بين الأحق.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، وغريب القرآن ١٥٦، وابن كثير ٢/١٥٣ عن أبي بكر وعمر وأبيّ بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر ومجاهد وعكرمة والنخعي وقتادة والضحاك والسدي. والدر ٣/٢٧ عن أبيّ وابن عباس وابن جبير.

(٧) في (د) محمد بن الفارسي.

(٨) القاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي أبو بكر الحافظ الثقة المقرىء ويعرف بالمطرز قال الخطيب ثقة ثبت توفي سنة ٣٠٥ هـ (تذكرة الحفاظ ٢/٧١٧).

(٩) علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق الإمام أبو شبل النخعي الكوفي خال إبراهيم النخعي وعم الأسود ولد في حياة النبي ﷺ ولحق الجاهلية وسمع من عمر وعثمان وابن مسعود وعلي وأبي الدرداء وجود القرآن على ابن مسعود وتفقه به وكان من أنبل أصحابه، وكان فقيها بارعاً إماماً ثبتاً فيما ينقل صاحب خير وورع توفي سنة ٦٢ هـ، (تذكرة الحفاظ ١/٤٨).

لما نزلت ﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا ترون إلى قول لقمان [١] لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [٢]. رواه مسلم عن أبي كريب [٣].

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي حدثنا إسحاق الحنظلي، حدثنا جرير، وأبو معاوية، ووكيع، جميعاً على الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود وقال:

لما نزلت ﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك؟

قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم). رواه البخاري عن إسحاق عن وكيع عن قتيبة عن جرير، ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أبي معاوية ووكيع [٤].

وقوله [٥] ﴿أولئك لهم الأمن﴾ قال ابن عباس [٦]: من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾ قال: أرشد إلى دين الله.

أخبرنا الشيخ أبو معمر المفضل بن إسماعيل، أخبرنا الإمام حيري أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا محمد بن حميد، حدثنا محمد بن المعلى [٧]، حدثنا زياد بن خيثمة [٨]، عن أبي داود، عن عبد الله بن سخبرة [٩]، عن سخبرة [١٠] قال:

قال رسول الله ﷺ: «من ابْتُلِي فصبر، وأُعْطي فشكر، وَظَلم فاستغفر، وظُلِم فغفر، ثم سكت.

فقالوا: ماذا يا رسول الله؟

---

(١) عن ابن عباس: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، وقال سعيد بن المسيب: كان لقمان من سودان مصر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. (تفسير ابن كثير ٣/٤٤٣).

(٢) سورة لقمان/ ١٣.

(٣) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب صدق الإيمان وإخلاصه ـ عن ابن مسعود ١/٦٤.

(٤) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب ظلم دون ظلم ١/١٥ وفي كتاب بدء الخلق ـ باب (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) آخر حديث ٢/٢٣٥ وفي كتاب التفسير ـ (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) ٣/١٢٨ وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ـ الحديث الأول ٤/١٩٥ ومسلم في الصحيح ـ كتاب الإيمان ـ باب صدق الإيمان وإخلاصه ١/٦٤ كلاهما من حديث ابن مسعود.

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، والزجاج ٢/٢٩٥.

(٧) محمد بن المعلى الرازي عن ابن إسحاق وعنه مهران الجمال ذكر له العقيلي حديثاً وما تعرض إلى تضعيفه (الميزان ٤/٤٥).

(٨) زياد بن خيثمة الجعفي الكوفي سمع سماك بن حرب وعنه شجاع بن الوليد قال ابن معين وأبو زرعة: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات روى له مسلم (كتاب الجمع ١/١٤٩، وتهذيب التهذيب ٣/٣٦٤).

(٩) عبد الله بن سخبرة عن أبيه عن أبي داود الأعمى روى له الترمذي حديثاً واحداً وضعفه. (تهذيب التهذيب ٥/٢٣١).

(١٠) سخبرة الأزدي ـ ويقال الأسدي ـ والد عبد الله بن سخبرة له صحبة روى عنه ابنه عبد الله روى حديثه أبو داود الأعمى عن عبد الله بن سخبرة ـ وليس بالأزدي ـ عن النبي ﷺ «من ابتلي فصبر وأعطي فشكر..» الحديث، روى الترمذي بعضه، وقال البخاري؛ هو الأزدي.

قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[١].

ـ قوله[٢] ﴿وتلك حجتنا ءاتيناها إبراهيم على قومه . .﴾ الآية، يعني: ما جرى بينه وبين قومه من المجادلة وإلزامه إياهم الحجة.

قال ابن عباس: يريد: ألهمناها إبراهيم وأرشدناه إليها[٣].

﴿نرفع درجاتٍ من نشاء﴾ أي: بالعلم والفهم والفضيلة والعقل، كما رفعنا درجة إبراهيم حتى اهتدى وحاج قومه في التوحيد [﴿إن ربك حكيم عليم﴾].

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

ـ ﴿ووهبنا له﴾ لإبراهيم ﴿إسحاق﴾ ولداً لصلبه[٤] ﴿ويعقوب﴾ ولداً لإسحاق، كما قال ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾[٥].

﴿كُلًّا﴾ من هؤلاء المذكورين ﴿هدينا﴾ أرشدنا إلى ديننا ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ هؤلاء ﴿ومن ذريته﴾ قال عطاء[٦]: يريد من ذرية إبراهيم، وقال الفراء[٧]: «الهاء» في ﴿ذريته﴾: لنوح.

قال الزجاج[٨]: كلا القولين جائز، لأن ذكرهما جميعاً قد جرى.

---

(١) الحديث: انظر الدر ٣/٢٧ ـ ٢٨ عن سخبرة «أخرجه البغوي في معجمه وابن أبي حاتم وابن نافع والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب» والجامع الصغير ٢/١٥٩ ورمز له بالحسن، ومجمع الزوائد ـ كتاب الزهد ـ باب ما جاء في الشكر والصبر «رواه الطبراني وفيه أبو داود الأعمى وهو متروك» ٢٠/٢٨٤، والطبراني في الكبير ٧/١٦٣.

(٢) في (و) قوله تعالى.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٤.

(٤) في (د) ولد الصلب. . ولد اسحق.

(٥) سورة الأنبياء/٧٢.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٤ في رأي له، والقرطبي ٧/٣١ عن ابن عباس.

(٧) انظر الفراء ١/٣٤٢، وفتح القدير ٢/١٣٦ عن الفراء، والطبري ٧/١٧٢، والتبيان ١/٥١٥، وابن كثير ٢/١٥٥، وتفسير ابن عباس ١١٤ في رأي آخر له.

(٨) انظر الزجاج ٢/٢٩٦.

والعلماء بالنسب يقولون: الكناية تعود إلى نوح، لأنه ذكر في جملة من عد من هذه الذرية يونس[١] ولوطاً، ولا شك أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم[٢].

[﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾].

- [﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾].

- وقوله[٣] ﴿[وإسماعيل] واليسع﴾ وقرأ حمزة (والليسع) - بتشديد اللام، وتخفيفها - وكلاهما واحد في أنه اسم لنبي معروف، واللام الواحدة أشهر في اسمه.

قال الزجاج[٤]: يقال فيه اليسع والليسع - بتشديد اللام وتخفيفها - وكلاهما خارج عما عليه الأسماء الأعجمية في حال التعريف، نحو إبراهيم وإسماعيل[٥]، ألا ترى أنه لم يجيء شيء منها على هذا النحو وإذا كان كذلك يقضي على السلام بالزيادة، كما أنشده الفراء[٦]:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً شديـــداً بأعباء الخلافة كاهله

وقوله ﴿[ويونس ولوطاً] وكلاً فضلنا على العالمين﴾ يعني: وكلاً من المذكورين ها هنا فضلنا على عـالمي زمانهم.

---

(١) يونس بن متى كان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعثه الله إليهم بالنهي عن عبادتها والأمر بالتوحيد فأقام فيهم ثلاثاً وثلاثين يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيقنوا الهلاك رجعوا إلى الله وأخلصوا النية فكشف الله عنهم العذاب ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعدما غشيهم إلا قوم يونس (الكامل لابن الأثير ١/ ٣٦٠ - ٣٦١).

(٢) انظر التبيان ١/ ٥١٥، والمشكل ١/ ٢٥٩.

(٣) في (د) قوله.

قرأ حمزة والكسائي (والليسع) بلامين وحجتهما: أنه أشبه بالأسماء الأعجمية، ودخول الألف واللام في (اليسع) قبيح، لأنك لا تقول: اليحيى، وتشديد اللام أشبه بالأسماء الأعجمية. وقرأ الباقون (اليسع) بلام واحدة - وحجتهم: عن أبي عمرو: هو مثل اليسر، وإنما هو يسر ويسع فردت الألف واللام، فقال: اليسع مثل اليحمد - قبيلة من العرب - واليرمع - الحجارة.

قال الأصمعي: كان الكسائي يقرأ (الليسع) ويقول: لا يكون اليفعل كما لا يكون اليحيى قال: فقلت له: اليرمع واليحمد: حي من اليمن، فسكت.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٥٩ - ٢٦٠ - والسبعة ٢٦٢، والنشر ٢/ ٢٦٠، والتبيان ١/ ٥١٦، والزجاج ٢/ ٢٩٦، والمشكل ١/ ٢٥٩ - ٢٦٠، والفراء ١/ ٣٤٢، والأخفش ٢/ ٤٩٦ - ٤٩٧، والحجة لابن خالويه ١٤٤، والبيان ١/ ٢٣٠، والرازي ١٣/ ٦٦).

(٤) انظر الزجاج: ٢/ ٢٩٦، والرازي ١٣/ ٦٦ عن الزجاج.

واليسع: هو ابن أخطوب بن العجوز، قال ابن الأثير: لما انقطع إلياس عن بني إسرائيل بعث الله تعالى اليسـع. (تفسير الطبري ٧/ ١٧٣، والكامل لابن الأثير ١/ ٢١٤).

(٥) في غير (أ) إسماعيل وإبراهيم.

(٦) انظر الفراء ١/ ٣٤٢، ٣/ ٤٠٨ والبيت من قصيدة لابن ميادة الرماح بن أبرد والشاهد دخول «أل» على الاسم الذي لا ينصرف في ضرورة الشعر.

وانظر فتح القدير ٢/ ١٣٧، والحجة لابن خالويه ١٤٤، والطبري ٧/ ١٧٣، والقرطبي والخزانة ٢/ ٢٢٦، والبداية والنهاية ٦/ ٢٧١ برواية: رأيت اليزيد بن الوليد.. وليس الوليد بن اليزيد.

والوليد هو ابن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو العباس الأموي الدمشقي ولد سنة ٩٠، وبويع بالخلافة بعد عمه هشام سنة ١٢٥ هـ، وقتل سنة ١٢٦هـ. (البداية والنهاية ١٠/ ٦).

ـ قوله[١] ﴿ومن ءابائهم﴾ قال الزجاج[٢]: أي هدينا هؤلاء الذين ذكرناهم[٣] وهدينا بعض آبائهم ﴿وذرياتهم وإخوانهم﴾ فـ «مِن» ها هنا: للتبعيض ـ ﴿واجتبيناهم﴾ واصطفيناهم ﴿وهديناهم إلى صراط مستقيم﴾ يعني: التوحيد دين الله.

ـ ﴿ذلك هدى الله﴾ قال ابن عباس[٤]: يريد ذلك دين الله الذي هم عليه ﴿يهدي به من يشاء [من عباده]﴾: [يهدي بذلك الدين من يشاء][٥] إلى صراط[٦] مستقيم.

﴿ولو أشركوا﴾[٧] قال: يريد: لو عبدوا غيري ﴿لحبط﴾ لبطل وزال عنهم ﴿ما كانوا يعملون﴾ لأن العمل لا يقبل مع الشرك.

ـ ﴿أولئك الذين ءاتيناهم الكتاب﴾ يعني: الكتب التي أنزلها عليهم ﴿والحكم﴾ يعني: العلم[٨] والفقه ﴿فإن يكفر بها﴾ بآياتنا ﴿هؤلاء﴾ يعني: أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها قوماً﴾ أرصدنا لها قوماً ووفّقناهم للإيمان، وهم المهاجرون والأنصار، وهو قوله ﴿ليسوا بها بكافرين﴾.

ـ ﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يعني: النبيين الذين ذكرهم الله ﴿فبهداهم اقتده﴾ قال الكلبي[٩]: بشرائعهم وسننهم اعمل.

وقال الزجاج: أي أصبر كما صبروا على تكذيب قومهم[١٠].

وأكثر القراء أثبتوا «الهاء» في ﴿اقتده﴾ ساكنة في الوصل والوقف موافقة للمصحف والوجه عند النحويين: الإثبات في الوقف، والحذف في الوصل، لأن هذه الهاء للسكت، فلا تثبت في الإدراج.

وقرأ ابن عامر ـ بكسر الهاء[١١] ـ وخطأه ابن مجاهد[١٢] وقال: هذه هاء وقف لا تحرك في حال من الأحوال، وقال أبو علي الفارسي[١٣]: جعل ابن عامر «الهاء» كناية عن المصدر لا «هاء» الوقف، كأنه قال: فبهداهم اقتد الاقتداء[١٤]

---

(١) في (و) وقوله.

(٢) انظر الزجاج ٢/٢٩٦.

(٣) في (أ) ذكرهم، وفي (حـ) ذكرناهم وهديناهم.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٤.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٦) في (و) من شاء إلى الصراط المستقيم.

(٧) في (د) قوله.

(٨) في غير (أ) الفقه والعلم.

(٩) ذكره الخازن ٢/١٥٧، والطبري ٧/١٧٥.

(١٠) انظر الزجاج ٢/٢٩٧.

(١١) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (اقتد) ـ بغير هاء ـ في الوصل وإثباتها في الوقف للرسم.
وحجتهم: أن الهاء إنما دخلت للوقف ولبيان الحركة في حال الوقف، فإذا وصل القارىء قراءته اتصلت الدال بما بعدها فاستغني عن الهاء لزوال السبب الذي أدخلها من أجله فطرحها.
وقرأ الباقون (اقتده) في الوصل والوقف، وحجتهم: أنها مثبتة في المصاحف، فكرهـوا إسقاط حرف من المصحف.
وقرأ ابن عامر (اقتدِهِ) ـ بكسر الدال وإشمام الهاء الكسر ـ في رواية هشام ـ والإشباع ـ في رواية ابن ذكوان (اقتد هي) جعلها اسماً.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٠، والسبعة ٢٦٢، والنشر ٢/١٤٢، والتبيان ١/٥١٧ والزجاج ٢/٢٩٧ والحجة لابن خالويه ١٤٥، وهامش السبعة ص ٢٦٢ عن أبي علي الفارسي).

(١٢) مقرىء العراق أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد،روى عـن سعدان بن نصر الرماد وخلق وقرأ على قنبل وأبي الزعراء وجماعة وكان ثقة بصيراً بالقراءات وعللها عديم النظير توفي سنة ٣٢٤ هـ عن ٨٠ سنة (شذرات الذهب ٢/٣٠٢).

(١٣) أبو علي الفارسي: الحسن بن محمد بن عبد الغفار النحوي صاحب التصانيف ببغداد قال ابن خلكان: كان إمام وقته في علم النحو صنف كتال الإيضاح والتكملة والمقصور والممدود والحجة في القراءات وغيرها، ولد سنة ٢٨٨ هـ، وتوفي سنة ٣٧٧ هـ (شذرات الذهب ٣/٨٨ ـ ٨٩).

(١٤) في (د) اقتدا قتدا والفعل على المصدر.

والفعل يدل على المصدر، فكنى عنه كما حكى سيبويه من قولهم: من كذب كان شراً له، أي: كان الكذب شراً له[1].

وقوله[2] ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ أي: على القرآن، لا أطلب مالاً تعطونيه ولا جعلاً ﴿إن هو﴾ يعني القرآن ﴿إلا ذكرى للعالمين﴾ قال ابن عباس[3]: موعظة للخلق أجمعين.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

- قوله[4] ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ قال ابن عباس[5]: ما عظموا الله حق تعظيمه وقال أبو العالية[6]: ما وصفوه[7] حق صفته، وقال أبو عبيدة[8] ما عرفوه حق معرفته.

﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي [9]: قالت اليهود: يا محمد أنزل الله عليك كتاباً؟

قال: نعم.

قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزل الله تعالى ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾ يعني: التوراة ﴿نوراً﴾ ضياء ﴿وهدى﴾ هادياً للناس ﴿تجعلونه قراطيس﴾.

قال المفسرون[10]: تكتبونه في قراطيس مقطعة حتى لا تكون مجموعة[11] لتخفوا منها ما شئتم، وهو[12] قوله

---

(١) انظر الكتاب ٢/٣٩١.
وانظر كلام النحويين في التبيان ١/٥١٧، والمشكل ١/٢٦٠.
«كل شيء من بنات الياء والواو في موضع الجزم فالوقف عليها بالهاء ليلفظ به» (الأخفش ٢/٤٩٧).

(٢) في (حـ) إلى قوله، وفي (د) قوله.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٤.

(٤) في (حـ، و) قوله عز وجل، وفي (د) قوله تعالى.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، والزجاج ٢/٢٩٧، والرازي ١٣/٧٣، وغرائب النيسابوري ٧/١٨٧ كلاهما عن ابن عباس، والفراء ١/٣٤٣ والدر ٣/٢٩ عن السدي وأبي مالك.

(٦) انظر تفسير الرازي ١٣/٧٢، وغرائب النيسابوري ٧/١٨٧، والخازن ٢/١٥٧ كلها عن أبي العالية، وغريب القرآن ١٥٦.

(٧) في (و) وصفوا الله.

(٨) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٠، والرازي ١٣/٧٢، وغرائب النيسابوري ٧/١٨٧، والخازن ٢/١٥٧ كلها عن الأخفش وغريب القرآن ١٥٦.

(٩) انظر تفسير ابن عباس ١١٤، والطبري ٧/١٧٧، وفتح القدير ٢/١٤١ كلاهما عن ابن عباس والدر ٣/٢٩ عن ابن عباس والسدي وعكرمة وابن جبير والقرظي، وأسباب النزول للسيوطي ١٢٠، وللواحدي ١٦٤.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٧/١٧٩ عن عكرمة، والدر ٣/٢٩ عن ابن جريج، وابن كثير ٢/١٥٦ وفتح القدير ٢/١٣٩.

(١١) في (د) مجموعا.

(١٢) ساقطة من (و).

﴿تبدونها وتخفون كثيراً﴾ قال الفراء[١]: تبدون ما تحبون وتكتمون صفة محمد ﷺ.

وقرأ أبو عمرو ﴿يجعلونه﴾ وما بعده بالياء ـ على الغيبة ـ لقوله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[٢].

[وقوله[٣] ﴿وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا ءاباؤكم﴾ الأكثرون على: أن هذا خطاب لليهود.

يقول: علمتم على لسان محمد ﷺ ما لم تعلموا][٤].

قال الحسن[٥]: جعل لهم ما جاء به محمد ﷺ فضيعوه ولم ينتفعوا به.

وقال مجاهد[٦]: هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة[٧] مما علمهم على لسان محمد ﷺ.

قوله[٨] ﴿قل الله﴾ جواب لقوله[٩] ﴿من أنزل الكتاب﴾؟ ﴿قل الله﴾ أي: الله أنزله ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ في باطلهم وما يخوضون فيه من الكذب ﴿يلعبون﴾ يعملون ما لا يجدي[١٠] عليهم، والعرب تقول لمن كان عمل عملاً لا ينتفع به[١١]: إنما أنت لاعب. وحقيقة هذا الكلام التهديد.

ثم ذكر القرآن فقال:

ـ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ معنى «المبارك»: الكثير الخير، ومعنى «البركة» ثبوت الخير على الازدياد والنماء، وأصلها في اللغة: الثبوت[١٢].

قال الكلبي: المبارك: فيه مغفرة لذنوبهم، وتوبة من أعمالهم[١٣].

---

(١) انظر الفراء ١/٣٤٣، وتفسير ابن عباس ١١٥، والبحر ٤/١٧٨.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) ـ بالياء جميعاً ـ قال أبو عمرو: يعني أهل الكتاب (وعلمتم ما لم تعلموا) يعني المسلمين، لأن العرب لم يكن لها قبل ذلك كتاب، وحجته: قوله تعالى ﴿جاء به موسى نوراً وهدى للناس﴾ أي يجعله الناس قراطيس يعني اليهود، فلما قرب الفعل منهم جعل الفعل لهم.
وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بالتاء قال أبو عبيد: «التاء» تختار للمخاطبة قبلها، وبعدها والتي قبلها قوله (قل من أنزل الكتاب) والتي بعدها قوله (وعلمتهم ما لم تعلموا) فكأن قراءتهم ما توسط بين الخطابين من الكلام على لفظ ما قبله وما بعده ليأتلف نظام الكلام على سياق واحد.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٠ ـ ٢٦١، والسبعة ٢٦٢ ـ ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠ والتبيان ١/٥١٨ ـ ٥١٩، والحجة لابن خالويه ١٤٥).

(٣) ليست في (حـ) وفي (د) قوله.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من و (و).

(٥) انظر تفسير البغوي ٢/١٥٩ عن الحسن، وفتح القدير ٢/١٤١ بنحوه عن قتادة، والوجيز للواحدي ١/٢٥٠.

(٦) انظر تفسير الطبري ٧/١٧٩، وابن كثير ٢/١٥٦، وفتح القدير ٢/١٤١ كلها عن مجاهد.

(٧) في (د،و) فيما علمهم، وفي (حـ) فلما.

(٨) في (حـ،و) وقوله.

(٩) في غير (أ) لقولهم.

(١٠) في (أ) مما لا يجدي، وفي (د) ما لا يجري.

(١١) في (و) لا يجدي.
وانظر الزجاج ٢/٢٩٨، وغرائب النيسابوري ٧/١٩١، واللسان/لعب.

(١٢) انظر اللسان/ برك، والمصباح/ برك، ومفردات الراغب/ برك.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٥.

وقال أهل المعاني[1]: معنى قوله للقرآن ﴿مبارك﴾ أنه كثير خيره، دائم منفعته، يبشر[2] بالثواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية، إلى ما لا يعد من بركاته.

وقوله ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ موافق لما تقدمه من الكتب.

وقوله ﴿ولتنذر أم القرى﴾ قال الزجاج: المعنى: أنزلناه للبركة والإنذار[3].

و «أم القرى»: مكة، سميت أم القرى، لأن الأرض كلها دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها[4].

والمعنى: ولتنذر أهل أم القرى، فحذف المضاف.

﴿ومن حولها﴾ قال ابن عباس[5]: يريد: جميع الآفاق.

ومن قرأ (ولينذر) ـ بالياء ـ جعل الفعل للكتاب[6].

وقوله ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ أي: من آمن بالآخرة حقيقة آمن بالقرآن، فأما من آمن بالآخرة ولم يؤمن بالقرآن فإنه لم يؤمن بالآخرة إيماناً حقيقياً فلم يعتد[7] بإيمانه مع كفره بالقرآن، ألا ترى أنه قال ﴿وهم على صلوٰتهم يحافظون﴾ فدل على أنه أراد المؤمنين الذي يحافظون على الصلوات.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

ـ قوله[8] ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ ـ تقدم تفسيره في هذه السورة[9] ـ ﴿أو قال أوحي إليَّ ولم يوح[10] إليه شيء﴾.

---

(١) انظر تفسير الرازي ١٣/ ٨٠ عن أهل المعاني، وغرائب النيسابوري ٧/ ١٩١، والبحر ٤/ ١٧٩ والخازن ٢/ ١٥٩، واللسان/ برك عن الزجاج.

(٢) في (د) مبشر.

(٣) انظر الزجاج ٢/ ٢٩٨.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، وغريب القرآن ١٥٦، والطبري ٧/ ١٨٠ عن قتادة، وفتح القدير ٢/ ١٤١ عن قتادة وعطاء، وغرائب النيسابوري ٧/ ١٩١، والخازن ٢/ ١٥٩ ـ كلاهما عن ابن عباس، والدر ٣/ ٢٩ عن ابن عباس وقتادة.

(٥) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٨٠، والدر ٣/ ٢٩، وفتح القدير ٢/ ١٤١ كلها عن ابن عباس.

(٦) قرأ عاصم ـ في رواية أبي بكر ـ (ولينذر) ـ بالياء ـ وحجته: قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) أي: لينذر الكتاب أهل مكة ومن حولها، وقرأ الباقون ـ بالتاء ـ وحجتهم، قوله ﴿إنما أنت منذر﴾ سورة الرعد/ ٧ ـ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦١، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/ ٢٦٠، والزجاج ٢/ ٢٩٨، والتبيان ١/ ٥١٩ ـ ٥٢٠، والحجة لابن خالويه ١٤٥).

(٧) في (و) يعتدوا.

(٨) في (و) قوله تعالى.

(٩) انظر تفسير الآية ٢١.

(١٠) في (د) بوحي.

قال قتادة[١]: يعني مسيلمة الكذاب[٢] ﴿ومَن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ قال ابن عباس[٣]: يريد: المستهزئين، وهو[٤] اختيار الزجاج، قال: هذا جواب لقولهم ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾[٥].

وقوله[٦] ﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ يعني: الذين ذكرهم من المفترين والمدعين الوحي إليهم كذباً والقائلين سأنزل مثل ما أنزل الله ﴿في غمرات الموت﴾ شدائده ومكارهه، جمع غمرة، وهي[٧] ما تغشى الإنسان مما يكرهه. ﴿والملائكة﴾ يعني: ملائكة العذاب[٨] ﴿باسطوا أيديهم﴾ بالتعذيب يضربونهم ويعذبونهم[٩] ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أي: يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم.

قال المفسرون[١٠]: إن نفس المؤمن تنشط في الخروج للقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك ويشق عليها الخروج، لأنها تصير إلى أشد العذاب، فهؤلاء الكفار[١١] تكرههم الملائكة على نزع الروح كرهاً.

وجواب «لو» مضمر على تقدير: ولو رأيت ذلك لرأيت عجباً، أو أمراً فظيعاً. وقوله[١٢] ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ «الهون»: الهوان[١٣]، ومنه قوله ﴿أيمسكه على هون﴾[١٤].

قال الزجاج[١٥]: يعني العذاب الذي يقع به الهوان الشديد. ثم ذكر أن هذا العذاب جزاء كذبهم على الله فقال ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن ءاياته تستكبرون﴾ عن الإيمان بالقرآن لا تصدقونه ولا تؤمنون به.

ـ وقوله[١٦] ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾ قال الفراء[١٧]: «فرادى» جمع وإحداها فرد وفرد وفريد وفردان. قال ابن عباس[١٨]: يريد: بلا مال ولا ولد قال ابن كيسان[١٩]: جئتمونا مفردين مما كنتم تعبدون ومن المظاهرين[٢٠] لكم.

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والزجاج ٢/٢٩٨، والطبري ٧/٢٨١ عن قتادة وعكرمة، وكذا ابن كثير ٢/١٥٧، والفراء ١/٣٤٤، والدر ٣/٣٠ عن قتادة وعكرمة وابن جريج، والبغوي ٢/١٦٠ عن قتادة وأسباب النزول للواحدي ١٦٤ وللسيوطي ١٢٠.

(٢) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ـ أو ثمامة ـ ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة ولقب في الجاهلية بالرحمان ـ وعرف برحمان اليمامة ـ قتله خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ. في خلافة أبي بكر (شذرات الذهب ١/٢٣)

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والزجاج ٢/٢٩٨، والبغوي ٢/٢٦١، عن ابن عباس، والطبري ٧/١٨٢ وأسباب النزول للواحدي ١٦٥، وللسيوطي ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) في (د) وهما.

(٥) سورة الأنفال/ ٣١.

(٦) في (د) قوله تعالى.

(٧) في (د) وهو.

(٨) في (و) التعذيب.

(٩) انظر الدر ٣/٣٢ عن ابن عباس والضحاك.

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٥٧، والبغوي ٢/١٦١، والدر ٣/٣٠ ـ ٣١ عن ابن عباس.

(١١) ساقطة من (و).

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) في (د) الهون.

(١٤) سورة النحل/٥٩، وانظر معنى (الهون) في غريب القرآن ١٥٦، ومجاز القرآن ١/٢٠٠، والدر ٣/٣٢ عن ابن عباس ومجاهد.

(١٥) انظر الزجاج ٢/٢٩٩.

(١٦) في (د،و) قوله تعالى.

(١٧) انظر الفراء ١/٣٤٥، والرازي ١٣/٨٧ عن الفراء واللسان/ فرد عن الفراء.

(١٨) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والبحر ٤/١٨٢ عن ابن عباس.

(١٩) انظر البحر ٤/١٨٢ عن ابن كيسان، وفتح القدير ٢/١٤٠.

(٢٠) في (د) المصاهرين.

قولهِ [١] ﴿كما خلقناكم أول مرة﴾ حفاة عراة [٢] كما خرجتم من بطون أمهاتكم ﴿وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ أي: ما ملكناكم، يقال: خوله الشيء، أي: ملكه إياه [٣] قال ابن عباس[٤]: ﴿وتركتم ما خولناكم﴾ يريد: من النعيم والمال والعبيد والرباع[٥] والمواشي.

﴿وما[٦] نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ قال المفسرون[٧]: إن المشركين زعموا أنهم يعبدون الأصنام لأنهم شركاء الله وشفعاءهم عنده والمعنى: أنهم شركاء لي في عبادتكم.

وقوله[٨] ﴿لقد تقطع بينكم﴾ قال الزجاج[٩]: الرفع أجود، ومعناه: لقد تقطع وصلكم، والنصب جائز على معنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

وقال ابن الأنباري[١٠]: التقدير: لقد تقطع ما بينكم، فحذف «ما» لوضوح معناه. وقال ابن عباس[١١]: لقد تقطع بينكم، يريد وصلكم ومودتكم، وقال الحسن[١٢]: لقد تقطع الأمر بينكم وقال قتادة[١٣]: ما بينكم من الوصل. ﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ ذهب عنكم ما كنتم تكذبون في الدنيا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

---

(١) من (أ، د).

(٢) في (و) عراة حفاة.

(٣) انظر غريب القرآن ١٥٧، واللسان/ خول.

(٤) انظر تفسير الطبري ٧/١٨٥، والدر ٣/٣٢، وفتح القدير ٢/١٤٢ كلها عن السدي.

(٥) «الرباع: الدار» (اللسان/ ربع، وحاشية أ).

(٦) في(د) ما نرى.

(٧) انظر تفسير الطبري ٧/١٨٥ عن السدي، والدر ٣/٣٢، وفتح القدير ٢/١٤٢ كلاهما عن عكرمة، وأسباب النزول للسيوطى ١٢١.

(٨) في (د) قال.

(٩) انظر الزجاج ٢/٣٠٠، والدر ٣/٣٢ عن يحيى بن يعمر والأعرج.

(١٠) انظر البيان ١/٣٣٢.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والطبري ٧/١٨٥ عن ابن عباس، والفراء ١/٣٤٥، مجاز القرآن ١/٢٠٠.

(١٢) انظر الدر ٣/٣٢ عن الحسن.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٧/١٨٥، والدر ٣/٣٢، وفتح القدير ٢/١٤٢ كلها عن قتادة.

قرأ نافع والكسائي وحفص (بينكم) - بالفتح - أي: لقد تقطع ما بينكم كذا قال أهل الكوفة واستدلوا بقراءة عبد الله لأن قراءته (لقد تقطع ما بينكم) و «ما» موصولة و «بين» صلة وحذفوا الموصول وهو «ما» وبقيت الصلة وهي (بينكم).

وعند أهل البصرة غير جائز هذا لأن الصلة والموصول اسم واحد، ومحال أن يحذف صدر الاسم ويبقى آخره، ولكن التقدير: لقد تقطع الأمر بينكم، و «بين» نصب على الظرف عند الجميع، وإنما الخلاف في تقدير الكلام.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم - في رواية أبي بكر - وابن عامر وحمزة (بينكم) - بالضم.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦١ - ٢٦٢، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠، والتبيان ١/٥٢٢ والزجاج ٢/٣٠٠، والفراء ١/٣٤٥، والمشكل ١/٢٦٢ - ٢٦٣، والمستدرك ٢/٢٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤٥).

يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

ـ قوله تعالى [١] ﴿إن الله فالق الحب والنوى﴾ قال الكلبي [٢] : الحب: ما لم يكن له نوى مثل البر والشعير. والنوى: مثل نوى التمر والخوخ وغيرهما، فلقهما الله تعالى بالنبات. وقال الحسن وقتادة والسدي[٣]: فلق الحبة عن السنبلة، والنواة عن النخلة. وقال الزجاج[٤]: يشق الحبة اليابسة والنواة واليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر وقال مجاهد[٥]: يعني: الشقين اللذين فيهما[٦] وقوله ﴿يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾ قال ابن عباس[٧]: يخرج من النطفة بشراً حياً، ثم يخرج النطفة الميتة من الحي.

وقال عطاء[٨]: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن[٩]. قال الزجاج[١٠]: يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي. ﴿ذلكم الله فأني تؤفكون﴾ قال ابن عباس[١١]: يريد: الله وحده يفعل هذا، فكيف تكذبون؟ والمعنى: كيف تصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟.

ـ قوله ﴿فالق الإصباح﴾ «الصبح والصباح والإصباح»: أول ما يبدو من النهار، يقال: فلق الله الصبح، أي أبداه وأوضحه. ومعنى ﴿فالق الإصباح﴾ مبديه وموضحه، وذلك أن الفلق معناه في اللغة: الشق، وذلك راجع إلى الإبداء والإيضاح[١٢]. وقوله[١٣] ﴿وجاعل الليل سكناً﴾ «السكن»: ما سكنت إليه، يريد: أن الناس يسكنون في الليل سكون الراحة، بأن جعل الله لهم ذلك سكناً[١٤].

---

(١) في (حـ) قوله عز وجل.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٥ بنحوه، والرازي ١٣/ ٩٠، وغريب القرآن ١٥٧، والبحر ٤/ ١٨٤ عن إسماعيل الضرير.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والطبرى ٧/ ١٨٦، والدر ٣/ ٣٣ كلاهما عن قتادة والسدى والبغوي ٢/ ١٦٢ عن الحسن وقتادة والسدي.

(٤) انظر الزجاج ٢/ ٣٠٠، والبغوي ٢/ ١٦٢ عن الزجاج، وتفسير ابن عباس في رأي له ١١٥.

(٥) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٨٦، والدر ٣/ ٣٣ كلاهما عن مجاهد، وفتح القدير ٢/ ١٤٥ عن مجاهد وأبي مالك.

(٦) في (د) فيها قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، والطبري ٧/ ١٨٧، والرازي ١٣/ ٩٢، والفراء ١٠/ ٣٠٥ ـ كلها عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/ ١٤٥ عن مجاهد ١٥/ ٣٣٠ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٨) انظر تفسير البغوي ١/ ٣٣٥ عن الحسن وعطاء والرازي ١٣/ ٩٢ عن ابن عباس والخازن ٢/ ١٦٢ عن ابن عباس والحسن وراجع تفسير الآية ٢٧ من سورة آل عمران.

(٩) في (و) تخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر.

(١٠) انظر الزجاج ٢/ ٣٠٠، وتفسير ابن عباس ١١٥،

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٥، وبنحوه قال الزجاج ٢/ ٣٠٠.

(١٢) انظر اللسان/ صبح، فلق، والمصباح/ صبح، فلق، ومفردات الراغب/ صبح، فلق.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٨٨، والخازن ٢/ ١٦٣ عن ابن عباس، والدر ٣/ ٣٣، وفتح القدير ٢/ ١٤٥ كلاهما عن قتادة.

قال الكلبي: يسكن فيه الخلق ويرجعونه إلى أوطانهم، وهو مثل قوله ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ [(١)] وقرأ أهل الكوفة ﴿وجعل الليل﴾ لأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي فلما كان فاعل بمنزلة فعل عطف عليه فعل لموافقته له[(٢)] في المعنى، ويدلك أنه بمنزلة فعل قوله ﴿**والشمس والقمر**﴾ بالنصب، ألا ترى أنه لما كان المعنى في (جاعل) جعل نصب الشمس والقمر، لأن الليل في موضع نصب في المعنى، فرد الشمس والقمر على معناه[(٣)] وأما «الحسبان»: فهو مصدر كالحساب، يقال: حسبت أحسب حساباً وحسباناً[(٤)] وقال الأخفش وأبو عبيدة[(٥)] والمبرد: هو جمع حساب كركاب وركبان، وشهاب، وشهبان. ومعنى ﴿**والشمس والقمر حسباناً**﴾ أي: بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما[(٦)] ﴿**وذلك تقدير العزيز**﴾ في ملكه يصنع ما أراد ﴿**العليم**﴾ بما قدر من خلقهما.

- قوله[(٧)] ﴿**وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**﴾ وذلك أن راكبي البحار وسالكي[(٨)] القفار إنما يهتدون في الليل لمقاصدهم بالنجوم لولاها لضلوا ولم يهتدوا. ﴿**قد فصلنا الآيات**﴾ بينا الدلائل على قدرتنا ﴿**لقوم يعلمون**﴾.

- ﴿**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة**﴾ يعني :آدم ﴿**فمستقر ومستودع**﴾ قال ابن الأنباري[(٩)]: أراد[(١٠)] فلكم مستقر ومستودع. قال ابن عباس: مستقر في الرحم، ومستودع في الصلب[(١١)]. وقال كريب: كتب حبر تيماء إلى ابن عباس يسأله عن هذه الآية، فكتب إليه: المستودع: الصلب، والمستقر: الرحم[(١٢)].

---

(١) سورة يونس/ ٦٧.

(٢) في (د) لموافقته في المعنى.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وجعل) وحجتهم: أن الأفعال التي عطفت عليه جاءت بلفظ الماضي، وهو قوله ـ بعدها ـ ﴿**وهو الذي جعل لكم النجوم**﴾، ﴿**وهو الذي أنشاكم**﴾ ﴿**وهو الذي أنزل**﴾ فلأن تكون معطوفة على شبهها ويكون ما تقدمها جرى بلفظها أولى.
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (وجاعل) ـ بالألف ـ (الليل) ـ بالكسر ـ وحجتهم: قوله (فالق الإصباح) فأجروا (جاعل الليل) على لفظ ما تقدمه إذا أتى في سياقه.
ونصبوا (والشمس والقمر) على تأويل: وجعل الشمس والقمر حسباناً.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٢، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/ ٢٦٠، والتبيان ١/ ٥٢٣ والزجاج ٢/ ٢٠١، والحجة لابن خالويه ١٤٦).

(٤) انظر اللسان/ حسب عن التهذيب للأزهري، واللسان/ حسب عن أبي العباس.

(٥) في (و) أبو عبيد، وانظر الأخفش ٢/ ٤٩٨، وفتح القدير ٢/ ١٤٢ عن الأخفش، ومجاز القرآن ١/ ٢٠١، ٢/ ٢٤٢ واللسان/ حسب عن الأخفش وأبي الهيثم، والرازي ١٣/ ٩٩. عن أبي الهيثم، والزاهر ٢/ ٨٢ ـ ٨٣.

(٦) في (د) قوله.

(٧) في (د) قوله تعالى.

(٨) في (و) وساكني.

(٩) انظر الزاهر ١/ ٢٧٦، والزجاج ٢/ ٣٠٢، وفتح القدير ٢/ ١٤٣، والحجة لأبي زرعة ٢٦٢ عن الزجاج.

(١٠) ساقطة من (و).

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والرازي ١٣/ ١٠٣، والطبري ٧/ ١٩١، والدر ٣/ ٣٦، وابن كثير ٢/ ١٥٩، وفتح القدير ٢/ ١٤٦، والمستدرك ـ كتاب التفسير وصححه ـ ٢/ ٣١٦ كلها عن ابن عباس.

(١٢) انظر تفسير الطبري ٧/ ١٩٢، والرازي ١٣/ ١٠٣ كلاهما عن كريب.

وأما من كسر القاف[1]، فقال العوفي: كل مخلوق قد فرغ من خلقه فهو المستقر الذي قد خلق واستقر[2] في الرحم، والمستودع: قد استودع في الصلب. [وقال عكرمة[3]: المستقر: الذي قد خلق واستقر في الرحم، والمستودع: الذي قد استودع في الصلب[4]].

والتقدير على هذه القراءة: فمنكم مستقر ومستودع، والمستقر ـ بفتح القاف ـ اسم للمكان، وهو بمعنى المقر، وبكسر القاف بمعنى القار، يقال: قر مكانه واستقر. والمستودع مثل المودع، يقال: استودعته الشيء وأودعته، وهو الإنسان المودع في الصلب.

أخبرنا الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا شعيب بن محمد البيهقي، أخبرنا مكي بن عبدان، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا روح، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، وأبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس[5]: هل تزوجت؟ قلت: لا. قال: أما إنه ما كان من مستودع في ظهرك فسيخرجه الله تعالى.

ـ قوله ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماءً**﴾ يعني: المطر ﴿**فأخرجنا به نبات كل شيء**﴾ لأن كل ما ينبت فنباته بالماء ﴿**فأخرجنا منه خضراً**﴾ «الخضر»؛ مثل الأخضر، كالعور مثل الأعور. يعني: ما كان رطباً أخضر مما ينبت من القمح والشعير وغيرهما. ﴿**نخرج منه**﴾ من الخضر﴿**حباً متراكباً**﴾ بعضه على بعض في سنبلة واحدة. قوله[6] ﴿**ومن النخل من طلعها**﴾ وهو أول منها من العذق[7] ﴿**قِنوان دانية**﴾ قال قتادة[8]: عذوق متدلية، وهي جمع قنو، وإذا ثنيت قلت: قنوان ـ بكسر النون ـ قاله أبو عبيدة، ثم جاء جمعه على لفظ الاثنين، مثل صِنو وصِنوان[9]، والإعراب في النون للجمع، وليس لهما في كلام العرب نظير، ومعنى ﴿**دانية**﴾: تدنو[10] ممن يجتنيها.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (فمستقِر) ـ بكسر القاف ـ جعلا الفعل له، أي: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، تقول: قر الشيء يقر واستقر يستقر بمعنى واحد، وحجتهم ذكرها اليزيدي ـ بقوله: فمستقر في الرحم، يعني الولد، ومستودع في أصلاب الرجال.
وعن الحسن البصري قال: مستقر في القبر ومستودع في الدنيا يوشك أن يلحق بصاحبه.
وقال الزجاج: وجائز أن يكون (فمستقر) أي فمنكم مستقر في الأحياء ومنكم مستودع في الثرى فجعل أبو عمرو «المستقر» فاعلا و«المستودع» مفعولاً.
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (فمستقَر) ـ بفتح القاف ـ وحجتهم: إجماع الجميع على فتح الدال في «مستودع» على معنى: أن الله استودعه، فكذلك «مستقر» موجه إلى أن الله أستقره في مقره فهو مستقر كما هو مستودع في مستودعه، وقوله (ويعلم مستقرها ومستودعها) يشهد بالفتح. (وانظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٢ ـ ٢٦٣، والسبعة ٢٦٣، والنشر ٢/٢٦٠، والتبيان ٢/٥٢٣ ـ ٥٢٤، والزجاج ٢/٣٠١ ـ ٣٠٢، والفراء ١/٣٤٧، والمشكل ١/٢٦٣، والحجة لابن خالويه ١٤٦).
(٢) في (و) فاستقر.
(٣) انظر تفسير الطبري ٧/١٩١ عن عكرمة.
(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ،و).
(٥) انظر تفسير الطبري ٧/١٩١، ١٩٣، والمستدرك ٢/١٦٠، والدر ٣/٣٦ كلها عن سعيد.
(٦) في (و) وقوله.
(٧) ذكره ابن منظور في اللسان/ طلع
(٨) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والطبرى ٧/١٩٥، والدر ٣/٣٦ كلاهما عن قتادة، والزجاج ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٩) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٢، والزجاج ٢/٣٠٢ والأخفش ٢/٤٩٩، والطبري ٧/١٩٤ وغريب القرآن ١٥٧، وفي اللسان/قنو «وفي الحديث: أنه خرج فرأى أقناء معلقة، منها قنو حشف، القنو: العذق بما فيه من الرطب وجمعه أقناء.. عن أبي حنيفة: والجمع أقناء وقنوان وقنيان.. ومن قال قنو فإنه يقول للاثنين قِنوان ـ بالكسر ـ والجمع قُنوان ـ بالضم ـ ومثله صنو وصنوان».
(١٠) في (د) تدنوا ومن.

قال الزجاج[1]: ولم يقل: منها قنوان بعيدة اكتفاء[2] بذكر القريبة، كما قال: ﴿سرابيل[3] تقيكم الحر﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي ﴿قنوان دانية﴾ يعني: قصار النخل اللاصقة عذوقها بالأرض[4].

وقوله ﴿وجنات من أعناب﴾ الوجه كسر التاء، لأنها في موضع نصب نسقاً على قوله ﴿خضراً﴾ أي: فأخرجنا خضراً وجنات من أعناب، ومن رفع فقال[5] ابن الأنباري: رفعت بمضمر بعدها تأويله: وجنات من أعناب[6] أخرجناها، فجرى مجرى قول العرب أكرمت عبد الله وأخوه، يريدون: وأخوه أكرمته أيضاً [7].

وقوله[8] ﴿والزيتون والرمان﴾ يعني: وشجر الزيتون وشجر الرمان ﴿مشتبهاً وغير متشابه﴾ قال المفسرون: مشتبهاً ورقهما[9] مختلفاً ثمرهما[10] ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾أنظروا إليه أول ما يعقد نظر استدلال واعتبار، و «الثمر» جمع ثمرة، ويجمع على ثمار[11] أيضاً وثمر مثل خشبة وخُشب وأكمة وأكم. [﴿وينعه]﴾ و «الينع»: النضج، يقال: ينع ينيع ـ بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل ـ ويقال أيضاً ـ بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل[12].
وقوله ﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ قال ابن عباس[13]: يصدقون أن الذي يخرج هذا النبات قادر على أن يحيي الموتى.

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا

(١) انظر الزجاج ٢/٣٠٣، وغرائب النيسابوري ٧/٢٠٠ ـ ٢٠١، وفتح القدير ٢/١٤٤ كلاهما عن الزجاج.
(٢) في (و) اكتفى.
(٣) سورة النحل/٨١، وفي (حـ) وسرابيل.
(٤) انظر تفسير الطبري ٧/١٩٥، والدر ٣/٣٦، وفتح القدير ٢/١٤٦ كلها عن ابن عباس.
(٥) في (د) قال ابن الأنباري.
(٦) في (د) من أعناب ومن رفع قال أي آخر جناها.
(٧) قرأ محمد بن أبي ليلى والأعمش وأبو بكر في رواية عنه عن عاصم (وجناتٌ) ـ بالرفع ـ قال الفراء: ولو رفعت «الجنات» تتبع «القنوان» كان صواباً.. وجهت على أنه مبتدأ محذوف الخبر.
وقرأ الباقون ـ بالنصب ـ نسقاً على قوله (خضرا).. (انظر الحجة لأبي زرعة ٤٦٤، والتبيان ١/٥٢٥، والبحر ٤/١٩٠، والحجة لابن خالويه ١٤٦، واختار الزجاج ـ النصب ٢/٣٠٣ وكذا الطبري ٧/١٩٥ وانظر القرطبي ٧/٤٩. وانظر الطبري ٧/١٩٥ عن الكسائي، والبحر ٤/١٩٠ وفتح القدير ٢/١٤٤ كلاهما عن سيبويه والكسائي والفراء).
(٨) في (د) قوله.
(٩) في(حـ،د) ورقها.. وثمرها، وفي (و)مشتبهاً ثمرهما مختلفاً ورقهما، وانظر تفسير الطبري ٧/١٩٥، والدر ٣/٣٦، وفتح القدير ٢/١٤٤، ١٤٦ كلها عن قتادة، وابن كثير ٢/١٥٩ عن قتادة وغيره.
(١٠) في (حـ،د) قوله.
(١١) في (د) أثمار.
انظر اللسان:/ ثمر، والمصباح/ ثمر ـ ومفردات الراغب/ ثمر «والجمع ثمار وثمرات وثمر».
(١٢) وانظر اللسان/ ينع، والمصباح/ ينع، ومفردات الراغب/ ينع، ومجاز القرآن ١/ ٢٠٢، ١/٢٠٧ وابن كثير ٢/١٥٩.
(١٣) ذكره الخازن ٢/١٦٥، وانظر الطبري ٧/١٩٧، وابن كثير ٢/١٦٠.

تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

ـ قوله ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ المراد بـ «الجن» هاهنا: الشياطين قال الحسن[١]: أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان فيجعلوهم شركاء لله. وتقدير الآية: وجعلوا الجن شركاء لله. ويجوز أن يكون «الجن» بدلاً من الشركاء مفسراً لها.

وقوله ﴿وخلقهم﴾ يجوز أن تكون الكناية عن هؤلاء الذين جعلوا لله شركاء، والمعنى إن الله خلقهم ثم جعلوا له شركاء لا يخلقون ويجوز أن تعود الكناية على «الجن» فيكون المعنى: والله خلق الجن فكيف يكون شركاء لله[٢]؟.

وقوله ﴿وخرقوا له بنين وبنات﴾ قال الفراء[٣]: معنى «خرقوا»: افتعلوا ذلك كذباً وكفرا وخرقوا واخترقوا، وخلقوا واختلقوا بمعنى واحد، يقال: خلق فلان الكلمة واختلقها، وخرقها واخترقها، إذا افتعلها وابتدعها كذباً[٤].

وقرأ نافع (وخرّقوا) ـ مشددة ـ والتشديد للمبالغة والتكثير[٥]. قال المفسرون:[٦] إن كفار العرب قالوا: الملائكة[٧] بنات الله، وزعمت النصارى بأن المسيح ابن الله، واليهود أن عزيراً ابن الله، فأعلم الله أنهم اختلقوا ذلك ﴿بغير علم﴾ أي: لم يذكروه، وإنما تكذباً[٨].

ـ قوله ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد، ولا يكون الولد إلا من صاحبة؟[٩] ﴿ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء﴾ أي: أنه خالق كل شيء، وخالق الأشياء لا مثل له، والولد لا يصح إلا مع المماثلة، ومن لا يصح أن يكون له مثل لا يصح أن يكون له ولد. ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ لأنه هو الخالق له.

ـ وقوله[١٠] ﴿ذلكم الله﴾ أي: ذلك الذي خلق كل شيء وعلم كل شيء ﴿ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ قال ابن عباس[١١]: فأطيعوه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ بالحفظ له والتدبير فيه.

ـ قوله ﴿لا تدركه الأبصار﴾ «الإدراك»: الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته، وهو غير الرؤية، لأنه يصح أن يقال: رآه وما أدركه[١٢]. فالأبصار[١٣] ترى الباري ـ عز وجل ـ ولا تحيط به، كما أن القلوب تعرفه ولا تحيط به قال تعالى ﴿ولا يحيطون به علماً﴾[١٤].

(١) انظر تفسير البغوي ٢/١٦٥ وغريب النيسابوري ٧/٢٠٣ كلاهما عن الحسن وغيره، والزجاج ٢/٣٠٤، وفتح القدير ٢/١٤٧، والبحر ٤/١٩٣ عن الحسن.

(٢) في (و) له. وانظر في ذلك معاني الزجاج ٢/٣٠٤، وغرائب النيسابوري ٧/٢٠٣ ـ ٢٠٤، والبحر ٤/١٩٣.

(٣) انظر الفراء ١/٣٤٨، والرازي ١٣/ ١١٧ عن الفراء، والزجاج ٢/٣٠٥، وغريب القرآن ١٥٧، ومجاز القرآن ١/٢٠٣، والطبري ٧/١٩٧، واللسان/ خرق عن الفراء.

(٤) انظر اللسان/ خرق.

(٥) انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٤، والسبعة ٢٦٤، والنشر ٢/١٦١، والتبيان ١/٥٢٦، والحجة لابن خالويه ١٤٧، واللسان/ خرق.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٤٧، والزجاج ٢/٣٠٥، وابن كثير ٢/١٦٠، والدر ٣/٣٧ عن السدي وقتادة والبحر ٤/١٩٣.

(٧) في (حـ) للمليكة، وفي (د) للملايكة بنات الله وزعموا.

(٨) في (حـ،د) كذباً.

(٩) في (د) الصاحبة.

(١٠) في (حـ،د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١١) انظر تفسير الطبري ٢/١٦٦، واللسان/ عبد.

(١٢) في (د) وما أدركه الأبصار، وانظر البحر ٤/١٩٥، واللسان/ بصر.

(١٣) في (حـ) والأبصار.

(١٤) سورة طه/ ١١٠.

قال ابن عباس في رواية عطاء: كلّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به[1] وقال سعيد بن المسيب: لا تحيط به الأبصار.

وعلى هذا التفسير نقول: إن الباري سبحانه يُرى ولا يُدرك، لأن معنى الإدراك: الإحاطة بالمرئي، وإنما يجوز ذلك على من كان محدود وله جهات.

وذهب جماعة من أهل التفسير إلى تخصيص هذه الآية، قال ابن عباس في رواية أبي صالح:[2] تنقطع عنه الأبصار في الدنيا. وقال مقاتل: لا تراه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة[3].

والدليل على أن هذه[4] الآية مخصوصة بالدنيا: قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[5] فقيد[6] النظر إليه بيوم القيامة وأطلق في هذه، والمطلق يحمل على المقيد.

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا أبو بشر محمد بن عمران بن الجنيد [7]، حدثنا أبو بكر الصفّار [8]، حدثنا عباد بن صهيب [9]، عن عمرو، عن الحسن في قوله ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ قال: في الدنيا[10].

وقال الحسن[11]: يراه أهل الجنة في الجنة، واحتج بقوله تعالى﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال: ينظرون إلى وجه الله عز وجل[12]. وقوله ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾ أي: يراها وهي لا تراه مع رؤيته إياها، وهذا الله تعالى لأنه[13] يَرى ولا يُرى.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٦١ عن ابن عباس، والبغوي ٢/١٦٨ عن عطاء.
انظر تفسير البغوي ٢/١٦٨، والخازن ٢/١٦٦، والبحر ٤/١٩٥ كلها عن سعيد، والزجاج ٢/٣٠٦ والطبري ٧/١٩٩ عن ابن عباس وعطية، وابن كثير ٢/١٦١ عن عطية وعكرمة، والدر ٣/٣٧ عن ابن عباس.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والبغوي ٢/١٦٨ عن ابن عباس، وابن كثير ٢/١٦١ عن إسماعيل بن علية.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢/١٦٨ عن مقاتل.

(٤) في (د) الدليل على هذه.

(٥) سورة القيامة/ ٢٢ ـ ٢٣ وفي (د) ناضرة.

(٦) في (د) فقيدوا.

(٧) في (د) أبو بشير، لم أقف عليه.

(٨) في (حـ،و) أبو بكر البصري الصفار، وفي (د) النصري.
ولعله: أبو حفص عمر بن يزيد السياري البصري الصفار المتوفي سنة ٢٤٠هـ. روى عن عباد بن العوام وعبد الوهاب الثقفي وابن أبي عدي وطائفة وعنه أبو داود وعبدان الأهوازي وبقي بن مخلد وكثيرون وثقه أهل الحديث (تهذيب التهذيب ٧/٥٠٥).

(٩) عباد بن صهيب البصري أحد المتروكين عن هشام بن عروة والأعمى قال ابن المديني: ذهب حديثه وقال البخاري والنسائي وغيرهما: متروك وقال ابن حبان: كان قدريا داعية. (الميزان ٢/٢٦٧).

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٦١ عن إسماعيل بن علية وهشام بن عبد الله، والدر ٣/٣٧، وفتح القدير ٢/١٤٩ كلاهما عن الحسن وإسماعيل بن علية.

(١١) انظر الدر ٣/٣٧ عن الحسن.

(١٢) في (د) وقال ينظرون إلى وجه الله تعالى، قوله.

(١٣) في (د) لا.

وإنما خص ﴿الأبصار﴾ بإدراكه إياها مع أنه يدرك كل شيء للمعنى الذي ذكرنا، لأن غير الله تعالى لا يجوز أن يرى البصر ولا يراه البصر.

وقوله[١] ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ قال الأزهري[٢]: معناه الرفيق بعباده. وروى عمرو بن أبي عمرو[٣] عن أبيه قال: اللطيف: الذي يوصل إليك إربك في رفق، يقال: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب برفق قال ابن عباس ﴿وهو اللطيف﴾ بأوليائه ﴿الخبير﴾ بهم[٤].

قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾

ـ قوله[٥] ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ «البصائر»: جمع البصيرة، وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به[٦]. قال الكلبي[٧]: يعني بينات القرآن[٨] ﴿فمن أبصر فلنفسه﴾ فمن صدق القرآن وآمن بمحمد ﷺ فلنفسه عمل ﴿ومن عمي﴾ عن الحق ولم يصدق ﴿فعليها﴾ فعلى نفسه جنى العذاب، لأن الله غني عن خلقه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ قال الحسن: أي برقيب[٩] على أعمالكم حتى أجازيكم بها. قال الزجاج[١٠]: أي لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم. وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أمر بالقتال صار حفيظاً عليهم.

ـ قوله ﴿وكذلك نصرف الآيات﴾ قال ابن عباس[١١]: نبين الآيات في القرآن في كل وجه يدعوهم بها ويخوفهم. ﴿وليقولوا درست﴾ قال ابن الأنباري[١٢]: هذا عطف على مضمر في المعنى، التقدير: يصرف الآيات ليلزمهم الحجة وليقولوا درست[١٣]. و «اللام» في ﴿وليقولوا﴾ لام العاقبة والصيرورة، لأن عاقبة تصريف الآيات أدت إلى هذا القول الذي قالوه، كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً﴾[١٤].

---

(١) في (د) قوله.

(٢) انظر البحر ٤/١٨٤ عن الأزهري، واللسان/ لطف، والبغوي ٢/١٦٨، والخازن ٢/١٦٨ كلاهما عن الزهري، وفتح القدير ٢/١٤٨.

(٣) عمرو بن أبي عمرو الشيباني ذكره الزبيدي في الطبقة الثالثة من اللغويين، وقال توفي سنة ٢٣١ هـ (بغية الوعاة ٢/٢٢٨).
وانظر اللسان/ لطف عن أبي عمرو، والبحر ٤/١٤٨ عن ابن الأعرابي.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢/١٦٨، والخازن ٢/١٦٨ كلاهما عن ابن عباس.

(٥) في (و) قوله تعالى.

(٦) انظر اللسان/ بصر.

(٧) قاله ابن عباس في تفسيره ص ١١٦، والبحر ٤/١٩٦ عن الكلبي.

(٨) في (ح،د) قوله.

(٩) أي رقيب، وانظر البحر ٤/١٩٧ عن الحسن.

(١٠) انظر الزجاج ٢/٣٠٧، وانظر البحر ٤/١٩٧، وفتح القدير ٢/١٤٩ كلاهما عن الزجاج.

(١١) ساقطة من (حـ،د).

(١٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والخازن ٢/١٦٨، واللسان/ درس عن ابن عباس.

(١٣) انظر تفسير الرازي ١٣/ ١٣٥، والبحر ٢/١٩٨، والقرطبي ٧/٥٨، وغرائب النيسابوري ٧/٢١١، والبيان ١/٣٣٤، وفتح القدير ٢/١١٤٩، والوجيز للواحدي ١/٢٥٥.

(١٤) سورة القصص /٨، وانظر الزجاج ٢/٣٠٧ ـ ٣٠٨، والتبيان ١/٥٢٨، والوجيز ١/٢٥٥.

ومعنى ﴿درست﴾: قرأت على غيرك، يقال: درست الكتاب أدرسه درساً ودراسة. قال ابن عباس ﴿وليقولوا﴾ يعني: أهل مكة حين يقرأ عليهم القرآن ﴿درست﴾ تعلمت من يسار[١] وجبر[٢] وقرأت علينا تزعم أنه من عند الله. وقال الفراء[٣]: تعلمت من يهود، وقال الزجاج[٤]: قرأت كتب أهل الكتاب.

ومن قرأ «دارسْتَ» فمعناه: قرأت على اليهود، وقرأوا عليك، وذاكرتهم حتى تعلمت منهم. وقرأ ابن عامر «دَرَسَتْ» أي: هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست تقادمت وانمحت[٥] من قولهم: درس الأثر يدرس دروساً.

وقوله[٦] ﴿ولنبيّنه لقوم يعلمون﴾ قال ابن عباس[٧]: يريد: أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد. قال ابن الأنباري[٨]: يعني: ان تصريف الآيات ليشقى[٩] بها قوم ويسعد آخرون فمن قال: درست ودارست فهو شقي، ومن تبين الحق فهو سعيد.

﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

ـ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أي: لو شاء الله لجعلهم مؤمنين ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ أي: لم تبعث

---

(١) يسار أبو فكيهة مولى صفوان بن أمية وكان النبي ﷺ إذا جلس مع المستضعفين خباب وعمار وأبي فكيهة يسار مولى صفوان وأشباههم هزئت منهم قريش (أسد الغابة ٥/٥١٨).

(٢) جبر: غلام نصراني عبد لابن الحضرمي، كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يجلس عند المروة عند مبيعة هذا الغلام وكان كفار مكة يقولون: والله ما يعلم محمداً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام ابن الحضرمي فأنزل الله في ذلك ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر...﴾ سورة النحل/ ١٠٣ ـ (سيرة ابن هشام ١/٤٢٠).
انظر تفسير ابن عباس ١١٦، والبغوى ٢/١٦٨ ـ ١٦٩ عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك، والبحر ٤/١٩٧ عن الضحاك.

(٣) انظر الفراء ١/٣٤٩، والبغوي ٢/١٦٩ عن الفراء.

(٤) انظر الزجاج ٢/٣٠٧.

(٥) في (حـ،و) انمحت وتقادمت، وفي (د) تقادمت ونمحت.
وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي (درسْت) ـ ساكنة السين بغير ألف ـ أي: قرأت، وتعلمت، أي: درست أنت يا محمد كتب الأولين وتعلمت من اليهود والنصارى، ـ وحجتهم: قراءة عبد الله (وليقولوا درس) دل على أن الفعل له وحده.
وقرأ أبو عمرو وابن كثير (دارست) ـ بألف ـ أي: ذاكرت أهل الكتاب.
وقرأ ابن عامر درسَت ـ بفتح السين وتسكين التاء ـ أي: درست هذه الأخبار التي تتلوها علينا، أي مضت وامحت.
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٤ ـ ٢٦٥، والنشر ٢/٢٦١، والتبيان ١/٢٥٨، والزجاج ٢/٣٠٧، والفراء ١/٣٤٩، والأخفش ٢/٤٩٩، والمشكل ١/٢٦٤، والمصاحف لابن أبي داود ٨٢، والمستدرك ٢/١٣٩، والحجة لابن خالويه ١٤٧).

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر تفسير البغوي ٢/١٦٩، والبحر ٤/١٩٨ كلاهما عن ابن عباس.

(٨) ذكره الخازن ٢/١٦٩، والبغوي ٢/١٦٩.

(٩) في (د) ليشقا، وفي (أ) ليشقى بها قوماً.

لتحفظ المشركين من العذاب، إنما بعثت مبلغاً، فلا تهتم لشركهم، فإن ذلك بمشيئة الله تعالى.

ـ قوله[١] ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله..**﴾ الآية، قال قتادة[٢]: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك عليهم[٣]، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم قوماً جهلة لا علم لهم بالله. وقال الوالبي عن ابن عباس[٤]: قالوا يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله تعالى أن يسبوا أوثانهم ﴿**فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾ أي: ظلماً بالجهل، يقال: عدا فلان عدواً وعدواناً، أي: ظلم ظلماً جاوز القدر[٥].

وقال السدي وغيره[٦]: معناه لا تسبوا الأصنام فيسبوا من أمركم بما أنتم عليه من عيبها فيعود ذلك إلى الله، لأنهم [كان يصرحون بسب الله تعالى، لأنهم][٧] كانوا يقرون بأن الله خالقهم وإن أشركوا.

قوله[٨] ﴿**كذلك زينا لكل أمة عملهم**﴾ يعني: كما زينا[٩] لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، وكذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية.

قال ابن عباس: يريد؛ زينت لأوليائي وأهل طاعتي محبتي وعبادتي، وزينت لأعدائي وأهل معصيتي كفر نعمتي وخذلتهم حتى أشركوا[١٠].

وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

ـ قوله ﴿**وأقسموا بالله [جهد أيمانهم**﴾قال الكلبي ومقاتل[١١]: إذا حلف الرجل بالله[١٢]] فهو جهد يمينه. والمعنى: اجتهدوا في المبالغة في اليمين. ﴿**لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**﴾ سألت[١٣] قريش رسول الله ﷺ أن يأتيهم

---

(١) في (و) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير الطبري ٢٠٧/٧، وابن كثير ١٦٤/٢، والدر ٣٨/٣، واسباب النزول للواحدي ١٦٦ وللسيوطي ١٢١ كلها عن قتادة.

(٣) في (أ) عليهم ذلك.

(٤) انظر تفسير ابن كثير ١٦٤/٢، والدر ٣٨/٣، وفتح القدير ١٥١/٢، وأسباب النزول للواحدي ١٦٥ كلها عن ابن عباس.

(٥) في (و) الحد. وانظر الزاهر ٥٢٧/١، ومفردات الراغب/ عدا، واللسان/ عدا.

(٦) انظر تفسير ابن كثير ١٦٤/٢، والدر ٣٨/٣ كلاهما عن السدي.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ).

(٨) في (حـ،و) وقوله.

(٩) في (حـ،د) يعني زيناً.

(١٠) انظر تفسير القرطبي ٦١/٧ ـ ٦٢ عن ابن عباس.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١١٧، وغرائب النيسابوري ٢١٣/٧، والخازن ١٧١/٢ كلاهما عن الكلبي ومقاتل والبغوي ١٧١/٢ عن الكلبي ومجاهد.

(١٢) ما بين المعقوفتين مكرر في (د).

(١٣) في (و) وسألت.

=

بآية وحلفوا ليؤمنن بها، وسأل [١] المسلمون رسول الله ﷺ ذلك، وعلم الله أنهم لا يؤمنون، فقال تعالى **﴿قل إنما الآيات عند الله﴾** أي: إنه هو القادر على الإتيان بها متى شاء **﴿وما يشعركم﴾** أي: وما يدريكم إيمانهم، فحذف مفعول يشعركم. قال الزجاج[٢]: أي لستم تعلمون الغيب، ولا تدرون أنهم يؤمنون.

ثم استأنف فقال **﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾** ومن قرأ**﴿أنها﴾** ـ بالفتح ـ فهو بمعنى لعلها [كأنه قال: لعلها][٣] إذا جاءت لا يؤمنون[٤]، و «أن» بمعنى «لعل» كثير في كلامهم. تقول العرب: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلك، ذكر ذلك الخليل والفراء. قال الفراء[٥]: ويجوز على هذه القراءة أن تجعل **﴿لا﴾** صلة فيكون[٦] التقدير: وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون. والمعنى على هذا أنها إذا جاءت لم يؤمنوا، والخطاب للمؤمنين.

وقرأ حمزة **﴿تؤمنون﴾** ـ بالتاء ـ والخطاب على هذه القراءة في قوله **﴿وما يشعركم﴾** للكفار الذين أقسموا. وهو قول مجاهد، قال: وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت[٧].

ـ قوله **﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾** «التقليب والقلب»: واحد، وهو تحويلك الشيء عن وجهه ومعنى تقليب الأفئدة والأبصار: هو أن الواجب من مقتضى الآية أن يؤمنوا إذا جاءتهم الآية فعرفوها بقلوبهم ورأوها بأبصارهم، فإذا لم يؤمنوا كان ذلك بتقليب الله قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن يكون عليه، وهو معنى ما قاله المفسرون: نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم الآية فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات[٨]. وفي الآية محذوف تقديره: فلا[٩] يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة. والكناية في **﴿به﴾** يجوز أن تعود على القرآن، ويجوز أن تعود على النبي ﷺ. **﴿ونذرهم[١٠] في طغيانهم يعمهون﴾** قال عطاء: أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون[١١].

= انظر تفسير ابن عباس ١١٧، والزجاج ٢/٣٠٩ ـ ٣١٠، والطبري ٧/٢٠٩ ـ ٢١٠، والدر ٣/٣٩ كلاهما عن مجاهد ومحمد بن كعب، والفراء ١/٣٤٩ ـ ٣٥٠ وابن كثير ٢/١٦٤ عن محمد بن كعب، وأسباب النزول للواحدي ١٦٧، وللسيوطي ١٢١.

(١) في (د) وسألوا

(٢) انظر الزجاج ٢/٣١٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر (إنها إذا جاءت) ـ بكسر الألف ـ على الاستئناف، وقر الباقون (أنها..) ـ بالفتح ـ قال الخليل: «إن» معناها «لعل».
(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٥ ـ ٢٦٦، والسبعة ٢٦٥، والنشر ٢/٢٦١، والتبيان ١/٥٣٠ ـ ٥٣١، والزجاج ٢/٣١٠، ومجاز القرآن ١/٢٠٤، والفراء ١/٣٥٠، والأخفش ٢/٥٠١، والبيان ١/٣٣٤ ـ ٣٣٥ والحجة لابن خالويه ١٤٧).

(٥) انظر الزجاج ٢/٣١٠، والحجة لأبي زرعة، وغرائب النيسابوري ٧/٢١٣ كلها عن الخليل والفراء ١/٣٥٠، وفتح القدير ٢/١٥٢ عن الخليل والفراء.

(٦) من هنا سقط كبير في النسخة (و) ينتهي عند قوله: بالجر على تقدير: زين لكثير من المشركين(في تفسير الآية ١٣٧).

(٧) وقرأ الباقون (يؤمنون) إخباراً عنهم، وحجتهم قوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) ولم يقل: أفئدتكم (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٧، والسبعة ٢٦٥، والنشر ٢/٢٦١ ـ والحجة لابن خالويه ١٤٧) عن حمزة وابن عامر، وعن مجاهد.

(٨) انظر تفسير الطبري ٧/٢١٤ عن ابن زيد ومجاهد، والبغوي ٢/١٧٢ عن ابن عباس، وابن كثير ٢/١٦٥، والدر ٣/٣٩ كلاهما عن مجاهد، وفتح القدير ٢/١٥٢.

(٩) في (د) لا.

(١٠) في (د) وذرهم.

(١١) انظر تفسير البغوي ٢/١٧٢ عن عطاء، والدر ٣/٣٩ عن ابن عباس.

- قوله[١] ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون[٢] لك بالنبوة، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى[٣] نسألهم أحق ما تقول أم باطل، فقال الله عز وجل ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ كما سألوا[٤] ورأوهم عياناً ﴿وكلمهم الموتى﴾ فشهدوا لك بالنبوة ﴿وحشرنا[٥]﴾ جمعنا ﴿عليهم كل شيء﴾ في الدنيا ﴿قبلاً﴾ وقبلا أي: معاينة، يقال: لقيت فلاناً قُبُلا وقبِلا وقبيلاً[٦] ومقابلة، أي: مواجهة. قال أبو عبيدة والفراء والزجاج: أي معاينة [٧].

﴿وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ أخبر الله نبيه ﷺ بما سبق في علمه وقضائه من الشقوة عليهم وأنهم لا يؤمنون بالله تعالى، إلا أن يهديهم الله ويسهل ذلك عليهم، وهو معنى قوله ﴿إلا أن يشاء الله [٨] ولكن أكثرهم يجهلون﴾ لا يعلمون أنهم لو أوتوا[٩] بكل آية ما آمنوا.

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

- وقوله[١٠] ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً﴾ الآية، وقال المفسرون[١١] هذا تعزية للنبي ﷺ يقول: كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك[١٢] عدواً ليعظم ثوابه على ما يقاس آذاه. و﴿عدواً﴾ في معنى أعداء.

---

(١) في (د) قوله تعالى.

(٢) في (حـ،د) تشهد.

(٣) في (حـ) نسألهم حتى نسألهم.

(٤) في (حـ،د) شاؤا، وفي (أ) ورآهم انظر تفسير ابن عباس ١١٧، وغرائب النيسابوري ٨/٣، وفتح القدير ١٥٢/٢.

(٥) في (حـ،د) وحشرنا عليهم.

(٦) ساقطة من (د).

(٧) انظر مجاز القرآن ٢٠٤/١، والفراء ١/ ٥٠١، والزجاج ٣١١/٢، والرازي ١٥٠/١٣ وغرائب النيسابوري ٤/٨ كلاهما عنهم، والأخفش ٥٠١/٢، وغريب القرآن ١٥٨، والمشكل ٢٦٥/١، والتبيان ٥٣٢/١.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (قُبُلا) - مضمومة القاف والباء - جمع قبيل، قال الزجاج: ويجوز أن يكون قبلا جمع قبيل ومعناه الكفيل، وقال الفراء: ويجوز أن يكون قبلا من قبل وجوههم أي ما يقابلهم، والمعنى: لو حشرنا عليهم كل شيء فقابلهم.

وقرأ نافع وابن عامر (قِبَلا) - بكسر القاف وفتح الباء - أي عياناً.

(وانظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٧ - ٢٦٨، والسبعة ٢٦٦، والنشر ٢٦٢/٢، والتبيان ١/ ٥٣٢، والزجاج ٣١١/٢ والمشكل ٢٦٥/١، والفراء ٣٥١/١، والأخفش ٥٠١/٢).

(٨) ﴿إلا أن يشاء الله﴾: استثناء منقطع. (انظر التبيان ٥٣٢/١، والمشكل ٢٦٦/١).

(٩) في (د) أتو.

(١٠) في (حـ) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(١١) انظر الزجاج ٣١٢/٢، والطبري ٣/٨ - ٤، وفتح القدير ١٥٣/٢.

(١٢) في (د) ملك.

ثم فسر[1] العدو فقال ﴿شياطين الإنس والجن﴾ يعني: مردة الإنس والجن. و «الشيطان»: كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس[2]. قال قتادة ومجاهد والحسن[3]: إن من الجن شياطين ومن الإنس شياطين، وإن ـ الشيطان من الجن إذا أعياه المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس ـ وهو شيطان الإنس ـ فأغواه بالمؤمن ليفتنه. يدل على هذا ما روي أن النبي قال لأبي ذر: «هل تعوذت بالله من شر شياطين[4] الجن والإنس؟ قال: قلت: وهل للإنس من شياطين؟ قال: نعم، هم شر من شياطين الجن»[5]. [وقال مالك بن دينار[6]: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن][7]. وذلك أني إذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عياناً.

وقوله[8] ﴿يوحي بعضهم إلى بعض﴾ أي: يلقي ويسر إليه[9] ﴿زخرف القول﴾ باطله وكذبه، و «الزخرف»: الباطل من الكلام الذي زين بالكذب، يقال: فلان يزخرف كلامه، إذا زينه بالباطل والكذب[10].

والمعنى: ان هؤلاء الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم ويغرونهم[11] ﴿غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ ولو[12] شاء لمنعهم من الوسوسة ﴿فذرهم وما يفترون﴾ قال ابن عباس[13]: يريد ما زين لهم إبليس وغرهم به.

ـ قوله ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ «الصغو»: الميل، يقال:[14] صغا إلى كذا يصغو، إذا مال إليه. وقال ابن الأنباري[15]: فعلنا بهم ذلك لكي تصغى إلى الباطل أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة.

﴿وليرضَوْه﴾ وليرضوا الباطل من القول فيحبوه ﴿وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ أي: ليكتسبوا وليعملوا ما هم عاملون. والاقتراف: الكسب، يقال: إقترف ذنباً، أي: عمله[16].

---

(١) في (د) يحشر.

(٢) في (حـ،د) الإنس والجن، انظر تفسير الطبري ١/١١١، وغرائب النيسابوري ٨/٥ عن ابن عباس.

(٣) انظر غرائب النيسابوري ٨/٥ عنهم، وابن كثير ٢/١٦٦، والدر ٣/٤٠ كلاهما عن قتادة والفراء ١/٣٥١ وفتح القدير ٢/١٥٤ عن ابن عباس وقتادة.

(٤) في (أ) شيطان.

(٥) الحديث: سنن النسائي ـ كتاب الاستعاذة ـ باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس ٨/٢٧٥ وزوائد البزار ـ كتاب العلم ـ باب اغتنام خلوة العالم رقم ١٦٠ ١/٩٣ ومسند أحمد ٥/١٧٩، ٢٦٥، والطبراني في الكبير ٨/٢٥٨ ـ ٢٥٩، ومجمع الزوائد ـ كتاب العلم ـ باب السؤال للانتفاع وإن كثر «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ومداره على علي بن يزيد وهو ضعيف» ١/١٥٩.

وفي رواية أخرى «رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط وعند النسائي طرف منه، وفيه ـ المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط» ١/١٦٠.

(٦) انظر غرائب النيسابوري ٨/٥، والبحر ٤/٢٠٧ كلاهما عن مالك.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٨) في (د) قوله.

(٩) في (د) يلقي إليه ويسر، وانظر الزاهر ٢/٣٥٣.

(١٠) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٥، واللسان/ زخرف.

(١١) في (د) ويعرفهم.

(١٢) في (حـ) لو شاء، وفي (د) أي لو شاء.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٧، وغرائب النيسابوري ٨/٦ عن ابن عباس.

(١٤) في (أ) صغى، وفي (د) صغا كذا، وانظر اللسان/ صغا، ومجاز القرآن ١/٢٠٥، وغرائب النيسابوري ٨/٦، وابن كثير ٢/١٦٧، وفتح القدير ٢/١٥٤ كلاهما عن ابن عباس.

(١٥) انظر تفسير الخازن ٢/١٧٤ عن ابن الأنباري، وتفسير ابن عباس ١١٧، والطبري ٨/٦، وفتح القدير ٢/١٥٤.

(١٦) انظر غريب القرآن ١٥٨، والفراء ١/٣٥١، وفتح القدير ١٥٣ ـ ١٥٤ عن ابن عباس.

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

ـ قوله [(١)] ﴿أفغير الله أبتغي حكماً﴾ «الحكم، والحاكم» واحد، قال الكلبي والعوفي: قل لأهل مكة أفغير الله أطلب قاضياً بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ مبيناً فيه أمره ونهيه ﴿والذين ءاتيناهم الكتاب﴾ يعني: علماء أهل الكتاب ﴿يعلمون أنه﴾ أن القرآن ﴿منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ من الشاكين أنهم [(٢)] يعلمون ذلك.

ـ قوله[(٣)] ﴿وتمت كلمة ربك﴾ يعني: ما ذكر من وعد ووعيد وثواب وعقاب ومن قرأ على الواحد أراد الجمع أيضاً، و «الكلمة» تقع على الكثير، تقول العرب: قال زهير في كلمته يعنون قصيدته[(٤)].

وقوله[(٥)] ﴿صدقاً وعدلاً﴾ قال ابن عباس[(٦)]: يريد لا خلف لمواعيده، لا في أهل طاعته ولا في أهل معصيته وقال قتادة ومقاتل[(٧)] ﴿صدقاً﴾ فيما وعد ﴿وعدلاً﴾ فيما حكم. ﴿لا مبدل لكلماته﴾ قال ابن عباس[(٨)]: لاراد لقضائه،

---

(١) في (حـ،د) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٦٧، والخازن ٢/١٧٤، وفتح القدير ٢/١٥٥، والرازي ١٣/١٥٩.

(٣) في (د) قوله تعالى.

(٤) قرأ عاصم وحمزة والكسائي (وتمت كلمة ربك) ـ على التوحيد ـ وحجتهم: إجماع الجميع على التوحيد في قوله (وتمت كلمة ربك الحسنى) سورة الأعراف/ ١٣٧ ـ (وتمت كلمة ربك لأملان جهنم) سورة الأنعام/ ١١٥ ـ وقرأ الباقون ـ على الجمع ـ وحجتهم: أنها مكتوبة بالتاء فدل ذلك على الجمع وعلى أن الألف التي قبل التاء اختصرت في المصحف.

وأخرى: أن الكلمات جاءت بعدها بلفظ الجمع فقال (لا مبدل لكلماته) وفيها إجماع فكان الجمع في الأول أشبه بالصواب للتوفيق بينهما إذ كانا بمعنى واحد.

(انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٨، والسبعة ٢٦٦، والنشر ٢/٢٦٢، والحجة لابن خالويه ١٤٨).

(٥) في (د) قوله.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٧/٧١ عن ابن عباس، وغرائب النيسابوري ٨/٨، وفتح القدير ٢/١٥٥.

(٧) انظر تفسير الطبري ٨/٨، وابن كثير ٢/١٦٧، والدر ٣/٤٠، وفتح القدير ٢/١٥٦ كلها عن قتادة، والبغوي ٢/١٧٥ عن قتادة ومقاتل.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/١٧٥ عن ابن عباس، والخازن ٢/١٧٥.

ولا مغير لحكمه، ولا خلف لموعده ﴿وهو السميع﴾ لتضرع أوليائه ولقول أعدائه ﴿العليم﴾ بما في قلوب الفريقين.

ـ قوله[١] ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾ قال ابن عباس[٢]: يريد: الذين لبسوا على دينك، وهم أكثر من المؤمنين، إن تطعهم في أكل الميتة ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ دين الله الذي رضيه لك. ذلك أن المشركين جادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟[٣] ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ يريد: دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة وحجة ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يكذبون ويفترون.

ـ قوله ﴿إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله﴾ قال الزجاج: موضع «من» رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام[٤]. المعنى: إن ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله، وهذا قول الكسائي والفراء والمبرد أخبر الله تعالى أنه أعلم بالفريقين بالضالين عن سبيله والمهتدين، فيجازي كلاً بما يستحق.

ـ قوله ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ جواب لقول المشركين: تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ والمعنى: كلوا مما ذكر على اسم الله، والميتة لم تذبح على اسم الله، فلا يجوز أكلها. وقوله ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ تأكيد أن ما أباحه الشرع فهو طيب يحل تناوله.

ـ [٥] ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وأي شيء يقع لكم في ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ يعني: في قوله ﴿حرمت عليكم الميتة[٦]﴾ أي: بينت لكم المحرمات مفصلة مبينة فاتركوها وكلوا مما ذبح على اسم الله.

وقوله[٥] ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ أي دعتكم الضرورة لشدة المجاعة إلى أكله مما حرم. [٧] ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ أي: يضلون باتباع أهوائهم والمعنى: يضلون بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك مما لا شيء يوجبه في شرع، نحو السائبة والبحيرة ومما كان يفعله[٨] أهل الجاهلية.

ومن قرأ (ليضلون)[٩] ـ بضم الياء ـ أراد: عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين الذين اتخذوا البحائر

---

(١) في (حـ) وقوله.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٨.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، والزجاج ٢/٣١٤، والفراء ١/٣٠٢، والدر ٣/٤١ ـ ٤٢، وفتح القدير ٢/١٥٧ كلاهما عن ابن عباس، وأسباب النزول للواحدي ١٦٧، وللسيوطي ١٢٢.

(٤) انظر الزجاج ٢/٣١٤، والبحر ٤/٢١٠ عن الكسائي والمبرد والزجاج، والفراء ١/٣٥٢، والطبري ٨/٩، وفي (مَن) وجهان: أحدهما: هي بمعنى الذي، أو نكرة موصوفة بمعنى فريق، فعلى هذا تكون في موضع نصب بفعل دل عليه أعلم لا بنفس أعلم، لأن أفعل لا يعمل في الاسم الظاهر النصب، والتقدير: يعلم من يضل.
والوجه الثاني: أن (مَن) استفهام في موضع رفع مبتدأ و (يضل) الخبر والجملة نصب بـ (يعلم) المقدرة (انظر التبيان ١/٥٣٤ ـ ٥٣٥، والمشكل ١/٢٦٦ ـ ٢٦٧، وغرائب النيسابوري ٨/٩، والبحر ٤/٢١٠).

(٥) في (د) قوله.

(٦) سورة المائدة/ ٣.

(٧) في (حـ،د) قوله.

(٨) في (أ) ومما تأكلون بفعله.

(٩) في (د) ليضلوا.
قرأ حمزة وعاصم والكسائي (لَيُضلون) ـ بفتح اللام وضم الياء ـ وحجتهم في وصفهم بالإضلال أن الذين أخبر الله عنهم بذلك قد ثبت لهم أنهم ضالون بما تقدم من وصفه جل وعز إياهم بالكفر به قبل أن يصفهم بالإضلال، فلا معنى إذا لوصفهم بالضلال وقد تقدم أنهم=

والسوائب. قال الزجاج[١]: يعني الذين يحلون الميتة ويناظرونكم في إحلالها. **﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾** يعني: المجاوزين الحلال إلى الحرام.

ـ قوله **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾** أكثر المفسرين[٢]: على أن **﴿ظاهر الإثم﴾** الإعلان بالزنا، **﴿وباطنه﴾** الاستسرار به. قال ابن عباس: كانت العرب يحبون الزنا، وكان الشريف يتشرف أن يزني فيستر ذلك، فحرم الله الزنا فقال **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾**[٣].

وقال آخرون: هذا عام في كل إثم، قال مجاهد: يعني: معصية الله في السر والعلانية وهذا قول قتادة. وقال ابن الأنباري: يريد: وذروا الإثم من جميع جهاته، وقال الزجاج: الذي يدل عليه الكلام: اتركوا الإثم ظهر أو بطن، أي: لا تقربوا ما حرم عليكم سراً ولا جهراً[٤]. ثم أوعد على فعل الإثم[٥] بالجزاء فقال **﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾**.

ـ قوله **﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾** قال ابن عباس: يريد الميتة والمنخنقة. إلى قوله **﴿وما ذبح على النصب﴾**[٦]. وقال الكلبي: يعني ما لم يذك، أو ذبح[٧] لغير الله، وقال عطاء: نهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان[٨].

قوله **﴿وإنه لفسق﴾** يعني: وإن أكل مما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة لفسق، أي: خروج عن الحق والدين **﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوهم﴾** أي: يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل وهو ما ذكر من أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة. قال ابن عباس[٩]: أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس: كيف

= ضالون فكان وصفهم بأنهم يضلون يأتي بفائدة غير ما تقدم من وصفهم في الكلام الأول. وأخرى: جاء في التفسير أنها نزلت في قوم مشركين. وقرأ أهل الحجاز والشام والبصرة (لَيَضلون) ـ بفتح الياء ـ أي ليضلون هم، وحجتهم: قوله **﴿إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾** ـ سورة النحل/ ١٢٥ ـ وقوله **﴿وأولئك هم الضالون﴾** ـ سورة آل عمران/ ٩٠ ـ وصفهم بالضلال لا بالإضلال. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٦٩ ـ ٢٧٠، والسبعة ٢٦٧، والنشر ٢٦٢، والحجة لابن خالويه ١٤٨).

(١) انظر الزجاج ٢/٣١٥، وغرائب النيسابوري ٨/١٠ عن الزجاج، وتفسير ابن عباس ١١٨.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، والزجاج ٢/٣١٥، والطبري ٨/١١ عن الضحاك، وغريب القرآن ١٥٩، والفراء ١/٣٥٢، وابن كثير ٢/١٦٨ عن السدي.

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والدر ٣/٥٥ عن ابن عباس.

(٤) انظر تفسير الطبري ٨/١١، والدر ٣/٤٢ كلاهما عن مجاهد وقتادة والربيع، وابن كثير ٢/١٦٨ عن مجاهد وقتادة وغرائب النيسابوري ٨/١٠ عن ابن الأنباري، والزجاج ٢/٣١٥ ـ ورجحه.

(٥) في (د) على فعل ذلك بالجزاء وقال.

(٦) سورة المائدة/٣.

وانظر تفسير البغوي ٢/١٧٧، والدر ٣/٤٢ كلاهما عن ابن عباس.

(٧) في (د) يذبح، وانظر تفسير القرطبي ٧/٧٤، وابن كثير ٢/١٦٩ كلاهما عن ابن عباس، والزجاج ٢/٣١٥.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨/١٥، وابن كثير ٢/١٦٩، والدر ٣/٤٢، والبحر ٤/٢١٢ كلها عن عطاء.

(٩) رواه الترمذي ـ كتاب التفسير ـ باب من سورة الأنعام ـ رقم ٥٠٦٤ «حسن غريب» ٤/٣٢٨ ـ ٣٢٩ وسنن البيهقي ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب سبب نزول قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ٩/ ٢٤٠ ـ ٢٤١، والمستدرك ٤/ ١١٣، ٢٣١، والطبري ٨/ ١٣، والدر ٣/٤٢، والزجاج ٢/٣١٦ كلهم عن ابن عباس.

تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل، وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وإن أطعتموهم﴾ يعني: في استحلال الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾

قال الزجاج[١] وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحلّ الله فهو مشرك. **فإن قيل**: كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم؟ قلنا: إن المفسرين فسروا ﴿ما لم يذكر اسم الله عليه﴾ في هذه الآية بالميتة، ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم [إذا ترك التسمية. وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة منها قوله ﴿وإنه لفسق﴾ ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم] [٢] التارك للتسمية، ومنها قوله﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم[٣]﴾ والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع من المفسرين، لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين، ومنها قوله ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ والشرك: استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها[٤].

وقد أخبرنا أبو منصور المنصوري[٥]، أخبرنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا عبد الباقي بن قانع[٦]، حدثنا محمد بن نوح العسكري[٧]، حدثنا يحيى بن يزيد الأهوازي[٨]، حدثنا أبو همام[٩].عن مروان بن سالم[١٠]، عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: «سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله، فقال النبي ﷺ اسم الله على فم[١١] كل مسلم»[١٢].

وأخبرنا أبو منصور، أخبرنا علي،حدثنا[١٣] الحسين بن إسماعيل المحاملي،حدثنا أبو حاتم الرازي[١٤]، حدثنا

---

(١) انظر الزجاج ٣١٦/٢، وغرائب النيسابوري ١١/٨، والبغوي ١٧٨/٢ كلاهما عن الزجاج.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(٣) في (د) ليجادلوهم.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، وابن كثير ١٧١/٢ عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والدر ٤٢/٣ عن ابن عباس، والبحر ٢١٢/٤.

(٥) في (د) منصور سبق.

(٦) عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ العالم المصنف أبو الحسين الأموي مولاهم البغدادي صاحب معجم الصحابة كان واسع الرحلة كثير الحديث قال البرقاني: البغداديون يوثقونه وهو عندي ضعيف قال الدارقطني كان يحفظ ولكنه يخطيء ويصر (٢٦٥ ـ ٣٥١هـ) (تذكرة الحفاظ ٨٨٣/٣).

(٧) محمد بن نوح الحافظ أبو الحسن الجنديسابوري روى عن الحسن بن عرفة وغيره وعنه الدارقطني وغيره توفي سنة ٣٣١هـ (شذرات الذهب ٢٩١/٢).

(٨) يحيى بن يزيد الأهوازي محمد بن الزبرقان ـ روى حديثاً في أكل الطين لم يصح، والرجل لا يعرف. (الميزان ٤١٤/٤).

(٩) أبو همام الأهوازي: محمد بن الزبرقان روى عن سليمان التيمي وموسى بن عبيدة وعبد الله بن عون ويونس بن عبيد وغيرهم وعنه ابن المديني وبندار قال ابن المديني: ثقة وقال البخاري: معروف الحديث (تهذيب التهذيب ١٦٦/٩).

(١٠) مروان بن سالم الغفاري أبو عبد الله الشامي الجزري مولى بني أميه روى عن الأعمش والأوزاعي وابن جريج وغيرهم وعنه أبو همام محمد بن الزبرقان وغيره قال أحمد والعقيلي: ليس بثقة، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال الساجي: كان يضع الحديث أبو همام عن رواية ابن سالم عن مروان بن سالم عن الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة «الحديث» (تهذيب التهذيب ٩٣/١٠ ـ ٩٤، والميزان ٩٠/٤ ـ ٩١).

(١١) لم أطلع على هذه الكلمة فيما راجعت من كتب الحديث.

(١٢) الحديث: سنن البيهقي ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته ٢٤٠/٩، والدارقطني ٢٩٥/٤، ومجمع الزوائد «رواه الطبراني» وفيه مروان بن سالم وهو متروك ٣٠/٤ كلهم من حديث أبي هريرة.

(١٣) في (أ) علي بن الحسن.

(١٤) أبو حاتم الرازي: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الحافظ الكبير قال النسائي: ثقة، قال الخطيب: كان أحد =

محمد بن يزيد، حدثنا معقل عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «المسلم يكفيه اسمه وإن نسي أن يسمي حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل»[١].

وأخبرنا عمرو بن أبي عمرو، أخبرنا محمد بن مكي، أخبرنا محمد بن يوسف أخبرنا محمد بن إسماعيل[٢]، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا محمد عبد الرحمن الطفاوي[٣]، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: «أن قوماً قالوا: يا رسول الله[٤]، إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا، فقال النبي ﷺ: سموا الله عليه وكلوا»[٥].

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

ـ قوله[٦] ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه﴾ يعني: كافراً ضالاً[٧] فهديناه ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ يعني: ديناً وهدى وإيماناً، قال قتادة: «النور» هاهنا كتاب الله بينة من الله عز وجل مع المؤمن بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي[٨]. [٩] ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ أي: كمن هو في الظلمات، و «المثل» صلة، يعني: الكافر يكون في

= الأئمة الحفاظ الأثبات توفي سنة ٢٧٧ هـ، (تهذيب التهذيب ٩/٣١ ـ ٣٢).

(١) الحديث: سنن البيهقي ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته ٩/٢٣٩، ومصنف عبد الرزاق ٤/٤٧٩.

(٢) الإمام البخاري.

(٣) محمد بن عبد الرحمن الطفاوي شيخ مشهور ثقة روى عنه أحمد بن حنبل والناس قال ابن معين ما به بأس، وقال أبو حاتم: منكر الحديث، وكذا قال أبو زرعة، ووثقه ابن معين توفي سنة ١٨٧ (الميزان ٣/٦١٨).

(٤) في (د) يا رسول الله ﷺ . . . أذكر.

(٥) الحديث: رواه البخاري في الصحيح ـ كتاب البيوع ـ باب من لم ير الوساوس ونحوها من الشبهات ٢/٤، وأبو داود ـ كتاب الأضاحي ـ باب ما جاء في أكل اللحم لا يدري أذكر اسم الله عليه أم لا ٢٨٢٩ ـ ٣/١٠٤ وسنن البيهقي ـ كتاب الصيد والذبائح ـ باب من ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته ٩/٢٣٩.

(٦) في (حـ) وقوله.

(٧) في (حـ،د) ضالا وكافرا.

انظر فتح القدير ٢/١٥٩ عن ابن عباس قال: كان كافرا ضالا فهديناه.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨/١٨، والدر ٣/٤٣ ـ ٤٤ كلاهما عن قتادة.

(٩) في (د) قوله.

ظلمات الكفر والضلالة ﴿ليس بخارج منها﴾ ليس بمؤمن أبداً. وقال زيد بن أسلم[١]: نزلت في عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه[٢] ـ وأبي جهل ـ لعنه الله ـ.

وقال الحسن[٣] الآية عامة في كل مؤمن وكافر، وهو اختيار الزجاج، قال: الآية عامة في كل من هداه الله وكل من أضله[٤]، فأعلم الله تعالى أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجعل مستضيئاً في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو[٥] في الظلمات التي لا يخلص منها.

وقوله ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ قال ابن عباس: يريد: زين ـ لهم [٦] الشيطان عبادة الأصنام.

ـ قوله ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾ يعني: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها. قال ابن عباس: أكابر مجرمي مكة: المستهزؤون[٧] وأراد بـ «الأكابر»: الرؤساء المترفين. قال الزجاج [٨]: وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم بما [٩] أعطوا من الرياسة والسعة أقرب[١٠] إلى المكر والكفر بدليل قوله ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾[١١].

وقوله[١٢] ﴿ليمكروا فيها﴾قال مجاهد: هو أنهم أجلسوا[١٣] على كل طريق من طرق مكة أربعة ليصرفوا الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ ويخبروهم أنه شاعر كاهن[١٤] ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم[١٥]﴾ لأن وبال مكرهم يعود عليهم، كأنه قيل: وما يضرون بذلك المكر إلا أنفسهم، قال ابن عباس[١٦] لأنهم يقتلون ويصيرون إلى أشد العذاب ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يمكرون بها.

ـ قوله[١٧]﴿وإذا جاءتهم ءاية قالوا لن نؤمن﴾ لك، لن نصدقك ﴿حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله﴾ قال ابن عباس[١٨] حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل فيخبرنا أن محمداً صادق، كما قالوا ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾[١٩].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/١٧ عن الضحاك، وابن كثير ٢/١٧٢، والدر ٣/٤٣ عن زيد، وابن عباس والضحاك، وفتح القدير ٢/١٦٠ عن زيد وابن عباس، وأسباب النزول للسيوطي ١٢٢، وللواحدي ١٦٨.

(٢) من (د).

(٣) انظر تفسير الخازن ٢/١٧٩ عن الحسن، وابن كثير ٢/١٧٢، والزجاج ٢/٣١٦.

(٤) في (د) أظله.

(٥) في (د) هوى.

(٦) في (حـ،د) زين الشيطان لهم. وانظر تفسير البغوي ٢/١٧٩ عن ابن عباس، والبحر ٤/٢١٤ عن الحسن.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١١٨، والطبري ٨/١٩، والدر ٣/٤٤ كلاهما عن عكرمة.

(٨) انظر الزجاج ٢/٣١٧، والرازي ١٣/١٧٤، وغرائب النيسابوري ٨/١٥ كلاهما عن الزجاج.

(٩) في (حـ،د) لما أعطوا.

(١٠) في (حـ) قرب إلى الكفر والكره.

(١١) سورة الشورى/ ٢٧.

(١٢) في (حـ،د) قوله.

(١٣) في (حـ) جلسوا.

(١٤) انظر تفسير الخازن ٢/١٧٩ عن مجاهد، والبحر ٤/٢١٥.

(١٥) في (د) أنفسهم.

(١٦) انظر تفسير ابن عباس ١١٨ بنحوه.

(١٧) في (حـ،د) قوله تعالى.

(١٨) انظر غرائب النيسابوري ٨/٢٥ ـ ١٦ عن ابن عباس والحسن.

(١٩) سورة الإسراء/ ٩٢.

وقال الضحاك [(١)]: سأل كل واحد من القوم أن يخص بالرسالة والوحي، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ [(٢)]. وقوله [(٣)] ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يعني: إنهم ليسوا لها بأهل، وذلك أن الوليد بن المغيرة [(٤)] قال: والله لئن كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك، لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً، فأنزل الله هذه الآية [(٥)].

قال أهل المعاني[(٦)]: الأبلغ في تصديق الرسل أن لا يكونوا قبل مبعثهم مطاعين[(٧)] في قومهم، لأن الطعن كان يتوجه إليهم فيقال: إنما كانوا أكابر ورؤساء فاتبعوا، فكان الله أعلم حيث يجعل الرسالة ليتيم أبي طالب دون أبي جهل والوليد بن المغيرة وأكابر مكة.

وقوله[(٨)] ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله﴾ قال الزجاج[(٩)]: أي هم وإن كانوا أكابر في الدنيا فسيصيبهم عند الله صغار ومذلة. «والصغار»: المذلة، يقال منه صغر يصغر صُغراً وصغاراً فهو صاغر[(١٠)].

ـ قوله[(١١)] ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ يقال: شرح الله صدره فانشرح أي وسع صدره لقبول الخير فتوسع[(١٢)]. وقال ابن الأعرابي: «الشرح»: الفتح و «الشرح»: البيان، وقوله ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾[(١٣)]. أي فتحه ووسع له.

«روي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية فقال: إن النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح. فقيل له: وهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[(١٤)].

وقوله[(١٥)] ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ وقرأ ابن كثير (ضيْقاً) ـ ساكنة الياء ـ وهو من باب «الميّت والميْت» في أن المخفف مثل المشدد في المعنى[(١٦)].

---

(١) انظر غرائب النيسابوري ٨/١٥ عن الضحاك، وفتح القدير ٢/١٦٠ عن ابن جريج.

(٢) سورة المدثر/ ٥٢.

(٣) في (د) قوله.

(٤) الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أبو عبد شمس من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش وزنادقتها أدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته وهو والد سيف الله خالد بن الوليد ولد سنة ٩٥ قبل الهجرة ومات سنة ١ هـ بعد الهجرة بثلاثة أشهر. (الأعلام ٩/١٤٤).

(٥) انظر غرائب النيسابوري ٨/١٥ عن الوليد بن المغيرة، والبغوي ٢/١٧٩ ـ ١٨٠، والرازي ٣/١٧٥.

(٦) انظر الزجاج ٢/٣١٨، والخازن ٢/١٨٠ عن أهل المعاني بلفظه، والبحر ٤/٢١٦

(٧) «أي ينبغي أن لا يكون النبي مطاع قوم، بل يكون من أوسط الناس» (حاشية أ).

(٨) في (ح،د) قوله.

(٩) انظر الزجاج ٢/٣١٨، واللسان/صغر.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٥٩، ومجاز القرآن ١/٢٠٦، ومفردات الراغب/صغر، واللسان/صغر

(١١) في (ح) قوله تعالى.

(١٢) انظر اللسان/شرح، والمصباح/شرح.

(١٣) سورة الزمر/٢٢ وانظر اللسان/شرح، والبحر ٤/٢٠٥ كلاهما عن ابن الأعرابي، وغريب القرآن ص ١٥٩.

(١٤) انظر العلل المتناهية ٢/٨٠٣ «تفرد به عبد الله بن محمد بن المغيرة، وروي عن طرق كلها وهم، وهو الصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلا عن النبي ﷺ، كذلك قاله الثوري، وابن المسور: متروك». ومصنف ابن أبي شيبة ١٣/٢٢١ ـ٢٢٢ عن أبي جعفر وابن مسعود. والمستدرك ـ كتاب الرقاق «قال الذهبي: عدي ساقط» عن ابن مسعود ٤/٣١١، وانظر الزجاج ٢/٣١٨، والدر ٣/٤٤، ٤٥، وعيون الأخبار ٢/٣٢٨ عن عمرو بن مرة.

(١٥) في (ح،د) قوله.

(١٦) قرأ ابن كثير وحده (ضيْقا) ـ خفيفة بحذف الياء الثانية ـ وقرأ الباقون بالادغام (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧١، والسبعة ٢٦٨، والنشر ٢/٢٦٢، والتبيان ١/٥٣٧).

و «الحرج»:الشديد الضيق،وقد حرج صدره، إذا ضاق. وقرىء (حرِجاً)[١] ـ بكسر الراء ـ فمن فتح الراء كان وصفاً بالمقدر، والمعنى: ذا حرج، كما قالوا: رجل دنَف[٢]، أي ذو دنف، ومن كسر فهو نعت مثل دنِف وفرق[٣]. والمعنى: أن قلبه[٤] غير مشروح للإيمان، قال ابن عباس[٥]: إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه، وإذا ذكر شيئاً من عبادة الأوثان ارتاح إلى ذلك.

قوله ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ أي: يتصعد في السماء، فأدغمت التاء في الصاد. وقرأ أبو بكر (يصاعد) وهو مثل يتصعد في المعنى، وقرأ ابن كثير (يصْعد) من الصعود[٦]. والمعنى: أنه في نفوره عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة من يكلف ما لا يطيقه كما أن صعود السماء لا يستطاع. قال الزجاج[٧]: كأنه قد كلف أن يتصعد إلى السماء يجد من ثقل ذلك مثلما يجد من الصعود إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه. قال ابن عباس[٨]: يقول: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه.

قوله ﴿كذلك﴾ أي: مثل ما قصصنا عليك ﴿يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس[٩]: هو الشيطان، أي يسلطه عليهم، وقال عطاء وابن زيد[١٠]: «الرجس»: العذاب،وقال الزجاج: «الرجس»: اللعنة في الدنيا،والعذاب في الآخرة[١١]. وانقطع كلام القدرية ـ لعنهم الله[١٢] ـ عند[١٣] هذه الآية،وخرست ألسنتهم،فإنها قد صرحت بتعلق إرادة الله بالهداية والإضلال وتهيئة أسبابهما.

---

(١) قرأ نافع وأبو بكر (حرِجاً) بكسر الراء ـ وقرأ الباقون بالفتح وهما لغتان، وحجة من فتح قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرَج) ـ سورة الحج/٧٨ ـ (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧١، والسبعة ٢٦٨، والنشر ٢/٢٦٢، والتبيان ١/٥٣٧، والزجاج ٢/٣١٩ والفراء ١/٣٥٣ ـ ٣٥٤، والحجة لابن خالويه ١٤٩).

(٢) «رجل دنَف ودنِف ومدنف ومدنَف: براه المرض حتى أشفى على الموت» (اللسان/دنف)

(٣) «ورجل فَرِق وفَرَق وفَروق وفروقة وفرّوق وفرّوقة وفاروق وفارقة: فزع شديد الفرق «الهاء» في كل ذلك ليست لتأنيث الموصوف بما هي فيه، إنما هي إشعار بما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة (اللسان/فرق).

(٤) في (د) قلد.

(٥) انظر تفسير البغوي ٢/١٨١، والخازن ٢/١٨١ كلاهما عن ابن عباس.

(٦) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (يصَّعَّد) الأصل: يتصعد فأدغموا التاء في الصاد وقرأ ابن كثير ـ وحده ـ (يصْعد) ـ خفيفاً ـ من صعد يصعد، وحجته قوله ـ ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ـ سورة فاطر/١٠ ـ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر (يصَّاعد) الأصل يتصاعد فأدغم التاء في الصاد والمعنى واحد في كل (آنظر الحجة لأبي زرعة والسبعة ٢٦٨ ـ ٢٦٩ والنشر ٢/٢٦٢، والزجاج ٢/٣١٩، والتبيان ١/٥٣٨، والحجة لابن خالويه ١٤٩).

(٧) انظر الزجاج ٢/٣١٩.

(٨) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، والدر ٣/٤٥، وفتح القدير ٢/١٦٢ كلها عن ابن عباس.

(٩) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، والطبري ٨/٢٤، والرازي ١٣/١٨٤، وغرائب النيسابوري ٨/١٧ كلها عن ابن عباس.

(١٠) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٥، والطبري ٨/٢٤ كلاهما عن ابن زيد، والرازي ٣/١٨٤، والبغوي ٢/١٨١ وغرائب النيسابوري ٨/٢٧ كلها عن عطاء، ومجاز القرآن ١/٢٠٦، ـ والزاهر ٢/٢١٣ ـ ٢١٤.

(١١) انظر الزجاج ٢/٣١٩، والرازي ١٣/١٨٤، وغرائب النيسابوري ٨/١٧ كلاهما عن الزجاج.

(١٢) من (جـ).

(١٣) في (د) عن.

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

ـ قوله ﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ قال ابن عباس[1]: يعني التوحيد، وقال ابن مسعود[1]: يعني القرآن وقال عطاء[2]: يريد: هذا[3] الذي أنت عليه يا محمد دين ربك مستقيماً. ومعنى[4] استقامة صراط الله: أنه يؤدي سالكه إلى دار الخلود في النعيم.

وقوله [5] ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذَّكَّرون﴾ قال عطاء: يريد أصحاب النبي ﷺ قبلوا مواعظ الله تعالى وانتهوا عما نهاهم [6] الله عنه.

ـ قوله [7] ﴿لهم دار السلام﴾ قال الحسن والسدي [8]: السلام: هو الله عز وجل، وداره: الجنة. ومعنى «السلام» في اسم الله تعالى: ذو السلام أي السلامة من الآفات والنقائص [9].

قال الزجاج[10]: يجوز أن تكون الجنة سميت دار السلام، لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع.

وقوله[11] ﴿عند ربهم﴾ أي: مضمونة لهم عند ربهم حتى يدخلوها[12]. وقوله ﴿وهو وليهم﴾ أي: يتولى إيصال النافع ودفع المضار عنهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من الطاعات.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

ـ قوله[13] ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ يعني: الجن والإنس يجمعون في موقف القيامة فيقال لهم ﴿يا معشر

---

(١) انظر تفسير الآية ٦ من سورة الفاتحة.

(٢) ذكره القرطبي ٧/٨٣، والبغوي ٢/١٨٢، وغرائب النيسابوري ٨/٢١، والرازي ١٣/١٨٧ كلاهما عن ابن عباس.

(٣) في (د) يريد الذي.

(٤) في (د) فمعنى.

(٥) في (د) قوله تعالى.

(٦) في (أ) نهيهم، وفي (حـ) نهى. وانظر تفسير الخازن ٢/١٨٢ عن عطاء.

(٧) في (حـ، د) قوله تعالى.

(٨) وهو قول ابن عباس في تفسيره ص ١١٩، والزجاج ٢/٣٢٠، وغريب القرآن ١٦٠، والخازن ٢/١٨٢ عن الحسن والسدي والطبري ٨/٢٥، والدر ٣/٤٥، وفتح القدير ٢/١٦٢ كلها ـ عن السدي

(٩) انظر اللسان/سلم.

(١٠) انظر الزجاج ٢/٣٢٠، واللسان/سلم عن الزجاج.

(١١) في (د) قوله.

(١٢) في (د) يدخلوها.

(١٣) في (حـ) قوله تعالى.

الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أي: من إغواء الإنس وإضلالهم **﴿وقال أولياؤهم﴾** يعني: الذين أضلهم الجن **﴿من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾** ومعنى[١] استمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي.

واستمتاع الإنس بالجن: أن الجن زينت لهم الأمور التي يهوونها حتى يسهل عليهم فعلها ويشهُّونها[٢]، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، واختيار الزجاج[٣] والمراد بـ «الجن» في هذه الآية: الشياطين.

قوله[٤] **﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾** يعني: أجل البعث والنشور **﴿قال النار مثواكم﴾** قال ابن عباس[٥]: يريد: فيها مقامكم **﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾** قال ابن عباس[٦]: استثنى الله تعالى قوماً قد سبق في علمه[٧] أنهم يسلمون ويصدقون النبي ﷺ. و «ما» على هذا القول[٨] بمعنى «مَن».

وقوله **﴿إن ربك حكيم عليم﴾** حكم للذي[٩] استثنى بالتصديق، وعلم ما في قلوبهم من البر والتقوى.

ـ قوله **﴿وكذلك﴾** أي: وكما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض **﴿نولي بعض الظالمين بعضاً﴾** نسلط بعضهم على بعض حتى كان منهم ما كان **﴿بما كانوا يكسبون﴾** من المعاصي.

ـ قوله **﴿يا معشر الجن والإنس﴾** «المعشر»: كل جماعة أمرهم واحد، والجمع[١٠]: المعاشر.

﴿ألم يأتكم[١١] رسل منكم﴾ قال مجاهد[١٢]: الرسل من الإنس، والنذر من الجن، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا وينذرونهم، كما قال الله تعالى **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾**[١٣].

وقوله **﴿يقصون عليكم ءاياتي﴾** يقرؤون عليكم كتبي **﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾** يخبرونكم ويخوفونكم بيوم القيامة **﴿قالوا شهدنا على أنفسنا﴾** شهدنا أنهم قد بلغوا، يقول الله تعالى **﴿وغرتهم الحيوٰة الدنيا﴾** حين[١٤] لم

(١) في (حـ، د) قوله.
(٢) «الشهوة: معرفة.. وهذا شيء يشهِّي الطعام: أي يحمل على اشتهائه» (اللسان/شها).
(٣) انظر تفسير ابن كثير ٢/١٧٦ عن ابن عباس والحسن، والدر ٣/٤٥ عن الحسن، والزجاج ٢/٣٢٠، والفراء ١/٣٥٤.
(٤) في (حـ) قوله. (٥) انظر تفسير ابن عباس ١١٩.
(٦) انظر تفسير الطبري ٨/٢٦، وغرائب النيسابوري ٨/٢٣، والدر ٣/٤٥، والخازن ٢/١٨٣ والبغوي ٢/١٨٣ كلها عن ابن عباس.
(٧) في (د) في علم الله.
(٨) في (د) على هذا المعنى من قوله.
(٩) في (د) حكم الذي
(إلا ما شاء الله) استثناء منقطع، لأنه من غير جنسه. ويجوز أن يكون من جنسه على وجهين، أحدهما: أن يكون استثناء من الزمان، والمعنى يدل عليه، لأن الخلود يدل على الأبد، فكأنه قال: خالدين فيها في كل زمان إلا زمن مشيئة الله. والثاني «ما» بمعنى «من» (انظر التبيان ١/٥٣٨ ـ ٥٣٩، والمشكل ١/٢٧٠، والبيان ١/٣٤٠)
(١٠) في (حـ، د) والجميع المعاشر، وانظر غرائب النيسابوري ٨/٢٤ عن أهل اللغة، واللسان/عشر عن الليث.
(١١) في (د) ألم يأتيكم.
(١٢) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٤، والدر ٣/٤٦ كلاهما عن مجاهد، وتفسير ابن عباس ١١٩ بنحوه وابن كثير ٢/١٧٧ عن ابن عباس، والزجاج ٢/٣٢١، والطبري ٨/٢٧، والوجيز للواحدي ١/٢٦١.
(١٣) سورة الأحقاف/٢٩
(١٤) في (حـ، د) حتى لم يؤمنوا

يؤمنوا ولم يصدقوا الرسل ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ قال مقاتل[١]: يعني: حين شهدت عليهم الجوارح بالشرك والكفر.

ـ قوله ﴿ذلك أن لم يكن ربك﴾ أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم لأنه لم يكن ربك ﴿مهلك القرى بظلم﴾ قال الكلبي[٢]: لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل أن تأتيهم الرسل.

وقوله ﴿بظلم﴾ يعني: بظلمهم الذي هو ذنوبهم ومعاصيهم. وقوله ﴿وأهلها غافلون﴾ يعني: أهل القرى غافلون لم ينذروا ولم تبلغهم الرسل.

ـ وقوله[٣] ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي: ولكل عامل بطاعة الله درجات جزاء من أجل ما عملوا ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ قال ابن عباس: يريد: عمل المشركين وهذا وعيد لهم بالجزاء على أعمالهم.

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

ـ ﴿وربك الغني﴾[٤] عن عباده[٥] خلقه ﴿ذو الرحمة﴾ [قال ابن عباس[٦]: بأوليائه وأهل طاعته وقال الكلبي[٧]: ذو الرحمة][٨] وذو التجاوز. ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ وعيد لأهل مكة بالإهلاك ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ وينشىء من بعدكم خلقاً آخر ﴿كما أنشأكم﴾ خلقكم ابتداء ﴿من ذرية قوم ءاخرين﴾ يعني: آباءهم الماضين.

ـ ﴿إنَّ[٩] ما توعدون﴾ من مجيء الساعة والحشر والنشر ﴿لآت وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين[١٠]. يقال: أعجزني فلان، أي فاتني فلم أقدر عليه[١١].

قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾

ـ وقوله[١٢] ﴿قل يا قوم إعملوا على مكانتكم﴾ قال الزجاج[١٣]: إعملوا على ما أنتم عليه يقال للرجل إذا

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٥، والقرطبي ٧/٨٧ كلاهما عن مقاتل، والبحر ٤/٢٢٣، وغرائب النيسابوري ٨/٢٥.
(٢) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٥ عن الكلبي، والزجاج ٢/٣٢٢، والبحر ٤/٢٢٤ عن الزجاج والقشيري، والفراء ١/٣٥٥.
(٣) في (د) قوله لكل.
(٤) في (ح) قوله، وفي (د) قوله تعالى.
(٥) في (أ) وربك الغني ذو الرحمة قال ابن عباس..
(٦) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٦، والخازن ٢/١٨٦، والبحر ٤/٢٢٥ كلها عن ابن عباس.
(٧) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٦، والخازن ٢/١٨٦، والبحر ٤/٢٢٥ كلها عن الكلبي.
(٨) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح).
(٩) في (ح،د) إنما، وفي (د) إنما توعدون أي..
(١٠) في (د) فائتين.
(١١) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٦ واللسان/عجز.
(١٢) في (ح،د) قوله.
(١٣) انظر الزجاج ٢/٣٢٣، والبغوي ٢/١٨٦ عن الزجاج.

=

أمرته أن يثبت على حاله: على مكانتك يا فلان، أي اثبت على ما أنت عليه. ومعنى هذا الأمر: هو المبالغة في الوعيد.

وقرىء ﴿مكاناتكم﴾ والوجه: الإفراد، لأنه مصدر، والمصادر في أكثر الأمر مفردة وقد يجمع في بعض الأحوال[١].

ومعنى الآية: اعملوا ما أنتم عليه[٢] عاملون ﴿إني عامل﴾ ما أمرني ربي ﴿**فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار**﴾ قال ابن عباس[٣]: يعني الجنة ألكم أم لنا.

وقرىء (يكون) ـ بالياء[٤] ـ «العاقبة» غير حقيقي، فهو كقوله ﴿فمن جاءه موعظة﴾[٥]. وقوله ﴿**إنه لا يفلح الظالمون**﴾ قال ابن عباس[٦]: يريد: لا يسعد من كفر نعمتي وأشرك بي[٧].

وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ

= قال الزجاج: «فإن قال قائل: فكيف يجوز أن يأمرهم النبي ﷺ أن يقيموا على الكفر فيقول لهم (اعملوا على مكانتكم)؟ فإنما معنى هذا الأمر المبالغة في الوعيد، لأن قوله ﴿**فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون**﴾ قد أعلمهم أن من عمل بعملهم فإلى النار مصيره، فقال لهم: أقيموا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار (الزجاج ٢/٣٢٣، وانظر الحجة لابن خالويه ١٥٠، والخازن ٢/١٨٧).

(١) قرأ عاصم ـ وحده ـ في رواية أبي بكر (مكاناتكم) على الجمع في كل الجمع في كل القرآن، ويروى عنه (مكانتكم) وقرأ الباقون (مكانتكم) على التوحيد، وهو الأوجه لأن الواحد ينوب عن الجمع، ولا ينوب الجمع عن الواحد (انظر الحجة لابي زرعة ٢٧٢، والسبعة ٢٦٩، والنشر ٢/٢٦٣، والزجاج ٢/٣٢٣، والحجة لابن خالويه ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) ساقطة من (حـ، د).

(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، وابن كثير ٢/١٧٨ عن ابن عباس.

(٤) وهي قراءة حمزة والكسائي (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٢، والسبعة ٢٧١، والنشر ٢/٢٦٣ والفراء ١/٣٥٦ والحجة لابن خالويه ١٥٠).

(٥) سورة البقرة/٢٧٥.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٧، والخازن ٢/١٨٧ كلاهما عن ابن عباس، والبحر ٤/٢٢٦ عن عطاء.

(٧) في (حـ) زيادة: لا يسعد من كذب أنبياء الله ورسله.

أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

ـ قوله ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً**﴾ قال ابن عباس وجماعة من المفسرين[1]: كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وثمارهم وأنعامهم[2] نصيباً وللأوثان نصيباً، فما كان للأوثان أنفق عليها وما [3] كان لله أطعم الضيفان والمساكين ولا يأكلوا من ذلك كله شيئاً، فما سقط مما جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه وقالوا: إن الله غني عن هذا، وإن سقط مما جعلوه للأوثان في نصيب الله التقطوه وردوه إلى نصيب الصنم وقالوا: إنه فقير، فذلك قوله ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام** [4]﴾.

قال ابن عباس [5]: مما خلق من الثمر والقمح والضأن والمعز والإبل والبقر ﴿**نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم**﴾ بكذبهم واعتقادهم الفاسد ﴿**وهذا لشركائنا**﴾ يعني: ما جعلوه لآلهتهم من أموالهم. والآلهة كانواشركاءهم [6] في أموالهم حيث جعلوا لها نصيباً.

قوله ﴿**فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم**﴾. قال الحسن والسدي[7]: هو أنه إذا هلك الذي لأوثانهم أخذوا بدله مما لله، ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله.

وقال قتادة[8]: كانوا إذا أصابتهم السنة استعانوا[9] بما جزءوا لله ووفروا ما جزءوا لشركائهم، فذلك قوله ﴿**فما كان لشركائهم**﴾ يعني: من تمام الحرث والأنعام ﴿**فلا يصل إلى الله**﴾ يعني: إلى المساكين، وإنما قال ﴿**إلى الله**﴾ لأنهم كانوا يفرزونه لله ويسمونه نصيباً لله[10]، وما كان لله من التمام فهو يصل إلى آلهتهم.

ثم ذم فعلهم فقال ﴿**ساء ما يحكمون**﴾ بئس الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوا لله على جهة التبرر إلى الأوثان.

---

(١) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، والطبري ٨/٣٠ عن ابن عباس، وابن كثير ٢/١٧٩ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم والدر ٤٧/٣، وفتح القدير ٢/١٦٦ كلاهما عن ابن عباس ومجاهد، وغريب القرآن ١٦٠ ـ ١٦١، والرازي ١٣/٢٠٤ عن ابن عباس والحسن

(٢) في (ح،د) وأنعامهم وثمارهم.

(٣) في (د) ما كان لله.

(٤) في (ح،د) نصيباً.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، وابن كثير ٢/١٧٩ عن ابن عباس.

(٦) في (د) شركاؤهم.

(٧) انظر تفسير الرازي ١٣/٢٠٤، وغرائب النيسابوري ٨/٣٠ كلاهما عن الحسن والسدي، وابن كثير ٢/١٧٩ عن ابن عباس والسدي ومجاهد، والطبري ٨/٣١ عن السدي.

(٨) انظر تفسير الطبري ٨/٣١، والرازي ١٣/٢٠٤، وغرائب النيسابوري ٨/٣٠ كلها عن قتادة.

(٩) في (د) استغلوا.

(١٠) في (د) نصيب الله.

ـ قوله ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الفعل القبيح ﴿زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾. قال مجاهد[١]: ﴿شركاؤهم﴾: شياطينهم أمروهم بأن يئدوا[٢] أولادهم ـ خشية العَيْلة. وسميت الشياطين «شركاء» لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى، وأضيفت الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها، كقوله تعالى ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾[٣].

وقرأ ابن عامر (زُين) بضم الزاي ـ (قتلُ) ـ رفعاً ـ (أولادَهم) ـ بالنصب (شركائِهم[٤]) ـ بالجر ـ على تقدير: زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ولكنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به وهو الأولاد، والمفعول به: مفعول المصدر[٥].

قال أبو علي الفارسي: وهو قبيح قليل الاستعمال، ولكنه قد جاء في الشعر كما أنشده أبو الحسن الأخفشي[٦]:

فزججتها متمكناً زج القلوص أبي مزاده

وأضيف القتل ـ في هذه القراءة ـ إلى الشركاء وإن لم يتولوا ذلك، لأنهم هم الذين زينوا ودعوا إليه[٧] فكأنهم فعلوا ذلك. وقوله[٨] ﴿لِيُرْدُوهم﴾ قال ابن عباس[٩]: يريد في النار. و«الإرداء»: الإهلاك، ومنه قوله ﴿إن كدت لتُرْدين[١٠]﴾

(١) انظر تفسير الطبري ٣٢/٨، وابن كثير ١٧٩/٢، والدر ٤٧/٣ كلها عن مجاهد، وابن عباس ١٢٠، والفراء ٣٥٧/١.
(٢) في (حـ، د) يادوا، وكذا في هامش (أ) «من الوأد وهو دفن الحي»
(٣) في (أ) ﴿تدعون من دون الله﴾ وفي (حـ، د) ﴿تزعمون من دون الله﴾ والنص من الآية ٢٢ من سورة الأنعام، أما زيادة ﴿من دون الله﴾ فهي من الآية ٤٠ من سورة فاطر ـ ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله..﴾
(٤) إلى هنا ينتهي السقط من النسخة (و).
(٥) أنظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٣ ـ ٢٧٤، والسبعة ٢٧٠، والنشر ٢٦٣/٢ ـ ٢٦٥، والتبيان ٥٤٠/١ ـ ٥٤١، والمشكل ٢٧١/١ ـ ٢٧٢، والفراء ٣٥٧/١ ـ ٣٥٨، والمصاحف لابن أبي داود ٤٥، والحجة لابن خالويه ١٥٠ ـ ١٥١، والطبري ٣٣/٨ عن بعض قراء الشام).
(٦) انظر الفراء ٣٥٨/١، والرازي ٢٠٦/١٣، والكتاب ١٧٦/١، وفتح القدير ١٦٦/٢، والبيان ٣٤٢/١، والطبري ٣٣/٨، وغرائب النيسابوري ٣١/٨، والخزانة ٤١٥/٤، ٤١٦، والبحر ٢٢٩/٤ ـ ٢٣٠ عن الأخفش وأبي علي الفارسي.
زججتها: دفعتها، والقلوص: الناقة الفتية، وأبي مزادة: كنية رجل، والشاعر: قال أبو الحسن: سمعت عيسى بن عمر ينشد، وفي الحجة لابي زرعة ص ٢٧٣ والخزانة ٢٥١/٢ القائل غير معروف.
والشاهد فيه: أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، خفض «أبي مزادة» في ضرورة الشعر وكان الأولى أن يفتح (والبيت من مجزوء الكامل).
قال النيسابوري في غرائب القرآن: «والحق عندي في هذا المقام أن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، والقراءات السبع كلها متواترة، فكيف يمكن تخطئة بعضها؟ فإذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته، وألا يلتفت إلى أنه هل ورد له نظير في أشعار العرب وتراكيبهم أم لا، وإن ورد فكثير أم لا..» (غرائب النيسابوري ٣١/٨).
«قال السمين: قراءة ابن عامر متواترة صحيحة، وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي وهو أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة... وقال أبو علي الفارسي..» (الخزانة ٤٢٢/٤ ـ ٤٢٣).
قال ابن خلف: هذا البيت يروى لبعض المدنيين المولدين، وقيل: هو لبعض المخنثين ممن لا يحتج بشعره. (الخزانة ٤١٥/٤).
(٧) في (د) ودعوا الله.
(٨) في (د) قوله.
(٩) انظر غرائب النيسابوري ٣١/٨، والخازن ١٨٨/٢ كلاهما عن ابن عباس.
(١٠) في (أ، د) لترديني، والنص من سورة الصافات /٥٦، وانظر اللسان / ردى.

وقوله ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ قال ابن عباس[1] : يدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين إسماعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين وتزيينها لهم القبائح.

ثم أخذ أن جميع ما فعلوا كان بمشيئته فقال ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ ثم أوعدهم ﴿فذرهم وما يفترون﴾ يتقولون على الله الكذب.

ـ قوله[2] ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾ «الحجر» في اللغة: الحرام[3].

والمعنى: أنهم حرموا أنعاماً وحرثاً وجعلوه لأصنامهم فقالوا ﴿لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾ أعلم الله تعالى أن هذا التحريم زعم منهم، لا حجة لهم فيه ولا برهان.

﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ نحو البحيرة والسائبة[4] والحامي ﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ يذبحونها لآلهتهم ولا يذكرون إسم الله عليها ﴿افتراء عليه﴾ ـ للافتراء[5] على الله، وهو أنهم زعموا أن الله تعالى أمرهم بذلك.

ـ ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا﴾ يعني: أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للرجال دون النساء، وما ولد[6] ميتاً أكله الرجال والنساء، وهو قوله ﴿خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا﴾ يعني: النساء. وإنما قيل ﴿خالصة﴾ لأن «ما» في قوله ﴿ما في بطون هذه الأنعام﴾: عبارة عن الأجنة، فجاء تأنيث ﴿خالصة﴾ لتأنيث معنى «ما»، وجاء تذكير «محرم» على لفظ «ما»[7].

وقوله[8] ﴿وإن يكن ميتةً﴾ قرأ ابن كثير ـ بالياء ـ ﴿ميتة[9]﴾ ـ بالرفع ـ لأن المراد بـ«الميتة» الميت. والميتة: تقع على المذكر والمؤنث كالدابة والشاة.

وابن عامر يلحق الفعل علامة التأنيث لأن الميتة في اللفظ مؤنثة.

وقرأ عاصم (تكن) ـ بالتاء ـ (ميتة) ـ بالنصب[10] ـ على معنى: وإن تكن الأجنة ميتة. ومن قرأ ـ بالياء ـ (ميتة) ـ بالنصب ـ كان التقدير: وإن يكن ما في بطون الأنعام ميتة، ولفظ «ما» مذكر[11].

وقوله ﴿فهم فيه شركاء﴾ يعني: الرجال والنساء ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ سيجزيهم الله تعالى جزاء وصفهم الذي

(١) انظر تفسير البغوي ٢/١٨٨ عن ابن عباس، والبحر ٤/٢٣٠.
(٢) في (حـ، و) قوله تعالى.
(٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٠، وغريب القرآن ١٦١، والأخفش ٢/٥٠٤، ومجاز القرآن ١/٢٠٧، وابن كثير ٢/١٨٠ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي.. والدر ٣/٤٧ عن ابن عباس وقتادة.
(٤) في (و) والوصيلة.
(٥) في (حـ، و) الافتراء، وفي (د) أي للافتراء.
(٦) في (حـ) وما ولد منها، وفي (د) وجاولد.
(٧) انظر تفسير الطبري ٨/٣٦، والبيان ١/٣٤٣.
(٨) في (د، و) قوله.
(٩) ليست في (د)، وفي غير (أ) رفعاً.
(١٠) في (و) نصب.
(١١) قرأ ابن عامر (وإن تكن) بالتاء، (ميتةٌ) رفع، و (تكن) بمعنى الحدوث والوقوع أي: وإن تقع أو تحدث ميتة. وقرأ ابن كثير (وإن يكن) بالياء، (ميتةٌ) رفع، ذكر الفعل لأن تأنيث الميتة غير حقيقي، وقرأ أبو بكر (وإن تكن) بالتاء، (ميتةً) نصب وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص (وإن يكن) بالياء، (ميتةً) نصب. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٤ ـ ٢٧٥، والسبعة ٢٧٠ ـ ٢٧١، والنشر ٢/٢٦٦، والتبيان ١/٥٤٢ ـ ٥٤٣، والزجاج ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٥، والحجة لابن خالويه ٢٥١، والأخفش ٢/٥٠٥ ـ ٥٠٦، والمشكل ١/٢٧٣).

هو كذب، وهو أنهم أحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، ونسبوا ذلك إلى الله والله أحكم وأعلم[1] [من أن يفعل ذلك، وهو قوله ﴿إنه حكيم عليم﴾][2].

ـ قوله[3] ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ يعني: الذين كانوا يدفنون بناتهم أحياء. قال قتادة[4]: هذا صنيع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل بنته مخافة السبي عليها والفاقة، ويغذو كلبه.

﴿سفهاً بغير علم﴾ أي: كانوا يفعلون ذلك للسفه والجهل من غير أن أتاهم في ذلك علم ﴿وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله﴾ يعني: حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث وقالوا: إن الله أمرنا به.

۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

ـ وقوله[5] ﴿وهو الذي أنشأ﴾ أي: أظهر وأبدع[6] ﴿جناتٍ معروشاتٍ﴾ يعني ما يعرش له من الكروم[7] ﴿وغير معروشاتٍ﴾ ما قام على ساق، كالشجر والزرع[8]، ﴿والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾ يعني: ثمر النخل وحب الزرع لكل واحد[9] منهما طعم غير طعم الآخر، فمن ثمر النخل: الحامض والمر والحلو والجيد والرديء، وكل حب من الحبوب له طعم آخر. ﴿والزيتونَ والرمانَ متشابهاً وغير متشابهٍ﴾ ـ تقدم تفسيره[10].

﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ أمر إباحة ﴿وءاتوا حقه يوم حَصاده﴾ وحِصاده وهما لغتان كالجزاز والجِزاز، والقطاف والقِطاف[11].

---

(١) في (حـ، و) أعلم وأحكم.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٣) في (و) قوله تعالى.

(٤) انظر تفسير الطبري ٨/٣٨، والدر ٣/٤٨ كلاهما عن قتادة، ومجاز القرآن ١/٣٧٥.

(٥) في (حـ، و) قوله تعالى، وفي (د) قوله.

(٦) في غير (أ) أبدع وأظهر.

(٧) في (د) وله من الكرم.

(٨) انظر مجاز القرآن ١/٢٠٧، والفراء ١/٣٥٩.

(٩) في (حـ، د) لكل شيء منها، وفي (و) لكل شيء منهما.

(١٠) انظر تفسير الآية ٩٩ من هذه السورة.

(١١) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم (يوم حصاده) ـ بفتح الحاء ـ وقرأ الباقون ـ بالكسر ـ وهما نعتان. قال الفراء: بالكسر: حجازية، وأهل نجد وتميم بالفتح. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٥، والسبعة ٢٧١).

«والجز: جز الشعر والصوف والحشيش ونحوه، وجز النخلة يجزها جزاً وجِزاراً وجَزاراً». (اللسان/ جزر) «قطف الشيء يقطفه قطفاً:

قال ابن عباس والحسن وسعيد بن المسيب [١]: يعني العشر ونصف العشر، وهذا في النخيل، لأن ثمارها إذا حصدت وجب إخراج ما يجب منها من الصدقة.

والزرع محمول عليه في وجوب الإخراج، إلا أنه لا [٢] يمكن ذلك عند الحصاد فيؤخر ذلك إلى زمان التنقية.

وقوله[٣] ﴿**ولا تسرفوا**﴾ قال ابن عباس في رواية الكلبي[٤]: عن ثابت بن قيس الأنصاري[٥] فصرم خمسمائة نخلة وقسمها[٦] في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئاً فكره الله ذلك له وأنزل ﴿**ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**[٧]﴾ أسرف حين لم يترك لأهله شيئاً.

قال الزجاج[٨]: والتأويل على هذا أن الإنسان إذا أعطى كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف لأنه قد جاء في الخبر «ابدأ بمن تعول»[٩] فهذا مجاوزة حد الإعطاء.

قال سعيد بن المسيب[١٠]: معناه لا تمنعوا الصدقة، وتأويل هذا: لا تتجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة.

ـ قوله [﴿**ومن الأنعام حمولة وفرشاً**﴾ أي: وأنشأ من الأنعام حمولة: وهي ما أطاق العمل من الإبل، وفرشاً: وهو الصغار][١١] من الإبل التي لا تحمل[١٢]. ﴿**كلوا مما رزقكم الله**﴾ قال الزجاج[١٣]: لا تحرموا ما حرمتم مما جرى ذكره ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ لا تسلكوا طريقه ﴿**إنه لكم عدو مبين**﴾ ظاهر العداوة أخرج أباكم من الجنة، وقال ﴿**لأحتنكن ذريته**﴾[١٤].

= وقطفاناً وقطافاً (عن اللحياني): قطعه» (اللسان/ قطف).

(١) انظر تفسير الطبري ٣٩/٨ ـ ٤٠ عن ابن عباس وابن الحنفية، ٤٢/٨ ـ ٤٣ عن ابن عمر وإبراهيم والسدي، والرازي ٢١٣/١٣ عن ابن عباس وابن المسيب والحسن وطاووس والضحاك، وابن كثير ١٨٢/٢ عن ابن عباس والسدي وإبراهيم والحسن وغيرهم والدر ٤٩/٣ عن ابن عباس وعطية والسدي.

(٢) في (أ) إلا أنه يمكن.

(٣) في (د) قوله.

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٢١، والثوري ١٠٩ ـ ١١٠، والزجاج ٣٢٧/٢، وابن كثير ١٨٢/٢، والدر ٤٩/٣ كلاهما عن ابن جريج، والرازي ٢١٤/١٣، وأسباب النزول للسيوطي ١٢٢.

(٥) ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري خطيب الأنصار ومن شهد له الرسول ﷺ بالجنة روى عن النبي ﷺ وعنه بنوه وأنس بن مالك قتل باليمامة (الكاشف ١٧١/١).

(٦) في غير (أ) فسمها. . فكره الله له ذلك.

(٧) في (د) المفسرين.

(٨) انظر الزجاج ٣٢٧/٢.

(٩) الحديث: رواه مسلم في الصحيح ـ كتاب الزكاة ـ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ـ من حديث حكيم بن حزام. (٤١٣/١). وأبو داود في السنن ـ كتاب الزكاة ـ باب الرجل يخرج من ماله ـ عن أبي هريرة رقم ١٦٧٦ ١٢٩/٢.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٤٦/٨، والدر ٤٩/٣ كلاهما عن سعيد، وابن كثير ١٨٢/٢ عن سعيد والقرظي.

(١١) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

(١٢) انظر غريب القرآن ١٦٢، ومجاز القرآن ٢٠٧/١، والفراء ٣٥٩/١، والطبري ٤٦/٨.

(١٣) انظر الزجاج ٣٢٨/٢.

(١٤) سورة الإسراء /٦٢.

ـ قوله[1] ﴿ثمانية أزواج﴾ وهي الضأن والمعز والإبل والبقر، وجعلها ثمانية وهي أربعة، لأنه أراد ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج والأنثى زوج، قال الله تعالى ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾[2].

[وهو قوله ﴿ من الضأن اثنين﴾[3] يعني: الذكر والأنثى][4]. والضأن: ذوات الصوف من الغنم. ﴿ومن المعز إثنين﴾ وقرىء بفتح العين، وهما لغتان[5]، والمعز: ذوات ـ الشعر من الغنم.

وقوله[6] ﴿قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين﴾ كان المشركون[7] يحرمون أجناساً من النعم بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال، فاحتج الله عليهم بهذه الآية والتي بعدها فقال ﴿قل آلذكرين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرم﴾ الله عليكم ﴿أم الأنثيين﴾ فإن حرم الذكرين منهما فكل ذكورهما حرام، وإن حرم الأنثيين منهما فكل الإناث حرام.

وقوله[8] ﴿أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ يقول: وإن كان قد حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز فقد حرم الأولاد، وكلها أولاد، فكلها حرام.

وقوله[6] ﴿نبئوني بعلم﴾ قال الزجاج: أي فسروا ما حرمتم[9] بعلم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الله حرم ذلك.

ـ وقوله[10] ﴿ومن الإبل اثنين﴾ ـمفسر إلى قوله ـ ﴿أم كنتم شهداء إذْ وصاكم الله بهذا﴾ أي: هل شاهدتم الله حرم هذا إذ كنتم لا تؤمنون برسول. ثم بين أنهم فعلوا ذلك كذباً على الله فقال ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم﴾.

قال ابن عباس[11] يريد: عمرو بن لحي ومن جاء بعده ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال: يريد المشركين. ثم أعلم أن التحريم والتحليل إنما يثبت بالوحي والتنزيل فقال:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ

---

(١) في غير «أ» قوله تعالى. وانظر الزاهر ٢/٢١٠، والأخفش ٢/٥٠٦ ـ ٥٠٧، والفراء ١/٣٥٩، والدر ٣/٥٠ عن ابن عباس والسدي وقتادة.

(٢) سورة النجم /٤٥.

(٣) في (أ) الإثنين: تحريف.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (حـ، و).

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المعَز) بفتح العين، وقرأ الباقون ـ ساكنة العين ـ وهما لغتان. والأصل تسكين العين، لأنه جمع ماعز مثل تاجر وتجر وصاحب وصحْب، وحجتهم: إجماع الجميع على تسكين الهمزة في «الضأن» وهو جمع ضائن، كماعز، والهمزة والعين من حروف الحلق، فردوا ما اختلفوا إلى ما أجمعوا عليه. والعرب تفتح إذا كان فيها حرف من حروف الحلق مثل نهْر ونهَر. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٥ ـ ٢٧٦، والسبعة ٢٧١، والنشر ٢/٢٦٦، والتبيان ١/٥٤٤، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(٦) في (د) قوله.

(٧) انظر الزجاج ٢/٣٢٩، وابن كثير ٢/١٨٣، والدر ٣/٥٠ عن طاووس.

(٨) في (د) قوله أم.

(٩) في (و) أي فسروا بعلم ما حرمتم، وانظر الزجاج ٢/٣٢٩.

(١٠) في (د، و) قوله.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٢١.

خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

ـ **﴿قل لا أجد في ما أوحي إليَّ محرماً على طاعمٍ يطعمه﴾** على آكل يأكله **﴿إلا أن يكون ميتةً﴾** أي: إلا أن يكون المأكول ميتة[1].

ومن قرأ (تكون) ـ بالتاء ـ كان التقدير عنده اسماً مؤنثاً، كأنه قيل: إلا أن تكون العين أو النفس أو الجثة ميتة. وقرأ ابن عامر (إلا أن تكون) بالتاء (ميتةٌ) ـ بالرفع ـ على معنى: إلا أن تقع أو تحدث ميتة.

وقوله[2] **﴿أو دماً مسفوحاً﴾** يقال: سفح الدم، والدم سفحاً، إذا صبه، وسفح هو سفحاً، إذا سال[3]. قال ابن عباس[4]: يريد: ما خرج من الأنعام وهي أحياء، وما يخرج من الأوداج عند الذبح، ولا يدخل في هذا الكبد والطحال لجمودهما، ولا ما يختلط باللحم من الدم فإنه غير سائل.

أخبرنا أحمد بن الحسن القاضي، حدثنا محمد بن يعقوب المعقلي أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: «أحلت ميتتان ودمان، الميتتان: الحوت والجراد، والدمان: الكبد والطحال»[5] وقوله[6] **﴿أو فسقاً أهل لغير الله به[7]﴾** قال ابن عباس[8]: يريد: ما ذبح على النصب. والمحرمات من المطعومات أكثر من هذا، ولكن الذي حرم بوحي القرآن هو ما ذكره[9] في هذه الآية، والباقي حرم بالسنة.

ـ قوله **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفرٍ﴾** قال ابن عباس[10]: هو البعير والنعامة. **﴿ومن البقر والغنم**

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم (إلا أن يكون) ـ بالياء ـ (ميتةً) ـ بالنصب ـ هذا هو الوجه، لأن الاسم المضمر في (يكون) مذكرة وهو قوله(قل لا أجد في ما أوحي إليّ محرماً) ولم يقل: محرمة، وقال الزجاج: تقديره إلا أن يكون المأكول ميتة. وقرأ ابن كثير وحمزة (تكون) ـ بالتاء ـ (ميتةً) بالنصب. وقرأ ابن عامر ـ وحده ـ (تكون) ـ بالتاء ـ (ميتةٌ) ـ رفعاً ـ تكون: بمعنى الوقوع والحدوث. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٦، والسبعة ٢٧٢، والنشر ٢/٢٦٦، والتبيان ١/٥٤٥، والمشكل ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦، والفراء ١/٣٦٠ ـ ٣٦١).

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر غريب القرآن ١٦٢، والزاهر ٢/١٧٦، ومجاز القرآن ١/٢٠٧، واللسان /سفح.

(٤) انظر غرائب النيسابوري ٨/٣٨، والدر ٣/٥١ كلاهما عن ابن عباس.

(٥) الحديث: تقدم عند تفسير الآية ١٧٣ من سورة البقرة.

(٦) في (د) قوله.

(٧) ليست في (أ).

(٨) انظر تفسير ابن عباس ١٢١.

(٩) في (حـ) ما ذكرنا، وفي (د، و) ما ذكر.

(١٠) انظر تفسير الطبري ٨/٥٤، وابن كثير ٢/١٨٥، والدر ٣/٥٣، وفتح الباري ٨/٢٣٧ كلها عن ابن عباس وغيره والزجاج ٢/٣٣١.

حرمنا عليهم شحومهما﴾ يعني: شحوم الجوف، وهي الثروب وشحم الكليتين [١]. قوله [٢] ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ قال قتادة: ما علق [٣] بالظهر والجنب من داخل بطونهما.

﴿أو الحوايا﴾ وهي المباعر، واحدتها: حاوية وحوية وحاوياء [٤]. يعني: وما حملت من الشحم. ﴿أو [٥] ما اختلط بعظم﴾ يعني: شحم الإلية في قول جميعهم [٦].

وقال [٧] ابن جريج: كل شحم في القوائم والجنب والرأس والأذنين [٨] والعينين فهو مما اختلط بعظم، وهو حلال لهم، إنما حرم عليهم الثرب وشحم الكلية.

وقوله [٩] ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم﴾ أي: ذلك التحريم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل، فهذا ببغيهم، وهذا كقوله ﴿فبظلم من الذين هادوا..﴾ الآية [١٠]. وقوله [٩] ﴿وإنا لصادقون﴾ أي: في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء.

- ﴿فإن كذبوك﴾ فيما تقول ﴿فقل ربكم ذو رحمةٍ واسعةٍ﴾ لذلك [١١] لا يعجل عليكم بالعقوبة ﴿ولا يُرد بأسه﴾ عذابه إذا جاء الوقت ﴿عن القوم المجرمين﴾ يعني: المكذبين.

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/٥٥ عن قتادة والسدي وابن زيد، وابن كثير ٢/١٨٥ عن السدي والثرب: الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش.

(٢) في (حـ، و) وقوله.

(٣) في (حـ) ما علق بالجنب والظهر وفي (و) إلا ما على الظهر، وانظر تفسير الطبري ٨/٥٥، وابن كثير ٢/١٨٥ كلاهما عن ابن عباس، والدر ٣/٥٣ عن قتادة.

(٤) انظر الزجاج ٢/٣٣١، وغريب القرآن ١٦٣، والدر ٣/٥٣ عن ابن عباس وأبي صالح، ومجاهد، والأخفش ٢/٥٠٨ ـ ٥٠٩، والبيان ١/٣٤٧. «والمباعر: واحدها مبعر بفتح الميم وكسرها ـ وهو حيث يجتمع البعر من الأمعاء» (اللسان/ بعر).

(٥) في (و) وما.

(٦) انظر تفسير ابن عباس ١٢١، والزجاج ٢/٣٣١، والفراء ١/٢٦٣، والطبري ٨/٥٦، والدر ٣/٥٣ عن ابن عباس.

(٧) في (حـ، د) قال ابن جريج.

(٨) في غير (أ) في العينين والأذنين. وانظر تفسير الطبري ٨/٥٦، وابن كثير ٢/ ١٨٥ كلاهما عن ابن جريج، والزجاج ٢/٣٣١ ـ ٣٣٢ والدر ٣/٥٣ عن ابن عباس.

(٩) في (د) قوله.

(١٠) سورة النساء/ ١٦٠.

(١١) ساقطة من (حـ) وفي (د) كذلك، وفي (و) أي لذلك.

عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

ـ **﴿سيقول الذين أشركوا﴾**[١] إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله **﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شيء﴾**.

قال المفسرون [٢]: إن المشركين جعلوا قولهم **﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾** حجة على إقامتهم على الشرك. فقالوا: إن الله تعالى رضي منا [٣] ما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به، ولو لم يرض ذلك منا لحال بيننا وبينه.

ولا يكون هذا حجة لهم على أن ما هم عليه من الدين حق، لأن الأشياء كلها تجري بمشيئة الله تعالى، فلو[٤] كانوا على صواب لأن ذلك بمشيئة الله لكان من خالفهم وجب أن يكون عندهم أيضاً على صواب، لأنهم أيضاً على ما شاء الله، فينبغي ألا يقولوا: إنهم ضالون، فبان أنه لا حجة لهم في قولهم **﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾** ولو كان الأمر على ما قالوه، لأنهم تركوا أمر الله تعالى وتعلقوا بمشيئة[٥] الله.

وأمر الله بمعزل عن إرادته، لأنه يريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد، فعلى العبد أن يتبع الأمر، وليس له أن يتعلق بالإرادة[٦] بعد ورود الأمر.

قوله[٧] **﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾** كما كذب هؤلاء كذب كفار الأمم الخالية أنبياءهم **﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾** شدة عذابنا **﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾**.

قال ابن عباس: من كتاب نزل من عند الله في تحريم ما حرمتم. **﴿إن تتبعون﴾** ما تتبعون فيما أنتم عليه **﴿إلا الظن﴾** لا العلم واليقين **﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾** وما أنتم إلا خارصين[٨] كاذبين.

ـ قوله[٩] **﴿قل فلله الحجة البالغة﴾** قال الزجاج[١٠]: حجته البالغة: تبيينه أنه الواحد وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز[١١] عنها المخلوقون. وهذا معنى قول المفسرين: ولله[١٢] الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان.

---

(١) في (حـ، و) قوله.

(٢) انظر الزجاج ٢/٣٣٢ ـ ٣٣٣، والطبري ٨/٥٧، وابن كثير ٢/١٨٦، والدر ٣/٥٤ عن ابن عباس.

(٣) في (د) رضي عنا.

(٤) في (د) ولو كانوا.

(٥) في (حـ، و) بمشيئته، وهي ساقطة من (د).

(٦) في غير (أ) بالمشيئة.

(٧) في (حـ، د) وقوله.

(٨) في (د) بخارصين، وفي (و) خارصون كاذبون.

(٩) ليست في (و).

(١٠) انظر الزجاج ٢/٣٣٣.

(١١) في (د) عجز.

(١٢) في (د) لله.

﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ وهذا يدل على أنه ما شاء إيمان الكافر، ولو شاء لهداه. أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي، أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر، أخبرنا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي [١]، حدثنا إبراهيم بن الحجاج [٢]، حدثنا جويرية بن أسماء[٣] قال:

سمعت علي بن زيد تلا هذه الآية **﴿قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾** فنادى بأعلى صوته: إنقطع والله ها هنا كلام القدرية[٤].

ـ قوله[٥] **﴿قل هلم شهداءكم. .﴾** الآية «هلم»: كلمة دعوة إلى شيء، تقول: هلم يا رجل، وكذلك للاثنين والجمع[٦] والمؤنث موحد، وهذه الكلمة تستعمل تارة بمعنى دعاء المخاطب كقولك: هلم إلي، أي: ادن مني وتعال، وتارة تستعمل بمعنى التعدية كقولك: هلم الطعام. وورد القرآن بالمعنيين، قال الله تعالى **﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾** [٧]، وقال في هذه الآية**﴿قل هلم شهداءكم﴾** [٨].

قال الزجاج[٩]: هاتوا وقربوا شهداءكم **﴿الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾** يعني: ما ذكر من الحرث والأنعام مما حرمه المشركون، يقول: ائتوا بمن يشهد [١٠] لكم أن هذا التحريم جاءكم من الله. **﴿فإن شهدوا﴾** هم وقالوا[١١]: نشهد بذلك **﴿فلا تشهد معهم﴾** لا توافقهم على دينهم ومقالتهم **﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾** يعني: هؤلاء

---

(١) في (أ) أبو بكر بن جعفر، وهو: جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض التركي أبو بكر الفريابي. قال الخطيب ثقة حجة توفي سنة ٣٠١ هـ. (تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٢ ـ ٦٩٤).

(٢) إبراهيم بن الحجاج النيلي أبو إسحاق البصري، وثقه الدارقطني وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ٢٣٢ هـ (تهذيب التهذيب ١/١١٤).

(٣) جويرية بن أسماء بن عبيد بن مخراق الضبعي المصري أبو مخراق سمع نافعاً مولى ابن عمر ومالك بن أنس وعنه عبد الله بن محمد بن أسماء وحبان بن هلال وحجاج بن منهال توفي سنة ١٧٣ هـ (كتاب الجمع ١/٧٨ ـ ٧٩).

(٤) انظر الدر ٣/٥٤، وفتح القدير ٢/١٧٦ كلاهما عن علي بن زيد.

(٥) في (و) قوله تعالى.

(٦) في (حـ) والجميع، وفي (د) الاثنين، وفي (و) والجميع والمؤنث والموحد.

(٧) سورة الأحزاب /١٨.

«هلم: للعرب فيها لغتان، إحداهما: أن تكون بلفظ واحد، وعلى هذا فهي إسم للفعل، وبنيت ولوقوعها موقع الأمر المبني، ومعناها: احضروا.

والثانية: تختلف، فتقول: هلما وهلموا وهلمي وهلممن، فعلى هذا هي فعل. واختلف في أصلها، فقال البصريون: أصلها «ها الم» أي: اقصد، فأدغمت الميم في الميم، وتحركت اللام، فاستغني عن همزة الوصل، فبقي «لم» ثم حذفت ألف «ها» التي للتنبيه، لأن اللام في «لم» في تقدير الساكنة إذا كانت حركتها عارضة ولحق حرف التنبيه مثال الأمر كما يلتحق غيره من المثل. ولفتح «الميم» فيها وجهان: أحدهما: أنها حركت لالتقاء الساكنين.

الثاني: أنها فتحت من أجل التركيب كما فتحت خمسة عشر وبابها» (انظر التبيان ١/٥٤٦ ـ ٥٤٧، والمشكل ١/٢٧٧، وفتح الباري ٨/٣٣٨، ومجاز القرآن ١/٢٠٨).

(٨) في غير (أ) الذين يشهدون.

(٩) انظر الزجاج ٢/٣٣٣.

(١٠) في (د) شهد.

(١١) في (د) هم قالوا.

المحرمين ما أحل الله ﴿والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ يشركون الأصنام [١].

قوله [٢] ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم [عليكم..﴾ الآية، يجوز أن يكون ﴿عليكم﴾ من صلة ﴿أتل عليكم﴾ [كأنه قال] [٣]؛ أتل عليكم ما حرم ربكم] [٤]، ويجوز أن تكون من صلة «التحريم».

قال ابن الأنباري: [٥] ويجوز أن يكون ﴿عليكم﴾ إغراء وانقطع عند قوله ﴿ما حرم ربكم﴾ ثم قال: عليكم ألا تشركوا به شيئاً، كما قال ﴿عليكم أنفسكم﴾[٦]. وقوله[٧] ﴿ألا تشركوا به شيئاً﴾ قال الزجاج[٨]: يجوز أن يكون هذا محمولاً على المعنى، فيكون: أتل عليكم ألا تشركوا، والمعنى: أتل عليكم تحريم الشرك. قال: وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم ألا تشركوا به شيئاً، لأن قوله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحساناً.

قوله[٩]﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾يقال: أملق الرجل فهو مملق، إذا افتقر [١٠] قال ابن عباس: [١١] يريد: مخافة الفقر، وقد صرح بهذا في قوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾[١٢].

وهذا في النهي عن الوأد، كانوا يدفنون البنات أحياء خوف الفقر، فضمن الله لهم الرزق فقال ﴿نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال ابن عباس[١٣] كانوا يكرهون أن يزنوا علانية فيفعلون ذلك سراً، فنهاهم الله عن الزنا سراً وعلانية. [١٤] قوله ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ قال ـ ابن عباس: إلا بالقود [١٥]، يعني: القصاص.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الصوفي[١٦]، أخبرنا علي بن أحمد بن محمد بن كمارويه القاضي[١٧]، حدثنا

---

(١) في (د) أي يشركون للأصنام.

(٢) في غير (أ) قوله تعالى.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (د).

قال الفراء: أصل «تعال» تفاعل من العلو أي: ارتفع، ثم أكثروا استعماله حتى جعلوه بمنزلة أقبل، يقال للرجل: تعال، وللرجلين: تَعَالَيا، وللرجال: تَعَالَوْا، وللمرأة تَعَالَيْ، وللمرأتين: تَعَالَيا، وللنسوة: تَعَالَيْنَ» (الزاهر ٢/٢٧٧).

(٥) ذكره أبو حيان وقال: وهذا بعيد لتفكيك الكلام عن ظاهره (البحر ٤/٢٥٠)، وانظر الرازي ١٣/٢٣١ والبيان ١/٣٤٩، والخازن ٢/١٩٩، وغرائب النيسابوري ٨/٤٦، وفتح القدير ٢/١٧٦.

(٦) سورة المائدة /١٠٥.

(٧) في (د) قوله، وفي (ح) وقوله لا تشركوا.

(٨) انظر الزجاج ٢/٣٣٤.

(٩) في (حـ، و) وقوله.

(١٠) انظر غريب القرآن ١٦٣، ومجاز القرآن ١/٢٠٨، وغرائب النيسابوري ٨/٤٦، واللسان / ملق.

(١١) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والزجاج ٢/٣٣٤، والطبري ٨/٦١، وابن كثير ٢/١٨٨ كلاهما عن ابن عباس.

(١٢) سورة الإسراء /٣١.

(١٣) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والطبري ٨/٦١، والدر ٣/٥٥ كلها عن ابن عباس.

(١٤) من (أ).

(١٥) في (حـ) بالقول. وانظر تفسير ابن عباس ١٢٢.

(١٦) في (أ) سعيد بن إبراهيم، سبق.

(١٧) علي بن أحمد بن محمد بن يوسف أبو الحسن القاضي السامري من أهل سر من رأى سمع إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي وكان ثقة صدوقاً صالحاً توفي سنة ٤٠٢ هـ (المنتظم ٧/٢٥٩).

محمد بن الحسين الزعفراني[١]، حدثنا محمد بن أحمد بن أبي العوام، حدثنا أبي [٢]، حدثنا يحيى بن سابق [٣] عن خيثمة بن خليفة [٤] عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن [٥]، عن أبي جعفر الباقر، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كان فيما أعطى الله تعالى موسى في الألواح[٦]: ولا تقتل النفس التي حرمت إلا بالحق فتضيق عليك الأرض برحبها والسماء بأقطارها وتبوء بسخطي في [٧] النار»[٨].

وقوله ﴿ذلكم﴾ يعني: ما ذكر في هذه الآية ﴿وصاكم﴾ أمركم ﴿ به[٩] لعلكم تعقلون﴾ لكي تعرفوا[١٠] ذلك.

ـ قوله﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ قال عطاء عن ابن عباس:[١١] يريد: إن كنت له وصياً فأصلحت ماله وقمت لله في ضيعته أكلت بالمعروف إن احتجت إليـه، وإن كنت غنياً عنـه فعف عن أكله. وقال الزجاج:[١٢] التي هي أحسن: هو حفظ ماله عليه، وتثميره بما يوجد السبيل إليه.

وقوله[١٣] ﴿حتى يبلغ أشده﴾ «الأشد»: مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة[١٤]. قال الفراء: واحدها «شد» في القياس ولم أسمع[١٥] لها بواحد[١٦]. وفسر بلوغ الأشد في هذه الآية بالاحتلام[١٧]، وقال أبو إسحاق [١٨]: بلوغ أشده، أن

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن سعيد أبو عبد الله الزعفراني الواسطي سمع أحمد بن الخليل البرجلاني وأحمد بن أبي خيثمة النسائي وزكريا الساجي وكان ثقة توفي سنة ٣٣٧ هـ. (تاريخ بغداد ٢/٢٤٠).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) يحيى بن سابق المديني عن أبي حازم المديني وزيد بن أسلم وجماعة وعنه قتيبة وعلي بن حجر وداود بن رشيد، وعدة، يقال له الخلقاني قال أبو حاتم ليس بالقوي، وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الثقات (الميزان ٤/٣٧٧).

(٤) في (و) خيثمة عن خليفة، وهو: خيثمة بن خليفة عن ربيعة الرأي قال الأزدي: ضعيف وهو كوفي. (المغني في الضعفاء ١/٢١٥، والميزان ١/٦٦٩).

(٥) ربيعة بن أبي عبد الرحمن ـ فروخ ـ المدني الفقيه ربيعة الرأي مولى آل المنكدر التيمي أبو عثمان سمع السائب بن يزيد وأنساً وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وثقه أحمد وغيره واحتج به أصحاب الكتب كلها توفي سنة ١٣٦ هـ (الميزان ٢/٤٤).

(٦) في (د) أعطا الله في الألواح.

(٧) في (أ، د) بسخطي والنار.

(٨) الحديث: انظر الدر ٣/١٢٢ «أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن لال في مكارم الأخلاق عن جابر» وانظر الحلية ٣/٢٦٥ ـ ٢٦٦ ـ رواه بسنده ثم قال: غريب من حديث أبي جعفر، وحديث ربيعة لم نكتبه إلا بهذا الإسناد من هذا الوجه والله أعلم.

(٩) في (د) أمركم لعلكم.

(١٠) في (حـ) لكي تعرفوا.

(١١) انظر تفسير ابن كثير ١/٤٥٣ عن ابن عباس، والدر ٢/١٢١، ١٢٢ عن ابن عباس، ٣/٥٥ عن ابن زيد.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٣٣٥.

(١٣) في (د) قوله.

(١٤) ذكره ابن منظور في اللسان/ شدد.

(١٥) في غير (أ) يسمع.

(١٦) ذكره ابن منظور في اللسان/ شدد عن الفراء، والرازي ١٣/٢٣٤، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/٥٩٧ ـ ٥٩٩، وغرائب النيسابوري ٨/٤٧ كلها عن الفراء، والبحر ٤/٢٥٣، وفتح القدير ٢/١٧٧.

«أبو الهيثم: واحدة الأنعم نعمة، وواحدة الأشد شدة، قال: والشدة: القوة، ـ والجلادة» (اللسان/ شدد).

(١٧) في (أ) باحتلام، وانظر تفسير ابن كثير ٢/١٨٩ عن الشعبي ومالك وغير واحد من السلف، والبحر ٤/٢٥٢ عن الشعبي وزيد بن أسلم ويحيى بن يعمر وربيعة ومالك وأبي حنيفة.

(١٨) انظر الزجاج ٢/٣٣٥ ـ ٣٣٦.

يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً، فحينئذ يجب دفع المال إليه. ﴿وأوفوا الكيل﴾ أتموه ولا تنقصوا منه[١] شيئاً ﴿والميزان﴾ أي: وزن الميزان ﴿بالقسط﴾ بالعدل، لا بخس ولا شطط ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها[٢]﴾ إلا ما يسعها ولا تضيق عنه، وذلك أنه لو كلف المعطي الزيادة لضاقت نفسه عنها، وكذلك لو كلف الآخذ الرضا بالنقصان.

﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ قال ابن عباس[٣]: إذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق ﴿ولو كان ذا قربى﴾ أي: ولو كان المشهود له وعليه ولدك وقرابتك. ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ أي:[٤] وبما عاهدتم الله عليه فأوفوا به ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ لتتذكروه وتأخذوا به.

ـ قوله ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ قال الفراء[٥]: تفتح «أن» بمعنى[٦]: وأتل عليكم[٧] أن هذا صراطي مستقيماً، وإن شئت قلت: ذلكم وصاكم به وبأن هذا[٨]. وسيبويه يقول: التقدير: ولأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه، كقوله ﴿وأن هذه أمتكم أمة واحدة﴾[٩] قال سيبويه: ولأن هذه أمتكم.

وقرأ ابن عامر (وأنْ) ـ مفتوحة مخففة من المشددة ـ والتقدير: وأنه هذا، ثم حذف الضمير وخففت ومن كسر «إن» استأنف بها[١٠].

قال ابن عباس: يريد: ديني دين الحنيفية أقوم الأديان وأحسنها، وقال مقاتل:[١١] الذي ذكر في هذه الآيات من أمره ونهيه صراطي مستقيماً ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ قال ابن عباس: اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأصنام[١٢]، وقال مجاهد[١٣]: يعني: البدع والشبهات. وقال مقاتل[١٤]: يعني طريق الضلالة[١٥] فيما حرموا على

---

(١) في (د) ولا تنقصوه شيئاً.

(٢) ليست في (د).

(٣) وبمثله قال الزجاج ٢/٣٣٦.

(٤) في (حـ، و) بما، وفي (د) ما.

(٥) انظر الفراء ١/٣٦٤، والبغوي ٢/٢٠٠، والقرطبي ٧/١٣٧، والحجة لأبي زرعة ٢٧٧، كلها عن الفراء، والتبيان ١/٥٤٩، وفتح القدير ٢/١٧٨ عن الفراء والكسائي.

(٦) في (و) معناه.

(٧) ساقطة من (حـ) وفي (د)، (و) عليهم.

(٨) في (و) هذا صراطي.

(٩) سورة المؤمنون /٥٢، وفي (حـ، د) (وإن هذه أمتكم). وانظر الكتاب ٢/١٢٦ ـ ١٢٧ والقرطبي ٧/١٣٧، وفتح القدير ٢/١٨٧ كلاهما عن سيبويه والخليل، والتبيان ١/٥٤٩.

(١٠) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم (وأَنَّ هذا صراطي) ـ بفتح الألف وتشديد النون ـ وحجتهم: ذكرها اليزيدي فقال: على معنى: وصاكم به وبأن هذا صراطي، وقال آخرون: نسق على قوله (أتل). وقرأ حمزة والكسائي (وإنَّ) ـ بكسر الألف وتشديد النون ـ على الإستئناف، وحجتهما في أن الكلام هو الاستئناف: قوله (وهذا صراط ربك مستقيماً) سورة الأنعام/ ١٢٦ ـ على الابتداء والخبر. وقرأ ابن عامر (وأنْ) ـ بفتح الألف وتخفيف النون ـ عطف على قوله (ألا تشركوا به شيئاً) (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٧، والسبعة ٢٧٣، والنشر ٢/٢٦٦، والتبيان ١/٥٤٩، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(١١) انظر البحر ٤/٢٥٤.

(١٢) في غير (أ) الأوثان، وانظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والفراء ١/٢٦٤، والطبري ٨/٦٤.

(١٣) انظر تفسير الطبري ٨/٦٥، والبحر ٤/٢٥٤، والدر ٣/٥٦، كلها عن مجاهد.

(١٤) انظر تفسير الطبري ٨/٦٥ عن ابن عباس، والبحر ٤/٢٥٤ عن مقاتل.

(١٥) في غير (أ) الضلالات.

أنفسهم من الأنعام والحرث. ﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾ [(١)] فتضل وتميل وتخالف بكم عن دينه. قال المفسرون: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار.

ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

ـ وقوله[(٢)] **﴿ثم ءاتينا موسى الكتاب﴾** «ثم» أوجب تأخير الخبر بعد الخبر الأول، يريد: ثم أخبركم بعد ما أخبرتكم بنزول التوراة على موسى فدخلت «ثم» لتأخير الخبر، لا لتأخير النزول. ذكر ذلك الزجاج وابن الأنباري[(٣)].

قوله[(٤)] **﴿تماماً على الذي أحسن﴾** أي: على الذي أحسنه موسى من العلم وكتب الله القديمة فيكون «أحسن» بمعنى: علم. وأراد بقوله **﴿تماماً﴾** على ذلك: زيادة على ذلك. قال الزجاج[(٥)]: و **﴿تماماً﴾** منصوب مفعول له، وكذلك **﴿وتفصيلاً﴾**. والمعنى: آتينا، للتمام والتفصيل **﴿[لكل شيء وهدى ورحمة]﴾**. وقوله [(٦)] **﴿لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾** قال ابن عباس [(٧)]: كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

ـ **﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾** يعني: القرآن **﴿فاتبعوه واتقوا﴾** اتبعوا حلاله، واتقوا حرامه **﴿لعلكم ترحمون﴾** لتكونوا راجين للرحمة[(٨)].

ـ **﴿أن تقولوا﴾** قال الفراء[(٩)]: «أن» متعلقة بـ «اتقوا» والتأويل[(١٠)]: اتقوا أن تقولوا. وعند البصريين معناه:

---

(١) انظر تفسير الطبري ٨/٦٤ عن ابن عباس والسدي، وابن كثير ٢/١٨٧، والدر ٤/٢ كلاهما عن ابن عباس. وراجع تفسير الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) في غير (أ) قوله.

(٣) انظر الزجاج ٢/٣٣٦، والبحر ٤/٢٥٥ عن الزجاج والرازي ١٤/٣، والطبري ٨/٦٦، وابن كثير ٢/١٩١.

(٤) في (حـ، و) وقوله.

(٥) انظر الزجاج ٢/٣٣٧، والبيان ١/٣٥٠.

(٦) في (د، و) قوله.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢.

(٨) في (د) الرحمة.

(٩) انظر الفراء ١/٣٦٦، والرازي ١٤/٥ عن الفراء، وفتح القدير ٢/١٨٠ عن الفراء، والكسائي، والمشكل ١/٢٧٨، وغريب القرآن ١٦٣.

(١٠) في (د) فاتقوا والتي.

أنزلناه كراهة أن تقولوا، ثم حذف المضاف[١] **﴿إنما أنزل الكتاب﴾** يعني: التوراة والإنجيل **﴿على طائفتين من قبلنا﴾** يعني:[٢]: اليهود والنصارى **﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين[٣]﴾** وما كنا عن تلاوة كتبهم إلا غافلين.

قال المفسرون:[٤] الخطاب لأهل مكة، والمراد: إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن كيلا يقولوا يوم القيامة إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما[٥]، فقطع الله معاذيرهم بإنزال القرآن.

قال الكسائي[٦]: **﴿وإن كنا عن دراستهم لغافلين﴾** لا نعلم ما هي، لأن كتابهم لم يكن بلغتنا، فأنزل الله كتاباً بلغتهم كيلا يعتذروا بأن الكتاب لم يأتهم وأن الرسول يبعث إليهم. وهذا معنى قوله:

- **﴿أو تقولوا﴾**[٧] يا معشر العرب **﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم﴾** من اليهود والنصارى **﴿فقد جاءكم بينة من ربكم﴾** رسول من ربكم بلسان عربي مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين **﴿وهدى ورحمة﴾** يعني: القرآن **﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله﴾** بعد هذا البيان **﴿وصدف﴾**[٨] أعرض **﴿عنها﴾** ثم أوعدهم فقال **﴿سنجزي الذين يصدفون..﴾** الآية.

- قوله[٩] **﴿هل ينظرون﴾** معنى ينظرون: ينتظرون، و «هل» استفهام معناه النفي، أي: لا ينتظرون **﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾** عند الموت لقبض أرواحهم وهذا خبر بمعنى النهي، أي: يجب أن لا ينتظروا بعد تكذيبك إلا أن تأتيهم الملائكة عند الموت فيقعوا[١٠] في العذاب. **﴿أو يأتي ربك﴾** قال ابن عباس: يتنزل[١١] أمر ربك فيهم بالقتل، وقال الزجاج[١٢] المعنى: أو يأتي اهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل أو بالقيامة. **﴿أو يأتي بعض ءايات ربك﴾** قال عامة المفسرين:[١٣] يعني: طلوع الشمس من مغربها، وهذا إنما ينتظره من تأخر في الوجود من مكذبي هذه الأمة[١٤]. **﴿يوم يأتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل﴾**[١٥] أي: لا ينفعها الإيمان عند الآية التي تضطرهم إلى الإيمان، لأن الله تعالى لو بعث على كل من لم[١٦] يؤمن عذاباً لاضطر الناس إلى الإيمان وسقط التكليف والجزاء.

---

(١) انظر الزجاج ٢/٣٣٨، والتبيان ١/٥٥٠، والأخفش ٢/٥٠٩، والطبري ٨/٦٨، وفتح القدير ٢/١٨٠ كلاهما عن البصريين.

(٢) في غير (أ) وهم.

(٣) من (د).

(٤) انظر تفسير ابن عباس ١٢٢، والدر ٣/٥٦ عن قتادة.

(٥) في (د) عما فيما.

(٦) انظر تفسير القرطبي ٧/١٤٤ عن الفراء والكسائي، والرازي ١٤/٥، والطبري ٨/٦٩ عن السدي، والبغوي ٢/٢٠٢.

(٧) في (د) ويقولوا.

(٨) في (حـ) وصدو، وفي (د) وصدف عنها أي أعرض، وانظر غريب القرآن ١٦٤.

(٩) في (و) قوله تعالى.

(١٠) في (د) ويقعوا.

(١١) في غير (أ) ينزل، وانظر البحر ٤/٢٥٨ عن ابن عباس، وفتح القدير ٢/١٨١.

(١٢) انظر الزجاج ٢/٣٣٩، والبحر ٤/٢٥٨ عن الزجاج.

(١٣) انظر الزجاج ٢/٣٣٩، وتفسير ابن عباس ١٢٣، والثوري ١١٠، وغريب القرآن ١٦٤، والفتح الرباني ١٨/١٤٢ ـ ١٤٣، والفراء ١/٣٦٦، والطبري ٨/٧٠ ـ ٧١ عن مجاهد وقتادة والسدي، والدر ٣/٥٧ عن ابن مسعود ومجاهد..

(١٤) في (د) مكذبي لمدة الآية.

(١٥) ليست في (و).

(١٦) في (د) من لا يؤمن عذاباً لضطر.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا حاجب بن أحمد [١]، حدثنا أبو صالح، حدثني الليث، حدثني جعفر بن ربيعة [٢]، عن عبد الرحمن بن هرمز قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت من المغرب آمن الناس كلهم، وذلك حين **﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**[٣] وقوله[٤] **﴿قل انتظروا﴾** قال ابن عباس[٥]: انتظروا يا أهل مكة **﴿إنا منتظرون﴾** بكم العذاب يوم القيامة أو قبلها في الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

- قوله[٦] **﴿إن الذين فرقوا دينهم﴾** قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدي والكلبي[٧]: هم اليهود والنصارى، وذلك أنهم اختلفوا فصاروا فرقاً يكفر بعضهم بعضاً، وآمنوا ببعض ما في أيديهم وكفروا ببعض، وذلك قوله **﴿وكانوا شيعاً﴾** أي: فرقاً وأحزاباً في الضلالة.

وقرأ حمزة **﴿فارقوا دينهم﴾** أي: باينوه وخرجوا عنه، وهذا يؤول إلى معنى **﴿فرقوا﴾** ألا ترى أنهم لما آمنوا ببعض وكفروا[٨] ببعض فارقوه كله، فخرجوا عنه، ولم يتبعوه[٩]

وروي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «يا عائشة **﴿إن الذين فرقوا[١٠] دينهم وكانوا شيعاً﴾**[١١] هم أصحاب البدع وأهل الأهواء وأصحاب - الضلالة - من هذه [١٢] الأمة»[١٣].

---

(١) في (و) حاجب بن محمد.

(٢) جعفر بن ربيعة بن شرحبيل بن حسنة القرشي من أهل مصر يكنى أبا نافع سمع أبا الخير مرثد والأعرج وطائفة وعنه الليث وبكر بن نصر توفي سنة ١٣٥ هـ (كتاب الجمع ١/ ٦٩).

(٣) الحديث: رواه البخاري في الصحيح - كتاب التفسير - آخر سورة الأنعام ٣/ ١٢٩ ومسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/ ٧٧ وأبو داود - كتاب الملاحم - باب أمارات الساعة - رقم ٤٣١٢ ٤/ ١١٥ كلهم من حديث أبي هريرة.

(٤) في (حـ) قوله قل فانتظروا.

(٥) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣.

(٦) في (حـ، و) قوله تعالى.

(٧) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣، والزجاج ٢/ ٣٣٩، والدر ٣/ ٦٣ عن قتادة، ومجاهد، والسدي وابن عباس، وابن كثير ٢/ ١٩٦ عن مجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن عباس والطبري ٨/ ٧٧ عن قتادة والسدي.

(٨) في (د) لما آمنوا ببعض فارقوه.

(٩) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر (فرقوا) - مشددة - من التفريق وحجتهم: قوله بعدها (وكانوا شيعاً) أي صاروا فرقاً وأحزاباً، قال عبد الوارث: وتصديقها قوله - (كل حزب بما لديهم فرحون) - سورة المؤمنون /٥٣ - بذلك على أنهم صاروا أحزاباً، وفرقاً. وقرأ حمزة والكسائي (فارقوا) - بألف - ومعنى فارقوا: أي زايلوا، وقد روي أن رجلاً قرأ عند علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (إن الذين فرقوا دينهم..) فقال علي: لا والله ما فرقوه، ثم قرأ (إن الذين فارقوا دينهم) أي تركوا دينهم الحق الذي أمر الله باتباعه ودعاهم إليه. (وانظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٨، والسبعة ٢٧٤، والنشر ٢/ ٢٦٦، والتبيان ١/ ٥٥٢ والفراء ١/ ٣٦٦، ومنتخب الكنز ١/ ٤٤٠، وكنز العمال ٢/ ٤٠٧، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(١٠) في غير (أ) فارقوا.

(١١) ليست في (حـ، د).

(١٢) ليست في (حـ).

(١٣) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة الأنعام عن أبي هريرة بلفظ «(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست=

أخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ، حدثنا عبدان حدثنا ابن مصفى[١]، حدثنا بقية[٢]، عن شعبة، عن مجالد، عن الشعبي، عن شريح، عن عمر:[٣] أن النبي ﷺ قال لعائشة: ﴿**إن الذين فرقوا**[٤] **دينهم وكانوا شيعاً**﴾ هم أصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة.[٥]

قوله[٦] ﴿**لست منهم في شيء**﴾ قال المفسرون: يقول[٧] لست من قتالهم في شيء ثم نسخته آية القتال. هذا إذا كان المراد بالآية اليهود والنصارى على ما روي مرفوعاً، معنى قوله ﴿**لست منهم في شيء**﴾ أي: أنت منهم بريء وهم منك براء، أي: لم تتلبس[٨] بشيء من مذاهبهم، والعرب تقول: إن فعلت كذا فلست مني ولست منك أي: كل واحد منا بريء من صاحبه. قوله ﴿**إنما أمرهم إلى الله**﴾ يعني: في الجزاء والمكافأة ﴿**ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون**﴾ إذا وردوا القيامة.

- وقوله[٩] ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ قال عطاء عن ابن عباس[١٠] يريد: من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات ﴿**ومن جاء بالسيئة**﴾ يريد: الخطيئة ﴿**فلا يجزى إلا مثلها**﴾ أي: إلا جزاء مثلها، لا يكون أكثر منها.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا محمد بن علي بن دحيم، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي[١١]، حدثنا وكيع عن الأعمش، عن معرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى: من جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها أو أزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر». رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع[١٢]

= منهم في شيء) قال: هم أهل البدع والأهواء من هذه الأمة» «رواه الطبري في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة» ٢٢/٧ - ٢٣. والطبراني في الأوسط ٣٨٤١ عن أبي هريرة.

(١) محمد بن مصفى بن بهلول القرشي أبو عبد الله الحمصي الحافظ قال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: صالح، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يخطىء توفي سنة ٢٤٦ هـ (تهذيب التهذيب ٩/٤٦٠ - ٤٦١).

(٢) بقية بن الوليد بن صابر بن كعب بن حمير أبو محمد الكلاعي الحمصي قال أبو حاتم الرازي: سألت أبا مسهر عن حديث لبقية فقال: احذر حديث بقية وكن منها على تقية فإنها غير نقية، وقال ابن المديني: روى أحاديث منكره، وقال ابن معين: إذا حدث عن الثقات فهو صالح وقال مرة: ثقة، وقال مرة ضعيف توفي سنة ١٩٧ هـ. (تاريخ بغداد ١٢٣/٧ - ١٢٧).

(٣) وفي (أ) عن مجاهد.

(٤) في غير (د) فارقوا.

(٥) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد - كتاب التفسير - من سورة الأنعام - بلفظ «أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء، ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء» رواه الطبري في الصغير وإسناده جيد عن عمر ٢٢/٧٠ ورواه في كتاب العلم - باب في البدع، والأهواء - «رواه الطبراني في الصغير وفيه بقية ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف ١/١٨٨ والطبراني في الصغير ١/٢٠٣ بإسناده عن محمد بن مصفى.. عن عمر».

(٦) في (جـ، و) وقوله.

(٧) ساقطة من (أ)، وفي (د) يقولون وانظر تفسير ابن عباس ١٢٣، والزجاج ٢/٣٣٩، والفراء ١/٣٦٦.

(٨) في (جـ، د) تلتبس.

(٩) في (جـ) قوله عز وجل، وفي (د) قوله، وفي (و) قوله تعالى.

(١٠) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣.

(١١) ساقطة من (أ).

(١٢) الحديث: صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى - عن أبي ذر. ٢/٤٧٠.

حدثنا أبو القاسم السراج ـ إملاء ـ أخبرنا محمد بن المؤمل بن الحسن [١] حدثنا الفضل بن محمد البيهقي [٢]، حدثنا أبو صالح، حدثني بن سليم [٣] عن أنس قال:

قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل «الحسنة بعشرة أمثالها إلى الزيادة والسيئة بواحدة، وأنا أغفر لابـن آدم إن لم يشرك بي شيئاً، وإن كان عليه قراب الأرض ذنوباً غفرت له، ولا أبالي» [٤].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصفهاني أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا قتيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية [٥]، عن أشياخ من التيم، عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني قال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها، قال: قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال نعم، هي [٦] أحسن الحسنات [٧]. قوله [٨] ﴿وهم لا يظلمون﴾ قال ابن عباس [٩]: لا ينقص ثواب أعمالهم.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ

---

(١) الإمام رئيس نيسابور أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسين بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري سمع الفضل بن محمد الشعراني والحسين بن الفضل وعدة وكان أبو علي الحافظ يقرأ عليه تاريخ أحمد بن حنبل توفي سنة ٣٥٠ هـ. (سير الأعلام ١٦/٢٣ ـ ٢٤).

(٢) الفضل بن محمد البيهقي الشعراني عن سعيد بن أبي مريم قال أبو حاتم: تكلموا فيه وقال الحاكم: كان أديباً فقيهاً عارفاً بالرجال وهو ثقة، لم يطعن فيه بحجة توفي سنة ٢٨٢ هـ. (الميزان ٣/٣٥٨، والمغني ٢/٥١٣).

(٣) كثير بن سليم الضبي البصري المدائني أبو سلمة عن أنس بن مالك وغيره وعنه أبو صالح كاتب الليث وأحمد بن يونس ضعفه ابن المديني وأبو حاتم وقال النسائي: متروك وقال أبو زرعة: واهٍ تـوفي سنة ١٧٠ هـ. (الميزان ٣/٤٠٥).

(٤) الحديث: رواه أحمد في المسند ٥/١٥٥ بنحوه، وابن ماجة ـ كتاب الأدب ـ باب فضل العمل رقـم ٣٨٢١ (٢/١٢٥٥) والمستدرك ـ كـتاب التوبة ـ بلفظ «الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد والسيئة بواحدة أو أغفرها، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي لقيتك بقرابها مغفرة» صحيح الإسناد ٤/٢٤١. كلهم من حديث أبي ذر.

(٥) في غير (أ) بشر بن عطية، وهو: شِمْر بن عطية الأسدي الكاهلي الكوفي صدوق ثقة من السادسة. (تاريخ الثقات ٢٢٣، والتقريب ١/٣٤٥).

(٦) في (د) لهي.

(٧) الحديث: انظر الدر ٣/٦٤ «أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي ذر» والجامع الكبير ١/٧٢، رواه أحمد عن أبي ذر.

ومسند أحمد ٥/١٦٩ عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها قال: قلت: يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله قال هي أفضل الحسنات. ومجمع الزوائد ـ كتاب الأذكار ـ باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا شمر بن عطية حدث عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحداً منهم» ١٠/٨١ وأبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله علمني عملاً يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها قال: قلت يا رسول الله، لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: هي أحسن الحسنات كفؤاً» جوده يونس بن بكير ٤/٢١٧ ـ٢١٨. والحديث بلفظه في طبقات الشافعية للسبكي ١/١٤٢» «رواه الطبري في كتاب الدعاء من حديث أبي ذر».

(٨) في (جـ، و) وقوله، وفي (د) قوله تعالى. وانظر تفسير ابن عباس بنحوه ص ١٢٣.

(٩) ليست في (د).

فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

ـ قوله ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً﴾ قال الزجاج[1]: أما نصب ﴿ديناً﴾ فمحمول على المعنى، لأنه لما قال ﴿هداني ربي إلى صراط مستقيم﴾ دل على عرفني، فكأنه قال: عرفني. وقوله[2] ﴿قيماً﴾ قال ابن عباس: مستقيماً[3] ومن قرأ ﴿قيماً﴾ فهو مصدر كالصغر والكبر والشبع[4] وذكرنا معنى ﴿قيماً﴾ في أول سورة النساء[5] وقوله[6] ﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾ «ملة بدل من ديناً قيماً وحنيفاً»[7] منصوب على الحال من إبراهيم، والمعنى: عرفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

ـ قوله[8] ﴿قل إن صلاتي ونسكي﴾ قال ابن عباس: يريد[9]: ذبيحتي، وقال مقاتل: حججي[10]. وقال الزجّاج: كل ما تقربت[11] به إلى الله تعالى، إلا أن الغالب عليه أمر الذبح. وقوله[12] ﴿ومحياي ومماتي﴾ أي: حياتي وموتي[13] ﴿لله رب العالمين[14]﴾ أي: هو يحييني ويميتني. وقرأ نافع «ومحيايْ» ـ ساكنة الياء ـ وهو شاذ غير مستعمل لأن فيه جمعاً بين الساكنين لا يلتقيان على هذا الوجه[15]. قال الزجاج[16]: أما «ياء» محياي فلا بد من فتحها لأن قبلها

---

(١) انظر الزجاج ٢/ ٣٤٢ والبيان ١/ ٣٥١ والمشكل ١/ ٢٧٩، والتبيان ١/ ٥٥٣.

(٢) في (د) قوله.

(٣) وبه قال الزجاج ٢/ ٤٣٢ والأخفش ٢/ ٥١٠، والطبري ٨/ ٨٢.

(٤) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي (قِيَما) ـ مكسورة القاف مفتوحة الياء ـ أي: مستقيماً والأصل «قِوَم» فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار ـ قام فلما اعتل الفعل اعتل المصدر فقيل قيم. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (قَيِّماً) مفتوحة القاف مشددة الياء ـ وحجتهم: قوله ﴿ذلك الدين القيِّم﴾ ـ سورة التوبة ٣٦ ﴿فيها كتب قيِّمة﴾ ـ سورة البينة /٣ ـ قال الفراء: في هذه الكلمة لغات للعرب تقول: هذا قيام أهله وقوام أهله وقيم أهله وقيم أهله. (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٨ ـ ٢٧٩، والسبعة ٢٧٤، والحجة لابن خالويه ١٥٢).

(٥) راجع تفسير الآية ٥ من سورة النساء.

(٦) في (جـ، و) وقوله.

(٧) ليست في (د).

(٨) ليست في (و) وفي (د) قوله أن صلاتي.

(٩) ليست في (د). وانظر تفسير ابن عباس ١٢٣، وغريب القرآن ١٦٤ والدر ٣/ ٦٦ وابن كثير ٢/ ١٩٨ والطبري ٨/ ٨٣ كلها عن مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي.

(١٠) وهو رأي آخر لابن عباس في تفسيره ١٢٣، والدر ٣/ ٦٦ عن مقاتل وقتادة.

(١١) في (د) كلما يتقرب، وانظر الزجاج ٢/ ٣٤٣، وغريب القرآن ١٦٤.

(١٢) في (د) قوله.

(١٣) في (جـ) ومماتي.

(١٤) في غير (أ) (لله) وفي (د) لله تعالى هو..

(١٥) قرأ نافع (ومحيايْ) ساكنة الياء (ومماتيَ لله) بفتح الياء. وقرأ الباقون (ومحيايَ) مفتوحة الياء (ومماتي لله) ساكنة الياء (انظر الحجة لأبي زرعة ٢٧٩، والسبعة ٢٧٤، والنشر ٢/ ٢٦٧، والتبيان ١/ ٥٥٣، والزجاج ٢/ ٣٤٣). وانظر الحجة لأبي زرعة عند قوله تعالى ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ـ الآية ٣٠ من سورة البقرة ـ تراه يقول: فأما مَن فتح «الياء» فعلى أصل الكلمة وذلك أن الياء اسم للمتكلم، والاسم لا يخلو من أن يكون مضمراً أو مظهراً، فإذا كان ظاهراً أعرب، وإذا كان مضمراً بني على حركة كالكاف في «ضربتك» والتاء في «قمت». وكذلك «الياء» وجب أن تكون مبنية على حركة، لأنها علامة إضمار وهي خلف من المعربة، والدليل على ذلك قوله ﴿وما أدراك ماهية﴾ (حسابية) لأن الهاء إنما أتي بها للسكت لتبين بها حركة ما قبلها، وأما من سكن «الياء» فإنه عدل بها عن أصلها استثقالاً للحركة عليها، لأن الياء حرف ثقيل، فإذا حرك ازداد ثقلاً على ثقله. وفي ياءات الإضافة أربع لغات:

١ ـ فتح الياء على أصل الكلمة. ٢ ـ إسكانها تخفيفاً. ٣ ـ إثبات الهاء بعد الياء. ٤ ـ الحذف (انظر الحجة ٩٥ ـ ٩٦).

(١٦) انظر الزجاج ٢/ ٣٤٣ وانظر الكتاب ٣/ ٥٢٧، ٢/ ٣٥٢ والقرطبي ٧/ ١٥٢ وفتح القدير ٢/ ١٨٥ كلاهما عن يونس.

ساكناً ومثل هذا ما جوزه يونس [1] من قوله: اضربنان زيداً، واضربنان زيداً، وسيبويه ينكر لك من قول يونس. ومعنى الآية: أنه يخبر بأنه إنما يتوجه بالصلاة وسائر المناسك إلى الله تعالى لا إلى غيره كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم فأعلم أنه لله وحده ﴿لا شريك له﴾ وقوله[2] ﴿وبذلك أمرت﴾ قال ابن عباس: بذلك أوحي إلي ﴿وأنا أول المسلمين﴾ قال قتادة[3] أول المسلمين من هذه الأمة، وقال مقاتل: أول المخلصين[4] من أهل مكة.

[حدثنا محمد بن علي بن حبيب[5]] أخبرنا محمد بن الفضل بن محمد السلمي[6] أخبرنا جدي، حدثنا علي بن حجر، حدثنا النضر بن إسماعيل الكوفي [7]، عن أبي حمزة الثمالي [8]، عن سعيد بن حبير، عن عمران بن حصين: أن رسول الله ﷺ قال: يا فاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملتيه [9]، وقولي: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. قال عمران: قلت يا رسول الله، هذا لك ولأهل بيتك خاصة، فأهل ذلك أنتم، أم للمسلمين عامة؟ قال: «بل للمسلمين عامة»[10].

ـ قوله ﴿قل أغير الله أبغي رباً [وهو رب كل شيء]﴾ قال ابن عباس[11]: سيداً وإلهاً وهو سيد كل أحد ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ لا تجني نفس ذنباً إلا أخذت به وكان إثمه على الجاني نفسه ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قال ابن عباس [12] إن الوليد بن المغيرة كان يقول: اتبعوا سبيلي أحمل أوزاركم، فقيل[13] ﴿ولا تزر وازرة

---

(١) يونس بن حبيب الضبي ـ بالولاء ـ أبو عبد الرحمن ويعرف بالنحوي، علامة بالأدب كان إمام نحاة البصرة في عصره أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم قال أبو عبيدة اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه ولد سنة ٩٤ هـ وتوفي سنة ١٨٢ هـ (الأعلام ٩/٣٤٤).

(٢) في (د) قوله.

(٣) انظر تفسير الطبري ٨/٨٣، وابن كثير ٢/١٩٨ وفتح القدير ٢/١٨٥ كلها عن قتادة.

(٤) في (د) المصلحين، وانظر البحر ٤/٢٦٢.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (و).

(٦) أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري روى الكثير عن جده وأبي العباس السراج وخلق واختلط قبل موته بثلاثة أعوام فتجنبوه توفي سنة ٣٨٧ هـ (شذرات ٣/١٢٦).

(٧) النضر بن إسماعيل أبو المغيرة البجلي الكوفي القاضي عن محمد بن سوقة وأبي حمزة الثمالي والأعمش، قال يحيى ليس بشيء، وقال النسائي وأبو زرعة ليس بالقوي وقال ابن حبان: فحش خطؤه حتى استحق الترك وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به وقال العجلي: ثقة مات سنة ١٨٢ هـ (الميزان ٤/٢٥٥).

(٨) أبو حمزة الثمالي: ثابت بن أبي صفية الكوفي عن أنس وعدة، وعنه وكيع وأبو نعيم وخلق، ضعفوه مات سنة ١٥٠. (الكاشف ١/١٧١، والأعلام ٢/٨١).

(٩) في (د) عملته.

(١٠) الحديث: انظر الدر ٣/٦٦ «أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عمران» وكذا في فتح القدير ٢/٢٠٧ والجامع الكبير ١/٩٧٥ «رواه الحاكم والطبراني»، والمستدرك ـ كتاب الأضاحي ـ وصححه، قال الذهبي: أبو حمزة: ضعيف جداً ٤/٢٢٢ ومجمع الزوائد ـ كتاب الأضاحي ـ باب فضل الأضحية وشهود ذبحها «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه أبو حمزة الثمالي وهو ضعيف» والطبراني في الكبير ١٨/٢٣٩ كلهم من حديث عمران.

(١١) انظر تفسير البغوي ٢/٢٠٧ عن ابن عباس والطبري ٨/٨٣.

(١٢) انظر تفسير البغوي ٢/١٠٨، والخازن ٢/٢٠٨ كلاهما عن ابن عباس والبحر ٤/٤٦٣.

(١٣) في (د) فقيل له.

وزر أخرى﴾ ولا تؤخذ نفس آثمة بإثم أخرى أي: يؤخذ أحد بذنب غيره ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾.

ـ وقوله[١] ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ هو الذي جعلكم يا أمة محمد خلائف الأمم الماضية في الأرض بأن أهلكهم وأورثكم الأرض بعدهم ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في المعاش، والغنى والرزق، قاله الكلبي ومقاتل والسدي[٢] ﴿ليبلوكم في ما ءاتاكم﴾ ليختبركم فيما رزقكم، والمعنى ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب. ﴿وإن ربك سريع العقاب﴾ لأعدائه، يعد النبي ﷺ بهلاك أعدائه وقتلهم ﴿وإنه لغفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بهم.

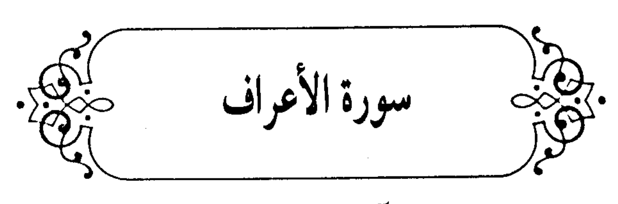
أخبرنا أبو منصور البغدادي، أخبرنا أبو عمرو بن مطر[٣]، حدثنا إبراهيم بن علي، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية، عن حجاج، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون قدر سعة رحمة الله تعالى لاتكلتم عليها وما عملتم إلا قليلاً، ولو تعلمون قدر غضب الله تعالى لظننتم أن لا تنجوا وأن لا ينفعكم منه شيء»[٤].

(١) في (د) قوله تعالى.

(٢) انظر تفسير ابن عباس ١٢٣، والدر ٣/٦٧ عن مقاتل، والطبري ٨/٨٤، وفتح القدير ٢/١٨٦ كلاهما عن السدي.

(٣) في (جـ) أبو عمر ومحمد بن مطر، وفي (د، و) محمد بن جعفر بن مطر.

(٤) الحديث: رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ـ كتاب التوبة ـ باب في رحمة الله تعالى «رواه البزار وإسناده حسن» عن أبي سعيد (١٠/٢١٣).



سورة الأعراف

مكيّة وآياتها ست ومائتان

أخبرنا الشيخ الإمام، الصالح، الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن الحسين بن محمد الفرخاني[1] السمناني، بعد أن قدم حاجاً في شوال، سنة تسع عشرة وخمسمائة قال: أخبرنا الإمام، أبو الحسن، علي بن أحمد الواحدي [رحمة الله عليه في سنة ست وستين وأربعمائة][2] قال:

تفسير سورة الأعراف[3]

أخبرنا أبو سعد: محمد بن علي الحيري[4] أخبرنا أبو عمرو: محمد بن جعفر المؤذن، حدثنا إبراهيم بن شريك، نا أحمد بن يونس[5] نا سلام بن سليم، نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم، عن أبيه[6] عن أبي أمامة عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً، وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة».

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) الفرخاني: بفتح الفاء وضم الراء المشددة وفتح الخاء وفي آخرها النون هذه النسبة إلى فرخان، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب انظر الأنساب (٣٦١/٤)٨ .

(٢) ما بين المعكوفين سقط في أ، ج.

(٣) في (ب) سورة آلمص، وسورة الأعراف مكية إلا ثمان آيات وهي قول (واسألهم عن القرية) إلى قوله (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) وقد أخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: سورة الأعراف نزلت بمكة. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير مثله، وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتاده قال: آية من الأعراف مدنية وهي (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) - إلى آخر الآية. وسائرها مكية. انظر فتح القدير (١٨٧/٢) وانظر الدر المنثور (٦٧/٣) - تفسير القرطبي (١٠٤/٧) - روح المعاني (٧٤/٨) - تفسير البغوي (١٤٧/٢) - البحر المحيط (٢٦٩/٤) - التحرير والتنوير (٦/٨).

(٤) الحيري: بكسر الحاء المهملة، وسكون الياء المنقوطة باثنتين، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الحيرة وهي بالعراق عند الكوفة وبخراسان بنيسابور - انظر الأنساب (٢٩٧/٢).

(٥) أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس الكوفي التميمي اليربوعي ثقة حافظ من كبار العاشرة مات سنة سبع وعشرين - انظر تقريب التهذيب (١٩/١) - شذرات الذهب (٥٩/٢).

(٦) أسلم العدوي، مولى عمر بن الخطاب ثقة مخضرم - انظر تقريب التهذيب (٦٤/١) - شذرات الذهب (٨٨/١).

أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

﴿المٓصٓ﴾ قال ابن عباس[1]: «أنا الله أعلم وأفصل»[2] **﴿كتاب﴾** أي: هذا كتاب **﴿أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه﴾**.

قال ابن عباس: «ضيق»[3]، والمعنى: لا يضيق صدرك بالإبلاغ، وتأدية ما أرسلت به.

وقوله: **﴿لتنذر به﴾** قال الفراء: اللام في لتنذر، منظوم بقوله: أنزل، على تقدير: كتاب أنزل إليك لتنذر به[4]، **﴿وذكرى للمؤمنين﴾** ومواعظ للمصدقين[5]، **﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾** اتبعوا القرآن[6]، قال الحسن: يا ابن آدم، أمرت باتباع كتاب الله، والله ما نزلت آية إلا ويجب أن تعلم فيم أنزلت وما معناها[7] **﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾** لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله، **﴿قليلاً ما تذكرون﴾** قليلاً يا معشر المشركين تذكركم، واتعاظكم، والأصل: تتذكرون، فادغمت التاء في الذال، وحذف حمزة التاء، فخفف الذال، وقرأ ابن عامر يتذكرون، بياء وتاء[8] أي: قليلاً ما يتذكرون هؤلاء الذين ذكروا بهذا الخطاب.

ثم خوفهم بإهلاك من كذب قبلهم فقال: **﴿وكم قرية أهلكناها﴾** يعني: أهلكنا أهلها، فحذف المضاف، **﴿فجاءها بأسنا بياتاً﴾** عذابنا ليلاً، يقال: بات يبيت بياتاً وبَيْتَةً، والبيات هنا مصدر يراد به الصفة[9]، أي: جاءهم

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري (١٢/٢٩٣) رقم (٤٣١٠) ـ (٤٣١١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٦٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وذكره السمرقندي في بحر العلوم في أول سورة الأعراف بتحقيقنا، وذكره الحافظ ابن كثير (٣/٣٨٢) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٦٤)، تفسير القرطبي (١/١٠٩)، والرازي (١٤/١٣)، والبغوي (١/٤٤)، وأبو حيان (٤/٢٦٦) والألوسي في روح المعاني (٨/ ٧٤).

(٢) قال الواحدي: وعلى هذا التفسير فهذه الحروف واقعة في موضع جمل، والجمل إذا كانت ابتداء وخبراً فقط لا موضع لها من الإعراب فقوله: أنا الله أعلم، لا موضع لها من الإعراب ـ انظر تفسير الرازي (١٤/١٣).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٦٧)، وعزاه لأبي الشيخ عن الضحاك، وذكره البغوي في تفسيره (٢/١٤٨) عن أبي العالية، وأبو حيان في البحر (٤/٢٦٦)، عن الحسن وذكره أيضاً عن الفراء ـ وانظر مجاز القرآن ١/٢١٠ والقرطبي (٧/١٠٤) وفتح القدير (٢/١٣٧)، وبحر العلوم في تفسير الآية وأخرج الطبري في تفسيره (١٢/٢٩٦) عن مجاهد وقتادة والسدي: شك منه.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣٧٠)، وقال السمرقندي في البحر: (لتنذر به) أي لتخوف بالقرآن أهل مكة.

(٥) نسب الفخر الرازي هذا المعنى لابن عباس (١٤/١٥).

(٦) دلت هذه الآية على ترك اتباع الآراء مع وجود النص ـ انظر تفسير القرطبي (٧/١٠٥).

(٧) ذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٤/١٦).

(٨) من خفف حذف إحدى التاءين وهي الثانية، وهما زائدتان إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال، والثانية إنما دخلت على معنى (فعلت الشيء) على تمهل نحو قولك تفهمت الشيء أي أخذت على مهل ومن شدد أدغم التاء في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه انظر حجة القراءات (٢٧٩)، وانظر النشر (٢/٢٦٧) ـ شرح شعلة على الشاطبية (٣٨٦) وانظر إتحاف فضلاء البشر (٢/٤٤).

(٩) يريد بقوله «الصفة» أي صفة حالهم وليس المراد صفة في الإعراب، لأن (بياتاً) نصب على المصدر في موضع الحال ـ انظر البيان لأبن الأنباري (١/٣٥٤).

بأسنا بائتين نائمين، ﴿أو هم قائلون﴾ القيلولة: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر، وإن لم يكن مع ذلك نوم[١]. قال الزجاج: «جاءكم بأسنا مرة ليلاً، ومرة نهاراً، فاعتبروا بهلاك من شئتم منهم»[٢].

ومعنى الآية: إنهم جاءهم بأسنا، وهم غير متوقعين له، إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون. ﴿فما كان دعواهم﴾ أي دعاؤهم، وتضرعهم، والدعوى: اسم يقوم مقام الادعاء والدعاء[٣]، حكى سيبويه: «اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين[٤]» وقوله ﴿إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾ قال ابن الأنباري: يقول لم يكن قولهم أن جاءهم العذاب، إلا الاعتراف بالظلم، والإقرار بالإساءة[٥].

قوله ﴿فلنسألنَّ الذين أرسل إليهم﴾ قال: الضحاك «الذين أرسل إليهم: الأمم الذين أتاهم الرسل، يسألون، هل بلغكم الرسل ما أرسلوا به إليكم»[٦].

﴿ولنسألن المرسلين﴾ يعني الأنبياء، هل بلغتم قومكم ما أرسلتم به؟ وماذا أجابكم قومكم[٧]؟ وقال السدي «تسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرسل؟ ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به[٨]».

﴿فلنقصن عليهم بعلم﴾ [أي] [٩]: لنخبرنهم بما عملوا منا ﴿وما كنا غائبين﴾ عن الرسل والأمم، وما بلغت، وما رد عليهم قومهم، قوله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ يعني يوم السؤال[١٠].

---

(١) لسان العرب (٥/٣٧٩٦) ـ ترتيب القاموس (٣/٧٢٥) ـ الصحاح (٥/١٨٠٨)، غريب القرآن (١٦٥)، ـ مجاز القرآن (١/٢١٠)، النهاية في غريب الحديث (٤/١٣٣) ـ المصباح المنير (٢/٧١٦).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج (٢/٣١٧)، ـ تفسير البغوي (٢/١٤٨)، تفسير القرطبي (٧/١٠٦)، تفسير الرازي (١٤/١٩).

(٣) انظر لسان العرب (٢/١٣٨٥)، مجاز القرآن (١/٢١٠)، تفسير البغوي (٢/١٤٨)، تفسير الرازي (١٤/١٩)، تفسير الطبري (٨/٨١، روح المعاني (٨/٨٠).

(٤) انظر الكتاب (٤/٤٠).

(٥) البيان لابن الأنباري (١/٣٥٤) ـ انظر معالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٨).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه عن ابن عباس ٣/٦٧، وعزاه لابن جرير (١٢ ـ ٣٠٦) رقم (٤٣٢٤) وابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث، وانظر ابن كثير (٣/٣٨٤).

(٧) المراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم، والذي نفى بقوله تعالى: ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون «سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب ـ انظر تفسير أبي السعود ٢/٢١٢، معالم التنزيل للبغوي (٢/١٤٨)، تفسير الرازي ١٤/٢١، البحر المحيط (٤/٢٧٠)، الكشاف (٢/٨٨).

(٨) انظر تخريج الأثر السابق وانظر الدر المنثور ٣/٦٧ ـ الطبري (١٢/٣٠٦).

(٩) سقط في أ، ب.

(١٠) بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن وزنه للأعمال يوم القيامة حق أي: لا جور فيه ولا ظلم فلا يزاد في سيئات مسيء، ولا ينقص من حسنات محسن. وأوضح هذا المعنى في مواضع آخر كقوله: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقوله: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تـك حسنة يضاعفها) الآية إلى غير ذلك من الآيات. قوله تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن من ثقلت موازينهم افلحوا، ومن خفت موازينهم خسروا بسبب ظلمهم، ولم يفصل الفلاح والخسران هنا. وقد جاء في بعض المواضع ما يدل على أن المراد بالفلاح هنا كونه في عيشة راضية في الجنة، وأن المراد بالخسران هنا كونه في الهاوية من النار، وذلك في قوله: (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ما هيه نار حامية). وبين أيضاً خسران من خفت موازينه بقوله: (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون. تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) إلى غير ذلك من الآيات. انظرضوء البيان (٢/٢٩١ ـ ٢٩٢).

وعامة المفسرين: على أن المراد بهذا الوزن وزن أعمال العباد [١].

قال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفَّتان، فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفه الميزان فتثقل حسناته على سيئاته[٢] فذلك قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ وهذا كقوله: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾[٣] الآية، وإنما قال موازينه على الجمع، لأن «من» في معنى الجمع، ألا ترى أنه قال: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ بالجمع[٤] وبعض المفسرين يذهب إلى أن الوزن يعود إلى الصحف التي فيها أعمال العباد[٥].

قوله: ﴿ومن خفت موازينه﴾ قال ابن عباس: يؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان، فيخف وزنه[٦]، فذلك قوله: ﴿فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ أي صاروا إلى العذاب ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ بجحودهم بما جاء به محمد ﷺ.

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز[٧]، أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري، أنا أحمد بن محمد بن بشار[٨] أنا عمر بن محمد[٩] أنا أبي أنا[١٠] عصام بن طَلِيق[١١] عن داود[١٢] عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ،

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي، (٢/١٤٩)، تفسير القرطبي (٧/١٠٧)، تفسير الرازي (١٤/٢٢)، تفسير الطبري (١٢/٣١٢)، ابن كثير (٣/٣٨٥)، تفسير أبي السعود (٣/٢١٣)، روح المعاني (٨/٨٢ ـ ٨٣)، التحرير والتنوير (٨/٢٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر (٣/٦٩) وعزاه لأبي الشيخ، انظر تفسير الطبري ١٢/٣١١، تفسير القرطبي ٧/١٠٨، والفخر الرازي ٨/١٤.

(٣) الأنبياء «٤٧».

(٤) قال الزجاج: إنما جمع الله الموازين هنا فقال (فمن ثقلت موازينه) ولم يقل ميزانه لوجهين: الأول: أن العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد، فيقولون: خرج فلان من مكة على البغال. والثاني: أن المراد من الموازين ههنا جمع موزون، لا جمع ميزان، وأراد بالموازين الأعمال الموزونة. انظر تفسير الرازي (١٤/٢٣) ـ انظر البحر المحيط (٤/٢٧٠)، تفسير البغوي (٢/١٤٩) الكشاف (٢/٨٩) روح المعاني (٨/٨٤) ـ تفسير أبي السعود (٢/٢١٢).

(٥) تفسير الطبري (١٢/٣١٠) وانظر المراجع السابقة.

(٦) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢/١٤٩، وابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٧١)، وتفسير القرطبي ٧/١٠٨، والسمرقندي في بحر العلوم في تفسير الآية.

(٧) البزاز: بفتح الباء المنقوطة بواحدة، والزايين المعجمتين بينهما الف هذه اللفظة تقال لمن يبيع البز وهو الثياب، انظر الأنساب (١/٣٣٨).

(٨) احمد بن محمد بن بشار بن رجاء، ابو بكر، ويعرف بابن ابي العجوز، وثقه الدارقطني، مات في شعبان من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ـ انظر تاريخ بغداد ٤/٤٠٠ ـ ٤٠١

(٩) عمر بن محمد بن الحسن بن الزبير الأسدي، بفتح المهملة، الكوفي، المعروف بابن التل، بفتح المثناة بعدها لام، صدوق، ربما وهم، من الحادية عشرة قال البخاري مات سنة خمس ومائتين. انظر تقريب التهذيب (٢/٦٢) ـ الخلاصة (٢/٢٧٧).

(١٠) محمد بن الحسن بن الزبير الأسدي الكوفي، لقبه التل بفتح المثناة وتشديد اللام صدوق فيه لين، قال أبو حاتم: شيخ، وقال مرة: ليس بشيء، وقال أبو داود: صالح يكتب حديثه، وقال ابن عدي له أفراد ولم أر بحديثه بأساً. قال البخاري مات سنة مائتين ـ انظر الخلاصة (٢/٣٩٣)، تقريب التهذيب (٢/١٥٤).

(١١) عصام بن طليق، بفتح أوله وتخفيف اللام، الطفاوي بضم المهملة بعدها فاء خفيفة ضعيف، من السابعة وقال البخاري: منكر الحديث ـ انظر تقريب التهذيب (٢/٢١) ـ الخلاصة (٢/٢٢٨).

(١٢) داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، الزعافري، بزاء مفتوحة ومهملة وكسر الفاء، أبو يزيد الكوفي، الأعرج، عم عبد الله بن إدريس ضعيف، مات سنة إحدى وخمسين، انظر تقريب التهذيب (١/٢٣٥)، الخلاصة (١/٣٠٧).

قالت: كان رسول الله ﷺ نائماً في حجري، فقطرت دموعي على خده فاستيقظ، فقال: ما يبكيك؟ فقلت: ذكرت القيامة وهولها، فهل تذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ قال: أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد فيها أحداً إلا نفسه، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى يعلم أيأخذ صحيفته بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يجاوزه [١].

وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ «إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة، باتباعهم في الدنيا الحق، وثقله عليهم، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة، باتباعهم في الدنيا الباطل، وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف [٢]».

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٤٠) كتاب السنة باب في ذكر الميزان (٤٧٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٨) كتاب الأهوال باب بشارة النبي للمسلمين وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها ـ وأم سلمة، وأقره الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع مطولاً (١٠/ ٣٦١) عن عائشة رضي الله عنها ـ وعزاه لأحمد، وقال فيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأما إسناد المصنف ضعيف لضعف داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، قال ابن معين: ليس بشيء، وذكره البخاري في الكبير (٢/ ٢٣٩) فلم يذكر فيه جرحاً، وقال ابن المديني: أنا لا أروي عنه، وقال عنه ابن حبان: يقبل إذا روى عن ثقة، وذكره العقيلي في الضعفاء ٢/ ٤٠ وضعفه الحافظ في التقريب (١/ ٢٣٥) كما اوضحنا في ترجمته.

(٢) ذكر ذلك سيدنا أبو بكر ـ رضي الله عنه حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه انظر معالم التنزيل للإمام البغوي (٢/ ١٤٩).

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

قوله: ﴿ولقد مكنّاكم في الأرض﴾ قال ابن عباس: ملكناكم في الأرض، يريد ما بين مكة إلى اليمن وما بين مكة إلى الشام ومعنى التمكين في الأرض التمليك والقدرة[1] والخطاب لقريش، وكان الله تعالى قد فضلهم على العرب، وكانوا يتجرون فيما بين مكة والشام واليمن آمنين، ويكسبون الأموال، وهو قوله ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ وهي جمع المعيش والمعيشة وهي ما يعاش به[2] من المكاسب والتجارات[3]، وقوله ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ قال ابن عباس: [يريد][4] أنكم غير شاكرين لأنعمي، ولا طائعين[5] ﴿ولقد خلقناكم﴾ يعني آدم، وإنما قال بلفظ الجمع، لأنه أبو البشر، وفي خلقه خلق من يخرج من صلبه، ﴿ثم صورناكم﴾ يعني ذريته في ظهر آدم، كما رُوي «إن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره في صورة الذر»[6].

ويجوز أن يكون المراد بقوله: ﴿ثم صورناكم﴾ آدم، ولا يجوز أن يكون المراد بقوله ﴿ثم صورناكم﴾ تصوير ذريته في الأرحام، لقوله ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، لأن هذا كان قبل تصوير ذرية آدم في الأرحام[7].

قوله عز وجل: ﴿قال ما منعك ألاَّ تسجد إذْ أمرتك﴾ معنى هذا السؤال[8] التوبيخ لإبليس [لعنه الله][9] وإظهار

(١) أصله مشتق من المكان فمعنى مكنه ومكنه له، وضع له مكانا قال تعالى: «أو لم نمكّن لهم حرماً آمناً» ومثله قولهم: أرض له، ويكنى بالتمكين عن الاقدار وإطلاق التصرف لأن صاحب المكان يتصرف في مكانه وبيته، ثم يطلق على التثبيت والتقوية والاستقلال بالأمر، ويقال هو مكين بمعنى ممكن، فعيل بمعنى مفعول، قال تعالى: (إنك اليوم لدينا مكين أمين) فهو كناية أيضاً بمرتبة ثانية، أو هو مجاز مرسل مرتب على المعنى الكنائي. والتمكين في الأرض تقوية التصرف في منافع الأرض والاستظهار بأسباب الدنيا، بأن يكون في منعه من العدو، وفي سعة في الرزق وفي حسن حال قال تعالى: (إنا مكنا له في الأرض)، وقال: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة) الآية فمعنى مكنه: جعله متمكناً، ومعنى مكن له: جعله متمكناً لأجله أي: رعياً له مثل حمده وحمد له، فلم تزده اللام ومجرورها إلا إشارة إلى أن الفاعل فعل ذلك رغبة في نفع المفعول، ولكن الاستعمال أزال الفرق بينهما وصير مكنه ومكن له بمعنى واحد، فكانت اللام زائدة كما قال أبو علي الفارسي، ودليل ذلك قوله تعالى هنا: (مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم) فإن المراد بالفعلين هنا شيء واحد لتعين أن يكون معنى الفعلين مستوياً ليظهر وجه فوت القرون الماضية في التمكين على تمكين المخاطبين إذ التفاوت لا يظهر إلا في شيء واحد ولكن كون القرون الماضية أقوى تمكناً من المخاطبين كان يقتضي أن يكون الفعل المقترن بلام الأجل في جانبهم، لا في جانب المخاطبين، وقد عكس هنا. وبهذا البيان يجمع بين قول الراغب باستواء فعل مكنه ومكن له، وقول الزمخشري: بأن: مكن له بمعنى جعل له مكاناً، ومكنه بمعنى أثبته، وكلام الراغب أمكن عربية، وقد أهملت التنبيه على هذين الرأيين كتب اللغة. واستعمال التمكين في معنى التثبيت والتقوية كناية أو مجاز مرسل، لأنه يستلزم التقوية. وقد شاع هذا الاستعمال حتى صار كالصريح أو كالحقيقة. انظر التحرير والتنوير (١٣٧/٧).

(٢) في ب فيه.

(٣) المعائش جمع معيشة، ويحتمل أن يكون وزنها مفعَلة ومفعُلة بكسر العين وضمها قالهما سيبوية. انظر البحر المحيط (٢٧١/٤) وانظر إتحاف فضلاء البشر (٤٤/٢)، وتفسير الطبري (٣١٦/١٢)، وتفسير القرطبي ١٠٩/٧، تفسير ابن كثير (٣٨٦/٣)، وبحر العلوم للسمرقندي في تفسير الآية، وتفسير الرازي (٢٥/١٤)، روح المعاني (٨٥/٨)، تفسير أبي السعود (٢١٤/٣).

(٤) سقط في أ. (٥) ورد معنى هذا في تنوير المقباس لابن عباس (٨٢/٢). (٦) سيأتي بمزيد إيضاح.

(٧) انظر معالم التنزيل للبغوي (١٥٠/٢)، تفسير الطبري (٣٢٠/١٢)، تفسير الرازي (٢٦/١٤)، تفسير القرطبي (١٠٩/٧، وبحر العلوم للسمرقندي في تفسير الآية وتفسير أبي السعود (٢١٤/٣)، تفسير روح المعاني (٨٦/٨).

(٨) في ب القول. (٩) سقط في أ

عناده للأمر، و(لا) في قوله ﴿ألا تسجد﴾ قال الفراء: هي صلة، والمعنى «ما منعك أن تسجد»[(١)] ونحو هذا قال الكسائي، والزجاج [(٢)]، وقوله: ﴿قال أنا خير منه﴾ معناه منعني من السجود له فضلي عليه، وأني خير منه، إذ كنت نارياً وكان طينياً وهو قوله ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ قال ابن عباس: «كانت الطاعة أولى بإبليس من القياس، فعصى ربه، وقاس، وأول من قاس إبليس، فكفر بقياسه[(٣)]، فمن قاس الدين بشيء من رأيه، قرنه الله مع إبليس، وإنما كفر إبليس، لأنه قاس في مخالفة النص[(٤)]، وإنما يذم من القياس [(٥)] ما خالف النص».

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء (١/ ٣٧٤).

(٢) وظاهر الآية يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود. وليس الأمر كذلك، فإن المقصود طلب ما منعه من السجود، ولهذا الإشكال حصل في الآية قولان:

القول الأول وهـو المشهور: أن كلمة (لا) صلة والتقدير: مامنعك أن تسجد؟ ـ وله نظائر في القرآن كقوله: (لا أقسم بيوم القيامة) القيامة: (١) معناه: أقسم. وقوله: (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) الأنبياء (٩٥) أي يرجعون. وقوله: (لئلا يعلم أهل الكتاب) الحديد: (٢٩) أي: ليعلم أهل الكتاب، وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والأكثرين.

والقول الثاني: أن كلمة (لا) ههنا مفيدة، وليست لغواً، وهذا هو الصحيح، لأن الحكم بأن كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب، وعلى هذا القول ففي تأويل الآية وجهان: الأول: أن يكون التقدير: أي شيء منعك عن ترك السجود؟ ويكون هذا الاستفهام على سبيل الإنكار ومعناه أنه ما منعك عن ترك السجود كقول القائل لمن ضربه ظلماً: ما الذي منعك من ضربي، أدينك، أم عقلك أم حياؤك؟! والمعنى: أنه لم يوجد أحد هذه الأمور وما امتنعت من ضربي. الثاني: قال القاضي: ذكر الله المنع وأراد الداعي، فكأنه قال: ما دعاك إلى أن لا تسجد؟ لأن مخالفة أمر الله تعالى حالة عظيمة يتعجب منها، ويسأل عن الداعي إليها. الرازي (١٤/ ٢٧) وانظر مجاز القرآن (١/ ٢١١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٢٢) تفسير الطبري (٨/ ٩٦)، غريب القرآن لابن قتيبة (١٦٥) تفسير القرطبي (٧/ ١٠١).

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢/ ١٥٠، تفسير القرطبي ٧/ ١٠١، البحر المحيط ٤/ ٢٧٣، ذكره السيوطي في الـدر المنثور ٢/ ٧٢ عن الحسن، وعزاه لابن جرير.

(٤) وحجة إبليس لعنه الله في قوله: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) هي باطلة، لأنه عارض النص بالقياس، ولهذا قال بعض السلف: أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس كما ذكر هنا المصنف رحمه الله. ويظهر فسادها بالعقل من وجوه خمسة.

(أحدها:) أنه ادعى أن النار خير من الطين، وهذا قد يمنع، فإن الطين فيه السكينة والوقار والاستقرار والثبات والإمساك، ونحو ذلك، وفي النار الخفة ـ والحدة والطيش، والطين فيه الماء والتراب. الثاني: أنه وإن كانت النار خيراً من الطين، فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل أفضل، فإن الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله، وهذا التراب يخلق منه الحيوان والمعادن والنبات ما هو خير منه، والاحتجاج على فضل الإنسان على غيره بفضل أصله على أصله حجة فاسدة احتج بها إبليس، وهي حجة الذين يحتجون بأنسابهم، وقد قال النبي ﷺ: من قصر به عمله لم يبلغ به نسبه (ابن ماجه ٢٢٥). والثالث: أنه وإن كان مخلوقاً من طين، فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به فلهذا قال: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) الحجر (٢٩) فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه، فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لإبليس مثله. الرابع: أنه مخلوق بيدي الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾(صۤ ٧٥) وهو كالأثر المروي عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن عبد الله بن عمرو في تفضيله على الملائكة حيث قالت الملائكة: يا رب! قد خلقت لبني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربـون ويلبسون وينكحون، فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا، فقال: لا أفعل، ثم أعادوا فقال: لا أفعل، ثم أعادوا فقال: وعزتي لا أجعل صالح من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان. الخامس: أنه لو فرض أنه أفضل فقد يقال: إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر. انظر التفسير الكبير للإمام ابن تيمية. (٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) وانظر زاد المسير لابن الجـوزي (٣/ ١٧٤) وتفسير القرطبي (٧/ ١٠١ ـ ١١١).

(٥) والقياس يطلق في اللغة ويراد به: التسوية، والتقدير، وفي اصطلاح أهل العلم: حمل معلوم على معلوم لمساواة بينهما في علة =

قوله تعالى: ﴿قال فاهبط منها﴾ أي انزل من السماء [١] ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ قال ابن عباس: يريد أن أهلها ملائكة متواضعون خاشعون [٢] ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ الأذِلَّاء. قال الزجاج: إن إبليس استكبر بإبائه السجود، فأعلمه الله أنه صاغر بذلك [٣]، ﴿قال أنظرني﴾ أمهلني وأخرني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ إلى يوم البعث، فأبى الله ذلك عليه، وأنظره إلى النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم، لأنه بين مدة المهلة في موضع آخر، وإن لم تبين في هذه السورة وهو قوله ﴿فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [٤] وهو النفخة الأولى ﴿قال فبما أغويتني﴾ قال ابن عباس: أضللتني [٥] وقال ابن الأنباري «أي فيما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء [٦]» والباء للقسم [٧]، أي بإغوائك إياي، والمعنى: بقدرتك عليَّ ونفاذ سلطانك في ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [على الطريق المستقيم] [٨] الذي يسلكونه إلى الجنة، وهو دين الله الإسلام، بأن أزين لهم الباطل، وما يكسبهم المأثم.

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد العدل أنا جدي أنا أبو عمرو الجبري، نا علي بن سعيد بن جرير النسائي، نا

= الحكم. أو هو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم. أو هو حمل مجهول الحكم على معلوم لمساواة بينهما في علة الحكم. وانظر تفصيل مباحث الأصول في المحصول للرازي (١٨/٢/٢)، الإحكام للآمدي ٢٦١/٣، البرهان ٧٤٥/٢، المستصفى للغزالي ٥/٢، الإبهاج لابن السبكي ٥/٣، أصول الشاشي ص (٣٢٥)، تيسير التحرير (٢٦٣/٣) فواتح الرحموت ٢٤٦/٢، شرح التنقيح ص (٣٨٣)، المنتهي لابن الحاجب ص (١٢٢) نشر البنود (١٠٤/٢)، وانظر نبراس العقول للشيخ عيسى منون ص (٩) وما بعدها. والحق في هذا أن الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهي عنه فهو ما لم يكن جارياً على الأصول المذكورة في كتب الفقهاء المعتبرين.

(١) عزا الفخر الرازي لابن عباس أن الهبوط كان من الجنة وعزا أمر الهبوط من السماء لبعض المعتزلة، وأيد هذا البغوي في معالمه (١٥١/٢) وذكر أنه هبط من السماء بكلمة «قيل» والنسبة إلى المعتزلة، وحكى السمرقندي في بحر العلوم والقرطبي في التفسير (١١٢/٧) أن الهبوط كان من السماء وقال ابن عطية: أهبط أولا، وأخرج من الجنة، وصار في السماء، لأن الأخبار تظافرت أنه أغـوى آدم وحواء من خارج الجنة، ثم أمر آخراً بالهبوط من السماء مع آدم وحواء والحية وهذا كله بحسب ألفاظ القصة ـ انظر البحر المحيط (٢٧٤/٤) وقال الزمخشري في الكشاف (٩٠/٢): فأهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين ـ وحكى ابن كثير (٣٣٩/٣)، عن مقاتل بن سليمان أنه أهبط من الجنة، وحكى أبو السعود (٢١٧/٢) أن الهبوط من الجنة، وأما ما قيل من أن المراد الهبوط من السماء فيرده أن وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد، فلا بد أن يحمل على أحد الوجهين قطعاً، وتكون وسوسته على الوجه الأول بطريق النداء من باب الجنة، كما روي عن الحسن البصري.

(٢) انظر الطبري (٣٢٩/١٢) تفسير الرازي (٣٠/١٤) وذكر ذلك القرطبي هذا القول بلا نسبة (١١٣/٧).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٣٢٤٢/٢).

(٤) سورة الحجر (٣٧ ـ ٣٨)، انظر تفسير البغوي (١٥١/٢)، تفسير الرازي (١٤/٣١)، روح المعاني (٩١/٨)، تفسير أبي السعود (٢١٧/٣)، تفسير القرطبي (١١٢/٧)، تفسير البحر المحيط ٢٧٥/٤، تفسير فتح القدير (١٩٢/٢).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ٣٣٢/١٢ رقم (٤٣٦١) وذكره ابن كثير في التفسير ٣٨٩/٣، وأبو حيان في البحر المحيط ٢٧٥/٤، وزاد السيوطي نسبته في الدر ٧٢/٣ لابن المنذر وابن أبي حاتم واللالكائي في السنة.

(٦) البيان لابن الأنباري ٣٥٥/١، ـ انظر معالم التنزيل للبغوي (١٥١/٢).

(٧) وللباء أربعة عشر معنى انظرها في مغني اللبيب لابن هشام (١٠١/١) وما بعدها، الإتقان في علوم القرآن (١٨٢/٢) وما بعدها.

(٨) سقط في ب.

أبو النضر نا أبو عقيل[١]، نا موسى بن المسيب[٢] أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي فاكه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال له أتسلم، وتذر دينك ودين آبائك؟ فعصاه، فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال له: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر مثل الفرس في الطول[٣]، فعصاه، فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: هو جهد النفس والمال، فتقاتل، فَتُقْتَل، وَتُنْكَح المرأة، وَيُقَسَّم المال، فَعَصَاه، فجاهد قال ـ رسول الله ﷺ ـ فمن فعل ذلك منكم، ومات، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة[٤]».

قوله: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي [٥] ـ يعني ـ: من الدنيا، ﴿ومن خلفهم﴾ من الآخرة أتاهم من بين أيديهم، فزين لهم الدنيا ودعاهم إليها ﴿ومن خلفهم﴾ فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة، ولا نار، وقوله: ﴿وعن أيمانهم﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: من قبل حسناتهم، ﴿وعن شمائلهم﴾ من قبل سيئاتهم[٦] وهذا قول قتادة[٧] قال ﴿وعن أيمانهم﴾ من قبل حسناتهم أبطئهم عنها ﴿وعن شمائلهم﴾ أزين لهم السيئات والمعاصي، وأدعوهم إليها، وآمرهم بها، أتاك يا ابن آدم، من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله تعالى. وقال أهل المعاني[٨]: ذكر الله تعالى هذه الجهات مبالغة في التوكيد، والمعنى: ثم لآتينهم من جميع الجهات، وهو اختيار الزجاج، قال الزجاج الحقيقة ـ والله أعلم ـ أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم[٩]. وقوله: ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ قال ابن عباس: يريد أن أكثرهم لإبليس طائعون، ولله عاصون، قوله تعالى: ﴿قال اخرج منها﴾ قال الكلبي: «من الجنة»[١٠] ﴿مذءوماً﴾ الذأم: الاحتقار، [يقال][١١] ذأمت الرجل، أذأمه،

---

(١) عبد الله بن عقيل أبو عقيل الثقفي الكوفي، نزيل بغداد صدوق، انظر تقريب التهذيب (١/٤٣٤).

(٢) موسى بن المسيب أو السائب الثقفي، أبو جعفر الكوفي البزاز صدوق لا يلتفت إلى الأزدي في تضعيفه ـ انظر تقريب التهذيب ٢/٢٨٨، الكاشف (٣/١٨٩).

(٣) الطِّوَل والطِّيَل بالكسر: الحّبل الطويل يُشَدُّ أحدُ طَرَفَيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى، ولا يذهب لوجهه. وطَوَّل وأطال بمعنى، أي: شدها في الحبل النهاية في غريب الحديث (٣/١٤٥) ترتيب القاموس (٣/١١٢)، ولسان العرب لابن منظور (٤/٢٧٢٧).

(٤) إسناد المصنف رحمه الله حسن، والحديث أخرجه النسائي (٦/٢١) كتاب الجهاد باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد حديث (٣١٣٤)، وأحمد في المسند (٣/٤٨٣) والطبراني في الكبير (٧/١٣٨) وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٢٩٣)، والبخاري في التاريخ (٤/١٨٨) (٢٤٣١)، أورده الهيثمي في موارد الظمآن ص (٣٨٥)، كتاب الجهاد باب في فضل الجهاد (١٦٠١) وذكره العراقي في تخريجه على الاحياء، وعزاه للنسائي، وقال اسناده صحيح (٣/٠٣٢)وذكره الحافظ في تخريجه على الكشاف (٢/٩٣)، وزاد نسبته لأبي يعلى، وقال تنبيهان أحدهما: قوله «بأطرقه» ضبطه ثابت في الدلائل بكسر الراء وبمثناه وبضم الراء وبهاء ثانيهما: قوله «بأطرقة» وقع عند الطيبي، وذكر الحديث الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/٣٨٩)، وابن الأثير في أسد الغابة (٢/٣٢٤).

(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٢/١٥٢)، والطبري في التفسير (١٢/٣٣٨)، والسيوطي في الدر ٣/٧٣، وعزاه لابن أبي حاتم، وذكره القرطبي (٧/١١٤) بلا نسبة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٣٣٨)، وذكره السيوطي في الدر في الموضع السابق وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) انظر الطبري (١٢/٣٣٩) رقم (٤٣٧٢) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٣٩٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/١٥٢) عن قتادة.

(٨) كالفراء والزجاج وابن الأنباري وغيرهم ممن صنفوا في معاني القرآن.

(٩) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٢٤)، وانظر تفسير الرازي (١٤/٣٥) بلا نسبة بحر العلوم للسمرقندي في تفسير الآية.

(١٠) ذكره الطبري في التفسير (٢/٣٤٢)، وذكره السمرقندي في تفسير الآية عن الكلبي ومقاتل، وأخرجه البغوي في التفسير (٢/١٥٢)، وذكره القرطبي بلا نسبة ٧/١١٤، وكذلك الألوسي في روح المعاني (٨/٩٦)، وأيضاً أبو السعود في التفسير (٣/٢١٩)، وأبو حيان في التفسير (٤/٢٧٦).

(١١) سقط في ب، ج.

إذا احتقرته وذممته وَعِبْتَه[١]، قال ابن قتيبة[٢]: مذءوماً مذموماً بأبلغ الذم، ﴿مدحوراً﴾ منفياً مطروداً، والدحر: الطرد والإبعاد[٣] وقوله ﴿لمن تبعك منهم﴾ أي من ولد آدم، واللام لام القسم، على تقدير: والله لمن تبعك منهم ﴿لأملأن[٤] جهنم منكم أجمعين﴾ قال ابن عباس: لمن أطاعك منهم ﴿لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ يعني المشركين والمنافقين، والكافرين، وقرناءهم من الشياطين[٥]. ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ الآية مفسرة في سورة البقرة[٦] وقوله ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ الوسوسة حديث النفس[٧]، قال الله تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾[٨] والمعنى حدثهما الشيطان في أنفسهما ﴿ليبدي لهما﴾ هذه لام العاقبة، وذلك أن عاقبة تلك الوسوسة أدت إلى ظهور عورتهما، وإنما كانت الوسوسة للمعصية، لا لظهور العورة، ولكن تأدت العاقبة إلى ذلك [فصار][٩] كقوله ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً﴾[١٠] وقوله ﴿ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ أي: ما ستر من المواراة، ومنه قوله: ﴿يواري سوْءَة أخيه﴾[١١].

قال ابن عباس: «كانا قد أُلبسا ثوباً يستر العورة منهما، فلما عصيا تهافت عنهما ذلك الثوب»[١٢] ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا مَلكين﴾ لا تموتان إلى يوم القيامة، كما لا تموت الملائكة، والتقدير: إلا أن لا تكونا، وعند البصريين: إلا كراهة أن تكون ملكين[١٣]. ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ أي لا تموتان، فتبقيان أبداً ﴿وقاسمهما﴾ قال ابن عباس وقتادة: «حلف لهما بالله حتى خدعهما، وإنما يخدع المؤمن بالله تعالى قال إبليس: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني أرشدكما[١٤].

وكان بعض أهل العلم يقول: «إنه من خادعنا بالله خدعنا»[١٥]. وقوله: ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ أي: إني

---

(١) انظر المفردات للراغب (٢٦٢)، ترتيب القاموس (٢/٢٦٧)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢١١)، الصحاح (٥/١٩٢٥)، وانظر تفسير الطبري (١٢/٣٤٤).

(٢) تفسير غريب القرآن ص (١٦٦).

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢١٢) المفردات للراغب ص (٢٣٨)، ابن قتيبة غريب القرآن المصدر السابق، ولسان العرب (٢/١٣٣٤)، ترتيب القاموس (٢/١٥٤).

(٤) قرأ الجمهور «لمن» بفتح اللام، والظاهر أنها اللام الموطئة للقسم، ومن شرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم المحذوف قبل اللام الموطئة، ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء، ومن موصولة، ولأملأن جواب قسم محذوف بعد من تبعك، وذلك، القسم المحذوف وجوابه في موضع خبر من الموصولة. وقرأ الجحدري وعصمة عن أبي بكر عن عاصم لمن تبعك منهم بكسر اللام انظر تخريج هذه القراءة من البحر المحيط (٤/٢٧٧) ـ ٢٧٨).

(٥) انظر تنوير المقباس (٢/٨٤).

(٦) آية رقم «٣٥».

(٧) انظر لسان العرب ٦/٤٨٣٠.

(٨) سورة (ق) ١٦.

(٩) سقط في ب.

(١٠) سورة القصص «٨».

(١١) سورة المائدة «٣١».

(١٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل ٢/١٥٣.

(١٣) قال في البحر المحيط (٤/٢٧٩) قوله «إلا أن تكونا ملكين» استثناء مفرغ من المفعول من أجله، أي: ما نهاكما ربكما لشيء إلا كراهة أن تكون ملكين، ويقدره الكوفيون إلا أن تكونا وإضمار الاسم وهو كراهة أحسن من إضمار الحرف وهو «لا» وانظر البيان للعكبري (١/٥٦٠)، ومشكل إعراب القرآن (١/٣٠٨).

(١٤) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة (١٢/٣٥١) (١٤٣٩٦)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٣٩٣)، وذكره البغوي في تفسيره (٢/١٥٣)، وذكره الفخر الرازي في تفسيره (١٤/٤١)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٧٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(١٥) هكذا ذكره السيوطي عن قتادة انظر المصادر السابقة.

أنصح لكما من دعائكما إلى أكل هذه الشجرة، قوله: ﴿**فدلاهما بغرور**﴾ التدلية إرسال الدلو في البئر، [والمعنى ها هنا: غرهما وأطمعهما][1] قال الأزهري[2] «أصله تدلية العطشان في البئر، ليروي من الماء، فلا يجد الماء، فيكون مدلي بالغرور ثم وضعت التدلية موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعاً، فيقال: دلّاه إذا أطمعه في غير مطمع قال ابن عباس: غرهما باليمين، وكان آدم لا يظن أن أحداً يحلف بالله كاذباً[3]، [قوله][4]: ﴿**فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما**﴾ قال الكلبي: «فلما أكلا منها تهافت لباسهما عنهما، فأبصر كل واحد منهما عورة صاحبه، فاستحييا[5] ﴿**وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾ يقال: طفق يفعل كذا: إذا أخذ في فعله، ومعنى يخصفان يطبقان على أبدانهما الورق، وقال الزجاج: «يجعلان ورقة على ورقة، ليسترا سوآتهما»[6] وقال قتادة: «أقبلا، وجعلا يرقعان، ويصلان عليهما من ورق الجنة، وهو ورق التين، حتى صار كهيئة الثوب»[7] ﴿**وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة**﴾ قال عطاء: بلغني أن الله تعالى ناداهما أفراراً مني يا آدم؟ قال: [لا][8]، بل حياء منك يا رب، ما ظننت أن أحداً يحلف باسمك كاذباً[9] وقوله: ﴿**وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾ قال ابن عباس: بين العداوة، حيث أبى السجود لآدم، وقال: ﴿**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾ ثم أقرا على أنفسهما بالظلم[10]، ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا**﴾ الآية، وذكرنا أن هذه الكلمات التي كانت سبب قبول توبتهما، وقوله ﴿**قال اهبطوا**﴾ إلى آخر الآية مفسر في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿**قال فيها تحيون وفيها تموتون**﴾ الآية قال الكلبي: في الأرض تعيشون، [وفي الأرض قبوركم][11]، ومن الأرض تخرجون[12] من قبوركم للبعث[13]. ولما ذكر عري آدم مَنَّ علينا باللباس الذي يستر بها العورة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ

---

(١) سقط في ج.

(٢) تهذيب اللغة (١٤/ ١٧١)، اللسان (٢/ ١٤١٨)، الصحاح (٦/ ٢٣٣٩)، وانظر البحر المحيط (٤/ ٢٧٩).

(٣) ذكره الرازي في التفسير الكبير (١٤/ ٤١) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٥) عن السدي.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) ذكره البغوي ٢/ ١٥٣.

(٦) معاني القرآن (٢/ ٣٢٧)، تفسير البغوي (٢/ ١٥٣)، ذكره الرازي في تفسيره (١٤/ ٤١) بلا نسبة.

(٧) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٧٥) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره البغوي بلا نسبة (٢/ ١٥٣) وقوله «ورق التين» أخرجها الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٥٤) رقم (١٤٤٠٤) عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٩) عن عمرو بن قيس الملائي عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن عبال قال: «هو ورق التين» انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٤.

(٨) سقط في ب، ج.

(٩) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٥٤) رقم (١٤٤٠٣) وقد رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن، عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ والموقوف أصح إسناداً وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر بنحوه عن علي بن الحسن بن إشكاب، عن علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة به مرفوعاً، وعزاه لابن أبي حاتم، انظر تفسير ابن كثير (١/ ١١٤)، وأخرجه البغوي عن أبي بن كعب مرفوعاً (٢/ ١٥٣) وذكره الرازي (١٤/ ٤١) وعزاه لعطاء كما هنا، وذكره السمرقندي في بحر العلوم في تفسير الآية.

(١٠) انظر تنوير المقباس (٢/ ٨٦) تفسير الطبري (١٢/ ٣٥٥) البحر المحيط (٤/ ٢٨١) وذكره الفخر الرازي (١٤/ ٤٢) والبغوي (٢/ ١٥٤) بلا نسبة.

(١١) سقط في أ.

(١٢) قرأ حمزه والكسائي وابن عامر «ومنها تخرجون» بفتح التاء، وقرأ الباقون «تُخرجون» بالضم على مالم يسم فاعله ـ انظر النشر (٢/ ٢٦٧)، حجة القراءات (٢٨٠).

(١٣) انظر تنوير المقياس (٢/ ٨٦) وذكره البغوي في التفسير (٢/ ١٥٤) وذكره الرازي في التفسير (١٤/ ٤٢).

يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾

فقال: **﴿يا بني ءادم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم﴾** قال صاحب النظم[١]: إن الله تعالى أنزل المطر، فأنبت به النبات فاتخذ الناس من النبات اللباس، فأوقع الإنزال على اللباس لما كان يسببه ما ينزل، وهو المطر وقوله **﴿وريشاً﴾**[٢] وقرىء ورياشاً[٣]، وهما المال والمعاش قال أبو عبيدة: «الريش والرياش[٤]: ما ظهر من اللباس». وقال الفراء[٥]: «يجوز أن يكون الرياش جمع ريش، كما قالوا: لبس ولباس». وقال زيد بن علي[٦]: «اللباس: هذا الذي تلبسون، يواري سوآتكم، والريش والرياش [الذي][٧] تتجملون به من الثياب[٨].

وقوله: **﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾** قرىء: بالنصب والرفع[٩]، فمن قرأ بالنصب حمل على أنزل، من قوله: **﴿قد أنزلنا﴾** والمعنى على هذه القراءة هو أن يتقي الله، فيستر عورته فلا يطوف عارياً كفعل أهل الجاهلية. قال ابن الأنباري[١٠]: «ولباس التقوى هو اللباس الأول، وإنما أعاده لما أخبر عنه بأنه خير من التعري، إذْ كان جماعة من أهل

---

(١) هو أبو علي الجرجاني صاحب «نظم القرآن» انظر هذا القول في بحر العلوم للسمرقندي بلا نسبة، وقد تحدث ابن تيمية عنه بشيء من التفصيل (٤/٢٨٦) انظر البحر المحيط (٤/٢٨٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر والكسائي «وريشا ولباس التقوى» بالنصب عطفوا على الريش وقرأ الباقون بالرفع قال الزجاج: ورفعه على ضربين أحدهما: أن يكون مبتدأ، ويكون ذلك من صفته، ويكون «خير» خبر الابتداء، والمعنى: ولباس التقوى المشار إليه خير. ويجوز أن يكون «لباس التقوى» مرفوعاً بإضمار (هو). والمعنى: وهو لباس التقوى، أي: وستر العورة لباس المتقين ـ انظر حجة القراءات (٢٨٠ ـ ٢٨١)، البحر المحيط (٤/٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٣) هي قراءة عثمان وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسلمي وعلي بن الحسين وابنه زيد وأبو رجاء، وزر بن حبيش وعاصم في رواية، وأبو عمرو في رواية ـ انظر البحر المحيط (٤/٢٨٢)، والمحتسب لابن جني (١/٢٤٦).

(٤) مجاز القرآن ١/٢١٣، وانظر تفسير بحر العلوم عند تفسير هذه الآية، واختاره ابن جرير الطبري في تفسيره (١٢/٣٦٤).

(٥) معاني القرآن ١/٣٧٥ البحر الحيط (٤/٢٨٢) وذكر هذا القول الرازي بلا نسبة (١٤/٤٣).

(٦) زيد بن علي بن عبد الله الفارسي أبو القاسم الفسوي النحوي اللغوي. قال ابن عساكر في تاريخه وابن العديم في تاريخ حلب: كان فاضلاً عالماً بعلم اللغة والنحو، عارفاً بعلوم كثيرة، ومات بطرابلس في ذي الحجة، وقيل ذي القعدة سنة سبع وستين وأربعمائة ـ انظر بغية الوعاة (١/٥٧٣).

(٧) سقط في أ.

(٨) وفي معالم التنزيل وغيره عن زيد بن علي قال: لباس التقوى الآلات التي يبقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعد والساقين، وذكر قول زيد الذي ذكره المصنف رحمه الله، ولم ينسبه لأحد وانظر روح المعاني للألوسي (٨/١٠٤)، البحر المحيط (٤/٢٨٣).

(٩) تقدم قبل قليل.

(١٠) انظر البيان لابن الأنباري (١/٣٥٨) والبغوي في التفسير (٢/١٥٥) والرازي في التفسير ١٤/٤٣ وانظر بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير هذه الآية.

الجاهلية يتعبدون بالتعري في الطواف بالبيت». ومن رفع: فعلى أنه مبتدأ، ومعناه على هذه القراءة ما قال قتادة والسدي: «لباس التقوى الإيمان»[(١)]. وقال عطية «العمل الصالح»[(٢)]. وقال سعيد بن جبير: «السمت الحسن»[(٣)] وقال الكلبي العفاف[(٤)].

والمعنى: لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به وأقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش للتجميل، وقوله: ﴿ذلك من ءايات الله﴾ أي إنزاله اللباس، وخلقه إياه مما يدل على التوحيد ﴿لعلهم يذكرون﴾ لكي يتعظوا. قوله: ﴿يا بني ءادم لا يفتننكم الشيطان﴾.

قال ابن عباس: «لا يخدعنكم» وعنه أيضاً: «لا يضلنكم»[(٥)]. ﴿كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ [يعني آدم وحواء][(٦)] ﴿ينزع عنهما لباسهما﴾ أضاف نزع اللباس إلى الشيطان وإن لم يتول ذلك، لأنه كان بسبب منه، فأسند ذلك إليه ﴿ليريهما سوءاتهما﴾ليري آدم سوءة حواء، ويري حواء سوءة آدم[(٧)]، واللام في ﴿ليريهما﴾ لام العاقبة[(٨)]. وقوله: ﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ قال ابن عباس: «هو وولده»[(٩)]. وقال ابن زيد: «نسله»[(١٠)] وقال ابن قتيبة «أصحابه

---

(١) ذكره البغوي في التفسير (٢/١٥٥) والحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٣٩٦)، والرازي في التفسير (١٤/٤٣) وأبو حيان في البحر عن ابن جريج (٤/٢٨٣) والألوسي في روح المعاني (٨/١٠٤) وابو السعود بلا نسبة (٣/٢٢٢) وذكره السمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية بلا نسبة. والسيوطي في الدر (٣/٧٦).

(٢) ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨٣) معالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٥) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٣٩٦) الرازي في التفسير (١٤/٤٣) والألوسي في التفسير (٨/١٠٤) وأبو حيان في البحر عن ابن عباس (٤/٢٨٣) والقرطبي في التفسير (٧/١٨٤).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨٣)، والبغوي عن عثمان بن عفان (٢/١٥٥) وذكره الرازي بلا نسبة (١٤/٤٣) وذكره أبو حيان في البحر عن عثمان وابن عباس (٤/٢٨٣) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٣٩٦) وانظر القرطبي (٧/١٢١)وذكره أبو السعود في التفسير بلا نسبة (٣/٢٢٢) ويؤيد هذا، الحديث الذي رواه الحافظ ابن جرير الطبري حيث قال حدثني المثنى، حدثنا إسحاق بن الحجاج، حدثنا إسحاق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم، عن الحسن قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ على منبر رسول الله ﷺ ـ عليه قميص قُوهيّ محلول الزر، وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب في الحمام، ثم قال: يا أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سراً إلا ألبسه رداء علانية، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم تلا هذه الآية «ورياشا» ـ ولم يقرأ: وريشاً ـ ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله، قال السمت الحسن الطبري في التفسير (١٢/٣٦٧، ٣٦٨) (١٤٤٤٦) والحافظ ابن كثير (٣/٣٩٧) وضعفه، وذكره السيوطي في الدر (٣/٧٦) وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨٣) وذكره البغوي في التفسير (٢/١٥٥)وذكره أبو حيان عن ابن عباس في البحر (٤/٢٨٣) وذكره الرازي بلا نسبة (١٤/٤٤) وذكره أيضاً بلا نسبة السمرقندي في بحر العلوم. قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٩٧) وكل هذه متقاربة. وقال أبو حيان في البحر (٤/٢٨٣) والأحسن أن يجعل عاماً فكل ما يحصل به الإتقاء المشروع فهو من لباس التقوى.

(٥) ذكره البغوي بلا نسبة في تفسيره (٢/١٥٥) وذكره السمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية، زاد المسير لابن الجوزي (٣/١٨٤) الخازن (٢/٢٢٠).

(٦) سقط في أ.

(٧) معالم التنزيل للبغوي (٢/١٥٥) وحكى الرازي ما ذهب إليه الواحدي هنا عن ابن عباس انظر التفسير (١٤/٤٥) ولكن الأليق بهذا المقام «ليرى كلا منهما عورة نفسه».

(٨) انظر تفسير الفخر الرازي (١٤/٤٥).

(٩) ذكره البغوي في التفسير (٢/١٥٥) والخازن في التفسير (٢/٢٢٠).

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٣٧٧) وذكره السيوطي في الدر (٣/٧٦)، وعزاه لابن أبي حاتم وحكاه الرازي عن «الليث» في التفسير ١٤/٤٥.

وجنده»[١] وقال مجاهد: قبيله الجن والشياطين[٢] «﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال ابن عباس: «إن الله تعالى جعلهم يجرون من ابن آدم مجرى الدم[٣]، وصدور بني آدم مساكن لهم، كما قال: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾[٤] فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم[٥]» وقال قتادة «والله، إن عدواً يراك من حيث لا تراه، لشديد المؤنة، إلا من عصمه الله[٦]» وقوله ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾[٧] قال الزجّاج: سلطناهم عليهم يزيدون في غيّهم، كما قال: ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾[٨] الآية[٩]، وقوله: ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ قال ابن عباس ومجاهد: يعني طوافهم بالبيت عراة، رجالاً ونساءً[١٠]، وقال عطاء: يريد الشرك[١١] وقال الزجاج: «الفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب»[١٢] قوله ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾ قال ابن عباس: «بلا إله إلا الله»[١٣] وقال الضحاك: بالتوحيد[١٤] وقال السدي: «بالعدل»[١٥] وقال الزجاج: هذا رد لقولهم: ﴿والله أمرنا بها﴾[١٦] وقوله: ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل

---

(١) تفسير غريب القرآن ص(١٦٦)، وانظر البغوي (٢/١٥٥) وانظر تفسير أبي السعود (٣/٢٢٢) وتفسير الفخر الرازي (١٤/٤٥) وبنحوه في البحر (٤/٢٨٤).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٣٧٧) والبغوي في التفسير عن قتادة (٢/١٥٥) وانظر زاد المسير (٣/١٨٤).

(٣) كما ثبت في الخبر الصحيح المسند.

(٤) سورة الناس (٥).

(٥) ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨٤) وانظر البحر المحيط (٤/٢٨٤)، والقرطبي (٧/١٢٠).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٧٦) وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ وذكره البغوي في تفسيره (٢/١٥٥) عن مالك بن دينار، وانظر الخازن (٢/٢٢١).

(٧) سورة مريم «٨٣».

(٨) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٢٩) البغوي (٢/١٥٥) الرازي (١٤/٤٦).

(٩) أخرجه عنهما البغوي في التفسير (٢/١٥٥) وأخرجه الطبري عن مجاهد (١٢/٣٧٧) أثر (١٤٤٦٢)، وابن كثير في تفسيره (٣/٣٩٨) وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨٤) والخازن بالبغوي (٢/٢٢١) والسيوطي في الدر (٣/٧٧) وعزاه لابن جرير الطبري، وابن المنذر، وأبي الشيخ عن ابن عباس، وذكره عن مجاهد، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وقال القرطبي في تفسيره: وهذا القول قول أكثر المفسرين، قال الرازي: اعلم أن في الناس من حمل الفحشاء على ما كانوا يحرمون من البحيرة والسائبة وغيرهما وفيهم من حمل على أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء والأولى أن نحكم بالتعميم والفحشاء عبارة عن كل معصية كبيرة، فيدخل فيه جميع الكبائر، واعلم أن ليس المراد منه أن القوم كانوا يسلمون كون تلك الأفعال فواحش ثم كانوا يزعمون أن الله أمرهم بها، فإن ذلك لا يقوله عاقل، بل المراد أن تلك الأشياء كانت في أنفسها فواحش، والقوم كانوا يعتقدون أنها طاعات وأن الله أمرهم بها. الرازي (١٤/٤٦) وانظر القرطبي (٧/١٢٠).

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره (٢/١٥٥) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٨٥) والقرطبي في تفسيره (٧/١٢٠) عن الحسن ـ انظر تفسير الخازن (٢/٢٢١).

(١١) معاني القرآن (٢/٣٣٠) وذكره البغوي في تفسيره (٢/١٥٥) بلا نسبة.

(١٢) ذكره البغوي (٢/١٥٦) والقرطبي في تفسيره (٧/١٢١) والرازي في تفسيره (١٤/٤٨) وانظر تنوير المقباس (٢/٨٨) روح المعاني (٨/١٠٧)، البحر المحيط (٤/٢٨٧).

(١٣) ذكره البغوي (٢/١٥٦) والألوسي في روح المعاني (٨/١٠٧) وأبو حيان في البحر (٤/٢٨٧) والخازن (٢/٢٢٢).

(١٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٣٧٧) وذكره البغوي في تفسيره (٢/١٥٦)، والرازي (١٤/٤٨) والألوسي في روح المعاني (٨/١٠٧) والخازن (٢/٢٢١) وذكره السيوطي في الدر المنثور عن مجاهد (٣/٧٧) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١٥) معاني القرآن (٢/٣٣٠).

(١٦) ذكره البغوي (٢/١٥٦) وأبو حيان في البحر (٤/٢٨٧) وذكره القرطبي في تفسيره (٧/١٢١) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد =

مسجد﴾ قال مجاهد، والسدي: وجهوا وجوهكم حيثما كنتم في الصلاة إلى الكعبة[١] **﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾** وحدوه، ولا تشركوا به شيئاً **﴿كما بدأكم تعودون﴾** قال ابن عباس: «يُبعث المؤمنُ مؤمناً والكافر كافراً»[٢]، وقال سعيد بن جبير: «كما كتب عليكم تكونون» [٣] وقال القرظي: «من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة، صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل السعادة، ومن ابتدأ خلقه على السعادة، صار إلى ما ابتدأ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء، كإبليس، والسحرة»[٤]، وهذا القول اختيار القفال قال: «بدأكم في الخلق شقياً وسعيداً، وكذلك تعودون على الشقاء، والسعادة»[٥] ويدل على صحة هذه الأقوال ما حدثني إسماعيل بن أحمد الواعظ [شيخ الإسلام][٦] أنا: محمد بن الفضل بن محمد السلمي أنا جدي أنا يوسف [بن موسى][٦] أنا جرير، عن الأعمش عن أبي سفيان، عن جابر، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يبعث كل عبد على ما مات عليه». رواه مسلم[٧] عن قتيبة، عن جرير.

وقال الحسن ومجاهد: «كما بدأكم، فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون يوم القيامة أحياء»[٨]. وهذا القول اختيار الزجاج، لأنه قال: احتج الله تعالى عليهم في إنكارهم البعث، فقال: **﴿كما بدأكم تعودون﴾** أي: فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم[٩] [واختاره أبو علي الفارسي[١٠] وقال: الآية من باب حذف المضاف، والتقدير كما بدأ خلقكم، ثم حذف المضاف، وقيل **﴿كما بدأكم﴾** قوله **﴿تعودون﴾** معناه يعود خلقكم، ثم حذف المضاف وصارت المخاطبة في الفعل، فقيل تعودون][١١] وقوله: **﴿فريقاً هدى﴾** قال ابن عباس: «أرشد إلى دينه وهم أولياؤه»[١٢] **﴿وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾** وهم أولياء الشيطان، فخذلهم الله، فصاروا أولياء لإبليس، ومعنى **﴿حق عليهم الضلالة﴾** أي: بالكلمة الأزلية، والإرادة السابقة[١٣].

= المسير (٣/ ١٨٥)، والخازن في تفسيره (٢/ ٢٢٢).

(١) ذكره الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٢) (١٤٤٨٥) والبغوي في تفسيره (٢/ ١٥٦)، والرازي في تفسيره (١٤/ ٤٩) وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٧٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٨) (١٤٤٨٦)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٩٩) والبغوي في تفسيره (٢/ ١٥٦) والخازن (٢/ ٢٢٢)، روح المعاني (٨/ ١٠٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٣) (١٤٤٨٣)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٩٩) والبغوي في تفسيره (٢/ ١٥٦) والبحر (٤/ ٢٨٨) والخازن (٢/ ٢٢٢) والألوسي في روح المعاني (٨/ ١٠٨)، والقرطبي (٧/ ١٢١)، والسيوطي في الدر (٣/ ٧٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن (١/ ٣٧٦). قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كما بدأكم أولاً كذلك يعيدكم آخراً، واختار هذا القول ابن جرير وأيده بما رواه من حديث سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج كلاهما، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا» كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا إنا كنا فاعلين ـ انظر تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٥) (١٤٤٩٩) (١٤٥٠٠ ـ ١٤٥٠٢).

(٥) سقط في أ، ب. (٦) سقط في أ. (٧) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٦) (٨٣).

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٣٨٥) (١٤٤٩٥) وذكره البغوي في تفسيره (٢/ ١٥٦) والرازي (١٤/ ٤٩).

(٩) معاني القرآن (٢/ ٣٣١).

(١٠) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان الإمام أبو علي الفارسي النحوي. المشهور أوحد زمانه في علم العربية، أخذ عن الزجاج وابن السراج، وقال كثير من تلامذته إنه أعلم من المبرد وكان متهماً بالاعتزال وصنف الإيضاح في النحو والتكملة في التصريف. توفي ببغداد سنة سبع وسبعين وثلثمائة، ولم يقل شعراً إلا ثلاثة أبيات. انظر بغية الوعاة (١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧) إنباه الرواة (١/ ٢٧٣).

(١١) سقط في ج. (١٢) زاد المسير (٣/ ١٨٦).

(١٣) قلت: ومعنى: (حق عليهم الضلالة) ثبتت لهم الضلالة ولزموها. ولم يقلعوا عنها، وذلك أن المخاطبين كانوا مشركين كلّهم =

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا بني ءادم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾.

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد العطار نا: محمد بن عبد الله بن محمد الضبي نا: محمد بن يعقوب نا ابراهيم بن مرزوق[1] نا: ابو داود الطيالسي نا: شعبة نا سلمة بن كهيل[2]، قال: سمعت مسلم البطين[3]، يحدث عن سعيد بن جبير، عن، ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة في الجاهلية، وعلى فرجها خرقة، وهي تقول:

الْيَــوْم يَبْــدُو بَــعْضُــه أَوْ كُــلُّــهُ وَمَــا بَــدَا مِنْــهُ فَــلَا أُحِــلُّــه

فنزلت هذه الآية ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجدٍ﴾.

رواه مسلم[4]، عن بندار، عن غندر، عن شعبة، قال ابن عباس: «أمرهم الله تعالى أن يلبسوا ثيابهم ولا

= فلما أمروا بأن يعبدوا الله مخلصين افترقوا فريقين: فريقاً هداه الله إلى التوحيد، وفريقاً لازم الشرك والضلالة، فلم يطرأ عليهم حال جديد وبذلك يظهر حسن موقع لفظ (حق) هنا دون أن يقال أضله الله، لأن ضلالهم قديم مستمر اكتسبوه لأنفسهم، كما قال تعالى في نظيره: **﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾** ـ ثم قال ـ **﴿إن تحرص على هداهم، فإن الله لا يهدي من يضل﴾** فليس تغيير الأسلوب بين (فريقاً هدى) وبين: (فريقاً حق عليهم الضلالة) تحاشياً عن إسناد الإضلال إلى الله، كما توهمه صاحب الكشاف، لأنه قد أسند الإضلال إلى الله في نظير هذه الآية وفي آيات كثيرة، ولكن اختلاف الأسلوب لاختلاف الأحوال.

(١) إبراهيم بن مرزوق بن دينار، الحافظ الحجة أبو إسحاق البصري نزيل مصر سمع أبا داود الطيالسي وعثمان بن عمر وطبقتهم، حدث عنه النسائي فيما ذكر الحافظ ابن عساكر وحده قال النسائي: صالح وقال ابن يونس: كان ثقة ثبتاً، مات في جمادى الآخرة سنة سبعين ومئتين انظر سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٥٤٠ ـ ٣٥٥)، والجرح والتعديل (٢/ ١٣٧)، تهذيب التهذيب (١/ ١٦٣) ميزان الاعتدال (١/ ٦٥).

(٢) سلمة بن كهيل بن حصين الإمام الثبت الحافظ أبو يحيى الحضرمي ثم التّنْعي الكوفي، وتنعة: بطن من حضرموت. دخل على ابن عمر، وعلى زيد بن أرقم، وحدث عن أبي جحيفة السُّوائي وجندب البجلي، وأبي الطفيل، وسويد بن غفلة، وسعيد بن جبير ومجاهد، والشعبي، وعدة، قال علي بن المديني: له مئتان وخمسون حديثاً، وقال أحمد بن حنبل: كان متقناً للحديث، وقال أحمد العجلي: تابعي ثقة ثبت في الحديث قال يحيى بن سلمة: ولد أبي في سنة سبع وأربعين، ومات يوم عاشوراء سنة احدى وعشرين ومئة وقال أحمد بن حنبل: مات سنة إحدى وعشرين في آخرها يوماً. انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩)، طبقات ابن سعد (٦/ ٣١٦)، التاريخ الكبير (٤/ ٧٤)، التاريخ الصغير (١/ ٣١١) الجرح والتعديل (٤/ ١٧٠)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٥٥).

(٣) مسلم بن عمران البطين، ويقال ابن أبي عمران، أبو عبد الله الكوفي، ثقة ـ انظر تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٦.

(٤) إسناد المصنف حسن، والحديث صحيح أخرجه الطبري في التفسير (١٢/ ٣٩٠) (١٤٥٠٤)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢٣٢٠) في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** (٢٥/ ٣٠٢٨)، وأخرجه النسائي (٥/ ٢٣٣) في كتاب مناسك الحج، باب قوله عز وجل: «خذوا زينتكم» (٢٩٥٦) وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٩) في كتاب التفسير سورة =

يتعروا»[١] وقال الكلبي: «الزينة ما وارى العورة عند كل مسجد، كطواف أو صلاة»[٢]، وقال طاوس[٣]: لم يأمرهم بالحرير ولا الديباج[٤]، ولكن كان أهل الجاهلية يطوف أحدهم بالبيت عريان، ففي ذلك يقول: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾** وهذا قول جماعة المفسرين[٥]، وقوله: **﴿وكلوا واشربوا﴾** كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام في أيام حجهم إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: نحن أحق أن نفعل، فقال الله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾** بتحريم ما أحللت لكم من اللحم والدسم[٦] **﴿إنه لا يحب المسرفين﴾** يعني الكافرين الذين فعلوا ذلك[٧] قوله: **﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾** أي من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟ **﴿والطيبات من الرزق﴾** يعني ما حرموه على أنفسهم أيام حجهم من اللحم والدسم. **﴿قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾** قال الفراء[٨]: **﴿قل هي للذين ءامنوا في الحياة الدنيا﴾** مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة.

= الأعراف، وقال: صحيح الإسناد، ووفقه الذهبي ـ وانظر تفسير ابن كثير (٤٠١/٣) وانظر البغوي (١٥٤/٢، ١٥٧) وأبو حيان في البحر (٢٨٩/٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن أبي شيبة، ومسلم والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس. وذكره القرطبي في التفسير (١٢٢/٧) وذكره السمرقندي في تفسيره قبل هذا الموضع بقليل. وذكره الألوسي في روح المعاني (١٠٩/٨) وذكره السيوطي في الدر (٧٨/٣) عن سعيد بن جبير وعزاه لعبد بن حميد.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٣٩١/١٢) (١٤٥٠٨) وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٠١/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (١٨٦/٣) بنحوه في تنوير المقباس (٨٩/٢) وذكره السيوطي في الدر (٧٨/٣) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) ذكره البغوي في التفسير (١٥٧/٢) الخازن (٢٢٣/٢).

(٣) طـاوس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وابن عباس، ولازم ابن عباس مدة،وهو معدود في كبراء أصحابه،وروى عن جابر وسراقة بن مالك،وابن عمر وعبد الله بن عمرو وعدة،وهو حجه باتفاق. وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: إني لأظن طاوساً من أهل الجنة،وتوفي عام ستة ومئة. انظر سير أعلام النبلاء (٣٨/٥)، طبقات ابن سعد (٥٣٧/٥)، التاريخ الكبير (٣٦٥/٤) الجرح والتعديل (٥٠٠/٤) التاريخ الصغير (٢٥٢/١) حلية الأولياء (٣/٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٥١/١)، تذكرة الحفاظ (٩٠/١) طبقات القراء (٣٤١/١)، شذرات الذهب (١٣٣/١).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٨/٣) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وروى أيضاً عن طـاوس أنه قال: الشملة من الزينة ذكره أيضاً في الدر المصدر السابق، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر وأبي الشيخ. وانظر البحر المحيط (٢٨٩/٤).

(٥) انظر تفسير الطبري (٣٨٩/١٢) البحر المحيط (٢٨٩/٤) تفسير ابن كثير (٤٠١/٣) انظر الدر المنثور (٧٨/٣)، الفخر الرازي (٥٠/١٤) معالم البغوي (١٥٧/٢) روح المعاني (١٠٩/٨) ـ القرطبي (١٢٢/٧) زاد المسير (١٨٦/٣) بحر العلوم للسمرقندي انظر الآية.

(٦) انـظر المعالم للبغـوي (١٥٧/٢) أسباب النـزول للمصنف رحمه الله ﷺ (٢٢٢) روح المعـاني للألـوسي (١١٠/٨) الـرازي (٥١/١٤) البحر المحيط (٢٩٠/٤) ونحو هذا انظر الطبري (٣٩٤/١٢ ـ ٣٩٥) وابن كثير (٤٠٣/٣).

(٧) وهذا نهاية التهديد، لأن كل من لا يحبه الله تعالى بقي محروماً عن الثواب، لأن معنى محبة الله تعالى العبد إيصاله الثواب إليه، فعدم هذه المحبة عبارة عن عدم حصول الثواب، ومتى لم يحصل الثواب فقد حصل العقاب لانعقاد الإجماع على أنه ليس في الوجود مكلف لا يثاب ولا يعاقب. انظر الرازي (٥٢/١٤).

وقال الحافظ ابن كثير (٤٠٣/٣) عند تفسير هذه الآية: إن الله لا يحب المتعدين حده في حلال أو حرام الغالين فيما أحل أو حرم بإحلال الحرام وبتحريم الحلال، ولكنه يحب أن يحلل ما أحل، ويحرم ما حرم، وذلك العدل الذي أمر به.

(٨) انظر معاني القرآن (٣٧٧/١) الرازي (٥٤/١٤) وذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (١٥٧/٢).

وهذا معنى قول ابن عباس [١] والمفسرين: «شارك المسلمين المشركون في الطيبات في الحياة الدنيا، فأكلوا من طيبات طعامها، ولبسوا من خيار ثيابها، ونكحوا من صالح نسائها ثم يخلص الله تعالى الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين فيها شيء» وقرأ نافع: «خالصةٌ» رفعاً على أنه خبر بعد خبر كما تقول زيد عاقل لبيب.

والمعنى: قل هي ثابتة للمؤمنين في الحياة الدنيا، خالصة يوم القيامة [٢]، قوله: ﴿**كذلك نفصل الآيات**﴾ نبينها ﴿**لقومٍ يعلمون**﴾ أني أنا الله لا شريك لي، قوله: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾ قال ابن عباس: «يريد سر الزنا، وعلانيته»[٣] ﴿**والإثم**﴾ قال الضحاك: «الذنب الذي لا حد فيه[٤]». وقال السدي: «الإثم المعصية»[٥] وقال عطاء[٦] «يريد الخمر»، قال ابن الأنباري[٧]: «الإثم لا يكون من أسماء الخمر، لأن العرب ما سمتها إثماً قط، لا في الجاهلية ولا في الإسلام، ولكن قد تكون الخمر داخلة تحت الإثم كقوله: ﴿**قل فيهما إثم كبير**﴾»[٨] ﴿**والبغي**﴾ ظلم الناس وهو أن يطلب ما ليس له و ﴿**وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً**﴾ قال مقاتل «ما لم يُنَزِّلْ به كتاباً فيه حجة بأن معه شريكاً»[٩] ﴿**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ يعني من تحريم الحرث والأنعام في قول مقاتل[١٠]، وقال غيره: «هذا عام في تحريم القول في الدين من غير يقين»[١١] قوله: ﴿**ولكل أمة أجل**﴾ قال عطاء،

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٣٩٩) البغوي في التفسير (٢/١٥٧) البحر المحيط (٤/٢٩١) الرازي (١٤/٥٣) زاد المسير (٣/١٨٩).

(٢) حجة القراءات (٢٨١) وقرأ الباقون: «خالصة» نصباً على الحال كما نقول: المال لزيد خالصاً، انظر الحجة المصدر السابق، والنشر لابن الجزري (٢/٢٦٩) إتحاف فضلاء البشر (٢/٤٧) البحر المحيط (٤/٢٩١) البغوي (٢/١٥٧) القرطبي (٧/١٢٨) الرازي (١٤/٥٤) انظر الدر المنثور (٣/٨١)، بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير الآية.

(٣) تنوير المقباس (٢/٩٠) وذكره البغوي بلا نسبة (٢/١٥٧).

(٤) ذكره البغوي في التفسير (٢/١٥٨) ابن الجوزي (٣/١٩١) الخازن (٢/٢٢٥).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (٢/٤٠٣) (١٤٥٥٢)، والحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٤٠٤) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٩١) والخازن في التفسير (٢/٢٢٥) والبغوي (٢/١٥٨).

(٦) وبه قال ابن عباس والحسن البصري انظر روح المعاني (٨/١١٢) البغوي (٢/١٥٨) البحر المحيط (٤/٢٩٢) الخازن (٢/٢٢٥)، القرطبي (٧/١٢٩) الرازي (١٤/٥٥) أبو السعود (٣/٢٢٤) ابن الجوزي (٣/١٩١).

(٧) البيان (١/٣٦٠).

(٨) سورة البقرة «٢١٩» قلت: وممن ذهب إلى أن الإثم بمعنى الخمر الأصمعي، وقد استشهدوا بالشعر فأنشدوا: شربت الإثم حتى ضل عقلي .... كذاك الإثم يذهب بالعقول وقال آخر: نشرب الإثم بالصواع جهارا... .وترى المسك بيننا مستعاراً. وقد أنكر جماعة أن يكون الإثم بمعنى الخمر، فقال الفراء: الإثم ما دون الحد، والاستطالة على الناس. وقال النحاس: فإما أن يكون الإثم الخمر، فلا يعرف ذلك، وحقيقة الإثم أنه جميع المعاصي، كما قال الشاعر:

إني وجدت الأمر أرشده تقوى الإله وشره الإثم

وأنكره ابن العربي أيضاً وقال: «ولا حجة في البيت، لأنه لو قال شربت الذنب، أو شربت الوزر لكان كذلك، ولم يوجب قوله: أن يكون الذنب والوزر اسمان من أسماء الخمر كذلك الإثم والذي أوجب التكلم بمثل هذا الجهل باللغة وبطريق الأدلة في المعاني، وقال أبو حيان: إن هذا التفسير غير صحيح هنا، لأن السورة مكية، ولم تحرم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد، وقال عن البيت: وهو مصنوع مختلق، وقال الألوسي والمشهور أن ذلك من باب المجاز، لأن الخمر سبب الإثم ـ البحر المحيط (٤/٢٩٢) ـ القرطبي (٧/١٢٩) ـ روح المعاني (٨/١١٢).

(٩) ابن الجوزي (٣/١٩٢) والبغوي (٢/١٥٨) الخازن (٢/٢٢٥) والسمرقندي في بحر العلوم في تفسير الآية.

(١٠) البغوي (٢/١٥٨)، ابن الجوزي (٣/١٩٢).

(١١) وإليه الإشارة بقوله: «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» انظر الفخر الرازي (١٤/٥٦) وانظر البغوي في التفسير (٢/١٥٨) الخازن =

والحسن، وابن عباس «يعني أجل الهلاك والعذاب» [١] ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ للعذاب لا يتأخرون ولا يتقدمون، حتى يعذبوا، وذلك حين سألوا النبي ﷺ العذاب، فأنزلت هذه الآية [٢].

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يا بني ءادم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم ءاياتي﴾ قال ابن عباس: «فرائضي وأحكامي» [٣] ﴿فمن اتقى﴾ قال يريد اتقاني، وخافني، وأصلح ما بيني وبينه [٤] ﴿فلا خوف عليهم﴾ إذا خاف الناس ﴿ولا هم يحزنون﴾ إذا حزنوا، ثم ذكر المكذبين، فقال: ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ الآية قوله: ﴿فمن أظلمُ ممن افترى على الله كذباً﴾ أي ظلم أشنع من الكذب على الله؟ ومعنى ﴿افترى على الله كذباً﴾ قال: ابن عباس: «جعل له صاحبة وولداً وشريكاً» [٥]، ﴿أو كذب بآياته﴾ بالقرآن ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ ما كتب لهم من العذاب، وقضي عليهم، وهو سواد الوجه، وزرقة العيون. قال عطية عن ابن عباس: كتب لمن يفتري على الله تعالى أن وجهه مسود [٦] واحتج بقوله: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ [٧]، وقال الربيع وابن زيد، والقرظي: نصيبهم من الكتاب: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمال والأعمار والآجال [٨] فإذا فنيت ﴿جاءتهم رسلنا يتوفونهم﴾ قال ابن عباس: «يعني الملائكة يقبضون

= في التفسير (٢/٢٢٥) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/١٩٢).

(١) ذكره البغوي في التفسير (٢/١٥٨) وذكر ذلك السمرقندي عند تفسير هذه الآية بلا نسبة.

(٢) انظر البغوي (٢/١٥٨) الألوسي (٨/١١٢) زاد المسير (٣/١٩٢).

(٣) ذكره البغوي في التفسير (٢/١٥٨) وذكره القرطبي في التفسير (٧/١٣٠) بلا نسبة، والخازن (٢/٢٢٦) وقال الرازي في التفسير (١٤/٥٧) قيل: القرآن، وقيل: الدلائل، وقيل: الأحكام والشرائع، والأولى دخول الكل فيه، لأن جميع هذه الأشياء آيات الله تعالى، لأن الرسل إذا جاءوا فلا بد وأن يذكروا جميع هذه الأقسام.

(٤) انظر البغوي (٢/١٥٨) الخازن (٢/٢٢٦) القرطبي (٧/١٣٠) تنوير المقباس (٢/٩٢).

(٥) انظر تفسير البغوي (٢/١٥٨) والخازن (٢/٢٢٦).

(٦) ابن الجوزي (٣/١٩٣) والبغوي (٢/١٥٩) والسمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية. الرازي في التفسير (١٤/٥٩) تنوير المقباس (٢/٩٢) والطبري في التفسير (١٢/٤١٣) (١٤٥٨٨) وابن كثير في التفسير (٣/٤٠٥).

(٧) سورة الزمر «٦٠».

(٨) الطبري عن محمد بن كعب القرظي (١٢/٤١٣) (١٤٥٩٠) وابن كثير (٣/٤٠٥) وذكره الأخير أيضاً عن الربيع بن أنس، وابن =

أرواحهم[١]. ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ سؤال تبكيت وتقريع ﴿قالوا ضلوا عنا﴾ بطلوا وذهبوا ﴿وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ إعترفوا عند معاينة الموت، وأقروا على أنفسهم بالكفر. قوله تعالى: ﴿قال ادخلوا في أمم﴾ أي: قال الله لهم ادخلوا في أمم يعني مع أمم كافرة ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة﴾ من هذه الأمم النار ﴿لعنت أختها﴾ يعني التي تسبقها إلى النار، وهي أختها في الدين لا في النسب، قال ابن عباس: «يريد يلعنون من كان قبلهم»[٢] وقال الزجاج[٣]: «لعنت أختها، لأنهم ضل بعضهم بأتباع بعض» ﴿حتى إذا اداركوا فيها﴾ تداركوا وتلاحقوا فيها ﴿جميعاً قالت أخراهم﴾ يعني آخرهم دخولاً النار، وهم الأتباع ﴿لأولاهم﴾ دخولاً [النار][٤] وهم القادة والرؤساء ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ قال ابن عباس: «لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً»[٥] ﴿فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ أضعِفْ[٦] عليهم العذاب، بأشد مما تعذبنا به ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿لكل ضعفٌ﴾ أي: للتابع والمتبوع عذاب مضاعف، لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً ﴿ولكن لا تعلمون﴾ ما لكل فريق [من الكافرين][٧] منكم من العذاب، ﴿وقالت أولاهم لأخراهم﴾ قالت الرؤساء للأتباع ﴿فما كان لكم علينا من فضلٍ﴾ تخفيف من العذاب، لأنكم كفرتم كما كفرنا.

= الجوزي في زاد المسير (٣/١٩٣) والبغوي في التفسير (٢/١٥٩) والخازن في التفسير ٢/٢٢٦ والرازي في التفسير ١٤/٥٩ وانظر البحر المحيط (٤/٢٩٤) الألوسي في التفسير (٨/١١٥) والقرطبي في التفسير (٧/١٣٠) وقال الحافظ ابن كثير في المصدر السابق: وهذا القول قوي في المعنى، والسياق يدل عليه قوله (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) ويصير المعنى في هذا الآية كما في قوله: (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون). يونس (٦٩، ٧٠).

(١) انظر المعالم للبغوي (٢/١٥٩) زاد المسير (٣/١٩٣) تنوير المقباس (٢/٩٢) القرطبي (٧/١٣٠) ـ الألوسي (٨/١١٥) ـ البحر المحيط (٤/٢٩٥) ـ بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير الآية ـ أبو السعود (٣/٢٢٦).

(٢) ابن الجوزي زاد المسير (٣/١٩٤) تنوير المقباس (٢/٩٣) القرطبي (٧/١٣١) ـ وانظر البغوي (٢/١٥٩) ـ وانظر البحر المحيط (٤/٢٩٥) ـ وانظر الرازي (١٤/٦١).

(٣) معاني القرآن (٢/٣٣٦). وانظر البحر المحيط (٤/٢٩٥).

(٤) في ج (في النار).

(٥) انظر الطبري (١٢/٤١٧).

(٦) والضعف على ما قال أبو عبيد، ونص عليه الشافعي في الوصايا ـ مثل الشيء مرة واحدة، وعن الأزهري: أن هذا المعنى عرفي، والضعف في كلام العرب وإليه يرد كلام الله تعالى المثل إلى ما زاد، ولا يقتصر على مثلين، بل هو غير محصور واختاره هنا غير واحد وقال الراغب: الضعف بالفتح مصدر، وبالكسر اسم كالثني والثني، وضعف الشيء هو الذي يثنيه، ومتى أضيف إلى عدد اقتضى ذلك العدد مثله، نحو أن يقال: ضعف عشرة، وضعف مائة، فذلك عشرون ومائتان بلا خلاف، وعلى ذلك قول الشاعر:

جـزيتـك ضعف الـود لمـا اشتكيتـه   ومـا أن جـزاك الضعف من أحـد قبلي

وإذا قيل: اعطه ضعفي واحد اقتضى ذلك الواحد ومثليه، وذلك ثلاثة، لأن معناه الواحد واللذان يزاوجانه. هذا إذا كان الضعف مضافاً، فإذا لم يكن مضافاً فقلت: الضعفين فقد قيل: يجري مجرى الزوجين في أن كل واحد منهما يزاوج الآخر فيقتضي ذلك اثنين، لأن كل واحد منهما يضاعف الآخر فلا يخرجان منهما.

انظر الألوسي (٨/١١٦) وانظر لسان العرب (٤/٢٥٨٨) ترتيب القاموس (٣/٢٦ ـ ٢٧) الصحاح (٤/١٣٩٠ ـ ١٣٩١) مفردات الراغب (٤٣٨) وما بعدها ـ مجاز القرآن (١/٢١٤) تنبيه: قرأ أبو بكر (لكل ضِعفٌ ولكنْ لا يعلمون) بالياء إخبار عن غيب، المعنى ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر. وقرأ الباقون بالتاء أي: ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨١) النشر (٢/٢٦٩) إتحاف فضلاء البشر (٢/٤٨).

(٧) سقط في ج.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله: **﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾** أي: بحججنا وأعلامنا التي تدل على نبوة الأنبياء، وتوحيد الله تعالى **﴿واستكبروا عنها﴾** ترفعوا عن الإيمان بها، والانقياد لها **﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾**[1] أي لدعائهم، ولا لأعمالهم، ولا لشيءٍ مما يريدون به الله تعالى، وقال الضحاك عن ابن عباس: «لا تفتح لأرواحهم أبوابُ السماء، وتفتح لأرواح المسلمين[2]»: **﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾** الولوج: الدخول[3]، والسَّم: ثقب الإبرة والخِيَاط:[4] ما يخاط به، والمعنى: لا يدخلون الجنة أبداً، وذلك: أن الشيء إذا علق كونه بما لا يجوز كونه، استحال كونه، كما يقال: «لا يكون هذا حتى يشيب الغراب ويبيض القار» **﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾** ومثل ما وصفنا نجزي من كذب بآياتنا واستكبر عن الإيمان بها، قوله: **﴿لهم من جهنم مهادٌ﴾** أي

---

(١) قرأ أبو عمرو (لا تُفْتَحُ) بالتاء، والتخفيف، وقرأ حمزة والكسائي بالياء والتخفيف، وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وحجة التاء قوله: (وفُتِحَتْ أبوابها) ذهبوا إلى جماعة الأبواب وحجة من قرأ بالياء هي أنه لما فصل بين المؤنث وبين فعله بفاصل صار الفاصل كالعوض من التأنيث والتذكير، والتأنيث في هذا النوع قد جاء بهما التنزيل فمن الأول قوله: **﴿لن ينالَ الله لحومُها ولا دماؤها﴾** ومن التأنيث قوله: **﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾** ولو ذكر أو أنث فعل اللحوم كان جائزاً حسناً فأما التشديد فإنه من التفتح مرة بعد مرة أخرى وهذا هو المختار لأنه عن جماعة وحجتهم قوله **﴿مُفَتَّحةً لهم الأبوابُ﴾** ولم يقل: (مفتوحة) وقال: **﴿وغلِّقت الأبواب﴾** ومن خفف دل على المرة الواحدة، ومعنى قوله: **﴿لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماء﴾** أي: لا يستجاب لهم دعاؤهم فتفتح لهم أبواب السماء انظر حجة القراءات (٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٤٢١ ـ ٤٢٢) وبه قال السدي وغير واحد، ويؤيده ما قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن المنهال ـ هو ابن عمرو ـ عن زاذان عن البراء: أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء قال: فيصعدون بها فلا تمر على ملأ من الملائكة إلا قالوا: (ما هذه الروح الخبيثة؟) فيقولون: (فلان) بأقبح أسمائه التي كان يُدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها السماء، فيستفتحون بابها له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ (لا تفتح لهم أبواب السماء) الآية. وهكذا رواه وهو قطعة من حديث طويل رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال بن عمرو به

وقد رواه الإمام أحمد بطوله وانظر الطبري (١٢/٤٢٤) (١٤٦٢٤)، وانظر تفسير ابن كثير (٣/٤٠٧ ـ ٤٠٨) وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. وانظر المعالم للبغوي (٢/١٦٠) البحر المحيط (٤/٢٩٧) والقرطبي (٧/١٣٢). الرازي (١٤/٦٣).

(٣) انظر لسان العرب (٦/٤٩١٣) ترتيب القاموس (٤/٦٥٤) المفردات (٨٣٥).

(٤) وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك، فهو سم، والجميع سموم انظر مجاز القرآن (١/٢١٤) لسان العرب (٣/٢١٠٢) ترتيب القاموس (٢/٦١٨) ـ المفردات (٣٥٢).

فراش، وهو كل ما يمهد[١]: أي يبسط ويفرش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ وهي: كل ما يغشاك أي يسترك[٢].

قال المفسرون[٣]: «هذا إخبار عن إحاطة النار بهم من كل جانب، فلهم منها غطاء، ووطاء، وفراش، ولحاف، ﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾ قال ابن عباس: «يريد الذين أشركوا به، واتخذوا من دونه إلهاً»[٤] قوله: ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وُسْعها﴾ وُسْع الإنسان: ما يقدر عليه، وليس معنى الوسع بذل المجهود وأقصى الطاقة، والله تعالى لم يكلف العباد ما يشق ويتعذر عليهم ولكنه كلفهم ما يطيقون، ولا يعجزون عنه، وقد قال معاذ بن جبل[٥] في الآية: «إلا يُسرها، لا عسرها، ولو كلفها طاقتها لبلغت مجهودها» وقوله ﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها﴾ فصل بين الابتداء والخبر بما ليس بأجنبي، لأنه لما ذكر عملهم الصالح ذكر أن ذلك العمل مما يسعهم ولا يعسر عليهم، قوله تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ النزع[٦] قلع الشيء من مكانه، والغل: الحقد[٧] الكامن في الصدور، والمعنى أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا وإلى هذا أشار عليٌّ رضي الله عنه، فقال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان وطلحة، والزبير من الذين قال الله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾[٨].

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي[٩] أخبرنا محمد بن مكي، أنا: محمد بن يوسف عن محمد بن إسماعيل نا: الصلت بن محمد[١٠] نا: يزيد بن زريع في قوله: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ قال: حدثنا سعيد عن قتادة، وعن أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: « يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على

---

(١) انظر مجاز القرآن (١/ ٢١٤) وقال الأزهري: أصل المهد في اللغة الفرش يقال للفراش مهاد لمواتاته. لسان العرب (٦/ ٤٢٨٦) ترتيب القاموس (٤/ ٢٩٠) المفردات (٧٢٣).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢١٤) لسان العرب (٥/ ٣٢٦١) المفردات (٥٤١) ترتيب القاموس (٣/ ٣٦٩).

(٣) البغوي (٢/ ١٦٠) الخازن (٢/ ٢٢٩) البحر المحيط (٤/ ٢٩٨) روح المعاني للألوسي (٨/ ١١٩) الرازي (١٤/ ٦٤).

(٤) ابن الجوزي في زاده (٣/ ١٩٩) والرازي في التفسير (١٤/ ٦٥) تنوير المقباس (٢/ ٩٥) وعبر عنهم بالمجرمين تارة، وبالظالمين أخرى إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين، وذكر الجرم مع الحرمان من دخول الجنة والظلم مع التعذيب على أنه أعظم الجرائم والجرائر.

(٥) ذكره الفخر الرازي في تفسيره عن معاذ (١٤/ ٦٥).

(٦) انظر لسان العرب (٦/ ٤٣٩٥) المفردات (٧٤٣).

(٧) قال أهل اللغة وهو الذي يغل بلطفه إلى حميم القلب، أي: يدخل، ومنه الغلول، وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة، ويقال: انغل في الشيء وتغلل فيه إذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل في حميم الفؤاد. اهـ لسان العرب (٥/ ٣٢٨٥) الصحاح (٥/ ١٧٨٣) المفردات (٥٤٤).

(٨) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/ ٤٣٨) (١٤٦٦٢)، (١٤٦٦١)، وابن كثير في التفسير (٣/ ٤١١)، الرازي في التفسير (١٤/ ٦٦) القرطبي (٧/ ١٣٣) البحر المحيط (٤/ ٢٩٨) ابن الجوزي (٣/ ١٩٩) البغوي (٢/ ١٦٠) أبو السعود (٣/ ٢٢٨) بحر العلوم للسمرقندي عند تفسير هذه الآية الألوسي (٨/ ١٣٠) وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٩) عمرو بن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني وقد أخذ علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حي، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقال الأزهري: مات سنة اثنين وثلاثين ومائتين. انظر معجم الأدباء (١٦/ ٧٣ ـ ٧٤). بغية الوعاة (٢/ ٢٢٨).

(١٠) الصَّلْتُ بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي المغيرة المحدث أبو همام الخاركي البصري الثقة. وخارك: ساحل البصرة. قال أبو حاتم: صالح الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧)، التاريخ الكبير (٤/ ٣٠٤)، الجرح والتعديل (٤/ ٤٤١)، اللباب (١/ ٤١٠) الكاشف (٢/ ٣١)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٣٥).

قنطرة بين الجنة والنار، فيَقُص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقوا، أُذن لهم في دخول الجنة. والذي نفسي بيده لأحدهم أهدى بمنزلة في الجنة منه بمنزلة كان في الدنيا»[1] وقوله: ﴿**وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا**﴾ إذا استقر أهل الجنة في منازلهم قالوا: ﴿**الحمد لله الذي هدانا لهذا**﴾ أي: لهذا الثواب، بما وفقنا له من العمل الذي أدى إلى هذا[2]، وهذا معنى قول الزجاج[3] «هدانا لما صبرنا إلى هذا». وقوله: ﴿**وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾ دليل على أن المهتدي من هداه الله، وأن من لم يهده الله لم يهتد، وقوله: ﴿**لقد جاءت رسل ربنا بالحق**﴾ [هذا من قول أهل الجنة حين رأوا ما وعدهم الرسل عياناً، قالوا: لقد جاءت رسل ربنا بالحق][4] ﴿**ونودوا أن تلكم الجنة**﴾ قيل لهم هذه تلكم الجنة التي وعدتم بها في الدنيا[5]، ﴿**أورثتموها**﴾ أوتيتم ميراثاً من الكفار بإيمانكم وكفرهم، وذلك أنه ما من أحد إلا وله منزل في الجنة، ثم يقال لأهل الكفر يوم القيامة بعد ما يرون منازلهم في الجنة هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله، ثم يقال يا أهل الجنة، رثوهم بما كنتم تعملون، فيقسم بين أهل الجنة منازلهم.

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد المطوعي[6]، أنا جدي أنا: أبو عمرو أحمد بن محمد الجرشي[7]، نا: محمد بن علي الوارق[8]، نا يوسف بن يعقوب الصفار نا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد إلا وله منزل في الجنة، ومنزل من النار، فأما الكافر فإنه يرث المؤمن في منزله من النار، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة»[9] فذلك قوله: ﴿**تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ قال ابن عباس: «توحدون الله تعالى وتقومون بفرائضه»[10].

---

(١) والحديث أخرجه البخاري (٦/١١٥) في كتاب المظالم باب قصاص المظالم (٢٤٤٠) (٦٥٣٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/٤٠٤) (٢١٢/١١٨٦)، وأخرجه أحمد في المسند ٣/١٣، ٥٧، ٦٣، ٧٤، والطبري في التفسير ١٤/٣٧ من طرق عن قتادة به، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة باب حشر الناس، ٢/١٨٠ (٣٣٩) وابن منده في كتاب الإيمان (٣/٧٩٣) والبغوي في شرح السنة ١٥/١٩٦ وفي التفسير (٢/١٦٠ - ١٦١).

(٢) في ب، ج (هدانا).

(٣) معاني القرآن ٢/٣٣٩.

(٤) سقط في أ.

(٥) ذكر الزجاج في كلمة (أن) هاهنا وجهين: الأول: أنها مخففة من الثقيلة، والتقدير (أنه) والضمير للشأن، والمعنى: نودوا بأنه تلكم الجنة أي نـودوا بهذا القول والثاني: قال: وهو الأجود عندي أن تكون (أن) في معنى تفسير النداء، والمعنى: ونودوا، أي تلكم الجنة، والمعنى: قيل لهم تلكم الجنة كقوله (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) ص (٦) يعني أي امشوا. قال: إنما قال (تلكم) لأنهم وعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل لهم هذه تلكم التي وعدتم بها. انظر الرازي (١٤/٦٧). وانظر البحر المحيط (٤/٣٠٠) روح المعاني (٨/١٢١) وأبو السعود (٣/٢٢٩) القرطبي (٧/١٣٤).

(٦) المطوعي: بضم الميم، وتشديد الطاء المهملة وفتحها، وكسر الواو وفي آخرها العين المهملة، وهذه النسبة إلى المطوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد ورابطو في الثغور وتطوعوا بالغزو فقصدوا الغزو في بلاد الكفر انظر الأنساب ٥/٣٢٦ ـ ٣٢٧.

(٧) أبو عمرو الحيري الحافظ الإمام الرحال أحمد بن محمد بن أحمد بن حفص بن مسلم النيسابوري، سبط أحمد بن عمرو الحرشي، وكان شيخ نيسابور في الحشمة والثروة والتزكية. مات في ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاث مائة. انظر تذكرة الحفاظ (٣/٧٩٨ - ٧٩٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/٤٩٢).

(٨) الوراق: بفتح الواو وتشديد الراء وفي آخرها القاف، هذا اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها. وقد يقال لمن يبيع الورق ـ هو الكاغد ـ ببغداد: الوراق أيضاً. انظر الأنساب (٥/٥٨٤).

(٩) أخرجه البخاري ٥/١١٥ في كتاب المظالم باب قصاص المظالم (٢٤٤٠، ٦٥٣٥). وأحمد في المسند ٣/٦٣ وانظر ابن الجوزي في الزاد (٣/٢٠٠) والسيوطي في الدر (٤/١٠١).

(١٠) وذهب أهل التفسير أنه بسبب مطلق الأعمال، فبمطلقها نالتهم الرحمة فبلغوا الجنة وقال الحافظ ابن كثير (٣/٤١٢) وإنما وجب =

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾

قوله: ﴿**ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً**﴾ قال ابن عباس: «وجدنا ما وعدنا ربنا في الدنيا من الثواب حقاً»[١]. ﴿**فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**﴾ وهذا سؤال تعيير وتقرير ﴿**قالوا نعم**﴾ وقرأ الكسائي: نعم: بكسر العين[٢] وهما لغتان في بعض الكلام، والمعروف بفتح العين [٣] ﴿**فأذن مؤذن بينهم**﴾ فنادى مناد أسمع الفريقين ﴿**أن لعنةُ الله على الظالمين**﴾ وقرىء: مخففاً (أن لعنة الله) رفعاً[٤]، على معنى أنه لعنه الله، ثم حذف الإضمار، وخففت، كقوله: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[٥] ثم وصف الظالمين فقال: ﴿**الذين يصدون عن سبيل الله**﴾ يمنعون الناس عن طاعة الله ﴿**ويبغونها عوجاً**﴾ قال ابن عباس: «يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله»[٦] ﴿**وهم بالآخرة**﴾ أي بالدار الآخرة والمصير إلى الله ﴿**كافرون**﴾.

وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿**وبينهما**﴾ يعني بين أهل الجنة وأهل النار ﴿**حجاب**﴾ وهو الأعراف التي قال الله تعالى فيها ﴿**وعلى**

= الحمل على هذا لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ واعلموا أن أحدكم لن يدخله عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل وانظر البحر المحيط (٤/٣٠٠) القرطبي (٧/١٣٤) الرازي (١٤/٦٨).

(١) ذكره البغوي بلا نسبة (٢/١٦١) والرازي في التفسير عن ابن عباس (١٤/٦٩) وانظر تنوير المقباس (٢/٩٦) وانظر الدر المنثور (٣/٨٦).

(٢) وحجته في ذلك ما روي في الحديث: أن رجلاً لقي النبي ﷺ بمنى فقال (أنت الذي يزعم أنه نبي)؟ فقال (نَعِمْ) بكسر العين. وروي أيضاً أن عمر سأل رجلاً شيئاً فقال (نَعَمْ) فقال قل (نَعِمْ) إنما النعَمُ الإبل. وقرأ الباقون نَعَم بالفتح وهما لغتان. الحجة لابن زنجلة (٢٨٢) النشر لابن الجزري (٢/٢٦٩) إتحاف فضلاء البشر (٢/٤٩) البغوي (٢/١٦١) البحر المحيط (٤/٣٠٠) القرطبي (٧/١٣٤) الرازي ـ (١٤/٧٠) الألوسي (٨/١٢٢) أبو السعود (٣/٢٢٩).

(٣) يقصد المصنف رحمه الله المشهور ولا عبرة بمن أنكر الكسر وهي لغة نسبت إلى كنانة وهذيل، وأثبتها أهل اللغة بالنقل الصحيح، أما قول عمر لا أره صحيحاً لما فيه من المخالفة لأصح الفصيح.

(٤) قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بإسكان النون مخففة ورفع لعنه على (أن) مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن (لعنة) مبتدأ، والظرف بعده خبره، والجملة خبر (أن) وافقهم اليزيدي وابن محيصن من الفردة وقرأ الأخوان (وهما حمزة والكسائي) وابن عامر والبزي ان لعنة الله بتثقيل ان ونصب لعنة وقرأ عصمة عن الأعمش أن بكسر الهمز والتثقيل، ونصب لعنة على إضمار القول أو اجراء أذّن مجرى قال.

إتحاف فضلاء البشر (٢/٤٩ ـ ٥٠) البحر المحيط (٤/٣٠١) النشر (٢/٢٦٩) حجة القراءات (٢٨٣) البغوي (٢/١٦١) الرازي (١٤/٧١) روح المعاني (٨/١٢٣). القرطبي (٧/١٣٤).

تنبيه: قال الواحدي: من شدد فهو الأصل، ومن خفف أن فهي مخففة من الشديدة على إراده إضمار القصة.

(٥) سورة يونس ١٠ وانظر كلام الواحدي في الرازي (١٤/٧١).

(٦) والعوج: بكسر العين في الدِّين والأمر والأرض وكل ما لم يكن قائماً وبالفتح في كل ما كان قائماً كالحائط والرمح ونحوهما. المعالم للبغوي (٢/١٦٢) روح المعاني (٨/١٢٣) أبو السعود (٣/٢٢٩) والأثر عند البغوي المصدر السابق.

الأعراف﴾ وهي جمع عرف وهو كل عال[١] مرتفع، قال ابن عباس: «يريد سور الجنة» وهو سور بين الجنة والنار[٢] وقوله: **﴿رجال﴾** قال ابن عباس والمفسرون: «هم قوم إستوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من النار ومنعتهم سيئاتهم من الجنة، فيقومون على سور الجنة، ثم يدخلهم الله الجنة برحمته، وهم آخر من يدخل الجنة»[٣] وقوله: **﴿يعرفون كلًّا بسيماهم﴾** يعرفون أصحاب الجنة ببياض وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم، لأن موضعهم مرتفع، فهم يرون الفريقين **﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾** إذ نظروا إلى أهل الجنة سلموا عليهم **﴿لم يدخلوها﴾** لم يدخلوا الجنة **﴿وهم يطمعون﴾** في دخولها، قال حذيفة: «لم يكن الله ليخيب طمعهم»[٤] وقال الحسن: «والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم»[٥] **﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾** التلقاء جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة[٦]، يقال: هو تلقاؤك كقولك هو حذاءك[٧]، قال الكلبي: «إذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها وقالوا: **﴿ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾**»[٨].

---

(١) قال أبو عبيدة: على بناء سور لأن كل مرتفع من الأرض عند العرب أعراف قال:

كل كناز لحمه نياف   كالعلم الموفي على الأعراف

وقال الشماخ:

وظلّت بأعراف تعالى كأنها   رماح نحاها وجهة الريح راكزُ

مجاز القرآن (١/٢١٥) وانظر اللسان (٤/٢٨٩٨) المفردات للراغب (٤٩٧). وانظر الطبري (١٢/٤٤٩).

(٢) أخرجه الطبري ١٢/٤٥١ (١٤٦٧٩) وذكره ابن كثير ٣/٤١٤ وذكره البغوي بلا نسبة في التفسير ٢/١٦٢ تنوير المقباس ٢/٩٦ الرازي في التفسير ١٤/٧٢ وحكاه السمرقندي في تفسيره عن ابن قتيبة انظر بحر العلوم عند هذه الآية.

(٣) الطبري ١٢/٤٥٣ (١٤٦٨٦)، ١٢/٤٥٤ البغوي ٢/١٦٢ القرطبي ٧/١٣٥ وانظر بحر العلوم للسمرقندي عند تفسيره للآية. انظر تفسير ابن كثير ٣/٤١٤ الرازي ١٤/٧٢ البحر المحيط ٤/٣٠١ روح المعاني ٨/١٢٣ ـ ١٢٤ أبو السعود ٣/٢٣٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٨٧ وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وهناد بن السري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي في البعث، قلت وممن نص على هذا القول سيدنا حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن إسماعيل حدثنا عبيد بن الحسين، حدثنا سليمان بن داود حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا شيخ لنا يقال له: أبو عباد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته فقال: (أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون). وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورواه من وجه آخر عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة. انظر التفسير لابن كثير (٣/٤١٤). وانظر الدر المنثور (٣/٨٧).

(٤) انظر الخازن (٢/٢٣٤) وبنحوه الرازي ١٣/٧٥ وبنحوه عند البغوي (٢/١٦٣).

(٥) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٤٦٥) (١٤٧٢٩) وابن كثير (٣/٤١٧)، والبغوي في التفسير (٢/١٦٣) عن أبي العالية، الخازن (٢/٢٣٤). وذكره السمرقندي في بحر العلوم عند تفسير الآية. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٨٩) وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٦) ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان.

(٧) وهو في الأصل مصدر استعمل ظرفاً، ونقل الواحدي عن ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين أنهما قالا: لم يأت من المصادر على تفعال إلا حرفان تبيان وتلقاء فإذا تركت هذين استوى ذلك القياس، فقلت في كل مصدر تفعال بفتح التاء مثل تسيار وترسال، وقلت في كل اسم تفعال بكسر التاء مثل تمثال وتقصار ومعنى الآية: أنه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا إلى الله تعالى في أن لا يجعلهم من زمرتهم والمقصود من جميع هذه الآيات التخويف، حتى يقدم المرء على النظر والاستدلال ولا يرضى بالتقليد، ليفوز بالدين الحق، فيصل بسببه إلى الثواب المذكور في هذه الآيات، ويتخلص عن العقاب المذكور فيها. الرازي (١٤/٧٥).

(٨) انظر معالم التنزيل (٢/١٦٣) الخازن في التفسير (٢/٢٣٤) روح المعاني (٨/١٢٥).

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾

قوله: ﴿ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم﴾ ينادي أصحاب الأعراف قوماً من أهل النار رؤساء المشركين، فيقولون لهم: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ الأموال واستكباركم عن عبادة الله ثم يرون في الجنة جماعة من ضعفاء المسلمين وفقراءهم، [وهم] [(١)]: مثل بلال، صهيب، عمار، خباب، فيقولون للمشركين ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم﴾ حلفتم وأنتم في الدنيا ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ وهذا استفهام إنكار، ثم يقول الله تعالى لأصحاب الأعراف ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم﴾ حين يخاف أهل النار ﴿ولا أنتم تحزنون﴾ حين يحزنون.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة﴾ الآية قال عطاء: عن ابن عباس: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد اليأس فقالوا: يا رب إن لنا قرابات من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فنظروا إلى قرابتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم، فعرفوهم، ونظر أهل الجنة إلى قرابتهم من أهل جهنم، فلم يعرفوهم، قد اسودت وجوهم، وصاروا خلقاً آخر، فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم[(٢)] ﴿أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ قال السدي، وابن زيد: «يعني الطعام»[(٣)] قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان معذباً، فأعلمهم أهل الجنة أن الله حرم طعامهم وشرابهم على أهل النار بقولهم ﴿إن الله حرمهما على الكافرين﴾[(٤)] وهذا تحريم منع[(٥)]، لا تحريم تعبد.

أخبرنا عمر بن محمد بن عمر الماردي أنا: أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن حمدويه، نا: أبو بكر محمد بن

---

(١) سقط في أ.

(٢) البغوي في التفسير (٢/١٦٣ ـ ١٦٤) الخازن (٢/٢٣٥) ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٠٨)، أبو حيان في البحر (٤/٣٠٤ - ٣٠٥)، القرطبي (٧/١٣٨) الرازي (١٤/٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٤٧٣) (١٤٧٤٩) وابن كثير (٣/٤١٩) وانظر البغوي (٢/١٦٣) وابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٠٨) الألوسي (٨/١٢٦) البحر المحيط (٤/٣٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٣/٩٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن ٢/٣٤٤ وذكر قول الزجاج السمرقندي في بحر العلوم عند هذه الآية. وانظر البحر المحيط (٤/٣٠٥).

(٥) كقول القائل:

حرام على عيني أن تطعما الكرى

انظر البحر المحيط (٤/٣٠٥) وقال الألوسي (٨/١٢٦) أي منع كلاً منهما، أو منعهما منع المحرم عن المكلف، فلا سبيل إلى ذلك قطعاً ولا يحمل على معناه الشائع، لأن الدار ليست بدار تكليف.

منصور الشيعي[١]، نا نصر بن على الجهضمي، نا: موسى بن المغيرة[٢]، نا: أبو موسى الصفار[٣]، قال: سألت ابن عباس: أو سئل أي الصدقة أفضل؟ فقال: قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة الماء، أما رأيت أهل النار لما استغاثوا بأهل الجنة: قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله»[٤]. أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله الشيباني[٥]، أنا إبراهيم بن رجاء، أنا عبد الله بن محمد البغوي [٦]، نا كامل بن طلحة [٧] نا: ابن لهيعة، نا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «من سقى مسلماً شربة من ماء باعده الله بها من النار بقدر شوط[٨] فرس»[٩].

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أنا: أبو عمرو بن مطر، أنا: أبو الحسن محمد بن الحسين بن سماعة الحضرمي، نا: عبيد الله بن موسى، نا موسى بن عبيدة[١٠]، عن أيوب بن خالد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ وسلم قال: من سقى شربة من ماء، حيث يقدر على الماء، أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة، وإذا سقاها حيث لا يقدر على الماء، فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل[١١].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ قال: «ينادي الرجل أخاه، يا أخي، قد احترقت فأغثني، فيقول: إن الله حرمهما على الكافرين»[١٢].

---

(١) أبو بكر محمد بن منصور النضر بن إسماعيل، المعروف بابن أبي الجهم الشيعي قال ابن ماكولا: هو من شيعة بني العباس، وقال أبو بكر الخطيب: هو من شيعة المنصور. مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة. انظر الأنساب (٣/٥٠٢ ـ ٥٠٣).

(٢) موسى بن المغيرة عن أبي موسى الصفار مجهول، وشيخه لا يعرف. انظر ميزان الاعتدال (٤/٢٢٤).

(٣) أبو موسى الصفار مجهول، انظر ميزان الاعتدال (٤/٥٧٨).

(٤) إسناده ضعيف لجهاله موسى بن المغيرة، وأبو موسى الصفار كما تقدم آنفاً والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥/٧٧ ـ ٣٤٦/٢٦٧٣) وذكره الهيثمي في المجمع (٣/١٣١، ١٣٢) باب سقي الماء، وقال رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن المغيرة، وهو مجهول. وذكره الذهبي في الميزان ٤/٢٢٤ (٨٩٢٩). وأخرجه ابن كثير في التفسير ٣/٤٢٠ عن ابن أبي حاتم، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٨٩ ـ ٩٠) وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب. وله شواهد عند أحمد من حديث سعد بن عبادة انظر الدر المنثور المصدر السابق.

(٥) هذه النسبة إلى شيبان قبيلة من بكر بن وائل. انظر الأنساب (٣/٤٨٢).

(٦) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، ابو القاسم البغوي الحافظ الصدوق، مسند عصره، وتكلم قوم فيه، ونسبوه إلى الكذب. مات ليلة الفطر سنة سبع عشر وثلاثمائة رحمه الله. انظر ميزان الاعتدال (٢/٤٩٢ ـ ٤٩٣).

(٧) كامل بن طلحة الجحدري. شيخ مشهور حدث عنه البغوي والناس. قال أبو حاتم وغيره: لا بأس به. وقال أحمد بن حنبل: ما أعْلَم أحداً يدفعه بحجة. حديثهُ مقارب ولد سنة خمس وأربعين ومائة. وثقه أحمد والدراقطني، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، ومات سنة احدى وثلاثين ومائتين. انظر ميزان الاعتدال (٣/٤٠٠).

(٨) قال ابن منظور قال الأصمعي: شاط يشوط شوطاً إذا عدا شوطاً إلى غاية وقد عدا شوطاً أي طلقاً. انظر لسان العرب (٤/٢٣٦٠)، ترتيب القاموس (٢/٧٥٧).

(٩) والحديث في إسناده ابن لهيعة وفيه مقال انظر الكلام عليه في تحقيقنا على شرح السنة للبغوي.

(١٠) موسى بن عُبيدة بن نشِط الزندي أبو عبد العزيز المدني ضعيف، وكان عابداً مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، انظر تقريب التهذيب (٢/٢٨٦)، ميزان الاعتدال (٤/٢١٣). ابن معين (٢/٥٩٣) لسان الميزان (٧/٤٠٤).

(١١) إسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الزبدي كما تقدم آنفاً والحديث أخرجه ابن ماجه بنحوه (٢/٨٢٦) في كتاب الرهون باب المسلمون شركاء في ثلاث (٢٤٧٤) وقال البوصيري إسناده ـ يقصد إسناد ابن ماجه ـ ضعيف لضعف علي بن زيد. وذكره الهيثمي في المجمع (٣/١٣٣) وعزاه للطبراني في الأوسط، وذكره المنذري في الترغيب (٢/٧٦) وذكر ابن الجوزي في الموضوعات بنحوه (٢/١٧٠) وانظر الفوائد المجموعة للشوكاني (٧٣، ١٨٦) وابن عراق في تنزيه الشريعة (١/١٣٩).

(١٢) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤) (١٤٧٥١) وروي من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس مثله ابن كثير (٣/٤١٩) =

نا أبو سعيد بن أبي عمر النيسابوري، أنا حمزة بن شبيب المعمري، أنا عمرو بن عبد الله البصري، نا عبد الوهاب أنا جعفر بن عون، أنا: موسى بن عبيدة، أخبرنا محمد بن كعب القرظي بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب[١]، شكواه التي قبض فيها، قالت له قريش يا أبا طالب أرسل إلى ابن أخيك، فيرسل إليك من هذه الجنة التي ذكر شيئاً يكون لك شفاء، فخرج الرسول، حتى وجد رسول الله ﷺ، وأبا بكر جالساً معه، فقال: يا محمد إن عمك يقول لك: يا ابن أخي، إني كبير ضعيف سقيم، فأرسل إلي من جنتك هذه التي تذكر من طعامها وشرابها شيئاً يكون لي فيه شفاء، فقال أبو بكر: إن الله حرمهما على الكافرين، فرجع إليهم الرسول فأخبرهم، فقال: بلغت محمداً الذي أرسلتموني به، فلم يجر إلي شيئاً، وقال: أبو بكر إن الله حرمهما على الكافرين، فحملوا أنفسهم عليه، حتى أرسل رسولاً من عنده فوجده الرسول في مجلسه فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ: «إن الله حرمهما على الكافرين طعامها وشرابها»[٢]. قوله: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً﴾ قال ابن عباس: «يريد المستهزئين»[٣].

والمعنى: تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم، واستهزءوا به ﴿فاليوم ننساهم﴾ قال ابن عباس: «نتركهم في جهنم»[٤]. ﴿كما نسوا لقاء يومهم هذا﴾ كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، يعني تركهم العمل بطاعة الله لذلك اليوم ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ ما: في موضع جر، بالعطف على: ما في قوله كانوا وما بمعنى: المصدر، أي ولجحودهم بآياتنا.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ۝٥٣﴾

قوله: ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ يعني القرآن، ﴿فصلناه على علم﴾ بيناه بعلم لم يقع منا فيه سهو ولا غلط ﴿هدى ورحمة﴾ قال الزجاج[٥]: أي: «فصلناه هادياً وذو رحمة» ﴿لقوم يؤمنون﴾ به وهذا يدل على أن القرآن جعل هدى لقوم أريد به هدايتهم دون غيرهم ممن كذب به، قوله: ﴿هل ينظرون﴾ أي ما ينظرون إلا تأويله، يريد عاقبته، وما وعد الله فيه من البعث والنشور، والعقاب والحساب، والمعنى كأنهم ينتظرون ذلك وإن كانوا جاحدين،

= ابن الجوزي (٣/٢٠٩) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٠) عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(١) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ وكافله، ولد سنة خمس وثمانين قبل الهجرة وتوفي سنة ثلاث قبل الهجرة. انظر الأعلام (٤/١٦٦).

(٢) إسناده ضعيف جداً لضعف موسى بن عبيدة الربذي تقدم الكلام عليه. والحديث أخرجه المصنف رحمه الله في أسباب النزول (٢٦٤) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٠) عن أبي صالح، وعزاه لابن أبي شيبه، وابن أبي حاتم. وانظر بحر العلوم للسمرقندي عند تفسيره هذه الآية وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٤٢٠) ونسبة لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الرازي في التفسير (١٤/٧٧) تنوير المقباس (٢/٩٨).

(٤) الطبري (١٢/٤٧٦) (١٤٧٥٨) وتنوير المقباس (٢/٩٨). ذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (٢/١٦٤) والقرطبي أيضاً (٧/١٣٩) وذكره الرازي أيضاً (١٤/٧٧) وعزاه للأكثرين.

(٥) قال الزجاج «هدى» في موضع نصب، انظر معاني القرآن (٢/٣٤١) الرازي (١٤/٧٨) القرطبي (٧/١٣٩) وذكره البغوي بلا نسبة (٢/١٦٤).

لأنه يأتيهم لا محالة، وقوله: ﴿يوم يأتي تأويله﴾ قال ابن عباس: يريد يوم القيامة[1] ﴿يقول الذين نسوا من قبل﴾ أي: تركوا العمل له، والإيمان به، من قبل مجيئه، ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ آمنوا وصدقوا حين لا ينفعهم ذلك ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ يطلبون شافعاً يشفع لهم ﴿أو﴾ هل ﴿نُرَد﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل على غير الذي كنا نعمل﴾ نوحد الله، ونؤمن برسله، قال الله تعالى: ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ أهلكوها بالعذاب وصاروا إلى الخزي ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ سقط عنهم ما كانوا يقولون من أن مع الله إلهاً آخر.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

قوله عز وجل ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ قال المفسرون: «أراد في مقدار ستة أيام لأن اليوم من لدن طلوع الشمس إلى غروبها فكيف يكون يوم ولا شمس ولا سماء، وهذا معنى قول مجاهد: «إن ذلك رتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة فأجتمع الخلق فيه[2]».

قال ابن الأنباري: «أراد الله أن يوقع في كل يوم أمراً من خلقه، تستعظمه الملائكة وجميع المشاهدين[3] له» وقوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك بعد خلق السماوات والأرض[4]، وهذا قول

---

(١) الطبري (١٢/٤٧٩) (١٤٧٦٧) وابن كثير (٣/٤٢١) وبنحوه في تنوير المقباس (٢/٩٩) وذكره القرطبي بلا نسبة في تفسيره (٧/١٣٩) وذكره أبو حيان في البحر ٤/٣٠٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٩٠ وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وانظر تفسير أبي السعود ٣/٢٣٢.

(٢) انظر الطبري (١٢/٤٨٢) ابن كثير (٣/٤٢٢) وانظر البغوي ٢/١٦٤ والبحر المحيط (٤/٣٠٧) القرطبي (٧/١٤٠) الخازن (٢/٢٣٦) وانظر الدر المنثور ٣/٩١ الألوسي (٨/١٣٢) تفسير أبي السعود (٣/٢٣٢).

(٣) وبنحوه عند القرطبي في التفسير (٧/١٤٠). وانظر الفخر الرازي (١٤/٨٢).

(٤) أقول وبالله التوفيق وإنما يجب أن يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم، من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، «وليس كمثله شيء وهو السميع البصير» بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت بـه الآيات الصريحة، والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ـ ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى فالاستواء على العرش صفة لله تعالى يجب الإيمان بها بلا كيف ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل وسأل رجل مالك بن أنس عن =

الفراء، وأبي العباس[1] والزجاج[2]، وقال آخرون: «استوى معناه استولى[3]، واحتجوا بقول البعيث:

ثُمَّ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أو دَمٍ مُهْرَاقِ

وخص العرش بالإخبار عن الاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات.

وقوله: ﴿يغشي الليل النهار﴾وقرىء: بالتشديد[4] والإغشاء والتغشية إلباس الشيء بالشيء، قال الزجاج: والمعنى: أن الليل يأتي على النهار ويغطيه[5] ولم يقل: ويغشي النهار الليل، لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا كما قال: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾[6] ولم يذكر البرد، للعلم به. وقوله: ﴿يطلبه حثيثاً﴾ الحثيث المعجل السريع، يقال: حثث فلاناً إذا أمرته بالعجلة[7]، قال ابن عباس: «يطلب الليل النهار، لا غفلة[8] له والمعنى أن الليل يستمر في طلب النهار على منهاج من غير فتور يوجب التأخر عن وقته» ﴿والشمس والقمر والنجوم مُسخرات بأمره﴾ أي وخلق هذه الأشياء جاريات في مجاريها بأمر الله تعالى، ومعنى تسخيرهن تذليلهن لما يراد منها [من][9] طلوع وسير وأفول[10]، على حسب إرادة المدبر فيهم، وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الاستئناف[11]، ﴿ألا له الخلق﴾ لأنه خلقهم ﴿والأمر﴾ له أن يأمر في خلقه بما يشاء ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ قال ابن عباس: «تبارك الله أي ارتفع، والمتبارك المرتفع[12]» وقال ابن الأنباري: «تبارك الله باسمه، يتبرك في كل شيء[13]».وقال أهل المعاني: «تبارك الله، استحق التعظيم فيما لم يزل، ولا يزال»[14].

= قوله: «الرحمن على العرش استوى» كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليا، وعلاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج. انظر البغوي (٢/١٦٥).

(١) إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزديّ، البصريّ النحوي، الأخباري، صاحب الكامل، وكان إماماً، فصيحا جميلا، وسيماً مفوهاً ثقة، صاحب نوادر وطرف مات المبرد في أول سنة ست وثمانين ومئتين. انظر سير أعلام النبلاء (١٣/٥٧٦ ـ ٥٧٧)، إنباه الرواة: (٣/٢٤١ ـ ٢٥٣) وفيات الأعيان: (٤/٣١٣، ٣٢٢)، بغية الوعاة (١/٢٦٩ ـ ٢٧١)

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري (١٣/١٢٤)م سوى.

(٣) وهذا قول المعتزلة وجماعة من المتكلمين، انظر البغوي ٢/١٦٥، القرطبي (٧/١٤١) وانظر البحر المحيط ٤/٣٠٨، روح المعاني ٨/١٣٥، وذكره السمرقندي في تفسير بحر العلوم عند تفسير هذه الآية. تفسير أبي السعود (٣/٢٣٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: (يغشي الليل النهار) بالتشديد، وفي الرعد أيضاً من غشّى يغشّي أي: يغشّي الله الليل والنهار. وحجتهم أن هذا فعل يتردد ويتكرر، وذلك أن كل يوم وكل ليلة غير اليوم الآخر وغير الليلة الأخرى، فالتغشية مكررة مرددة لمجيئها يوماً بعد يوم وليلة بعد ليلة، وفي التنزيل: (فغشاها ما غشى). وقرأ الباقون: بالتخفيف. وحجتهم قوله (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وقال: (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً) ولم يقل: (غشيت) انظر حجة القراءات (٢٨٤) وانظر النشر (٢/٢٦٩) إتحاف فضلاء البشر (٢/٥١) البحر المحيط (٤/٣٠٨ ـ ٣٠٩)، القرطبي (٧/١٤١) الرازي (١٤/٩٦) البغوي (٢/١٦٥).

(٥) انظر البغوي (٢/١٦٥) زاد المسير (٣/٢١٣) الرازي (١٤/٩٦).

(٦) سورة النحل (٨١).

(٧) انظر لسان العرب (٢/٧٧٣)، ترتيب القاموس (١/٥٨٨).

(٨) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/٤٨٣) تنوير المقباس (٢/١٠٠) وانظر القرطبي (٧/١٤٢) البغوي (٢/١٦٥).

(٩) سقط في ب.

(١٠) لسان العرب (١/٩٨) ترتيب القاموس، (١/١٦١) المفردات (٢٣).

(١١) انظر حجة القراءات (٢٨٤) النشر (٢/٢٦٩)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥١) البحر المحيط (٤/٣٠٩) البغوي (٢/١٦٥) القرطبي (٧/١٤٢)، أبو السعود (٣/٢٣٢).

(١٢) ذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (٢/١٦٥)، وبنحوه في المقباس (٢/١٠٠). قال الأزهري: تبارك تعالى وتعاظم وارتفع، انظر تهذيب اللغة (١٠/٢٣٠).

(١٣) انظر البغوي (٢/١٦٥)، زاد المسير (٣/٣١٤) تهذيب اللغة (١٠/٢٣٠).

(١٤) التهذيب (١٠/٢٣٠).

وقوله ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ التضرع التذلل والتخشع [١] والخفية خلاف العلانية [٢]، ويقال: خِفية [٣] بالكسر، والسنة والأدب في الدعاء أن يكون خفياً لهذه الآية، ولما روي:

أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «خير الرزق ما يكفي، وخير الذكر الخفي»، [٤] وقال الحسن: «بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً، ولقد أدركنا أقواماً ما كان [وجه][٥] الأرض من عمل، ويقدرون أن يعملوه في السر، فيكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت إن كان، إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله سبحانه يقول: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ وأن الله ذكر عبداً صالحاً، ورضي فعله، فقال: ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾» [٦]، وقوله: ﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ أي بالجهر في الدعاء، قاله الكلبي ومعنى المعتدين: [٧] المجاوزين ما أمروا به، وقوله ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ قال المفسرون: «الإفساد في الأرض: العمل فيها بالمعاصي وسفك الدماء». [٨] وقوله ﴿بعد إصلاحها﴾ بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسول ـ ﷺ ـ وبيان الشريعة، والدعاء إلى طاعة الله تعالى، وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك، والكلبي[٩] وقال عطية: «معناه لا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم». [١٠] وعلى هذا معنى قوله ﴿بعد إصلاحها﴾ [١١] بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب، ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ قال ابن عباس: «خوفاً من عقابه، وطمعاً في ثوابه»، ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ قال الزجاج: إنما قيل قريب، لأن الرحمة والغفران، [والعفو][١٢] في معنى واحد[١٣] ونحو هذا قال الأخفش. [١٤]

---

(١) وهو إظهار ذل النفس من قولهم: ضرع فلان لفلان، وتضرع له: إذا أظهر الذل له في معرض السؤال، لسان العرب (٤/٢٥٨٠)، ترتيب القاموس (٣/٢٣)، النهاية في غريب الحديث (٣/٨٥)، المفردات ص ٤٣٧.

(٢) يقال: أخفيت الشيء: إذا سترته. المفردات ص (٢١٩)، لسان العرب (٢/١٢١٨)، ترتيب القاموس ٢/٨٦.

(٣) قرأ عاصم وحده في رواية أبي بكر عنه بكسر الخاء هاهنا وفي الأنعام والباقون بالضم وهما لغتان. انظر الرازي (١٤/١٠٦)، النشر (١/٢٦٩)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/١٧٢) وأبو يعلى (٢/٨١)، وذكره الهيثمي في الموارد (٢٣٢٣)، وابن حجر في المطلب (٣٢٧١)، وفي المجمع للهيثمي (١٠/٨١).

(٥) سقط من أ، ب.

(٦) سورة مريم (٣) وذكره البغوي في التفسير (٢/١٦٦)، والخازن (٢/٢٤٠)، الرازي في التفسير (١٤/١٠٧)، وأخرجه الطبري في التفسير ١٢/٤٨٥ ـ (١٤٧٧٧)، وابن كثير في التفسير (٣/٤٢٤) وابن الجوزي في الزاد (٣/٢١٥)، والقرطبي في التفسير (٧/١٤٣) البحر المحيط (٤/٣١٠ ـ ٣١١)، روح المعاني (٨/١٣٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٢ ـ ٩٣) وزاد نسبته لابن المبارك وأبي الشيخ.

(٧) انظر البحر المحيط (٤/٣١١) الخازن (٢/٢٤١) وذكره القرطبي بلا نسبة (٧/١٤٤) الرازي في التفسير ١٤/١٠٨.

(٨) انظر البغوي (١/١٦٦) الرازي (١٤/١٠٨) زاد المسير (٣/٢١٥).

(٩) انظر البغوي ٢/١٦٦، الخازن ٢/٢٤٢، زاد المسير (٣/٢١٦)، روح المعاني (٨/١٤٠) البحر المحيط (٤/٣١٢)، القرطبي (٧/١٤٥)، الرازي (١٤/١٠٨ ـ ١٠٩).

(١٠) البغوي (٢/١٦٦)، زاد المسير (٣/٢١٥)، البحر المحيط (٤/٣١٢)، وقال: هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض، وإدخال ماهيّته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان. وقال: وما روي عن المفسرين من تعيين نوع الإفساد والإصلاح، ينبغي أن يحمل ذلك على التمثيل، إذ ادعاء تخصيص شيء من ذلك لا دليل عليه.

(١١) البغوي في التفسير (٢/١٦٦)، تنوير المقباس (٢/١٠٠)، القرطبي بلا نسبة ٧/١٤٥، ابن كثير (٣/٤٢٥)، روح المعاني (٨/١٤٠)، بحر العلوم عند هذه الآية.

(١٢) سقط من ب.

(١٣) معاني القرآن (٢/٤٤)، الرازي (١٤/١١١).

(١٤) هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة، =

[وأما][(١)] الرحمة بمعنى الإنعام، فلذلك ذكَّر، وقال سعيد بن جبير: «الرحمة ها هنا الثواب»[(٢)] وقال النضر بن شميل: الرحمة مصدر، ومن حق المصادر التذكير، [(٣)] كقوله: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ [(٤)] قوله: ﴿**وهو الذي يرسل الرياح نشراً**﴾ جمع نشور، [(٥)] مثل رسول ورسل، والنشور بمعنى المنشر، كالركوب بمعنى المركوب، يقال: أنشر الله الريح، فنشرت أي أحياها، فحييت، وخفف إبن عامر العين، فقرأ نشراً كما يقال: كتب ورسل وقرأ حمزة نشراً، [(٦)] وهو مصدر نشرت الشيء ضد طويته، والمراد بالمصدر المفعول، أرسلها الله منشورة بعد إنطوائها، وقرأ عاصم بشرا بالباء[(٧)] جمع بشور أي: [(٨)] تبشر بالمطر والرحمة من قوله: ﴿يرسل الرياح بشراً﴾ [(٩)] وقوله: ﴿**بين يدي**

= ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع، فإنه هو المعبود، لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه، ما لا يملك ضرا ولا نفعاً، وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى: ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك**﴾، وقال: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم**﴾ فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر، والنفع القاصر والمتعدي، فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم، وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنيه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً، فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع، وقل من يفطن له، وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعدا، فهي من هذا القبيل. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل**﴾ فسر (الدلوك) بالزوال وفسر بالغروب وليس بقولين، بل اللفظ يتناولهما معا، فإن الدلوك هو الميل، ودلوك الشمس ميلها، ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى، فمبتدأه الزوال ومنتهاه الغروب، واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار ومثاله أيضاً تفسير الغاسق «بالليل وتفسيره بالقمر» فإن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فإن القمر آية الليل ونظائره كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**﴾ أي دعاؤكم إياه وقيل: دعاؤه إياكم إلى عبادته، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، ومحل الأول مضافا إلى الفاعل، وهو الأرجح من القولين وعلى هذا فالمراد به نوعي الدعاء، وهو في دعاء العبادة أظهر، أي ما يعبأ بكم لولا أنكم ترجونه، وعبادته تستلزم مسألته، فالنوعان داخلان فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ فالدعاء يتضمن النوعين، وهو في دعاء العبادة أظهر، ولهذا أعقبه ﴿**إن الذين يستكبرون عن عبادتي**﴾ الآية ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا، وروى الترمذي عن النعمان بن بشير ـ قال: ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ الآية، قال الترمذي حديث حسن صحيح. انظر تفصيل ذلك عند شيخ الإسلام في تفسيره (٤/ ٢٩٥) وما بعدها صحيح.

(١) سقط من أ، ب. (٢) البغوي في التفسير (٢/ ١٦٦) والبحر المحيط (٤/ ٣١٣) وبنحو عند ابن كثير بلا نسبة (٣/ ٤٢٥).

(٣) وهذا قريب من قول الزجاج، لأن الموعظة بمعنى الوعظ، انظر الرازي (١٤/ ١١١) القرطبي (٧/ ١٤٥) البحر المحيط (٤/ ٣١٣) روح المعاني ٨/ ١٤٣.

(٤) سورة البقرة (٢٧٥).

(٥) انظر لسان العرب (٦/ ٤٤٢٤) المفردات ص/ ٧٥٠، ترتيب القاموس (٤/ ٣٧١) مجاز القرآن (١/ ٢١٧).

(٦) والكسائي بفتح النون وسكون الشين، قال الفراء: النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشىء السحاب، فكأن الفراء ذهب إلى أن النشر صنف من صنوف الرياح، ونوع من أنواعهـا، حجة القراءات ص (٢٨٥).

(٧) وإسكان الشين الحجة ص (٢٨٦).

(٨) انظر قراءات هؤلاء القراء في الحجة (٢٨٥ ـ ٢٨٦) النشر (٢/ ٢٧٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٥٢)، البحر المحيط (٤/ ٣١٦)، الرازي (١٤/ ١١٣)، الطبري (١٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) القرطبي (٧/ ١٤٦) البغـوي ٢/ ١٦٧، روح المعاني (٨/ ١٤٥) ابن كثيـر (٣/ ٤٢٥).

(٩) سورة الروم ٤٦.

رحمته﴾ قال الكلبي «قدام مطره والرياح تتقدم المطر، وتؤذن به»[١]، ﴿حتى إذا أقلت﴾ أي: حملت هذه الرياح ﴿سحاباً ثقالاً﴾ بما فيها من الماء، يقال: أقل فلان الشيء إذا حمله[٢] ﴿سقناه﴾ [سقنا السحاب][٣] ﴿لبلدٍ ميتٍ﴾ قال ابن الأنباري: إلى بلد يحتاج إلى المطر، لانقطاعها عنه[٤] ﴿فأنزلنا به﴾ بذلك البلد﴿الماء فأخرجنا به﴾ بذلك الماء ﴿من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى﴾ نحيي الموتى مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت فإحياء الأموات كإحياء الأرض بالنبات ﴿لعلكم تذكرون﴾ قال الزجاج: «لعلكم بما بيناه لكم تستدلون على توحيد الله، وأنه قادر على بعث الأموات»[٥] قوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ الآية، قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر بالأرض العذبة التربة، وبالأرض السبخة الملحة، شبه المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه، وعقله، وانتفع به، فبان أثره عليه بالبلد الطيب، إذْ كـان البلد الطيب يمرع، يخصب، ويحسن أثر المطر عليه، وشبه الكافر الذي يسمع القرآن، ولا يؤثر فيه أثراً محموداً بالبلد الخبيث إذ كان لا يمرع، ولا يخصب ولا يتبين أثر المطر فيه»[٦] «وقوله: ﴿والذي خبث﴾ قال الكلبي: هو السبخة من الأرض»[٧] ﴿لا يخرج إلا نكـداً﴾ النكد: العسر الممتنع من إعطاء الخير[٨]، والمصدر النكد، يقال: نكد نكداً فهو نكد وأنكد قال إبن الأنباري: «النكد العسر البطيء البعيد الخير وأنشد:

لَا تُنْجِـزِ الْـوَعْـدَ إنْ وَعَـدْتَ وَإن ... أَعْـطَيْتَ أَعْـطَيْتَ تَـافِهاً نَكِـدا[٩]

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى

(١) انظر البغوي (٢/١٦٧) والخازن في التفسير (٢/٢٤٢) انـظر تفسير الفخر الرازي (١٤/١١٤) وانـظر ابن كثير في التفسير ٣/٤٢٦).

(٢) قال صاحب الكشاف: واشتقاق الإقلال من القلة، لأن من يرفع شيئاً فإنه يرى ما يرفعه قليلاً وانظر لسان العرب (١/٤٩٤) ترتيب القاموس (١/٤١٢).

(٣) سقط من أ.

(٤) ذكره البغوي في التفسير بلا نسبة (٢/١٦٧)، وبنحوه عند الرازي في ـ التفسير (١٤/١١٦). وانظر تفسير بحر العلوم للسمرقندي عند هذه الآية.

(٥) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٤٦). وبنحو هذا عند الرازي (١٤/١١٧).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/٤٩٦، ٤٩٧) (١٤٧٨٦) (١٤٧٨٧)، وابن كثير (٣/٤٢٦)، البغوي في التفسير (٢/١٦٧ ـ ١٦٨) الخازن (٢/٢٤٤)، البحر المحيط ٤/٣١٨، الرازي (١٤/١١٧). بحر العلوم للسمرقندي عند هذه الآية. القرطبي (٧/١٤٧)، وذكره السيوطي في الدر (٣/٩٣) وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن المنذروذكره من وجه آخر وعزاه لأبي الشيخ عن مجاهد، ومن طريق آخر عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ، ومن طريق آخر عن السدي نسبة لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وانظر بقية الروايات في المصدر المتقدم.

(٧) البغوي في التفسير (٢/١٦٨)، والخازن (٢/٢٤٤) وابن الجوزي في الزاد (٣/٢١٩)، الطبري (١٢/٤٩٧).

(٨) على وجه البخل انظر لسان العرب (٦/٤٥٣٨)، ترتيب القاموس (٤/٤٣٦) المفردات ص (٧٧٠)، وقال الليث: النكد: الشؤم واللؤم وقلة العطاء، ورجل أنكد ونكد قال:

وأعـط مـا أعـطيتـه طـيـبـا ... لا خيـر فـي الـمـنـكـود والـنـاكـد

انظر تفسير الفخر الرازي (١٤/١١٨).

(٩) انظر البيت في مجاز القرآن (١/٢١٧) زاد المسير (٣/٢٣٠) تفسير الطبري (١٢/٤٩٥) البحر المحيط ٤/٣١٥ ، روح المعاني=

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

قوله ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ قرىء: رفعاً وخفضاً [١] فأما من خفض، فقال الفراء: «يجعل ﴿غيره﴾ نعتاً للإله، وقد يرفع، فيجعل تابعاً للتأويل في ﴿إله﴾ ألا ترى أن الإله لو نزعت منه ﴿من﴾ كان رفعاً»؟[٢] ونحو هذا قال الزجاج: سواء، قال: «الرفع على معنى: [٣] ما لكم إله غيره، ودخلت ﴿من﴾ مؤكدة، ومن خفض جعله صفة لإله، وقوله: ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ وقرأ أبو عمرو[٤]: أبلغكم مخففة من الإبلاغ، وكلاهما قد جاء في التنزيل، فالتخفيف قوله: ﴿فإن تولوا فقد أبلغتكم﴾[٥] والتشديد قوله: ﴿فما بلغت رسالته﴾[٦]، وقوله ﴿وأنصح لكم﴾[٧] قال ابن عباس: «أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه وأحب لكم ما أحب لنفسي»[٨] ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وأعلم أن ربي غفور لمن رجع عن معاصيه، وأن عذابه أليم شديد لمن أصر على معاصيه ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ قال ابن عباس: «موعظة من الله»[٩] ﴿على رجل منكم﴾ قال الفراء: «على بمعنى مع ها هنا»[١٠] وقال ابن قتيبة: «على لسان رجل منكم»[١١] وقوله ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ قال ابن عباس: «عميت قلوبُهم عن معرفةِ

= (١٤٧/٨). حاشية الشهاب ٤/١٧٧ اللسان (تفه).

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٥٢) الحجة لابن زنجلة (٢٨٦) النشر (٢/ ٢٧٠) البحر المحيط (٤/ ٣٢٠) الفخر (١٤/ ١٢٠) البغوي ٢/ ١٦٨، القرطبي (٧/ ١٤٩) روح المعاني (٨/ ١٥٠).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/ ٣٨٢)، البحر المحيط (٤/ ٣٢٠)، البيان (١/ ٣٦٦) القرطبي (٧/ ١٤٩).

(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٤٨).

(٤) وحجته قوله تعالى ﴿لقد أبلغتكم رسالات ربي﴾ فرد أبو عمرو ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، حجة القراءات (٢٨٧)، وقرأ الباقون بالتشديد، انظر المصدر السابق النشر (٢/ ٢٧٠) إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٥٣) البحر المحيط (٣/ ٣٢١) البغوي (٢/ ١٦٨) القرطبي (٧/ ١٤٩). روح المعاني (٨/ ١٥٢) وانظر كلام الواحدي في الرازي (١٤/ ١٢٣).

(٥) سورة هود (٥٧).

(٦) سورة المائدة (٦٧).

(٧) قال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نصحتك إنما تقول: نصحت لك ويجوز أيضاً نصحتك. قال النابغة:

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي ولم تنجح لديهم رسائلي

وحقيقة النصح الإرسال إلى المصلحة، مع خلوص النية من شوائب المكروه، والمعنى: أني أبلغ إليكم تكاليف الله، ثم أرشدكم إلى الصواب الأصلح. انظر الرازي (١٤/ ١٢٣)، البحر المحيط (٣/ ٣٢١).

(٨) ذكره الفخر الرازي بلا نسبة في التفسير (١٤/ ٣٢١) والبغوي أيضاً (٢/ ١٦٩)، والخازن (٢/ ٢٤٦).

(٩) البغوي في التفسير (٢/ ١٦٩)، الخازن (٢/ ٢٤٦) والقرطبي بلا نسبة، وانظر البحر المحيط (٤/ ٣٢٢)، وانظر أبو السعود (٣/ ٢٣٦).

(١٠) كما تقول: جاء بالخبر على وجهه ومع وجهه كلاهما جائز، معاني القرآن (١/ ٣٨٣) الرازي (١٤/ ١٢٤) وانظر القرطبي (٧/ ١٥٠) وانظر البحر المحيط (٤/ ٣٢٢) الألوسي (٨/ ١٥٣).

(١١) غريب القرآن (١٦٩) الرازي (١٤/ ١٢٤) البحر المحيط (٤/ ٣٢٢) القرطبي (٧/ ١٥٠)، أبو السعود (٣/ ٢٣٦)، الألوسي (٨/ ١٥٣).

الله وقدرته وشدة بطشه»(١) وقال الزجاج: «عموا عن الحق والإيمان، يقال: رجل عم إذا كان أعمى القلب، ورجل أعمى في البصر (٢)، قال زهير:

.... وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ (٣)

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وقوله: **﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾** أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً، يعني ابن أبيهم (٤)، قال الكلبي: «ليس بأخيهم في الدين، ولكن في النسب» (٥). **﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾** قال ابن عباس: «وحدوا الله» (٦) **﴿ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾** أفلا تخافون نقمته؟ **﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهةٍ﴾** في حمق وجهل، قال

---

(١) الرازي في التفسير (١٤/١٢٥) البغوي (٢/١٦٩)، الخازن (٢/٢٤٦)، القرطبي (٧/١٥٠)، روح المعاني (٨/١٥٤)، أبو السعود (٣/٢٣٧).

(٢) معاني القرآن (٢/٣٤٧) البغوي (٢/١٦٩)، الرازي (١٤/١٢٥).

(٣) عجز بيت وصدره:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ والأمسِ قَبْلَهُ ....

وهو لزهير ص (١١٠) انظر شرح القصائد العشر للتبريزي ص (١٥٣) التهذيب ٣/ ٢٤٥ (عمى) تفسير الرازي ١٤/ ١٥٣، معاهد التنصيص ١/ ٣٢٥ اللسان (عمى) شرح القصائد التسع لابن النحاس (١/ ٣٥٥) المعلقات العشر للشقيطي (٧٩) ومعنى البيت: أي أعلم ما مضى في أمس، وما أنا فيه اليوم، لأنه شيء قد رأيته، فأما ما في غد فلا علم لي به، لأني لم أره.

(٤) وهذا منقول عن ابن عباس، انظر القرطبي (٧/١٥٠).

(٥) البغوي (٢/١٦٩) الخازن (٢/٢٤٦)، الرازي (١٤/١٢٦)، بحر العلوم للسمرقندي انظر آية (٦٥) أبو السعود (٣/٢٣٧)، روح المعاني (٨/١٥٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٥)، وعزاه لابن المنذر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

(٦) تنوير المقباس (٢/١٠٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٥ ـ ٩٦) وعزاه لإسحاق بن بشر وابن عساكر من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس، ومن طريق ابن إسحاق عن رجال سماهم، ومن طريق الكلبي جميعاً. السمرقندي المصدر السابق أبو السعود (٣/٢٣٧) روح المعاني (٨/١٥٥).

ابن عباس: «تدعونا إلى دين لا نعرفه»[(١)] ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ فيما جئت به وقال مقاتل: «فيما تقول من نزول العذاب»[(٢)] وقوله ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ [قال «الضحاك»:][(٣)] «أمين على الرسالة»[(٤)]، وقال الكلبي: «كنت فيكم قبل اليوم أميناً»[(٥)] وقوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوحٍ﴾ يذكرهم النعمة عليهم، يقول: اذكروا أن الله أهلك قوم نوح، واستخلفكم بعدهم ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ فضيلة في الطول، قال ابن عباس: «يريد أنكم أجسم وأتم من آبائكم الذين ولدوكم»، [وكان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً[(٦)]][(٧)]، ﴿فاذكروا ءالاء الله﴾[(٨)] نعم الله عليكم، واحدها إلى وأليٌ[(٩)] ﴿لعلكم تفلحون﴾ قال ابن عباس: «كي تسعدوا وتبقوا في الجنة» وقوله: ﴿فائتنا بما تعدنا﴾ من نزول العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أن العذاب نازل إلينا، وقال عطاء: «إن كنت من الصادقين في نبوتك وإرسالك إلينا»[(١٠)] قوله: ﴿قال قد وقع عليكم﴾ أي وجب، ونزل، ومثله: ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾[(١١)] أي أصابهم ونزل بهم وقوله: ﴿من ربكم رجس وغضب﴾ قال ابن عباس: «عذاب وسخط»[(١٢)] ﴿أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم﴾ قال المفسرون: «كانت لهم أصنام[(١٣)] يعبدونها، سموها أسماء مختلفة، فلما دعاهم الرسول إلى التوحيد استكبروا»[(١٤)] وقوله: ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ أي: من حجة وبرهان لكم في عبادتها ﴿فانتظروا﴾ العذاب ﴿ إني معكم من المنتظرين﴾ للذي يأتيكم من العذاب[(١٥)]، في تكذيبكم إيَّاي وما بعد هذه الآية ظاهر إلى قوله:

---

(١) البغوي في التفسير (٢/١٦٩) الخازن (٢/٢٤٧).

(٢) البغوي (٢/٢٦٩) الخازن، (٢/٢٤٧)، السمرقندي في تفسير الآية.

(٣) سقط في أ.

(٤) البغوي (٢/١٧٠)، الخازن (٢/٢٤٧) وانظر البحر المحيط (٤/٣٢٤).

(٥) البغوي (٢/١٧٠)، الخازن (٢/٢٤٧)، بحر العلوم للسمرقندي الآية (٦٨).

(٦) البغوي في التفسير (٢/١٧٠) الخازن (٢/٢٤٨)، الرازي (١٤/١٢٨) بحر العلوم الآية (٦٩)، القرطبي (٧/١٥١) البحر المحيط لأبي حيان (٤/٣٢٥)، أبو السعود (٣/٢٣٩)، روح المعاني (٨/١٥٦).

(٧) سقط في ب، ج.

(٨) قال الأعشى:

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحماً ولا يخون إلى

قال الواحدي نظير الالآء الأناء،واحدها:أنا وإنى وإنْي،وزاد صاحب الكشاف في الأمثلة فقال: ضلع وأضلاع، وعنب وأعناب. انظر الرازي (١٤/١٢٨).

(٩) بنحوه في تنوير المقباس (٢/١٠٤) وانظر تفسير السمرقندي (٦٩).

(١٠) أبو حيان في البحر (٤/٣٢٥) بحر العلوم الآية (٧٠)، روح المعاني (٨/١٥٧) وانظر الخازن (٢/٢٤٨).

(١١) الأعراف (١٣٤).

(١٢) أبو حيان في البحر (٤/٣٢٥)، ذكره ابن كثير في التفسير (٣/٤٣١)، البغوي (٢/٧٠)، الخازن (٢/٢٤٨)،روح المعاني (٨/١٥٩)، وبحر العلوم آية (٧١). القرطبي (٧/١٥١)، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٦)، وعزاه لأبن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(١٣) وهي صمود، وصداء، والهباء، والعزة، واللات.

(١٤) البغوي في التفسير (٢/١٧٠) الخازن (٢٤٨٢)، الطبري (١٢/٥٢٣، ١٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨) البحر المحيط ٣٢٦/٤، القرطبي (٤/١٥١)، روح المعاني (٨/١٥٩)، الرازي (١٤/١٣٠)، الأصنام لابن الكلبي،التكملة (١١٠ ـ ١١١)، ابن كثير (٣/٤٣١)، بحر العلوم للسمرقندي آية (٧١).

(١٥) في أ، ج العقوبة.

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾

﴿**هذه ناقة الله لكم آية**﴾ أي دالة على قدرة الله ورسالته، ولهذا جاز أن يكون آية حالاً لأنها بمعنى دالة، فكانت تلك الناقة آية من سائر النوق، لأنها خرجت من حجر صلد تمخض واضطرب، كاضطراب المرأة عند الولادة، وقوله: ﴿**فذروها تأكل في أرض الله**﴾ أي سهل الله عليكم أمرها، فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها[(١)] ولا تمسوها بسوء ولا تصيبوها بعقر فيأخذكم عذاب أليم وعيد لهم. ﴿**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عادٍ**﴾ أي أهلكهم واستخلفكم بعدهم ﴿**وبوأكم في الأرض**﴾ أعطاكم فيها منازل ومساكن، وهو قوله: ﴿**تتخذون من سهولها قصوراً**﴾ قال ابن عباس: «تبنون القصور بكل موضع»[(٢)] ﴿**وتنحتون الجبال بيوتاً**﴾ كانوا يشققون بيوتاً [في الجبال][(٣)] يسكنونها شتاء ويسكنون القصور بالصيف، ويروى: أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتاً في الجبال، لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل (فناء) أعمارهم[(٤)] قوله: ﴿**قال الملأ**﴾[(٥)] قال الفراء: «الملأ القوم من الرجال ليس فيهم امرأة»[(٦)] وقال ابن عباس: «يريد الأشراف الذين استكبروا أي عن عبادة الله»[(٧)] ﴿**للذين استضعفوا**﴾ يريد المساكين ﴿**لمن ءامن منهم**﴾ بدل من قوله ﴿**للذين استضعفوا**﴾ لأنهم المؤمنون ﴿**أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه**﴾ استفهام

---

(١) المؤنة النفقة. لسان العرب (٦/٤٣٠٢)، ترتيب القاموس (٤/٢٩٩).

(٢) تنوير المقباس (٢/١٠٦)، القرطبي (٧/١٥٢)، البحر المحيط (٤/٣٢٩)، الرازي في التفسير (١٤/١٣٣)، روح المعاني (٨/١٦٣).

(٣) سقط في أ.

(٤) القرطبي (٧/١٥٢) البحر المحيط (٤/٣٢٩) البغوي (٢/١٧٤)، روح المعاني (٨/١٦٤).

(٥) قرأ ابن عامر في قصة صالح (وقال الملأ الذين استكبروا من قومه) بزيادة واو وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الباقون بغير الواو فمن قرأ بالواو عطفه على ما قبله، ومن قرأ بغير الواو ابتدأ بغير عطف. حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٧)، النشر (٢/٢٧٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٤)، البحر الحيط (٤/٣٢٩).

(٦) معاني القرآن للفراء (١/٣٨٣).

(٧) البغوي (٢/١٧٤)، روح المعاني (٨/١٦٤)، تنوير المقباس (٢/١٠٦).

إنكار ﴿قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ أقروا بالإيمان بصالح وبما أرسل به، فقال المستكبرون: ﴿إنا بالذي ءامنتم به كافرون فعقروا الناقة﴾ قال الأزهري: «العقر عند العرب قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً، لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره[١]» وقوله: ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ يقال: عتا يعتو عتواً إذا استكبر،[٢] ومنه يقال: جبار عاتٍ، قال مجاهد: «العتو الغلو في الباطل»[٣] والمعنى: عصوا الله، وتركوا أمره في الناقة، وكذبوا نبيهم، وقالوا: ﴿يا صالحُ ائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة﴾ قال الفراء: والزجاج: «هي الزلزلة الشديدة»[٤] وهو قول الكلبي[٥] يقال[٦]: رجف الشيء يرجف رجفاً ورجفانا[٧] إذا تحرك﴿فأصبحوا في دارهم﴾ يعني بلدهم ﴿جاثمين﴾ قال ابن عباس: «خامدين ميتين لا يتحركون»[٨]، وقال ابن الأنباري: قال المفسرون معنى جاثمين، بعضهم على بعض، أي عند نزول العذاب [بهم][٩]، سقط بعضهم على بعض كما يجثم الطير[١٠].

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان: أنا محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه أخبرني محمد بن علي الصنعاني أنا: اسحاق بن إبراهيم بن عباد أنا: عبد الرزاق، أنا معمر، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم[١١]، عن أبي الزبير عن جابر قال: لما مر النبي ﷺ بالحجر[١٢]، قال: لا تسألوا الآيات قد سألها قوم صالح، فكانت الناقة ترد من هذا الفج، وتصدر

---

(١) تهذيب اللغة (٢١٥/١)، لسان العرب (٣٠٣٣/٤)، ترتيب القاموس (٧٢٢/٣). وانظر قول الأزهري في تفسير البغوي (١٧٤/٢)، والرازي (١٣٤/١٤)، روح المعاني (١٦٥/٨).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٢٨/١)، لسان العرب (٢٨٠٤/٤).

(٣) ذكره الرازي في التفسير (١٣٤/١٤ ـ ١٣٥) ـ البغوي (١٧٤/٢) الخازن (٢٥٣/٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٩٩/٣)، وعزاه لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن للفراء (٣٨٤/١)، والزجاج (٣٥١/٢)، وانظر قولهما في تفسير الرازي (١٣٥/١٤)، روح المعاني (١٦٥/٨)، البحر المحيط (٣٣١/٤)، وبنحوه عند البغوي (١٧٥/٢)، والقرطبي (١٥٤/٧)، انظر أبو السعود (٢٤٤/٣)، تنوير المقباس (١٠٨/٢).

(٥) تنوير المقباس (١٠٨/٢)، وانظر المصادر السابقة.

(٦) والقائل الليث كما في التفسير الكبير للفخر الرازي (١٣٥/١٤).

(٧) كرجفان البعير تحت الرحل، وكما يرجف الشجر إذا رجفته الريح، وأصله حركة مع صوت، ومنه قول الله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ (النازعات: ٦) وقال الشاعر:

ولـمـا رأيـت الـحـج قـد آنَ وقتُهُ وظللت مـطايا القـوم بـالقـوم تَـرْجُفُ

الرازي (١٣٥/١٤) وانظر القرطبي (١٥٤/٧).

(٨) البغوي ١٧٥/٢، تنوير المقباس (١٠٨/٢) القرطبي (١٥٤/٧) ابو السعود ٢٤٤/٣، البحر المحيط (٣٣١/٤) روح المعاني (١٦٥/٨)، وأخرج عبد بن حميد عن قتادة «فأصبحوا في دارهم جاثمين» قال: ميتين، ذكره السيوطي في الدر (٩٩/٣) وذكر مثله عن ابن زيد، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٩) سقط في أ.

(١٠) البغوي ١٧٥/٢، مجاز القرآن (٢١٨/١)، معاني القرآن للزجاج (٣٥١/٢)، بحر العلوم للسمرقندي آية (٧٨)، زاد المسير (٢٢٦/٣)، الرازي (١٣٥/١٤)، قال أبو عبيدة: الجثوم للناس والطير، بمنزلة البروك للإبل فجثوم الطير: هو وقوعه لاطئاً بالأرض في حال سكونه بالليل.

(١١) عبد الله بن عثمان بن خثيم، القارىء المكي، أبو عثمان، صدوق، مات سنة اثنتين وثلاثين. انظر تقريب التهذيب ٤٣٢/١، الكاشف ١٠٨/٢.

(١٢) الحِجْر بكسر ثم السكون، اسم ديار ثمود، بوادي القرى: وهي موضع بين المدينة والشام كانت مساكن ثمود، وهي بيوت منحوتة في الجبال مثل المقابر. معجم البلدان (٢٥٥/٢) مراصد الاطلاع (٣٨١/١).

من هذا الفج،، فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها، فأخذتهم الصيحة، فأهمد الله تعالى من تحت السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله، قيلَ من هو ؟ قال: أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[1]، قوله **﴿فتولى عنهم﴾** لما نزل بهم العذاب، تولى صالح عنهم، **﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾** قال ابن عباس: «خوفتكم من الله ومن عقابه»[2] **﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾** لا تجيبونهم إلى ما يدعونكم إليه، وخطابه إياهم بعد كونهم جاثمين كخطاب النبي ﷺ قتلى بدر، فقيل له: أتكلم هؤلاء الجيف، فقال «ما أنتم بأسمع منهم، لكنهم لا يقدرون على الجواب»[3].

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

«قوله تعالى: **﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾** يعني إتيان الذكران في قول جميع المفسرين[4] **﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾** قالوا : «ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط»[5] **﴿إنكم لتأتون الرجال﴾**[6]

---

(١) أحمد في المسند (٢٩٦/٣)، وابن حبان ص ٢٦ أورده الهيثمي في الموارد ٢١١٢، والحاكم (٣٤٠/٢)، وأخرجه ابن جرير نحوه في تفسير عن المثنى عن إسحاق، عن عبد الرزاق بإسناده (٥٣٨/١٢) (١٤٨١٨). وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤٣٦/٣) وهذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة، وهو على شرط مسلم، وذكره الحافظ في البداية (١١/٥)، (١٣٧/١)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٧/٦)، وعزاه ـ للبزار والطبراني في الأوسط، وأحمد بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) تنوير المقباس (١٠٨/٢)، بحر العلوم ٧٩، أبو السعود (٢٤٤/٣)، روح المعاني (١٦٦/٨).

(٣) البخاري (٢٧٤/٣) في كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٠، ٣٩٨٠، ٤٠٢٦) مسلم (٢٢٠٣/٤) في كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت عليه (٢٨٧٤/٧٧)، وانظر تفسير ابن كثير (٤١١٢/٣ ـ ٤١٣، ٤٤٠)، السيرة لابن هشام (٦٣٨/١، ٦٣٩)، وانظر تفسير البغوي (١٧٥/٢)، البحر المحيط (٢٣٢/٤)، الرازي (١٣٦/١٤)، روح المعاني ١٦٦/٨، تفسير أبي السعود (٢٤٤/٣)، القرطبي (١٥٥/٧).

(٤) البغوي (١٧٩/٢)، البحر المحيط (٣٣٣/٤). القرطبي (١٥٥/٧) بحر العلوم آية (٨٠)، أبو السعود (٢٤٤/٣)، الألوسي (١٦٩/٨).

(٥) أخرجه الطبري (٥٤٨/١٢) (١٤٨٣٥) وفيه (ما رؤى) وابن كثير في التفسير ٤٤١/٣، معاني القرآن للزجاج ٣٥٢/٢، والبغوي في التفسير (١٧٩/٢)، والبحر المحيط برواية الطبري ٣٣٣/٤، وابو السعود في التفسير (٢٤٥/٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٠٠/٣)، وزاد نسبته لابن أبي شيبه، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبيهقي، وابن عساكر.

(٦) قرأ نافع وحفص «إنكم لتأتون الرجال» بكسر الألف على الخبر وقرأ أبو عمرو «ءاينكم» بهمز ثم بمد بعد الهمز، أصل الكلمة إنكم ثم دخلت همزة الاستفهام وصار أئنكم، فاستثقل الجمع بين الهمزتين، فأدخل بينهما ألفا ليبعد المثل عن المثل ويزول الأجتماع، فيخفف اللفظ فصار: ائنكم، ثم لين الثانية فصار: ءائنكم. وحجته أن العرب تستثقل الهمزة الواحدة، فتخففها في أخف أحوالها وهي ساكنة نحو ـ كأس وبأس ـ وتقلبها ألفا، فإذا كانت تخففها وهي وحدها، فأن تخففها ومعها مثلها أولى وقرأ ابن كثير: (أينّكم) بهمزة واحدة غير مطولة، وهو أن تحقق الأولى وتخفف الثانية، والثانية إذا خففت جعلت بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة، وهو هنا همزة مكسورة، والأصل: إنكم ثم دخلت همزة الاستفهام فصار أئنكم، ثم لين الثانية فصار: أينّكم قرأ ابن عامر =

يعني الفاحشة، وهذا استفهام إنكار[١] ﴿شهوة من دون النساء﴾ يقال: شها يشها شهوة إذا اشتهى[٢]، والمعنى تشتهونهم، فتأتونهم وتتركون النساء ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ مجاوزون ما أمرتم به ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم﴾ يعني لوطاً وأتباعه من المؤمنين ﴿من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: «يتنزهون عن أدبار الرجال»[٣] وهذا إخبار عن ربهم على نبيهم بأقبح جواب حين جعلوا تنزههم عن الفاحشة سبباً لإخراجهم إياه من القرية، وهذا معنى قول قتادة عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم [٤] ﴿فأنجيناه وأهله﴾ - يعني - ابنتيه ﴿إلا امرأته﴾ يعني زوجته ﴿كانت من الغابرين﴾ الباقين في عذاب الله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ امطر الله عليهم حجارة من السماء، كما قال في آية أخرى: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾[٥].

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ

= في رواية هشام: ءائنكم بهمزتين بينهما مدة وهو أن تزاد الألف بين الهمزتين، ليبعد المثل عن المثل، فيخف اللفظ بالهمزتين مع الحائل بينهما وهو المدة وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: أئنكم بهمزتين. وحجتهم أن الهمزة حرف من حروف المعجم، كغيره من سائر الحروف، جاز الجمع بينهما من غير تغيير كقوله: «أتمدونن بمال» «ولعلكم تتفكرون» فجعلوا الهمزتين كغيرهما من سائر الحروف، فافهم ذلك وقس وابن على هذا جميع ما يأتي في القرآن من هذا النوع، من اختلاف القراء حجة القراءات (٢٨٧ - ٢٨٨)، وانظر النشر (٢/ ٢٧٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٥٤).

(١) انظر كلام الواحدي في الرازي (١٤/ ١٣٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (١٢/ ٥٥٠) (١٤٨٣٦، ١٤٨٣٩)، وابن كثير في التفسير (٣/ ٤٤٢)، والبغوي (٢/ ١٨٠)، وأبو حيان في البحر (٤/ ٣٣٥)، وانظر القرطبي (٧/ ١٥٧)، وتنوير المقباس (٢/ ١٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٠) وزاد نسبته لعبد الرزاق وابن المنذر، وروي عن مجاهد وقال وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبه وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ وذكره. . . .

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٠) (١٤٨٤١)، وابن كثير في التفسير (٣/ ٤٤٢)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٢٧). وذكره القرطبي (٧/ ١٥٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٠)، وزاد. نسبته لعبد بن حميد، وأبي الشيخ.

(٥) سورة الحجر ٧٤.

وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

قوله ﴿**وإلى مدين**﴾ وهم قبيلة من ولد إبراهيم، بعث الله إليهم شعيبا وهو قوله ﴿**أخاهم شعيباً**﴾ وهو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم الخليل [1] وقوله ﴿**قد جاءتكم بينة من ربكم**﴾ قال عطاء: «موعظة»[2] ﴿**فأوفوا الكيل والميزان**﴾ قال المفسرون: إن قوم شعيب كانوا أهل كفر بالله، وبخس للمكيال والميزان، فأمرهم شعيب بتوحيد الله، وإتمام الكيل والوزن[3]، ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾ يعني. من المكيل والموزون ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾ لا تعملوا فيها بالمعاصي، بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل وإرسال الرسل ﴿**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون**﴾ قال الكلبي والسدي وقتادة: «لا تقعدوا على طريق الناس، تخوفون أهل الإيمان بشعيب»[4] ﴿**وتصدون عن سبيل الله من ءامن به**﴾ قال الوالبي: عن ابن عباس: «كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون من يأتي عليهم أن شعيباً كذاب فلا يفتننكم عن دينكم»[5] ﴿**وتبغونها عوجا**﴾ قال مجاهد: «تلتمسون لها الزيغ»[6] وقال الحسن: «لا تستقيمون على طريق الهدى[7]» وقال الزجاج: «يريد الاعوجاج والعدول عن القصد» وقوله[8]: ﴿**واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم**﴾ قال الكلبي: «كثر عددكم، وذلك أنه كان مدين بن إبراهيم وزوجه بنت لوط فولدت، حتى كثر عدد أولادها»[9] ﴿**وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ يعني آخر أمر قوم

---

(١) وهذا قول عطاء، وفي اسمه خلاف، وشعيب عليه السلام رسول لأهل مدين، وهو من أنفسهم اسمه في العربية شعيب ـ عليه السلام ـ واسمه في التوراة (يَثْرُون) ويسمى أيضاً (رَعْوئيلُ) وهو ابن (نويلي) بن (انويب) بن (رعويل) بن عيفا بن مدين، وقد خلط في نسب شعيب جمع عظيم من المفسرين والمؤرخين فتجنبه. . .

(٢) البحر المحيط (٤/ ٣٣٦)، بنحو هذا ذكره ابن كثير (٣/ ٤٤٣)، وأنكر الزجاج هذا القول وقال: لا تقبل نبوة بغير معجزة.

(٣) انظر البغوي (٢/ ١٨٠) الخازن (٢/ ٢٦١)، ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٢٨)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٣)، الرازي (١٤/ ١٤٢)، أبو السعود (٣/ ٢٤٧)، روح المعاني (٨/ ١٧٧)، البحر المحيط (٤/ ٣٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ١٠٢)، وعزاه لإسحاق بن بشر وابن عساكر.

(٤) الطبري (١٢/ ٥٥٦، ٥٥٧ ـ ١٤٨٤٦ ـ ١٤٨٥٠)، البغوي (٢/ ١٨١)، زاد المسير (٣/ ٢٢٦)، الخازن (٢/ ٢٦٢) بحر العلوم آية (٨٦) أبو حيان في البحر (٤/ ٣٣٨)، القرطبي (٧/ ١٥٩) روح المعاني (٤/ ١٧٨)، أبو السعود (٣/ ٢٤٧)، الرازي (١٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وابن كثير (٣/ ٤٤٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٢) وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٥) انظر المصادر السابقة، وذكره أيضا السيوطي المصادر السابقة، ونسبه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) بحر العلوم للسمرقندي آية (٨٦)، البغوي (٢/ ١٨١) والخازن (٢/ ٢٦٢) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٢) وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٧) بنحوه عند ابن كثير في التفسير (٣/ ٤٤٤).

(٨) معاني القرآن (٢/ ٣٥٤) وانظر المعالم للبغوي (٢/ ١٨١).

(٩) ذكره أبو حيان في البحر (٤/ ٣٤٠)، والرازي (١٤/ ١٤٣) روح المعاني (٤/ ١٧٩).

لوط ﴿وإن كان طائفة منكم ءامنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا﴾ أي إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فريقين، مكذبين ومصدقين ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾ أي بتعذيب المكذبين وانجاء المصدقين. ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لأنه الحكم العدل الذي لا يجور فكان من جواب قومه أن ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ عن عبادة الله وتوحيده ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين ءامنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ ولا نقاركم[1] على مخالفتنا فقال شعيب: ﴿أو لو كنا كارهين﴾ يعني أو تجبروننا على ملتكم وإن كرهنا ذلك ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾ وذلك أنهم كانوا يدعون أن الله أمرهم بما كانوا عليه من الكفر، فقال شعيب: ﴿بعد إذ نجانا الله منها﴾ أي من ملتكم إن عدنا فيها كنا مفترين على الله ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ربنا﴾ أي ما كنا لنرجع في ملتكم بعد إذ وقفنا على أنها ضلالة إلا أن يريد الله إهلاكنا، فإن الله يسعد من يشاء بالطاعة، ويشقي من يشاء بالمعصية، قال الزجاج[2]: «المعنى وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها» وتصديق ذلك قوله: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ قال ابن عباس: «يعلم ما يكون قبل أن يكون»[3] ﴿على الله توكلنا﴾ في كل أمورنا ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ قال ابن عباس، والحسن، وقتادة والسدي: «احكم واقض»[4] وقال الفراء: «وأهل عمان يسمون القاضي الفاتح[5] لأنه يفتح مواضع الحق»[6] وقال الزجاج: «المعنى أظهر أمرنا، حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل بهم من العذاب والهلكة ما يظهر أن الحق معنا»[7] وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كأن لم يقيموا في دارهم ولم يكونوا هناك بعد الإهلاك، يقال غني القوم في مكانهم إذا اقاموا به والمغنى المنزل وقوله: ﴿فكيف آسى على قوم كافرين﴾ أي كيف يشتد حزني عليهم إذا أهلكهم الله؟ يقال: آسيت على الشيء آسى أسًى إذا اشتد[8] حزنك عليه، وهذا استفهام معناه الإنكار أي لا آسى عليهم.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾

(١) في ج ولا نفارقكم.

(٢) معاني القرآن (٢/٣٥٥) البغوي (٢/١٨١)، وانظر الرازي (١٤/١٤٥) القرطبي (٧/١٦٠).

(٣) القرطبي (٧/١٦٠)، وبنحوه البغوي (٢/١٨٢)، الرازي (١٤/١٤٦)، أبو السعود (٣/٢٥١)، تنوير المقباس (٢/١١١)، بحر العلوم آية (٨٩).

(٤) الرازي (١٤/١٤٧)، البغوي (٢/١٨٢). بحر العلوم المصدر السابق، تنوير المقباس (٢/١١١)، ابن كثير ٣/٤٤٤، البحر المحيط (٤/٣٤٤)، وذكره السيوطي في الدر بنحوه ٣/١٠٣، وعزاه لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في الوقف والابتداء، والبيهقي في الأسماء والصفات، وعزاه من طريق السدي لابن أبي حاتم.

(٥) وهي لغة حمير وقيل مراد، انظر البحر المحيط (٤/٣٤٤) روح المعاني (٩/٥).

(٦) معاني القرآن للفراء (١/٣٨٥)، وانظر قول الفراء في تفسير الرازي (١٤/١٤٧) والبحر المحيط (٤/٣٤٥).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٥٧) وانظره في البحر المحيط (٤/٣٤٥)، والرازي (١٤/١٤٧).

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٢٢) لسان العرب (١/٨٣).

وقوله: ﴿وما أرسلنا في قرية﴾ قال ابن عباس «يريد في مدينة»[١]، والقرى في كتاب الله كله المدائن وقوله: ﴿من نبي﴾ هو محذوف الصفة لأن التقدير من نبي فكذب أو فكذبه أهلها ﴿إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء﴾ يعني الفقر والجوع والأسقام ﴿لعلهم يضرعون﴾ أي يتذللون ويستكينون ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾ يعني بالسيئة البؤس والمرض، وبالحسنة الغنى والصحة، والمعنى: أنه يعطيهم بدل ما كانوا فيه من البؤس والمرض المال والصحة، أخبر الله أنه يأخذ أهل المعاصي بالشدة تارة وبالرخاء تارة وقوله ﴿حتى عفوا﴾ أي كثروا وزادوا وكثرت أموالهم، يقال: عفا الشعر والوبر إذا كثر[٢] وقال مجاهد: كثرت أموالهم وأولادهم: [٣] ﴿وقالوا قد مس ءاباءنا الضراء والسراء﴾ ـ يعني ـ لما صاروا على الرخاء قالوا قد مس آباءنا من الدهر الشدة والرخاء، وتلك عادة الدهر ولم يكن ما مسنا عقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم لم يقلعوا عن دينهم بما مسهم من الضراء، وقوله: ﴿فأخذناهم بغتة﴾ أي لما فسدوا على الأمرين جميعاً أخذناهم بغتة، آمن ما كانوا ليكون أعظم في الحسرة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بنزول العذاب وإنما أخبر الله تعالى بهذا عن الأمم السالفة، فليعتبر أولئك المشركون الذين كانوا يكذبون محمداً ﷺ، قوله: ﴿ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا﴾ قال ابن عباس: «وحدوا الله واتقوا الشرك»[٤] ﴿لفتحنا [٥] عليهم بركات من السماء والأرض﴾ قال: «يريد الأمطار والخصب، وكثرة المواشي والأنعام»[٦] ﴿ولكن كذبوا﴾ الرسل ﴿فأخذناهم﴾ بالجدوبة والقحط ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعصية. ثم خوف كفار مكة فقال:

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠﴾

﴿أفأمن أهل القرى﴾ قال ابن عباس: «يعني مكة وما حولها»[٧] ﴿أن يأتيهم بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلا ﴿وهم نائمون أو أمن﴾ هذه واو العطف دخلت عليه همزة استفهام، وقرأ نافع أو بسكون الواو فيكون المعنى أفأمنوا إحدى هذه العقوبات، [٨] والضحى صدر النهار [٩] وقت انبساط الشمس،

---

(١) انظر القرطبي (١٦١/٧)، ونحو هذا انظر الرازي (١٤/ ١٥٠).

(٢) تفسير الرازي (١٤/ ١٥٠)، القرطبي (١٦١/٧)، البحر المحيط (٣٤٧/٤)، أبو السعود (٢٥٣/٣)، روح المعاني (٩/٩).

(٣) البغوي في التفسير (١٨٣/٢) البحر المحيط ٣٤٧/٤، وحكاه القرطبي عن ابن زيد (١٦١/٧). ذكره السيوطي في الدر (١٠٣/٣)، وعزاه لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر تفسير ابن كثير (٤٤٦/٣).

(٤) بحر العلوم للسمرقندي آية ٩٦، ونحو هذا القرطبي (١٦١/٧) وانظر تنوير المقباس (١١٤/٢).

(٥) قرأ ابن عامر (لَفَتَّحْنا) بالتشديد أي مرة بعد مرة وحجته قوله: (بركات من السماء) ولم يقل: بركة، وقرأ الباقون بالتخفيف، أرادوا الواحد، حجة القراءات لأبن زنجلة ص (٢٨٨)، إتحاف فضلاء البشر (٥٥/٢)، البحر المحيط (٣٤٨/٤) روح المعاني (١١/٩) أبو السعود (٢٥٣/٣).

(٦) انظر تفسير البغوي (١٨٣/٢) بحر العلوم المصدر السابق، تنوير المقباس (١١٤/٢)، الرازي (١٥١/١٤) تفسير أبي السعود (٢٣٥/٣) البحر المحيط (٣٤٨/٤) وانظر القرطبي (١٦١/٧)، ابن كثير (٤٤٧/٣)، روح المعاني (١٠/٩).

(٧) البغوي (١٨٣/٢)، تنوير المقباس (١١٤/٢) القرطبي (١٦٢/٧)، أبو السعود (٢٥٣/٣)، روح المعاني (١١/٩، ١٢).

(٨) وابن كثير وابن عامر. وجعلوه نسقا في الاستفهام، كما تقول: أقمت أو. قعدت؟ وقرأ الباقون (أَوَ أمن) بفتح الواو جعلوا واو عطف دخلت عليها ألف الاستفهام. حجة القراءات (٢٨٩). النشر (٢٧٠/٢)، إتحاف فضلاء البشر ٥٥/٢، البحر المحيط (٣٤٩/٤)، القرطبي (١٦٢/٧)، الرازي (١٥١/١٤) البغوي (١٨٤/٢). روح المعاني (١٢/٩).

(٩) انظر لسان العرب (٢٥٥٩/٤)، ترتيب القاموس (١٤/٣)، المفردات ص (٤٣٤).

قال الحسن:[١] المعنى إنهم لا يجوز لهم أن يؤمنوا ليلاً ولا نهاراً بعد تكذيب الرسل، وقوله: ﴿**وهم يلعبون**﴾ أي وهم في غير ما ينفعهم ويعود عليهم بنفع، ومن اشتغل بدنياه وأعرض عن آخرته فهو كاللاعب وقوله: ﴿**أفأمنوا مكر الله**﴾ قال المفسرون: مكر الله استدراجه إياهم بالنعمة والصحة ليبطروا ويتمادوا في المعصية والغي فيكون ذلك في الحقيقة اضراراً بهم من حيث لا يشعرون ﴿**أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها**﴾ يعني كفار مكة ومن حولهم، يقول: أو لم نبين لهم أنا ﴿**لو نشاء أصبناهم بذنوبهم**﴾ أي أخذناهم وعاقبناهم كما عاقبنا من قبلهم، وقوله: ﴿**ونطبع على قلوبهم**﴾ قال: الزجاج[٢]: هذا مستأنف منقطع عما قبله لأن قوله أصبنا ماض، ونطبع مستقبل، والمعنى: ونحن نطبع على قلوبهم: قال ابن الأنباري: «ويجوز أن يكون معطوفاً على أصبنا إذا كان بمعنى نصيب»[٣]،

---

(١) تفسير البغوي (٢/١٨٥)، البحر المحيط (٤/٣٤٩)، القرطبي (٧/١٦٢)، روح المعاني (٩/١٢)، الرازي (١٤/١٥١)، تفسير ابن كثير (٤/٤٤٧).

(٢) معاني القرآن (٢/٣٦١)، والفراء (١/٣٨٦)، وانظر الرازي (١٤/١٥٣)، القرطبي (٧/١٦٢)، وانظر أبو السعود (٣/٢٥٤). ثبت في الأصل وغيره هكذا قال الزجاج وابن الأنباري هذا مستأنف والتصحيح من معاني القرآن وغيره.

(٣) فوضع الماضي موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستعمال كما قال تعالى ﴿**تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك**﴾ أي إن يشأ يدل عليه قوله ﴿**ويجعل لك قصوراً**﴾. قال أبو حيان: جعل لو شرطية بمعنى إن، ولم يجعلها التي هي لما كان سيقع لوقع غيره ولذلك جعلنا اصبنا بمعنى نصيب، ومثال وقوع لو موقع إن قول الشاعر:

لا يلفك الرجيك إلا مظهرا خلق الكرام ولو تكون عديما

قال أبو حيان: وهذا الذي قاله ابن الأنباري، رده الزمخشري من جهه المعنى، لكن بتقدير أن يكون، ونطبع بمعنى طبعنا، فيكون قد عطف المضارع على الماضي الذي هو جواب لو نشاء، فجعله بمعنى نصيب، فتأول المعطوف عليه وهو الجواب، ورده إلى المستقبل، والزمخشري تأول المعطوف ورده إلى المضيّ، وأنتج رد الزمخشري أن كلا التقدرين لا يصح، قال الزمخشري: فإن قلت: هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى طبعنا، كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا، ويعطف على أصبناهم؟ قلت: لا يساعد هذا المعنى، لأن القوم كان مطبوعا على قلوبهم، موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة، وأن الله تعالى لو شاء لاتّصفوا بها وقال أبو حيان وهذا الرد ظاهره الصحة، وملخصه أن العطوف على الجواب، سواء تأولنا المعطوف عليه أم المعطوف، وجواب لو لم يقع بعد، سواء كانت حرفا لما كان سيقع لوقوع غيره، أم بمعنى إن الشرطية والإصابة لم تقع، والطبع على القلوب واقع، فلا يصح أن يعطف على الجواب، فإن تأول ونطبع على معنى ونستمر على الطبع على قلوبهم، أمكن التعاطف، لأن الاستمرار لم يقع بعد، وإن كان الطبع قد وقع، وقال أبو عبد الله الرازي: تقرير صاحب الكشاف على أقوى الوجوه هو ضعيف، لأن كونه مطبوعاً عليه في الكفر لم يكن منافيا لصحة العطف، وكان قد قرر أن المعنى أو لم يبين للذين نبقيهم في الأرض بعد إهلاكنا من كان قبلهم فيها أن نهلكم بعدهم، وهو معنى قوله: ﴿**أن لو نشاء أصبناهم**﴾ أي بعقاب ذنوبهم، ونطبع على قلوبهم أي: لم نهلكهم بالعذاب، نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون: أي لا يقبلون لا يتعظون ولا ينزجرون، وإنما قلنا: إن المراد إما الإهلاك وإما الطبع على القلب، لأن الإهلاك لا يجتمع مع الطبع على القلب، فإنه إذا أهلكه يستحيل أن يطبع على قلبه والعطف في (ونطبع) بالواو يمنع ما ذكره، لأن جعل المعنى على أنه إما الإهلاك وإما الطبع، وظاهر العطف بالواو ينبو عن الدلالة على هذا المعنى، فإن جعلت الواو بمعنى أو أمكن ذلك وكذلك ينبو عن قوله: «إن لم نهلكهم بالعذاب ونطبع على قلوبهم» العطف بالواو، وأورد أبو عبد الله الرازي من أقوال المفسرين، ما يدل على أن كونه مطبوعا عليه في الكفر لا ينافي صحة العطف، فقال أبو علي: ويعني به والله اعلم الجبائي الطبع سمة في القلب من نكتة سوداء أن صاحبها لا يفلح، وقال الأصم: أي يلزمهم ما هم عليه، فلا يتوبون إلا عند المعاينة فلا تقبل توبتهم، وقال أبو مسلم: الطبع الخذلان أي أنه يخذل الكافر فيرى الآية فلا يؤمن بها، ويختار ما اعتاد وألف، وهذه الأقوال لا يمكن معها العطف إلا على تأويل أن تكون الواو بمعنى أو، وأجاز الزمخشري في عطف (ونطبع) وجهين آخرين: أحدهما ضعيف، والآخر خطأ، قال الزمخشري: فإن =

وفي هذا تكذيب للقدرية[1] وبيان أن الله إذا شاء طبع على قلب، فلا يفقه هدى، ولا يعي خيراً.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله: ﴿**تلك القرى نقص عليك من أنبائها**﴾ يعني القرى التي أهلك أهلها، نتلو عليك من أخبارها، لما فيها من الاعتبار ربما كانوا عليه من الاغترار، حتى أتاهم العذاب ﴿**ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ بالمعجزات والآيات ﴿**فما كانوا ليؤمنوا**﴾ بعد ما رأوها ﴿**بما كذبوا من قبل**﴾، رؤيتهم تلك العجائب ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين**﴾ أي: مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم الخالية يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم ألا يؤمنوا أبداً، قوله: ﴿**وما وجدنا لأكثرهم من عهد**﴾ قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم عليه، حين أخرجهم من صلب آدم، حيث يقول: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾[2]، ﴿**وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين**﴾ عاصين ناقضين للعهد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

= قلت: بم يتعلق قوله تعالى ﴿**ونطبع على قلوبهم**﴾؟ قلت: فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى «أو لم يهد لهم» كأنه قيل: (يغفلون عن الهداية) (ونطبع على قلوبهم) أو على (يرثون الأرض) فقوله: إنه معطوف على مقدر وهو (يغفلون عن الهداية) ضعيف لأنه إضمار، لا يحتاج إليه، إذ قد صح أن يكون على الاستئناف من باب العطف في الجمل، فهو معطوف على مجموع الجملة المصدرة بأداة الاستفهام، وقد قاله الزمخشري وغيره، وقوله: إنه معطوف على (يرثون) خطأ لأنه إذا كان معطوفا على يرثون كان صلة (للذين) لأن المعطوف على الصلة صلة، ويكون قد فصل بين ابعاض الصلة بأجنبي من الصلة، وهو قوله: «أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم» سواء قدرنا أن لو نشاء في موضع الفاعل ليهد، وفي موضع المفعول فهو معمول ليهد، لا تعلق له بشيء من صلة الذين، وهو لا يجوز، ومعنى قوله: «اصبناهم بذنوبهم» بعقاب ذنوبهم، أو يضمن أصبناهم معنى أهلكناهم، فهو من مجاز الإضمار أو التضمين ونفي السماع، والمعنى نفي القبول والاتعاظ المترتب على وجود السماع، جعل انتفاء فائدته انتفاء له. انظر البحر (٣٥١/٤ ـ ٣٥٢).

(١) وهم المعتزلة وهذا لقبهم،ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، وانظر تفصيل ضلالتهم في الملل والنحل للشهرستاني (٤٣/١) وما بعدها.

(٢) سورة الأعراف (١٧٢) القرطبي (١٦٣/٧) الرازي (١٥٣/١٤)، البغوي (١٨٥/٢)، البحر المحيط ٣٥٤/٤، تفسير ابن كثير ٤٤٩/٤، روح المعاني ١٦/٩ ـ ١٧، تفسير أبي السعود ٢٥٦/٣، وذكره السيوطي في الدر عن الحسن ١٠٤/٣، وعزاه لابن أبي حاتم وذكره أيضاً عن أبي العالية (١٠٥/٣)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وذكره أيضاً عن أبي بن كعب، وعزاه لابن جرير.

قوله ﴿**ثم بعثنا من بعدهم**﴾ من بعد الأنبياء الذين جرى ذكرهم ﴿**موسى بآياتنا**﴾ بما آتيناه من المعجزات ﴿**إلى فرعون وملئه فظلموا بها**﴾ قال إبن عباس «فكذبوا بها»[١]، قال الزجاج «جعلوا بدل الإيمان بها الكفر»[٢] ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**﴾ فانظر بعين قلبك كيف فعلنا بهم، وكيف عاقبناهم قوله: ﴿**حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق**﴾ على ههنا بمعنى الباء، قال الفراء[٣]: «العرب تجعل على بمعنى الباء، يقولون رميت على القوس، وبالقوس، وجئت على حال حسنة وبحال حسنة» وفي حرف عبد الله[٤] «حقيق بأن لا أقول»[٥]، [والمعنى أنا حقيق بأن لا أقول][٦] وقرأ نافع عليّ مشددة بالياء[٧] قال الزجاج: المعنى واجب على ترك القول على الله إلا بالحق وهو أنه لا إله غيره[٨] والمعنى أن موسى عليه السلام قال: «واجب عليّ أن لا أقول في وصف الله تعالى إلا ما هو الحق، وهو توحيده، وتنزيهه عن الشريك»[٩] ﴿**قد جئتكم ببينة من ربكم**﴾ قال إبن عباس: «يعني العصا»[١٠]﴿**فأرسل معي بني إسرائيل**﴾ أطلق عنهم وخلهم، وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من نحو ضرب اللبن، ونقل التراب، وقوله: ﴿**فإذا هي ثعبان مبين**﴾.

الثعبان الحية الضخم الذكر،[١١] [وهو][١٢] من أعظم الحيات، قال الكلبي: «ملأت الحية دار فرعون، ثم فتحت فاها، فإذا شدقها ثمانون ذراعاً، ثم شدت على فرعون لتبتلعه، فوثب فرعون عن سريره وهرب، وقام به بطنه ذلك اليوم أربعمائة مرة، ولم يستمسك بطنه بعد ذلك اليوم حتى هلك[١٣] ثم أدخل موسى [يده جيب مدرعته ثم أخرجها فإذا][١٤] هي بيضاء للناظرين لها شعاع ساطع يغلب شعاع الشمس، يضيء ما بين السماء والأرض، فذلك قوله: ﴿**ونزع يده**﴾ أي أخرجها من جيبه ﴿**فإذا هي بيضاء للناظرين**﴾ فلما رأو ذلك قالوا ﴿**إن هذا لساحر عليم**﴾ يعنون أنه حاذق بالسحر، نسبوا ذلك إلى السحر ﴿**يريد أن يخرجكم**﴾ يا معشر القبط ﴿**من أرضكم**﴾ ويزيل ملككم

---

(١) انظر البغوي ٢/١٨٥، بحر العلوم آية ١٠٣، تفسير ابن كثير ٣/٤٤٩، أبو السعود ٣/٢٥٧، القرطبي ٧/١٦٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٦٢.

(٣) معاني القرآن للفراء (١/٣٨٦) وبه قال أبو الحسن والفارسي، انظر البحر المحيط (٤/٣٥٥) وانظر قول الفراء في روح المعاني (٩/١٨) الرازي ١٤/١٥٦، البغوي ٢/١٨٥، وانظر القرطبي ٧/١٦٤، أبو السعود (٣/٢٥٧) وانظر إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٥).

(٤) أي: قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ووافقه الأعمش.

(٥) وهذه القراءة شاذة لمخالفتها الرسم العثماني، انظر مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٥٠، وانظر تفسير الرازي (١٤/١٥٦) وانظر أبو السعود (٣/٢٥٨) والقرطبي (٧/١٦٤)، البحر المحيط (٤/٣٥٦).

(٦) سقط في أ.

(٧) انظر المصادر السابقة، وانظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٨٩) النشر ٢/٢٧٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/٥٥.

(٨) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٦٢) وانظر الفخر الرازي (١٤/١٥٦) البغوي ٢/١٨٥.

(٩) في ب، ج (الشرك).

(١٠) البغوي ٢/١٨٥، بحر العلوم آية ١٠٥، البحر المحيط ٣/٣٥٦.

(١١) القرطبي (٧/١٦٤)، روح المعاني (٩/١٩)، الرازي (١٤/١٥٩)، البغوي (٢/١٨٥).

(١٢) في ج (وهي).

(١٣) انظر هذا في البحر المحيط (٤/٣٥٧)، عن ابن عباس روح المعاني (٩/١٩)، الرازي ٤/١٥٩، وانظر تفسير أبي السعود (٣/٢٥٨) وانظر تفسير الطبري (١٣/١٥، ١٦)، ابن كثير (٣/٤٥١) البغوي (٢/١٨٦).

(١٤) سقط في أ.

بتقوية بني إسرائيل عليكم، فقال فرعون لما قال الملأ ذلك: ﴿فماذا تأمرون﴾ [(١)] قال ابن عباس: «ما الذي تشيرون به علي»؟ [(٢)] ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ وقرىء بالهمزة وهما لغتان، يقال أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته، ومنه قوله تعالى ﴿مرجون لأمر الله﴾ و ﴿ترجي من تشاء﴾ فيهما «القراءتان» [(٣)] «والمعنى أخره، وأخر أمره، ولا تعجل عليه، ثم

---

(١) ذكر الزجاج فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن كلام الملأ من قوم فرعون تم عند قوله: (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره)، ثم عند هذا الكلام قال فرعون مجيبا لهم: (فماذا تأمرون) واحتجوا على صحة هذا القول بوجهين: أحدهما: أن قوله (فماذا تأمرون) خطاب للجمع لا للواحد، فيجب أن يكون هذا كلام فرعون للقوم. أما لو جعلناه كلام القوم مع فرعون، لكانوا قد خاطبوه بخطاب الواحد لا بخطاب الجمع. وأجيب عنه: بأنه يجوز أن يكونوا خاطبوه بخطاب الجمع تفخيما لشانه، لأن العظيم إنما يكنى عنه بكناية الجمع، كما في قوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ الحجر: (٩) ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾، (نوح: ١)، ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ـ القدر (١) والحجة الثانية: أنه تعالى لما ذكر قوله (فماذا تأمرون) قال بعده: (قالوا أرجه)، ولا شك أن هذا كلام القوم وجعله جواباً عن قولهم (فماذا تأمرون) فوجب أن يكون القائل لقوله: (فماذا تأمرون) غير الذي قالوا أرجه، وذلك يدل على أن قوله: (فماذا تأمرون) كلام لغير الملاء من قوم فرعون. وأجيب عنه: بأنه لا يبعد أن القوم قالوا: (إن هذا لساحر عليم) ثم قالوا لفرعون ولأكابر خدمه: (فماذا تأمرون) ثم أتبعوه بقولهم: (أرجه وأخاه) فإن الخدم والأتباع يفوضون الأمر والنهي إلى المخدوم والمتبوع أولا، ثم يذكرون ما حضر في خواطرهم من المصلحة.

والقول الثاني: أن قوله (فماذا تأمرون) من بقية كلام القوم، واحتجوا عليه بوجهين: الأول: أنه منسوق على كلام القوم من غير فاصل، فوجب أن يكون ذلك من بقية كلامهم، والثاني: أن الرتبة معتبرة في الأمر، فوجب أن يكون قوله (فماذا تأمرون) خطابا من الأدنى مع الأعلى، وذلك يوجب أن يكون هذا من بقية كلام فرعون معه، وأجيب عن هذا الثاني: بأن الرئيس المخدوم، قد يقول للجمع الحاضر عنده من رهطه ورعيته: ماذا تأمرون؟ ويكون غرضه منه تطييب قلوبهم وإدخال السرور في صدورهم، وأن يظهر من نفسه كونه معظما لهم ومعتقدا فيهم. ثم إن القائلين بأن هذا من بقية كلام قوم فرعون ذكروا وجهين: أحدهما: أن المخاطب بهذا الخطاب هو فرعون وحده، فإنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون في هذه الواقعة، أي ما ترى أنت وحدك، والمقصود أنك وحدك قائم مقام الجماعة، والغرض منه التنبيه على كماله ورفعة شأنه وحاله. والثاني: أن يكون المخاطب بهذا الخطاب هو فرعون وأكابر دولته وعظماء حضرته، لأنهم هم المستقلون بالأمر والنهي والله اعلم الرازي (١٤/ ١٦٠ ـ ١٦١).

(٢) البغوي ١٨٦/٢، روح المعاني (٢١/٩) تفسير ابن كثير (٤٥٢/٣)، أبو السعود (٢٥٩/٣)، البحر المحيط (٣٥٩/٤).

(٣) قرأ ابن كثير وهشام عن ابن عامر: (أَرْجِئْهُ) مهموزة بواو بعد الهاء في اللفظ. وأصل هذه الهاء التي للمضمر أن تكون مضمومة بعدها واو كقولك: (ضربتهو يا فتى) و (مررت بهو يا فتى). على الهاء من المذكر كما زيدت، زعم سيبويه: (أن الواو زيدت الألف في المؤنث) كقولك: ضربتها ومررت بها ليستوي المذكر والمؤنث في باب الزيادة وعلامة الأمر في (أرجْئهو) تكون الهمزة وقرأ أبو عمرو (وأرجئهُ) مضمومة الهاء من غير إشباع، اكتفاء بالضمة عن الواو لأنها نابت عن الواو. وأخرى: أن الهاء ليست بحاجز حصين، فكأن الساكن الذي قبلها ملاق للساكن الذي بعدها، فتحذف الواو ـ كما يحذف الساكن عند ملاقاة ساكن وقرأ نافع والكسائي: (أَرْجِهِي) بغير همزة وبجر الهاء، يصلان بياء. والأصل في هذه الهاء الضمة ولكنهم قلبوا الواو ياء لانكسار ما قبلها ـ أعني كسرة الجيم ـ وإنما اختار الكسرة على الضمة التي هي الأصل، لاستثقال الضمة بعد الكسرة وقرأ الحلواني عن نافع: (أرجهِ) بكسر الهاء من غير إشباع. وحجته هي أن الكسرة تدل على الياء وتنوب، كما قال: (أكرمنِ) و (أهانن) والأصل: أكرمني وأهانني. وقرأ عاصم وحمزة: (أرجهْ) بترك الهمزة وسكون الهاء. وحجتهما ذكرها الفراء قال: إن من العرب من يسكن الهاء إذا تحرك ما قبلها، فيقول: ضربتْه ضرباً مديداً فيزلون الهاء وأصلها الضمة بمنزلة أنتمْ وأصل الميم الرفع ولم يصلوها بواو. والذي يدل على ما قال أنك تردها إلى الأصل مع المضمر فتقول: رأيتموه قال الله تعالى: ﴿فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ فأجريا الهاء من غير اشباع قال أهل النحو: هذا غلط لأن الكسرة لا تجوز في الهاء إذا سكن ما قبلها نحو منهم بكسر الهاء. قال: وإنما يجوز كسر الهاء إذا كان ما قبلها ياء أو كسرة فتكسر الهاء لأجلهما، وله وجه قد ذكره بعض النحويين قال: إن الهمزة لما سكنت للجزم، وبعدها الهاء ساكنة على لغة من يسكن، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين وليس هذا كقولهم: منهم، لأن الهاء هنالك لا تكون إلا متحركة انظر ابن زنجلة (٢٨٩ وما بعدها)، وانظر النشر (١٠٧/٢) إتحاف فضلاء البشر (٥٦/٢)، وانظر البحر المحيط (٣٥٩/٤) ـ ٣٦٠).

طلبوا معارضة المعجزة، بالحيلة، فقالوا ﴿وأرسل في المدائن حاشرين﴾ قال ابن عباس: «يريد في مدائن صعيد مصر رجالاً يحشرون إليك من فيها من السحرة»[1] وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد ﴿يأتوك بكل ساحرٍ[2] عليم﴾.

وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً﴾ مالاً تعطينا ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لموسى ﴿قال نعم﴾ أجابهم فرعون إلى ما سألوا من المال على الغلبة، كأنه قال: نعم لكم ذلك ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ عندي في المنزلة، قال الزجاج[3]: «أي ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي» فقالت السحرة لموسى ﴿إما أن تلقي﴾ عصاك ﴿وإما أن نكون نحن الملقين﴾ ما معنا من الحبال والعصي ﴿قال﴾ لهم موسى: ﴿ألقوا﴾ [ما أنتم ملقون] [4] ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس﴾ قلبوها عن صحة إدراكها بما موهوا، من تلطف الحيلة، حتى رأوا الحبال حيات، ﴿واسترهبوهم﴾ قال المبرد: أرهبوهم والسين زائدة [5] وقال المؤرج [6] : «أفزعوهم»[7] وقال الزجاج: «استدعوا رهبة الناس»[8] ﴿وجاءوا بسحر

---

(١) تفسير البغوي (٢/١٨٦)، روح المعاني (٩/٢٣)، تفسير أبي السعود (٣/٢٥٩)، تفسير الرازي (١٤/١٦٣) البحر المحيط (٤/٣٦٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي «بكل سحار عليم» بالألف بعد الحاء، وكذلك في يونس، وقرأ الباقون «يأتوك بكل ساحر» الألف قبل الحاء، انظر حجة القراءات (٢٩١ ـ ٢٩٢)، النشر (٢/٢٧٠ ـ ٢٧١) إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٧).

(٣) معاني القرآن (٢/٣٦٦)، وذكره البغوي في التفسير (٢/١٨٧)، وانظر القرطبي (٧/١٦٥).

(٤) سقط في أ.

(٥) وقوله السين زائدة فيه إساءة أدب مع القرآن الكريم، الأولى أن يعبر عنها بقوله: (صلة) وقول المبرد انظره في الرازي (١٤/١٦٦).

(٦) مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي النحوي أبو فيد البصري قال الزبيدي: كان عالماً بالعربية إماما في النحو وقال الحاكم: أحد الأئمة من أهل الأدب، سمع من قرة بن خالد وأبي عمرو بن العلاء. وعنه النضر بن شميل، وكان يقول: قدمت من البادية، ولا معرفة لي بالمقياس في العربية، وإنما كانت معرفتي قريحتي، وأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري مات سنة خمس وتسعين ـ وقيل: أربع وتسعين ـ ومائة وقيل: عاش إلى بعد المائتين. انظر البغية (٢/٣٠٥) ووفيات الأعيان (٢/١٣٠) إنباه الرواة (٣/٣٢٧) تاريخ بغداد (١٣/٢٥٨) معجم الأدباء (٧/١٩٣) المزهر (٢/٢٣٢).

(٧) ذكره السمرقندي في بحر العلوم بلا نسبة آية (١١٦) وانظر البحر المحيط (٤/٣٦٢)، البغوي (٢/١٨٧).

(٨) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٦٦)، انظر الرازي (١٤/١٦٦)، وانظر البحر المحيط (٤/٣٦٢).

عظيم﴾ وذلك أنهم القوا حبالا غلاظا، فإذا هي حيات قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، فأوحى الله تعالى **﴿إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف﴾** تبتلع وتلقم، وقرأ حفص «تلقف» مخففاً،[١] يقال لقفت الشيء ألقفته لقفاً، إذا أخذته، فأكلته وابتلعته، ومثله تلقفته [والتقفته][٢] قال المفسرون: «لما ألقى موسى العصى صارت حية عظيمة، حتى سدت الأفق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم[٣]»، وهو قوله: **﴿ما يأفكون﴾** يأتون بالإفك وهو الكذب[٤]، وذلك أنهم زعموا أن حبالهم حيات، وكذبوا في ذلك، إنما كانوا جعلوا فيها الزئبق، وصوروها بصور الحيات فاضطرب الزئبق، لأنه لا يستقر، قوله **﴿فوقع الحق﴾** قال الحسن ومجاهد: «ظهر»[٥] وقال الفراء: «فتبين الحق من السحر»[٦] وذلك أن السحرة قالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً لبقيت حبالنا وعصينا ولم تفقد، فلما فقدت علموا أن ذلك من أمر الله تعالى[٧]، فذلك قوله **﴿وبطل ما يعملون﴾** أي: زال وذهب بأن فقد ما عملوا به السحر من الحبال والعصي **﴿فغلبوا هنالك﴾** أي: غلب فرعون وقومه عند ذلك الجمع، **﴿وانقلبوا﴾** وانصرفوا من ذلك الموضع **﴿صاغرين﴾** ذليلين **﴿وألقي السحرة ساجدين﴾** قال ابن عباس: «خروا لله سامعين مطيعين»[٨] **﴿قالوا ءامنا برب العالمين﴾** قال فرعون: إياي تعنون؟ قالوا: لا، **﴿رب موسى وهارون قال فرعون ءامنتم به قبل أن ءاذن لكم﴾**[٩] أصدقتم موسى من قبل أمري إياكم؟ **﴿إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾** قال الكلبي:

---

(١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٩٢)، النشر (٢/٢٧١)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٨) البحر المحيط (٤/٣٦٣)، البغوي (٢/١٨٨)، القرطبي (٧/١٦٦)، الرازي (١٤/١٦٦)، بحر العلوم آية (١١٦)، روح المعاني (٩/٢٥).

(٢) سقط في أ.

(٣) انظر تفسير الرازي (١٤/١٦٧)، وانظر البحر المحيط (٤/٣٦٤) البغوي (٢/١٨٧).

(٤) انظر لسان العرب (١/٩٧)، ترتيب القاموس (١/١٦٠).

(٥) البغوي في التفسير (٢/١٨٨)، وأبو حيان في البحر (٤/٣٦٤)، الرازي (١٤/١٦٧) القرطبي عن مجاهد (٧/١٦٦) وذكره الألوسي عن مجاهد والحسن. روح المعاني (٩/٢٥) تنوير المقباس (٢/١١٨) بحر العلوم آية (١١٨) وذكره السيوطي في الدر (٣/١٠٧) عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٦) معاني الفراء (١/٣٩١) انظر تفسير الرازي (١٤/١٦٧) وانظر روح المعاني (٩/٢٥).

(٧) قال أهل المعاني: الوقوع: ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره، وسبب هذا الظهور ما ذكره المصنف رحمه الله بقوله: وذلك أن السحرة إلخ. وانظر تفسير الرازي (١٤/١٦٧)، البحر المحيط (٤/٣٦٤).

(٨) انظر روح المعاني (٩/٢٦)، بحر العلوم آية (١٢٠)، وقال الأخفش من سرعة ما سجدوا، كأنهم ألقوا، انظر المصدرين السابقين، وانظر البغوي (٢/١٨٨) الرازي (١٤/١٦٨).

(٩) قرأ ورش عن نافع وحفص: (قال فرعون آمنتم به) على لفظ الخبر بغير استفهام. أي: صدقتم به وقرأ نافع والبزي عن ابن كثير، وأبو عمرو وابن عامر: قال فرعون آمنتم؟ بالهمز والمد على الاستفهام، أي: أجعلتم له الذي أراد؟ في (آمنتم) ثلاث ألفات: ألف الاستفهام بمعنى التوبيخ، والألف الوسطى ألف أَفْعَلَ وهي ألف القطع، والأخيرة فاء الفعل. والأصل أأْمنتم فخفف مثل آدم قرأ ابن كثير في رواية القواس: (قال فرعون وامنتم) بواو اللفظ إذا وصل ولا يهمز، واعلم أن هذه الهمزة إذا خففت لم تكن بين بين بل تنقلب واواً لأن جعلها بين بين هو أن تكون بين الهمزة والألف، والألف لا تقع قبلها ضمة ـ فمنعت ضمة النون في (قال فرعون) أن تجعل الهمزة بين بين وجرت مجرى الهمزة في (جُؤَن) إذا خففت قلبت واواً فتقول: جون وكذلك كل همزة مفتوحة قبلها ضمة، فإنك إذا خففتها قلبتها واواً مثل: (لا يُوَاخذكم الله) (والمُوَلفة). وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر (قال فرعون أآمنتم) بهمزتين وحجتهم أن الهمزة حرف من حروف المعجم كغيرة من سائر الحروف، جاز الجمع بينهما نحو ما يجتمع في الكلمة حرفان، فيؤتي بكل واحد منهما من غير تغيير كقوله: (لعلكم تتفكرون) فجعلوا الهمزتين كغيرهما من سائر الحروف. وانظر النشر (٢/٢٧١)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٥٨).

«لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر، قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر»[(١)] ﴿لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ عاقبة ما صنعتم ﴿لأقطعن أيديكم﴾ الأيمان ﴿وأرجلكم﴾ اليسرى وهو قوله ﴿من خلاف﴾ يعني من كل شق طرفاً ﴿ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ قالوا: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ قال ابن عباس: «راجعون إلى ربنا بالتوحيد والإخلاص»[(٢)] ﴿وما تنقم منا﴾ وما تكره منا شيئاً، ولا تطعن علينا قال ابن عباس: «ما لنا عندك من ذنب، ولا ركبنا منك مكروها تعذبنا عليه، إلا إيماننا بآيات ربنا»[(٣)]، يعني ما أتى به موسى آمنوا بها أنها من عند الله، لا يقدر على مثلها إلا الله ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ قال مجاهد: «اصبر علينا الصبر عند الصلب والقطع، حتى لا نرجع كفاراً»[(٤)] ﴿وتوفنا مسلمين﴾ مخلصين على دين موسى.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

قوله ﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ هذا إغراء من الملأ لفرعون على موسى، وإنكار أن يتركه مقيماً على مخالفته، وأرادوا بالإفساد في الأرض دعاءهم الناس إلى مخالفة فرعون في عبادته، وتجهيلهم إياه وقوله ﴿ويذرك﴾ قال ابن الأنباري: «الواو نائبة عن الفاء»[(٥)] وهو قول الزجاج، قال: نصب ويذرك على جواب الاستفهام بالواو،[(٦)] والمعنى أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك[(٧)] موسى وَإلهتك، [وهي][(٨)]: جمع إله، قال الكلبي عن ابن عباس[(٩)]: كان فرعون صنع لقومه

---

(١) ذكره البغوي (٢/١٨٨). وانظر القرطبي (٧/١٦٦) والبحر المحيط (٤/٣٦٥).

(٢) بنحوه عند البغوي (١/١٨٨)، وانظر تنوير المقباس (٢/١١٨).

(٣) الرازي (١٤/١٧٠)، ونسبه البغوي لعطاء (٢/١٨٩) وذكره أبو حيان في البحر ونسبه لعطاء (٤/٣٦٦).

(٤) الرازي في التفسير (١٤/١٧٠)، وذكره القرطبي بلا نسبة (٧/١٦٦) ومعنى الإفراغ: في اللغة الصب. يقال: درهم مفرغ: إذا كان مصبوباً في قالبه وليس بمضروب وأصله من إفراغ الإناء، وهو صب ما فيه حتى يخلو الإناء، وهو من الفراغ، فاستعمل في الصبر على التشبيه بحال إفراغ الإناء وفي الآية فوائد: الفائدة الأولى: (أفرغ علينا صبرا) أكمل من قوله: أنزل علينا صبرا، لأنا ذكرنا أن إفراغ الإناء: هو صب ما فيه بالكلية، فكأنهم طلبوا من الله كل الصبر لا بعضه، الفائدة الثانية: أن قوله: (صبرا) مذكور بصيغة التنكير، وذلك يدل على الكمال والتمام: أي صبرا كاملا تماماً كقوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ البقرة: (٩٦)، أي على حياة كاملة تامة. والفائدة الثالثة: أن ذلك الصبر من قبلهم ومن أعمالهم، ثم إنهم طلبوه من الله تعالى وذلك يدل على أن فعل العبد لا يحصل إلا بتخليق الله وقضائه. انظر الرازي (١٤/١٧٠ ـ ١٧١).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (١/٣٩١)، والقرطبي (٧/١٦٧)، ونحو هذا عند الرازي (١٤/١٧٢).

(٦) انظر معاني القرآن (٢/٣٦٧)، القرطبي (٧/١٦٧)، الرازي (١٤/١٧٢) روح المعاني (٩/٢٩).

(٧) انظر المعاني المتقدم والرازي المتقدم.

(٨) في ب، ج (وهو).

(٩) الفخر الرازي (١٤/١٧٢)، تفسير البغوي (٢/١٨٩) الزجاج (٢/٣٦٧)، بحر العلوم آية (١٢٧)، روح المعاني (٩/٢٩)، =

أصنام صغاراً، وأمرهم بعبادتها، وقال: أنا ربكم، ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[١] ﴿**قال سنقتل أبناهم ونستحيي نساءهم**﴾ قال ابن عباس: «كان فرعون قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل، فلما كان زمن أمر موسى ما كان، أمر بإعادة القتل عليهم»[٢] ﴿**وإنا فوقهم قاهرون**﴾ وإنا على ذلك قادرون، فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم فقال موسى لقومه﴿ **استعينوا بالله واصبروا**﴾ على ما يفعل بكم ﴿**إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده**﴾ أطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ قال ابن عباس: الجنة لمن إتقى الله» [٣] وقال غيره« العاقبة ها هنا النصر والظفر» [٤] ﴿**قالوا أوذينا**﴾ بالقتل الأول ﴿**من قبل أن تأتينا**﴾ بالرسالة ﴿**ومن بعدما جئتنا**﴾ بإعادة القتل على أبنائنا ﴿**قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم**﴾ فرعون [وقومه] [٥] ﴿**ويستخلفكم في الأرض**﴾ يملككم ما كان يملك فرعون وقومه، ﴿**فينظر كيف تعملون**﴾ قال الزجاج «فيرى ذلك بوقوعه منكم، لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم، إنما يجازيهم على ما يقع منم»[٦].

وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ

= القرطبي (١٦٧/٧) تفسير أبي السعود (٣/ ٢٦٢).

تنبيه: قرأ الجمهور «ويذرك» بالياء، وفتح الراء، عطفاً على «ليفسدوا» وقرأ نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف عنه: (ويذرك) بالرفع عطفا على (أتذر) بمعنى أتذره، ويذرك أي: أتطلق له ذلك، أو على الاستئناف أو على الحال على تقدير: وهو يذرك. وقرأ الأشهب العقيلي والحسن بخلاف عنه: (ويذرك) بالجزم عطفاً على التوهم، كأنه توهم النطق يفسدوا جزماً على جواب الإستفهام، كما قال: ﴿**فأصدق وأكون من الصالحين**﴾، أو على التخفيف من ويذرك. وقرأ أنس بن مالك (ونذرك) بالنون ورفع الراء انظر البحر المحيط (٣٦٧/٤) الرازي (١٧٢/١٤) القرطبي (١٦٧/٧)، روح المعاني (٢٨/٩ ـ ٢٩)، إتحاف فضلاء البشر (٦٠/٢).

(١) سورة النازعات (٢٤).

(٢) البغوي في التفسير (١٨٩/٢)، بحر العلوم آية (١٢٧)، انظر تفسير ابن كثير (٤٥٧/٣) الألوسي (٢٩/٩)، أبو السعود (٢٦٢/٣). وقوله سنقتل، قرأ نافع وابن كثير بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، لكثرة القتل مرة بعد مرة. حجة القراءات (٢٩٤) إتحاف فضلاء البشر (٦٠/٢)، النشر لابن الجزري (٢٧١/٢).

(٣) انظر تفسير البغوي (١٨٩/٢)، القرطبي (١٦٨/٧)، البحر المحيط (٣٦٨/٤)، تنوير المقباس (١١٩/٢).

(٤) تفسير الرازي (١٧٣/١٤)، البحر المحيط (٣٦٨/٤) تفسير البغوي (١٨٩/٢)، قلت: المراد بالعاقبة هنا: عاقبة أمورهم في الحياة الدنيا، ليناسب قوله: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) وتشمل عاقبة الخير في الآخرة، لأنها أهم ما يلاحظه المؤمنون.

(٥) سقط في ب، ج.

(٦) معاني القرآن (٣٦٧/٢)، وانظر قول الزجاج في تفسير الرازي (١٧٤/١٤)، وانظر القرطبي (١٦٨/٧). ونحو هذا عند الألوسي في روح المعاني (٣٠/٩) وأبي السعود (٣٦٣/٣).

مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

قوله **﴿ولقد أخذنا ءال فرعون بالسنين﴾** قال الزجاج: السنين في كلام العرب الجدوب يقال: مستهم السنة، والمعنى السنة، وشدة السنة [١] قال الفراء: «بالسنين بالقحط والجدوبة عاماً فعاماً»[٢] قال المفسرون: «والسنين لأهل البوادي ونقص من الثمرات لأهل القرى»[٣] **﴿لعلهم يذكرون﴾** قال الزجاج: «وذلك أن أحوال الشك ترقق القلب، وترغب فيما عند الله، وفي الرجوع إليه[٤] ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾** [٥]؟ قوله تعالى: **﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾** يعني الغيث والخصب والثمار، والمواشي والألبان والسعة في الرزق والعافية والسلامة **﴿قالوا لنا هذه﴾** أي إنا مستحقوه على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا في بلادنا، ولم يعلموا أنه من الله تعالى، فيشكروا عليه **﴿وإن تصبهم سيئة﴾** يعني القحط والجدب **﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾** يتشاءموا بهم، وقالوا إنما أصابنا هذا الشر بشؤم موسى وقومه قال الله تعالى: **﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾** قال ابن عباس: شؤمهم عند الله ومن قبل الله [٦] أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** أن الذي أصابهم من الله تعالى قوله **﴿وقالوا مهما تأتنا به من ءاية﴾** مهما: كلمة تستعمل للشرط والجزاء، أصلها: ماما، الأولى للجزاء والثانية زيدت توكيداً، كما يزاد في سائر حروف الجزاء، نحو أما، ومتى ما، ثم أبدلوا من ألف ما الأولى هاء كراهة لتكرار اللفظ فصار مهما، هذا قول «الخليل» وجميع البصريين [٧] ومعنى الآية: أنهم قالوا لموسى: متى ما أتيتنا بآية، مثل اليد والعصا، **﴿لتسحرنا بها﴾** جعلوا ذلك سحراً فإنا لنا نؤمن بك، ولن نصدقك، فلما كذبوه أرسل الله عليهم أنواع العذاب، وهو قوله تعالى: **﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾** وهو الماء الذي يغشى كل مكان[٨].

---

(١) معاني القرآن (٢/٣٦٧)، وانظر قول الزجاج عند الرازي (١٤/١٧٥). وانظر القرطبي (٧/١٦٨) وانظر البحر المحيط (٤/٣٦٩).

(٢) معاني القرآن للفراء (١/٣٩٢) وانظر الرازي (١٤/١٧٥)، روح المعاني (٩/٣١) البحر المحيط (٤/٣٦٩) وانظر القرطبي (٧/١٦٨).

(٣) وبه قال قتادة، انظر تفسير البغوي (٢/١٩٠) وذكره أبو حيان في البحر عن ابن عباس (٤/٣٦٩)، وفي أبي السعود عن ابن عباس (٣/٢٦٣) ونقله الرازي عن قول المفسرين (١٤/١٧٥). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٠٨) عن قتادة وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٦٨)، وانظر كلام الزجاج عند الرازي (١٤/١٧٥)، والبغوي (٢/١٩٠).

(٥) سورة فصلت (٥٤).

(٦) تفسير البغوي (٢/١٩٠)، انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٥٧) الرازي (١٤/١٧٦) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٠٨)، وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٧) انظر العين (٣/٣٥٨) الكتاب لسيبويه (٣/٥٩) وانظر المفصل لابن يعيش (٤/٨)، وحكى الرازي في تفسيره عن الكسائي أن الأصل (مه) التي بمعنى الكف: أي اكفف دخلت على (ما) التي للجزاء، كأنهم قالوا: اكفف ما تأتنا به من آية فهو كذا وكذا، وانظر بحر العلوم للسمرقندي آية (١٣٢)، والبحر المحيط (٤/٣٧١)، روح المعاني (٩/٣٣)، القرطبي (٧/١٧٠).

(٨) الأكثرون على أن هذا الطوفان: هو المطر الكثير وقد روي عن عطاء أنه قال: الطوفان هو الموت، وروى الواحدي رحمه الله بإسناده خبراً عن النبي ﷺ أنه قال: الطوفان هو الموت، وهذا القول مشكل، لأنهم لو أميتوا لم يكن لإرسال سائر أنواع العذاب عليهم =

قال المفسرون: [١] «لما أبى فرعون وقومه الإيمان :عا عليهم موسى فأرسل الله عليهم السماء بالماء، فامتلأت بيوت القبط ماء، حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم [٢] من جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، ودام ذلك عليهم سبعة أيام فقالوا: ﴿يا موسى ادع لنا ربك﴾ يكشف عنا، فنؤمن لك، فدعا ربه، فرفع عنهم الطوفان، فأنبت الله لهم في تلك السنة ما لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع، فقالوا: ما كان ذلك [الماء] [٣] إلا نعمة علينا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم حتى إن كانت لتأكل الأبواب والسقوف» قال عطاء: «بلغني أي الجراد لما سلط على قوم فرعون أكل أبوابهم، حتى أكل مساميرهم وكانت لا تدخل بيوت بني إسرائيل، ولا يصيبهم من ذلك شيء»[٤] ومما يذكر من الأخبار في الجراد ما أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد المقري[٥] أخبرني الحسين بن محمد الثقفي،[٦] أخبرنا الحسن بن إسماعيل بن خلف الخياط،[٧] أنا محمد بن الحسين بن الفرج،[٨] نا: محمد بن عبيد الله،[٩] نا هاشم بن القاسم نا: زياد بن عبد الله بن علاثة[١٠] عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي[١١] عن أبنه عن جابر وأنس بن مالك[١٢] عن رسول الله -

= فائدة، بل لو صح هذا الخبر لوجب حمل لفظ الموت على حصول أسباب الموت،مثل المطر الشديد والسيل العظيم،وغيرهما. انظر الرازي (١٤/١٨٧)، وانظر تفسير الطبري (١٣/٥٠) وتفسير ابن كثير (٣/٤٥٨).

(١) انظر تفسير البغوي (٢/١٩١)، القرطبي (٧/١٧١)، وانظر تفسير الطبري (١٣/٥٧)، البحر المحيط (٤/٣٧٢)، وذكره السيوطي بنحوه (٣/١٠٨)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وانظر تفسير الرازي (١٤/١٧٧).

(٢) وهي عَظْمة مشرِفة بين ثُغرة النحر والعاتق، لسان العرب (١/٤٢٩) الصحاح (٤/١٤٥٣)، المعجم الوسيط (١/٨٤).

(٣) سقط في ب.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٠٩)، وعزاه لأبي الشيخ. وذكره أيضاً عن مجاهد، وعزاه لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٥) هذه النسبة إلى قراءة القرآن وإقرائه، اختص بهذه النسبة جماعة من المحدثين.

(٦) بفتح الثاء المثلثة والقاف والفاء،هذه النسبة إلى ثقيف،وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وقيل إن اسم ثقيف قسي، ونزلت أكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت منها في البلاد. انظر الأنساب (١/٥٠٨ - ٥٠٩).

(٧) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها الطاء المهملة،يقال لمن يخيط الثياب انظر الأنساب (٢/٤٢٥)

(٨) محمد بن الحسين بن الفرج، أبو ميسرة الهمداني، كان أحد من يفهم شأن الحديث، وصنف مسنداً سمع منه، وقدم بغداد وحدث بها عن كامل بن طلحة الجحدري وطبقته. انظر تاريخ بغداد (٢/٢٢٨).

(٩) محمد بن عبيد الله بن يزيد المنادي أبو جعفر بن أبي داود بن المنادي. روى عن حفص بن غياث، وأبي أسامة، وروح بن عبادة، وأبي بدر شجاع بن الوليد، وأبي النضر هاشم بن القاسم، ووضاح بن يحيى النهشلي وإسحاق بن يوسف الأزرق، وعبد الوهاب الخفاف، ويزيد بن هارون، ويونس بن محمد، وعبد الله بن بكر السهمي، وعفان ومكي بن إبراهيم وغيرهم انظر التهذيب (٩/٣٢٥).

(١٠) في ب، ج «زياد بن عبد الله حدثني علاثة» وفي أ (زياد أخو بني علاقة) والصواب ما اثبتناه زياد بن عبد الله بن علاثة العقيلي أبو سهل الحراني كان خليفة أخيه محمد على القضاء وروى عن أبيه وعبد الكريم الجزري وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي وغيرهم .وعنه أخوه محمد وأبو النضر، وأبو كامل مظفر بن مدرك وأبو سلمة الخزاعي قال ابن معين ثقة، التهذيب(٣/٣٧٧).

(١١) موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أبو محمد المدني روى عن أبيه وأبي بكر بن أبي الجهم وإسماعيل بن أبي حكيم وعبد الله بن أبان بن عثمان، وعنه عقبة بن خالد السكوني المجدر ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، وموسى بن عبيدة الربذي، وزياد بن عبد الله بن علاثة وعبد الله بن نافع الصائغ وغيرهم، ضعفه ابن معين وقال مرة ليس بشيء ولا يكتب حديثه، وقال البخاري عنده مناكير. التهذيب (١٠/٣٦٨) ميزان الاعتدال (٤/٢١٨) التقريب (٢/٢٨٧) الضعفاء للعقيلي (٤/١٦٩) التاريخ الكبير للخازني (٤/١/٢٩٥) ابن معين (٢/٩٥٦).

(١٢) إسناده ضعيف جداً لضعف موسى بن محمد كما تقدم والحديث أخرجه الترمذي (٤/٢٣٧) في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في =

ﷺ ـ أنه كان يدعو على الجراد، يقول «اللهم أهلك الجراد، اللهم اقطع دابره، اللهم اقتل كباره، وأهلك صغاره، وأفسد بيضه، وخذ بأفواهه من معايشنا وأرزاقنا، إنك سميع الدعاء».

وأخبرنا أحمد بن محمد أخبرنا الحسين، نا: علي بن محمد لؤلؤ [(١)] جعفر بن مسلم بن عمر الخراز، [(٢)] نا: داود بن بكر التستري [(٣)] حدثني النصر بن واضح نا أبو أمية بن يعلى [(٤)] عن أبي الزناد عن الأعرج، [(٥)] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ـ ﷺ ـ «في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم [(٦)]».

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ـ ﷺ ـ قال «إن مريم بنت عمران سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له، فأطعمها الله الجراد»[(٧)] وقال الأوزاعي: «كان ببيروت رجل يذكر أنه رأى رجلاً راكباً على جرادة، وعليه خفان طويلان، ويقول بيده هكذا فحيثما أشار، انساب الجراد إلى ذلك الموضع، فبلغنا أن ذلك كان ملك الجراد»[(٨)]، حدثنا محمد بن علي بن حبيب الوراق، نا: الحسن بن أحمد الشيباني، [(٩)] أنا: محمد بن حمدون بن خالد نا:

= الدعاء على الجراد (١٨٢٣) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وموسى بن محمد بن إبراهيم التيمي قد تكلم فيه وهو كثير الغرائب والمناكير، وأخرجه ابن ماجه (٢/١٠٧٣) في كتاب الصيد، باب صيد الحيتان والجراد (٣٢٢١) وإسناده كسابقه.

(١) أثنى عليه الطوسي انظر معجم المؤلفين (٧/٢٢٧).

(٢) بفتح الخاء المنقوطة والراء المهملة المشددة، وفي آخرها زاي معجمة، هذه النسبة إلى خرز الأشياء من الجلود كالقرب والسيور وغيرها انظر الأنساب (٢/٣٣٤).

(٣) بالتاء المضمومة المنقوطة من فوق نقطتين، وسكون السين المهملة وفتح التاء المعجمة أيضاً بنقطتين من فوق، والراء المهملة هذه النسبة إلى تستر بلدة من كور الأهواز من بلاد خوزستان يقولها الناس شوشتر وبها قبر البراء ابن مالك رضي الله. انظر الأنساب (١/٤٦٥).

(٤) إسماعيل بن يعلى أبو أمية الثقفي البصري عن نافع وهشام بن عروة وعنه زيد بن الحباب وشيبان قال يحيى: ضعيف ليس حديثه بشيء وقال مرة: متروك الحديث وقال النسائي والدارقطني: متروك، وقد مشاه شعبة وقال: اكتبوا عنه فإنه شريف وقال البخاري سكتوا عنه انظر التهذيب (١/٢٥٤) التاريخ الكبير (١/٣٧٧) (١١٩٨) العقيلي في الضعفاء (١/٩٥) الميزان (١/٢٥٤).

(٥) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. روى عن أبي هريرة وأبي سعيد، وعبد الله بن مالك بن بحينة وابن عباس، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومعاوية بن أبي سفيان ومعاوية بن عبد الله بن جعفر وأبي سلمة بن عبد الرحمن وأسيد بن رافع بن خديج وخلق وعنه زيد بن أسلم وصالح بن كيسان والزهري، وأبو الزبير ويحيى بن سعيد وربيعة وموسى بن عقبة، وعمرو بن أبي عمرو وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان وأيوب وجعفر بن ربيعة وسعد بن إبراهيم وخلق التهذيب (٦/٢٩٠).

(٦) إسناده ضعيف جداً وعلته إسماعيل بن يعلى كما تقدم ترجمته والحديث مروي عند الطبراني في الكبير والأوسط ذكره الهيثمي في المجمع (٤/٤٢) عن أبي زهير النيسري وقال وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف.
وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير واستغربه (٣/٤٩٥) فقال غريب جداً.

(٧) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٥٨) في كتاب الصيد والذبائح باب ما جاء في أكل الجراد، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٦٦) وذكره الهيثمي في المجمع (٤/٤٢) باب ما جاء في الجراد، وقال رواه الطبراني في الكبير وفيه بقية، وهو ثقة، ولكنه مدلس ويزيد العيني لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وذكره الذهبي في الميزان (٤/٢٥٩) (٩٠٧١) ضمن ترجمة النفر بن عاصم الهجيمي قال الأزدي متروك.

(٨) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/٤٦٠) وعزاه لابن عساكر من حديث علي بن زيد الخرائطي عن محمد بن كثير.

(٩) بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، والباء الموحدة بعدها وفي آخرها النون هذه النسبة إلى شيبان الأنساب (٣/٤٨٢).

سليمان بن سيف نا يحيى بن حماد[١] نا عبيد الله بن واقد المسمعي حدثني عيسى بن شبيب الهذلي[٢] حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قل الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فاغتم بذلك، فأرسل راكباً إلى اليمن، وراكباً إلى الشام وراكباً إلى العراق يسألون هل رأى من الجراد شيئاً أم لا؟ فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من جراد، فألقاه بين يديه، فلما رآه كبر ثلاثاً، ثم قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: خلق الله ألف أمة، منها ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر، وأول كل شيء يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا أهلكت تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه[٣]، قال المفسرون «فعجوا من ذلك، وأعطوا موسى عهد الله لئن كشف الله ذلك أن يؤمنوا، فدعا موسى، فكشف الله الجراد، وكان قد بقي من غلاتهم[٤] بقية، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فما نحن بتاركي ديننا، فبعث الله عليهم القمل، وهو الدبى[٥] الصغار التي لا أجنحة لها» وهذا قول مجاهد والسدي وقتادة وقول ابن عباس في رواية عطاء[٦] وقال في رواية سعيد بن جبير: «القمل: السوس الذي يخرج من الحنطة[٧]» وهو قول الحسن قال: «القمل دواب سود صغار[٨] فتتبع القمل ما بقي من حروثهم، فأكله ولحس الأرض، فجزعوا، وخافوا الهلاك، فقالوا: يا موسى إدع لنا ربك يكشف عنا الدبى، فقالوا: ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني إسرائيل فدعا عليهم موسى، فأوحى الله إليه أن يقوم على حافة النيل، ويشير بعصاه إلى أدناه وأقصاه، ففعل ذلك موسى، فتداعت الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضاً، ثم خرجت مثل الليل الدامس، حتى دخلت بيوتهم بغتة، وامتلأت منها أبنيتهم وأفنيتهم وأطعمتهم فكان لا يكشف أحدهم ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهم أن يتكلم، فيثب الضفدع في فيه، وينام أحدهم فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعاً، بعضها فوق بعض، وصارت عليه ركاماً، حتى ما يستطيع أن يتحول بشقه الآخر، وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته، فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، وكانوا لا يعجنون عجيناً إلا تشدخت[٩] فيه، ولا يطبخون قدراً إلا امتلأت ضفادع، فضجر آل فرعون من ذلك، وضاق عليهم أمرهم، فبكوا وشكوا إلى موسى، وقالوا: اكشف عنا هذا البلاء، فإنا نتوب هذه المرة، فأخذ بذلك عهودهم، ومواثيقهم ثم دعا

---

(١) يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني مولاهم أبو بكر، ويقال أبو محمد البصري ختن أبي عوانة. روى عن أبي عوانة وعكرمة بن عمار وشعبة وحماد بن سلمة وهمام بن يحيى وجرير بن حازم وجويرية بن أسماء وغيرهم وثقه أبو حاتم انظر التهذيب (١١/١٩٩).

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (٤/٣٩٧).

(٣) أخرجه الديلمي في المسند (٢/١٨٧) وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب (٢/٣١١) كتاب الأطعمة. .باب الجراد (٢٣٣٩) وعزاه الحافظ لأبي يعلى وقال البوصيري: سنده ضعيف، لضعف محمد بن عيسى بن كيسان، وقال رواه الحارث بن أبي أسامة وفيه أيضاً محمد بن عيسى.

(٤) قال ابن منظور (٥/٣٢٨٨) والغلة الدخل من كراء دار وأجرة غلام أو فائدة أرض.

(٥) بفتح الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة الجراد قبل أن يطير، الواحدة دباة، حياة الحيوان (١/٢٩٥). لسان العرب (٢/١٣٢٥)، ترتيب القاموس (٢/١٤٩).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٣/٥٤، ٥٥) وابن كثير (٣/٤٦١) البغوي في التفسير (٢/١٩٢) القرطبي (٧/١٧٢)، البحر المحيط (٤/٣٧٣) الرازي (١٤/١٧٨) وانظر الدر المنثور (٣/١١٠) زاد المسير (٣/٢٤٩)، روح المعاني (٩/٣٤).

(٧) انظر المصادر السابقة.

(٨) انظر المصادر السابقة.

(٩) الشدخ: الكسر في شيء رطب، وقيل هو التهشيم لسان العرب (٤/٢٢١٣) وانظر ترتيب القاموس (٢/٦٨٥).

﴿موسى﴾[(١)] ربه، فكشف عنهم الضفادع ثم نقضوا العهد، فأرسل الله تعالى عليهم الدم فسال النيل عليهم دماً، وصارت مياههم كلها دماً، فما يستقون من الآبار إلا وجدوه دماً[(٢)] عبيطاً[(٣)]، قال قتادة: «ذكر لنا أن فرعون كان يجمع بين الرجلين في إناء واحد» القبطي والإسرائيلي، فكان ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً، وقال مجاهد[(٤)]: «كان يستقي الإسرائيلي من النيل ماء طيباً ويستقي الفرعوني دماً» فذلك قوله: **﴿ءايات مفصلات﴾** قال المفسرون[(٥)]: «وكان العذاب يمكث عليهم من السبت إلى السبت، وبين العذاب إلى العذاب شهر» وقوله: **﴿فاستكبروا﴾** أي عن عبادة الله **﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾** قوله: **﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾** أي نزل بهم العذاب، يعني الجراد وما ذكر بعده **﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾** أي بما أمرك وأوصاك أن تدعوه به **﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه﴾** يعني إلى الأجل الذي غرقهم الله فيه **﴿إذا هم ينكثون﴾** ينقضون العهد **﴿فانتقمنا منهم﴾** كافأناهم عقوبة بما صنعوا **﴿فأغرقناهم في اليم﴾** في البحر **﴿بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** تاركين الاعتبار بها والتفكير فيها **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾** يعني بني إسرائيل كان قوم فرعون قد استذلوهم بقتل أبنائهم، واستخدام نسائهم. فأهلكهم الله بالغرق ومكنهم من منازلهم، ومساكنهم، وأعطاهم أرضهم، وهو قوله: **﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾** يريد جهات شرق أرض «الشام» و «مصر»[(٦)]، وجهات غربها **﴿التي باركنا فيها﴾** بإخراج الزروع والثمار، والنبات والأشجار والأنهار **﴿وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل﴾** قال ابن عباس: «مواعيد ربك التي لا خلف فيها»، ولا ناقض لها[(٧)] قال الزجاج: «يعني ـ ما وعدهم الله تعالى من إهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض»[(٨)] وهو قوله: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾** إلى قوله **﴿يحذرون﴾**[(٩)] وقوله **﴿بما صبروا﴾** أي على عذاب فرعون وصنيعه بهم **﴿ودمرنا ما كان يصنع**

---

(١) سقط في أ، ج.

(٢) بعد أن ذكر الحافظ ابن كثير هذه القصة قال: وروي نحو هذا عن ابن عبـاس والسدي وقتادة وغير واحد من علماء السلف، وانظر القصة في الطبري (١٣/٥٧،٥٨) (١٥٠١٤) وانظر (١٣/٥٨ ـ ٦٢) وانظر تفسير ابن كثير (٣/٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٣) قال ابن الأثير غير النضيح النهاية في غريب الحديث (٣/١٧٢)، لسان العرب (٤/٢٧٨٥).

(٤) البغوي (٢/١٩٢)، القرطبي (٧/١٧٢) الألوسي في روح المعاني (٩/٣٥) البحر المحيط (٤/٣٧٣)، وذكره السيوطي في الدر (٣/١١٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد وذكره من وجه آخر وعزاه لعبد بن حميد المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٥) تفسير الرازي (١٤/١٧٨) تفسير البحر المحيط (٤/٣٧٣) البغوي (٢/١٩٣) الطبري (١٣/٦٩) تفسير أبي السعود (٣/٢٦٥) بحر العلوم آية (١٣٣) زاد المسير (٣/٢٥١) وذكره السيوطي في الدر (٣/١١٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) تفسير البغوي (٢/١٩٤) القرطبي (٧/١٧٣) البحر المحيط (٤/٣٧٦)، تفسير الطبري (١٣/٧٦، ٧٧) ابن كثير (٣/٤٦٤) روح المعاني (٩/٣٧) بحر العلوم آية (١٣٧) الرازي (١٤/١٨١)، والسيوطي في الدر (٣/١١١) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٧) انظر المعنى الآتي.

(٨) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٧١) الرازي (١٤/١٨١) الطبري (١٣/٧٧ ـ ٧٨) روح المعاني (٩/٣٩) ابن كثير (٣/٤١٤) بحر العلوم (١٣٧) البغوي (٢/١٩٤) القرطبي (٧/١٧٣).

(٩) والآيتان (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثيـن. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (القصص ٥ ـ ٦).

فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ قال مقاتل[١]: «أهلكنا ما عمل فرعون وقومه بأهل مصر، وما بنوا من المنازل والبيوت قال ابن عباس: «يعرشون يسقفون من القصور والبيوت[٢]» وقال الزجاج[٣]: «يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرُشُ إذا بنى[٤]».

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

وقوله: **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾** يقال: جاوز الوادي إذا قطعه وجاوز بغيره عبر به **﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾** قال ابن عباس: «يعبدونها مقيمين عليها[٥]» يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عليه عكف يعكف ويعكف[٦] قال قتادة: «كان أولئك القومُ نزولاً بالرقة [٧]» فلما رأوا ذلك **﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾** هذا إخبار من عظيم جهل بني إسرائيل حيث توهموا أنه يجوز عبادة غير الله بعد ما رأوا الآيات ولذلك **﴿قال﴾** لهم موسى **﴿إنكم قوم تجهلون﴾** قال ابن عباس [٨]: «جهلتم نعمة ربكم فيما صنع بكم».

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحارث [٩] أن عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا [«أبو يحيى الرازي[١٠]» نا]:

---

(١) تفسير البغوي (٢/١٩٤) وانظر روح المعاني (٩/٣٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٤) عن مجاهد وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) ابن جرير الطبري (١٣/٧٨، ٧٩) وابن كثير في التفسير (٣/٤٦٤) القرطبي (٧/١٧٤). البغوي في التفسير عن مجاهد (٢/١٩٤) انظر البحر المحيط (٤/٣٧٧) انظر تفسير أبي السعود (٣/٢٦٧) بحر العلوم للسمرقندي آية (١٣٧).
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١١٤) وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٧١)، والرازي (١٤/١٨١) والقرطبي (٧/١٧٤) وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/٢٢٧).

(٤) قرأ ابن عامر وأبو بكر (يعْرُشون) بضم الراء، وقرأ الباقون بكسر الراء، حجة القراءات لابن زنجلة (٧/٢٩٤) النشر (٢/٢٧١) إتحاف فضلاء البشر (٢/٦١).

(٥) البغوي (٢/١٩٤) الرازي (١٤/١٨٢) البحر المحيط (٤/٣٧٧) روح المعاني (٩/٤٠) بحر العلوم آية (١٣٨) أبو السعود (٣/٢٦٧).

(٦) قرأ حمزة والكسائي (يعكِفون) بكسر الكاف، وقرأ الباقون بالضم وهما لغتان كما حكاهما المصنف رحمه الله. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٩٤) النشر (٢/٢٧١) إتحاف فضلاء البشر (٢/٦١).

(٧) الرازي في التفسير (١٤/١٨٢)، البغوي (٢/١٩٤) وأبو حيان في البحر (٤/٣٧٧) القرطبي (٧/١٧٤)، روح المعاني (٩/٤٠) وانظر تفسير أبي السعود (٣/٢٦٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١١٤)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر تفسير الطبري (١٣/٨١) وابن كثير (٣/٤٦٤).

(٨) بنحوه انظر البغوي (٢/١٩٤) وابن كثير (٣/٤٦٤).

(٩) أبو بكر الحارثي ترجم له أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١/١٦٠).

(١٠) الحافظ الكبير أبو يحيى الرازي إمام جامع أصبهان ومصنف المسند والتفسير، حدث عن سهل بن عثمان وعبد العزيز بن يحيى =

سهل بن عثمان العسكري نا سفيان عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي [١] ـ رضي الله عنه ـ «أن رسول الله ـ ﷺ ـ حين أتى حنيناً [٢] مر بشجرة يعلق المشركون عليها أسلحتهم وأمتعتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط [٣] كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر، هذا كما قال قوم موسى، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، لتركبن سنن الذين من قبلكم [٤]».

قوله: ﴿إن هؤلاء﴾ يعني الذين كانوا يعبدون الأصنام ﴿متبر ما هم فيه﴾ مهلك ما هم فيه من العبادة والتبار الهلاك والتتبير: الإهلاك [٥] ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ قال ابن عباس: «يريد أن عملهم للشيطان ليس لله فيه نصيب» [٦].

﴿قال﴾ لهم موسى ﴿أغير الله أبغيكم [٧]﴾ أطلب لكم ﴿إلهاً﴾ معبوداً، وهذا استفهام وإنكار ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ قال ابن عباس: «اكرمكم من بين الخلائق أجمعين [٨]» ﴿وإذ أنجيناكم من ءال فرعون﴾ مفسر إلى آخر الآية في سورة البقرة.

﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ

= والحسين بن عيسى الزهري وطبقتهم وحدث عنه أبو أحمد العسال وأبو الشيخ والطبراني وآخرون وكان من الثقات توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩١).

(١) أبو واقد الليثي صحابي مختلف في اسمه، وله أربعة وعشرون حديثاً اتفقا على حديث وانفرد بآخر. وعنه ابن المسيب وعروة وجماعة مات سنة ثمان وستين. انظر الخلاصة (٣/ ٢٥٢).

(٢) وهو واد قريب من مكة وقيل: الطائف انظر مراصد الاطلاع ١/ ٤٣٢.

(٣) اسم شجرة بعينها كانت للمشركين قبحهم الله ينوطون بها سلاحهم: أي: يعلقونه بها ويعكفون حولها وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط. النهاية لابن الأثير (٥/ ١٢٨) لسان العرب (٦/ ٤٥٧٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٤١٢) في كتاب الفتن باب ما جاء لتركَبُنّ سنن من كان قبلكم (٢١٨٠) وقال حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢١٨) من طرق، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٧) (٧٦).

(٥) قال الليث: التبار: الهلاك يقال: تبر الشيء يتبر تباراً والتتبير الإهلاك ومنه قوله تعالى: ﴿وكلاً تبرنا تتبيراً﴾. (الفرقان: ٣٩) ويقال للذهب المنكر المتفتت التبر. انظر لسان العرب (١/ ٤١٦) ترتيب القاموس (١/ ٣٥٦)، وانظر مجاز القرآن (١/ ٢٢٧) الرازي (١٤/ ١٨٢).

(٦) انظر البحر المحيط (٤/ ٣٧٨).

(٧) قال الواحدي ـ رحمه الله ـ يقال بغيت فلاناً شيئاً، وبغيت له قال تعالى ﴿يبغونكم الفتنة﴾ التوبة: (٤٧) أي: يبغون لكم، وفي انتصاب قوله «إلهاً» وجهان: أحدهما: الحال كأنه قيل: أطلب لكم غير الله معبوداً. ونصب «غير» في هذا الوجه على المفعول به. الثاني أن ينصب «إلهاً» على المفعول به «وغير» على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة كما تقول أبغيكم إلهاً غير الله.

(٨) البغوي (٢/ ١٩٤) الرازي (١٤/ ١٨٣) انظر القرطبي (٧/ ١٧٤) وانظر تفسير أبي السعود (٣/ ٢٦٨) بحر العلوم آية (١٤٠) البحر المحيط (٤/ ٣٧٩) روح المعاني (٩/ ٤١).

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

قوله: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ [تقدير الآية][1] واعدناه انقضاء ثلاثين ليلة يترقب بعدها المناجاة[2] قال المفسرون[3]: «كان تلك الثلاثين ذو القعدة أمره الله أن يصوم فيها ليكلمه» قال ابن عباس: «صامهن ليلهن ونهارهن فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئاً من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله إليه لا كلمتك، حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحب إلي من ريح المسك وأمره بصيام من ذي الحجة»[4] فذلك قوله: ﴿واتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ أي تم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى أربعين ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي﴾ لما أراد موسى الانطلاق إلى الجبل للمناجاة استخلف أخاه هارون على قومه: فقال له أصلح قال ابن عباس[5]: «يريد الرفق بهم والإحسان إليهم ومعناه أصلح أمرهم» ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ أي: لا تطع من عصى الله ولا توافقه على أمره ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: في الوقت الذي وقتنا له ﴿وكلمه ربه﴾ خصه الله بأن أسمعه كلامه من غير أن يكون بينهما أحد، قال المفسرون[6]: «لما أراد الله أن يكلم موسى أهبط إلى الأرض ظلمة سبع فراسخ [7].

فلما دنا موسى من الظلمة طرد عنه شيطانه وطرد هوام الأرض ونحى عنه ملكاً، ثم كلمه الله وكشطت [8] له السماء فرأى الملائكة قياماً في الهواء ورأى العرش بارزاً وكان بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع، حتى مات وقالت له امرأته: أنا أيم [9] منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه

---

(١) سقط في أ.

(٢) في ج المناظرة.

(٣) الطبري (١٣/٨٦)، وابن كثير (٣/٤٦٥) البغوي في التفسير (٢/١٩٥) القرطبي (٧/١٧٥) روح المعاني (٩/٤٣) بحر العلوم آية (١٤٢) البحر المحيط (٤/٣٨٠) أبو السعود (٣/٢٦٨) وذكر السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس (٣/١١٤) وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ من طرق. وأخرجه أيضاً السيوطي من طرق انظرها في الدر المنثور.

(٤) ذكره القرطبي في التفسير (٧/١٧٥) وذكره السيوطي في الدر (٣/١١٥)، وعزاه للديلمي السمرقندي في بحر العلوم آية (١٤٢).

(٥) البغوي عن ابن عباس (٢/١٩٥)، بحر العلوم المصدر السابق القرطبي (٧/١٧٧).

(٦) وفي البغوي أربع فراسخ (٢/١٩٦)، وانظر الدر المنثور (٣/١١٩).

(٧) وقيمته بالمتر يساوي (٥٥٤٤م).

(٨) والكشط: القلع، انظر لسان العرب (٥/٣٨٨٢)، ترتيب القاموس (٤/٥٤).

(٩) والأيم في الأصل هي التي لا زوج لها، بكرا كانت أو ثيبا، مطلقة كانت أو متوفى عنها، لسان العرب (١/١٩١) ترتيب القاموس (١/٢٠٣).

فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها في [وجهه][١] وخرت لله ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة قال موسى: لك ذاك إن لم تتزوجي بعد فإن المرأة لآخر أزواجها[٢]».

أخبرنا أبو بكر الحارثي[٣] نا أبو الشيخ الحافظ نا عبد الرحمن بن داود بن منصور[٤] نا عثمان بن خرزاذ[٥] نا الحسين بن حماد نا: عمرو بن هاشم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل ناجي موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام وصايا كلها، فكان فيما ناجاه أن قال له: يا موسى لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد المتعبدون بمثل البكاء من خيفتي، قال موسى: يا إله البرية كلها ماذا أعددت لهم قال: أما الزاهدون في الدنيا فأبيحهم جنتي، حتى يتبوّؤوا فيها حيث شاءوا، وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته الحساب، وأما البكاءون من خيفتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه[٦]» وقوله: ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ قال الزجاج[٧]: «المعنى أرني نفسك» أنظر إليك أني قد سمعت كلامك، فإني أحب أن أراك ولو كانت الرؤية لا تصح في وصف الله، ما سأل موسى ذلك لأنه كان أعلم بالله من أن يسأل ما يستحيل في وصفه، وفي وقوله ﴿لن تراني﴾ دليل عى جواز الرؤية لأنه لو كان مستحيل الرؤية لقال: لا أرى، قال ابن عباس في رواية عطاء: «لن تراني في الدنيا[٨]» قال مقاتل[٩]: «لما قال موسى ﴿أرني أنظر إليك﴾ قال له ربه: ﴿لن تراني﴾ ولكن اجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك، وهو الجبل ﴿فإن استقر مكانه﴾ أي سكن وثبت ﴿فسوف تراني﴾ وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق رؤيتي ﴿فلما تجلى ربه﴾ أي ظهر وبان[١٠] ﴿للجبل﴾ قال الكلبي: «هو أعظم جبل بمدين[١١] يقال له زبير» ﴿جعله دكاً﴾ أي مدقوقاً، يقال: دككت الشيء أدكه دكاً إذا دققته قال الأخفش[١٢]: كأنه قال: دكه دكاً «ومن قرأ دكاء»[١٣] فمعناه: جعله مثل

---

(١) في أ، ج وجهها.

(٢) البغوي في التفسير (٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦) وذكر السيوطي في الدر شطرا منه ٣/ ١١٦، وعزاه لأبي الشيخ، وبنحوه أيضاً في نفس المصدر عزاه لابن المنذر.

(٣) هذه النسبة إلى قبائل متعددة انظر الأنساب (٢/ ١٥٠).

(٤) أبو محمد الفارسي عبد الرحمن بن داود بن منصور، كان من أهل الفقه كثير الحديث انظر تاريخ أصفهان (٢/ ١١٥).

(٥) أبو جعفر عثمان بن خرزاذ الأنطاكي، ذكره ابن حبان في الثقات (٨/ ٤٥٥).

(٦) إسناده ضعيف جداً، وعلته عمر بن هشام الجنبي كوفي، قال البخاري: فيه نظر، وذكره ابن حبان في المجروحين التاريخ الكبير (٣/١/٣٨١)، والتهذيب (٨/١١١)، الضعفاء للعقيلي (٣/٢٩٤)، المجروحين لابن حبان ٢/ ٧٧ الميزان ٢/ ٢٩٠ وأيضاً فيه جويبر بن سعيد، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الجوزجاني: لا يشتغل بالحديث، وقال النسائي والدارقطني وغيرهما متروك الميزان (١/ ٤٢٧) المجروحين (١/ ٢١٧) وانظر الضعفاء للعقيلي (١/ ٢٠٥) والتهذيب (٢/ ١٢٣) والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١٢٠، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٠٦) باب ذكر موسى الكليم ﷺ وقال: رواه الطبراني وقال وفيه جويبر وهو ضعيف جداً، وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس (١/ ٢١٨).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٧٣) البغوي (٢/ ١٩٦) روح المعاني ٩/ ٤٥، الرازي (١٤/ ١٩٠).

(٨) انظر البغوي (٢/ ١٩٦)، القرطبي (٧/ ١٧٧)، البحر المحيط (٤/ ٣٨٢)، بحر العلوم آية (١٤٣)، تنوير المقباس (٢/ ١٢٥).

(٩) انظر بحر العلوم آية ١٤٣، انظر روح المعاني (٩/ ٤٥).

(١٠) بلا كيف ولا انحصار.

(١١) البغوي (٢/ ١٩٦)، البحر المحيط (٤/ ٣٨٣)، بحر العلوم المصدر السابق.

(١٢) تفسير الرازي (١٤/ ١٩١) انظر البحر المحيط (٤/ ٣٨٥)، وانظر البغوي ٢/ ١٩٧، بحر العلوم (١٤٣)، حجة القراءات لابن زنجلة (٢٩٥).

(١٣) قرأ حمزة والكسائي بالمد والهمز وقرأ الباقون منونا انظر حجة القراءات (٢٩٥). وانظر النشر (٢/ ٢٧١)، إتحاف فضلاء البشر=

دكاء فحذف المضاف[١]، والدكاء الناقة التي لا سنام لها وقال المبرد: «جعله أرضاً دكاء» وهي الأرض التي لا تبلغ أن تكون تلا[٢]، قال المفسرون[٣]: «ساخ الجبل في الأرض، فهو يذهب حتى الآن».

أخبرنا أبو حسان المزكي أن أبو علي محمد بن أحمد بن بالويه[٤] نا: محمد بن صالح الصيمري[٥] نا: النضر بن مسلمة نا: محمد بن الحسن بن زبالة عن معاوية الضال[٦] عن الخالد بن أيوب[٧] عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ـ لما تجلى ربه للجبل جعله دكاً صار لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة «أحد» و«ورَقَان[٨]» و «رَضْوى[٩]». ووقع ثلاثة بمكة: «ثور» «وثبير[١٠]» و «حراء[١١]» وقوله: ﴿وخر موسى صعقاً﴾ قال ابن عباس والحسن وابن زيد[١٢]: مغشياً عليه ﴿فلما أفاق﴾ من غشيته ﴿قال سبحانك﴾ تنزيها لك عن

= (٦٢/٢)، وانظر تفسير الرازي (١٩١/١٤) البحر المحيط (٣٨٤/٤ ـ ٣٨٥)، بحر العلوم المصدر السابق، البغوي (١٩٧/٢) القرطبي (١٧٧/٧) أبو السعود (٢٧٠/٣) روح المعاني (٤٥/٩).

(١) كما قال تعالى ﴿واسأل القرية التي﴾ يوسف: (٨٢).

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٧٣/٢، البيان لابن الأنباري (٣٧٤/١)، وانظر حجة القراءات (٢٩٥).

(٣) ابن جرير الطبري (٩٨/١٣)، وذكره الحافظ ابن كثير (٤٦٨/٣) بصيغة التمريض وعزاه لابن مردويه، وذكر القرطبي في التفسير (١٧٧/٧).

(٤) الإمام المفيدالرئيس أبو بكر،محمد بن احمدبن بالُويَه الجلاَّب النيسابوري من كبراء بلده. ارتحل به ابوه فسمع من: محمد بن غالب تَمْتَام،ومحمد بن ربح البَزَّاز،ومحمد بن يونس الكديمي، وبشر بن موسى،وموسى بن الحسن الجُلاجِليّ. وعنه أبو علي الحافظ، وابن مندة، والحاكم، وعدة. قال الحاكم: سمعته يقول: قال لي ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت عن محمد بن جرير الطبري تفسيره. قلت: نعم كتبته كله إملاءً، فاستعاره مني. قال الحاكم: وسمعته يقول: كتبت عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ثلاث مئة جزء. قال الحاكم: توفي في رجب سنة أربعين وثلاث مئة انظر السير (٤١٩/١٥).

(٥) بفتح الصاد المهملة، وسكون الباء المنقوطة باثنتين من تحتها، وفتح الميم وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى موضعين: أحدهما: منسوب إلى نهر من أنهار البصرة، يقال له «الصيمر» عليه عدة قرى. وأما الصيمرة: فبلدة بين ديار الجبل، وخوزستان. الأنساب (٥٧٦/٣).

(٦) الضال: بفتح الضاد المشددة المنقوطة، وفي آخرها اللام، وليس هذا من الضلالة في الدين، بل اشتهر بهذه الصفة أبو عبد الرحمن، معاوية بن عبد الكريم الثقفي الضال، من آل أبي بكرة، وإنما سمي «الضال» لأنه ضل في طريق مكة فقيل له: الضال، وكان من عقلاء أهل البصرة، ومتقنيهم وثقاتهم، يروي عن الحسن وابن سيرين. وروى عنه قتيبة بن سعيد، ومحمد بن عبيد بن حسان الأنساب (٥/٤).

(٧) الخالد بن أيوب روى عن أبيه بصري وروى عنه جرير بن حازم قال يحيى: لا شيء. وقال أبو حاتم: منكر الحديث الميزان (٦٢٨/١).

(٨) بالفتح ثم الكسر والقاف وآخر نون بوزن ظربان ويروى بسكون الراء، وهو جبل أسود بين العَرْج والرُّوَيثة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة، وهو من جبال تهامة مراصد الاطلاع (١٤٣٤/٣).

(٩) بفتح أوله وسكون ثانيه: جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع، مراصد الاطلاع (٦٢٠/٢).

(١٠) بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة، وراء قيل الأثبرةُ أربعة: ثبير غيني وثبير الأعرج وثبير الأثبرة وثبير منى قال الأصمعي: ثبير الأعرج هو المشرف بمكة، وثبير غيني وثبير الأعرج هما حِراء وثبير مراصد الاطلاع ٢٩٢/١.

(١١) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤٦٨/٣ وعزاه لابن مردويه، وقال: هذا حديث غريب بل منكر.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (١١٩/٣) وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه، وذكره أيضاً في الدر (١٢٠/٣) وعزاه لأبي نعيم في الحلية. وذكره البغوي في التفسير (١٩٧/٢) وقال (ووقع في بعض التفاسير) ثم ذكره وذكره ابن حيان في البحر عن أنس (٣٨٤/٤).

(١٢) البغوي في التفسير (١٩٨/٢) القرطبي (١٧٧/٧) الرازي (١٩١/١٤) البحر المحيط (٣٨٤/٤) بحر العلوم آية (١٤٣) تفسير أبي =

السوء ﴿تبت إليك﴾ من مسألتي الرؤية [(١)] وذلك أنه سألها من غير استئذان من الله، فلذلك تاب [(٢)] ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ قال مجاهد والسدي [(٣)]: «أول قومي إيماناً» وقال أبو العالية [(٤)]: «أول من آمن أنه لا يراك أحد قبل يوم القيامة» وقال الزجاج [(٥)]: «أي: أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا» قال ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس﴾ أي اتخذتك صفوة ﴿برسالاتي وبكلامي﴾ [(٦)] يعني تخصيصه بكلامه من غير واسطة وذلك أن من أخذ العلم عن العالم المعظم كان أجل رتبة ممن أخذه عن واحد أخذه عنه كما تقول في الأسانيد إلى النبي ﷺ فإن أقربها إليه أعزها وأجلها [(٧)] وقوله: ﴿فخذ ما ءاتيتك﴾ قال ابن عباس [(٨)]: «ما فضلتك به وكرمتك» ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي والطائعين لي، قوله: ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ قال ابن عباس [(٩)]: «يريد ألواح التوراة».

وروي عن النبي ﷺ ـ أنه قال: «الألواح التي انزلت على موسى كانت من سدر الجنة وكان طول اللوح اثني عشر

= السعود (٣/ ٢٧٠) روح المعاني (٩/ ٤٦) تنوير المقباس (٢/ ١٢٥).

(١) الرؤية: هي انكشاف المرئي انكشافا تاما بحاسة البصر، وهي مغايرة للعلم.

ومنه أن ينظر بالأبصار ... ولكن بلا كيف ولا انحصار
للمؤمنين إذ بجائز علقت ... هذا وللمختار دنيا ثبتت

(٢) انظر الطبري (١٣/ ١٠٢) البغوي ٢/ ١٩٨) روح المعاني ٩/ ٤٦، تفسير أبي السعود (٣/ ٢٧٠) البحر المحيط ٤/ ٣٨٥، الرازي ١٤/ ١٩١ القرطبي ٧/ ١٧٧.

(٣) الطبري ١٣/ ١٠٤ ابن كثير ٤/ ٤٦٩، القرطبي ٧/ ١٧٨، البحر المحيط ٤/ ٣٨٦، البغوي ٢/ ١٩٨ السيوطي في الدر ٣/ ١٢٠ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم وأبي الشيخ ٢/ ١٩٨.

(٤) أبو حيان في البحر ٤/ ٣٨٦ الطبري ١٣/ ١٠٣ القرطبي (٧/ ١٧٨) ابن كثير ٤/ ٤٦٩ وانظر البغوي (٢/ ١٩٨) أبو السعود (٣/ ٢٧٠) الرازي ١٤/ ١٩١ وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٢٠ وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٧٤ وانظر المصادر السابقة.

(٦) قرأ نافع وابن كثير (برسالتي) على التوحيد وحجتهما ما بعده (بكلامي)وقرأ الباقون (برسالاتي) على الجمع، أرسله مراراً حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٩٥ النشر ٢/ ٢٧٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٦٢.

(٧) وهذا ما يسمى عند أهل الصناعة الإسناد العالي: وهو ما قرب رجال سنده من رسول الله ﷺ بسبب قلة عددها، بالنسبة إلى سند آخر يرد بذلك الحديث بعينه بعدد كثير، أو بالنسبة لمطلق الأسانيد، وأجله ما كان بإسناد صحيح، ولا التفات إلى العلو مع ضعفه، وإن وقع في بعض المعاجم، ومن العلو القرب من إمام من أئمة الحديث كمالك، وإن كثر بعده إلى رسول الله ﷺ ومنه القرب إلى الصحيحين وأصحاب السنن والمسانيد، والأول العلو الحقيقي، وما بعده العلو النسبي. قال الحافظ في شرح النخبة: «وفي العلو النسبي الموافقة وهي الوصول إلى الشيخ أحد المصنفين من غير طريقة، كأن يروي البخاري عن قتيبة عن مالك حديثاً، فإذا روي من طريق البخاري كان العدد إلى قتيبة ثمانية، وإذا روي من غير طريقه، كان العدد إليه سبعة، فالراوي من الثاني وافق البخاري في شيخه مع علو الإسناد على الإسناد إليه. وفي العلو النسبي البدل، وهو الوصول إلى شيخ شيخه كذلك. وفيه أيضاً المساواة، وهي استواء عدد الإسناد من الراوي إلى آخره مع إسناد أحد المصنفين، وفيه المصافحة وهي الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف.

(٨) بنحوه في البغوي ٢/ ١٩٨ وفي البحر ٤/ ٣٨٧ وفي أبي السعود ٣/ ٢٧٠، وتنوير المقباس ٢/ ١٢٦ روح المعاني ٩/ ٥٦ الرازي ١٤/ ١٩٢.

(٩) القرطبي بلا نسبة ٧/ ١٧٩ وأخرجه البغوي عن ابن عباس ٢/ ١٩٩ وذكر السيوطي في الدر عن عكرمة رضي الله عنه (٣/ ١٢٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردوية وذكره في الدر عن ابن عباس بنحوه (٣/ ١٢١) وعزاه لابن أبي حاتم، وانظر بحر العلوم للسمرقندي آية ١٤٥.

ذراعاً[١]» وقال الكلبي[٢]: «كانت من زبرجدة خضراء» وقال مقاتل[٣]: «وكتبنا له في الألواح كنقش الخاتم» وقال ابن جريج[٤]: «كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر [واستمد][٥] من نهر النور»، وقوله: ﴿من كل شيء﴾ قال السدي[٦]: «مما أمروا به ونهوا عنه» وهذا معنى قول ابن عباس[٧]: «مما افترض وأحل وحرم ونهي وأمر» ﴿موعظة﴾ نهياً عن الجهل ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ هداية إلى كل أمر هو لله رضا ﴿فخذها بقوة﴾ قال ابن عباس[٨]: «بجد والمعنى بصحة وعزيمة» لأنه لو أخذها بضعف نية لأداه إلى فتور العمل[٩] به، وقوله: ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ قال عطاء عن ابن عباس[١٠]: «يحلوا حلالها ويحرموا حرامها، ويتدبروا أمثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها» وقال قطرب[١١]: «يأخذوا بأحسنها أي بحسنها وكلها حسن» وقال أهل المعاني[١٢]: «أحسنها الفرائض[١٣] والنوافل[١٤] وهي ما يستحق عليها الثواب، وأدونها في الحسن المباح[١٥] لأنه لا يستحق عليه حمد ولا ثواب» ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ قال عطاء والحسن ومجاهد[١٦]: «هي جهنم» أي: فلتكن منكم على ذكر لتحذروا أن

---

(١) وذكره البغوي في التفسير (٢/١٩٩)، وذكره الألوسي في التفسير (٩/٥٧) وعزاه لابن أبي حاتم، وذكره الخازن (٢/٢٣٦) وذكره السيوطي في الدر (٣/١٣٠) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢) البغوي في التفسير (٢/١٩٩) أبو حيان في البحر (٤/٣٨٧)، القرطبي عن مجاهد (٧/١٧٩) الرازي (١٤/١٩٣)، روح المعاني (٩/٥٧)، أبو السعود (٣/٢٧٠)، وذكره السيوطي في الدر (٣/١٢١) عن مجاهد وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ووهب انظر تفسير البغوي (٢/١٩٩) والقرطبي (٧/١٧٩)، وانظر تفسير أبي السعود (٤/٢٧٠).

(٤) البغوي (٢/١٩٩)، وأبو حيان في البحر (٤/٣٨٧)، والقرطبي (٧/١٧٩) الرازي (١٤/١٩٣)، روح المعاني (٩/٥٧) وذكره السيوطي في الدر (٣/١٢٠ ـ ١٢١) وعزاه لأبي الشيخ.

(٥) سقط في ب.

(٦) انظر القرطبي (٧/١٧٩) البغوي (٢/١٩٩) وذكره السيوطي في الدر (٣/١٢١) وعزاه لأبي الشيخ وذكر مثله عن مجاهد وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) البحر المحيط (٤/٣٨٧) وانظر المصادر السابقة.

(٨) أبو حيان في البحر (٤/٣٨٨) البغوي (٢/٢٠٠) الرازي (١٤/١٩٣) القرطبي (٧/٧٩) والألوسي (٩/٥٨)، وبنحوه عند الطبري (١٣/١١٠)، وابن كثير (٤/٤٧١)، بحر العلوم للسمرقندي آية (١٤٥)، وذكره السيوطي في الدر (٣/١٢٦)، وعزاه لابن جرير الطبري.

(٩) انظر المصادر السابقة.

(١٠) البغوي (٢/٢٠٠/)، بحر العلوم للسمرقندي آية (١٤٥)، البحر المحيط (٤/٣٨٨) القرطبي (٧/١٧٩).

(١١) وابن الأنباري البحر المحيط (٤/٣٨٨) تهذيب اللغة للأزهري (٤/٣١٨) الرازي (١٤/١٩٣) البغوي (٢/٢٠٠)، تفسير أبي السعود (٣/٢٧١).

(١٢) معاني الزجاج (٢/٣٧٥)، البغوي (٢/٢٠٠)، الرازي (١٤/١٩٣)، البحر المحيط (٤/٣٨٨)، القرطبي (٧/١٧٩) روح المعاني (٩/٥٩).

(١٣) جمع فريضة: وهو الفعل الذي طلبه الشارع طلبا جازما، سواء كان بدليل قطعي كالقرآن والسنة المتواترة أو كان بدليل ظني كخبر الآحاد والفرض والواجب مترادفان عند الجمهور، خلافاً للأحناف والخلاف بينهم لفظي انظر المستصفى للغزالي (١/٦٦) الأحكام للآمدي (١/٥٠)، وانظر شرح جمع الجوامع (١/٨٨).

(١٤) جمع نافلة وهي الفعل الذي طلبه الشارع طلبا غير جازم. وهي والمندوب والمستحب والتطوع، والمرغب فيه، ألفاظ مترادفة انظر منهاج الأصول (٤) والبزدوي مع كشف الأسرار (٢/٣٨٠) نهاية السول (١/٤٦) والمعتمد (١/٣٦٧) المحصول (١/٢٩) التحصيل (١٥) جمع الجوامع (١/٨٩).

(١٥) انظر المستصفى (١/٦٥) روضة الناظر (١/٩٠) المحصول (١/١/١٠٣) الآمدي (١/٧٣) إرشاد الفحول ٦.

(١٦) الطبري (١٣/١١١) وبنحوه عند ابن كثير (٤/٤٧١) بحر العلوم آية (١٤٥)، القرطبي ٧/١٧٩، روح المعاني (٩/٦٠) أبو حيان=

تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله، وقال قتادة سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون [١] الماضية الذي خالفوا أمر الله، لتعتبروا بها قوله: **﴿سأصرف عن ءاياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾** قال ابن عباس [٢]: يريد الذين يتجبرون [٣] على عبادي ويحاربون أوليائي حتى لا يؤمنوا بما جئت به، وشرحه ابن الأنباري والزجاج فقال ابن الأنباري: المعنى سأصرفكم عن قبول آياتي والتصديق بها لعنادهم الحق، وعوقبوا بحرمان الهداية وهذا كقوله **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾** [٤] وقال الزجاج: أي: أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتي. قال ومعنى يتكبرون: أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم وقال ابن جريج[٥]: الآيات خلق السماوات والأرض، يعني أصرفهم عن الاعتبار بما فيها **﴿وإن يروا سبيل الرشد﴾**[٦] يعني الهدى والبيان الذي جاء من الله **﴿لا يتخذوه سبيلاً﴾** ديناً **﴿وإن يروا سبيل الغي﴾** طاعة الشيطان وضلالته **﴿يتخذوه سبيلاً﴾** ديناً **﴿ذلك بأنهم﴾** قال الزجاج[٧]: فعل الله ذلك بأنهم **﴿كذبوا بآياتنا﴾** جحدوا الإيمان بها **﴿وكانوا عنها﴾** أي عن النظر فيها والتدبر لها **﴿غافلين﴾** قوله: **﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾** يعني ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب **﴿حبطت أعمالهم﴾** صارت كأنها لم تكن، وقوله: **﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾** هذا استفهام تقرير يعني أنهم لا يجزون إلا بما يستحقون من العقاب، وهو قوله: **﴿إلا ما كانوا يعملون﴾** أي إلا بما كانوا أو على ما كانوا يعملون.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله تعالى: **﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾** أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل للميقات **﴿من حليهم﴾** الحلي جمع حلي مثل ثَدْي وثُديّ ومن كسر الحاء[٨]...

= في البحر (٤/٣٨٩) الرازي ١٤/١٩٤ والدر المنثور (٣/١٢٦).

(١) ابن كثير ٣/٤٧١ البحر ٤/٣٨٩ القرطبي ٧/١٧٩ الرازي ١٤/١٩٤، روح المعاني ٩/٦٠.

(٢) ذكره البغوي ٢/٢٠٠. (١٩) في ج (يتحيرون عن عبادتي).

(٣) سورة الصف (٥).

القرطبي ٧/١٨٠ بحر العلوم آية (١٤٦) الألوسي روح المعاني (٩/٦٠)، أبو السعود (٣/٢٧١) وأخرج السيوطي في الدر المنثور عن السدي بنحوه (٣/١٢٧) وبنحوه عند الطبري عن سفيان بن عيينة ١٣/١١٢ وابن كثير (٤/٣٧٢).

(٤) معاني القرآن (٢/٣٧٦) البحر المحيط ٤/٣٨٩.

(٥) البغوي (٢/٢٠٠) والسمرقندي في بحر العلوم المصدر السابق، القرطبي ٧/١٨٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/١٢٧) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٦) قرأ حمزة والكسائي المَرَشَد: بفتح الراء والشين. وقرأ الباقون بضم الراء وسكون السين وهما لغتان مثل السُقْم والسَقَم، والحُزْن والحَزَن، حجة القراءات (٢٩٥ ـ ٢٩٦). النشر ٢/٢٧٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/٦٢.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٧٦. وانظر القرطبي ٧/١٨٠.

(٨) قرأ حمزة والكسائي: (من حِلِيِّهم) بكسر الحاء. وقرأ الباقون: بالضم وحجتهم: أن الضم هو الأصل، وفيه علم الجمع. وذلك أن الحُلي جمع حَلْي مثل حَقْو وحِقِي والأصل حُلُوي مثل قلْب وقلوب فلما سبقت الواو الباء، قلب الواو ياءً، فأدغمت في الياء فصارت حُلِيٌّ بضم الحاء واللام، فاجتمعت ضمتان وبعدهما ياء مشدّدة، فكان ذلك أشد ثقلاً فكسرت اللام لمجيء الياء فصارت حُلِيّ بضم الحاء وكسر اللام. وحجة من كسر الحاء: هي أنه استثقل ضمة الحاء بعد كسر اللام وبعدها ياء، فكسر الحاء لمجاورة =

فقال الزجاج[١]: «اتبع الحاء كسرة اللام» قال المفسرون[٢]: إن بني إسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه، ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا حلي القبط لذلك اليوم فلما أخرجهم الله من مصر، وغرقهم الله بقيت تلك الحلي في أيديهم، فجمعها السامري[٣]، فصاغها عجلاً وأعلمهم أن إلههم وإله موسى عنده[٤] فذلك قوله: ﴿عجلاً جسداً له خوار﴾ وأكثر أهل التفسير على أنه صار جسداً ذا لحم ودم[٥]، وقال وهب: «جسداً لحماً ودماً [٦]» وقال قتادة: «جعله الله جسداً لحماً ودماً له خوار» وقال الحسن [٧]: «قبض السامري قبضة من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل، فتحول لحماً ودماً وخار خورة واحدة» قال الله تعالى منكراً عليهم ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ أي: لا يستطيع كلاماً، فيدعو إلى رشد أو يصرف عن غي[٨]، ﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ أي: لا يرشدهم إلى دين، وقوله: ﴿اتخذوه﴾ أي: إلهاً ومعبوداً، كقوله: ﴿ثم اتخذتم العجل من بعده﴾[٩] ﴿وكانوا ظالمين﴾ قال ابن عباس[١٠]: «مشركين» قوله تعالى: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ قال ابن عباس والمفسرون[١١]: ندموا على عبادة العجل «قال الفراء[١٢] والزجاج[١٣]: يقال: للنادم على ما فعل المتحسر على ما فرط فيه قد سقط في

= كسرة اللام. وأخرى أنهم قد أجمعوا على قوله: (من عِصِيِّهم) فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه. انظر الحجة (٢٩٥ - ٢٩٦) وانظر النشر (٢/٢٧٢) إتحاف فضلاء البشر (٢/٦٢) البغوي (٢/٢٠١) الرازي (١٥/٦) أبو السعود (٣/٢٧٣) روح المعاني (٩/٦٣) البحر المحيط (٤/٣٩٢) القرطبي (٧/١٨٠).

(١) انظر معاني القران (٢/٣٧٦) والقرطبي ٧/١٨١.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/٤٧٤) والرازي في التفسير (١٥/١١)، والألوسي في التفسير (٩/٦٧) وذكره السيوطي في الدر (٣/١٢٧) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد، والبزار، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٣) موسى بن ظفر ينسب إلى قرية تدعى سامرة، ولد عام قتل الأبناء، وأخفته أمه في كهف جبل، فغذاه جبريل انظر القرطبي (٧/١٨١).

(٤) وذكره القرطبي ٧/١٨١ والسمرقندي في بحر العلوم آية ١٤٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/١٢٧) وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن قتادة.

(٥) ومعنى اتخذوا عجلا: صورة عجل، وهذا من مجاز الصورة، وهو شائع في الكلام. والجسد: الجسم الذي لا روح فيه فهو خاص بجسم الحيوان إذا كان بلا روح، والمراد أنه كجسم العجل في الصورة والمقدار، إلا أنه ليس بحي وما وقع في القصص: أنه كان لحما ودما ويأكل ويشرب، فهو من وضع القصاصين، وكيف والقرآن يقول من حليهم ويقول له خوار، فلو كان لحماً ودماً لكان ذكره أدخل في التعجيب منه. والخوار بالخاء المعجمة: صوت البقر، وقد جعل صانع العجل في باطنه تجويفا على تقدير من الضيق مخصوص، واتخذ له آلة نافخة خفية، فإذا حركت آلة النفح انضغط الهواء في باطنه وخرج من المضيق، فكان له صوت كالخوار، وهذه صنعة كصنعة الصفارة والمزمار، وكان الكنعانيون يجعلون مثل ذلك لصنعها المسمى بعلا. انظر التحرير والتنوير (١/١٠٩ - ١١٠) وانظر زاد المسير ٣/٦١ القاسمي ٧/٢٨٥٧ وأبي حيان ٤/٣٩٢ البغوي ٢/٢٠١. ابن كثير ٣/٤٧٣.

(٦) البغوي ٢/٢٠١ روح المعاني ٩/٦٣ أبو السعود ٣/٢٧٣.

(٧) البغوي ٢/٢٠١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/١٢٧ وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٨) البغوي ٢/٢٠١ تفسير أبو السعود ٣/٢٧٣ ذكره السيوطي في الدر ٣/١١٥ عن ابن عباس، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وعزاه أيضاً عن مجاهد في نفس المصدر ١/١٢٧ لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩) سورة البقرة ٩٢.

(١٠) البغوي ٢/٢٠١ القرطبي ٧/١٨١ بحر العلوم آية (١٤٨).

(١١) بحر العلوم المصدر السابق الرازي ١٥/٨ مجاز القرآن ١/٢٢٨ روح المعاني ٩/٦٤ ابن كثير ٤/٤٧٣ ونحو هذا في البحر ٤/٢٩٣ تفسير أبي السعود ٣/٢٧٣ والقرطبي ٧/١٨٢ البغوي ٢/٢٠١، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٢٧ وعزاه لابن المنذر.

(١٢) معاني القرآن ١/٣٩٣ القرطبي ٧/١٨٢.

(١٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٧٨ الرازي ١٥/٨ روح المعاني ٩/٦٤ أبو السعود ٣/٢٧٣ البحر المحيط ٤/٣٩٣.

يده وأسقط» قال الأزهري[١]: والمراد سقط الندم في يده، ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا﴾ وعلموا أنهم قد ابتلوا بمعصية الله ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا﴾ الآية، وهذا الندم والاستغفار إنما كان بعد رجوع موسى إليهم.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾

قوله ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ الأسف الشديد الغضب، يقال: آسفني فأسفت، أي أغضبني[٢] ومنه قوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾[٣] وقال السدي والكلبي: «الأسف الحزين[٤]» ﴿قال﴾ موسى لقومه ﴿بئسما خلفتموني من بعدي﴾ يقال: خلفه بما يكره إذا عمل خلفه ذلك العمل، قال ابن عباس: «يريد اتخاذهم العجل وكفرهم بالله[٥]» وقوله ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ قال ابن عباس[٦]: «يعني ميعاد ربكم فلم تصبروا له» ونحو هذا قال الحسن: «وعد ربكم الذي وعدتم من الأربعين ليلة[٧]» وقال الكلبي: «أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم[٨]» ﴿وألقى الألواح﴾ التي فيها التوراة.

روى ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله قد أخبر موسى أن قومه قد ضلوا فلم يكسر الألواح فلما عاين ذلك كسر الألواح[٩]» وقوله: ﴿وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ قال الكلبي[١٠]: «بذؤابة[١١] أخيه وشعره بيده اليمنى ولحيته اليسرى لأنه توهم أنه عصى الله بمقامه فيما بينهم وتركه اللحوق به، فقال له هارون يا ﴿ابن أم﴾ أراد أمي، فحذف الياء، وأبقى الكسرة دليلاً على المحذوف كما قالوا: يا غلام أقبل[١٢]، ومن فتح

---

(١) تهذيب اللغة ٣٩٢/٨ القرطبي ١٨٢/٧.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢٨/١، وانظر تفسير الطبري ١٢٠/١٣ ـ ١٢١.

(٣) سورة الزخرف (٥٥)

(٤) البغوي في التفسير ٢٠١/٢ القرطبي ١٨٢/٧ البحر المحيط ٣٩٤/٤. روح المعاني ٦٥/٤.
وذكره السيوطي في الدر ١٢٧/٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، من طرق عن ابن عباس، وأخرجه من وجه آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٤٧٤/٣ البحر المحيط (٣٩٥/٤) بحر العلوم آية ١٥٠ أبو السعود (٢٧٤/٣) روح المعاني ٦٦/٩.

(٦) بحر العلوم آية (١٥٠) البغوي عن الحسن ٢٠٢/٢ القرطبي ١٨٣/٧ الرازي عن ابن عباس ١٠/١٥ البحر المحيط ٣٩٤/٤.

(٧) انظر المصادر السابقة.

(٨) انظر المصادر السابقة.

(٩) أخرجه أحمد في المسند ٢٧١/١ وابن حبان كذا في الموارد (٢٠٧٨) ـ والهيثمي في المجمع ١٥٣/١ والخطيب في التاريخ ٣٦٠/٣ وابن عبد البر في الأستذكار ١٤٩/١ وابن عدي في كامله ٢٠٣/١.

(١٠) البغوي في التفسير ٢٠٢/٢ بحر العلوم آية ١٥٠ القرطبي ١٨٤/٧ فتح القدير ٢٤٨/٢ أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٥/٤.

(١١) وهو الشعر المضفور من شعر الرأس، انظر لسان العرب، ترتيب القاموس ٢٤٥/١، النهاية في غريب الحديث ١٥١/٢.

(١٢) وهذا النداء نداء استضعاف وترفق، وعادة العرب تتلطف وتتحنن بذكر الأم كما قال: =

الميم [1]، جعل ابن وأم شيئاً واحداً، نحو خمسة عشر وقوله: ﴿إن القوم استضعفوني﴾ قال الكلبي [2]: «استذلوني وقهروني» ﴿وكادوا﴾ وهموا أن يقتلوني ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ يعني أصحاب العجل ﴿ولا تجعلني﴾ في موجدتك[3] علي ﴿مع القوم الظالمين﴾ الذين عبدوا العجل قوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ أي ما صنعت إلى أخي من الإنكار عليه، وهو بريء مما يوجب العتب عليه ﴿ولأخي﴾ إن قصر في الإنكار على عبدة العجل ﴿وأدخلنا في رحمتك﴾ قال عطاء[4]: «في جنتك» ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾.

أخبرنا محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا محمد بن الفضل السلمي أنا أحمد بن حمدون بن رستم[5] نا عبد الرحمن بن محمد ابن بنت المبارك بن فضالة نا عثمان بن عبد الله الشامي[6] نا: سلمة بن سليمان البصري[7] حدثني محمد بن المنكدر عن عبد الله بن عمر قال: رجع رسول الله ﷺ من غداة الحديبية فنزل على ماء لقوم، فقال رسول الله ﷺ: من القوم؟ فقالوا: نحن المسلمون وإذا امرأة تحطب تنوراً[8] لها، فلما ارتفع الوهج نحت بابن لها عن وهجه، فأتتنا، فقالت: أفيكم محمد رسول الله؟ قلنا لها نعم فأتت النبي ﷺ فقالت: ألست تزعم أنك رسول الله؟ فقال: بلى قالت: ألست تزعم أن الله أرحم الراحمين؟ قال لها بلى، قالت: أي رسول الله أو تزعم أن الله أرحم الراحمين أفلست تزعم أن الله أرحم بالعباد من الأمهات بأولادهن؟ قال لها: بلى، قالت أولست تزعم هذا؟ قال: بلى، قالت: فإن الوالدة لا تطيب نفسها أن تلقي ولدها في النار فبكى رسول الله ﷺ حتى أخضلت لحيته ثم قال: إن الله لا يعذب من عباده إلا المارد المتمرد الذي يتمرد على ربه وأبى أن يقول: لا إله إلا الله[9] قوله: ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ يعني اليهود الذين كانوا في عصر رسول الله ﷺ عيرهم بصنع آبائهم ونسبه إليهم قوله: ﴿سينالهم غضب من ربهم﴾ عذاب في الآخرة ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ يعني الجزية، وقال عطاء[10]: «يعني ما أصاب قريظة، والنضير من

= يا ابن أمي ويا شقيق نفسي. وقال آخر:

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي.

انظر البحر المحيط ٣٩٦/٤ القرطبي (١٨٤/٧) فتح القدير (٢٤٨/٢).

(١) انظر الحجة (٢٩٧ ـ ٢٩٨) وانظر النشر (٢٧٢/٢) إتحاف فضلاء البشر ٦٣/٢ البحر المحيط ٣٩٦/٤ القرطبي١٨٤/٧ الرازي ١١/١٥ البغوي ٢٠٢/٢ أبو السعود ٢٧٤/٣ فتح القدير ٢٤٨/٢ روح المعاني ٦٨/٩.

(٢) القرطبي ١٨٥/٧ بحر العلوم آية ١٥٠. روح المعاني ٦٨/٥ أبو السعود ٢٧٤/٣.

(٣) الموجده: الغضب. لسان العرب ٤٧٦٩/٦.

(٤) ذكره السمرقندي بلا نسبة في بحر العلوم آية ١٥١.

(٥) أحمد بن حمدون، أبو حامد الأعمشي، الحافظ النيسابوري. سمع علي بن خشرم قال الحاكم: كان أبو علي الحافظ يقول: حدثنا أحمد بن حمدون إن حلت الرواية عنه وأنكر عليه أحاديث. قال الحاكم: أحاديثه كلها مستقيمة، انظر ميزان الاعتدال ٩٤/١ ـ ٩٥.

(٦) عثمان بن عبد الله، الأموي الشامي. عن ابن لهيعة وحماد بن سلمة، وجماعة، هو فيما قيل: عثمان بن عبد الله، بن عمرو، بن عفان. قال ابن عدي: كان يسكن بنصيبين وَدارَ البلاد. يروي الموضوعات عن الثقات. انظر ميزان الاعتدال (٤١/٣).

(٧) بفتح الباء الموحدة، وسكون الصاد المهملة، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى البصرة. انظر الأنساب ٣٦٣/١.

(٨) هو الذي يخبز فيه، لسان العرب ٤٥٠/١.

(٩) إسناده إلى المصنف رحمه الله ضعيف جداً، وعلته إسماعيل بن يحيى الشيباني قال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه كما تقدم والحديث عند ابن ماجه ١٤٣٦/٢ في كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمه الله يوم القيامة (٤٢٩٧) وقال الشهاب البوصيري ٣١٩/٣ هذا إسناد فيه إسماعيل بن يحيى وهو متّهم، وعبد الله ضعيف، وأخرجه العقيلي في الضعفاء ٩٦/١، وقال: ولا يتابع على حديثه.

(١٠) أما قول الجزية فقال القرطبي فيه بعد. وانظر أثر عطاء في البغوي ٢٠٢/٢ القرطبي ١٨٦/٧ البحر المحيط ٣٩٧/٤ وانظر الرازي=

الجلاء والنفي» ﴿وكذلك نجزي المفترين﴾ قال ابن عباس[١] : «كذلك أعاقب من أتخذ إلهاً من دوني» وقال سفيان بن عيينة[٢] : «هذا لكل مبتدع ومفتر إلى يوم القيامة» ﴿والذين عملوا السيئات﴾ قال ابن عباس[٣] : «يريد الشرك» ﴿ثم تابوا من بعدها﴾ أي: رجعوا عنها وتركوها ﴿إن ربك من بعدها لغفور﴾ لهم ﴿رحيم﴾ بهم، وقوله:

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ أي: سكن وذهبت حدته وفورته ﴿أخذ الألواح﴾ التي كان ألقاها ﴿في نسختها﴾ وفي المكتوب فيها وذلك المكتوب انتسخ من أصل فسمي نسخة ﴿هدى﴾ من الضلالة ﴿ورحمة﴾ من العذاب ﴿للذين هم لربهم يرهبون﴾ يريد الخائفين من ربهم واللام في ﴿لربهم﴾ زيادة للتوكيد كقوله: ﴿ردف لكم[٤]﴾ وقد يزاد حرف الجر توكيداً وإن كان مستغنى عنه، يقال: ألقى يده وبيده، وفي القرآن ﴿ألم يعلم بأن الله يرى[٥]﴾ قوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾ معناه: من قومه، فخذفت من ووصل الفعل فنصب[٦]، قال

= ١٢/١٥ وانظر فتح القدير ٢/٢٥٠.

(١) البحر المحيط ٤/٣٩٧ بنحوه في روح المعاني ٩/٧٠ وانظر فتح القدير ٢/٢٥٠.

(٢) أخرجه الطبري ١٣/١٣٦ (١٥١٥١) وبنحوه أيضاً عن أبي قلابة الجرمي ١٣/١٣٥ (١٥١٤٩). البحر المحيط ٤/٣٩٧ روح المعاني ٩/٧٠ البغوي ٢/٢٠٢ ونحوه عند القرطبي بلا نسبة ٧/١٨٦.

(٣) بحر العلوم آية ١٥٣ القرطبي ٧/١٨٦ البحر المحيط ٤/٣٩٧ تفسير ابن كثير ٣/٤٧٥ والراجح في هذا العموم أي: أي سيئة كانت لعموم المغفرة، ولا داعي للتخصيص.

(٤) سورة النمل (٧٢).

(٥) سورة العلق (١٤).

(٦) يقال: اخترت من الرجال زيدا، واخترت الرجال زيداً وأنشدوا قول الفرزدق: =

السدي[1] : أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلاً ليعتذروا فلما سمعوا كلام الله، قالوا أرنا الله جهرة فـ ﴿أخذتهم الرجفة﴾ وهي: الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت أن تبين مفاصلهم، وتنقض ظهورهم، وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا، وخاف أن يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم، ولم يصدقوه بأنهم ماتوا» ﴿قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل﴾ خروجنا ﴿وإياي﴾ فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ هذا استفهام على تأويل الجحد أراد لست تفعل ذلك، أي لا تهلكنا بما فعل عبدة العجل هذا قول «ابن الأنباري[2]» وقال المبرد[3]: «هذا استفهام استعطاف، أي لا تهلكنا» وقوله: ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا فتنتك أي أختبارك وابتلاؤك أضللت بها قوماً فافتتنوا وهديت قوماً فعصمتهم، حتى ثبتوا على دينك، فذلك معنى قوله ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا﴾ ناصرنا والذي يتولى أمورنا ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة﴾ قال ابن عباس: «اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة[4]» ﴿وفي الآخرة﴾ يريد وفي الآخرة حسنة وهي الجنة ﴿إنَّا هدنا إليك﴾ قال جميع المفسرين «تبنا ورجعنا إليك بتوبتنا»[5] [والهود الرجوع[6]] ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾ قال ابن عباس: «يريد على الذنب اليسير[7]» ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ قال الحسن وقتادة «إن رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهو يوم القيامة للمتقين خاصة[8]» قال عطية العوفي: «إن الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن، فيعيش فيها فإذا صار إلى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه[9]».

= ومنا الذي اختار الرجال سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

قال أبو علي: والأصل في هذا الباب أن من الأفعال ما يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف واحد، ثم يتسع فيحذف حرف الجر، فيتعدى الفعل إلى المفعول الثاني، من ذلك قولك: اخترت من الرجال زيدا، ثم يتسع فيقال: اخترت الرجال زيدا، وقولك: أستغفر الله من ذنبي، وأستغفر الله ذنبي قال الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لست أحصيه

ويقال أمرت زيدا بالخير، وأمرت زيدا الخير قال الشاعر:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

انظر الرازي (١٥/١٥) ـ روح المعاني ٧٢/٩.

(١) البغوي في التفسير ٢٠٣/٢ وأخرجه الطبري ١٤٠/١٣ (١٥١٥٢) وابن كثير في التفسير ٤٧٧/٣ والرازي في التفسير ١٧/١٥ تفسير أبي السعود ٢٧٧/٣ بحر العلوم للسمرقندي ١٥٥ روح المعاني ٧٣/٩.

(٢) انظر القرطبي ١٨٨/٧ أبو السعود نقلا عن ابن الأنباري ٢٧٧/٣، الرازي ١٧/١٥ فتح القدير ٢٥٢/٢ روح المعاني نقلا عن ابن الأنباري ٧٤/٩.

(٣) القرطبي ١٨٨/٧ البحر المحيط ٤٠٠/٣ أبو السعود ٢٧٧/٣ الرازي ١٧/١٥ البغوي ٢٤٠/٢ فتح القدير ٢٥٢/٢ روح المعاني ٧٥/٩.

(٤) أبو السعود عن ابن عباس ٢٧٨/٢ والألوسي في روح المعاني ٧٥/٩.

(٥) معاني الزجاج ٣٨٠/٢ الرازي ١٨/١٥ ـ ١٩ بحر العلوم آية (١٥٥). القرطبي ١٨٨/٧ وانظر تفسير الطبري ٤٩/٩ البحر المحيط ٤٠١/٤، تفسير أبي السعود ٢٧٨/٣ فتح القدير ٢٥٢/٢ البغوي ٢٠٤/٢ روح المعاني ٧٥/٩ ـ ٧٦ مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٢٩/١ وانظر الدر المنثور ١٢٩/٣ تفسير سفيان الثوري (١١٤).

(٦) سقط في ب، ج.

(٧) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٠١/٤.

(٨) ذكره السمرقندي في بحر العلوم آية (١٥٦) والبغوي في التفسير (٢٠٤/٢) وبنحوه في تفسير أبي السعود ٢٧٨/٣ وتنوير المقباس ١٣١/٢ البحر المحيط ٤٠١/٤.

(٩) ذكره البغوي في التفسير ٢٠٤/٢.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي[١] أنا محمد بن عبد الله بن خميرويه أنا علي بن محمد الخزاعي أنا: أبو اليمان أخبرني شعيب[٢] عن الزهري أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة قال: «قام رسول الله ﷺ في الصلاة وقمنا معه فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم رسول الله ﷺ قال للاعرابي لقد تحجرت واسعاً يريد رحمة الله عز وجل» رواه البخاري عن أبي اليمان[٣].

وقال قتادة وسفيان بن عيينة في قوله ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ قال: «قال إبليس أنا من ذلك الشيء فأنزل الله ﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾ إلى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالت: نحن نؤمن «بالتوراة» و «الإنجيل» ونؤدي «الزكاة» فاختلسها الله من إبليس واليهود «والنصارى» فجعلها لهذه الأمة خاصة»[٤] فقال: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ وهو نبيكم كان أمياً لا يكتب[٥] ﴿الذي يجدونه مكتوباً عندهم﴾ في التوراة والإنجيل[٦] يجدون نعته ونبوته وأمره[٧].

---

(١) بفتح الفاء بعدها الألف والراء المكسورة، وفي آخرها السين المهملة. هذا الاسم لعدة من المدن الكبيرة انظر الأنساب (٤/٣٣٢).

(٢) شعيب بن أبي حمزة، واسمه دينار الأموي مولاهم أبو بشر الحمصي، روى عن الزهري، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وأبي الزناد، وابن المنكدر ونافع وهشام بن عروة وغيرهم وثقه ابن معين مات سنة اثنتين انظر التهذيب (٤/٣٥١).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/٤٥٢) في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (٦٠١٠) وأخرجه أبو داود ١/١٠٣ في كتاب الصلاة باب الدعاء في الصلاة (٣٨٠) حجرت بمهملة ثم جيم ثقيلة، ثم راء أي ضيقت وزنا ومعنى، ورحمة الله واسعة، كما قال الله تعالى، واتفقت الروايات على أن حجرت بالراء، لكن نقل ابن التين أنها في رواية أبي ذر بالزاي، وقال: وهما بمعنى، والقائل ـ يريد رحمة الله ـ بعض رواته وكأنه أبو هريرة، قال ابن بطال: أنكر ﷺ على الأعرابي، لكونه بخل برحمة الله على خلقه، وقد أثنى الله تعالى على من فعل خلاف ذلك حيث قال «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» وقوله في الرواية الأخرى احتظرت بحاء مهملة وظاء مشالة، بمعنى امتنعت. مأخوذ من الحظار بكسر أوله، وهو الذي يمنع ما وراءه. الفتح (١٠/٤٥٣).

(٤) أخرجه الطبري ١٣/١٥٧ القرطبي ٧/١٨٨ البيهقي في الشعب ١/٢٦٧، البغوي ٢/٢٠٤ السمرقندي في بحر العلوم آية ١٥٦ البحر المحيط ٤/٤٠٢.

(٥) قال الزجاج: معنى «الأمي» الذي هو على صفة أمة العرب، قال عليه الصلاة والسلام «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرأون، والنبي عليه الصلاة والسلام كان كذلك، فلهذا السبب وصفه بكونه أميا. قال أهل التحقيق وكونه أمياً بهذا التفسير، كان من جملة معجزاته وبيانه من وجوه: الأول: أنه عليه الصلاة والسلام، كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها، فإنه لا بد وأن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير، ثم إنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب وما كان يقرأ كان يتلو كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير، فكان ذلك من المعجزات، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ الأعلى (٦) والثاني: أنه لو كان يحسن الخط والقراءة، لصار منهما في أنه ربما طالع كتب الأولين، فحصل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة، من غير تعلم ولا مطالعة، كان ذلك من المعجزات، وهذا هو المراد من قوله «وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون» العنكبوت (٤٨). الثالث: أن تعلم الخط شيء سهل، فإن أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى جهد، فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم، ثم إنه تعالى آتاه علوم الأولين والآخرين، وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم، جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلا وفهما، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جاريا مجرى الجمع بين الضدين، وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجار مجرى المعجزات. الرازي (١٥/٢٠).

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) لأن ذلك لو لم يكن مكتوباً لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لأن الإصرار على الكذب =

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق نا: مأمون بن أحمد بن مأمون نـا: علي بن سعيد العسكـري [١] حدثني محمد بن الضوء عن أبيه الصلصال بن الدلهمس قال: كنا عند النبي ﷺ فقال لنا: إن عبادة بن الصامت عليل امضوا بنا لنعوده فوثب رسول الله ﷺ وأمنا، واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يمرض ابناً له فمال إليه فقال «يا يهودي هل تجدونني عندكم مكتوباً في التوراة؟» فأومأ إليه اليهودي برأسه يعلمه انهم لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوباً فقال له ابن اليهودي والله يا رسول الله إنهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوباً ولقد طلعت وإن في يده لسفراً من التوراة يقرأ فيه صفتك، وصفة أصحابك وذكرك، فلما رآك ستره عنك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله ﷺ أقيموا على أخيكم، حتى تقضوا حقه قال: فحلنا بين اليهودي وبينه وتولينا أمره، حتى واريناه وانصرفنا[٢] وقوله ﴿**يأمرهم بالمعروف**﴾ قال ابن عباس: يريد مكارم الأخلاق وصلة الأرحام[٣] ﴿**وينهاهم عن المنكر**﴾ عبادة الأوثان وقطع الأرحام[٤] ﴿**ويحـل لهم الطيبات**﴾ يعني ما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها[٥] ﴿**ويحرم عليهم الخبائث**﴾ الميتة والدم وما ذكر معهما[٦] ﴿**ويضع عنهم إصرهم**﴾ قال الزجاج[٧]: «الإصر ما عقدته من عقد ثقيل» قال: سعيد بن جبير[٨]: هو شدة العبادة ﴿**والأغلال التي كانت عليهم**﴾ قال المفسرون هي الشدائد التي كانت عليهم كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية، وترك العمل بتّة في السبت فشبهت هذه الشدائد بالأغلال التي تجمع اليد إلى العنق تمثيلاً[٩] ﴿**فالذين آمنوا به**﴾ بمحمد ﷺ من اليهود ﴿**وعزروه**﴾ ووقروه

= والبهتان من أعظم المنفرات، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوارة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته. الرازي (٢١/١٥).

(١) الإمام المحدث الرحال، أبو الحسن، علي بن سعيد بن عبد الله العسكري، نزيل الري. حدث عن: عمرو بن علي الصيرفي، محمد بن المثنى، ويعقوب الدَّوْرقي، والزبير بن بكار وطبقتهم. روى عنه: أبو الشيخ، وأبو بكر القباب، وأبو عمرو بن حمدان، وأبو عمرو بن مطر وآخرون. ومن تآليفه كتاب: السرائر وغير ذلك. توفي سنة خمس وثلاث مئة وقيل: توفي سنة ثلاث عشرة وثلاث مائة بالري. سير أعلام النبلاء ٤٦٣/١٤ الشذرات (٢٤٦/٢) طبقات الحفاظ (٣١٥) الرسالة المستطرفة ص (٥٥).

(٢) إسناد المصنف رحمه الله ضعيف جداً وعلته محمد بن الضوء قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، وقال الذهبي: ليس بثقة فان حديثه باطل، وقال: وكان معروفا بالزور وشرب الخمور، ميزان الاعتدال ٩٨٦/٣ (٧٧٠٧) ومن غير طريق المصنف رحمه الله أخرجه أحمد (٤١١/٥) وقال ابن كثير ٤٨١/٣ إسناده جيد قوي.

(٣) حكاه أبو حيان في البحر عن ابن عباس وعطاء ٤٠٣/٤. وحكاه القرطبي في التفسير عن عطاء ١٩٠/٧ ـ ١٩١ وحكاه البغوي عن عطاء ٢٠٥/٢، وانظر فتح القدير ٢٥٢/٢.

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) الطبري ٦٦/١٣ بحر العلوم ١٥٧ الرازي ٢١/١٥ انظر ابن كثير ٤٨٧/٣ البغوي ٢٠٦/٢ روح المعاني ٨١/٩ فتح القدير ٢٥٢/٢ البحر المحيط ٤٠٤/٤.

(٦) في سورة المائدة الآية الثالثة.

(٧) معاني القرآن للزجاج ١/٢ وانظر تفسير الرازي ٢٢/١٥، انظر فتح القدير ٢٥٢/٢.

(٨) حجة القراءات لابن زنجلة ٢٩٨ البحر المحيط ٤٠٤/٤. وانظر الرازي ٢٢/١٥ وحكاه البغوي عن قتادة في التفسير ٢٠٦/٢.

(٩) انظر معاني الزجاج ٣٨١/٢ الرازي ٢٢/١٥ تفسير البغوي ٢٠٦/٢ تفسير أبي السعود ٢٧٩/٣ ـ ٢٨٠ القرطبي ١٩١/٧، البحر المحيط ٤٠٤/٤ روح المعاني ٨١/٩.

قرأ ابن عامر (ويضع عنهم آصارَهم) على الجمع: أي أثقالهم تقول (إصْر وآصار) مثل (جِذْع وأجذاع). وفي قراءته همزتان: الأولى ألف الجمع والثانية أصلية، فلما اجتمعت همزتان لينوا الثانية، والأصل: (أأْصارهم) ابن زنجلة (٢٩٨) النشر (٢٧٢/٢) إتحاف فضلاء البشر (٦٥/٢) القرطبي (١٩١/٧).

﴿ونصروه﴾ على عدوه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ يعني القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾ [وما يليها ظاهر التفسير][1]، قوله ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ قال أكثر المفسرين: «انهم قوم وراء الصين، آمنوا بالنبي ﷺ وتركوا تحريم السبت يجمعون ولا يتظالمون»[2] ﴿يهدون بالحق﴾ يدعون إلى الحق ﴿وبه يعدلون﴾ وبالحق يحكمون، وقال قتادة: كان بعض أهل العلم يحدثنا أن موسى لما أخذ الألواح قال رب إني أجد في الألواح أمة، خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر رب فاجعلهم أمتي، قال تلك أمة أحمد، قال: إني أجد في الألواح أمة وهم الآخرون في الخلق والسابقون في دخول الجنة، رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، قال: إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤونها نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعوه، رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الدجال رب فاجعلهم أمتي. قال: تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف رب فاجعلهم أمتي، قال تلك أمة أحمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم يكتب عليه بشيء وإن عملها كتبت له سيئة واحدة، رب فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة أحمد، فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد فأعطي موسى اثنتين قال الله تعالى ﴿يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي﴾[3].

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

وقال: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ فرضي نبي الله موسى كل الرضا [قال أبو

---

(١) سقط في ج.

(٢) البغوي ٢/٢٠٦ القرطبي ٧/١٩٢ البحر المحيط ٤/٤٠٦ الرازي ١٥/٢٧.

(٣) سورة الأعراف ١٤٤ أخرجه الطبري في التفسير ١٣/١٢٣ وقال الحافظ ابن كثير وروى ابن جرير عن قتادة في هذا قولا غريبا، ولا يصح اسناده إلى حكاية قتادة، وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء، وهو جدير بالرد، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب، وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة، ٣/٤٧٤ وأورده ابن كثير ٣/٤٧٦ وقال القرطبي ٧/١٨٣ ولا التفات لما روي عن قتادة إن صح عنه، ولا يصح أن إلقاءه الألواح إنما كان لما رأى فيها من فضيلة أمة محمد ولم يكن ذلك لأمته.

وهذا قول رديء لا ينبغي أن ينسب هنا إلى موسى ﷺ.

العالية وابن جريج والربيع بن أنس: هم قوم موسى تمسكوا بطريقة ولم يزيغوا ولما وقع الاختلاف في القوم اعتزلوا وصاروا إلى أن بلغوا وراء «الصين[1]» وقال آخرون: هم عبد الله بن سلام[2] وأصحابه][3] قوله تعالى: ﴿**وقطعناهم**﴾ يعني قوم موسى يقول: فرقناهم ﴿**اثنتي عشرة أسباطاً أمماً**﴾ يعني أولاد يعقوب وكانوا اثني عشر ابناً كل واحد [منهم سبطاً فكانوا][4] اثني عشر سبطاً قال الفراء: وإنما قال اثنتي عشرة والسبط مذكر لأن بعده أمماً فذهب التأنيث إلى الأمم[5] وقال الزجاج[6]: «المعنى وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أسباطاً فالأسباط من نعت الفرقة والتأنيث في العدد وإنما وقع لتقدير الفرقة في الكلام، ولهذا جمع الأسباط وإن كان ما فوق العشرة من العدد لا يفسر بالجمع» والأسباط في الحقيقة نعت المفسر المحذوف وهو الفرقة[7]، وقوله ﴿**فانبجست**﴾ بجس الماء وانبجاسه: انفجاره[8] يقال: بجس الماء يبجس وانبجس وتبجس إذا تفجر وهذه الآية واللتان بعدها مفسرة في سورة البقرة.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

قوله تعالى ﴿**واسألهم**﴾ يعني أسباط اليهود سؤال تقرير وتوبيخ يقررهم النبي ﷺ قديم كفرهم ومخالفة أسلافهم الأنبياء في ارتكاب المعاصي ويخبرهم بما لا يعلم إلا بوحي، وتلك القرية هي أيلة[9] في قول ابن عباس برواية الوالبي[10] وقوله:

---

(١) تقدم وقال عنه الحافظ ابن كثير (٤٩١/٣) إنه خبر عجيب، وذكره الطبري في التفسير ١٧٣/١٣ وقال الشيخ شاكر ولا حجة في رواية موقوفة على السدي وقال الألوسي ٨٤/٩ بعد حكايتها وضعف هذه الحكاية ابن الخازن، وأنا لا أراها شيئا، ولا أظنك تجد لها سندا يعول عليه ولو اتّبعت نفقا في الأرض أو سلما في السماء.
وانظر تفسير الخازن ٣٠٠/٢، وضعفه الرازي نقلا عن بعض المحققين ٢٧/١٥.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٦/٤، وانظر الرازي ٢٧/١٥بحر العلوم آية (١٥٩)وانظر تفسير البغوي ٢٠٦/٢ وانظر فتح القدير ٢٥٥/٢.

(٣) ما بين المعكوفين سقط في ب، ج.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣٩٧/١ الرازي ٢٨/١٥ القرطبي ١٩٣/٧ البغوي ٢٠٧/٢.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٣٨٣/٢ الرازي ٢٨/١٥ القرطبي ١٩٣/٧ البغوي ٢٠٧/٢.

(٧) وقال أبو علي الفارسي ليس قوله (أسباطاً) تمييزاً، ولكنه بدل من قوله (اثنتي عشرة) الرازي (٢٨/١٥).

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣٠/١.

(٩) بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، مراصد الاطلاع ١٣٣/١.

(١٠) الطبري ١٨٠/١٣ (١٥٢٥٢) البغوي ٢٠٨/٢ونسبه في البحر لابن مسعود وأبي صالح عن ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة=

﴿التي كانت حاضرة البحر﴾ أي: التي هي مجاورة البحر ويقربه وعلى شاطئه ﴿إذ يعدون في السبت﴾ أي: يظلمون فيه بصيد السمك قال ابن عباس: «يصيدون الحيتان ويفعلون ما نهوا عنه[1]» ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على الماء جمع شارع وشارعة[2] قال المفسرون[3]: إن اليهود أمروا بتعظيم السبت وحرم عليهم فيه الصيد فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها فإذا انقضى السبت ذهبت فلم تر إلى السبت المقبل، بلاء ابتلوا به فذلك قوله: ﴿ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾ أي يوم لا يفعلون سبتهم لا تأتيهم الحيتان وانقطع الكلام [ثم قال][4]: ﴿كذلك نبلوهم﴾ أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿كذلك﴾ والمعنى: لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الإتيان الذي يأتي يوم السبت، ثم استأنف فقال ﴿نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ أي: نشدد عليهم المحنة بفسقهم وعصيانهم الله تعالى، والوجهان ذكرهما الزجاج وابن الأنباري[5] قوله تعالى: ﴿وإذ قالت أمة منهم﴾ قال أهل التفسير [6]: «افترق أهل القرية ثلاث فرق فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد وقالت للفرقة الأولى الناهية ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين فقالت الفرقة الناهية ﴿معذرة إلى ربكم﴾ أي موعظتنا إياهم معذرة، والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله تعالى، ومن نصب معذرة [7] فعلى معنى نعتذر معذرة وقوله: ﴿ولعلهم يتقون﴾ أي: وجائز عندنا أن ينتفعوا[8] بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا المعصية قوله: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ قال ابن عباس: «تركوا ما وعظوا به»[9] ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء﴾ ـ يعني ـ الفرقة الناهية ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ قال المفسرون: «بشديد من العذاب[10]» يقال: بؤس يبؤس بؤساً إذا اشتد فهو بئيس وقرأ نافع بيئس [11] جعل بئس الذي

= والسدي وعكرمة (٤/ ٤١٠) انظر الرازي ١٥/ ٣١ القرطبي ٧/ ١٩٤ تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩٢، روح المعاني ٩/ ٩٠ والشوكاني في الفتح بلا نسبة ٢/ ٢٥٦.

(١) الطبري ٢/ ٢٠٨ الرازي ١٥/ ٣١ البحر المحيط ٤/ ٤١٠ القرطبي ٧/ ١٩٤ فتح القدير ٢/ ٢٥٧ روح المعاني ٩/ ٩٠.

(٢) وكل شيء دان من شيء فهو شارع، ودار شارعة: أي دنت من الطريق، ونجوم شارعة: أي دنت من المغيب، وقال الليث: حيتان شرع رافعة رؤوسها، مجاز القرآن (١/ ٢٣٠).

(٣) انظر تفسير الطبري ١٣/ ١٨٣، ١٨٤ ابن كثير ٣/ ٤٩٢ الرازي ١٥/ ٣١ ـ ٣٢ القرطبي ٧/ ١٩٤ البغوي ٢/ ٢٠٨ البحر المحيط ٤/ ٤١٠ ـ ٤١١ فتح القدير ٢/ ٢٥٧.

(٤) سقط في ب. (٥) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٨٥ وانظر تفسير الرازي ١٥/ ٣٢ القرطبي ٧/ ١٩٤.

(٦) البحر المحيط ٤١٢ القرطبي ٧/ ١٩٥ الرازي ١٥/ ٣٣ انظر فتح القدير ٢/ ٢٥٧ وانظر البغوي ٢/ ٢٠٨.

(٧) (قالو معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) ١٦٤.
قرأ حفص عن عاصم: (قالوا معذرة) بالنصب على المصدر. وقرأ الباقون: (معذرة) بالرفع. قال سيبويه: معناه موعظتنا إياهم معذرة فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء لعلهم يتقون. انظر الحجة لابن زنجلة ص (٣٠٠). وانظر النشر ٢/ ٢٧٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٦٦ البحر المحيط ٤/ ٤١٢، القرطبي ٧/ ١٩٥ فتح القدير ٢/ ٢٥٧ البغوي ٢/ ٢٠٨ الرازي ١٥/ ٣٢، روح المعاني ٩/ ٩١ تفسير أبي السعود ٢/ ٢٨٥.

(٨) في ج (أن ينفعوا بالمعذرة).

(٩) بحر العلوم للسمرقندي آية ١٦٥ البغوي ٢/ ٢٠٩ انظر تفسير الرازي ١٥/ ٣٣ وانظر البحر المحيط ٤/ ٤١٢ وانظر تفسير أبي السعود ٣/ ٢٨٦، وانظر فتح القدير ٢/ ٢٥٧ وانظر روح المعاني ٩/ ٩٢.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٣٨٦ البحر المحيط ٤/ ٤١٢ البغوي ٢/ ٢٠٩، فتح القدير ٢/ ٢٥٧، أبو السعود ٣/ ٢٨٦ القرطبي ٧/ ١٩٦ الرازي ١٥/ ٣٣، روح المعاني ٩/ ٩٢ ـ ٩٣ بحر العلوم آية ١٦٥.

(١١) انظر في هذا وفيما بعدها النشر ٢/ ٢٧٢ حجة القراءات لابن زنجلة ص٣٠٠ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٦٦ البحر المحيط ٤/ ٤١٢ ـ =

هو فعل اسماً فوصف به ومثله ما روي: «أن الله تعالى ينهى عن قيل وقال»[١] وقراءة ابن عامر كقراءة نافع إلا أنه حقق الهمزة وقراءة أبي بكر[٢] بيئس مثل«ضيغم» «وحيدر»[٣] وهو كثير في الصفة ثم فسر ذلك العذاب الشديد [فقال][٤]: ﴿فلما عتوا عما نهوا عنه﴾ المعنى: عتوا عن ترك ما نهوا عنه واستكبروا عن تركه ﴿قلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ وهذا مفسر في سورة البقرة[٥].

وروى ابن جريج عن عكرمة قال: دخلت على ابن عباس وهو يقرأ في المصحف ويبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: هل تعرف أيلة؟ قلت: وما أيلة؟ قال: قرية كان بها ناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت وكانت تأتيهم يوم سبتهم شرعاً، تأتي واردة إلى الماء بيضاء سماناً كأمثال المخاض[٦] بأفنيتهم وأبنيتهم فإذا كان في غير يوم السبت لم يدركوها ولم يجدوها إلا بمشقة، ثم إن رجلاً منهم أخذ حوتاً يوم السبت فربطه إلى رد[٧] في الساحل، وتركه في الماء حتى إذا كان الغد أخذه فأكله ففعل ذلك أهل بيت منهم حتى فشا ذلك فيهم وكثر، فافترقوا عند ذلك ثلاث فرق وقالت الفرقة الناهية للفرقة الظالمة: والله لا نبايتكم في مكان وفارقوهم فغدوا عليهم يوماً وضربوا باب السور فلم يجبهم أحد فتسور عليهم واحداً فقال: يا عباد الله [قد صاروا][٨] قردة والله لها أذناب تتعاوى ثم فتح الباب ودخل الناس عليهم فعرفت القرود أنسابها من الأنس فيأتي القرد إلى نسيبه من الأنس فيحتك به ويقول الإنسان: أنت فلان؟ فيشير برأسه أي نعم ويبكي فيقول لهم الإنس: أما إنا حذرناكم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو مسخ قال ابن عباس فأسمع الله يقول: ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾ فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة فقال عكرمة: فقلت له: جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا حيث قالوا: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ وإن لم يقل الله: أنجيتهم لم يقل أيضاً أهلكتهم، فأعجبه قولي فرضي وأمر لي ببردين[٩] فكسانيهما[١٠] وهذا أيضاً قول الحسن قال: نجت فرقتان وهلكت فرقة[١١] » وقال ابن زيد[١٢]: نجت الناهية وهلكت الفرقتان» وهذه الآية أشد آية في ترك النهي عن المنكر، قوله: ﴿وإذ تأذن ربك﴾ تأذن بمعنى أذن أي: أعلم وقال ربك ﴿ليبعثن عليهم﴾ على اليهود ﴿إلى يوم

= ٤١٣. القرطبي ١٩٦/٧ البغوي ٢٠٩/٢ تفسير الرازي ٣٣/١٥ فتح القدير ٢٥٧/٢.

(١) أخرجه البخاري ٣٩٨/٣ في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿يسألون الناس إلحافا﴾ (١٤٧٧) وأخرجه مسلم ١٣٤٠/٣ في كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل ١٧١٥/١٠.

(٢) شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحناط بالنون الأسدي، النهشلي، الكوفي، الإمام العلم راوي عاصم، اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولا أصحها شعبة، وقيل أحمد وعبد الله وعنترة وسالم وقاسم ومحمد، وغير ذلك، ولد سنة خمس وتسعين. وكان إماما كبيرا عالما عاملا وكان يقول: أنا نصف الإسلام، وكان من أئمة السنة غاية النهاية (٣٢٥/١).

(٣) وهما من أسماء الأسد.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) انظر الآية رقم ٦٥.

(٦) المخاض الحوامل من النوق، لسان العرب ٤١٥٣/٦.

(٧) أي إلى حافة البحر.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) نوع من الثياب معروف، والبردة: الشملة المخططة، وقيل كساء أسود مربع تلبسه الأعراب النهاية في غريب الحديث ١١٦/١.

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ١٨٨/١٣ ـ ١٩٠(١٥٢٧٢) وابن كثير في التفسير ٤٩٤/٣ ـ ٤٩٥ وذكره الرازي في التفسير ٣٣/١٥ والبغوي ٢٠٩/٢ القرطبي ١٩٥/٧ والشوكاني في فتح القدير ٢٥٩/٢ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه وانظر روح المعاني ٩٢/٩ بحر العلوم آية،(١٦٥).

(١١) القرطبي ١٩٥/٧ البغوي ٢٠٩/٢.

(١٢) البغوي ٢٠٩/٢ روح المعاني ٩٢/٩ ونقلة الرازي عن ابن عباس ٣٣/١٥. وقال الحافظ ابن كثير ٤٩٦/٣ والروح إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى.

القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ قال المفسرون[١]: هم العرب محمد ـ ﷺ ـ وأمته بعثهم الله على اليهود [إلى يوم القيامة][٢] يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية **﴿إن ربك لسريع العقاب﴾** لمن استحق تعجيله لأنه لا يتأخر عن وقت إرادته.

وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ فرقهم الله فتشتت أمرهم ولم تجتمع لهم كلمة **﴿منهم الصالحون﴾** قال «ابن عباس» ومجاهد[٣]: «هم الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به» **﴿ومنهم دون ذلك﴾** يريد الذين كفروا **﴿وبلوناهم﴾** عاملناهم معاملة المبتلي المختبر **﴿بالحسنات﴾** وهي: الخصب والعافية **﴿والسيئات﴾** وهي الجدب والشدائد وكل واحد من الحسنات والسيئات يدعوا إلى الطاعة أما النعم فلارتباطها والازدياد منها وأما النقم فلكشفها، والسلامة منها وقوله: **﴿لعلهم يرجعون﴾** قال ابن عباس[٤] «كي يتوبوا» **﴿فخلف﴾** بعد هؤلاء الذين قطعهم الله **﴿خلف﴾** من اليهود وهم أولادهم الذين أتوا بعدهم قال ابن السكيت يقال هذا خلف صدق وهذا خلف سوء، وهؤلاء خلف سوء، جمعه وواحده سواء وأنشد:

وَبَقِيتُ في خَلفٍ كَجِلْدِ ٱلأَجْرَبِ[٥]

وقال الزجاج «يقال للقرن الذي يجيء في أثر قرن خلف»[٦] وقوله: **﴿ورثوا الكتاب﴾** يعني التوراة أخذوها من آبائهم، **﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾** جميع متاع الدنيا عرض، يقال: «الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر»[٧] قال ابن عباس: «ما أشرف لهم من الدنيا أخذوه[٨]» وأراد بالأدنى العالم الأدنى، وهو الدار الفانية

---

(١) الطبري ٢٠٥/١٣ تفسير ابن كثير ٤٩٧/٣ البحر المحيط ٤١٤/٤ فتح القدير ٢٦٠/٢ القرطبي ١٩٧/٧ الرازي ٣٥/١٥ وانظر روح المعاني ٥٩/٩ وانظر تفسير أبي السعود ٢٨٧/٣.

(٢) سقط في ب، ج.

(٣) القرطبي ١٩٧/٧ الرازي ٣٦/١٥ البحر المحيط ٤١٤/٤ فتح القدير ٢٦٠/٢ تفسير أبي السعود ٢٨٧/٣ روح المعاني ٩٥/٩.

(٤) البغوي ٢١٠/٢ البحر المحيط ٤٥١/٤ انظر القرطبي ١٩٧/٧، وروح المعاني ٩٥/٩.

(٥) عجز بيت للبيد بن ربيعة وصدره:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم. . . . .

انظر ديوانه ص ٣٦ وانظر البيت في البحر المحيط (٤١٥/٤) والرازي في التفسير (٣٧/١٥) وفي القرطبي (١٩٧/٧) وفتح القدير (٢٦٠/٢) روح المعاني (٩٦/٩) وانظر بقية التخريج في تحقيقنا على البحر المحيط.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٣٨/٢ والفراء ٣٩٩/١ البحر المحيط ٤١٥/٤ الرازي ٣٦/١٥ وحكاه البغوي في التفسير بلا نسبة ٢١٠/٢.

(٧) أخرجه الشافعي في المسند ١٤٨/١ (٤٢٩) وانظر تفسير القرطبي ٣٣٩/٥ ونسبة أبو حيان لأبي عبيدة، انظر البحر ٤١٦/٤ وكذلك الرازي في التفسير ٣٧/١٥.

(٨) الطبري ٢١٢/١٣ وابن كثير ٤٩٨/٣ البغوي ٢١٠/٢ الشوكاني في فتح القدير ٢٦١/٢.

﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ قال المفسرون[1] «هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب، إذا أشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلالاً كان أو حراماً، ويتمنون على الله المغفرة، وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه قال الله تعالى ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق﴾ قال ابن عباس[2]: وكد الله عليهم في التوراة ألا يقولوا على الله إلا الحق. فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار ﴿ودرسوا ما فيه﴾ وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك ولو عقلوا لعملوا للدار الآخرة» وهو قوله: ﴿والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ قوله: ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ يقال: مسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به، وروى أبو بكر عن عاصم: «يُمْسِكُون» مخففة[3]، وهو رديء[4] لأنه لا يقال أمسكت بالشيء [وإنما يقال: أمسكت الشيء][5]، ومعنى يمسكون بالكتاب يؤمنون به ويحكمون بما فيه، قال عامة المفسرين: «نزلت في [بني إسرائيل][6] مؤمني أهل الكتاب[7].

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

قوله تعالى ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ أي رفعناه باقتلاع له من أصله يقال نتقه ينتقه نتقاً إذا قلعه من أصله.

وقوله: ﴿كأنه ظلّة﴾ كل ما أظلك من سقف بيت أو سحابة أو جناح حائط فهو ظلة والجمع ظلل وقوله: ﴿وظنوا أنه واقع بهم﴾ أي: علموا وأيقنوا وذكرنا تفسير هذه الآية في سورة البقرة عند قوله: ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ الآية[8].

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن نصر الميرادي أنا محمد بن أيوب أنا محمد بن عبد الله بن أبي جعفر الرازي نا نصر بن باب عن داود عن الشعبي عن ابن عباس أنه قال: «إني لأعلم لأي شيء سجدت اليهود على حرف جباهها لما رفع الله الجبل فوقهم كأنه ظلة سجدوا فجعل أحدهم ينظر بشقه وهو ساجد متى يقع عليه الجبل فكانت سجدة رضي الله بها عنهم فاتخذوها سنة[9]» وباقي الآية مفسرة في سورة البقرة.

---

(١) القرطبي ١٩٨/٧ والزجاج ٣٨٨/٢ الشوكاني في الفتح ٢٦٠/٢. البغوي ٢١٠/٢ الرازي ٣٧/١٥ بحر العلوم آية ١٦٧.

(٢) البحر المحيط ٤١٧/٤ البغوي ٢١٠/٢ القرطبي ١٩٨/٧ أبو السعود ٢٨٨/٣ روح المعاني ٩٦/٩ ـ ٩٧ فتح القدير ٢٦٠/٢.

(٣) انظر النشر ٢٧٣/٢ حجة القراءات ص ٣٠١ إتحاف فضلاء البشر ٦٨/٢. البحر المحيط ٤١٧/٤ ـ ٤١٨ البغوي ٢١١/٢ القرطبي ١٩٩/٧، انظر الرازي ٣٧/١٥ ابو السعود ٢٨٨/٣ وروح المعاني ٩٨/٩ فتح القدير ٢٦١/٢.

(٤) وقال في البسيط والتشديد أقوى، وتعبيره هنابالرداءة مردود،لأن القراءة من القراءات العشر المتواترة التي لا تثبت بالقياس، والجواب عن قراءة أبي بكر أن العرب تزيد الباء، وفي كتاب الله تعالى ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾ الإنسان (٦) أي: يشربها، والباء صلة فكذلك تقول أمسكت بالشيء معناه: أمسكت الشيء.

(٥) سقط في أ.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) انظر فتح القدير للشوكاني ٢٦٢/٥ البغوي ٢١١/٢ روح المعاني ٩٨/٩ تفسير أبي السعود ٢٨٨/٤، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا هو الأعم عند الأصوليين.

(٨) انظر الآية رقم ٦٣.

(٩) إسناده ضعيف لضعف ناصر بن باب أبو سهل، قال ابن معين: ليس حديثه بشيء، وقال البخاري: يرمونه بالكذب، وقال: ما كان به بأس وإنما أنكر عليه حين حدث عن إبراهيم الصائغ الميزان ٢٥٠/٤ المجروحين ١٥٣/٣ الضعفاء للعقيلي ٣٠٢/٤ (١٩٠٢). =

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

قوله عز وجل: ﴿وإذ أخذ ربك من بني ءادم﴾ الآية.

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا مصعب الزبيري(١) حدثني مالك عن زيد ابن أبي أنيسة(٢) أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني (٣) أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سئل عن هذه الآية **﴿وإذ أخذ ربك من بني ءادم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم﴾** الآية. فقال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ سئل عنها فقال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به في الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه(٤) عن ابن الأخرم عن حامد بن أبي

= وأخرجه الطبري في التفسير ٢١٨/١٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٠/٣ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وذكره الشوكاني في فتح القدير (٢٦٢/٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(١) في أ (مصعب الزهري) وهو خطأ، وصوابه مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، الأسدي أبو عبد الله الزبيري المدني، سكن بغداد. روى عن أبيه ومالك والدراوردي وابن أبي حازم وخلق وثقه الدارقطني وجماعة انظر التهذيب (١٦٢/١٠).

(٢) زيد بن أبي أنيسة، واسمه زيد الجزري أبو أسامة الرهاوي، كوفي الأصل غنوي مولاهم روى عن أبي إسحاق السبيعي وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن السائب، وأبي الزبير وأبي الزناد، والحكم بن عتيبة، وسعيد بن أبي بردة، وطلحة بن مصرف، وأبي زيد عبد الملك بن ميسرة الزراد، وعدي بن ثابت، وعمرو بن مرة، والمنهال بن عمرو ويحيى بن الحصين، ويونس بن خباب، والزهري، وغيرهم. وعنه مالك، ومسعر، ومعقل بن عبيد الله، وأبو عبد الرحيم الحراني، وعبيد الله بن عمرو الرقي وغيرهم. وروى عنه مجالد بن سعيد وهو في عداد شيوخه، قال ابن معين: ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس انظر التهذيب (٣٩٧/٣).

(٣) مسلم بن يسار الجهني. عن عمر قوله في تفسير وإذ أخذ ربك. وقيل عن نعيم بن ربيعة عن عمر وعنه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي ذكره ابن حبان في الثقاة. وقال العجلي: بصري تابعي ثقة. انظر التهذيب ١٤٢/١٠.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧/١، ٣٢٤/٢، ٥٤٤ وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي في الموضع الأول وقال (فيه إرسال) وأخرجه مالك في الموطأ ٨٩٨/٢ وأخرجه أبو داود في كتاب السنة رقم ٤٧٠٣ (٤٧٠٤) والترمذي في التفسير رقم (٣٠٧٥) وقال حسن وأحمد في المسند ٤٤/١ ـ ٤٥ وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٩٦، ٢٠١) وابن حبان في صحيحه أورده الهيثمي في الموارد ١٨٠٤ وذكره السيوطي في الدر ١٤٢/٣ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، وأخرجه البغوي في التفسير ٢١١/٢ وقال: ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلاً، وذكره الرازي في التفسير ٣٩/١٥ والقرطبي في التفسير ٢٠٠/٧ وأخرجه الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٠٣/٣ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢٦٣/٢ وعزاه لمالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في التاريخ، وأبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة.

حامد المقري عن إسحاق بن سليمان[١] عن مالك.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن الهيثم الأنباري جعفر بن محمد بن شاكر[٢] نا الحسين بن محمد المروزي نا جرير وعن كلثوم بن جبر[٣] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ أخذ الله عز وجل الميثاق من ظهر آدم بنَعْمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلاً [معاينة][٤] فقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين تلاها إلى قوله ﴿المبطلون﴾[٥] قوله تعالى: ﴿من ظهورهم﴾ قال الزجاج: «هو بدل من بني آدم المعنى: وإذ أخذ ربك من ظهور بني آدم»[٦] وقال الكتاني: «لم يذكر ظهر آدم وإنما أخرجوا جميعاً من ظهره لأن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالده الأبناء من الآباء فاستغني عن ذكر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره»[٧] قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فنودي يومئذ أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٨]، وقال مقاتل: «إن الله مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منها ذرية بيضاء كهيئة الذر [يتحركون][٩]، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيئة الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعاً في صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء» قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأول ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾[١٠] وهذا قول جماعة المفسرين[١١] وقالت طائفة

---

(١) إسحاق بن سليمان الرازي أبو يحيى العبدي، كوفي نزل الري. روى عن مالك وابن أبي ذئب، وحريز بن عثمان، وحنظلة بن أبي سفيان، وافلح بن حميد، وداود بن قيس الفراء، ومغيرة بن مسلم السراج، وعنبسة بن سعيد الرازي، وأبي جعفر الرازي، وغيرهم وعنه قتيبة وعمرو الناقد وغيرهم ثقة انظر التهذيب (١/٢٣٤).

(٢) جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ أبو محمد البغدادي. روى عن عمرو بن حماد بن طلحة وأبي نعيم وأبي غسان النهدي وحبان بن موسى ومعدويه ومعاوية بن عمرو الأزدي وغيرهم. قال ابو الحسين بن المنادي: كان ذا فضل وعبادة وزهد وانتفع به خلق كثير في الحديث. قال: وتوفي يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من ذي الحجة سنة (٢٧٩) أكثر الناس عنه لثقته وصلاحه. انظر التهذيب (٢/١٠٢).

(٣) كلثوم بن جبر أبو محمد، ويقال أبو جبر البصري، روى عن عبد الله بن الزبير وأبي الغادية الجهني، وأنس وأبي الطفيل، وسعيد ابن جبير، وقزعة بن يحيى، ومسلم بن يسار وغيرهم وثقه أحمد وابن معين وقال النسائي ليس بالقوي انظر التهذيب (٨/٤٤٢).

(٤) سقط في ب، ج.

(٥) إسناد المصنف حسن والحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٧٢/١، وأخرجه النسائي في التفسير ٥٠٦/١ وأخرجه الطبري في التفسير ٢٢٢/١٣، وابن كثير في التفسير ٥٠١/٣ وابن أبي عاصم في السنة رقم (٢٠٢) والحاكم في المستدرك ٢٧/١، ٥٤٤/٢ وصححه وأقره الذهبي وذكر السيوطي في الدر ١٤٢/٣ وزاد نسبته لأبن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس مرفوعاً وذكره الشوكاني في الفتح ٢٦٣/٢.

(٦) معاني القرآن ٣٩٠/٢ القرطبي ٢٠١/٧ وانظر البغوي ٢١٢/٢ فتح القدير ٢٦٣/٢ بحر العلوم آية ١٧٢ تفسير أبي السعود ٢٨٩/٣.

(٧) القرطبي ٢٠٢/٧ الرازي ٣٩/١٥، ٤٣ وانظر تفسير أبي السعود ٢٨٩/٣ بحر العلوم آية ١٧٢ وانظر تفسير روح المعاني ١٠٠/٩.

(٨) أشار له الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٠٦/٣ والرازي في التفسير ٣٩/١٥ بحر العلوم للسمرقندي آية ١٧٢.

(٩) سقط في ب، ج.

(١٠) سورة الأعراف ١٠٢.

(١١) البغوي ٢١٢/٢، الرازي ٣٩/١٥.

منهم[*][(١)]: إن أهـل السعادة من الذرية أقروا طوعاً وإن أهل الشقاوة أقروا تقية وكرها وذلك معنى قوله: ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾[(٢)] وقال الزجاج: جـائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهما يعقل به، كما قال: ﴿قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [(٣)] وكما قال: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطيرَ﴾[(٤)] وقـوله: ﴿**شهدنا**﴾ قال الكلبي [(٥)]: «لما قالت الذرية بلى قال الله للملائكة اشهدوا، فقالوا: شهدنا» وقال السـدي[(٦)]: «هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم» ويحسن الوقف على قوله: بلى، لأن كلام الذرية [(٧)] قد انقطع [(٨)] وقوله: ﴿**أن تقولوا**﴾ معناه لئلا تقولوا ، كما قال: ﴿**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم**﴾ ويجوز أن يكون التقدير: شهدنا كراهية أن تقولوا وقرأ أبو عمرو[(٩)] بالياء، لأن الذي تقدم من الياء على الغيبة وكلا الوجهين حسن لأن الغيب هم المخاطبون في المعنى قال المفسرون: «وهذه الآية تذكير بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار إنا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نحفظه ولم نذكره[(١٠)]» ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله بذلك على لسان صاحب المعجزة، وإذا صح ذلك يقول الصادق قام في النفوس مقام الذكر، فالاحتجاج به قائم ثم قطع عذر الكفار بقوله: ﴿**أو تقولوا إنما أشرك ءاباؤنا من قبل**﴾ [لا يستطيع أحد من الذرية الكافرة أن يقول يوم القيامة: إنما أشرك آباؤنا من قبلنا][(١١)]، ونقضوا العهد ﴿**وكنا ذرية من بعدهم**﴾ [فاقتدينا بهم][(١٢)] ﴿**أفتهلكنا بما فعل المبطلون**﴾ أفتعذبنا بما فعل المشركون المكذبون بالتوحيد؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله بأخذ الميثاق بالتوحيد على كل واحد من الذرية، قوله تعالى ﴿**وكذلك نفصل الآيات**﴾ أي: وكما بينا في أخذ الميثاق نبين الآيات، ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى مدلولها ويعملوا بموجبها، وهو بمعنى قوله: ﴿**ولعلهم يرجعون**﴾ أي: ولكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

---

(١) البغوي ٢/٢ بحر العلوم آية ١٧٢ الألوسي ١٠٥/٩.
(٢) سورة آل عمران ٨٣.
(٣) سورة النمل ١٨.
(٤) سورة الأنبياء ٧٩ وانظر معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٠ البغوي ٢/٢١٢ الرازي ١٥/٤٠.
(٥) البغوي ٢/٢١٢ وانظر البحر المحيط ٤/٤٢١.
(٦) البغوي ٢/٢١٢ البحر المحيط ٤/٤٢١ وانظر القرطبي ٧/٢٠٢.
(٧) لأن (أن) متعلقة بما قبل بلى من قوله (وأشهدهم على أنفسهم) لئلا يقولوا. القرطبي ٧/٢٠٢.
(٨) قرأ ابن عامر وأبو عمرو: (من ظهورهم ذرياتهم) بالألف وكسر التاء. وحجتهم أن الذريات: الأعقاب المتناسلة وأنها إذا كانت كذلك كانت أكثر من الذرية. وقرأ أهل مكة والكوفة: (ذريتهم) وحجتهم أن الذرية لما في الحجور وما يتناسل بعد، والدلالة على ذلك قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) فلا شيء أكثر من ذرية آدم، والذين لم يرهم آدم من ذريته أكثر من الذين رآهم، وقد أجمعوا هنا على ذرية بلا خلاف بين الأمة، فكان رد ما اختلفوا إلى ما أجمعوا عليه أولى بالصواب انظر الحجة (٣٠١).
(٩) انظر حجة القراءات (٣٠٢) وانظر النشر ٢/٢٧٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/٦٩ القرطبي ٧/٢٠٢، الرازي ١٥/٤٤ البحر المحيط ٤/٤٢١.
(١٠) الطبري ١٣/٣٢٠ ابن كثير ٣/٥٠٠ الرازي ١٥/٤٤ البحر المحيط ٤/٤٢٠ ـ ٤٢١، البغوي ٢/٢١٢ ـ ٢١٣ أبو السعود ٣/٢٨٩ ـ ٢٩٠ روح المعاني ٩/١٠٠ ـ ١٠١ فتح القدير ٢/٢٦٣.
(١١) سقط في ب.
(١٢) سقط في ج.

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي ءاتيناه ءاياتنا﴾ أي: اقرأ وقُصّ على قومك خبر الذي علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته ﴿فانسلخ منها﴾ أي: خرج منها وفارقها ﴿فاتبعه الشيطان﴾ لحقه وأدركه ﴿فكان من الغاوين﴾ قال ابن عباس: «أطاع الشيطان فكان من الضالين[١]»، نزلت الآية في «بلعم ابن باعوراء»، كان عنده اسم الله الأعظم فقصد موسى بلده الذي هو فيه وغزى أهله وكانوا كفاراً، فلم يزل قوم بلعم به حتى دعا عليهم وكان مجاب الدعوى بذلك الإسم الذي كان عنده فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائهم، فقال موسى: يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ قال: بدعاء «بلعم» قال موسى: فكما سمعت دعاءه علي، فاسمع دعائي عليه، فدعا موسى عليه أن ينزع منه الاسم الأعظم والإيمان، فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء»[٢]، وقال ابن عباس في رواية الوالبي: «هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم، وكان يعلم اسم الله الأكبر فلما نزل بهم موسى أتاه بنو عمه وقومه وقالوا: إن موسى رجل حديد، ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يردهم عنا قال: إني إن دعوت عليهم ذهب دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه»[٣] وقوله: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ وفقناه للعمل بها فكنا نرفع به منزلته ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ سكن إلى الدنيا ومال إليها والأرض في هذه الآية عبارة عن الدنيا، وذلك أن الدنيا هي الأرض، لأن ما فيها من العقار والرباع[٤] والضياع[٥] كلها أرض وسائر متاعها يستخرج منها، وقوله: ﴿واتبع هواه﴾ إنقاد لما دعاه إليه الهوى، قال ابن زيد[٦]: «كان هواه مع القوم» وهذه الآية هي أشد الآي على ذوي العلم[٧] وذلك أن الله تعالى أخبر أنه أتاه آياته من إسمه الأعظم، والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ١٧٥ والرازي في التفسير ١٥/٤٦ تفسير أبي السعود ٩/٢٩٢ روح المعاني ٩/١١١.

(٢) ذكره الحاكم في المستدرك، دون ذكره القصة عن عبد الله بن مسعود ٢/٣٢٥ والهيثمي في المجمع ٧/٢٥ عن عبد الله بن مسعود وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وذكره البغوي في التفسير مع ذكر القصة ٢/٢١٣ وبنحوه عند الشوكاني في الفتح ٢/٢٦٥. وذكره السمرقندي في بحر العلوم آية ١٧٥ وذكره الرازي في التفسير ٧/٤٥ وانظر تفسير روح المعاني ٩/١١١ ـ ١١٢. وردت القصة بأن التيه كان روحاً وراحة لموسى عليه السلام وإنما عذب به بنو إسرائيل.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٣/٢٥٥، ٢٥٨ القرطبي ٧/٢٠٣، الرازي ١٥/٤٥ روح المعاني ٩/١١١ ـ ١١٢ وانظر تفسير ابن كثير ٤/٥٠٨.

(٤) في أ، ج (الدباغ) بالباء، والرباع المنازل، النهاية في غريب الحديث ٢/١٨٩ لسان العرب ٣/١٥٦٣.

(٥) العيال وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعا، فسمي العيال بالمصدر، وفي اللسان المال من النحل والكرم وهي الأرض المغلة، لسان العرب ٤/٢٦٢٤، النهاية ٣/١٠٨.

(٦) البغوي في التفسير ٢/٢١٦ القرطبي ٧/٢٠٤ الشوكاني في فتح القدير ٢/٢٦٥.

(٧) انظر تفسير الرازي ١٥/٤٦ ـ ٤٧ البغوي ٢/٢١٦.

وإتباع الهوى تغيير النعمة عليه والإنسلاخ منها ومن الذي يسلم من هاتين الخلتين إلا من عصمه الله، ثم ضرب [الله][١] له مثلاً فقال: ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ يقال: لهث الكلب يَلْهَثُ لَهْثاً وَلُهَاثاً: إذا دلع لسانه، قال مجاهد[٢]: «هذا مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به والمعنى أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجز، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثاً وإن ترك وربض[٣] كان لاهثاً، وذلك أن بلعم زجر ونهي عن الدعاء [على موسى] [٤] وخاطبته أتانهُ التي كان يركبها بذلك فلم ينزجر ولم ينتفع بالزجر وهذا التمثيل لم يقع لكل كلب وإنما وقع بالكلب اللاهث وذلك أحسن ما يكون وأبشعه» ثم عم بهذا التمثيل جميع من يكذب بآيات الله فقال: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وقال ابن عباس [٥] «يريد أهل مكة كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه، فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب» وقوله ﴿فاقصص القصص﴾ قال عطاء: «قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم»[٦] ﴿لعلهم يتفكرون﴾ يتعظون قوله: ﴿ساء مثلاً﴾ يقال: ساء الشيء يسوء فهو سيّىء إذا قبح، قال ابن عباس: يريد بأس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا[٧]، قال الزجاج «وتقدير الكلام ساء مثلاً مثل القوم، ثم حذف المضاف وانتصب مثلاً على التمييز، وساء ها هنا بمنزلة بأس»[٨] ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ من يتول الله هدايته فهو المهتدي ﴿ومن يضلل﴾ من أضله الله وخذله ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ خسروا الآخرة ونعيمها.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم﴾ الآية، أخبر الله تعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة، ومن خلقه الله لجهنم فلا حيلة له في الخلاص منها.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر [الزيادي[٩]أنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل القطان نا][١٠] محمد بن يزيد

---

(١) سقط في ب، ج.
(٢) البغوي في التفسير ٢/٢١٦ القرطبي ٧/٢٠٥.
(٣) والربض للكلب كالبروك للإبل، لسان العرب ٣/١٥٥٨ النهاية ٢/١٨٥.
(٤) سقط في أ.
(٥) الرازي ١٥/٤٧ بحر العلوم آية ١٧٥ روح المعاني ٩/١١٦ البحر المحيط ٤/٤٢٥.
(٦) انظر البحر المحيط ٤/٤٢٥ وانظر فتح القدير ٢/٢٦٦، روح المعاني ٩/١١٦.
(٧) البغوي في التفسير ٢/٢١٦ انظر تفسير الرازي ١٥/٤٨ البحر المحيط ٤/٤٢٥.
(٨) الرازي ١٥/٤٨ بحر العلوم آية ١٧٦ انظر فتح القدير ٢/٢٦٦، البغوي ٢/٢١٦ القرطبي ٨/٢٠٥ البحر المحيط ٤/٤٢٥ روح المعاني ٩/١١٦.
(٩) بكسر الزاي وفتح الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها الدال المهملة، هذه النسبة إلى اسم بعض أجداد المنتسب إليه، أبو طاهر الزيادي الفقيه الأديب الشروطي، ولد سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وسمع الحديث سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وتفقه سنة ثمان وعشرين، وأبوه كان من أعيان العباد المتبرك به وبدعائه، وتوفي بعد سنة أربعمائة. انظر الأنساب (٣/١٨٥).
(١٠) سقط في ج.

السلمي نا مؤمل بن إسماعيل[١] نا سفيان الثوري نا طلحة بن يحيى بن طلحة[٢] عن عمته عائشة بنت طلحة[٣] عن عائشة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق الجنة، فخلق لها أهلاً [خلقهم لها][٤] وهم في أصلاب آبائهم [وخلق النار فخلق لها أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم]» رواه مسلم[٥] عن إسحاق بن منصور[٦] عن محمد بن يوسف عن سفيان أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري نا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد [٧] نا علي بن عباد بن محمد نا بكار بن عبد الله السيريني [٨] عن ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -

(١) مؤمل بن إسماعيل العدوي مولى آل الخطاب، وقيل مولى بني بكر أبو عبد الرحمن البصري نزيل مكة روى عن عكرمة بن عمار وأبي هلال الراسبي ونافع بن عمر الجمحي وشعبة والحمادين والسفيانين وغيرهم وثقه ابن معين وقال البخاري منكر التهذيب (١٠/٣٨٠).

(٢) طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمي المدني، نزيل الكوفة، روى عن أبيه وأعمامه، وابني عميه إبراهيم بن محمد بن طلحة، ومعاوية بن إسحاق بن طلحة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ومجاهد بن جبر، وأبي بردة بن أبي موسى وغيرهم وعنه السفيانان وخلق انظر التهذيب (٥/٢٧).

(٣) عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية، أم عمران أمها أم كلثوم بنت أبي بكر روت عن خالتها عائشة، وعنها ابنها طلحة بن عبد الله ابن عبد الرحمن وحبيب بن أبي عمرو وابن أخيها طلحة بن يحيى بن طلحة وابن أخيها الآخر معاوية بن إسحاق وابن ابن أخيها موسى بن عبيد الله بن إسحاق والمنهال بن عمرو وفضيل بن عمرو وعطاء بن أبي رباح وعمر بن سعيد وغيرهم. قال ابن أبي مريم عن ابن معين: ثقة حجة، وقال العجلي: مدنية تابعية ثقة، وقال أبو زرعة الدمشقي حدث عنها الناس لفضلها، وأدبها، وذكرها ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ١٢/٤٣٦ - ٤٣٧.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) إسناد المصنف رحمه الله ضعيف جداً، وعلته محمد بن يزيد السلمي متروك، انظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر ٥/٤٣٠ والحديث من غير طريق المصنف صحيح أخرجه مسلم ٤/٢٠٥٠ في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٣٠- ٣١/ ٢٦٦٢) وأخرجه أبو داود ٤/٢٢٩ في كتاب السنة باب في ذراري المشركين ٤٧١٣ النسائي ٤/٥٧ في الجنائز باب الصلاة على الصبيان ١٩٤٧ وأخرجه البغوي في التفسير ٢/٢١٧.

(٦) الحافظ الإمام الفقيه، أبو يعقوب إسحاق بن منصور المروزي، الفقيه نزيل نيسابور سمع سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وعبد الرزاق والفريابي وطبقتهم وتخرج بأحمد وإسحاق.
روى عنه الجماعة سوى أبي داود وأبو العباس السراج وابن خزيمة وأحمد بن حمدون الأعمشي وخلق كثير. قال مسلم: ثقة مأمون. وقال النسائي: ثقة ثبت. توفي في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (٢/٥٢٤ - ٥٢٥).

(٧) بضم الميم وكسر الفاء وسكون الباء المنقوطة من تحتها بنقطتين وفي آخرها الدال المهملة، هذه اللفظة لمن يفيد الناس الحديث عن المشايخ وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمد يعقوب بن عبد الله الجرجرائي المفيد من أهل جرجرايا، وكان مكثرا من الحديث رحّالاً في طلبه وإنما سماه المفيد موسى بن هارون الحافظ. الأنساب (٥/٣٥٧).

(٨) بكسر السين المهملة، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين بعدها راء وياء أخرى. هذه النسبة إلى والد محمد بن سيرين وهو بكار بن عبد الله بن محمد بن سيرين السيريني، من أهل البصرة. يروي عن ابن عون والعمري أشياء مقلوبة لا يتابع عليها. قال أبو حاتم بن حبان: لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد، روى عنه إبراهيم بن سعيد الجوهري. انظر الأنساب (٣/٣٥٩ - ٣٦٠) وقال البخاري (١/٢/١٢٢) يتكلمون فيه، وقال أبو زرعة: ذاهب الحديث وروى أحاديث مناكير، وقال يحيى: كتبت عنه ليس به بأس، وعده ابن حبان في المجروحين (١/١٩٧) الضعفاء للعقيلي (١/١٥٠) اسناده ضعيف أخرجه عند أحمد في المسند من طريق عمرو بن العاص ٢/١٦٧ والترمذي في السنن ٤/٣٩١ في كتاب القدير باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة والنار، (٢١٤١) وقال حسن غريب صحيح والخطيب في التاريخ ١١/١٠١ وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢/٥٣، وذكر الهيثمي في المجمع ٧/١٨٨.

«إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آباءهم وأسماء آباءهم وقبائلهم مجملاً عليهم لا يزاد فيهم، ولا ينقص إلى يوم القيامة [وخلق النار وخلق لها أهلاً وخلقهم لها وهم في أصلاب آباءهم، بأسماءهم وأسماء آباءهم وقبائلهم مجملاً عليهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة]».

وقوله ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾ قال: «الكلبي»: «لا يعقلون بها الخير والهدى» ﴿**ولهم أعين لا يبصرون بها**﴾ سبيل الهدى والرشاد ﴿**ولهم ءاذان لا يسمعون بها**﴾ مواعظ الله والقرآن والمعنى أنهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يفقه، ولا يبصر، ولا يسمع، وقوله: ﴿**أولئك كالأنعام**﴾ قال مقاتل[١]: يأكلون ويشربون، ولا يلتفتون إلى الآخرة كما تأكل الأنعام وتشرب لا هم لها إلا الأكل كذلك الكافر ﴿**بل هم أضل**﴾ قال الزجاج[٢]: وذلك أن الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند فيقدم على النار ﴿**أولئك هم الغافلون**﴾ عن أمر الآخرة وما فيها من العذاب.

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

قوله تعالى: ﴿**ولله الأسماء الحسنى**﴾ قال المفسرون[٣]: هي ما ذكره أبو هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ما أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي أنا محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل نا أحمد بن يوسف السلمي نا عبد الرزاق بن همام الحميري نا معمر بن راشد عن همام بن منبه[٤] قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يحب الوتر» رواه مسلم[٥] عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق.

---

(١) البغوي بلا نسبة ٢/٢١٧ القرطبي ٢/٢٠٦ البحر المحيط ٤/٤٢٧.

(٢) معاني القرآن ٢/٣٩٢ الرازي ١٥/٥٤ القرطبي ٢/٢٠٦ البغوي ٢/٢١٧ البحر المحيط ٤/٤٢٧ فتح القدير ٢/٢٦٧ روح المعاني ٩/١٢٠.

(٣) الرازي ١٥/٥٤ وما بعدها البغوي ٢/٢١٧ القرطبي ٢/٢٠٦ تفسير ابن كثير ٣/٥١٥ البحر المحيط ٤/٤٢٩ فتح القدير ٢/٢٦٨ بحر العلوم آية (١٨٠) روح المعاني ٩/١٢٣.

(٤) همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني، أبو عقبة الصنعاني الأبناوي. روى عن أبي هريرة ومعاوية وابن عباس وابن عمر وابن الزبير. وعنه أخوه وهب بن منبه وابن أخيه عقيل بن معقل بن منبه وعلي بن الحسن بن اتش ومعمر بن راشد وثقه ابن معين وذكره ابن حبان في الثقات التهذيب (١١/٦٧).

(٥) اخرجه مسلم ٤/٢٠٦٣ في كتاب الذكر باب اسماء الله تعالى ٥/٦/٢٦٧٧ وأحمد في المسند ٢/٣١٤ وأخرجه البخاري ٣/٢٥٩، ٩/١٤٥ طبعة دار الفكر والترمذي رقم (٣٥٠٦)، (٣٥٠٧)، (٣٥٠٨) والحميدي (١١٣٠) وابن حبان أورده الهيثمي في الموارد (٢٣٨٤) وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التاريخ ١٠/٣٧١. وهنا قد ينشأ سؤال وهو: هل الأسماء محصورة في هذا العدد؟ أجاب الحافظ ابن كثير رحمه الله في التفسير فقال: ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة والتسعين، =

قوله ﴿فادعوه بها﴾دعاؤه بها تعظيمه بذكرها كقولك:«يا قدير» «يا عليم» «يا عزيز» «يا كريم»[(١)] ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ معنى الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد وقال ابن السكيت: «الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه»[(٢)] يقال: قد ألحد في الدين ولحد به وبه قرأ حمزة يلحدون من لحد[(٣)]، والذين يلحدون في أسمائه هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه فسموا بها أوثانهم، وزادوا فيها، ونقصوا منها فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا قول ابن عباس ومجاهد[(٤)] وقال الكلبي [(٥)] ويقال: الذين يلحدون [في أسمائه] الذين يكذبون، وعلى هذا فكل من سمى الله بما لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد به توقيف، فقد كذب في ذلك ومال عن الحق وقوله: ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ أي: جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة [جزاء ما كانوا في الدنيا][(٦)] قوله: ﴿وممن خلقنا أمة﴾ الآية قال عطاء عن ابن عباس «يريد [الله][(٧)] أمة محمد ـ ﷺ ـ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون [لهم][(٨)] بإحسان»[(٩)] وقال قتادة:«بلغنا أن نبي الله ـ ﷺ ـ (كان إذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها)[(١٠)] ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ قال الكلبي: يعني أهل مكة كذبوا بمحمد والقرآن ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ قال ابن عباس:«سنمكر بهم»[(١١)] وقال الضحاك: «كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة»[(١٢)] وقال الأزهري: «سنأخذهم قليلاً قليلاً من حيث لا يحتسبون»[(١٣)] وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به، ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون ﴿وأملي لهم﴾ الإملاء:

= بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده (١/٣٩١، ٤٥٢) عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أعلمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها. وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي في صحيحه بمثله. وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي، أحد أئمة المالكية في كتابه تحفة الأحوذي ١٠/٢٨١ أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم فالله أعلم.

(١) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٣٣.

(٢) الرازي ١٥/٥٩ تفسير البغوي ٢/٢١٧.

(٣) انظر النشر ٢/٢٧٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/٧٠ الرازي ١٥/٥٩ البحر المحيط ٤/٤٣٠ القرطبي ٧/٢٠٨ البغوي ٢/٢١٧ روح المعاني ٩/١٢١ بحر العلوم ١٨٠ أبو السعود ٣/٢٩٦.

(٤) البغوي ٢/٢١٨ ابن كثير ٣/٥١٧ ـ القرطبي ٧/٢٠٨ الطبري ١٣/٢٨٢ (١٥٤٥٣) بحر العلوم آية ١٨٠ البحر المحيط ٤/٤٣٠ الرازي ١٥/٥٩ فتح القدير ٢/٢٧٠.

(٥) الطبري ١٣/٢٨٣ (١٥٤٥٦) وابن كثير ٣/٥١٧ البغوي ٢/٢١٨ عن ابن عباس وأبو حيان في البحر ٤/٤٣٠ وذكره الشوكاني عن ابن عباس، وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير.

(٦) من ب فقط.

(٧) سقط في ب، ج.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) البغوي ٢/٢١٨ بحر العلوم آية (١٨١) وأبو حيان في البحر ٤/٤٣٠، الرازي ١٥/٦٠ ورفعه القرطبي ٧/٢٠٩.

(١٠) أخرجه ابن جرير ١٣/٢٨٦ (١٥٤٦٠) وابن كثير ٣/٥١٨ أبو حيان في البحر ٢/٤٣٠ والرازي في التفسير ١٥/٦٠ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٤٩ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١١) ذكره البغوي ٢/٢١٨ عن عطاء في الدر ٣/١٤٩ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(١٢) البغوي في التفسير ٢/٢١٨ بحر العلوم آية ١٨٢ زاد المسير ٣/٢٩٥ ـ القرطبي ٧/٢٠٩. البحر المحيط ٤/٤٣١.

(١٣) تهذيب اللغة (١٠/٦٤٢).

الإمهال وإطالة المدة، وهو نقيض الإعجال، يقول أمهلهم وأطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا في المعاصي ﴿**إن كيدي متين**﴾ قال ابن عباس إن مكري شديد[١] قوله: ﴿**أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة**﴾ قال الحسن وقتادة[٢]: إن النبي ﷺ: قام ليلاً على الصفا يدعو قريشاً فخذاً فخذاً فيقول: يا بني فلان، يا بني فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوت حتى الصباح فأنزل الله هذه الآية وحثهم على التفكر في أمر الرسول ليعلموا أنه إنما دعا للإنذار لا لما نسبه إليه الجهال، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة، والجنة حالة من الجنون ﴿**إن هو**﴾ ما محمد ﴿**إلا نذير**﴾ منذر مخوف إياكم عذاب الله ﴿**مبين**﴾ يبين لكم الهدى وطريق الرشد، ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**﴾ ليستدلوا على أن لها صانعاً مدبراً دبرها على ما أراد، ومضى تفسير ملكوت السموات والأرض في سورة الأنعام[٣] وقوله: ﴿**وما خلق الله من شيءٍ**﴾ أي: وفيما خلق الله من الأشياء كلها قال «ابن عباس»: «يريد من جليل وصغير[٤]» ﴿**وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم**﴾ أي: [وفي أن][٥] لعل آجالهم قريبة فيهلكوا على الكفر ويصيروا إلى النار ﴿**فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾ يعني: بأي كتاب غير ما جاء به محمد ﷺ يصدقون؟ يعني أنه لا نبي بعده ولا كتاب بعد كتابه فإن لم يؤمنوا [بكتابه لم يؤمنوا][٦] بكتاب بعده لأنه لا وحي بعده ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان فقال: ﴿**من يضلل الله فلا هادي له**﴾.

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن يحيى أنا محمد بن جعفر بن مطر أنا جعفر بن محمد بن الليث الزيادي نا عبيد الله بن محمد بن عائشة نا حماد بن سلمة عن خالد الحذاء عن عبد الأعلى [بن عبد الأعلى][٧] عن عبد الله بن الحارث قال: خطبنا عمر بن الخطاب «بالجابية»[٨] فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له فقال نصراني: تركس تركس فقال عمر: ما يقول؟ قالوا: [يقول][٩]: إن الله يهدي ولا يضل قال: كذبت يا عدو الله، الله خلقك وهو أضلك وهو يدخلك النار إن شاء الله لولا قرب [عهد برسول الله ﷺ لضربت عنقك»[١٠] وقوله: ﴿**ويذرهم**﴾ رفع بالاستئناف والانقطاع][١١] مما قبله، وقرأ أبو عمرو بالياء[١٢] لتقدم إسم الله تعالى وقرأ حمزة بالياء والجزم ووجه ذلك فيما يقول سيبويه[١٣]: أنه عطف على موضع الفاء وما بعدها من قوله: ﴿**فلا هادي**

---

(١) الرازي في التفسير ٦١/١٥ البغوي في التفسير ٢١٨/٢ وأبو حيان في البحر ٤٣١/٤ القرطبي ٢٠٩/٧ فتح القدير ٢٧١/٢ - ٢٧٢.

(٢) أخرجه الطبري ٢٨٩/١٣ (١٥٤٦١) وابن كثير في التفسير ٥١٩/٢، وأبو حيان في البحر ٤٣١/٤.
وذكره الرازي في التفسير ٦٢/١٥ والبغوي في التفسير ٢١٩/٢ وذكر أبو السعود في التفسير ٢٩٨/٣ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢٧٢/٢، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وذكره السمرقندي في بحر العلوم آية ١٨٤ والقرطبي في التفسير ٢٠٩/٧.

(٣) سورة الأنعام آية رقم (٧٥).

(٤) بنحوه عند القرطبي ٢١٢/٧ والشوكاني في فتح القدير ٢٧١/٢.

(٥) سقط في ب.

(٦) سقط في أ.

(٧) سقط في أ.

(٨) وضع.

(٩) سقط في ب.

(١٠) إسناد المصنف رحمه الله ضعيف لضعف جعفر بن محمد ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٠/٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(١١) سقط في أ.

(١٢) انظر حجة القراءات ص (٣٠٣) النشر ٢٧٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ٧٠/٢، ٧١ ٤٣٣/٤ القرطبي ٢١٢/٧ الرازي ٦٥/١٥ البحر المحيط ٤٣٣/٤ أبو السعود ٣٠٠/٣ فتح القدير ٢٧٢/٢.

(١٣) الكتاب ٩٠/٣ وانظر البحر المحيط ٤٣٣/٤ والرازي ٦٥/١٥.

له﴾ لأن موضعها جزم بجواب الشرط والحمل على الموضع كثير. قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة﴾قال الحسن وقتادة: هم قريش قالت لمحمد ـ ﷺ ـ أسر إلينا متى الساعة [١] ! قال الزجاج [٢] «الساعة ها هنا الساعة التي يموت فيها الخلق» ﴿أيان مرساها﴾ متى يقع إثباتها ومعنى أيان: الاستفهام عن الوقت الذي لم يجيء والمرسى ها هنا مصدر بمعنى الإرساء [وهو الإثبات] [٣] ﴿قل إنما علمها﴾ أي العلم بوقتها [ووقوعها] [٤] ﴿عند ربي لا يجليها لوقتها﴾ لا يظهرها في وقتها ﴿إلا هو﴾ والتجلية إظهار الشيء، وقوله ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ قال ابن عباس: «ثقلت على أهل السموات وأهل الأرض[٥] يريد كلهم خائفون منها المحسن والمسيء ﴿لا تأتيكم إلا بغتةً﴾ فجأة على غفلة منكم وذلك أشد لها.

أخبرنا أبو القاسم السراج[٦] أنا عبد الله بن محمد بن موسى الكعبي[٧] أنا حمدان بن صالح الأشج[٨] نا عبد الصمد بن حسان[٩] نا إبراهيم بن طهمان عن محمد بن زياد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «تقوم الساعة على رجل في فيه لقمة فلا يلوكها ولا يسيغها، وعلى رجلين قد نشرا بينهما ثوباً فلا يتبايعانه ولا يطويانه»[١٠].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ

(١) انظر أسباب النزول للمصنف رحمه الله ٢٢٤ البغوي ٢/٢١٩ الرازي ١٥/٦٥ والقرطبي ٧/٢١٢ ابن كثير ٣/٥٢٠ البحر المحيط ٤/٤٣٣ فتح القدير ٢/٢٧٣.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٣ انظر روح المعاني ٩/١٣١.

(٣) سقط في ب.

(٤) سقط في ب.

(٥) أبو حيان في البحر ٤/٤٣٤ واختار ابن جرير الطبري ١٣/٢٩٦، أن المراد فقل علم وقتها على أهل السماوات والأرض كما قال قتادة.

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدان. أبو القاسم القرشي، النيسابوري السراج. روى عن أبي العباس الأصم وأبي منصور محمد بن القاسم الصبغي، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفي وجماعة. روى عنه أبو بكر الخطيب، وأبو صالح المؤذن، وفاطمة بنت الدقاق وجماعة. وكان إماما جليلا مات في صفر سنة ثمان عشرة وأربعمائة ابن السبكي (٥/١١٦).

(٧) المحدث العالم الصادق أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن كعب الكعبي النيسابوري سمع الفضل بن محمد الشعراني واليسع بن زيد المكي صاحب سفيان بن عيينة واسماعيل بن قتيبة وعلي بن عبد العزيز وتمتاما وعدة. روى عنه: الحاكم وأبو نصر بن قتادة وأبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن محمد بن أبي صادق نزيل مصر وآخرون ذكره الحاكم فقال: محدث كثير الرحلة والسماع، صحيح السماع توفي سنة تسع وأربعين وثلاث مئة انظر السير (١٥/٥٣٠) الأنساب (١٠/٤٤٤).

(٨) بفتح الألف والشين المعجمة، وفي آخرها الجيم الأنساب (١/١٦٤).

(٩) أبو يحيى المروزي قاضي هراة. حدث عن زائدة والثوري وإسرائيل والكوفيين.

وحدث عنه: الذهلي أيضاً، ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وأحمد بن يوسف السلمي. مات سنة عشر ومائتين انظر السير(٩/٥١٧) التاريخ الكبير (٦/١٠٥) ميزان الاعتدال (٢/٢٦٠) لسان الميزان (٤/٢٠)

(١٠) أخرجه البخاري ١٣/٨٨ في كتاب الفتن باب ٢٥ (٧١٢١) ومسلم ٤/٢٢٧٠ في كتاب الفتن باب قرب الساعة حديث ١٤٠/٢٩٥٤.

ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

وقوله: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ تقديره: يسألونك عنها كأنك حفي بها ثم حذف الجار والمجرور وحفي من الإحفاء وهو الإلحاح في السؤال والمعنى: كأنك عالم بها، أكثرت المسألة عنها وهذا قول مجاهد والضحاك وابن زيد[1] ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن عند الله حين سألوا محمداً ﷺ عما لم أطلعه عليه، [وقوله][2]: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾ الآية قال الكلبي: حين نزلت قال أهل مكة: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري من الرخيص لتربح عليه عند الغلاء وبالأرض التي تريد أن تجدب فترحل منها، فأنزل الله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً﴾ الآية[3] أي: اجتلاب نفع بأن أربح ﴿ولا ضراً﴾ أي دفع ضر بأن ارتحل من الأرض قبل أن تجدب إلا ما شاء الله أن أملكه ﴿ولو كنت أعلم الغيب﴾ ما يكون قبل أن يكون ﴿لاستكثرت من الخير﴾ لادّخرت في زمان الخصب لزمان الجذب ﴿وما مسني السوء﴾ وما أصابني الضرر والفقر ﴿إن أنا﴾ ما أنا ﴿إلا نذير﴾ قال ابن عباس [4]: «لمن لا يصدق بما جئت به» ﴿وبشير﴾ لمن اتبعني وآمن بي.

۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

وقوله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني آدم﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ليأنس بها ويأوي إليها ﴿فلما تغشاها﴾ جامعها قال الزجاج[5]: «كنى أحسن الكناية» والغشيان إتيان الرجل امرأته، وقد غشيها وتغشاها إذا علاها وقوله: ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ يعني النطفة والمني﴿فمرت به﴾بذلك الحمل الخفيف أي قامت وقعدت، لم يثقلها ﴿فلما أثقلت﴾ صارت إلى حال الثقل ودنت ولادتها ﴿دعوا الله ربهما﴾يعني حواء وآدم ﴿لئن ءاتيتنا صالحاً﴾ بشراً سوياً مثلنا ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك على ذلك ﴿فلما ءاتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما ءاتاهما﴾ قال المفسرون[6]: «لما حملت حواء أتاها إبليس في غير صورته التي عرفته فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري قال: إني أخاف أن يكون بهيمة أو كلباً أو خنزيراً وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك؟ أم ينشق بطنك؟ فخافت

---

(١) البغوي ٢/٢٢٠ أبو حيان في البحر ٤/٤٣٥ القرطبي ٧/٢١٣ فتح القدير ٢/٢٧٣. تفسير أبي السعود ٣/٣٠١ بحر العلوم آية ١٨٧، روح المعاني ٩/١٣٤.

(٢) سقط في ب.

(٣) الطبري في التفسير ١٣/٣٠٢٣ ابن كثير ٣/٥٢٧ المصنف رحمه الله في أسباب النزول ص (٢٢٥) والرازي في التفسير ١٥/٦٨ والبغوي في التفسير ٢/٢٢٠ وأبو حيان في البحر ٤/٤٣٦.

(٤) البغوي في التفسير ٢/٢٢٠.

(٥) معاني القران للزجاج ٢/٣٩٤.

(٦) الرازي في التفسير ١٥/٧٠ والقرطبي ٧/٢١٤ والبغوي ٢/٢٢١، انظر بحر العلوم آية (١٨٩) انظر فتح القدير ٢/٢٧٦.

حواء فذكرت ذلك لآدم فلم يزالا في هم من ذلك ثم أتاهما وقال لها: إن سألت الله أن يجعله خلقاً آخر سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه حتى تلقيه من بطنك سهلاً أتسمينه عبد الحارث ولم يزل بها حتى غرّها، فلما ولدت ولداً سوى الخلق سمته عبد الحارث برضا آدم وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذلك قوله **﴿فلما ءاتاهما صالحاً جعلا له﴾** أي لله **﴿شركاء﴾** يعني إبليس فأوقع الجميع موقع الواحد، أراد: جعلا له شريكاً إذ سمياه عبد الحارث ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله»[١].

وقد روي أن النبي ـ ﷺ ـ قال «خدعهما مرتين، خدعهما في الجنة، وخدعهما في الأرض»[٢] قال قتادة[٣]: «أشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة» ويعني أنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر[٤]:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِياً [٥]

وقرأ نافع (شِركا)[٦] بكسر الشين ووجهه: أنه حذف المضاف بتقدير جعلا له ذا شرك أي شريكاً وتم الكلام ثم عاد إلى الخبر عن الكفار ونزه نفسه عن إشراكهم فقال: **﴿فتعالى الله عما يشركون﴾** قال ابن عباس: «يريد أهل مكة»[٧] وهذا قول مقاتل والسدي[٨] ثم أنكر عليهم فقال **﴿أيشركون﴾** بالله في العبادة **﴿ما لا يخلق شيئاً﴾** يعني الأصنام **﴿وهم يخلقون﴾** يريد: وهم مخلوقون **﴿ولا يستطيعون لهم نصراً﴾** قال: ابن عباس[٩]: «إن الأصنام لا تنصر من أطاعها»**﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾** قال الحسن[١٠]: «لا يدفعون عن أنفسهم مكروهَ من أرادهم بشرّ أو نحوه» ثم خاطب المؤمنين فقال: **﴿وإن تدعوهم إلى الهدى﴾** وإن تدعوا المشركين إلى الإسلام **﴿لا يتبعوكم﴾** وقرأ نافع بالتخفيف[١١] وهما لغتان اتبعه وتبعه تبعاً **﴿سواء عليكم أدعوتموهم﴾** إلى الدين وعبادة الله **﴿أم أنتم صامتون﴾** أي: صمتم عن ذلك الدعاء، لتركهم الانقياد للحق وهذا كقوله **﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾**[١٢].

---

(١) وقد روى الترمذي وأحمد حديثاً عن سمرة بن جندب في تسويل الشيطان لحواء، أن تسمي ولدها عبد الحارث، والحارث اسم ابليس قال الترمذي: حسن غريب، وضعفه ابن العربي في أحكام القرآن والقرطبي، والحديث لا يدل على تفسير الآية، لكن الترمذي (٥/ ٢٦٧) جعله في باب تفسير سورة الأعراف، والحديث معلول من ثلاثة أوجه: أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا، هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا فالله أعلم. الثاني أنه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه «و» حدثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث. الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً، لما عدل عنه. انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٢٩، وانظر تفسير القرطبي (٧/ ٢١٥).

(٢) إسناده صعيف لضعف عبد الرحمن بن زيد، وقد ذكره البغوي في التفسير ٢/ ٢٢١ الطبري ١٣/ ٣١٨ وذكر القرطبي ٧/ ٢١٥ وذكره السيوطي في الدر ١٣/ ١٥١ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) الرازي ١٥/ ٧٢ القرطبي ٧/ ٢١٥ البغوي ٢/ ٢٢١.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) صدر بيت انظر القرطبي (٧/ ٢١٥) والرازي (١٥/ ٧٢) وعجزه:

.... وما فيّ إلا تيك من شيمة العبدِ

(٦) حجة القراءات ص (٣٠٤) النشر ٢/ ٢٧٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧١ البغوي ٢/ ٢٢١ الرازي ١٥/ ٧٣ البحر المحيط ٤/ ٤٤٠. القرطبي ٧/ ٢١٥.

(٧) البغوي ٢/ ٢٢١.

(٨) انظر المصدر السابق.

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر المصدر السابق.

(١١) حجة القراءات ٣٠٥ النشر ٢/ ٢٧٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧١.

(١٢) يس ١٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

قوله ﴿**إن الذين تدعون من دون الله**﴾ قال المفسرون[1]: «يعني الأصنام» ﴿**عباد أمثالكم**﴾ قال الكلبي: «مملوكون وقال الأخفش[2] عباد أمثالكم في التسخير أي إنهم مسخرون مذللون لأمر الله ﴿**فادعوهم فليستجيبوا لكم**﴾ قال ابن عباس[3]: «فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجازونكم» ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ إن لكم عندهم منفعة وثواباً أو شفاعة ونصرة ثم فضل بني آدم عليهم وقال: ﴿**ألهم أرجل يمشون بها**﴾ مشي بني آدم ﴿**أم لهم أيد**﴾ كما لبني آدم ﴿**يبطشون**﴾ يأخذون ﴿**بها**﴾ ومعنى البطش: التناول والأخذ بشدة عرفهم الله تعالى أنهم مفضلون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين البصيرة والآذان السامعة فكيف يعبدون من هم أفضل منه؟ وفي هذا بيان جهالتهم ﴿**قل**﴾ لهم يا محمد ﴿**ادعوا شركاءكم**﴾ الذين تعبدون من دون الله ﴿**ثم كيدون**﴾ أنتم وشركاؤكم ﴿**فلا تنظرون**﴾ لا تمهلوني واعجلوا في كيدي قال الحسن: «إنهم كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى: ﴿**قل ادعوا شركاءكم**﴾ الآية» ثم ذكر أن الله يتولى حفظه ونصرته، فقال: ﴿**إن وليّي الله الذي نزل الكتاب**﴾ أي القرآن، أي إنه يتولاني وينصرني كما أيدني بإنزال الكتاب ﴿**وهو يتولى الصالحين**﴾ قال ابن عباس[4]: «يريد الذين لا يعدلون بالله شيئاً» أي إن الله يتولاهم بنصره، فلا يضرهم عداوة من عاداهم وقوله: ﴿**وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا**﴾ قال الحسن[5]: «يعني المشركين» والمعنى: وإن تدعوا أيها المؤمنين المشركين إلى الهدى لا يسمعوا أي لا يعقلوا ذلك بقلوبهم فلا يجيبونكم ﴿**وتراهم ينظرون إليك**﴾ بأعينهم ﴿**وهم لا يبصرون**﴾ بقلوبهم والمفسرون على أن الآية في صفةِ الأصنام وبيان ما هي عليه من النقص[6] ومعنى ﴿**ينظرون إليك**﴾ قال ابن الأنباري[7]: «يخيل إليك أنهم مبصرون لأن لها أعينا مصنوعة مركبة بالجواهر، وهم غير مبصرين في الحقيقة».

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾

---

(١) البغوي ٢/٢٢٢ القرطبي ٧/٢١٧ البحر المحيط ٤/٤٤٢ تفسير ابن كثير ٣/٥٣٢ زاد المسير ٣/٣٠٦ أبو السعود ٣/٣٠٦ فتح القدير ٢/٢٧٨.

(٢) البغوي ٢/٢٢٢ روح المعاني ٩/١٣٤ القرطبي ٧/٢١٧ بحر العلوم ١٩٧.

(٣) البغوي ٢/٢٢٢ القرطبي ٧/٢١٧.

(٤) البغوي ٢/٢٢٣ الرازي ١٥/٧٧.

(٥) البغوي ٢/٢٢٣ أبو حيان في البحر ٤/٤٤٧ القرطبي ٧/٢١٨ وانظر الطبري ١٣/٣٢٥ ـ ٣٢٦ وابن كثير ٣/٥٣٤.

(٦) البغوي ٢/٢٢٣ زاد المسير ٣/٣٠٦.

(٧) أبو السعود ٣/٣٠٧ ابن كثير ٣/٥٣٤ فتح القدير ٢/٢٧٨ الرازي ١٥/٧٨ بحر العلوم ١٩٨.

وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

قوله تعالى: ﴿خذ العفو﴾ الآية.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الأصبهاني[١] أنا محمد بن أحمد بن علي الحيري أنا: الحسن بن سفيان نا أبو بكر بن أبي شيبة[٢] نا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال: ما أنزل الله هذه الآية ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف**﴾ إلا في أخلاق الناس رواه البخاري[٣] عن يحيى[٤] عن وكيع.

العفو: ما أُتي بغير كلفة ذكرنا ذلك عند قوله ﴿ماذا ينفقون قل العفو﴾[٥] قال مجاهد والحسن[٦]: «أمر أن يأخذ عفو أخلاق الناس» والمعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيتولد منه البغضاء ﴿**وأمر بالعرف**﴾ [العرف][٧]، والعارفة، والمعروف: ما يعرف كل أحد صوابه وتستحسنه النفوس قال مقاتل وعروة والضحاك: وأمر بالمعروف[٨] ﴿**وأعرض عن الجاهلين**﴾ صن نفسك عن مقابلتهم، على سفههم، قال قتادة[٩]: في هذه الآية أخلاق[١٠] أمر الله بها نبيه ـ ﷺ ـ ودله عليها: «وهذه الآية أجمع لمكارم الأخلاق».

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا: محمد بن مكي أنا محمد بن يوسف أنا: محمد بن إسماعيل البخاري

---

(١) الحافظ الإمام المجود أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن منجويه اليزدي الأصبهاني نزيل نيسابور من الحفاظ الأثبات المصنفين. حدث عن الإمام أبي بكر الإسماعيلي، وإبراهيم بن عبد الله النيسابوري وإسماعيل بن نجيد وأبي بكر بن المقرىء وأبي مسلم عبد الرحمن بن شَهْدل وأبي عبد الله بن مندة وخلق كثير مات من خامس المحرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة انظر السير (١٧/٤٣٨) اللباب (٣/٢٦١) تذكرة الحفاظ (٣/١٠٨٥) العبر (٣/١٦٤) الوافي (٧/٢١٧) الشذرات (٣/٢٣٣).

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم أبو بكر الحافظ الكوفي. روى عن أبي الأحوص وعبد الله بن إدريس وابن المبارك وشريك وهشيم وأبي بكر بن عياش وإسماعيل بن عياش وجرير بن عبد الحميد وأبي أسامة وخلق وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وروى له النسائي بواسطة وخلق قال البخاري وغير واحد: مات سنة خمس وثلاثين ومائتين في المحرم.

(٣) أخرجه البخاري ٨/١٥٥ في كتاب التفسير سورة الأعراف باب خذ العفو ٤٦٤٢ وأخرجه أبو داود ٤/٢٥ في كتاب الأدب باب التجاوز في الأمر ٤٧٨٧ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٣/٥٣٥ وأخرجه الطبري في التفسير ٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧ وذكره السيوطي في الدر ٢/١٥٣ وعزاه لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة والبخاري وأبو داود والنسائي والنحاس في ناسخه، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٤) يحيى بن موسى بن عبد ربه الحُدَّاني بضم المهملة الأولى، أبو زكريا بفتح المعجمة ثم مثناة البلخي عن الوليد بن مسلم ووكيع ويزيد بن هارون وعنه البخاري والسراج، وقال: ثقة مأمون قال البخاري: مات سنة أربعين ومائتين. انظر الخلاصة ٣/١٦١.

(٥) آية (٢١٩).

(٦) أخرجه الطبري في التفسير ٣/٣٢٦ (١٥٥٣٥) و(١٥٥٣٩)، (١٥٥٤٢) وابن كثير ٣/٥٣٥ والبغوي في التفسير ٢/٢٢٣، وانظر روح المعاني ٩/١٤٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥٣ وزاد نسبته لعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد.

(٧) سقط في ب، ج.

(٨) تفسير الطبري ١٣/٣٣١ تفسير ابن كثير ٣/٥٣٦ ـ ٥٣٧ وبنحوه عند القرطبي ٧/٢١٩.

(٩) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٣٣٢ (١٥٥٥٢) وابن كثير ٣/٥٣٧، ذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٤ وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(١٠) وهو قول جعفر الصادق. البغوي ٢/٢٢٤ الرازي ١٥/٧٨، القرطبي ٧/٢١٩ أبو السعود ٣/٣٠٨ البحر المحيط ٤/٤٤١.

أنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس قال: «قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير، فتستأذن لي عليه فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: ها يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر، حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قال لنبيه ـ ﷺ ـ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين قال: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى»[١] قال ابن زيد: «لما نزلت هذه الآية قال النبي ـ ﷺ ـ «كيف يا رب والغضب»؟ فنزل قوله: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾[٢] نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه، في القلب بما يسول[٣] للإنسان من المعاصي قال ابن عباس[٤] «يريد يعرض لك من الشيطان عارض» وقال الزجاج: «إن نالك من الشيطان أدنى وسوسة»[٥] ﴿فاستعذ بالله﴾ اطلب النجاة من تلك الوسوسة بالله [أي][٦]: قل أعوذ بالله من الشيطان [الرجيم][٧] ﴿إنه سميع﴾ لدعائك ﴿عليم﴾ بما عرض لك قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا﴾ قال ابن عباس[٨] «يريد المؤمنين الذين اتقوا الكفر والشرك والفواحش» ﴿إذا مسهم طائف من الشيطان﴾ وقرىء: طيف[٩]، قال الليث: «طائف الشيطان وطيف الشيطان ما يغشى الإنسان من وساوسه»[١٠] وقال الفراء: «الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال، والشيء يلم بك»[١١] وقال أبو عمرو[١٢]: «الطائف ما يطوف حول الشيء وهو هنا ما يطوف به من وسوسة الشيطان[١٣] والطيف اللمة والوسوسة» قال ابن عباس: «إذا مسهم عارض من وسوسة الشيطان» وقال مجاهد وسعيد بن جبير[١٤] في هذه الآية: «هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ» وروى ليث عن مجاهد[١٥]: «هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه» وهو قوله: ﴿تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ أي يبصرون مواقع خطئهم بالتذكر والتفكر، قال السدي «إذا زلوا زلة

---

(١) أخرجه البخاري ٨/ ١٥٥ في كتاب التفسير سورة الأعراف باب خذ العفو ٤٦٤٣، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٣/ ٥٣٦وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/١٥٣ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن ابن عباس.

(٢) البغوي في التفسير ٢/ ٢٢٤، والشوكاني في فتح القدير ٢/ ٢٧٩. والقرطبي في التفسير ٢/ ٢٢١ والرازي ١٥/ ٧٩ وأبو السعود في التفسير ٣/ ٣٠٨ البحر المحيط ٤/ ٤٤٨.

(٣) انظر لسان العرب ٣/ ٢١٥٧.

(٤) البغوي ٢/ ٢٢٤ وبنحوه عند القرطبي ٧/ ٢٢١

(٥) معاني الزجاج ٢/ ٣٩٦ البغوي ٢/ ٢٢٤ القرطبي ٢/ ٢٢١ فتح القدير ٢/ ٢٧٩ بحر العلوم آية ٢٠٠.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) سقط في أ، ب.

(٨) البغوي بلا نسبة ٢/ ٢٢٤ السمرقندي في بحر العلوم آية ٢٠١ القرطبي بلا نسبة ٧/ ٢٢٢.
ذكره السيوطي في الدر المنثور عن مجاهد ٣/ ١٥٥ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٩) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة، انظر حجة القراءات لابن زنجلة ٣٠٥ النشر ٢/ ٢٧٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧٣ البغوي ٢/ ٢٢٤، البحر المحيط ٤/ ٤٤٩ القرطبي ٧/ ٢٢٢ الرازي ١٥/ ٨٠ ـ ٨١.

(١٠) بنحوه عند البغوي ٢/ ٢٢٥.

(١١) معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٢ الرازي ١٥/ ٨١.

(١٢) البحر المحيط ٤/ ٤٤٩ حجة القراءات لابن زنجلة ٣٠٥ انظر البغوي ٢/ ٢٢٤.

(١٣) انظر تنوير المقباس ٢/ ١٥٠، وانظر روح المعاني ٥/ ١٤٨ وانظر أبو السعود ٣/ ٣٨٠.

(١٤) البغوي في التفسير ٢/ ٢٢٥ أبو حيان في البحر ٤/ ٤٥٠ بحر العلوم آية ٢٠٢.

(١٥) البغوي ٢/ ٢٢٥ أبو حيان في البحر ٤/ ٤٥٠.

تابوا» وقال مقاتل [(١)] : «إن المتقي إذاأصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف أنها معصية، فأبصرها فنزع من مخالفة الله» وقوله ﴿**وإخوانهم**﴾ يعني إخوان المشركين من الشياطين، قال الكلبي[(٢)] :«لكل كافر أخ من الشياطين» ﴿**يمدونهم في الغي**﴾ يطولون لهم الإغواء حتى يستمروا عليه كقوله ﴿ويمدهم في طغيانهم﴾[(٣)] ومن قرأ: بضم الياء[(٤)] من الإمداد فقد استعمل ما هو للخير في ضده وذلك أن الإمداد إنما جاء فيما لم يحمد كقوله: ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾[(٥)]، ﴿نمدهم به من مال وبنين﴾[(٦)]، ﴿أتمدونني بمال﴾[(٧)] وقوله: ﴿**ثم لا يقصرون**﴾ الإقصار: الكف عن الشيء يقال: أقصر عن الشيء إذا كف عنه وانتهى[(٨)]، قال الضحاك ومقاتل[(٩)]: يعني المشركين لا يقصرون عن الضلالةِ ولا يبصرونها بخلاف ما قال في المؤمنين ﴿**تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾ وروي عن ابن عباس[(١٠)] أنه قال:«لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم» وعلى هذا قوله: ﴿**ثم لا يقصرون**﴾ من فعل المشركين والشياطين جميعاً.

قوله: ﴿**وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها**﴾ قال الفراء[(١١)] : «العرب تقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك» قال الكلبي[(١٢)] :«إن أهل مكة كانوا يسألون النبي ﷺ تعنتاً فإذا تأخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها، أي هلا أحدثتها وأنشأتها» وقال قتادة[(١٣)] : «هلا افتعلتها من قبل نفسك» وقال ابن زيد[(١٤)] : «لولا تقولتها وجئت بها من قبل نفسك؟» فأعلمهم ﷺ أن الآيات من قبل الله تعالى بقوله: ﴿**قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي**﴾ أي: ليس الأمر إلي إنما أتبع الوحي من الله تعالى قوله ﴿**هذا**﴾ أي هذا القرآن الذي أتيت به ﴿**بصائر من ربكم**﴾ دلائلُ تقود إلى الحق وقال المفسرون[(١٥)] : «حجج وبرهان من ربكم».

---

(١) البغوي ٢/ ٢٢٥ أبو حيان في البحر ٤/ ٤٥٠ .قال الواحدي رحمه الله: اختلفوا في الطيف فقيل إنه مصدر، وقال أبو زيد يقال: طاف يطوف طوفاً وطوافاً إذا أقبل وأدبر وأطاف يطيف إطافة إذا جعل يستدير بالقوم ويأتيهم من نواحيهم وطاف الخيال يطيف طيفاً إذا ألم في المنام، قال ابن الأنباري: وجائز أن يكون طيف أصله طيِّف إلا أنهم استثقلوا التشديد فحذفوا إحدى الياءين وأبقوا ياء ساكنة، فعلى القول الأول هو مصدر ، وعلى ما قاله ابن الأنباري هو من باب هين وهين، وميت وميت ويشهد لصحة قول ابن الأنباري قراءة سعيد بن جبير (إذا مسهم طيف) بالتشديد. هذا هو الأصل في الطيف، ثم سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفاً لأنه لمة من لمة الشيطان تشبه لمة الخيال قال الأزهري: الطيف في كلام العرب الجنون، ثم قيل للغضب طيف، لأن الغضبان يشبه المجنون. وأما الطائف فيجوز أن يكون بمعنى الطيف مثل العافية والعاقبة ونحو ذلك مما جاء المصدر فيه على فاعل وفاعلة. انظر الرازي (١٥/ ٨١)

(٢) البغوي ٢/ ٢٢٥ انظر القرطبي ٧/ ٢٢٣ وانظر تفسير الرازي ١٥/ ٨٢.

(٣) سورة البقرة ١٥.

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة ص (٣٠٦) النشر ٢/ ٢٧٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧٣ القرطبي ٧/ ٢٢٣ البحر المحيط ٤/ ٤٥١ الرازي (١٥/ ٨٢)، فتح القدير ٢/ ٢٨٠.

(٥) سورة الطور ٢٢.

(٦) سورة المؤمنون ٥٥.

(٧) سورة النمل ٣٦ وانظر هذه النقول في الرازي عن الواحدي رحمه الله (١٥/ ٨٢).

(٨) ذكر ذلك الرازي ١٥/ ٨٢ نقلاً عن الواحدي.

(٩) البغوي ٢/ ٢٢٥.

(١٠) البغوي ٢/ ٢٢٥ وذكره السيوطي في الدر ٣/ ١٥٥،وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، وانظر الرازي في التفسير ١٥/ ٨٢.

(١١) الرازي ١٥/ ٨٢ القرطبي ٧/ ٢٢٤ البحر المحيط ٤/ ٤٥١ البغوي ٢/ ٢٢٥ روح المعاني ٩/ ١٤٩ فتح القدير ٢/ ٢٨٠.

(١٢) البغوي ٢/ ٢٢٥ انظر البحر المحيط ٤/ ٤٥١.

(١٣) البغوي ٢/ ٢٢٥ البحر المحيط ٤/ ٤٥١.

(١٤) روح المعاني ٩/ ١٤٩ البحر المحيط ٤/ ٤٥١.

(١٥) البغوي ٢/ ٢٢٥ البحر المحيط ٤/ ٤٥١ القرطبي ٧/ ٢٢٤ تفسير ابن كثير ٤/ ٥٤٠ فتح القدير ٢/ ٢٨٠.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۝٢٠٥ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾

قوله **﴿وإذا قرىء القرآن﴾** الآية نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، وكانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بالاستماع إلى قراءة القرآن والسكوت للإستماع ، وهو قوله : **﴿فاستمعوا له وأنصتوا﴾** (١) وقال قوم: «نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الإمام» (٢).

أخبرنا أبو منصور المنصوري(٣) أنا علي بن عمر الحافظ(٤) نا عبد الله بن سليمان بن الأشعث(٥) نا العباس بن الوليد بن مزيد(٦) أخبرني أبي أنا الأوزاعي أنا عبد الله بن عامر حدثني زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة في هذه الآية قال: «نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة»(٧) ولا تدل الآية على ترك القراءة خلف الإمام لأن هذا الإنصات المأمور به إنما هو نهي عن الكلام في الصلاة أو عن الجهر كما ذكرنا وعلى هذا فحكم الظاهر ممتثل عند الشافعي لأن السنة عنده أن يسكت الإمام بعد فراغه من الفاتحة فيقرأ المأموم الفاتحة في حال سكتة الإمام على أن قراءة الفاتحة مخصوصة بالسنة لقوله ـ ﷺ ـ «إذا كنتم خلفي فلا تقرأوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة إلا بها»(٨)، وقوله **﴿واذكر ربك في نفسك﴾** قال ابن عباس: «يعني بالذكر القراءة في الصلاة(٩)» **﴿تضرعاً وخيفةً﴾** قال ابن زيد(١٠):

---

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٣٤٥ (١٥٥٨٢) وابن كثير في التفسير ٣/٥٤١. وانظر تفسير البغوي ٢/٢٢٥ والقرطبي ٧/٢٢٥.

(٢) البغوي في التفسير ٢/٢٢٥. روح المعاني ٩/١٥٠. واختلف أهل العلم في القراءة خلف الإمام في الصلاة فذهب جماعة إلى إيجابها سواء جهر الإمام بالقراءة أو أسر. روي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ، وهو قول الأوزاعي والشافعي. وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه بالقراءة، ولا يقرأ إذا جهر. روي ذلك عن ابن عمرو وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد، وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحمد وإسحاق. وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام أو جهر . يروى ذلك عن جابر وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، ويتمسك من لا يرى القراءة خلف الإمام بظاهر هذه الآية. ومن أوجبها قال الآية في غير الفاتحة، وإذا قرأ الفاتحة يتبع سكتات الإمام ولا ينازع الإمام في القراءة. انظر البغوي (٢/٢٢٦).

(٣) أبو منصور السواق محمد بن محمد بن عثمان البغدادي البندار، وثقه الخطيب. انظر الشذرات (٢/٢٦٥).

(٤) بفتح الحاء وكسر الفاء وفي آخرها الظاء المعجمة، هذا لقب جماعة من أئمة الحديث لحفظهم ومعرفته والذب عنه. انظر الأنساب (٢/١٥٤).

(٥) عبد الله بن سليمان بن الأشعث: الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد، أبو بكر السجستاني صاحب التصانيف. ولد بسجستان في سنة ثلاثين ومائتين صنف (السنن و المصاحف وشريعة القارىء والناسخ والمنسوخ والبعث وأشياء) انظر السير (١٣/٢٢١).

(٦) عباس بن الوليد بن مزيد العذري أبو الفضل البيروتي روى عن أبيه وعقبة بن علقمة البيروتي وعبد الحميد بن بكار وقرأ عليه القرآن ومحمد بن شعيب بن شابور، وشعيب بن إسحاق وخلق قال النسائي ليس به بأس انظر التهذيب (٥/١٣١).

(٧) إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن عامر الأسلمي، وهو عند الطبري (١٣/٣٤٧) وذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٥، وزاد نسبته لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وابن مردويه وابن عساكر.

(٨) بنحوه عند البيهقي في جزء القراءة (٥٤)، وأخرجه الدارقطني ١٢١، وأسانيده ضعيفة. وأخرجه البغوي في التفسير ٢/٢٢٦.

(٩) البغوي في التفسير ٢/٢٢٦، والقرطبي في التفسير ٧/٢٢٥ وذكر الشوكاني في الفتح ٢/٨٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر والبيهقي.

(١٠) البغوي ٢/٢٢٦ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٥٧ وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

«يريد يتضرع إلي ويخاف مني» أمر في صلاة الإسرار أن يقرأ في نفسه وفيما يرفع فيه الصوت بالقراءة: أمر أن يقرأ دون الجهر وهو قوله: ﴿ودون الجهر من القول﴾ والمسنون دون الجهر لقوله في آية أخرى ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ الآية، وقوله ﴿بالغدو والآصال﴾ الغدو جمع غدوة والآصال واحدها أصلُ وواحد الأصلُ أصيل[1] قال الزجاج: «الآصال العشيات جمع الجمع»[2] قال «ابن عباس»: يريد بكرة وعشيا يعني الصلوات[3] قال قتادة[4]: «أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة» وهو قوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ قوله: ﴿إن الذين عند ربك﴾ يعني الملائكة، قال الزجاج[5]: «يعني أنهم بالقرب من رحمة الله تعالى ومن فضله» ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي: لا يتعظمون عن عبادته ﴿ويسبحونه﴾ يذكرونه بالتسبيح، كأنه قيل: من هو أكبر منك شأناً أيها الإنسان لا يستكبرون عن عبادة الله وتسبيحه والصلاة له، وهو قوله ﴿وله يسجدون﴾.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد حدثنا عبد الرحيم بن منيب نا يعلى بن عبيد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت، فلي النار» رواه مسلم[6] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الفارسي أنا محمد بن محمد إسحاق أنا محمد بن محمد بن سليمان الواسطي[7] نا هشام بن عمار نا هقل بن زياد[8] نا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة حدثني ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع النبي ـ ﷺ ـ وأتيه بوضوئه وحاجته، فقال: «سلني، فقلت: مرافقتك في الجنة، فقال: أو غير ذلك؟ فقلت هو ذاك، قال فأعني على نفسك بكثرة السجود» رواه مسلم[9] عن الحكم بن موسى عن هقل.

---

(١) قال الفراء: واحدها أصل وواحد الأصل الأصيل. قال: يقال جئناهم مؤصلين أي عند الآصال، ويقال الأصيل مأخوذ من الأصل، واليوم بليلته إنما يبتدأ بالشروع من أول الليل وآخر نهار كل يوم متصل بأول ليل اليوم الثاني، فسمي آخر النهار أصيلاً لكونه ملاصقاً لما هو الأصل لليوم الثاني انظر الرازي (١٥/٨٨).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٨، بحر العلوم آية ٢٠٦، القرطبي ٧/٢٢٥.

(٣) انظر تنوير المقباس ٢/١٥١.

(٤) معاني القرآن ٢/٣٩٨.

(٥) ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٢٨٢ وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، روح المعاني ٩/١٥٥ وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم وإسناد المصنف رحمه الله حسن.

(٦) أخرجه مسلم ١/٨٧ في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على تارك الصلاة ١٣٣/٨١، وأحمد في المسند ٢/٤٤٣ وابن ماجه في السنن ١/٣٣٤ في كتاب الإقامة باب سجود القرآن ١٠٥٢ وأخرجه البغوي في التفسير ٢/٢٢٧.

(٧) محمد بن محمد بن سليمان أبو بكر الباغندي الحافظ المعمر يروي عن شيبان بن فروخ وطبقته وكان مدلساً وفيه شيء. قال ابن عدي: أرجو أنه كان لا يعتمد الكذب، وقال الإسماعيلي: لا أتهمه، ولكنه خبيث التدليس ومصحف أيضاً.
وقال السلمي: سألت الدارقطني عن محمد بن محمد الباغندي فقال: مخلط مدلس، يكتب عن بعض أصحابه ثم يسقط بينه وبين شيخه ثلاثة وهو كثير الخطأ ـ رحمه الله تعالى ـ انظر الميزان (٤/٢٦ ـ ٢٧).

(٨) الهقل بن زياد بن عبيد الله، ويقال ابن عبيد السكسكي مولاهم أبو عبد الله الدمشقي كاتب الأوزاعي سكن بيروت، وهقل لقب واسمه محمد وقيل: عبد الله روى عن الأوزاعي وحريز بن عثمان، وخالد بن دريك، وبكر بن خنيس وطلحة بن عمرو المكي، وعمر ابن قيس، وهشام بن حسان والمثنى بن الصباح، ومعاوية بن يحيى الصدفي وغيرهم. وعنه ابنه محمد والليث بن سعد وهو أكبر منه وأبو مسهر، ومروان بن محمد وخلق وهو ثقة حافظ انظر التهذيب (١١/٦٤ ـ ٦٥).

(٩) إسناد المصنف ضعيف لضعف محمد بن محمد الواسطي، والحديث صحيح بغير إسناد المصنف، أخرجه مسلم ١/٣٥٣ في كتاب =

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني[(١)] أنا أبو عبد الله بن بطة أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثني إبراهيم بن هاني[(٢)] نا أبو عبد الرحمن المقري نا ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد أخبرني كثير الأعرج[(٣)] قال: سمعت أبا فاطمة[(٤)] يقول: قال لي رسول الله ـ ﷺ ـ «أكثر من السجود فإنه لا يسجد عبد لله سجدةً إلا رفعه الله بها درجةً، وحط عنه بها خطيئة»[(٥)] .

= الصلاة باب فضل السجود (٤٨٩/٢٢٦). وأخرجه أحمد في المسند ٥٩/٤ وأخرجه أبو داود ٣٥/٢ في كتاب التطوع باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل ١٣٢٠، والنسائي ٧٧/٢ في كتاب التطبيق باب فضل السجود.

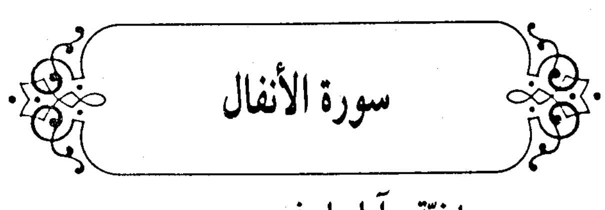
(١) أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرايني الشيخ أبو حامد شيخ طريقة العراق حافظ المذهب وإمامه جبل من جبال العلم منيع وحبر من أحبار الأمة رفيع. ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة . وقدم بغداد شاباً فتفقه على الشيخين: ابن المرزبان والداركي حتى صار أحد أئمة وقته. وحدث عن عبد الله بن عدي وأبي بكر الإسماعيلي وأبي الحسن الدارقطني وإبراهيم بن محمد بن عبدك الاسفرايني وغيرهم. روى عنه سليم الرازي. توفي الشيخ أبو حامد في شوال سنة ست وأربعمائة ودفن بداره ثم نقل سنة عشرة إلى المقبرة. انظر طبقات الشافعية (٦١/٤) وما بعدها.

(٢) إبراهيم بن هانىء النيسابوري أبو إسحاق نزيل بغداد روى عن المقري ومحمد بن كثير المصيصي، وأبي غسان وعبيد الله بن موسى وأبي عاصم النبيل، وأبي نعيم، وعفان وسعيد بن عفير، وحجاج بن نصير ثقة صدوق. الجرح والتعديل ١٤٤/٢ .

(٣) كثير بن قليب بن موهب الصدفي المصري الأعرج شهد فتح مصر. روى عن أبي فاطمة الدوسي وكان معه بذات الصواري. التهذيب (٤٢٥/٨).

(٤) أبو فاطمة الليثي، ويقال الأزدي الدوسي له صحبة قيل اسمه أنيس، وقيل عبد الله بن أنيس شهد فتح مصر وسكن الشام روى عن النبي ﷺ وعنه كثير بن قليب الصدفي، وكثير بن مرة، وأبو عبد الرحمن الحلبي، ومسلمة بن عبد الله الجهني مرسلاً. ذكره ابن السميفع وأبو زرعة الدمشقي فيمن نزل الشام من الصحابة، وقال المفضل الغلابي أبو فاطمة الأزدي قبره بالشام إلى جنب قبر فضالة بن عبيد انظر التهذيب ٢٠١/١٢ .

(٥) إسناد المصنف رحمه الله حسن والحديث أخرجه مسلم ٣٥٣/١ في كتاب الصلاة باب فضل السجود ٤٨٨/٢٤٥، وأخرجه أحمد ١٤٨/٥ وأخرجه الترمذي ٢٣٠/٢ في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء في كثرة الركوع والسجود (٣٨٨)، وقال حسن صحيح والنسائي ٢٢٨/٢ في التطبيق باب ثواب من سجد لله، وأخرجه ابن ماجه ٤٥٧/١ في كتاب إقامة الصلاة باب في كثرة السجود ١٤٢٢.



سورة الأنفال

مدنيّة وآياتها خمس وسبعون

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني [1] أنا عمرو محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن عبد الله بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا له شفيع وشاهد يوم القيامة أنه بريء من النفاق وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ويرفع له عشر درجات، وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في دار الدنيا»[2].

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

﴿**يسألونك عن الأنفال**﴾ الآية، النَّفْل الغنيمة[3]، وجمعه أنفال قال المفسرون: «اختلف أهل بدر في الغنائم فقال الشبان لنا الغنائم لأنا أبلينا، وقالت الأشياخ: كنا ردءاً[4] لكم ولو انهزمتم لانحزتم إلينا فلا تذهبوا بها دوننا فأنزل الله هذه الآية»[5] ومعنى يسألونك عن الأنفال أي: عن حكمها وعلمها سؤال استفتاء، قال الزجاج[6]: «إنما سألوا عنها لأنها كانت حراماً على من كان قبلهم» وقال صاحب النظم: « معناه يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ يدل على هذا قوله: ﴿**قل الأنفال لله والرسول**﴾ يحكمان فيها على ما أرادا ويضعانها حيث شاءا، فلما نزلت هذه الآية قسمها رسول الله

---

(١) بفتح الزاي المنقوطة وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة. انظر الأنساب ٣/١٥٣.

(٢) قال الفيروز ابادي حديث واهي.

(٣) انظر المغرب (٢/١١٤) الصحاح (١/٦٣) المصباح (٢/٧٤٧) وانظر شرح فتح القدير (٥/٥١٠) المغني لابن قدامة (٩/٢٢٦) حاشية ابن عابدين (٤/١٥٢).

(٤) والردء: العون والنصير لسان العرب ٣/١٦١٩.

(٥) وهو عند أبي داود من حديث طويل ٣/٧٧ في الجهاد باب في النفل ٢٧٣٧، البغوي ٢/٢٢٧، القرطبي ٧/٢٢٩ البحر المحيط ٤/٤٥٥، تفسير الطبري ١٣/٣٦٤ ابن كثير ٣/٥٤٥ فتح القدير ٢/٢٨٢ الرازي ١٥/٩٣ انظر الدر المنثور ٣/١٥٨.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٩ الرازي ١٥/٩٣.

ﷺ بين أهل بدر على السواء»[١] وقوله: ﴿**فاتقوا الله**﴾ أي بطاعته واجتناب معاصيه ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾ أي المنازعة الواقعة بينكم في الأنفال ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾ قال الزجاج[٢]: «اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها» ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ يعني أن الإيمان يوجب القبول من الله ورسوله وهذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَأَنَّ لله خُمُسه وللرسول﴾[٣] الآية، وكانت الغنائم يومئذ خاصة للنبي ـ ﷺ ـ فنسخها الله بالخمس، قوله: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ تأويله: إذا ذكرت عظمة الله وقدرته وما خوف به من عصاه، فزعت قلوبهم، يقال: وجل يوجل فهو وجل إذا خاف يقول: إنما المؤمن الذي إذا خوف بالله[٤] فرق قلبه وانقاد لأمره خوفاً من عقابه وفيه إشارة إلى إلزام أصحاب بدر بطاعة الرسول ـ ﷺ ـ فيما يرى من قسمة الغنائم، وقوله: ﴿**وإذا تُليت عليهم ءاياته زادتهم إيماناً**﴾ قال ابن عباس[٥]: «تصديقاً ويقيناً» والمعنى أنهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة، وكل ما يأتي من عند الله، فيزيد تصديقهم ﴿**وعلى ربهم يتوكلون**﴾ قال ابن عباس[٦]: يتقون لا يرجون غيره. ثم زاد في وصفهم فقال: ﴿**الذين يقيمون الصلاة**﴾ الآية، ثم حقق لهم الإيمان فقال ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾ قال ابن عباس: «برئوا من الكفر»[٧] وقال مقاتل[٨]: «أولئك هم المؤمنون لاشك في إيمانهم كشك المنافقين» ﴿**لهم درجات عند ربهم**﴾ قال عطاء[٩]: «يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم» ﴿**ورزق كريم**﴾ يعني ما أعد الله لهم في الجنة.

كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨

قوله ﴿**كما أخرجك ربك**﴾ أي أمرك بالخروج ودعاك إليه ﴿**من بيتك**﴾ يعني المدينة ﴿**بالحق**﴾ أي: بالوحي ذلك أن جبريل أتاه وأمره بالخروج، قال المفسرون[١٠]: «إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالخروج من المدينة

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٢٢ وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٥٤٨/٣) وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٥٩/٣ ونسبه لأحمد وعبد بن حميد، وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة، قال سألت عبادة بن الصامت. . . . وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/٢٨٣ والبغوي في التفسير ٢/٢٢٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٠. القرطبي ٧/٢٣٢ وانظر تفسير البغوي ٢/٢٢٩.

(٣) سورة الأنفال ٤١.

(٤) الفرق الخوف لسان العرب ٥/٣٤٠٠.

(٥) الطبري ١٣/٣٨٦ (١٥٦٨٤) الرازي ١٥/٩٦ ـ ٩٧ القرطبي ٧/٢٣٣ ابن كثير ٣/٥٥١ فتح القدير ٢/٢٨٦ روح المعاني ٩/١٦٥ البغوي ٢/٢٢٩، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٦٢ وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٦) البغوي ٢/٢٢٩ انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٥٢، وانظر فتح القدير ٢/٢٨٥ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٦٢ وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٧) البغوي ٢/٢٢٩ تفسير ابن كثير ٣/٥٥٢ فتح القدير ٢/٢٨٦ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٦٢ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. تفسير ابن كثير ٣/٥٥٣.

(٨) البغوي ٢/٢٢٩.

(٩) البغوي ٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(١٠) انظر تفسير الطبري ١٣/٣٩٥ تفسير ابن كثير ٣/٥٥٤ تفسير الرازي ١٥/١٠٢، البحر المحيط ٤/٤٦٢ تفسير البغوي ٢/٢٣٠ فتح القدير ٢/٢٧٨ السيوطي في الدر المنثور ٣/١٦٣.

لطلب غير قريش، وكره ذلك طائفة من المؤمنين، لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالعير عفواً دون قتال فذلك قوله ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون﴾ يعني كراهة الطبع التي تلحق في السفر والقتال، ومعنى الكاف في ﴿كما﴾ قال الفراء والزجاج[١]: «أي: امض لأمر الله في الغنائم كما مضيت لأمره في الخروج وهم له كارهون» قال الزجاج[٢]: «قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق» ويكون التأويل نفل من شئت وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك وإن كرهوا، قوله: ﴿يجادلونك في الحق﴾ قال المفسرون: «إن رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه خرجوا لطلب عير قريش، فمنعت قريش عيرها بالنفير فالتقوا وأمروا بالقتال، ولم يكونوا أعدوا له أهبة فشق ذلك عليهم، وقالوا: هلا أخبرتنا، فكنا نعد له، وجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال، إذ كانوا رجالة ولم يكن فيهم إلا فارسان فخافوا»[٣]، فذلك قوله: ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ أي لشدة كراهتهم للقتال كأنهم يساقون إلى الموت عياناً، قوله ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين﴾ يعني العير والنفير، وقال قتادة: الطائفتان إحداهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش[٤] وقوله: ﴿أنها لكم﴾ يدل على إحدى ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ أي: تودون أن الطائفة التي ليس فيها حرب ولا سلاح وهي العير تكون لكم، والمراد بالشوكة السلاح ﴿ويريد الله أن يحق الحق﴾ يظهره ويعليه[٥] ﴿بكلماته﴾ بِعِدَاتِهِ التي سبقت من إظهار الدين وإعزازه بقوله ﴿ليظهره على الدين كله﴾[٦] ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ يستأصلهم حتى لا يبقى منهم أحد يعني كفار العرب ﴿ليحق الحق﴾ أي يقطع دابرهم، ليحق الحق بإظهاره وإعلائه أمره ﴿ويبطل الباطل﴾ بإهلاكه وافنائه على كره من المشركين وهو قوله: ﴿ولو كره المجرمون﴾.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

قوله عز وجل ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي تطلبون منه المعونة والغوث، قال المفسرون[٧]: «تستجيرون به من عدوكم وتدعونه بالنصر عليهم».

---

(١) انظر معاني الفراء ١/٤٠٣ البغوي نقلاً عن المبرد ٢/٢٣٠ القرطبي ٧/٢٣٣ ـ ٢٣٤، فتح القدير ٢/٢٨٧ روح المعاني ٩/١٦٩.

(٢) الزجاج ٨/٤٠٠ القرطبي ٧/٢٣٤، فتح القدير ٢/٢٨٧ البحر المحيط ٤/٤٦٢.

(٣) الطبري ١٣/٣٩٥، انظر الدر المنثور ٣/١٦٤.

(٤) البغوي ٢/٢٣٢ البحر المحيط ٤/٤٦٣ والسيوطي في الدر ٣/١٦٩، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن قتادة.

(٥) في أ (ويعلنه)، وفي ب (ويغلب).

(٦) سورة التوبة: ٣٣ وسورة الفتح: ٣٨، وسورة الصف: ٩.

(٧) البحر المحيط ٤/٤٦٥ الرازي ١٥/١٠٤ ـ ١٠٥ انظر البغوي ٢/٢٣٣، انظر تفسير القرطبي ٧/٢٣٥ روح المعاني ٩/١٧٣.

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر أنا أبو علي بن أبي موسى أنا إبراهيم بن عبد الله الزينبي[١] نا بندار نا عمر بن يونس[٢] نا عكرمة بن عمار[٣] حدثني أبو زميل[٤] حدثني عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال: «نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأنزل الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية» رواه مسلم[٥] عن هناد بن السري[٦] عن ابن المبارك عن عكرمة.

وقوله ﴿فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ متتابعين بعضهم في إثر بعض وقال أبو حاتم [٧] ومعناه بألف من الملائكة جاءوا بعد المسلمين على آثارهم، يقال: ردفه وأردفه إذا جاء بعده ومن قرأ بفتح الدال [٨]

---

(١) بفتح الزاي وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وبعدها النون وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي وظني أنها زوجة إبراهيم الإمام أم محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي والمنتسب إليها بيت قديم ببغداد: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي الزينبي الإمام يروي عن أبي موسى الزمن روى عنه أبو علي بن حبش المقري. وأبو منصور محمد بن محمد بن علي بن أبي تمام الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي الزينبي يروي عن عيسى بن علي الوزير توفي سنة نيف وسبعين وأربعمائة الأنساب (٣/١٩١).

(٢) عمر بن يونس بن القاسم الحنفي أبو حفص اليمامي الجرشي، روى عن أبيه وعكرمة بن عمار وأيوب بن عتبة وأيوب بن النجار وخباب بن فضالة، وجهضم بن عبد الله وعاصم بن محمد بن زيد العمري، ويحيى بن عبد العزيز الأردني ومحمد بن عبد الله بن طاوس وملازم بن عمرو وغيرهم. روى عنه ابن ابنه أحمد بن محمد بن عمر وأبو ثور الكلبي، وعمر والناقد وخلق. وقال أحمد ثقة، ولم أسمع منه، وقال ابن معين والنسائي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٧/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧).

(٣) عكرمة بن عمار العجلي أبو عمار اليمامي بصري الأصل روى عن الهرماس بن زياد وله صحبة، وإياس بن سلمة بن الأكوع، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأبي زميل سماك بن الوليد الحنفي، وضمضم بن جوس، وشداد بن عمر وطائفة وعنه شعبة والثوري ووكيع ويحيى القطان، وابن المبارك، وابن مهدي، ويحيى بن أبي زائدة، وقراد أبو نوح وعمر بن يونس اليمامي، وعلي بن ثابت الجزري، وأبو النضر وخلق فيه ضعف انظر التهذيب (٧/٢٦١).

(٤) سماك بن الوليد الحنفي أبو زميل اليمامي سكن الكوفة، روى عن ابن عباس وابن عمر ومالك بن مرثد، وعروة بن الزبير. وعنه ابنه زميل وابن ابنه عبد ربه بن بارق وشعبة ومسعر وعكرمة بن عمار وغيرهم. قال أحمد وابن معين والعجلي ثقة، وقال أبو حاتم صدوق لا بأس به وقال النسائي ليس به بأس. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني وقيل سماك بن زيد. وقال ابن عبد البر أجمعوا على أنه ثقة. انظر التهذيب (٤/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٥) أخرجه مسلم (٣/١٣٨٣) في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ٥٨/١٧٦٣ وهو عند البخاري ٧/٣٣٥ في كتاب المغازي باب قول الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم).

(٦) هناد بن السري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زائدة بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي أبو السري الكوفي. روى عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهشيم وأبي بكر بن عياش، وعبد الله بن إدريس وأبي الأحوص وحفص بن غياث، ويحيى بن زكرياء بن أبي زائدة وأبي معاوية الضرير وإسماعيل بن عياش وشريك وأبي زبيد عبثر بن القاسم وخلق ثقة انظر التهذيب (١١/ ٧٠).

(٧) محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي أبو حاتم: حافظ للحديث من أقران البخاري ومسلم. ولد في الري وإليها نسبته. وتنقل في العراق والشام ومصر وبلاد الروم وتوفي ببغداد. له طبقات التابعين وكتاب الزينة وتفسير القرآن العظيم والأعلام (٦/٢٧).

(٨) قرأ بها نافع: «مُرْدَفين» بفتح الدال مفعول بهم أي: الله أردفهم أي: بعثهم على آثار من تقدمهم.
قال أبو عبيد: تأويله أن الله تبارك وتعالى أردف المسلمين بهم. وكان مجاهد يفسرها: مُمَدِّين وهو تحقيق هذا المعنى. وقرأ=

فمعناه بألف أردف الله المسلمين بهم. قال مجاهد: الإرداف إمداد المسلمين بهم قوله تعالى: **﴿وما جعله الله﴾** الآية مفسرة في سورة آل عمران [(١)]» وقوله: **﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾** ذكرنا تفسيره عند قوله: **﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾**[(٢)] الآية والمعنى أن الله أمنهم أمناً حتى غشيهم النعاس ومن قرأ يُغْشيكم أو يُغَشيكم[(٣)]، أسند الفعل في هذا إلى الله، وقوله: **﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾** قال الوالبي عن ابن عباس: «إن المسلمين لما بايتوا المشركين ببدر، أصابت منهم جماعة جنابات وكان المشركون سبقوهم إلى الماء وغلبوهم عليه فساءهم عدم الماء عند حاجتهم إليه فأنزل الله تعالى مطراً سال منه الوادي، حتى اغتسلوا وتطهروا»[(٤)] وقوله: **﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾** يعني وسوسته التي تكسب عذاب الله وذلك أن الشيطان وسوس إليهم وقال لهم: كيف ترجون الظفر وقد غلبوكم على الماء؟ وأنتم تصلون مجنبين ومحدثين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه، وقوله: **﴿وليربط على قلوبكم﴾** الربط معناه الشد، يقال لكل من صبر على أمر: ربط قلبه، وعلى صلة، والمعنى: وليربط قلوبكم بما أنزل من الماء فتثبت ولا تضطرب [بوسوسة الشيطان][(٥)]، وقوله: **﴿ويثبت به الأقدام﴾** وذلك أن المسلمين كانوا قد نزلوا على كثيب تغوص فيه أرجلهم فلبده[(٦)] المطر حتى تثبت عليه الأقدام **﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة﴾** يعني الذين أمد بهم المسلمين **﴿أني معكم﴾** بالعون والنصرة **﴿فثبتوا الذين ءامنوا﴾** قال مقاتل[(٧)]: يعني بشروهم بالنصر فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم وقال الزجاج[(٨)]: جائز

= الباقون: مُرْدِفين بكسر الدال أي: جاؤوا بعدهم على آثارهم أي: ردفوا أصحاب رسول الله ﷺ و(أردف) بمعنى ردف قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

قال أبو عبيد: أراد بقوله أردفت: ردفت أي: جاءت بعدها. ألا ترى أن الجوزاء تطلع بعد طلوع الثريا وعلى أثرها. وقال ابن عباس: مردفين أي: متتابعين وقال آخرون منهم أبو عمرو: مردفين: أي: أردف بعضهم بعضاً، فالإرداف أن يحمل الرجل صاحبه خلفه. تقول: ردفت الرجل أي: ركبت خلفه، وأردفته إذا أركبته خلفي. وقال آخرون منهم أبو بكر بن مجاهد: مردفين أي: متقدمين لمن وراءهم، كأن من يأتي بعدهم ردف لهم أي أتوا في ظهورهم. فعلى هذا الوجه لا يكون (أردف) بمعنى (ردف)، لأنهم أردفوا خلفهم. انظر حجة القراءات ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

وانظر النشر ٢/ ٢٧٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧٧ والبحر المحيط ٤/ ٤٦٥.

(١) انظر الآية (١٢٦).

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٤.

(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير: إذ يغشاكم بالألف النعاس رفع. فعل الفعل النعاس. لأنك تقول: غشيني النعاس يغشاني وحجتهما في أن الفاعل هو النعاس قوله: أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم ألا ترى أن النعاس هو الذي يغشى فهو الفاعل والقصة واحدة، فلذلك اختارا هذا الوجه. وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة: إذ يغشيكم بضم الياء وتشد الشين، النعاس نصب. أي الله يغشيكم النعاس. وحجتهم :أن الفعل أتى عقيب ذلك مسنداً إلى الله وهو قوله (ويُنَزِّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان). فكان الأولى بما قبله أن يكون خبراً عن الله أنه هو الفاعل له لينتظم الكلام على سياق واحد. وحجة التشديد قوله: (فَغَشَّاها ما غَشَّى). وقرأ أهل المدينة: (إذْ يُغْشِيكم) بضم الياء وسكون الغين. (النعاسَ) نصب أي: يغشيكم الله النعاس.

وحجتهم قوله: (فأغْشَيْناهم فهم لا يبصرون) انظر حجة القراءات (٣٠٨) وانظر النشر ٢/ ٢٧٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٧٧ البحر المحيط ٤/ ٤٦٧.

(٤) البغوي ٢/ ٣٢٤، القرطبي ٧/ ٢٣٧ الرازي ١٥/ ١٠٧ فتح القدير نقلا عن الزجاج ٢/ ٢٩١، وانظر الدر المنثور ٣/ ١٧١.

(٥) سقط في ب.

(٦) أي: جعله قوياً. انظر لسان العرب ٦/ ٣٩٨٤.

(٧) البغوي ٢/ ٢٣٥ القرطبي ٢/ ٢٤٠ البحر المحيط ٤/ ٤٧٠ روح المعاني ٩/ ١٧٧، الرازي ١٥/ ١٠٩.

(٨) معاني القرآن ٢/ ٤٠٤، البحر المحيط ٤/ ٤٧٠ روح المعاني ٩/ ١٧٧.

أن يكونوا يثبتونهم بأشياء يلقونهم في قلوبهم تقوى بها وقال الحسن[١]: «فثبتوا الذين آمنوا بقتالكم المشركين» وقوله: ﴿**سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾ قال عطاء: «يريد الخوف من أوليائي[٢]» ﴿**فاضربوا فوق الأعناق**﴾ يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق قال عطاء[٣]: يريد كل هامة وجمجمة وجائز أن يكون هذا أمر للمؤمنين وجائز أن يكون أمراً للملائكة، وهو الظاهر، قال ابن الأنباري[٤]: «إن الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس، فعلمهم الله تعالى أن يضربوا الرؤوس» وقوله: ﴿**واضربوا منهم كل بنانٍ**﴾ قال ابن عباس وابن جريج والسدي[٥]: «يعني الأطراف من اليدين والرجلين» وقال الفراء «يعني الأيدي والأرجل[٦]» قال ابن الأنباري[٧]: «البنان أطراف الأصابع فاكتفى الله به من جملة اليد والرجل» ﴿**ذلك بأنهم**﴾ أي: ذلك الضرب بأنهم ﴿**شاقوا الله ورسوله**﴾ قال ابن عباس[٨]: «حاربوا الله وحاربوا رسوله» والمعنى خالفوا أمر الله ورسوله ثم أوعد المخالف لهما بباقي الآية ﴿**ذلكم**﴾ أي ذلك الضرب ﴿**فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار**﴾ وعيد للكفار بعذاب النار بعدما نزل بهم من ضرب الأعناق وكل بنان.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً**﴾ أي متدانين لقتالكم، قال الليث: «الزحف[٩] جماعة يزحفون إلى عدو لهم بمرة فهو الزحف وجمعه الزحوف».

قال الزجاج: إذا واقفتموهم للقتال فلا تنهزموا[١٠]، وهو قوله: ﴿**فلا تولوهم الأدبار**﴾ أي: لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم ﴿**ومن يولهم يومئذ**﴾ يعني يوم لقاء الكفار ﴿**دبره إلا متحرفاً لقتال**﴾ أي: منعطفاً كأنه يطلب عودة يمكنه إصابتها ينحرف عن وجهه ويرى أنه منهزم، ثم يكر[١١] ﴿**أو متحيزاً**﴾ أي متنحياً منضماً ﴿**إلى فئة**﴾ جماعة من المسلمين يريدون العودة إلى القتال، [ومعنى الآية النهي عن الانهزام بين يدي الكفار إلا أن يكون متحرفاً لقتال أو

---

(١) البغوي ٢/٢٣٤ روح المعاني ٩/١٧٧.

(٢) البغوي في التفسير ٢/٢٣٥.

(٣) الهامة الرأس بنحوه عند الطبري ٣/٤٣٠، الرازي ١٥/١٠٩ وابن كثير في البحر المحيط ٤/٤٧٠، وانظر فتح القدير ٢/٢٩٣، وذكره القرطبي بلفظ المصنف وعزاه لابن عباس ٧/٢٤٠، وذكره الألوسي عن عطاء ٩/١٧٨.

(٤) البغوي ٢/٢٣٥.

(٥) الطبري ١٣/٤٣٢ وابن كثير ٣/٥٦٦ والبغوي ٢/٢٣٥ الرازي ١٥/١٠٩ القرطبي ٧/٢٤٠ فتح القدير ٢/٢٩٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ١/٤٠٥ البحر المحيط ٤/٤٧١.

(٧) البغوي ٢/٢٣٥ القرطبي ٧/٢٤٠ روح المعاني ٩/١٧٨.

(٨) بنحوه عند الرازي ١٥/١٠٩ وانظر تفسير أبي السعود ٤/١١.

(٩) البغوي ٢/٢٣٦ انظر القرطبي ٧/٢٤١. البحر المحيط ٤/٤٧٣ فتح القدير ٢/٢٩٣.

(١٠) معاني القرآن ٢/٤٠٥.

(١١) هو الرجوع انظر لسان العرب ٥/٣٨٥١.

منضماً إلى جماعة يعودون للقتال][1] فإذا انهزم ونوى التحيز إلى فئة من المسلمين ليستعين بهم ويعود إلى القتال لم يلحقه هذا الوعيد، وهو قوله: ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ وأكثر المفسرين على أن هذا [الوعيد][2] خاص فيمن انهزم يوم بدر ولم يكن لهم أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض فئة للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض وهذا قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك[3].

أخبرنا أحمد بن الحسن الخيري أنا محمد بن يعقوب بن يونس أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عينية عن يزيد بن أبي زياد [4] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى [5] عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله في سرية فلقوا العدو فحاص الناس حيصة فأتينا المدينة فتخبأنا بها وقلنا يا رسول الله نحن الفرّارون قال بل أنتم العكارون وأنا فيئتكم [«رواه» الثعلبي [6] «عن» عبد الله بن محمد الرازي[7] عن علي بن محمد بن عمير عن إسحاق بن إبراهيم عن هشام بن عبيد الله[8] عن كريب عن يزيد بن أبي زياد][9].

---

(١) سقط في أ. (٢) سقط في ب.

(٣) الطبري ١٣/٣٤٨، تفسير ابن كثير ٣/٥٦٩ البغوي ٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧، الرازي ١٥/١١١ فتح القدير ٢/٢٩٤. القرطبي ٧/٢٤٢ البحر المحيط ٤/٤٧٤، روح المعاني ٩/١٨٢، قال الألوسي في تفسيره: هذا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهاراً للاعتناء به وحثاً على المحافظة عليه (٩/١٨٠) وانظر تفسير أبي السعود ٤/١٢.

(٤) يزيد بن زياد، ويقال ابن أبي زياد، ويقال يزيد بن زياد بن أبي زياد المدني، مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، ويقال اسم أبي زياد ميسرة ويقال إنهما اثنان، روى عن محمد بن كعب القرظي، وعبد الله بن رافع مولى أم مسلمة. وعنه ابن إسحاق، ومالك وقال الترمذي: مدني روى عنه مالك وغير واحد وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ١١/٣٢٨.

(٥) عبد الرحمن بن أبي ليلى، واسمه يسار، ويقال بلال، ويقال داود بن بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي أبو عيسى الكوفي والد محمد ولد لست بقين من خلافة عمر، روى عن أبيه وعمر وعثمان وعلي وسعد وحذيفة ومعاذ بن جبل وعنه ابنه عيسى وابن ابنه عبد الله بن عيسى، وعمرو بن ميمون الأودي وهو أكبر منه، والشعبي وثابت البناني، والحكم بن عتيبة وحصين بن عبد الرحمن. وقال ابن أبي حاتم قلت: لأبي يصح لابن أبي ليلى سماع من عمر، قال: لا، قال أبو حاتم روى عن عبد الرحمن أنه رأى عمر، وبعض أهل العلم يدخل بينه وبين عمر البراء بن عازب، وبعضهم كعب بن عجرة، انظر التهذيب ٦/٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٦) إسناد المصنف ضعيف، وعلته عبد الله بن محمد الرازي والحديث صحيح من غير طريق المصنف، أخرجه أحمد ٢/٧٠، ٢/٨٦، ١٠٠، ١١١ وأخرجه أبو داود ٣/٤٦ في كتاب الجهاد باب في التولي يوم الزحف ٢٦٤٧ وأخرجه الترمذي (٤/١٨٦) في كتاب الجهاد باب الفرار من الزحف (١٧١٦) وقال حديث حسن. وذكره ابن كثير ٣/٥٦٧ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، قال ابن كثير قال أهل العلم العكارون أي: المطافون، قلت: والعكار الذي يفر إلى إمامه لينصره ليس يريد الفرار من الزحف. انظر لسان العرب ٤/٣٠٥٥ وذكره السيوطي في الدر ٣/١٧٤ وزاد نسبته لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٧) عبد الله بن داهر بن يحيى بن داهر الرازي، أبو سليمان المعروف بالأحمري عن أبيه وعنه أحمد بن أبي خيثمة. قال أحمد ويحيى: ليس بشيء. قال: وما يكتب حديثه إنسان فيه خير. وقال العقيلي: رافضي خبيث. وقيل: اسمه عبد الله بن محمد. انظر الميزان ٢/٤١٦.

(٨) هشام بن عبيد الله الرازي السِّنِي بكسر السين المهملة. روى عن بسر بن سليمان، وعنبسة بن الأزهر، وعبد الوارث بن سعيد، ومالك وعبد العزيز بن المختار، والليث، وحماد بن زيد، وأبي عوانة وغيرهم. روى عنه بقية بن الوليد، وهو أكبر منه والحسن بن عرفة، وأحمد بن أيوب المرادي وطائفة انظر التهذيب (١١/٤٧).

(٩) سقط في ب، ج.

وذهب قوم إلى أن الفرار من الزحف من الكبائر وأن من فرَّ من الزحف إذا لم يزيدوا على ضعف المسلمين لحقه الوعيد. وقوله: ﴿**ومأواه جهنم**﴾ لا يدل على التخليد ومعناه: أن مرجعه إليها إلى وقت الرحمة والشفاعة، قوله تعالى: ﴿**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**﴾ قال الكلبي: بالملائكة جبريل ومن معه[1] وقال أهل المعاني: «لأن الله تعالى تولى نصرهم بأن شجع قلوبهم وألقى الرعب في قلوب المشركين[2]»، ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ قال المفسرون[3] «إن جبريل قال للنبي - ﷺ - يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها فخرج رسول الله - ﷺ - من العرش فأخذ قبضة من حصبة الوادي فرمى بها في وجه القوم وقال: شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل عينه منها شيء وشغل بعينه فكان ذلك سبب هزيمتهم» قال الزجاج[4]: «أعلم الله تعالى أن كفاً من حصباء لا يملأ عيون ذلك الجيش الكبير برمية بشر وأنه تعالى تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم فقال: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ ﴿**وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً**﴾ ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والأجر والمثوبة ﴿**إن الله سميع**﴾ لدعائكم ﴿**عليم**﴾ بنياتكم» قوله ﴿**ذلكم**﴾ أي: الأمر ذلكم الذي ذكرت ﴿**وأن الله موهن كيد الكافرين**﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتفريق كلمتهم قال ابن عباس: «يقول: إني قد أوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم[5]»

إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾

قوله: ﴿**إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**﴾ قال ابن عباس[6]: «إن أبا جهل قال يوم بدر قبل القتال: اللهم انصر أفضل الفريقين، وأكرم الدينين، وأرضاهما عندك فنزلت هذه الآية» قال عبد الله بن ثعلبة: «كان المستفتح أبا جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا يعرف، فافتح عليه الغداة فأنزل الله تعالى: ﴿**إن تستفحوا فقد جاءكم الفتح**﴾[7] إن تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر» وهذا قول الحسن ومجاهد والسدي والضحاك

---

(١) بنحوه عند البغوي ٢/٢٣٧، والقرطبي ٧/٢٤٤.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٦، وانظر تفسير الرازي ١٥/١١٢.

(٣) الطبري ١٣/٤٤٥ (١٥٨٢٧)، وابن كثير ٣/٥٧١ والرازي في التفسير ١٥/١١٢، وبنحوه عند مسلم ٣/١٣٩٨ في كتاب الجهاد باب في غزوة حنين، وانظر تفسير أبي السعود ٤/١٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٧ البغوي ٢/٢٣٨.

(٥) ذكره الرازي في التفسير ١٥/١١٤. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (مُوَهِّن) بالتشديد كيد نصب من وَهَنَّ يُوَهِّنُ مثل قَتَّل يُقتِّل. وحجتهم في ذلك أن التشديد إنما وقع لتكرر الفعل، وذلك ما ذكره الله من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، ذلك منه شيء بعد شيء، وحال بعد حال في وقت بعد وقت، فكان الأولى بالفعل أن يشدد لتردد هذه الأفعال فكأنه أوقع الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة فوجب أن يقال: موهن لهذه العلة. وقرأ أهل الكوفة وأهل الشام مُوْهِن بإسكان الواو من أَوْهن يُوهِن فهو مُوهن مثل أَيْقَن يُوقِن فهو مُوقِن وهما لغتان مثل كرم وأكرم وكلهم ينصبون (كيدَ) وينونون (موهن). إلا حفصاً عن عاصم فإنه أضافه فقرأ: (موهن كيدِ) ومثله بالغ أمره. فمن نون أراد الحال والاستقبال كقولك: الأمير خارج الآن أو غداً، ومن لم ينون جاز أن يريد الماضي والاستقبال. انظر الحجة ٣٠٩ - ٣١٠، وانظر النشر ٢/٢٧٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/٧٨.

(٦) الطبري ١٣/٤٥٣، القرطبي ٧/٢٤٥ البغوي ٢/٢٣٩، الرازي ١٥/١١٤.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/٤٥٣، ٤٥٤ (١٥٨٤٦)، وابن كثير ٣/٥٧٢، وأخرجه النسائي ١/٥١٨ والحاكم في المستدرك ٢/٣٢٨، والبيهقي في الدلائل ٣/٧٤ وأحمد ٥/٤٣١.

=

وقوله ﴿وإن تنتهوا﴾ أي عن الشرك بالله ﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾ لقتال محمد ﴿نعد﴾ عليكم بالقتل والهزيمة ﴿ولن تغني عنكم فئتكم﴾ جماعتكم ﴿شيئاً ولو كثرت﴾ في العدد ﴿وإن الله مع المؤمنين﴾ بالعون والنصر، فمن كسر[١] إن فهو منقطع عما قبله، ومن فتح كان وجهه: ولأن الله مع المؤمنين أي لذلك لن تغني عنكم فئتكم شيئاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه﴾ ولا تعرضوا عنه ﴿وأنتم تسمعون﴾ موعظتي وما أعددت لأوليائي وأعدائي من الثواب والعقاب وقال ابن عباس[٢]: لا تولوا عن رسول الله ﷺ وأنتم تسمعون ما نزل من القرآن».

﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ [قال ابن عباس[٣]: يعني اليهود قريظة والنضير قال الزجاج[٤]: «معنى قوله ﴿سمعنا وهم لا يسمعون﴾][٥] أنهم سمعوا سماع عداوة وبغضاء فلم يتفقهوا[٦] ولم يتفكروا[٧] فيما سمعوا فكانوا بمنزلة من لم يسمع» وقال مقاتل[٨]: «يعني المنافقين الذين يقولون سمعنا سماع قابل وليسوا كذلك» قوله: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم﴾ قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل[٩]: «يريد نفراً من بني عبد الدار كانوا صماً عن الحق فلا يسمعونه بكماً عن التكلم به» فكل ما دب على الأرض فهو من جملة الدواب بين الله تعالى أن هؤلاء الكفار شر ما دب على وجه الأرض من الحيوان، وقوله: ﴿الذين لا يعقلون﴾ أي الذين لا يقبلون القرآن ولا يعقلون الموعظة، قوله: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ لو علم أنهم يصلحون بما يورده عليهم من حججه وآياته

= ذكره السيوطي في الدر ٣/١٧٥، وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد، والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه وابن منده، والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل. وانظر الشوكاني في الفتح ٢/٢٩٧، البغوي ٢/٢٣٨، وانظر القرطبي ٧/٢٤٥ الرازي ١٥/١١٤.

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص: ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين بفتح الألف أي: ولأنّ الله مع المؤمنين، فلما حذفت اللام جعلت أنّ في محل النصب كأنه قال: ولن تغني عنكم فئتكم لكثرتها، لأن الله مع المؤمنين. وحجتهم في ذلك أنها مردودة على قوله قبلها: (وأن الكافرين) وأن الله موهن و(أن الله مع المؤمنين) فيكون الكلام واحداً يتبع بعضه بعضاً. انظر الحجة ٣١٠، وانظر النشر ٢/٢٧٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/٧٨، البحر المحيط ٤/٤٧٩.

(٢) البغوي ٢/٢٤٠.

(٣) أبو حيان في البحر المحيط ٤/٤٧٩ القرطبي ٧/٢٤٦ فتح القدير ٢/٢٩٨.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٠٨.

(٥) ما بين المعقوفين سقط في ج.

(٦) في أ (فلم يتهموا)، وفي ج (فلم يتفهموا).

(٧) في ب، ج (ولم يتذكروا).

(٨) انظر تفسير الطبري ١٣/٤٥٨، ابن كثير، البحر المحيط ٤/٤٨٠ القرطبي ٧/٢٤٦.

(٩) البغوي ٢/٢٤٠، الطبري ١٣/٤٦٠ ـ ٤٦١، ابن كثير ٣/٥٧٤ البحر المحيط ٤/٤٨٠، القرطبي ٧/٢٤٦، والسيوطي في الدر ٣/١٧٦، وفتح القدير ٢/٢٩٨.

لأسمعهم إياها سماع تفهم وتعليم ﴿ولو أسمعهم﴾ بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، و ﴿لتولوا وهم معرضون﴾ لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ أجيبوهما بالطاعة ﴿إذا دعاكم﴾ الرسول ﴿لما يحييكم﴾ قال السدي[(١)]: «هو الإيمان وهو حياة القلب، والكفر موته» وقال قتادة[(٢)]: «يعني القرآن وفيه الحياة والنجاة والعصمة والقرآن سبب الحياة بالعلم» والأكثرون على أن معنى قوله: ﴿لما يحييكم﴾ الجهاد قال الفراء إذا دعاكم إلى إحياء أمركم بالجهاد لأن أمرهم إنما يقوى به[(٣)] وقال الزجاج[(٤)]: أي لما يكون سبباً للحياة الدائمة في نعيم الآخرة وهو الجهاد وقال ابن قتيبة[(٥)]: «يعني الشهادة لأن الشهداء أحياء عند ربهم وسبب الشهادة الجهاد» وقوله: ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان وهذا قول ابن عباس وسعد بن جبير وعطاء[(٦)] وقال السدي[(٧)]: «يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذنه» وقوله: ﴿وأنه إليه تحشرون﴾ أي: للجزاء على الأعمال، قوله: ﴿واتقوا فتنة﴾ قال الزبير بن العوام[(٨)]: «نزلت هذه الآية ونحن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وما أرانا من أهلها، وإذا نحن المعنيون بها» يعني ما كان يوم الجمل، قال السدي ومقاتل والضحاك والحسن وقتادة[(٩)]: «هذا في قوم مخصوصين من أصحاب

---

(١) الطبري ١٣/٤٦٤ و (١٥٨٦٧)، البغوي ٢/٢٤٠، الرازي ١٥/١١٨، وابن كثير ٣/٥٧٥.

(٢) الطبري ١٣/٤٦٤ ـ ٤٦٥ (١٥٨٧٢)، البغوي ٢/٢٤٠، الرازي (١٥/١١٨) وابن كثير ٣/٥٧٥ القرطبي ٧/٢٤٧، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٧٦، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد، وانظر فتح القدير ٢/٢٩٩.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٤٠٧، وانظر الرازي ١٥/١١٩، الطبري ١٣/٤٦٥ سيرة ابن هشام ١/٦٦٩، البغوي ٢/٢٤٠ القرطبي ٩/٢٤٧ البحر المحيط ٤/٤٨١ انظر روح المعاني ٩/١٩٠، فتح القدير ٢/٢٩٩ أبو السعود ٤/١٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج، وانظر المصادر السابقة.

(٥) انظر تفسير البغوي ٢/٢٤٠ البحر المحيط ٤/٤٨١ الرازي ١٥/١١٨ روح المعاني ٩/١٩٠.

(٦) أخرجه الطبري ١٣/٤٦٨ (١٥٨٨١)، والبغوي ٢/٢٤١، وابن كثير ٣/٥٧٥، وأخرجه الحاكم موقوفاً ٢/٣٢٨ وصححه ووافقه الذهبي وعزاه ابن كثير لابن مردويه من وجه آخر مرفوعاً، وقال: ولا يصح لضعف إسناده، والموقوف أصح وذكره أبو حيان في البحر ٤/٤٨١، والقرطبي ٧/٢٤٠٧ فتح القدير ٢/٣٠٠.

(٧) أخرجه الطبري ١٣/٤٧١ (١٥٩٠١) البغوي ٢/٢٤١ وابن كثير في التفسير ٣/٥٧٥ أبو حيان في البحر ٤/٤٨١، القرطبي ٧/٢٤٨.

(٨) أخرجه الطبري ١٣/٤٧٣، ٤٧٤ (١٥٩٠٣) (١٥٩٠٦) وابن كثير في التفسير ٣/٥٧٨ وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب ٣/٣٣٦ وضعفه البوصيري، وانظر فتح القدير ٢/٣٠٠.
وذكره البغوي في التفسير ٢/٢٤١ والرازي في التفسير ١٥/١٢٠ وانظر البحر المحيط ٤/٤٨٣.

(٩) البغوي ٢/٢٤١ انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٧٨ القرطبي ٧/٢٤٨ وانظر تفسير الطبري ١٣/٤٧٤ فتح القدير ٢/٣٠٠.

محمد ـ ﷺ ـ أصابتهم الفتنة يوم الجمل» أمر الله تعالى باتقاء الفتنة التي تتعدى المظالم، فتصيب الصالح والطالح جميعاً، ولا تقتصر على الذين ظلموا دون غيرهم قال الكلبي[(١)] : تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون للظلمة وحدهم خاصة دون غيرهم ولكنها عامة وقال ابن زيد[(٢)] أراد بالفتنة افتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضاً، قوله: **﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾** قال المفسرون[(٣)] : يعني النبي ـ ﷺ ـ ومن معه [حين][(٤)] كانوا بمكة في ابتداء الإسلام قبل الهجرة مستضعفين **﴿في الأرض﴾** قال ابن عباس[(٥)] : «في أرض مكة» **﴿تخافون﴾** إن خرجتم منها **﴿أن يتخطفكم الناس﴾** يستلبكم المشركون من العرب **﴿فآواكم﴾** يعني جعل لكم مأوى ترجعون إليه، يعني المدينة دار الهجرة **﴿وأيدكم بنصره﴾** وقواكم بالأنصار وقال الكلبي[(٦)] : «يعني يوم بدر قواكم بالملائكة **﴿ورزقكم من الطيبات﴾** أحل لكم الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم» والمعنى: قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن بتلك الحالة المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة، وتشكروا عليه، وهو قوله: **﴿لعلكم تشكرون﴾**.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: **﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول﴾** نزلت الآية في «أبي لبابة [ابن عبد المنذر]»[(٧)] حين بعثه رسول الله ـ ﷺ ـ إلى قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى لنا؟ أننزل على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه أي: إنه الذبح فلا تفعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله ـ قال أبو لبابة: «ما زلت قدماي من مكاني حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله[(٨)]» وقوله: **﴿ وتخونوا أماناتكم﴾** عطف على النهي، المعنى: ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس في رواية الوالبي: «الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد»[(٩)] يقول: لا تنقصوها، يقول الكلبي: «أما خيانة الله ورسوله فعصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل أحد مؤتمن على ما افترض الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها[(١٠)] لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى» وقوله: **﴿وأنتم**

---

(١) البغوي ٢/٢٤١، فتح القدير ٢/٢٩٩.

(٢) البغوي ٢/٢٤١، روح المعاني ٩/١٩٢ أبو السعود ٤/١٦.

(٣) البغوي ٢/٢٤٢، الرازي ١٥/١٢١ فتح القدير ٢/٣٠١، القرطبي ٧/٢٥ أبو السعود ٤/١٧.

(٤) سقط في ب.

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) البغوي ٢/٢٤٢ القرطبي ٧/٢٥٠ أبو حيان في البحر ٤/٤٨٥، روح المعاني ٩/١٩٥، وانظر تفسير الرازي ٧/١٢١، والشوكاني في فتح القدير ٢/٣٠١.

(٧) سقط في ب، ج.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٤٨١ ـ ٤٨٢ (١٥٩٢٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٣٦ و ٢٣٧ أسد الغابة ٥/٢٨٤، ٢٨٥ الإصابة للحافظ ابن حجر ٤/١٦٧، تفسير ابن كثير ٣/٥٨١ والبغوي في التفسير ٢/٢٤٢، وأبو حيان في البحر ٤/٤٨٦، والقرطبي في التفسير ٧/٢٥٠ تفسير الرازي ١٥/١٢١ تفسير أبو السعود ٤/١٧ فتح القدير ٢/٣٠٢، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٧٨ وزاد نسبته لسعيد.

(٩) أخرجه الطبري ١٣/٤٨٥ (١٥٩٣١)، وابن كثير في التفسير ٣/٥٨٢ البغوي ٢/٢٤٣ القرطبي ٧/٢٥١ وروح المعاني ٢/١٩٦.

(١٠) بنحوه في البحر ٤/٤٨٦، وانظر فتح القدير ٢/٣٠٢.

تعلمون﴾ [أي: تعلمون][1] أنها أمانة من غير شبهة وقال صاحب النظم: «وأنتم تعلمون أن ما فعلتم من الإشارة إلى الخلق خيانة لله ورسوله» وقوله: **﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** أي: محنة يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه وكان لأبي لبابة[2] مال وولد وأهل في قريظة لذلك مال إليهم في إطلاعهم على أن حكم سعد فيهم القتل، وقوله **﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾** قال ابن عباس[3]: «يريد لمن نصح لله ولرسوله وأدى أمانته» وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾** إن تتقوه باجتناب المعاصي[4] **﴿يجعل لكم فرقاناً﴾** بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم[5] بنصره إياكم عليهم وهذا قول «مقاتل» وقال عكرمة والسدي[6] فرقاناً نجاة يعني أن الله يفرق بينكم وبين من تخافون، فتنجون والفرقان مصدر لفرق **﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾** يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم **﴿والله ذو الفضل العظيم﴾** أي: أنه يملك الفضل العظيم فاكتفوا بالطلب من عنده دون غيره.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

قوله: **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾** قال ابن عباس ومجاهد وقتادة[7] إن مشركي قريش تآمروا في دار الندوة في المكر بالنبي ﷺ فقال بعضهم: قيدوه نتربص به ريب المنون وقال بعضهم: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه وقال أبو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربون بأسيافهم ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها فيرضون بأخذ الدية فأوحى الله عز وجل إلى نبيه ﷺ بذلك وأمره بالخروج إلى المدينة فخرج إلى الغار[8] فذلك قوله: **﴿ليثبتوك﴾** أي: ليوثقوك ويشدوك وكل من شد فقد أثبت لأنه لا يقدر على الحركة في الذهاب والمجيء وقال السدي: ليحبسوك في بيت[9] **﴿أو يقتلوك﴾** كما قال اللعين أبو جهل **﴿أو يخرجوك﴾** من مكة إلى طرف من أطراف الأرض **﴿ويمكرون ويمكر الله﴾** قال الزجاج: «ومكر الله بهم إنما هو مجازاة ونصر للمؤمنين[10]» **﴿والله خير الماكرين﴾** لأنه أهلك هؤلاء الذين دبروا لنبيه الكيد وخلصه منهم وذكرنا معنى هذا عند قوله: **﴿ومكروا ومكر الله﴾**[11] الآية.

---

(١) سقط في ب.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٣/٤٥٢، ٤٥٣، ٥٠٢.

(٣) ذكره البغوي في التفسير ٢/٢٤٣.

(٤) في أ، ج (الخيانة).

(٥) بنحوه عند البغوي ٢/٢٤٣ عن أبي إسحاق.

(٦) الطبري ٣/٤٨٨، تفسير ابن كثير ٣/٥٨٣، البغوي ٢/٢٤٣ القرطبي في التفسير ٧/٢٥٢، وأبو حيان في البحر ٣/٤٨٦ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/٣٠٣، وعزاه لابن جرير.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير ١٣/٤٩٤ (١٥٩٦٥)، وابن كثير ٣/٥٨٥، وابن إسحاق كذا في سيرة ابن هشام ١/٤٨٠ ـ ٤٨٣ وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/٣٠٤ والرازي في التفسير ١٥/١٢٤ والبغوي في التفسير ٢/٢٤٣ وأبو السعود في التفسير ٤/١٨، وأبو حيان في البحر ٤/٤٨٧.

(٨) انظر المصادر السابقة.

(٩) القرطبي ٧/٢٥٢، البغوي ٢/٢٤٤، الرازي ١٥/١٢٥، روح المعاني ٩/١٩٧.

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٢/٤١٠، وانظر روح المعاني ٩/١٩٨، وانظر فتح القدير ٢/٣٠٣.

(١١) سورة آل عمران ٥٤.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا﴾ الآية، قال «المفسرون»: كان النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة[١] تاجراً فاشترى أحاديث كليلة ودمنة[٢] وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين وهو منهم فيقرأ عليهم فلما قص رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر: لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا ما سطر الأولون في كتبهم [فذمهم الله تعالى][٣] بدفعهم الحق كذباً وافتراء وإدعائهم الباطل بعد ما أبان التحدي إفكهم وأنهم عجزوا عن إتيان[٤] سورة مثله، وذكرنا معنى الأساطير في سورة الأنعام[٥].

وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾

وقوله: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ الآية، قال النضر بن الحارث[٦]: اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمد حقاً من عندك ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿أو ائتنا بعذاب أليم﴾ أي ببعض ما عذبت به الأمم وإنما قالوا هذا لشبهة تمكنت من نفوسهم ولو عرفوا بطلان ما هم عليه ما قالوا مثل هذا القول مع علمهم بأن الله قادر على ذلك، فطلبوا إمطار الحجارة من السماء إعلاماً أنهم في غاية الثقة في أن أمر محمد ليس بحق وإذا لم يكن حقاً لم يصبهم هذا البلاء الذي طلبوه من عند أنفسهم، لأنهم شرطوا كونه حقاً.

أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم المقري أنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى[٧] أنا الحسن بن

---

(١) البغوي ٢/٢٤٥، ابن كثير ٣/٥٨٧، القرطبي ٧/٢٥٢، الرازي ١٥/١٢٦.

(٢) بالكسر ثم السكون وراء مدينة كانت على ثلاث أميال من الكوفة على النجف مراصد الاطلاع ١/٤٤١.

(٣) سقط في أ، ب.

(٤) في أ، ب (عن سورة).

(٥) انظر الآية رقم ٢٥.

(٦) الطبري ١٣/٥٠٦، البغوي ٢/٢٤٥، الرازي ١٥/١٢٦، القرطبي ٧/٢٥٢ ابن كثير ٣/٥٨٩، البحر المحيط ٤/٤٨٨، أبو السعود ٤/١٩، روح المعاني ٩/١٩٩ الدر المنثور ٣/١٨٠، واختلف أهل العلم فيمن قال هذه المقالة وسيحكي ذلك المصنف رحمه الله، فقال مجاهد وابن جبير: قائل هذا هو النضر بن الحارث، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه قائله أبو جهل. وهو مروي عند البخاري ومسلم، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
قال الحافظ ابن حجر ولا ينافي نسبة القول إلى النضر بن الحارث ما في الصحيح لاحتمال أن يكونا قالاه، ولكن نسبته إلى أبي جهل أولى. وانظر الدر المنثور ٣/١٨٠، وانظر البغوي ٢/٢٤٥. انظر المصادر السابقة.

(٧) عبد الرحمن بن إبراهيم المزكي. سمع أبا حامد بن الشرقي، وأبا حامد بن بلال، ومحمد بن الحسين القطان، وإسماعيل الصفار، ومحمد بن عمر بن حفص، والأصم. وخرجت له العوالي. قال الحاكم: كان من عقلاء الرجال والعباد وثقه الخطيب انظر السير (١٦/٤٩٧).

محمد بن إسحاق نا محمد بن زكريا الغلابي نا العباس بن بكار نا عامر بن عبد الله عن أبي الزناد قال: «قال معاوية لرجل من أهل اليمن أجهل قومك حيث قالوا: ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾[١] وحيث ملكوا أمرهم امرأة[٢]، فقال: أجهل من قومي قومك، حيث قالوا حين دعاهم النبي ﷺ: **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾** ألا قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له[٣]؟ وجميع المفسرين على أن هذا من قول النضر بن الحارث[٤] وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل لعنه الله.

أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أنا محمد بن عبد الله بن الحاكم الحافظ[٥] نا محمد بن يعقوب الشيباني نا أحمد بن النضر بن عبد الوهاب[٦] نا عبيد الله بن معاذ[٧] نا أبي[٨] نا شعبة عن عبد الحميد صاحب الزيادي[٩] سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو جهل: **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من**

---

(١) سورة سبأ (١٩).

(٢) وهي بلقيس.

(٣) إسناده واه، فيه محمد بن زكريا الغلابي البصري الأخباري أبو جعفر، قال الذهبي ضعيف وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن منده تكلم فيه، وقال الدارقطني: يضع الحديث، الميزان ٣/ ٥٥٠ (٧٥٣٧) والعباس الضبي قال الدارقطني كذاب، وقال العقيلي الغالب على حديثه الوهم والمناكير الميزان ٢/ ٣٨٢، والأثر ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤/ ٤٨٩.

(٤) تقدم.

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الضبي النيسابوري الحاكم، ويعرف أيضاً بابن البيع بكسر الياء المشددة صاحب المستدرك وتاريخ نيسابور وفضائل الشافعي وغيرها. كان فقيهاً حافظاً ثقة حجة، انتهت إليه رياسة أهل الحديث حتى حدث الأئمة عنه في حياته. ولد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة وأول سماعه سنة ثلاثين، وشرع في التصنيف سنة سبع وثلاثين وبلغت مصنفاته قريباً من ألف جزء حديثية ثم أطنب عبد الغافر في مدحه إلى أن قال: مضى إلى رحمة الله تعالى، ولم يخلف بعده مثله، في ثامن صفر سنة خمس وأربعمائة، وقد ترجمه الحافظ أبو موسى المديني في مصنف مفرد. طبقات الشافعية للأسنوي (١/ ١٩٥) وفيات الأعيان (٤/ ١٩٣).

(٦) أحمد بن النضر بن عبد الوهاب النيسابوري أبو الفضل. روى عن هدبة بن خالد، وأبي مصعب، وابن أبي عمرو، وعبيد الله بن معاذ العنبري وغيرهم. روى عنه البخاري في تفسير سورة الأنفال، ولم ينسبه، وأبو عبد الله بن الأخرم، وأبو زكريا العنبري وغيرهم. قال الحاكم: هو أحد أركان الحديث. كان البخاري إذا ورد نيسابور ينزل عند الأخوين محمد وأحمد ابني النضر، وقد روى عنهما في الجامع وإسنادهما واحد. انظر التهذيب (١/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٧) عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان بن الحر بن مالك بن الخشخاش العنبري أبو عمرو البصري الحافظ. روى عن أبيه وأخيه المثنى، ومعتمر بن سليمان، ويحيى القطان وبشر بن المفضل، وخالد بن الحارث ووكيع وغيرهم. وعنه مسلم، وأبو داود وخلق ووثقه ابو حاتم انظر التهذيب (٧/ ٤٨).

(٨) معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان بن الحارث بن مالك بن الخشخاش العنبري أبو المثنى التميمي الحافظ البصري قاضيها. روى عن سليمان التيمي، وحميد الطويل وابن عون وأبي يونس حاتم بن أبي صغيرة وبهز بن حكيم، وعاصم بن محمد بن زيد وعمران بن حدير، وعوف الأعرابي وفرج بن فضالة، وقرة بن خالد، وكهمس بن الحسن، ومحمد بن عمرو بن علقمة وورقاء بن عمرو وسعيد بن أبي عروبة، وشعبة وعبيد الله بن الحسن العنبري وغيرهم. وعنه ابناه عبيد الله والمثنى وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو من أقرانه، وأحمد وإسحاق وأبو خيثمة، ويحيى بن معين وخلق قال ابن سعد: كان ثقة، ولي قضاء البصرة لهارون، ثم عزل. وتوفي في ربيع الآخر. انظر التهذيب ١٠/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٩) عبد الحميد بن دينار، وهو ابن كرديد وقيل: ابن واصل البصري صاحب الزيادي ومنهم من جعلهما اثنين. روى عن أنس وأبي رجاء العطاردي، وثابت البناني والحسن البصري وأبي الوليد عبد الله بن الحارث البصري وغيرهم. وعنه شعبة ومهدي بن ميمون، وحماد بن زيد وإسماعيل بن علية وغيرهم، قال أحمد وابن معين ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٦/ ١١٤).

السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ فنزلت: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** رواه البخاري [(١)] عن أحمد بن النضر ورواه مسلم [(٢)] عن عبيد الله بن معاذ.

قال المفسرون [(٣)]: «ما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين وأنت فيهم مقيم بين أظهرهم» قال ابن عباس [(٤)]: «لم تعذب قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا ويلحق بحيث أمر» **﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفيهم المؤمنون يستغفرون قال ابن عباس[(٥)]: «وهم يستغفرون يعني المؤمنين» قال ابن الأنباري[(٦)]: **﴿وما كان الله معذبهم﴾** والمؤمنون بين أظهرهم يستغفرون فأوقع العموم على الخصوص ووصفوا بصفة بعضهم وقال ابن عباس[(٧)] في رواية الوالبي وعطاء: وهم يستغفرون أي وفيهم من قد سبق لهم من الله الدخول في الإيمان يريد إن كان معهم قوم كان في علم الله أن يسلموا منهم ابو سفيان بن حرب أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب[(٨)] والحارث بن هشام[(٩)] وحكيم بن حزام[(١٠)] وهذا القول اختيار الزجاج[(١١)] قال: «وما كان الله معذبهم وفيهم من يؤول أمره

---

(١) ٤/١٦٠ في كتاب التفسير باب قوله: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٤٦٤٩).

(٢) ٤/٢١٥٤ في كتاب صفات المنافقين باب في قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٢٧٩٦/٣٧). ابن كثير ٣/٥٩٠.

(٣) الطبري ١٣/٥٠٩، البغوي ٢/٢٤٦، السيوطي في الدر المنثور ٣/١٨١.

(٤) البغوي ٢/٢٤٦ القرطبي ٧/٢٥٣، انظر فتح القدير ٢/٣٠٤.

(٥) الطبري ١٣/٥١٦، البغوي ٢/٢٤٦ البحر المحيط (٤/٤٩٠) ابن كثير ٣/٥٩٠.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) الطبري ١٣/٥١٦، البغوي ٢/٢٤٦ أبو حيان في البحر ٤/٤٩٠، ابن كثير ٣/٥٩٠.

(٨) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة. أرضعتهما حليمة السعدية، قال ابن المبارك وإبراهيم بن المنذر وغيرهما: اسمه المغيرة، وقيل: اسمه كنيته، والمغيرة أخوه وكان ممن يشبه برسول الله ﷺ. وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي ﷺ ويهجوه، ويؤذي المسلمين، وإلى ذلك أشار حسان بن ثابت في قصيدته المشهورة:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

ويقال: إن علياً علمه لما جاء ليسلم أن يأتي النبي ﷺ من قبل وجهه، فيقول: تالله لقد آثرك الله علينا الآية، ففعل فأجابه لا تثريب عليكم الآية، فأنشده أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل راية ... ليغلب خيل اللات خيل محمد

فكالمدلج الحيران أظلم ليلة ... فهذا أواني حين أهدى فأهتدي

الأبيات، وأسلم أبو سفيان في الفتح. الإصابة (٧/٨٦).

(٩) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أبو عبد الرحمن القرشي المخزومي وأمه: أم الجلاس أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم التميمة، وهو أخو أبي جهل لأبويه، وابن عم خالد بن الوليد، وابن عم حنتمة أم عمر بن الخطاب على الصحيح، وقيل: أخوها وشهد بدراً كافراً فانهزم وعير بفراره ذلك. وأسلم يوم الفتح. اسد الغابة (١/٤٢٠).

(١٠) حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، وأمه وأم أخويه خالد وهشام: صفية، وقيل: فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى، وحكيم ابن أخي خديجة بنت خويلد، وابن عم الزبير بن العوام. ولد في الكعبة، وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش وهي حامل فأخذها الطلق فولدت حكيماً بها، وهو من مسلمة الفتح، وكان من أشراف قريش، ووجوهها في الجاهلية والإسلام وكان من المؤلفة قلوبهم أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين مائة بعير ثم حسن إسلامه. وشهد بدراً مع الكفار، ونجا منهزماً، فكان إذا اجتهد في اليمين قال: والذي نجاني يوم بدر ولم يصنع شيئاً من المعروف في الجاهلية إلا وصنع في الإسلام مثله. انظر أسد الغابة ٢/٤٥.

(١١) معاني القرآن للزجاج ٢/٤١٢ البغوي ٢/٢٤٦، الرازي ١٥/١٢٧.

إلى الإسلام، والمراد بالتعذيب في هذه الآية تعذيب الاستئصال ثم ذكر المشركين خاصة وأنه معذبهم بالسيف [غير عذاب الاستئصال][١]، فقال: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ أي: لم لا يعذبهم الله بالسيف ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ يعني المؤمنين يمنعونهم أن يطوفوا بالبيت ﴿وما كانوا أولياءه﴾ قال الحسن[٢] إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم وقال: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ ليس أولياء المسجد إلا المتقين الكفر، والشرك والفواحش ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ذلك، قوله: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ المكاء الصفير يقال: مكاً يمكو مكوا ومكاء إذا جمع يديه ثم صفر فيهما والتصدية: التصفيق وهو ضرب اليد على اليد قال ابن عباس [٣]: «كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون» فقال الزجاج[٤]: «أعلم الله أنهم كانوا مع صدهم أولياء المسجد الحرام وكان تقربهم إلى الله بالصفير والتصفيق» قال ابن الأنباري [٥]: «المكاء والتصدية ليسا بصلاة» ولكن الله تعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها المكاء والتصدية فألزمهم ذلك أعظم الأوزار، [وقوله: ﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني عذاب السيف يوم بدر ﴿بما كنتم تكفرون﴾ تجحدون توحيد الله] [٦].

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾ الآية قال مقاتل والكلبي[٧] نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً[٨]: أبو جهل ابن هشام وأخوه الحارث بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف[٩] وعتبة[١٠]

---

(١) سقط في ب.

(٢) البغوي ٢/٢٤٧، انظر تفسير ابن كثير ٣/٥٩٢، البحر المحيط ٤/٤٩١. فتح القدير ٢/٣٥، أبو السعود ٤/٢٠. وذكره السيوطي في الدر ٣/١٨٣ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والضياء.

(٣) الرازي ١٥/١٢٨ أبو حيان في البحر ٤/٤٩١، القرطبي ٧/٢٥٤ أبو السعود ٤/٢٠، روح المعاني ٩/٢٠٣ فتح القدير ٢/٣٠٧ انظر البحر المحيط ٤/٤٩١.

(٤) معاني القرآن ٢/٤١٢.

(٥) البيان ١/٣٨٧، والبغوي ٢/٢٤٧، روح المعاني ٩/٢٠٣.

(٦) سقط في ج.

(٧) أبو حيان في البحر ٤/٤٩٢، الرازي ١٥/١٢٩، البغوي ٢/٢٤٧، أبو السعود، ٤/٢٠ روح المعاني ٩/٢٠٤.

(٨) انظر طبقات ابن سعد ٢/١٣.

(٩) أبي بن خلف بن وهيب كان من أسارى بدر، فلما منّ عليه النبيﷺ بالفداء توعد النبيﷺ بالقتل فقتله النبيﷺ يوم أحد انظر نسب قريش (٣٨٧).

(١٠) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو الوليد: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية. كان موصوفاً بالرأي، والحلم والفضل خطيباً نافذ القول. نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية. وأول ما عرف عنه توسطه للصلح في حرب الفجار بين هوازن وكنانة وقد رضي الفريقان بحكمه، وانقضت الحرب على يده. وكان يقال: لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال. أدرك الإسلام وطغى فشهد بدراً مع المشركين. وكان ضخم الجثة عظيم الهامة طلب خوذة يلبسها يوم بدر فلم يجد ما يسع هامته فاعتجر على رأسه بثوب له، وقاتل قتالاً شديداً فأحاط به علي بن أبي طالب والحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه الأعلام (٤/٢٠٠).

وشيبة[1] ابنا ربيعة ومنبه[2] ونبيه[3] ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام[4] وزمعة بن الأسود[5] والعباس بن عبد المطلب قوله: **﴿ليصدوا عن سبيل الله﴾** أي: ليمنعوا الناس عن الإيمان بتوهين الدين والطعن في الإسلام ثم أخبر بباقي الآية أن عاقبة إنفاقهم الحسرة، وكونهم مغلوبين والحشر إلى النار، وهو قوله: **﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب﴾** أي: إنما يحشرون إليها ليميز بين الكافر والمؤمن بأن يجعل الكفار في جهنم وهو قوله: **﴿ويجعل الخبيث بعضه على بعض﴾** يعني في جهنم يضيقها عليهم **﴿فيركمه جميعاً﴾** الركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى يصير مركوماً ركاماً كالرمل والسحاب[6] أي يجمع الخبيث، حتى يصير كالسحاب المركوم وهو أن بعضهم يكون فوق بعض في النار، مجتمعين فيها وهو قوله: **﴿فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾** لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: **﴿قل للذين كفروا﴾** يعني: «أبا سفيان» وأصحابه **﴿إن ينتهوا﴾** عن تكذيب محمد وقتاله والشرك بالله **﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾** تقدم منهم من الزنا والربا والشرك والقتل وإذا أسلم الكافر الحربي كان كيوم ولدته أمه لا ذنب له، قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إن توحيداً لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر أرجو أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب[7]، **﴿وإن يعودوا﴾** لقتالك **﴿فقد مضت سنت الأولين﴾** بنصر الله رسله ومن آمن على من كفر **﴿وقاتلوهم﴾** يقول: قاتلوا كفار مكة **﴿حتى لا تكون فتنة﴾** شرك بالله وكفر **﴿ويكون الدين كله لله﴾** [ويكون الدين[8]] خالصاً [لله] [9] وليس فيه شرك [بالله تعالى][10] يعني في جزيرة العرب لا يعبد غير الله **﴿فإن انتهوا﴾** عن الشرك والقتال **﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾** عالم بأعمالهم يجازيهم مجازاة البصير **﴿وإن تولوا﴾** عن الإيمان وأبوا أن يدعوا الشرك **﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾** ناصركم وهذا تطييب لنفوس المؤمنين عند إعراض الكافرين بأن العاقبة لهم لأن الله ناصرهم ومعينهم، وهو [قوله][11] **﴿نعم المولى ونعم النصير﴾**

---

(١) شيبة بن ربيعة بن عبد شمس: من زعماء قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام، وقتل على الوثنية. ولما كانت وقعة بدر حضرها شيبة مع مشركيهم، ونحر تسع ذبائح لإطعام رجالهم، وقتل فيها. انظر الأعلام ١٨١/٣.

(٢) منبه بن الحجاج السهمي: نديم جاهلي من أشراف قريش في الجاهلية وزنادقتها. قال ابن حبيب: تعلموا الزندقة من نصارى الحيرة. وكان منبه نديماً لطعيمة بن عدي وحضر معه وقعة بدر، ونحر منبه عشراً من الإبل، وقتله أبو قيس الأنصاري في تلك الوقعة. الأعلام (٧/ ٢٧٩).

(٣) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السعدي السهمي القرشي، أبو الرزام: شاعر من ذوي الوجاهة في قريش قبل الإسلام. كان نديماً للنضر بن الحارث. وقتل مع أخيه مشركين في وقعة بدر (بين مكة والمدينة) الأعلام (٨/٨).

(٤) العاص أو العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي: أخو أبي جهل. كان ينادمه في الجاهلية العاص بن سعيد بن العاص بن أمية. ويقال لهما أحمقا قريش وقتلا يوم بدر على الشرك. قتل الأول عمر بن الخطاب، والثاني علي بن أبي طالب. انظر الأعلام ٢٤٧/٣.

(٥) قتل يوم بدر على الشرك انظر نسب قريش ٢١٨.

(٦) انظر لسان العرب ١٧٢١/٣.

(٧) البغوي ٢٤٨/٢، الرازي ١٣٠/١٥، زاد المسير ٣٥٧/٣.

(٨) سقط في أ.

(٩) سقط في أ.

(١٠) سقط في ب، ج.

(١١) سقط في أ.

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: **﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾** أي أخذتموه من أموال المشركين قسراً **﴿فأن لله خمسه﴾** هذا افتتاح كلام لأن الأشياء كلها لله وقوله **﴿وللرسول﴾** كان لرسول الله ﷺ خمس الخمس من الغنيمة يصنع فيه ماشاء وأما اليوم فإنه يصرف إلى مصالح المسلمين والأهم السلاح والكراع[١]، وقوله: **﴿ولذي القربى﴾** هم: بنو هاشم وبنو المطلب[٢] خاصة دون سائر قريش يقسم بينهم خمس الخمس حيث كانوا﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾[٣] وهم الذين حرمت عليهم الصدقة المفروضة قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى أغناكم عن أوساخ الناس بهذا الخمس[٤]».

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي[٥]: نا محمد بن يعقوب أنا الربيع أنا الشافعي أنا مطرف بن

---

(١) لسان العرب ٣٨٥٨/٥.

(٢) انظر القرطبي ١٠/٨....... الطبري ٥٥٤/١٣ تفسير الرازي ١٢٢/١٥ البغوي ٢٤٩/٢ ـ ٢٥٠ فتح القدير ٣١٠/٢. ابن كثير ٦/٤. واختلف العلماء في ذوي القربى على ثلاثة أقوال: قريش كلها قاله بعض السلف لأن النبيﷺ لما صعد الصفا جعل يهتف: (يا بني فلان، يابني عبد مناف، يابني عبد المطلب، يا بني كعب يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار) الحديث.
وقال الشافعي وأحمد وقتاده وابن جريج ومسلم بن خالد: بنو هاشم وبنو عبد المطلب، لأن النبيﷺ لما قسم ذوي القربى بين بني هاشم، وبني عبد المطلب قال: (إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد) وشبك بين أصابعه أخرجه النسائي والبخاري وقال البخاري: قال الليث حدثني يونس وزاد: ولم يقسم النبيﷺ لبني عبد الشمس ولا لبني نوفل شيئاً. قال ابن إسحاق: وعبد شمس وهاشم والمطلب أخوة لأم وأمهم عاتكة بنت مرة. وكان نوفل أخاهم لأبيهم. قال النسائي: وأسهم النبي ﷺ لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب بينهم الغني والفقير. وقد قيل: إنه للفقير، ومنهم دون الغني كاليتامى وابن السبيل ـ وهو أشبه القولين بالصواب عندي والله أعلم والصغير والكبير والذكر والأنثى سواء، لأن الله تعالى جعل ذلك لهم وقسمه رسول اللهﷺ فيهم. وليس في الحديث أنه فضل بعضهم على بعض. الثالث: بنو هاشم خاصة قاله مجاهد، وعلي بن الحسين. وهو قول مالك والثوري والأوزاعي وغيرهم.

(٣) سورة النساء ١١.

(٤) بنحوه عند مسلم ٧٥٢/٢ في كتاب الزكاة باب ترك استعمال آل النبيﷺ على الصدقة (١٠٧٢/١٦٧).

(٥) أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حفص بن مسلم بن يزيد القاضي أبو بكر بن أبي علي ابن الشيخ المحدث أبي عمرو الحيري. مولده سنة خمس وعشرين وثلاثمائة. تفقه على الأستاذ أبي الوليد النيسابوري. ودرس الكلام والأصول على أصحاب الشيخ أبي الحسن الأشعري. وسمع أبا علي محمد بن أحمد الميداني وحاجب بن أحمد وأبا العباس الأصم وأبا =

مـازن[1] عـن معمر بن راشد عن ابن شهاب قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : «لما قسم رسول الله ﷺ ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب، أتيناه أنا، وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله هؤلاء إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله فيهم أرأيت إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وإنما قرباتهم وقرباتنا واحدة فقال رسول الله ﷺ: [إنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام][2] وإنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد هكذا، وشبك بين أصابعه[3]» قوله ﴿واليتامى﴾ هم أطفال المسلمين الـذين هلك آباؤهم ﴿والمسـاكين﴾ قال ابن عباس[4] :«يريد المحتاجين وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين »﴿وابن السبيل﴾ المنقطع في سفره فلا يترك صنف من هذه الأصناف بغير حظ في قسمة الخمس ويجوز تفضيل بعضهم على بعض بمقدار الحاجة هذا الذي ذكرناه كيفية قسمة الخمس من الغنيمة وهي المذكورة في القرآن، والباقي في أربعة أخماس، وهي للغانمين الذين باشروا القتال للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم عند الشافعي [5] وعند أبي حنيفة [6] للفـارس سهمـان وللراجل سهم.

أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي أنا أبو عمرو بـن مطر نا إبراهيم بن علي الذهلي[7] نا يحيـى بن يحيـى[8] أنا

= سهل بن زياد وأبا أحمد بن عدي وغيرهم بنيسابور ومكة وبغداد والكوفة وجرجان. روى عنه أبو عبد الله الحاكم وهو أكبر منه والإمامان أبو بكر الخطيب والبيهقي، وأبو صالح المؤذن، وأسعد بن مسعود العتبي وخلائق، آخرهم موتاً عبد الغفار بن محمد الشيروبي. وكان كبير خراسان رياسة وسوددا وثروة وعلماً وعلو إسناد ومعرفة بمذهب الشافعي. توفي في شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وأربعمائة. الطبقات الكبرى (٤/ ٦).

(١) مطرف بن مازن الصنعاني. حدث عن معمر، وابن جريج وعنه الشافعي، وداود بن رشيد. كذبه يحيى بن معين، وقال النسائي: ليس بثقة وقال آخر: واه. وقال ابن أبي حاتم: توفي بالرقة، ويقال بمنبج فيقال: في سنة إحدى وتسعين ومائة. انظر ميزان الاعتدال ٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦ التاريخ الكبير (٢/ ٥٧٠) الضعفاء للعقيلي (٤/ ٢١٦).

(٢) سقط في ب.

(٣) إسناد المصنف ضعيف جداً لضعف مطرف بن مازن كما تقدم آنفاً والحديث من غير طريق المصنف عند البخاري ٦/ ٦١٦. في كتاب المناقب باب مناقب قريش (٣٥٠٢). وأخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٠)، وأخرجه أبو داود (٣/ ١٤٥)، في كتاب الخراج باب في مواضع قسم الخمس، وأخرجه النسائي ٧/ ١٣٠ في كتاب قسم الفيء.

(٤) البغوي ٢/ ٢٥٠، وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٨.

(٥) مغني المحتاج ٤/ ٢٢٧، وانظر روضة الطالبين ١٠/ ٢٧٥، انظر شرح فتح القدير ٥/ ٦٩، حاشية ابن عابدين ٤/ ١٣٧، الكافي ١/ ٤٧٥، المغني لابن قدامة ٩/ ٢٥٨، وانظر تفسير البغوي ٤/ ٢٥٠.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) بضم الذال المعجمة وسكون الهاء، وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى قبيلة معروفة وهو ذهل بن ثعلبة وإلى ذهل بن شيبان كان منها جماعة كثيرة من العلماء والكبراء. انظر الأنساب ٣/ ١٨.

(٨) ابن بكر بن عبد الرحمن شيخ الإسلام، وعالم خراسان أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري الحافظ. كتب ببلده وبالحجاز والعراق والشام ومصر. لقي صغاراً من التابعين منهم كثير بن سليم وأخذ عنه وعن عبد الله بن جعفر المخرمي، ويزيد بن المقدام وزهير بن معاوية، ومالك وشريك القاضي وسعير بن الخمس وأبي عقيل يحيى بن المتوكل، وسليمان بن بلال والليث بن سعد، وعبد الرحمن بن أبي الموال، وعطاف بن خالد وإبراهيم بن سعد وابن أبي الزناد، والمنكدر بن محمد وداود بن عبد الرحمن العطار ومسلم بن خالد ومعاوية بن عبد الكريم، وخلف بن خليفة ويزيد بن زريع وعبثر بن القاسم وأمم سواهم. وعنه: البخاري ومسلم وحميد بن زنجويه، ومحمد بن نصر المروزي وأحمد بن سيار، وعثمـان بن سعيد الـدارمي ومحمد بن رافـع القشيري ومحمد بن يحيى الذهلي وخلق وهو ثقة انظر السير (١٠/ ٥١٢).

خالد بن عبد الله بن خالد[1] عن عبد الله بن شقيق عن رجل من بلقين[2] عن ابن عم له قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بوادي القرى[3] قلت: ما تقول في هذا المال؟ قال: «لله خمسه وأربعة أخماسه لهؤلاء يعني المسلمين، قلت: فهل أحد أحق به من أحد، قال لا ولو انتزعت سهماً من جنبك لم تكن به أحق من أخيك المسلم»[4] وقوله ﴿إن كنتم ءامنتم بالله﴾ قال الزجاج ـ المعنى ـ أعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول يأمر أن فيه ما يريد، إن كنتم آمنتم بالله أي فاقبلوا ما أمرتم في الغنيمة إن كنتم آمنتم بالله يعني قوله ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ لأن هذا نزل عليه يوم بدر حين اختلفوا في الغنائم وإذا آمنوا بهذا صدروا في أمر الغنيمة عن أمر الرسول ﷺ وإذا صدروا عن أمره عملوا فيها بموجب هذه الآية، وقوله ﴿يوم الفرقان﴾ قال الوالبي عن ابن عباس[5] «يعني يوم بدر فرق الله [فيه][6] بين الحق والباطل» وهو ﴿يوم التقى الجمعان﴾ حزب الله وحزب الشيطان.

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه نا أحمد بن الحسين الجنيد نا زياد بن أيوب[7] نا هشيم نا إسماعيل بن سالم [8] سمعت الشعبي يقول [9]: «ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان» وقوله: ﴿والله على كل شيء قدير﴾ قال ابن عباس[10]: «قدير على نصركم وأنتم أقله أذلة» وقوله ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ قال ابن السكيت[11]: «عدوة الوادي وعدوته جانبه، والجمع عدى وعدى والدنيا تأنيث الأدنى وضدها

---

(١) خالد بن عبد الله بن خالد الأحدب وهو ابن عبد الله بن محرز ابن أخي صفوان بن محرز المازني روى عن الحسن البصري وصفوان بن محرز وزرارة بن أوفى، وربيع بن لوط روى عنه سليمان التيمي، وعوف وعاصم وأبو بشر وإبراهيم بن طهمان انظر الجرح والتعديل (٣/٣٣٩).

(٢) (بلقين) أصله: بنو القين حي من بني أسد كما قالوا: (بلحارث)، (وبلهجيم) يعنون: بني الحارث، وبني الهجيم، تخفف العرب ذلك، فتحذف بعض حروف هذه الإضافة. تاج العروس م (قين).

(٣) وهو وادٍ بين المدينة والشام مراصد الاطلاع ١٤١٧/٣.

(٤) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٢٤/٦ في كتاب قسم الفيء باب إخراج الخمس من رأس الغنيمة، وذكره الحافظ في ابن كثير في التفسير ٤/٤ وعزاه للبيهقي وقال إسناده صحيح.

(٥) الطبري ٥٦١/١٣ (١٦١٣٠)، (١٦١٣٤) البغوي ٢٥١/٢ وابن كثير ٩/٤ البحر المحيط ٤٩٩/٤ الرازي ١٣٣/١٥ القرطبي ١٥/٨ فتح القدير ٣١٣/٢ روح المعاني ٥/١٠ وذكره السيوطي في الدر ١٨٧/٣ وزاد نسبته لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، أبو السعود ٢٣/٤.

(٦) سقط في ب، ج.

(٧) زياد بن أيوب بن زياد البغدادي أبو هاشم طوسي الأصل. روى عن عبد الله بن إدريس، وابن علية، وأبي عبيد الحداد، وأبي بكر بن عياش، ومروان بن معاوية، وهشيم، ووكع، وزياد البكائي، ومحمد بن يزيد الواسطي، وعلي بن غراب، وميمون بن سليمان، ويزيد بن هارون وعمر ويعلى ابني عبيد ويحيى بن أبي عيينة وجماعة. وعنه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وخلق ثقة انظر التهذيب (٣/٣٥٥).

(٨) إسماعيل بن سالم الأسدي ابو يحيى الكوفي روى عن الشعبي وحبيب بن أبي ثابت وعلقمة بن وائل، وأبي صالح السمان وسعيد بن المسيب وغيرهم. وعنه ابنه يحيى والعلاء بن المسيب، وهشيم وأبو عوانة والثوري وغيرهم. قال ابن المديني له نحو عشرة أحاديث، وقال ابن سعد ثقة ثبت وقال يعقوب الفسوي: لا بأس به، كوفي ثقة، وقال أبو علي الحافظ: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٩) وذكره أبو حيان عن ابن عباس ومجاهد، ومقسم والحسن وقتادة البحر ٤٩٩/٤، وذكره البغوي في التفسير بلا نسبة ٢٥١/٢، وذكره الطبري عن سيدنا علي ٥٦٢/١٣ (١٦١٣٥)، وقال ابن كثير ٩/٤ إسناده جيد قوي وانظر الدر المنثور ١٨٨/٣.

(١٠) الرازي ١٣٣/١٥، البغوي في التفسير ٢٥١/٢، تفسير أبي السعود ٢٣/٤.

(١١) الرازي نقلاً عن ابن السكيت ١٣٤/١٥. وانظر البحر المحيط ٤٩٩/٤، القرطبي ١٥/٨، وانظر البغوي ٢٥٢/٣، فتح القدير ٣١١/٢، أبو السعود ٢٣/٤، روح المعاني ٦/١٠. البغوي ٢٥٢/٢.

[القصوى] [(١)] وهي تأنيث الأقصى، وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فإن العرب تحوله إلى الياء، نحو الدنيا من دنوت والعليا من علوت لأنهم يستثقلون الواو مع ضم الأول وليس في هذا اختلاف إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهروا الواو، وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا» قال المفسرون [(٢)]: «إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأدنى في المدينة وعدوكم نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكةوكان الجمعان قد نزلا الوادي الـذي ببدر على هـذه الصفة» والركب [جمع راكب] [(٣)] يعني العير أبا سفيان وأصحابه ﴿**أسفل منكم**﴾ في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر ﴿**ولو تواعدتم**﴾ للقتال ﴿**لاختلفتم في الميعاد**﴾ لكثرتهم وقلتكم ﴿**ولكن**﴾ جمعكم الله من غير ميعاد ﴿**ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ أي في علمه وحكمه وهو أنه أراد أن يعز الإسلام وأهله ويذل الشرك وأهله. ﴿**ليهلك من هلك عن بينة**﴾ أكثر أهل العلم على أن المراد بالهلاك ها هنا الكفر والضلال وبالحياة الاهتداء والدين، والمعنى: ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه فقطعت عذره، ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهو قوله: ﴿**ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع**﴾ لدعائكم ﴿**عليم**﴾ بنياتكم قوله: ﴿**إذا يريكهم الله في منامك قليلاً**﴾ أي في عينك التي هي موضع النوم قال ابن عباس [(٤)]: «إذ يريكهم الله في منامك قليلاً أي لتحتكرهم وتجترىء عليهم» ﴿**ولو أراكهم كثيـراً لفشلتم**﴾ لجبنتم وتأخرتم عن حربهم ﴿**ولتنازعتم في الأمر**﴾ اختلفتم فيما بينكم ﴿**ولكن الله سلم**﴾ سلمكم من المخالفة والفشل ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ قال ابن عباس [(٥)]: «علم ما في صدوركم من الحب لله» ﴿**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً**﴾ قال مقاتل: «لما التقوا قلل الله المشركين في أعين المسلمين» قال ابن مسعود [(٦)]: «لقد قللوا في أعيننا ببدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة وأسـرنا رجـلاً فقلنا: كم أنتم؟ قـال: ألف» وقوله: ﴿**ويقللكم في أعينهم**﴾ قال: ابن عباس [(٧)]: «ليجترئوا عليكم بالقتال ولا تنهزموا» وقال الكلبي [(٨)]: «استقل المؤمنون المشركين ليجترىء بعضهم على بعض» ﴿**ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ من نصر المسلمين على المشركين ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾ قال ابن عباس [(٩)]: «وبعد هذا مصيركم إلي، فأكرم أوليائي، وأعاقب أعدائي».

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

---

(١) سقط في أ.

(٢) القرطبي ١٥/٨، الرازي ١٥/ ١٣٤، ابن كثير ٤/ ١٠، البحر المحيط ٤/ ٥٠٠ الدر المنثور ١٨٨/٣.

(٣) سقط في ب، ج.

(٤) الطبري ٥٧٢/١٣، البغوي ٢٥٣/٢، ابن كثير ١٣/٤، الرازي ١٥/ ١٣٥ البحر المحيط ٥٠١/٤، الدر المنثور ١٨٨/٣، وانظر تفسير أبي السعود ٢٤/٢، فتح القدير ٣١٣/٢.

(٥) البغوي ٢٥٢/٢.

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٥٧٢/١٣ (١٦١٥٦)، وابن كثير ١٣/٤، البغوي ٢٥٣/٢، القرطبي ١٦/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٢/٤، وذكره الشوكاني في فتح القدير ٣١٤/٢، وعزاه لابن جرير،وابن أبي حاتم وابن أبي شيبه،وأبي الشيخ، وابن مردويه، وانظر تفسير أبي السعود ٢٤/٣.

(٧) البغوي ٢٥٣/٢، وانظر روح المعاني ٩/١٠، وانظر تفسير أبي السعود ٢٤/٤.

(٨) ذكر البغوي في التفسير عن الكلبي ٢٥٣/٢، وبنحوه عن عكرمة رضي الله عنـه انظر تفسيـر ابن كثير ١٣/٤، والـدر المنثور ١٨٩/٣، وانظر فتح القدير ٣١٤/٢.

(٩) بنحوه عند القرطبي ١٦/٨، وانظر تنوير المقباس ١٦٧/٢، البغوي ٢٥٣/٢.

خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾

قوله **﴿يأيها الذي ءامنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا﴾** قال الكلبي[١]: «إذا لقيتم جماعة العدو، فاثبتوا لعدوكم» **﴿واذكروا الله﴾** قال قتادة[٢]: «أمر الله بذكره، وهم أشغل ما يكونوا عند الضراب بالسيف» وقال غيره[٣]: «أراد بالذكر ههنا الدعاء بالنصر والظفر» **﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾** فيما يأمركم به **﴿ولا تنازعوا﴾** لا تختلفوا فيما بينكم **﴿فتفشلوا﴾** فتجبنوا عن عدوكم **﴿وتذهب ريحكم﴾** جلدكم وجدكم، وقال مجاهد[٤]: «نصرتكم» وقال السدي «جرأتكم» وقال الأخفش[٥] «دولتكم»، والريح ههنا: كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد، والعرب تقول: «هبت ريح فلان، إذا أقبل أمره على ما يريد، وركدت ريحه، إذا أدبر أمره» وقال ابن زيد وقتادة[٦] يعني: ريح النصر لم يكن نصر قط، إلا ريح يبعثها الله، يضرب بها وجوه العدو، ومنه قوله ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»[٧] قوله تعالى: **﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً﴾** الآية قال جماعة المفسرين[٨]: يعني قريشاً، خرجوا من مكة ليحموا غيرهم فخرجوا معهم القيان[٩] والمعازف يشربون الخمور وتعزف عليهم القيان، فذلك قوله: **﴿بطراً ورئاء الناس﴾** قال الزجاج[١٠]: «البطر: الطغيان في النعمة وترك شكرها والرياء: إظهار الجميل [ليرى][١١] مع إبطان القبيح» يقال: راآى يرئى رياء ومرآة قال قتادة[١٢]: «هؤلاء

---

(١) روح المعاني ١٣/١٠.

(٢) روح المعاني ١٣/١٠، القرطبي ١٧/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٣/٤، وذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وذكره الشوكاني في الفتح ٣١٦/٢.

(٣) البغوي ٢٥٣/٢، أبو حيان في البحر ٥٠٣/٤.

(٤) البغوي ٢٥٣/٢، انظر القرطبي ١٧/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٣/٤، وذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣، وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد، والشوكاني في الفتح ٣١٦/٢.

(٥) ذكره أبو حيان في البحر نقلاً عن الزمخشري ٥٠٣/٤، الرازي ١٣٨/١٥ روح المعاني ١٤/١٠.

(٦) القرطبي ١٨/٨، وأبو حيان في البحر ٥٠٤/٤، الرازي ١٣٨/١٥، روح المعاني ١٤/١٠، ذكره السيوطي في الدر ١٨٩/٣، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن زيد.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٤/٢ في كتاب الاستسقاء باب قوله ﷺ (نصرت بالصبا) (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم ١٦٧/٢ في كتاب الاستسقاء باب ريح الصبا، وأحمد في المسند ٢٢٨/١، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٥٥، ٣٧٣، وعبد الرزاق في المصنف ٢٠٠٠٢، والطبراني في الكبير ٦٠/١١، والطحاوي في مشكل الآثار ٤٠١/١ والطبراني في الصغير ١٠٧/٢، والبيهقي في الدلائل ٤٤٨/٣.

(٨) الطبري في التفسير ٥٨١/١٣، وابن كثير ١٦/٤، والبغوي في التفسير ٢٥٤/٢ والقرطبي ١٨/٨، فتح القدير ١٣١٦/٢ وأبو حيان في البحر ٥٠٤/٤، الرازي ١٣٨/١٥، روح المعاني ١٤/١٠، انظر الدر المنثور ١٩٠/٣.

(٩) وهن الإماء المغنيات، انظر لسان العرب ٣٧٩٩/٥.

(١٠) معاني القرآن ١٥٠/٤، والبغوي ٢٥٤/٢، الرازي ١٣٨/١٥.

(١١) سقط في ج.

(١٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١١٠/٣، باب سياق قصة بدر عن مغازي موسى بن عقبة، وأخرجه الطبري ٥٨٠/١٣، والبغوي في=

أهل مكة خرجوا ولهم بغي وفخر» فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إن قريشاً أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادك ورسولك» فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم وأمرهم بإخلاص النية والحسبةِ في نصرة الدين وقوله: ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ أي بمعاداة المسلمين وتكذيب الداعي إليها، قال ابن عباس [١]: «يضلون عن دين الله» ﴿والله بما يعملون محيط﴾ أي أنه عالم بما يعملون فهو يجازيهم [٢] قوله تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم﴾ قال الكلبي [٣]: «يعني مسيرهم إلى بدر» ﴿وقال لا غالب لكم اليوم من الناس﴾ وذلك أنهم لما أجمعوا السير خافوا بني كنانة لأنهم كانوا يطلبونهم بدم، فأتاهم إبليس في صورة سراقة بن مالك الكناني [٤] وقال: أنا جار لكم على بني كنانة، وذلك قوله ﴿وإني جار لكم﴾ أي حافظ لكم منهم فلا يصل إليكم من جهتهم مكروه ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ التقى الجمعان من المسلمين والمشركين، وصارتا بحيث رأى أحدهما الآخر رأى إبليس جبريل ينزل ومعه الملائكة فولى مدبراً، وهو قوله: ﴿نكص على عقبيه﴾ يقال: نكص ينقص نكوصاً: إذا تأخر عن الشيء وجبن، قال ابن عباس «رجع مولياً[٥]» وقال ابن قتيبة[٦]: «رجع القَهْقَرى» وقال الكلبي[٧]: «كان إبليس لعنه الله في صف المشركين على صورة سراقة آخذاً بيد الحارث بن هشام فرأى الملائكة حين نزلت من السماء فنكص على عقبية فقال له الحارث: يا سراقة، أفراراً من غير قتال؟ فقال [له: يا حارث][٨] ﴿إني أرى ما ترون إني أخاف الله [والله شديد العقاب][٩]﴾ ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس» قال قتادة[١٠]: «صدق عدو الله في قوله: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وكذب في قوله: ﴿إني

= التفسير ٢/٢٥٤، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣١٦، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وذكره أبو حيان ٤/٥٠٤، والرازي في التفسير ١٥/١٣٨، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٩٠.

(١) وذكر الواحدي فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون قوله (ويصدون عن سبيل الله) بمنزلة صادين. الثاني: أن يكون قوله بطراً ورئاء بمنزلة يبطرون ويراؤون. وأقول: إن شيئاً من هذه الوجوه لا يشفي الغليل، لأنه تارة يقيم الفعل مقام الاسم، وأخرى يقيم الاسم مقام الفعل، ليصبح له كون الكلمة معطوفة على جنسها، وكان من الواجب عليه أن يذكر السبب الذي لأجله عبر عن الأولين بالمصدر، وعن الثالث بالفعل. وأقول: إن الشيخ عبد القاهر الجرجاني ذكر أن الاسم يدل على التمكين والاستمرار، والفعل على التجدد والحدوث، قال: ومثاله في الاسم قوله تعالى (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) الكهف (١٨) وذلك يقتضي كون تلك الحالة ثابتة راسخة، ومثال الفعل قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض) يونس (٣١) وذلك يدل على أنه تعالى يوصل الرزق إليهم ساعة فساعة هذا ما ذكره الشيخ عبد القاهر. الرازي (١٥/١٣٩) فتح القدير ٢/٣١٥.

(٢) في أ (يجازيكم).

(٣) أخرجه الطبري ١٤/٩، ابن كثير في التفسير ٤/١٦، القرطبي ٨/١٨، البغوي ٢/٢٥٤، وأبو حيان ٤/٥٠٤، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٩٠، وعزاه لابن المنذر.

(٤) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي يكني أبا سفيان. يعد في أهل المدينة ويقال: سكن مكة. روى عنه الصحابة: ابن عباس وجابر ومن التابعين: سعيد بن المسيب وابنه محمد بن سراقة. مات سراقة بن مالك سنة أربع وعشرين أول خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل إنه مات بعد عثمان والله أعلم. انظر أسد الغابة ٢/٣٣١ ـ ٣٣٣.

(٥) الطبري ١٤/٩، ابن كثير ٤/١٦.

(٦) ونسبه البغوي للنضر بن شميل، انظر تفسير البغوي ٢/٢٥٤ والألوسي بلا نسبة ١٠/١٥، وأبو السعود بلا نسبة ٤/٢٦.

(٧) الطبري في التفسير ١٤/٧ ابن كثير ٤/١٧، والبغوي ٢/٢٥٤ ـ ٢٥٥، وانظر تفسير القرطبي ٨/١٩، وأبو حيان في البحر ٤/٥٠٥، وانظر تفسير الرازي ١٥/١٤٠، انظر الدر المنثور ٣/١٩٠.

(٨) سقط في أ، ب.

(٩) جملة (والله شديد العقاب) سقط في أ، ب.

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/٩، وابن كثير ٤/١٨، والبغوي ٢/٢٥٥.

أخاف الله﴾، والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له فأوردهم وأسلمهم، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه» وقال عطاء[1]: «إني أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك» قوله: ﴿**إذ يقول المنافقون**﴾ قال ابن عباس: من الأوس والخزرج وأهل المدينة[2]» ﴿**والذين في قلوبهم مرض**﴾ قوم من قريش كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا، فخرجوا مع من خرج من مكة لقتال رسول الله ﷺ وقالوا: إن كان محمد في كثرة خرجنا إليه فلما رأوا قلة عدد المسلمين، قالوا: ﴿**غر هؤلاء دينهم**﴾ إذ خرجوا مع قلة عددهم لحرب قريش مع كثرتهم ولا يشكون في أن قريشاً تغلبهم، قال الله تعالى: ﴿**ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم**﴾ أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به وبقضائه فإن الله قويٌّ عزيز يفعل بأعدائه ما شاء، حكيم في خلقه.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾

قوله ﴿**ولو ترى**﴾ يا محمد ﴿**إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة**﴾ يعني الذين قتلوا ببدر ﴿**يضربون وجوههم**﴾ إذا أقبلوا على المسلمين ﴿**وأدبارهم**﴾ إذا ولوا ﴿**وذوقوا**﴾ ويقولون لهم ذوقوا ﴿**عذاب الحريق**﴾ قال ابن عباس[3]: «يقولون لهم ذلك بعد الموت» وقال الحسن[4]: «كان مع الملائكة مقامع كلما ضربوا التهبت النار في الجراحات» فذلك قوله: ﴿**وذوقوا عذاب الحريق ذلك**﴾ أي ذلك العذاب الذي وقع بكم ﴿**بما قدمت أيديكم**﴾ بما كسبتم وجنيتم من قبائح أعمالكم ﴿**وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾ لا يظلم عباده بعقوبتهم على كفرهم وإن كان كفرهم مخلوقاً له لأن له أن يتصرف في مملوكه كما شاء فيستحيل نسبة الظلم إليه، قوله: ﴿**كدأب ءال فرعون**﴾ قال الزجاج[5]: «معناه عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم» قال ابن عباس[6]: «هو أن آل فرعون أيقنوا أن موسى نبي من الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد بالصدق والدين فكذبوه، وجحدوا نبوته فأنزل الله بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون» وذلك قوله: ﴿**كذبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي**﴾ قادر لا يغلبه شيء ﴿**شديد العقاب**﴾ لمن كفر به وكذب رسله، قوله: ﴿**ذلك لأن الله**﴾ أي ذلك الأخذ والعقاب لأن الله لا يغير ما أنعم به على قوم لو لم يغيروا هم بالكفران وترك الشكر، فإذا غيروا هم غيّر الله ما بهم فسلبهم النعمة وأخذهم بالعقاب، قال السدي[7]

---

(١) البغوي في التفسير ٢/٢٥٥.

(٢) الرازي ١٥/١٤١، وأبو حيان في البحر ٤/٥٠٥، انظر تفسير أبي السعود ٤/٢٦.

(٣) البغوي ٢/٢٥٥، الرازي ١٥/١٤٣، القرطبي ٨/٢٠، أبو حيان في البحر ٤/٥٠٦.

(٤) البغوي ٢/٢٥٦، الرازي ١٥/١٤٢ ـ ١٤٣، القرطبي ٨/٢٠، تفسير أبي السعود ٤/٢٧، روح المعاني ١٠/١٧.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٠، والبغوي ٢/٢٥٦، الرازي ١٥/١٤٤، فتح القدير ٢/٣١٨.

(٦) البغوي ٢/٢٥٦.

(٧) البغوي ٢/٢٥٦، الرازي في التفسير ١٥/٢٠، القرطبي ٨/٢٠، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣١٨، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر الدر المنثور ٣/١٩١.

«والنعمة التي أنعم الله عليهم محمد ﷺ أنعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله إلى الأنصار» ﴿كدأب﴾ أي كصنيع ﴿ءال فرعون كفروا بآيات ربهم﴾ يعني أهل مكة كذبوا بمحمد ﷺ والقرآن، كما كذبوا هم بموسى عليه الصلاة والسلام والتوراة ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يعني أهل مكة أهلكهم الله ببدر ﴿وأغرقنا ءال فرعون﴾ ذكر عقوبة الفريقين لما شبه فعل أحدهما بفعل الآخر ﴿وكل﴾ من الفريقين ﴿كانوا ظالمين﴾ [ثم ذكر اليهود][1].

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾

فقال: ﴿إن شر الدواب عند الله﴾ أراد بالدواب الإنس خاصة كأنه قال: إن شر الناس عند الله ﴿الذين كفروا﴾ قال مقاتل[2]: «يعني يهود قريظة منهم كعب بن الأشرف وأصحابه» وهم الذين قال الله: ﴿الذين عاهدت منهم﴾ أي من اليهود ﴿ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾ أي: كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به ﴿وهم لا يتقون﴾ نقض العهد ﴿فإما تثقفنهم في الحرب﴾ قال الليث[3]: «يقال: ثقفنا فلانا في موضع كذا، أي أخذناه» قال الزجاج[4]: «ومعناه الإدراك بسرعة» قال الكلبي[5]: «أي أسرتهم في الحرب» وقال مقاتل[6]: «إن أدركتهم في القتال وأسرتهم» ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ التشريد: التنفير والتفريق، والمعنى: فرق بهم جمع كل ناقض، أي: افعل بهم فعلاً من القتل والتنكيل يفرق عنك من خلفهم من أهل مكة، وأهل اليمن قال ابن عباس[7]: «نكل بهم تنكيلاً، يشرد غيرهم من ناقدي العهد» ﴿لعلهم يذكرون﴾ النكال فلا ينقضون العهد، والتأويل فشرد بقتلهم والاتكاء فيهم من بعدهم، يكن ذلك تخويفاً لهم من نقض العهد فلا ينقضوا. قوله: ﴿وإما تخافن﴾ قال ابن عباس[8]: «تعلمن» ﴿من قوم خيانة﴾ نقضاً للعهد ﴿فانبذ إليهم﴾ انبذ عهودهم التي عاهدتهم عليها إليهم، يقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضا فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم ليكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد

(١) سقط في ج.
(٢) البغوي ٢/٢٥٧، القرطبي ٨/٢٠، الرازي ١٥/١٤٦، أبو حيان في البحر ٤/٥٠٨، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٩١.
(٣) الرازي ١٥/١٤٦.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٠.
(٥) البغوي ٢/٢٥٧.
(٦) البغوي ٢/٢٥٧.
(٧) البغوي ٢/٢٥٧، الرازي ١٥/١٤٦، انظر تفسير القرطبي ٨/٢١، وأبو حيان ٤/٥٠٩، روح المعاني ١٠/٢٢، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٩١، وعزاه لابن جرير.
(٨) انظر تفسير البغوي ٢/٢٥٧، تفسير ابن كثير ٤/٢٢، أبو حيان ٤/٥٠٩.

بنصب الحرب وهذا معنى قوله ﴿**على سواء إن الله لا يحب الخائنين**﴾ الذين يخونون في عهودهم، وغيرها، قوله ﴿**ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا**﴾ قال ابن الأنباري[١]: «معنى الآية أن أولئك الذين انهزموا يوم بدر، أشفقوا من هلكة تنزل بهم، فلما لم تنزل طغوا وبغوا فقال الله: لا تحسبن أنهم سبقوا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزوننا فيما يستقبل من الأوقات ومن قرأ لا يحسبن بالياء[٢]، فقال الأخفش[٣]: «ولا يحسبن النبي الذين كفروا سبقوا» وقرأ ابن عامر: «أنهم» بفتح الألف على تقدير: لا تحسبنهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون قوله ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ كل ما يتقوى به على حرب العدو من آلة الجهاد، فهو مماعنى الله بقوله ﴿**من قوةٍ**﴾، والمفسرون[٤] يقولون: «يعني السلاح من السيف والرماح والقسي[٥]، والنشاب[٦]».

أخبرنا محمد ابن أبي بكر المطوعي[٧] أنا محمد بن أحمد بن علي المقري أنا أحمد بن علي بن المثنى نا هارون بن معروف[٨] نا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي تمامة بن شفيّ[٩] أنه سمع عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم[١٠] عن هارون بن معروف. قوله: ﴿**ومن رباط الخيل**﴾ يعني ربطها، واقتنائها للغزو وهي من أقوى عدد الجهاد ﴿**ترهبون به**﴾ تخيفون به ﴿**عدو الله وعدوكم**﴾ يعني مشركي مكة وكفار العرب ﴿**وءأخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ قال مجاهد ومقاتل[١١]: «يعني قريظة» قال «السدي»[١٢]: هم فارس

---

(١) البيان ١/٣٩٠.

(٢) النشر ٢/٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨١، وانظر أبو حيان في البحر ٤/٥١٠، والقرطبي ٨/٢٣، انظر البغوي ٢/٢٥٨، روح المعاني ٩/٢٣.

(٣) انظر البحر المحيط ٤/٥١٠، وروح المعاني ١٠/٢٣ ـ ٢٤.

(٤) انظر البغوي ٢/٢٥٨، القرطبي ٨/٢٤، روح المعاني ١٠/٢٤، فتح القدير ٢/٣٢٠، الرازي ١٥/١٤٨، انظر الدر المنثور ٣/١٩٢.

(٥) انظر لسان ٥/٣٧٧٣.

(٦) النشاب النبل والسهام قال ابن منظور: ٦/٤٤٢٠ والنشاب السهام وقوم نشّابة يرمون بالنشاب.

(٧) تقدم الكلام على نسبة المطوعي.

(٨) هارون بن معروف المروزي أبو علي الخزاز الضرير، نزيل بغداد، وروى عن ابن المبارك، وهشيم، ويحيى ابن أبي زايدة، وابن عيينة، وابن وهب وأبي ضمرة وبشر بن السري، وحاتم بن إسماعيل والوليد بن مسلم، ومروان بن شجاع وغيرهم. روى عنه مسلم وأبو داود. انظر التهذيب ١١/١١.

(٩) ثمامة بن شفي الهمداني الأحروجي، ويقال الأصحبي أبو علي المصري. سكن الإسكندرية، روى عن فضالة بن عبيد، وعقبة بن عامر، وأبي ريحانة الأزدي وعبد الله بن زرير الغافقي وقبيصة بن ذويب وعنه عمرو بن الحارث، وعبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، وعبد العزيز بن أبي الصعبة، وبكر بن عمرو ويزيد بن أبي حبيب، وابن إسحاق وعدة. قال النسائي ثقة، وقال ابن يونس توفي في خلافة هشام بن عبد الملك قبل العشرين ومائة. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ٢/٢٨.

(١٠) إسناده المصنف ظاهرة السلامة، والحديث أخرجه مسلم (٣/١٥٢٢) في كتاب الإمارة باب فضل الرمي (١٦٧/١٩١٧)، وأبو داود رقم (٢٥١٤)، والترمذي (٣٠٨٣) وابن ماجه (٢٨١٣).

(١١) البغوي (٢/٢٥٩)، وأخرجه الطبري (١٤/٣٦) (١٦٢٣٩، ١٦٢٤٠)، وابن كثير (٤/٢٦)، وأبو حيان (٤/٥١٣)، وانظر القرطبي (٨/٢٦)، انظر روح المعاني (١٠/٢٦)، فتح القدير (٢/٣٢٣).

(١٢) البغوي ٢/٢٥٩، وأخرجه الطبري ١٤/٣٦ (١٦٢٤١)، وابن كثير ٤/٢٦ وأبو حبان في البحر ٤/٥١٣، القرطبي ٨/٢٦، انظر روح المعاني ١٠/٢٦، فتح القدير ٢/٣٢٣.

وقال الحسن وابن زيد[١] هم المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم يقولون لا إله إلا الله **﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله﴾** من آلة وسلاح وصفراء وبيضاء في طاعة الله **﴿يوف إليكم﴾** يوفر لكم أجره **﴿وأنتم لا تظلمون﴾** لا تنقصون من الثواب، قوله: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** قال المفسرون[٢]: «إن مالوا إلى الصلح فمل إليه» قال الكلبي[٣]: يعني قريظة وقال الحسن[٤]: «يعني المشركين» وأكثر المفسرين[٥] على أن هذا منسوخ بآية السيف[٦]، قوله: **﴿وتوكل على الله﴾** أي ثق به **﴿إنه هو السميع﴾** لقولكم **﴿العليم﴾** بما في قلوبكم **﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾** بالصلح لتكف عنهم **﴿فإن حسبك الله﴾** فإن الذي يتولى كفايتك الله **﴿هو الذي أيدك بنصره﴾** يوم بدر **﴿وبالمؤمنين﴾** يعني الأنصار **﴿وألف بين قلوبهم﴾** يعني بين قلوب الأوس والخزرج وهم الأنصار **﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم﴾** للعداوة التي كانت بينهم في الجاهلية **﴿ولكن الله ألف بينهم﴾** لأن قلوبهم بيده، يؤلفها كيف يشاء قال «الزجاج» [٧]: «وهذا من الآيات العظام، وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم أنفتهم شديدة ونصرت بعضهم لبعض بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره، فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قتل الرجل أخاه وابنه وأباه» قوله **﴿يا أيها النبي حسبك الله﴾** أي في كفاية كل ما تحتاج إليه **﴿ومن اتبعك من المؤمنين﴾** يعني المهاجرين والأنصار.

أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني [٨] أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو بكر بن أبي عاصم[٩] نا صفوان بن المغلس نا إسحاق بن بشر[١٠] نا خلف بن خليفة[١١] عن أبي هاشم الرماني[١٢] عن سعيد بن جبير

---

(١) البغوي ٢/٢٥٩، وانظر تفسير الرازي ١٥/١٤٩.

(٢) البغوي ٢/٢٦٠، ابن كثير ٤/٢٧، وأبو حيان ٥/٥١٣، الرازي ١٥/١٤٩، القرطبي ٨/٢٦.

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ١٤/٤٣ «١٦٢٥١» وفيه نظر، انظر تفسير ابن كثير ٤/٢٧، روح المعاني ١٠/٢٧، فتح القدير ٢/٣٢٢.

(٤) انظر البحر المحيط ٤/٥١٣.

(٥) انظر الطبري ١٤/٣٦، وابن كثير ٤/٢٧ ـ ٢٨، البغوي ٢/٢٦٠، الرازي ١٥/١٥٠، فتح القدير ٢/٣٢٢، القرطبي ٨/٢٧، البحر المحيط ٤/٥١٣ روح المعاني ١٠/٢٧.

(٦) وهي قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم. . . . . .) التوبة ٥.

(٧) الرازي ١٥/١٥١، انظر البحر المحيط ٤/٥١٤، وانظر القرطبي ٨/٢٨.

(٨) بكسر الألف أو فتحها، وسكون الصاد المهملة، وفتح الباء الموحدة، والهاء وفي آخرها النون بعد الألف هذه النسبة إلى أشهر بلدة بالجبال. تسمى بالعجمية سبهان، وسباه العسكر وهان الجمع، وكان جموع عساكر الأكاسرة تجتمع إذا وقعت لهم واقعة في هذا الموضع مثل عسكر فارس وكرمان وكور الأهواز والجبال فعرب وقيل: أصبهان. انظر الأنساب ١/ ١٧٥.

(٩) حافظ كبير إمام بارع متبع للآثار كثير التصانيف. قدم أصبهان على قضائها، ونشر بها علمه. قال أبو الشيخ: كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب. وقال أبو بكر بن مردوية: حافظ كثير الحديث صنف المسند والكتب انظر السير (١٣/٤٣٠).

(١٠) إسحاق بن بشر روى عن سفيان بن عيينة قال الحافظ الذهبي في الميزان صدوق (٨/١٨٨).

(١١) خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي، مولاهم أبو أحمد كان بالكوفة ثم انتقل إلى واسط فسكنها مدة ثم تحول إلى بغداد فأقام بها إلى حين وفاته ورأى عمرو بن حريث صاحب النبي ﷺ قال ابن معين صدوق انظر التهذيب (٣/١٥٠).

(١٢) أبو هشام الرماني الواسطي. اسمه يحيى بن دينار وقيل: ابن الأسود، وقيل: ابن أبي الأسود، وقيل: ابن نافع رأى أنساً. روى عن أبي وائل، وأبي مجلز، وأبي العالية، وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وأبي قلابة، وعبد الله بن بريدة، وحبيب بن أبي ثابت، وزادان بن أبي عمر الكندي، وحماد بن أبي سليمان وغيرهم قال أبو حاتم فقيه صدوق وذكره ابن حبان في الثقات انظر التهذيب ١٢/٢٦١ ـ ٢٦٢، ٢/٣٢٤، الرازي ١٥/١٥٣، القرطبي ٨/٢٩، البغوي ٢/٢٦٠. وقال الحافظ ابن كثير ٤/٣١: وفي هذا نظر، لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقبل الهجرة إلى المدينة.

عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة ثم إن عمر أسلم فصاروا أربعين فنزل جبريل بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ قال الفراء: المعنى: يكفيك الله ويكفي من اتبعك [من المؤمنين][1] قال: وإن شئت جعلت **﴿من﴾** في موضع رفع وهو أحب[2] إليّ قال الزجاج[3]: «ومن رفع فعلى العطف على الله والمعنى: فإن حسبك الله، وأتباعك من المؤمنين» قوله: **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾** التحريض الحث على الشيء، قال ابن عباس[4]: «حضهم على نصر دين الله» **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾** يريد الرجل من المسلمين بعشرة من الكفار في القتال **﴿وإن يكن منكم﴾** أيها المؤمنون **﴿مائة﴾** رجل **﴿يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾** قرىء يكن بالياء [5] والتاء فمن قرأ بالياء فلأنه يراد بالمائة المذكر لأنهم رجال في المعنى، يدل على ذلك قوله: **﴿يغلبوا﴾** ومن قرأ بالتاء فللتأنيث لفظ المائة، وكان «أبو عمرو» يقرأ هذا، قوله: **﴿فإن يكن منكم مائة صابرة﴾** بالتاء، لأن التأنيث ها هنا أشد مبالغة، حيث وصفت المائة بالصابرة ولم يقل صابرون، وهناك قال يغلبوا فكان إلى التذكير أقرب وقوله: **﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾** أي أن المشركين يقاتلون على غير احتساب، ولا طلب ثواب فلا يثبتون إذا صدقتموهم القتال لأنهم يقاتلون على جهالة قال الوالبي عن ابن عباس: «أمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك عليهم فرحمهم وأنزل **﴿الآن خفف الله عنكم﴾**»[6] قال الكلبي [7]: «هون الله عليكم وعلم أن فيكم ضعفاً»، وقرىء «ضُعْفاً» [8] وهما لغتان مثل الفَقْرُ والفُقْرُ **﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾** قال ابن عباس [9]: «صار الرجل برجلين كان كتب عليهم ألا يفر رجل من عشرة، ثم قال: الآن خفف الله عنكم، وكتب عليهم ألا يفر مائة من مائتين» وقوله: **﴿بإذن الله﴾** بيان أنه لا تقع الغلبة، إلا أن يريد الله ذلك **﴿والله مع الصابرين﴾** قال ابن عباس[10]: «يريد الذين صبروا على دينهم وعلى طاعة الله».

---

(١) سقط في ب، ج.

(٢) معاني القرآن للفراء ١/٤١٧، فتح القدير ٢/٣٢٤، الرازي ١٥/١٥٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٣، وانظر المصادر السابقة.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢/٢٦٠.

(٥) انظر النشر ٢/١٧٧، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٨٣، وانظر البحر المحيط ٤/٥١٧، الرازي ١٥/١٥٤.

(٦) البخاري ٨/١٦٣، في كتاب التفسير باب (الآن خفف الله عنكم) (٤٦٥٣) وزاد الشوكاني نسبته في الفتح للنحاس في ناسخه وابن مردويه، والبيهقي في السنن.

(٧) ومعنى قول الكلبي عند جميع المفسرين.

(٨) النشر ٢/٢٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٣، البغوي ٢/٢٦١، البحر المحيط ٤/٥١٧ ـ ٥١٨، الرازي ١٥/١٥٦.

(٩) البخاري ٨/١٦٣ في كتاب التفسير، باب (الآن خفف الله عنكم)، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣١، القرطبي ٨/٣٠، فتح القدير ٢/٣٢٥.

(١٠) انظر تفسير الرازي ١٥/١٥٦.

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

قوله: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾ الآية.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد الطاووسي نا محمد بن حماد نا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن[1] مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: «لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأصلك فاستبقهم واستأن بهم، لعل الله يتوب عليهم، وقال عمر: كذبوه وأخرجوه بدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة [يا رسول الله][2] انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم ناراً، وقال العباس: قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبهم ثم دخل فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله ثم خرج عليهم فقال إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾[3] وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[4] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى: قال ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾[5] الآية، ومثلك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾[6] ثم قال رسول الله ﷺ أنتم اليوم عالة، أنتم اليوم عالة، فلا يمتلكن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق فأنزل الله تعالى: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض**﴾ إلى آخر الآيات الثلاث[7].

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا أبو نوح قراد[8] نا عكرمة بن عمار نا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لـما كان يوم بدر، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر، وعمر، فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله، فيكونو لنا عضداً، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل[9]، فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه، فيضرب

---

(١) عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق بن الحارث بن سلمة بن كعب بن وائل بن جمل بن كنانة بن ناجية بن مراد الجملي المرادي أبو عبد الله الكوفي الأعمى وثقه ابن معين انظر التهذيب (١٠٢/٨).

(٢) سقط في أ، ب. (٤) سورة المائدة ١١٨.

(٣) سورة إبراهيم ٣٦. (٥) سورة يونس ٨٨. (٦) سورة نوح ٢٦.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٢٢٧/٥، وأخرجه الترمذي في جامعه ٢٧١/٥ في كتاب التفسير سورة الأنفال. وذكره الهيثمي في المجمع ٨٦/٦، وعزاه لأحمد وأبي يعلى والطبراني، وقال: وفيه أبو عبيدة ولم يسمع من أبيه، ولكن رجاله ثقات.

(٨) عبد الرحمن بن عزوان الخزاعي، ويقال الضبي أبو نوح المعروف بقراد. سكن بغداد.

روى عن جرير بن حازم، وشعبة وعكرمة بن عمار، وعوف الأعرابي، والليث بن سعد، ومالك ويونس بن أبي إسحاق وغيرهم وثقه ابن سعد وقال ابن معين صالح انظر التهذيب (٢٤٧/٦ ـ ٢٤٨).

(٩) عقيل بفتح أوله ابن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي أخو علي وجعفر، وكان الأسن يكنى أبا يزيد. . . تأخر إسلامه إلى =

عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر بن الخطاب: غدوت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق، وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وأنزل الله ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ إلى قوله: ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ رواه مسلم[1] عن هناد بن السري عن ابن المبارك عن عكرمة.

قال المفسرون: «يقول: ما كان لنبي أن يحبس كافراً قدر عليه من عبدة الأوثان للفداء وللمن قبل الإثخان في الأرض»، قال قتادة[2]: «كان هذا يوم بدر فاداهم رسول الله بأربعة آلاف ولعمري، ما كان أثخن رسول الله ﷺ يومئذ وكان أول قتال قاتل المشركين» ومعنى (يثخن في الأرض) قال الزجاج[3]: «يبالغ في قتل أعدائه» وقال الفراء: «حتى يغلب على كثير من الأرض»[4] وقال ابن الأعرابي[5] «أثخن إذا غلب وقهر» ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ تريدون الفداء ﴿والله يريد الآخرة﴾ قال ابن عباس[6]: «يريد لكم الجنة» ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ ان الغنائم لك ولأمتك حلال ﴿لمسكم فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ هذا قول سعيد بن جبير وقتادة[7] ورواية الوالبي وأبي الجوزاء[8] عن ابن عباس[9] وقال الحسن[10]: إنهم أخذوا الفداء قبل أن يؤمروا به فعاب الله ذلك عليهم وقال محمد بن إسحاق[11]: «لولا كتاب من الله سبق أني لا أعذب إلا بعد النهي ـ ولم يكن نهاهم ـ لعذبتكم» وهذا قول ابن مسعود ومجاهد[12] وقال ابن زيد وجماعة:[13] سبق من الله العفو عنهم وألا يعذب أحداً منهم شهد بدراً ولم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر إلا أحب الغنائم غير عمر جعل لا يلقى أسيراً إلا ضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «لو عذبنا في هذا الأمر ما نجا غير عمر»[14]

= عام الفتح، وقيل أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان أسيراً يوم بدر ففداه عمه العباس، ووقع ذكره في الصحيح في مواضع، وشهد غزوة مؤتة انظر الإصابة ٤/٢٥٥.

(١) إسناده ظاهره السلامة، والحديث أخرجه مسلم ٣/١٣٨٣، في كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة ٥٨/١٤٦٣، والبغوي في التفسير ٢/٦١، وأحمد في المسند ٣/٢٤٣، وابن كثير ٤/٣٢.

(٢) انظر تفسير الرازي ١٥/١٥٧، وما بعدها، وفتح القدير ٢/٣٢٥.

(٣) ذكره البغوي عن ابن عباس ٢/٢٦٢، وانظر القرطبي ٨/٣٢.

(٤) معاني القرآن ٢/٤٢٥، البغوي ٢/٢٦٢، الرازي ١٥/١٦٠. (٧) معاني القرآن للفراء ١/٤١٨.

(٥) وقال المصنف أيضاً رحمه الله الإثخان في كل شيء عبارة عن قوته وشدته يقال قد أثخنه المرض إذا اشتد قوة المرض عليه، وكذلك أثخنه الجراح، والثخانة الغلظة فكل شيء غليظ فهو ثخين.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢/٢٦٢.

(٧) البغوي ٢/٢٦٢.

(٨) أوس بن عبد الله الربعي أبو الجوزاء البصري من ربيعة الأزد روى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وعبد الله بن عمرو وصفوان بن عسال وعنه بديل بن ميسرة، وأبو الأشهب، وعمرو بن مالك وقتادة وغيرهم وثقه العجلي. انظر التهذيب (١/٣٨٣).

(٩) البغوي (٢/٢٦٢) البغوي (٢/٢٦٢).

(١٠) انظر البحر المحيط ٤/٥١٩، البغوي ٢/٢٦٢.

(١١) أبو حيان ٤/٥١٩، انظر فتح القدير ٢/٣٢٦، انظر السيرة لابن هشام ١/٦٧٦، ابن كثير ٤/٣٤، والطبري ١٤/٦٩.

(١٢) أبو حيان في البحر ٤/٥١٩، وانظر المصادر السابقة. (١٣) أبو حيان في البحر ٤/٥١٩، وانظر المصادر السابقة.

(١٤) أخرجه الطبري في التفسير بإسناد ضعيف ١٤/٧١، وانظر أبو حيان في البحر ٤/٥١٩، البغوي ٢/٢٦٢، انظر روح المعاني ١٠/٣٥.

وقال ابن عباس: [١] قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب ما سلم منه إلا عمر» وقال مجاهد[٢]: قال النبي ﷺ لعمر: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء» ولما نزل هذا أمسكوا أيديهم عن الغنائم فنزل قوله: ﴿**فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم**﴾ قال ابن عباس [٣]: «غفر لكم ما أخذتم من الفداء ورحمكم لأنكم أولياؤه».

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

قوله: ﴿**يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً**﴾ صدقاً وإسلاماً ﴿**يؤتكم خيراً مما أخذ منكم**﴾ من الفداء، نزلت في العباس [٤] وكان أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من ذهب كان خرج بها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر، فأخذت معه فأخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلمته أن يجعل ذلك في فدائي فَأَبَى عليَّ، وقال: (أما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا) قال: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني عشرين عبداً كلهم يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب عشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي [٥] وهو قوله: ﴿**والله غفور رحيم**﴾ قوله: ﴿**وإن يريدوا خيانتك**﴾ [الآية][٦] نزلت في العباس وأصحابه من الأساري[٧]، قال ابن جريج: «أراد بالخيانة ها هنا الخيانة في الدين وهو الكفر» يعني إن كفروا بك ﴿**فقد خانوا الله من قبل**﴾ أي: كفروا بالله ﴿**فأمكن منهم**﴾ المؤمنين ببدر حتى قتلوهم، وأسروهم وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال ومعاداة المؤمنين ﴿**والله عليم**﴾ بخيانة إن خانوها ﴿**حكيم**﴾ في تدبيره عليهم ومجازاتهم أياهم قوله: ﴿**إن الذين ءامنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله**﴾ يعني المهاجرين الذين هجروا ديارهم وأموالهم

---

(١) هذا موقوف على ابن عباس، والمرفوع قد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٢٩/٢، في التفسير وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) الرازي ١٦٢/١٥، انظر البحر المحيط ٥٢٠/٤.

(٤) البغوي ٢٦٣/٢، الرازي ١٦٢/١٥، الطبري ٧٣/١٤، ابن كثير ٣٦/٤، فتح القدير ٣٢٨/٢.

(٥) انظر المصادر السابقة، وانظر البخاري ١٩٤/٦ في كتاب الجهاد باب فداء المشركين.

(٦) سقط في ب.

(٧) انظر المصادر السابقة، وانظر أسباب النزول للمصنف ص (٢٣٨) والحاكم في المستدرك ٣٢٤/٣.

وقومهم في نصرة الدين ﴿والذين ءاووا ونصروا﴾ يعني الأنصار أسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ قال المفسرون[١]: «يعني في الميراث كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة وكان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر وهو قوله: ﴿والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾» وقرىء من ﴿ولَايتهم﴾ بكسر الواو وفتحه[٢] وهما لغتان من الولي والوالي كالوكالة والوكالة وبابهما، والفتح أجود لأنه أكثر في الدين والكسر في السلطان، قال ابن الأنباري[٣]: «كان الله تعالى تعبدهم في أول الهجرة بأن لا يرث المسلمين المهاجرين إخوانهم الذين لم يهاجروا ولا يرثون هم أخوانهم، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾» وقوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ أي: وإن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم [وانصروهم][٤] ﴿إلا﴾ أن يستنصروكم ﴿على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾عهد فلا تغدروا ولا تنقضوا العهد، قوله: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ حض الله المؤمنين على التواصل فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولايته في الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إلا تفعلوه﴾ قال ابن عباس[٥]: «إلا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به» وقال ابن جريج[٦]: «يقول: إلا تعاونوا وتناصروا في الدين» ﴿تكن فتنة في الأرض﴾ يعني الشرك ﴿وفساد كبير﴾ وذلك أنه إذا لم يتول المؤمن المؤمن توليا يدعو غيره ممن لا يكون مؤمناً إلى مثل ذلك ولم يتبرأ من الكافر بما يصرفه عن كفره، أدى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار ونصر أقاربه المسلمين كان ذلك أدعى إلى الإسلام، وترك الكفر لأقاربه الكفار وقوله ﴿والذين ءامنوا﴾ إلى قوله: ﴿هم المؤمنون حقاً﴾ أي هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة خلاف من أقام بدار الشرك ﴿والذين ءامنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ قال ابن عباس[٧]: «يريد الذين هاجروا بعد الحديبية، وهي الهجرة الثانية» وقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ قال جماعة المفسرين[٨]: «هذا نسخ للميراث بالهجرة ورد للمواريث إلى أولي الأرحام» وذلك أنهم كانوا لا يتوارثون بالرحم إنما يتوارثون بالهجرة كان الأخوان إذا أسلما فهاجر أحدهما، فمات لم يرثه الذي لم يهاجر حتى فتحت مكة فرد الله الميراث إلى أولي الأرحام.

روى عكرمة عن ابن عباس[٩] أن النبي ـ ﷺ ـ آخا بين أصحابه فكانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ فتوارثوا بالنسب وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ قال الزجاج[١٠]: «في حكم الله» ويجوز أن يعني بالكتاب ها هنا القرآن أي هم في فرض كتاب الله أولى بأرحامهم ﴿إن الله بكل شيء﴾ مما خلق وفرض وحدّ ﴿عليم﴾.

---

(١) البخاري في التفسير سورة النساء، والطبري ١٤/٧٩ وما بعدها، وابن كثير ٤/٣٩، البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي (٨/٣٧) البحر المحيط ٤/٥٢٢، الرازي ١٥/١٦٦، فتح القدير ٢/٣٢٩، روح المعاني ١٠/٣٧ ـ ٣٨.

(٢) النشر ٢/١٧٧، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٤، البحر المحيط ٤/٥٢٢، الرازي ١٥/٢٦٤.

(٣) انظر القرطبي ٨/٣٧، البحر المحيط ٤/٥٢٢، فتح القدير ٢/٣٢٩، البغوي ٢/٢٦٤.

(٤) سقط في ب.

(٥) البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي ٨/٣٨.

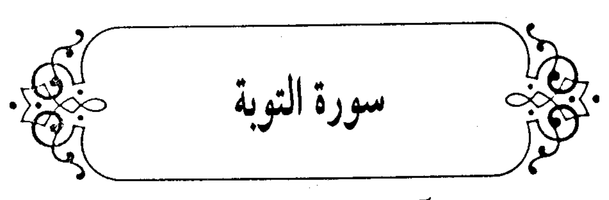
(٦) البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي ٨/٣٨. والمعنى: إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر فيقع بين الناس فساد منتشر.

(٧) البغوي ٢/٢٦٤، القرطبي ٨/٣٨، أبو حيان ٤/٥٢٣ الرازي ١٥/١٦٩.

(٨) البغوي ٢/٢٦٥، القرطبي ٨/٣٨، البحر المحيط ٤/٥٢٣، الرازي ١٥/١٧٠، فتح القدير ٢/٣٣٠.

(٩) أخرجه أبو داود في السنن (٣/١٢٨) في كتاب الفرائض، باب نسخ ميزان العقد بميراث الرحم ٢٩٢١.

(١٠) انظر معاني القرآن ٢/٤٢٥، والبغوي ٢/٢٦٥.



سورة التوبة

مدنيّة وآياتها تسع وعشرون ومائة

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الزمجاري نا أحمد بن جعفر بن مالك نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا أبي نا محمد بن جعفر نا عوف[1] عن يزيد الفارسي قال: قال لنا ابن عباس: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عهدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتوهما في السبع الطوال؟ قال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وبراءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها وقبض فيهما رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، وظننا أنها منها فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال.[2]

أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحي أنا أبو عمر بن مطر أنا أبو خليفة الجمحي نا أبو الوليد، نا شعبة نا أبو اسحاق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾[3] وآخر سورة نزلت براءة، رواه البخاري [4] عن أبي الوليد.

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ

---

(١) عوف بن أبي جميلة العبدي الهجري أبو سهل البصري، المعروف بالأعرابي واسم أبي جميلة بندوية، ويقال بل بندوية اسم أمه، واسم أبيه رزينة وقال أبو حاتم صدوق صالح، وقال النسائي ثقة ثبت. انظر التهذيب (١٦٦/٨ ـ ١٦٧).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٤/٥ في كتاب التفسير ٣٠٨٦، وابن حبان كما في الإحسان ١٢٥/١، وأخرجه أبو داود ٢٠٨/١، ٢٠٩ في كتاب الصلاة، باب من جهر بها ٧٨٦، وأحمد في المسند ٥٧/١، والحاكم في المستدرك ٣٣٠/٢. أخرجه البغوي في التفسير ٢٦٥/٢، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير، وعزاه لأحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه من طرق أخر عن عوف الأعرابي به، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) سورة النساء ١٧٦.

(٤) ١٦٧/٨ في كتاب التفسير سورة النساء براءة من الله ورسوله إلى الذين...... (٤٦٥٤).

فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿براءة من الله﴾ الآية قال المفسرون: [١] «أخذت العرب تنقض عهوداً بينها وبين رسول الله ﷺ فأمره الله أن ينقض عهودهم» قال الزجاج: [٢] «أي: قد برىء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذ نكثوا» والخطاب في ﴿عـاهدتم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ والمتولي للعقد رسول الله ﷺ لكنهم أدخلوا في الخطاب، لأنهم راضون بفعله، وقوله: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ يقال: ساح يسيح سياحة وسيوحاً، قال الزجاج: [٣] «معناه: اذهبوا فيها، وأقبلوا وأدبروا» وقال المفسرون: [٤] «هذا تأجيل من الله للمشركين أربعة أشهر، فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطه إلى الأربعة ومن كانت مدته أقل من أربعة، رفعه إلى الأربعة» قال الزهري: الأربعة أشهر شوال وذو القعدة، وذو الحجة والمحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال قال ابن عباس[٥] في رواية الوالبي: «حد الله للذين عاهدوا رسول الله ﷺ أربعة أشهر يسيحون في الأرض حيث ما شاءوا وأحل من ليس له عهد عند انسلاخ الأشهر الحرم فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره أن يضع السيف فيهم حتى يدخلوا في الإسلام» وقوله: ﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾ قال ابن عباس: [٦] «حيثما كنتم وحيثما توجهتم لا يعجز الله عن نقمته فيكم» وقال الزجاج: [٧] «أي: وإن أجلتم هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا الله» ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾ بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة والإخزاء الإذلال بما فيه من الفضيحة والعار، قوله: ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ الأذان الإعـلام[٨] وهو اسم من الايذان، يقال: آذن إيذاناً [وأذاناً][٩] وقوله ﴿إلى الناس﴾ أي للناس، يقال: هذا إعلام لك وإليك وأراد بالناس المؤمن والمشرك [والكافر][١٠] لأن الكل داخلون في هذا الإعلام، [قوله]: [١١] ﴿يوم الحج الأكبر﴾ اختلفوا فيه، فقال عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد: انه يوم عرفة [١٢] ونحو هذا روى المسور بن مخرمة عن النبي ﷺ [مرفوعاً] [١٣]

أخبرنا سعيد بن محمد الزاهد أنا محمد بن عبد الله بن الفضل أنـا أحمد بن محمـد بن الحسن الحافظ نـا

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٤/٩٥، وانظر ابن كثير ٤/٤٦، البغوي ٢/٢٢٦.

(٢) معاني القرآن ٢/٤٢٩.

(٣) البغوي ٢/٢٦٦، معاني القرآن للزجاج ٢/٤٢٩.

(٤) الطبري ١٤/١٠١ (١٦٣٦٦)، وابن كثير ٤/٤٦، البغوي ٢/٢٦٦، الرازي ١٥/١٧٥ ـ ١٧٦.

(٥) الطبري ١٤/٩٨ (١٦٣٥٧)، ابن كثير ٤/٤٥.

(٦) انظر تفسير البغوي ٢/٢٦٦، وانظر الرازي ١٥/١٧٦.

(٧) معاني القرآن ٢/٤٢٩.

(٨) انظر أنيس الفقهاء (٧٦).

(٩) سقط في أ.

(١٠) سقط في أ، ب.

(١١) سقط في أ، ب.

(١٢) الطبري ١٤/١١٤، ابن كثير ٤/٥٠، البغوي ٢/٢٦٨، فتح القدير ٢/٣٣٣، الرازي ١٥/١٧٦ ـ ١٧٧، القرطبي ٨/٤٥، روح المعاني ١٠/٤٦.

(١٣) سقط في أ، ب.

محمد بن حيويه [١] ويحيى بن محمد بن يحيى، قالا: نا عبد الرحمن بن المبارك العيشي [٢] نا عبد الوارث بن سعيد نا ابن جريج عن محمد بن قيس [٣] عن المسور بن مخرمة قال: «خطبنا رسول الله ﷺ بعرفات فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإن هذا يوم الحج الأكبر وذكر الحديث» [٤] وقال ابن عباس في رواية عطاء: «يوم الحج الأكبر يوم النحر» [٥] وهو قول الشعبي والنخعي والسدي وسعيد بن جبير ورواية ابن أبي أوفى [٦] عن النبي ﷺ.

أخبرنا محمد بن إبراهيم المزكي أنا أبو بكر بن عبد الله بن يحيى الطلحي نا أحمد بن سعيد بن شاهين [٧] نا محمد بن بكار نا حفص بن عمر قاضي حلب عن سليمان الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى: ان النبي ﷺ قال يوم الأضحى هذا يوم الحج الأكبر [٨] ومعنى الحج الأكبر الحج بجميع أعماله، والحج الأصغر العمرة، وقال قوم: يوم الحج الأكبر حين الحج، أيامه كلها، كما يقال: «يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث [٩] لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً كثيرة» وقوله: ﴿إن الله بريء من المشركين﴾ أي من عهد المشركين فحذف المضاف ﴿ورسوله﴾

---

(١) وهذا النسبة لبعض أجداد المنتسب إليه. الإمام المحدث الثقة المسند أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى البغدادي الخزاز ابن حيوية من علماء المحدثين. سمع أبا بكر محمد بن محمد الباغندي، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وعبد الله بن إسحاق المدائني، وأبا القاسم البغوي وابن أبي داود، وعبيد بن المؤمل وعبيد الله بن عثمان صاحب ابن المديني، وبدر بن الهيثم وأبا حامد الحضرمي ومحمد بن هارون بن المجدر وطبقتهم. حدث عنه: أبو بكر البرقاني، وأبو الفتح بن أبي الفوارس، وأحمد بن محمد العتيقي، وأبو محمد الخلال، وعلي بن المحسن التنوخي، وأبو محمد الجوهري وآخرون. السير (٤٠٩/١٦).

(٢) عبد الرحمن بن المبارك بن عبد الله العيشي الطفاوي، ويقال السدوسي أبو بكر ويقال أبو محمد البصري الخلقاني. انظر التهذيب (٢٦٣/٦).

(٣) محمد بن قيس الأسدي الوالبي من أنفسهم أبو نصر، ويقال أبو قدامة ويقال أبو الحكم الكوفي. روى عن الشعبي ومحارب بن دثار وأبي عون الثقفي، وحميد الطويل، وزياد بن علاقة وعلي بن ربيعة الوالبي، والحكم بن عتيبة وعطاء بن السائب، وأبي الهند الهمداني وغيرهم. روى عنه حفيده وهب بن إسماعيل بن محمد بن قيس والثوري وشعبة وعلي بن مسهر، وحفص بن غياث، ويحيى بن سعيد الأموي، ووكيع وأبو نعيم وآخرون.
ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان من المتقنين. انظر التهذيب ٤١٢/٩ ـ ٤١٣.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١١٦/١٤، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٥١/٤، وقال مرسل، وقال عمر بن الوليد الشني: حدثنا شهاب بن عباد العصري عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: هذا يوم عرفة هذا يوم الحج الأكبر فلا يصومنه أحد. قال: فحججت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا: سعيد بن المسيب فأتيته فقلت: إني سألت عن أفضل أهل المدينة، فقالوا: سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال: أخبرك عمن هو أفضل مني مائة ضعف عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه. ويقول: هو يوم الحج الأكبر. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهكذا روي عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومجاهد وعكرمة وطاوس. أنهم قالوا: يوم عرفة هو يوم الحج الأكبر. انظر تفسير ابن كثير ٤/٥٠ ـ ٥١ والمختار أنه يوم النحر.

(٥) الطبري ١١٧/١٤، وما بعدها، وابن كثير ٥١/٤، والبغوي ٢٦٨/٢ الرازي ١٧٧/١٥، فتح القدير ٣٣٣/٢، القرطبي ٤٥/٨، روح المعاني ٤٦/١٠.

(٦) انظر المصادر السابقة وأثر الطبري ١٦٤٠٠.

(٧) أحمد بن سعيد بن شاهين أبو العباس. سمع شيبان بن فروخ، ويعقوب بن حميد بن كاسب ويحيى بن معين، ومصعب بن عبد الله الزبيري ومسعود بن جويرية. روى عنه عبد الصمد بن علي الطستي، وأبو بكر الشافعي، ودملج بن أحمد، وعبد الله بن يحيى الطلحي الكوفي، وأبو القاسم الطبراني. مات في سنة ثلاث وتسعين ومائتين. انظر تاريخ بغداد ١٧١/٤.

(٨) الحديث أخرجه أبو داود ١٩٥/٢ في كتاب الحج، باب الحج الأكبر.

(٩) ويوم بعاث يوم مشهور من أيام العرب كان بين الأوس والخزرج.

رفع بالابتداء وخبره مضمر على معنى: ورسوله أيضاً بريء قال المفسرون: «لما فتح الله مكة سنة ثمان من الهجرة وخرج رسول الله ﷺ إلى تبوك [(١)] وأرجف المنافقون الأراجيف جعل المشركون ينقضون عهودهم فأمر الله رسوله ﷺ بإلقاء عهودهم إليهم فلما كانت سنة تسع بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم، ليقيم للناس الحج وبعث معه بأربعين آية من صدر براءة، ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله ﷺ علياً فقال: اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن بذلك في الناس إذا اجتمعوا فخرج علي على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميراً على الحج وعلي ليؤذن ببراءة»[(٢)] وذكر الزجاج: [(٣)] السبب في تولية علي تلاوة براءة قال: «إن العرب جرت عادتها في عقد عهودها ونقضها، أن يتولى ذلك عن القبيلة رجل منها وكان جائزاً أن يقول العرب إذا تلا عليها نقض العهد من الرسول من هو من غير رهطه هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح النبي ﷺ العلة في ذلك»، وشرح عمرو بن بحر الجاحظ[(٤)] هذه القصة فقال: «ان النبي ﷺ بعث أبا بكر أميراً على الحجاج وولاه الموسم وبعث علياً يقرأ على الناس آيات من سورة براءة وكان أبو بكر الإمام، وعلي المؤتم به، وكان أبو بكر الخطيب وعليّ المستمعَ وكان أبو بكر الرافع الموسم ولم يكن لعلي أن يرفع حتى يرفع أبو بكر، وأما قوله ﷺ: لا يبلغ عني إلّا رجل مني فإن هذا ليس بتفضيل منه لعلي على غيره، ولكن عامل العرب على مثل ما كان بعضهم يتعارفه من بعض كعادتهم في عقد الحلف وحل العقد كان لا يتولى ذاك إلا السيد منهم أو رجل من رهطه ديناً، كأخٍ أو عم فلذلك قال النبي ﷺ هذا القول».

ويدل على هذا ما لجملة الحديث الصحيح الذي أخبرنا عمرو بن أبي عمرو المزكي أنا محمد بن مكي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل البخاري أنا عبد الله بن يوسف نا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى، ألّا يحج بعد العام مشركٌ ولا يطوفَ بالبيت عريانٌ قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة وألّا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» [(٥)] وقوله: **﴿فإن تُبتُمْ﴾** رجع إلى خطاب المشركين يريد فإن رجعتم عن الشرك إلى توحيد الله **﴿فهو خير لكم﴾** من الإقامة على الشرك **﴿وإن توليتم﴾** عن الإيمان **﴿فاعلموا أنكم**

---

(١) وهي بفتح التاء، وضم الباء وهي في طرف الشام صانه الله تعالى من جهة القبلة، وبينها وبين مدينة النبيﷺ نحو أربعة عشر مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، وكانت غزوة رسول اللهﷺ تبوك سنة تسع من الهجرة، ومنها راسل عظماء الروم وجاء إليهﷺ من جاء وهي آخر غزواته بنفسه. قال الأزهري أقام النبيﷺ بتبوك بضعة عشر يوماً والمشهور ترك صرف تبوك للتأنيث والعلمية ورويته في صحيح البخاري في حديث كعب في أواخر كتاب المغازي عن كعب، ولم يذكر عن رسول اللهﷺ حتى بلغ تبوكاً هكذا هو في جميع النسخ تبوكاً فيها أيضاً توج بالجيم انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي ٤٣/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٧/٥ في كتاب التفسير سورة التوبة ٣٠٩١، وقال: حسن غريب، والطبري في التفسير ١٠٧/١٤ ـ ١٠٨ (١٦٣٧٧) وأحمد في المسند ٢٨٣/٣.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٢٨/٢.

(٤) انظر قول الحافظ في التفسير الفخر الرازي ١٧٥/١٥.

(٥) الحديث أخرجه البخاري ٥٦٩/١ في كتاب الصلاة، باب ما يستر من العورة (٣٦٩، ١٦٢٢، ٣١٧٧، ٤٣٦٣، ٤٦٥٥، ٤٦٥٦، ٤٦٥٧) ومسلم ٩٨٢/٢ في الحج لا يحج البيت مشرك ١٣٤٧/٤٣٥.

غير معجزي الله﴾ لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه في الدنيا ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال: ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ قوله ﴿إلا الذين عاهدتهم من المشركين﴾ قال المفسرون: (١) «استثنى الله طائفة وهم بنو ضمرة حي من كنانة» أمر النبي ﷺ بإتمام عهودهم، وكان قد بقي لهم من مدة عهدهم تسعة أشهر وقوله: ﴿ثم لم ينقصوهم﴾ أي من شروط العهد ﴿شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً﴾ لم يعاونوا عليكم عدواً ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾ أي إلى انقضاء مدتهم ﴿إن الله يحب المتقين﴾ يحب من اتقاه بطاعته، واجتناب معاصيه قوله: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ أي: مضى وذهب، وذهابها بانسلاخ المحرم ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ أي: في الحل والحرم ﴿وخذوهم﴾ بالأسر ﴿واحصروهم﴾ قال ابن عباس: (٢) «يريد إن تحصنوا فاحصروهم» والحصر ها هنا المنع عن الخروج من محيط ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي: على كل طريق يأخذون فيه، والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو ﴿فإن تابوا﴾ من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وءاتوا الزكاة﴾ من الأموال العين والمواشي والثمار ﴿فخلوا سبيلهم﴾ حتى يذهبوا حيث شاءوا ﴿إن الله غفور﴾ لمن تاب وآمن ﴿رحيم﴾ به ﴿وإن أحد من المشركين﴾ الذين أمرتك بقتلهم ﴿استجارك﴾ طلب منك الأمان والجوار ﴿فأجره﴾ من القتل ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن وما أمر به ونهى عنه ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ الموضع الذي يأمن فيه ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ أي الأمر ذلك، وهو أن يعرفوا، ويجاروا لجهلهم، فربما يعرفون فيسلمون ثم قال على وجه الإنكار

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾

﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله﴾ أي لا يكون لهم عهد وهم يغدرون وينقضون ﴿إلا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام﴾ وهم بنو ضمرة الذين ذكرنا ﴿فما استقاموا لكم﴾ في وفاء العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ على الوفاء بإتمام أجلهم ﴿إن الله يحب المتقين﴾ من اتقى الله في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده، قوله: ﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ أي كيف يكون للمشركين عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم، يقدروا عليكم، ويظفروا بكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ لا يحفظوا فيكم ﴿إلاً﴾ قرابة ﴿ولا ذمة﴾ عهداً ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ يقولون كلاماً حلْواً ﴿وتأبى قلوبهم﴾ الوفاء بما يقولون ﴿وأكثرهم فاسقون﴾ كاذبون ناقضون للعهد ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾ فأعرضوا عن طاعته ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من اشترائهم الكفر بالإيمان ثم ذمهم بترك المراقبة للعهد والذمة للمؤمنين بقوله:

---

(١) البغوي ٢/٢٦٩، الدر المنثور ٣/٢١٢، وفتح القدير ٢/٣٣٨.
(٢) البغوي ٢/٢٦٩.

﴿لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون﴾ المجاوزون للحلال إلى الحرام بنقض العهد ﴿فإن تابوا﴾ من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة﴾قال ابن مسعود: (١) «أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فمن لم يزك فلا صلاة له» وقال ابن زيد: (٢) «رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه،أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة» وقال المفسرون(٣): المآخاة بين المسلمين موقوفة على فعل الصلاة والزكاة مع الشهادة، لأن الله تعالى قال:

﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ﴿ونفصل الآيات﴾ نبينها ﴿لقوم يعلمون﴾ أنها من عند الله، قوله: ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ جمع يمين بمعنى القسم يعني مشركي قريش، يقول: إن نقضوا عهودهم يقال نكث العهد إذا نصبه ونكث يمينه إذا خالف موجبها، وقوله: ﴿وطعنوا في دينكم﴾ أي عابوا دينكم، قال الزجاج: (٤) «وهذه الآية توجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام لأن العهد معقود عليه ألا يطعن فإن طعن فقد نكث» وقوله: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ يعني رؤوس قريش (٥) وقادتهم وهم أبو جهل وأمية بن خلف (٦) وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، (٧) والأصل في أيمة أَأْمِمَة، لأنها جمع إمام مثل: مثال وأمثلة ولكن لما اجتمعت الميمان ادغمت الأولى في الثانية وألقيت حركتها على الهمزة فصارت أئمة فأبدل من الهمزة المكسورة ياء، كراهة لاجتماع الهمزتين، وهذا هو الاختيار عند جميع النحويين ومن قرأ بهمزتين (٨) راعى الأصل وليس بالوجه (٩) وقوله: ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ قال: الفراء: (١٠) لا عهود لهم والمعنى لا أيمان لهم صادقة لأنه قد أثبت لهم الأيمان في قوله: ﴿نكثوا أيمانهم﴾ فالمنفي غير المثبت، ومن قرأ بالكسر، فقال الفراء: (١١) «يريد أنهم كفرة لا إسلام لهم، قال: وقد يكون المعنى لا تؤمنوهم فيكون مصدر قولك: أمنته إيماناً»(١٢) وهذا هو الوجه، لأن المشرك

---

(١) البغوي ٢/٢٧١.

(٢) ابن كثير في التفسير ٤/٥٤، والقرطبي عن ابن عباس ٨/٤٨.

(٣) الرازي ١٥/١٨٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٣٤، الرازي ١٥/١٨٧.

(٥) الطبري ١٤/١٥٤ (١٦٥٢١)، وابن كثير ٤/٥٩، الرازي ١٥/١٨٧، البغوي ٢/٢٧٢، فتح القدير ٢/٣٤٢، روح المعاني ١٠/٥٩، انظر الدر المنثور ٣/٢١٥.

(٦) أمية بن خلف بن وهب من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن سادتهم. أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالا الحبشي في بداءة ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله فقتلوه. انظر الأعلام ٢/٢٢.

(٧) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي العامري أمه حبى بنت قيس بن ضبيس بن ثعلبة بن حيان بن غنم بن مليح بن عمرو الخزاعية. يكنى أبا يزيد. أحد أشراف قريش وعقلائهم وخطبائهم وساداتهم. أسر يوم بدر كافراً. وكان الذي أسره يوم بدر مالك بن الدخشم. وأسلم سهيل يوم الفتح. انظر أسد الغابة ٣/٤٨٠.

(٨) قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: (فقاتِلوا أئمة الكفر) بهمزتين. الهمزة الأولى ألف الجمع: والثانية أصلية لأنها جمع إمام. والأصل أَأْمِمة: أَفْعِلة مثل حمار وأحمرة، ولكن الميمين لما اجتمعتا نقلوا كسرة الميم إلى الهمزة فأدغموا الميم في الميم فصارت (أئمة) بهمزتين. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: (أيمة) بغير مد بهمزة واحدة. كأنهم كرهوا الجمع بين همزتين في بنية واحدة ولا اعتبار بكون الأولى زائدة كما لم يكن بها اعتبار في آدم. انظر الحجة ٣١٥. وانظر النشر ١/٣٧٨، إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٧.

(٩) وهذا قول لا يلتفت إليه، لأن القراءات متواترة فلا عبرة بمن خالف، ولو كان الواحدي.

(١٠) معاني القرآن للفراء ١/٤٢٥، والرازي ١٥/١٨٧.

(١١) البغوي ٢/٢٧٢.

(١٢) انظر المصدر السابق.

لا يقر على دينه فلا يؤمن كما يؤمن أهل الذمة، فالإيمان ههنا يراد به الذي هو ضد التخويف، فإن جعلته الذي هو ضد الكفر كان تكريراً، لأن قوله ﴿أئمة الكفر﴾ يدل على أنه لا إيمان لهم، وقوله: ﴿لعلهم ينتهون﴾ قال ابن عباس[١] «كي ينتهوا عن الشرك بالله» ثم حض المؤمنين على قتالهم، فقال:

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ وهذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم من الكفار ليكون ذلك زجراً لغيرهم عن النكث وأراد بنكث اليمين ههنا أنهم نقضوا عهد الصلح بالحديبية، وأعانوا بني بكر على خزاعة، وهم كانوا حلفاء رسول الله ﷺ ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ يعني حين اجتمعوا في دار الندوة للمكر به ﴿وهم بدأوكم أول مرة﴾ يعني بالقتال يوم بدر، وذلك أنهم قالوا حين سلم العير: لا ننصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه، وقال جماعة من المفسرين[٢] «أراد أنهم قاتلوا حلفاءك خزاعة، فبدأوا بنقض العهد»، وقوله: ﴿أتخشونهم﴾ أي أتخافون أن ينالكم من قتالهم مكروه، فتتركون قتالهم ﴿فالله أحق أن تخشوه﴾ فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى في ترك قتالهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مصدقين بعقاب الله وثوابه ثم وعدهم النصر بقوله: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ أي بقتلهم بسيوفكم ورماحكم ﴿ويخزهم﴾ يذلهم بالقهر والأسر ﴿وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ قال ابن عباس والسدي ومجاهد[٣] يعني بني خزاعة وذلك أن قريشاً أعانت بني بكر عليهم حتى نكأوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي والمؤمنين وذلك أن «الصريخ» أتى رسول الله ﷺ بالمدينة وأنشده:

إنَّ قُريشاً أخلفُوكَ الْموعِدا	ونَقَضُوا مِيثَاقَك الْمُؤكَّدا
وبيَّتُونا بالحَطِيم هُجَّدا	وقتَّلُونا رُكَّعاً وَسُجَّدا
فانْصُرْ هَداكَ الله نَصْراً أعتدا	وادْعُ عِبَادَ الله يأتُوا مددَا

(١) انظر تفسير البغوي ٢/٢٧٢.

(٢) ابن كثير ٤/٦٠، البغوي ٢/٢٧٣، الزجاج ٢/٤٣٦، البحر المحيط ٥/١٧، القرطبي ٨/٥٥، فتح القدير ٢/٣٤٣.

(٣) انظر المصادر السابقة.

فقال رسول الله ﷺ «لا نصرت إن لم أنصركم» [(١)] وغضب لهم وخرج إلى مكة ونصر الله رسوله ﷺ وشفى صدور خزاعة وهو قوله:

﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ يعني كربها ووجدها بمعونة قريش بكراً عليهم **﴿ويتوب الله على من يشاء﴾** يعني من المشركين كأبي سفيان بن حرب، وعكرمة ابن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، تاب الله عليهم وهداهم للإسلام **﴿والله عليم﴾** بنيات المؤمنين **﴿حكيم﴾** فيما قضى ثم رجع إلى خطاب المنافقين، فقال: **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾** أي العلم الذي يجازي عليه وهو العلم بالشيء بعد وجوده **﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾** قال الفراء: [(٢)] الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم فيفشون إليهم أسرارهم ووليجة الرجل من يختص بِدخْلَةِ أمره دون الناس، الواحد والجمع فيه سواء قال ابن عباس: [(٣)] «ولم يتخذوا أولياء من المشركين» **قوله تعالى:**

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ الآية لما أسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم، فقال: إنا لنعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فرد الله ذلك عليه بهذه الآية، ومعنى ما كان لهم ذلك أنه أوجب على المسلمين منعهم من ذلك، وأكثر المفسرين «حملوا العمارة ها هنا على دخول المسجد الحرام والقعود فيه» قال الحسن: «ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام» وذهب آخرون إلى العمارة المعروفة من بناء المسجد ورمه عند الخراب، وهذا أيضاً محذور على الكافر يمنع منه حتى لو أوصى به لم تقبل وصيته، وقرأ أبو عمرو مسجد الله على التوحيد [(٤)] لقوله: **﴿وعمارة المسجد الحرام﴾** وقال الفراء: [(٥)] «ربما ذهبت العرب بالواحد إلى الجمع وبالجمع إلى الواحد» وقوله: **﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾** قال ابن عباس: [(٦)] «شهادتهم على أنفسهم

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٤/١٦١، وعزاه لأبي يعلى. وانظر الأبيات في الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١١٧٥، والأبيات هكذا القرطبي (٨/٤٣):

يا ربِّ إنيِّ ناشد محمدا	وحلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أباً وكنا وَلَدا	ثُمَّتَ أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً عَتَدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
إن سيم خسفاً وجهه تربدا	في فيلق كالبحر يجري مُزْبدا
إنَّ قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا	وهم أذلُّ وأقلُّ عددا
وهم بَيَّتُونا بالوتير هجَّدا	وقتلونا ركعاً وسجدا

(٢) معاني القرآن ١/٤٢٦.

(٣) انظر القرطبي ٨/٥٧.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (ما كان للمشركين أن يعمروا مَسْجد الله) على التوحيد يعني المسجد الحرام وحجتهما قوله: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) قال أبو عمرو: وتصديقها قوله: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام). قال: والثانية (إنما يعمر مساجد الله) على الجمع في كل مكان (من آمن بالله) على هذا المعنى. وقرأ الباقون: (أن يعمروا مساجد الله) بالألف. وحجتهم إجماع الجميع على قوله: (إنما يعمر مساجد الله) على الجمع فرد ما اختلفوا فيه إلى ما اجمعوا عليه. وأخرى وهي أنه إذا قرىء على الجمع دخل المسجد الحرام فيه، وغير المسجد الحرام. وإذا قرىء على التوحيد لم يدخل فيه غير المسجد الحرام، وإنما عنى به المسجد الحرام فحسب الحجة (٣١٦) النشر (٢/٢٨٧) إتحاف (٢/٨٨).

(٥) معاني الفراء ١/٤٢٦، الرازي ١٦/٦، وانظر القرطبي ٨/٥٧، أبو حيان في البحر ٥/١٨.

(٦) البغوي ٢/٢٧٤، القرطبي ٨/٥٨، الرازي ١٦/٨.

بالكفر سجودهم لأصنامهم» ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ لأنها لغير الله،وقال الزجاج: [١] «كفرهم أذهب ثواب أعمالهم» ثم ذكر أهل عمارة المساجد فقال: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ الآية.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري نا أبو العباس محمد بن يعقوب نا أبو عتبة أحمد بن الفرج [٢] نا بقية نا ابن الحجاج عن عمرو بن الحارث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله قال: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر». [٣]

أخبرنا أبو سعد ابن أبي رشيد العدل أنا محمد بن أحمد بن يعقوب المفيد نا أحمد بن عبد الرحمن السقطي نا يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا إلى المسجد وراح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح». [٤]

أخبرناعبد الرحمن بن الحسن بن علي التاجر أنا أبو الحسن علي بن عمر الحربي [٥] نا أبو عبد الله سلمان بن جابر نا الحسن بن العلاء القشيري [٦] نا عبد الصمد بن حسان نا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ قال: «المساجد سوق من أسواق الآخرة فمن دخلها كان ضيفاً لله فجزاؤه المغفرة وتحيته الكرامة، عليكم بالإرتاع، قال يا رسول الله وما الإرتاع، قال: الدعاء والرغبة إلى الله»[٧].

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أحمد بن جعفر بن مالك نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا أبي نا عبد

---

(١) معاني القرآن ٢/٤٣٧، وانظر الرازي ١٦/٨، انظر روح المعاني ١٠/٦٥، فتح القدير ٢/٣٤٤.

(٢) أحمد بن الفرج بن سليمان الكندي أبو عتبة الحمصي المعروف بالحجازي المؤذن بجامع حمص. روى عن بقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وابن أبي فديك، وأيوب بن سويد، ومحمد بن حميد، وعمر بن عبد الواحد وخلق. قال ابن أبي حاتم كتبنا عنه ومحله الصدق. انظر التهذيب ١٠/٦٧ ـ ٦٨.

(٣) إسناده ضعيف جداً وعلته أحمد بن الفرج بن سليمان أبو عتبه وبقية بن الوليد. قال الحافظ في التقريب صدوق كثير التدليس عن الضعفاء (١/١٠٥).

والحديث من غير طريق المصنف أخرجه الدارمي ١/١٢٢، في الصلاة باب المحافظة على الصلوات والترمذي ٥/٢٥٨ في التفسير سورة التوبة(٣٠٩٣) وقال حسن غريب، وأخرجه ابن حبان أورده الهيثمي في الموارد ٩٩، وأخرجه أحمد في المسند ٣/٦٨، وابن ماجه (١/٢٦٣) في المساجد، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة (٨٠٢) والبيهقي ٣/٦٦ وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٢٧)، والحاكم في المستدرك ١/٢١٢، وابن خزيمة في الصحيح (١٥٠٢)، والخطيب في التاريخ ٥/٤٥٦، ٤٥٩.

(٤) إسناد المصنف ضعيف جداً فيه أحمد بن عبد الرحمن السقطي تقدم الكلام عليه، والحديث من غير طريق المصنف أخرجه البخاري ١/١٧٣ في كتاب الأذان باب فضل من غدا إلى المسجد ٦٦٢، ومسلم ١/٤٦٢، في المساجد باب المشي إلى الصلاة (٢٨٥/٦٦٩).

(٥) بفتح الحاء وسكون الراء المهملتين وفي آخرها الباء المعجمة بواحدة هذه النسبة (إلى محلة وإلى رجل فأما النسبة) إلى المحلة فهي الحربية، محلة معروفة بغربي بغداد. وعلي بن عمر أبو الحسن الحربي روى عنه أبو الحسين بن الغريق، وأبو الحسين بن النقور وغيرهما. توفي سنة نيف وثمانين وثلاثمائة. انظر الأنساب ٢/١٩٧.

(٦) بضم القاف وفتح الشين المعجمة، وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى بني قشير. انظر الأنساب ٤/٥٠١.

(٧) الحديث أخرجه ابن الشجري في الأمالي ١/٢٢٥، وذكره السيوطي في جامعه الكبير، وعزاه للحربي في الفوائد، والحاكم في التاريخ، وسعيد بن منصور في السنن وأخرجه الخطيب في التاريخ ٩/٢٠٨، وانظر كنز العمال (٢٠٣٤٨).

الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي نا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه [(١)] عن محمود بن لبيد [(٢)] عن عثمان بن عفان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً لله بنى الله له مثله في الجنة» رواه مسلم [(٣)] عن محمد بن المثنى عن الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر.

أخبرنا أبو منصور عبد القادر بن طاهر نا محمد بن عبد الله بن علي بن زياد الدقاق نا محمد بن إبراهيم بن سعيد نا سليمان الشرحبيلي [(٤)] نا مروان بن معاوية نا كثير المؤذن أنه سمع عطاء ابن أبي رباح يقول: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجداً ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة، قالت يا رسول الله وهذه المساجد التي بطرق مكة؟ قال: وتلك»[(٥)].

قال أهل المعاني في هذه الآية: «من كان بهذه الصفة التي ذكرها من الإيمان بالله وإقامة الصلاة وما بعدها كان من أهل عمارة المسجد وليس المعنى أن من عمرها كان بهذه الصفة، غير أنه قل من يعمرها إلا وقد جمع هذه الصفات» وقوله: ﴿ولم يخش إلا الله﴾ أي: لم يخف في باب الدين إلا الله، ولم يترك أمراً لله لخشية غيره ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ أي: فأولئك هم المهتدون، وعسى من الله واجبة والمهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي إلى الجنة.

۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

(١) جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري الأوسي المدني. عن أنس، ومحمد بن لبيد وسليمان بن يسار. وعنه ابنه عبد الحميد ويزيد بن أبي حبيب والليث. موثق، انظر الخلاصة (١/١٦٨).

(٢) محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي أبو نعيم من أولاد الصحابة لا يصح له سماع من النبي ﷺ عن عمر وعثمان وعنه محمد بن إبراهيم التيمي والزهري. وثقه ابن سعد. مات سنة ست وتسعين. انظر الخلاصة ٣/١٥.

(٣) أخرجه مسلم ١/٣٧٨ في كتاب المساجد باب فضل بناء المساجد (٢٤/٥٣٣) وهو عند البخاري ١/٦٤٨ في كتاب الصلاة باب من بنى مسجداً (٤٥٠) وأحمد في المسند (١/٦١، ٧٠) والبيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٣٧)، (٦/١٦٧)، (٩/١٧٢) وابن حبان أورده الهيثمي في الموارد (٣٠٠).

(٤) بضم الشين المعجمة، وفتح الراء، وسكون الحاء المهملة، وكسر الباء الموحدة، وبعدها الياء الساكنة، آخر الحروف وفي آخرها اللام. هذه النسبة إلى شرحبيل وهو اسم رجل. أبو أيوب، سليمان بن عبد الرحمن، الدمشقي، الشرحبيلي، من أهل دمشق وهو ابن بنت شرحبيل، انتسب إلى جده من قبل أمه. شيخ ثقة مشهور حسن الحديث. انظر الأنساب ٣/٤١٣.

(٥) في إسناده كثير بن عبد الرحمن، ضعفه الأزدي، والعقيلي، الميزان (٣/٤٠٩) التاريخ الكبير (٤/١/٢١٦) الجرح والتعديل (٣/٢/١٥٤) الضعفاء للعقيلي (٤/٣). والحديث أخرجه ابن ماجه ١/٢٤٤ في كتاب المساجد، باب من بنى لله مسجداً (٧٣٨) وقال الشهاب البوصيري في الزوائد (١/٢٦١) وهذا إسناد صحيح رواه ابن حبان في صحيحه وله شاهد من حديث ابن عباس رواه أحمد في المسند والبزار في مسنده أيضاً، والطيالسي والحارث بن أبي أسامة وأبو يعلى الموصلي وهو عنه أحمد (١/٢٤١) وابن حبان أورده الهيثمي (٣٠١) والطبراني في الأوسط (١/٣٠)، (٢/١٢٠) الخطيب في التاريخ (٥/٣٧). وأبو نعيم في الحيلة (٢/١٩٠)، (٤/٢١٧)، (٥/٢٤) والبيهقي (٢/٤٣٧) وابن أبي شيبة (١/٣١٠).

قوله: ﴿أجعلتم سقاية الحاجِّ﴾ الآية.

أخبرنا أبو عبد الرحمن ابن أبي حامد العدل [(١)] أنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحافظ أنا محمد بن شريك الإسفراييني [(٢)] نا عثمان بن سعيد [(٣)] نا أبو توبة [(٤)] نا معاوية بن سلام [(٥)] عن زيد بن سلام [(٦)] أنه سمع أبا سلام [(٧)] قال: حدثني النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاج وقال آخر: لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة، دخلت فاستفتيت لكم فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عزوجل: ﴿أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام﴾ الآية إلى آخرها، رواه مسلم [(٨)] عن حسن بن علي الحلواني [(٩)] عن أبي توبة.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: [(١٠)] «قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني [(١١)]، فأنزل الله هذه الآية» والسقاية مصدر كالسقي وسقاية الحاج سقيهم الشراب.

---

(١) بفتح العين، وسكون الدال المهملة، واللام في آخرها الأنساب (٤/ ١٦٥).

(٢) بكسر الألف، وسكون السين المهملة، وفتح الفاء والراء، وكسر الياء المنقوطة باثنتين من تحتها، هذه النسبة إلى إسفرايين، وهي بليدة بنواحي نيسابور، على منتصف الطريق من جرجان.

(٣) عثمان بن سعيد بن دينار القرشي، أبو عمرو الحمصي، روى عن حريز بن عثمان وشعيب بن أبي حمزة والليث، وعبد الرحمن بن ثابت، ومحمد بن عبد الرحمن بن عرق الحمصي، وأبي غسان محمد بن مطرف، ومحمد بن مهاجر الأنصاري، ومعاوية بن سلام، وشعيب بن زريق، وشهاب بن خراش، ومحمد بن عمر الطائي، وطائفة. ذكره ابن حبان في الثقات التهذيب (٧/ ١١٨).

(٤) الربيع بن نافع الحلبي، أبو توبة الطرسوسي. عن معاوية بن سلام، وأبي الأحوص، وإبراهيم بن سعد، وخلق. قال أبو حاتم: حجة. وقال يعقوب بن سفيان: ثقة. مات سنة إحدى وأربعين ومائتين. انظر الخلاصة ١/ ٣٢٠.

(٥) معاوية بن سلام بن أبي سلام الحُبشي، بضم المهملة أبو سلام الدمشقي. عن أبيه وجده، إن كان محفوظاً، ويحيى بن أبي كثير. وعنه محمد بن شعيب، ولقبه يحيى بن يحيى توفي بعد السبعين ومائة. انظر الخلاصة ٣/ ٤٠.

(٦) زيد بن سلام بن أبي سلام الحبشي الدمشقي، عن جده ممطور، وعدي بن أرطاة. وعنه أخوه معاوية وحضرمي بن لاحق ويحيى بن أبي كثير. وقيل: لم يسمع منه، بل نسخ كتابه. وثقه النسائي وغيره. انظر الخلاصة (١/ ٣٥٣).

(٧) أبو سلام الأسود، الحبشي الأعرج الدمشقي. ويقال: النوبي، وقيل: إن الحبشي نسبة إلى حي من حمير. روى عن ثوبان والحارث بن الحارث الأشعري، وأبي مالك الأشعري، وعمرو بن عبسة السلمي، وعبد الرحمن بن غنم الأشعري، وأبي سلمى راعي رسول الله ﷺ، وأبي كبشة السلولي، والنعمان بن بشير، وأبي أمامه، والحكم بن ميناء، وعبد الله بن فروخ، وعبد الله بن معانق الأشعري وغيرهم. انظر التهذيب (١٠/ ٢٩٦).

(٨) أخرجه مسلم ١٤٩٩/٣ في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله ١١١/ ١٨٧٩ وأخرجه الطبري في التفسير ١٤/ ١٧٠ - ١٧١ (١٦٥٦٠)، وأخرجه أحمد في المسند، ضمن مسند النعمان بن بشير رضي الله عنه ٤/ ٢٦٩ وعزاه ابن كثير في التفسير ٤/ ٦٥ لابن أبي حاتم وابن مردويه في التفسير، وأخرجه البغوي في التفسير ٢/ ٢٧٥.

(٩) الحسن بن علي، بن محمد، الهذلي، الخلال، أبو علي، وقيل: أبو محمد الحلواني نزيل مكة. روى عن عبد الله بن نمير، وأبي أسامة، ويحيى بن آدم، وزيد بن الحباب، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وبشر بن عمر الزهراني، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد ومعاذ بن هشام، وأبي معاوية، وأبي عامر العقدي، وأبي صالح كاتب الليث وقال الترمذي: حدثنا الحسن بن علي، وكان حافظاً. قال الخليلي: كان يشبه بأحمد في سمته وديانته. انظر التهذيب (٢/ ٣٠٢ - ٣٠٣).

(١٠) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/ ١٧٢ (١٦٥٦٦) وانظر أثر (١٩٥٥٨) وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ٦٤ الرازي ١٦/ ١٠ البغوي في التفسير ٢/ ٢٧٥ والشوكاني في فتح القدير ٢/ ٣٤٦. وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٢١٨ وزاد نسبته لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١١) أي: الأسير.

قال الحسن: [(١)] «وكان نبيذ ذبيب يسقون الحاج في الموسم» وقوله: ﴿وعمارة المسجد الحرام﴾ قال ابن عباس: [(٢)] «يريد تدميره وتخليقه» ﴿كمن ءامن بالله﴾ أي: كإيمان من آمن بالله، يقول الله منكراً عليهم: أسويتم بين سقي الحاج وعمارة المسجد، وبين إيمان المؤمنين [بالله] [(٣)] ﴿لا يستوون عند الله﴾ في الثواب، قال ابن عباس: [(٤)] «أخبر أن عمارتهم المسجد وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله، وأن الإيمان بالله والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه، ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ سماهم الله ظالمين بشركهم، ثم نعت المهاجرين فقال:

﴿الذين ءامنوا﴾ إلى قوله: ﴿أعظم درجة عند الله﴾ أي من الذين افتخروا بعمارة البيت، وسقي الحاج، ومن كل أحد ﴿وأولئك هم الفائزون﴾ الذين ظفروا بأمنيتهم من الخير ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه﴾ قال الزجاج: [(٥)] يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة من الرحمة والرضوان، والجنات التي ﴿لهم فيها نعيم مقيم﴾ النعيم نقيض البؤس، وهو لين العيش، والمقيم: الدائم لا يزول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا ءاباءكم وإخوانكم أولياء﴾ الآية قال ابن عباس [(٦)] «كان قبل فتح مكة من آمن ولم يهاجر لم يقبل الله إيمانه حتى يهجر أقاربه الكفار» والمعنى: لا تتخذوهم أصدقاء تؤثرون المقام بين أظهرهم على الهجرة إلى دار الإسلام ﴿إن استحبوا﴾ أي اختاروا وكان الكفر أحب إليهم من الإيمان، ثم أوعدهم على ذلك فقال: ﴿ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ قال ابن عباس: مشركون مثلهم، فلما نزلت هذه الآية قال: يا نبي الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين، نقطع آباءنا وعشيرتنا وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا فأنزل الله: ﴿قل إن كان ءاباؤكم﴾ الآية وقوله: ﴿وعشيرتكم﴾ عشيرة الرجل: أهله الأدنون، وقرىء: وعشيراتكم، [(٧)] وهو رديء [(٨)] قال الأخفش: «لا تكاد العرب تجمع من عشيرة عشيرات إنما يجمعونها عشائر، وقوله: ﴿وأموال اقترفتموها﴾ أي كسبتموها والاقتراف الكسب ومنه قوله: ﴿ومن يقترف حسنة﴾ [(٩)] يقول: إن كانت هذه

---

(١) البغوي ٢/٢٧٦ الرازي ١٦/١١.

(٢) الرازي ١٦/١١.

(٣) سقط في ب، ج.

(٤) انظر الدر المنثور ٣/٢١٨ انظر فتح القدير ٢/٣٤٤.

(٥) أبو حيان في البحر ٥/٢١ وانظر تفسير الرازي ١٦/١٣ انظر فتح القدير ٢/٣٤٥.

(٦) أبو حيان في البحر ٥/٢١ ـ ٢٢ القرطبي ٨/٦٠، روح المعاني ١٠/٧٠.

(٧) قرأ أبو بكر: (وعشيراتكم) بالألف. وقرأ الباقون: (وعشيرتكم) بغير ألف كما تقول: قرابتكم. انظر حجة القراءات ٣١٦ وانظر النشر ٢/٢٧٨ البحر المحيط (٥/٢٢) إتحاف فضلاء البشر ٢/٨٩ فتح القدير ٢/٣٤٦.

(٨) وهذا قول لا يلتفت إليه ولا لمثله، غفر الله لنا وله فالقراءة قراءة متواترة والحمد لله.

(٩) سورة الشورى ٢٣.

الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴿فتربصوا﴾ قال ابن عباس: [(١)] «فتربصوا بما تحبون فليس لكم عند الله ثواب في إيمانكم» وقوله: ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ الأكثرون قالوا: يعني فتح مكة [(٢)] يقول: بأن كنتم تؤثرون المقام في دوركم وأهليكم، وتتركون الهجرة فأقيموا غير مثابين، حتى يفتح الله مكة فيسقط فرض الهجرة والأمر بالتربص أمر تهديد، قوله:

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ أي في أمكنة ومقامات يخاطب النبي ﷺ والمؤمنين ﴿ويوم حنين﴾ أي وفي يوم حنين وهو واد بين مكة والطائف، قاتل عليه نبي الله ﷺ «هوازن» و «ثقيفا» بعد فتح مكة ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ قال قتادة: [(٣)] «كانوا اثني عشر ألفاً» وقال مقاتل: [(٤)] «كانوا أحد عشر ألفاً وخمسمائة»: وقال الكلبي: [(٥)] «كانوا عشرة آلاف» وقال عطاء عن ابن عباس: [(٦)] «خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى حنين في ستة عشر ألفاً وكان معه رجل من الأنصار يقال له: سلمة بن سلامة بن وقش [(٧)]، فعجب لكثرة الناس فقال: لن نغلب اليوم من قلة، فساء رسول الله ﷺ كلامه ووكلوا إلى كلمة الرجل» فذلك قوله: ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ لم تنفعكم كثرتكم، ولم تدفع عنكم شيئاً ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ أي: برحبها وسعتها ضاقت عليكم، فلم تجدوا فيها موضعاً يصلح لفراركم وهو قوله: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ قال الزجاج[(٨)]: أعلم الله أنهم ليس بكثرتهم يغلبون، إنما يغلبون بنصر الله إياهم ووكلوا ذلك اليوم إلى كثرتهم فانهزموا ثم تداركهم الله بنصره حتى ظفروا وذلك قوله: ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ يعني الأمنة والطمأنينة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المزكي أنا محمد بن جعفر بن مطر أنا الفضل بن الحباب نا محمد بن كثير نا سفيان عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب يقول: وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة وليتم يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على رسول الله ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرعان الناس فرشقتهم هوازن وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء وهو يقول:

أَنَـا الـنَّـبِـيُّ لَا كَـذِبْ   أَنَـا ابْـنُ عَـبْـدِ الْـمُـطَّلِبْ

(١) والتربص الانتظار.
(٢) البغوي ٢/٢٧٧ البحر المحيط ٥/٢٣ القرطبي ٨/٦٢.
(٣) الرازي ١٦/١٨ أبو حيان في البحر ٥/٢٤.
(٤) أبو حيان في البحر ٥/٢٤.
(٥) البغوي ٢/٢٧٧ الرازي ١٦/١٨.
(٦) البغوي ٢/٢٧٧ أبو حيان ٥/٢٤ الرازي ١٦/١٨.
(٧) سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، وأمه سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية الحارثية، يكنى أبا عوف. شهد العقبتين: الأولى والثانية في قول الجميع، ثم شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله عمر على اليمامة وهو أخو سلكان بن سلامة، روى عنه محمود بن لبيد، وجبيرة والد زيد. انظر أسد الغابة (٢/٤٢٨).
(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ١/٤٤٠.

رواه البخاري[(١)] عن محمد بن كثير. قال الزَّجاج[(٢)]: «أنزل الله عليهم السكينة، حتى عادوا وظفروا وأراهم في ذلك اليوم من آياته ما زادهم يقيناً في الدين» وهو قوله: ﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾ قال ابن عباس[(٣)] «يعني الملائكة»، وقال سعيد بن جبير[(٤)]: «أمدّ الله نبيه عليه السلام بخمسة آلاف من الملائكة» وقال سعيد بن المسيب[(٥)]: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا، وركبوا أكتافنا وذلك قوله: ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بالقتل والأسر وسبي الأولاد، ﴿وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ [من عباده][(٦)] فيهديه إلى الإسلام ولا يؤاخذه بما سلف منه، ﴿والله غفور رحيم﴾ [بمن آمن][(٧)]، قوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس﴾[(٨)] قال الليث: النجس القذر من الناس ومن كل شيء يقال: رجل نجس وقوم أنجاس ولغة أخرى رجل نجس وقوم نجس ورجلان نجس ومنه قوله تعالى ﴿إنما المشركون نجس﴾ قال ابن عباس[(٩)]: يريد لا يغتسلون من الجنابة، ولا يتوضؤون لله تعالى، ولا يصلون لله ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ أي: لا يدخلوا الحرم بعد سنة تسع، أمر المسلمون بمنع المشركين من الحج ودخول الحرم ولما منعوا من دخول الحرم، قال المسلمون: إنهم كانوا يأتون بالميرة[(١٠)]، ويتبايعون، فالآن تنقطع المتاجر ويضيق العيش، فأنزل الله عز وجل: ﴿وإن خفتم عَيْلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ قال ابن عباس[(١١)]: «يتفضل عليكم بما هو أوسع وأكثر» قال مقاتل[(١٢)]: «ثم أسلم أهل جُدَّة وصنعاء وجرش[(١٣)] وحملوا الطعام إلى مكة وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون»، وقوله: ﴿إن الله عليم حكيم﴾ قال ابن عباس[(١٤)]: «عليم بما يصلحكم، حكيم فيما حكم من المشركين» قوله:

---

(١) الحديث من غير طريق المصنف أخرجه البخاري ٦/١٠٥ في كتاب الجهاد باب من قاد دابة غيره في الحرب (٢٨٦٤) وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد ٣/١٤٠٠ غزوة حنين (١٧٧٦) قلت: وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، هو مع ذلك على بغلة وليست سريعة الجري ولا تصلح لكر ولا لفر ولا لهرب، وهو مع هذا أيضاً يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه، وعلما منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان ولهذا قال تعالى: «ثم أنزل الله سكينته على رسوله». انظر ابن كثير (٤/٧٠).

(٢) انظر معاني القرآن ٢/٤٤٠.

(٣) البغوي ٢/٢٨١ أبو حيان ٥/٢٥ القرطبي ٨/٦٥ الرازي ١٦/١٩، روح المعاني ١٠/٧٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣٤٩ عن السدي وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) الرازي ١٦/١٩ أبو حيان في البحر ٥/٢٥ انظر روح المعاني ١٠/٧٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) الرازي ١٦/١٩ أبو حيان في البحر ٥/٢٥.

(٦) سقط في ج.

(٧) سقط في ب.

(٨) الرازي ١٦/٢٠.

(٩) الرازي ١٦/٢١ البغوي ٢/٢٨١ فتح القدير ٢/٣٤٩ روح المعاني ١٠/٧٦.

(١٠) الميرة الطعام كذا في اللسان م (مير).

(١١) انظر تنوير المقباس ٢/١٩٢.

(١٢) البغوي ٢/٢٨٢.

(١٣) بالفتح مدينة من أرض البلقاء بالأردن، مراصد الاطلاع ١/٣٢٦.

(١٤) انظر تفسير ابن كثير ٤/٧٤.

قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ نزلت في أهل الكتاب[١] من اليهود والنصارى ومعنى لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي: كإيمان الموحدين لأنهم لا يؤمنون بالقرآن ومحمد ﷺ ولا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون، فإذا كان ذلك فإيمانهم غير إيمان من يقر بالحشر وإعادة الأرواح وحشر الأجساد.

﴿**ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله**﴾ من الميتة والدم ولحم الخنزير، والخمر، قال قتادة[٢]: «الحق هو الله ودينه الإسلام» وقال أبو عبيدة[٣]: «لا يطيعون طاعة أهل الإسلام والدين الطاعة» وقوله: ﴿**من الذين أوتوا الكتاب**﴾ يعني أهل الكتابيين ﴿**حتى يعطوا الجزية**﴾ وهي ما يعطيه المعاهد على عهده ﴿**عن يدٍ**﴾ قال ابن عباس: «هو أنهم يعطونها بأيديهم» يمشون بها كارهين ولا يجيئون بها ركباناً، ولا يرسلون بها»[٤] وهو قوله: ﴿**وهم صاغرون**﴾ أي: ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذي تقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها من يدهم.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

قوله: ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي[٥]: «إن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق، فنسخها الله من صدورهم ورفع التابوت عنهم، فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد الذي نسخ من صدورهم فنزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة، فنادى في قومه، قد رد الله إلي التوراة وطفق يعلمهم فقالوا: والله ما أوتي عزير إلا لأنه ابن الله» واختلف القراء في عزير فقرىء بالتنوين وبغيره[٦]

---

(١) البغوي ٢/٢٨٢ ابن كثير ٤/٧٤ البحر ٥/٢٩.

(٢) البغوي ٢/٢٨٢ أبو حيان ٥/٢٩ روح المعاني ١٠/٧٨.

(٣) مجاز القرآن ١/٢٥٤ البغوي ٢/٢٨٢ أبو حيان ٥/٢٩.

(٤) البغوي ٢/٢٨٢ أبو حيان في البحر ٤/٣٠ ولهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء أشقياء وانظر إلى شروط سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في تفسير ابن كثير ٤/٧٥ ـ ٧٦.

(٥) الرازي (٢٨١٦).

(٦) قرأ عاصم والكسائي: (وقالت اليهود عزير ابن الله) بالتنوين وحجته أنه اسم خفيف، فوجهه الصرف لخفته وإن كان أعجميا. وقال قوم: يجوز أن تجعله عربيا لأنه على مثال المصغرات من الأسماء العربية وهو يشبه في التصغير نصيراً أو بكيراً فأجرى وإن كان في الأصل أعجمياً. وأخرى أن الكلام عند السكوت على «عزير ابن الله» ناقص وأن قوله «ابن» خبر عن عزير فنون من أجل حاجة الكلام إليه كقولك: يزيد ابن عمنا فلما كانت الفائدة في (ابن) أوقعت التنوين، وإذا تركت التنوين كان الأبن نعتا، وكانت الفائدة =

قال الزجاج[١]: «الوجه إثبات التنوين لأن ابن خبر وإنما يحذف التنوين في الصفة، نحو قولك: جاءني زيد ابن عمرو فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين فإذا كان خبراً فالتنوين، وقد يجوز حذفه على ضعف لالتقاء الساكنين» وقد قرئت ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾[٢] بحذف التنوين لسكونه وسكون اللام، وقوله: ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ هذا كقولهم (إن الله ثالث ثلاثة)[٣] ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ أي ليس فيه برهان ولا بيان إنما هو قول بالفم لا معنى تحته ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ المضاهاة المشابهة وقرأ «عاصم» بالهمز وهو لغة، يقال: ضاهيت، وضاهأت قال مجاهد[٤]: «يضاهون قول المشركين حين قالوا: اللات والعزي ومناة بنات الله تعالى» وقال الحسن[٥]: « شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم الكافرة» وقال قتادة والسدي[٦]: «ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله»، وقوله: ﴿قاتلهم الله﴾ قال المفسرون[٧]: «معناه لعنهم الله» قال ابن الأنباري[٨]: «المقاتلة أصلها من القتل فإذا أخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك» وقوله: ﴿أنى يؤفكون﴾ الإفك الصرف يقال: أفك الرجل عن الخير أي قلب وصرف، يقول: كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله الولد؟ وفي هذا تعجيب للنبي ﷺ من تركهم الحق واتيانهم[٩] الباطل، قوله: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ الأحبار الفقهاء والعلماء واحدها حبر وحبر، والرهبان جمع راهب وهو متمسك النصارى، وقال ابن عباس «فقهاؤهم وعبادهم» وقال الضحاك[١٠]: «علماؤهم وقراؤهم».

أخبرنا أبو صالح منصور بن عبد الوهاب الوصفي أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أنا عمران بن موسى بن مجاشع[١١]

= بعد النعت كقولك: زيد ابن عمنا ظريف. وقرأ الباقون: (عزير ابن الله) بغير تنوين. وحجتهم أن التنوين حرف الإعراب مشبه للواو والياء والألف، فكما يسقطن إذا سكن وسكن ما بعدهن، كذلك يسقط التنوين إذا سكن وأتى بعده ساكن. فكأنهم ذهبوا إلى أنه مصروف، وأن التنوين أسقط الساكنين. انظر حجة القراءات لابن زنجلة (٣١٦، ٣١٧) وانظر النشر (٢/ ٢٧٩) إتحاف فضلاء البشر (٢/ ٨٩).

(١) معاني القرآن للزَجاج ٢/ ٤٤٢ الرازي ١٦/ ١٩ البحر المحيط ٥/ ٣١.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) انظر إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٩٠ النشر ٢/ ٢٧٩ البحر المحيط ٥/ ٣١.

(٤) البغوي ٢/ ٢٨٥ وانظر القرطبي ٨/ ٧٦ فتح القدير ٣/ ٣٥٣.

(٥) البغوي ٢/ ٢٨٥.

(٦) أبو حيان ٥/ ٣١ روح المعاني ١٠/ ٨٣.

(٧) ابن كثير ٤/ ٧٧ البحر المحيط ٥/ ٣١ البغوي ٢/ ٢٨٥ القرطبي ٨/ ٧٦، روح المعاني ١٠/ ٨٣ فتح القدير ٢/ ٣٥٣.

(٨) ذكره السيوطي في الدر أيضاً عن الفضيل بن عياض، وعزاه لابن أبي حاتم. وانظر فتح القدير ٢/ ٣٥٥.

(٩) في ج (وأتباعهم).

(١٠) البغوي ٢/ ٢٨٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٣١ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر فتح القدير ٢/ ٣٥٥.

(١١) الإمام المحدث، الحجة، الحافظ، أبو إسحاق، عمران بن موسى بن مجاشع الجرجاني السختياني. ولد سنة بضع عشرة ومائتين وسمع من هدبة بن خالد، وشيبان بن فروخ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وابني أبي شيبة، وسويد بن سعيد، وأبي الربيع الزهراني، وطبقتهم. قال الحاكم: هو محدث ثبت، مقبول، كثير التصنيف والرحلة. مات بجرجان في رجب سنة خمس وثلاث مئة، وهو في عشر المئة. انظر السير (١٤/ ١٣٦) تاريخ جرجان (٣٢٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٦٢) البداية والنهاية (١١/ ١٢٨) طبقات الحفاظ (٣٢٠).

نا مسروق بن المرزبان[١] نا عبد السلام بن حرب[٢] عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد، عن عديّ بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عديّ اطرح هذا الوثن من عنقك، قال: فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ براءة فقرأ هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه قلت: بلى قال: فتلك عبادتهم[٣]» وهذا بيان أن مخالف أمر الله في التحليل والتحريم كالمشرك في عبادة الله لأن استحلال ما حرم الله كفر بالاجماع.

وقوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ قال ابن عباس: «اتخذوه رباً»[٤] ﴿وما أمروا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ وهو الذي ﴿لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ تنزيها له عن شركهم، قوله: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ قال ابن عباس[٥] يخمدوا دين الله بتكذيبهم يعني أنهم يكذبون به، ويعرضون عنه يريدون إبطاله بذلك ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ إلا أن يظهر دينه أي لا يفعل إلا ذلك ولو كرهوا ذلك ﴿هو الذي أرسل رسوله﴾ محمداً ﷺ ﴿بالهدى﴾ أي بالقرآن ﴿ودين الحق﴾ الحنيفية وهي الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جميع الأديان وذلك عند نزول عيسى عليه السلام وقال أهل المعاني أي: «بالحجة والغلبة» وحجة هذا الدين أقوى الحجج والغلبة لهذا الدين على سائر الأديان.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان﴾ قال السدي: «أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى»[٦] وقوله: ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني ما كانوا يأخذونه من الرشي

---

(١) مسروق بن المرزبان بن مسروق بن معدان الكندي، أبو سعيد بن أبي النعمان الكوفي روى عن أبيه وأبي الأحوص، وعبد السلام ابن حرب، وأبي بكر بن عياش، وحفص بن غياث وابن المبارك، وعبيد الله الأشجعي، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وابن فضيل وعدة. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات سنة أربعين ومائتين أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل. انظر التهذيب (١٠/١١٢).

(٢) عبد السلام بن حرب النهدي الملائي، أبو بكر الكوفي، الحافظ. عن أيوب وليث بن أبي سليم، وعنه إسحاق السلولي، وابن معين، وقتيبة، وخلق. وثقه أبو حاتم والترمذي، وأنكر أحمد بعض أمره. قال ابن نمير: توفي سنة سبع وثمانين ومائة. انظر الخلاصة (٢/١٦٢).

(٣) الحديث من غير طريق المصنف أخرجه الترمذي ٥/٢٥٩ في كتاب التفسير سورة براءة حديث ٣٠٩٥ وقال غريب وأخرجه الطبري في التفسير ١٤/٢٠٩ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٣٠ وعزاه لابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عدي بن حاتم. وانظر فتح القدير ٢/٣٥٥.

(٤) البغوي ١/٢٨٦ فتح القدير ٢/٣٥٣ روح المعاني ١٠/٨٤.

(٥) القرطبي ٨/٧٧ البغوي ٢/٢٨٦.

(٦) أبو حيان ٥/٣٢ انظر تفسير الرازي ١٦/٣٠ ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣٥٥ وعزاه لابن أبي حاتم، وذكر مثله عن ابن جريج وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٣١ ونسبه لأبي الشيخ.

في الحكم وما كانوا يصيبونه من المأكل من سفلتهم ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ ويصرفون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، وقوله: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ أكثر المفسرين على أنه مستأنف نازل في هذه الأمة، وقال قوم: «إنها لفينا وفيهم» ومعنى الكنز في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه إلى بعض فهو مكنوز والمراد بهذا الكنز جميع المال الذي لا تؤدى زكاته قوله تعالى: ﴿ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ قال ابن عباس[١]: «لا يؤدون زكاتها وما أدي زكاته فليس بكنز» قال ابن عمر[٢]: «كل مال تؤدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن لم يكن مدفوناً» والكناية في ﴿ولا ينفقونها﴾ تعود إلى الفضة وترك الذهب لأنه داخل في الفضة فاكتفي بذكر أحدهما عن صاحبه، وقال ابن الأنباري[٣]: «لأن الفضة أقرب إلى العائد وأعم وأغلب» وقوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي اجعل الوعيد لهم بالعذاب موضع البشرى والنعيم.

أخبرنا أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم[٤] أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حامد العطار أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا الحارث بن سريج نا يزيد بن زريع نا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة[٥] عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: «من ترك كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يتبعه ويقول: ويلك ما أنت؟ فيقول: أنا كنزك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فَيَقْضَمُها، ثم يتبعه سائر جسده[٦]».

وقوله: ﴿يوم يحمى عليها في نار جنهم﴾ يقال: أحميت الحديدة في النار إحماء، حتى حميت حمياً وذلك إذا أوقدت عليها، وقال ابن عباس[٧]: «يحمى عليها أي على الكنوز، لأن المراد بالذهب والفضة الكنوز» ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم﴾ قال المفسرون[٨]: «من كان له مال في الدنيا لم يؤد زكاته أحمي على دراهمه ودنانيره في نار

---

(١) الطبري ١٤/٢١٩ البغوي ٢/٢٨٧ ابن كثير ٤/٨١ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٣٢ وعزاه لابن أبي حاتم، وذكره من طريق آخر وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وانظر فتح القدير ٢/٣٥٧.

(٢) البغوي ٢/٢٨٧ أبو حيان ٥/٣٦ انظر تفسير القرطبي ٨/٨٠ ابن كثير ٤/٨٠ ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٣٢ وعزاه لمالك في الموطأ وابن أبي شيبة، وابن المنذر وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم، وانظر، فتح القدير ٢/٣٥٧.

(٣) القرطبي ٨/٨١ وانظر تفسير البغوي ٢/٢٨٨.

(٤) الإمام المحدث، القدوة، الواعظ، شيخ الصوفية، أبو القاسم، إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه، الخراساني، النصراباذي، النيسابوري، الزاهد، ونصر آباذ: محلة من نيسابور. حدث عنه: الحاكم والسلمي وأبو حازم العبدوي، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي، وأبو علي الدقاق وجماعة. قال أبو عبد الرحمن السلمي: كان شيخ الصوفية بنيسابور. انظر السير (١٦/٢٦٣ - ٢٦٤) طبقات الصوفية (٤٨٤) تاريخ بغداد (٦/١٦٩) المنتظم (٧/٨٩) الشذرات (٣/٥٨) طبقات الأولياء (٢٦).

(٥) معدان بن أبي طلحة، ويقال: ابن طلحة الكناني، اليعمري، الشامي. روى عن عمر بن الخطاب وأبي الدرداء، وثوبان، وعمرو ابن عبسة، وعنه سالم بن أبي الجعد، والسائب بن حبيش، والوليد بن هشام المعيطي، ويعيش بن الوليد، على خلاف فيه قال ابن معين: أهل الشام يقولون ابن طلحة وقتادة، وهؤلاء يقولون: ابن أبي طلحة، وأهل الشام أثبت فيه، وقال ابن سعد والعجلي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١٠/٢٢٨).

(٦) إسناد المصنف ضعيف جداً لضعف الحارث بن سريج، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال موسى بن هارون: متهم، وقال ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث الميزان ١/٤٣٣. وأخرجه الطبري في التفسير ١٤/٢٣٢ (١٦٦٨٠) عن ثوبان من طريق أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣/٣١٥ في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (١٤٠٣) ومسلم ٢/٦٨٤ في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٢٨/٩٨٨).

(٧) البغوي ٢/٢٨٩ انظر تفسير البحر المحيط ٥/٣٧.

(٨) وهذا مروي عن ابن مسعود، انظر تفسير البغوي ٢/٢٨٩ الطبري ١٤/٢٣٣ (٦٦٨٢، ١٦٦٨٣) ابن كثير ٢/٨٣ وقال الحافظ ابن =

جهنم وكويت بها هذه المواضع، لا يوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم ولكن يوسع جلده فيوضع بكل دينار ودرهم كية على جلده» وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول[١]: «بشر الكانزين بكي في الجباه وبكي في الجنوب، وبكي في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم» ولهذا المعنى الذي أشار إليه أبو ذر خصت هذه المواضع بالكي لأن داخلها جوفاً بخلاف اليد والرجل وكان أبو بكر الوراق [٢] يقول: خصت هذه المواضع لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره.

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي أنا أبو عمرو بن نجيد نا محمد بن إبراهيم بن سعيد نا أمية بن بسطام[٣] نا يزيد بن زريع نا روح بن القاسم[٤] عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مامن عبد له مال لا يؤدي زكاته إلا جمع له يوم القيامة صفائح يحمى عليها في جهنم، فيكوى بها جبينه وجنباه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار» رواه مسلم[٥] عن ابن بزيع[٦] عن يزيد بن زريع .

قوله: ﴿هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ أي يقال لهم: هذا الذي تكون به هو ما جمعتم لأنفسكم وبخلتم به عن حق الله ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ أي ذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون.

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ

= كثير وقد رواه ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً، ولا يصح رفعه، وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٣٣ وعزاه لابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ عن ابن مسعود.

(١) أبو حيان في البحر ٥/٣٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٣٣ وعزاه لعبد الرزاق في المصنف.

(٢) البغوي ٢/٢٨٩ الرازي ١٦/٣٩ القرطبي ٨/٨٣ البحر ٥/٣٧.

(٣) أميه بن بسطام بن المنتشر العيشي،أبو بكر البصري ابن عم يزيد بن زريع .روى عنه وعن ابن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل وغيرهم وعنه الشيخان وروى عنه النسائي بواسطة عثمان بن خرزاذ وروى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، والبوشنجي، وابن أبي عاصم، والدوري والتمتام والحسن بن سفيان، وأبو يعلى وغيرهم. قال أبو حاتم: محله الصدق، ومحمد بن المنهال أحب إلي منه، وذكره ابن حبان في الثقات مات سنة (٢٣١). انظر التهذيب (١/٣٧٠).

(٤) روح بن القاسم التميمي العنبري، أبو غياث البصري. روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وزيد بن أسلم، وعمرو بن دينار، وقتادة، ومحمد بن المنكدر، ومنصور بن المعتمر، وهشام بن عروة، ومحمد بن عجلان، وأبي الزبير، والعلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، وعبد الله بن طاوس وخلق وروى عنه قتادة حديثاً واحداً وذكره ابن حبان في الثقات التهذيب (٣/٢٩٨).

(٥) مسلم ٢/٦٨٠ في كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة (٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦/٩٨٧).

(٦) محمد بن عبد الله بن بزيع أبو عبد الله البصري. روى عن عبد الوارث بن سعيد، وفضيل بن سليمان، وعبد الوهاب الثقفي، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ومعتمر بن سليمان، وابن أبي عدي، ويزيد بن زريع، وعبد الحكم بن منصور، وبشر بن المفضل، وزياد بن الربيع، وغيرهم. روى عنه مسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأبو بكر البزار. قال أبو حاتم: ثقة، وقال النسائي: صالح، وقال مرة: لا بأس به. قال ابن أبي عاصم: مات سنة سبع وأربعين ومائتين. انظر التهذيب (٩/٢٤٨ ـ ٢٤٩).

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾ الآية، قال الزجاج[١]: «أعلم الله تعالى أن عدة شهور المسلمين التي تعبدوا بأن يجعلوها لسنتهم اثنى عشر شهراً على منازل القمر، واستهلال الأهلة» وقوله: ﴿في كتاب الله﴾ يعني اللوح المحفوظ، قال ابن عباس[٢]: «في الإمام الذي عند الله كتبه يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم، وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم» ومعنى الحرم أنه يعظم انتهاك المحارم فيها باشد مما يعظم في غيرها وقوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾ ومعنى الدين هاهنا الحساب ومنه يقال: «الكيس من دان نفسه» [٣] أي حاسبها والقيم معناه المستقيم قال المفسرون [٤] [ذلك الحساب][٥] المستقيم الصحيح والعدد المستوي، وقوله: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ قال ابن عباس [٦]: «يريد تحفظوا على أنفسكم فيها واجتنبوا الخطايا فإن الحسنات فيها تضاعف والسيئات فيها تضاعف» وقال قتادة [٧]: «الظلم في الأشهر الحرم أعظم وزراً من الظلم فيما سواها وإن كان الظلم على كل حال عظيماً» وقوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ قال ابن عباس[٨]: «جميعا يريد قاتلوهم كلهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتال جميعكم» وهو قوله: ﴿كما يقاتلونكم كافة﴾ قال الزجاج[٩]: «كافة نصب على الحال وهو مصدر على فاعله كما قالوا: العافية والعاقبة» ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ قال: «تأويله: أنه ضامن لهم النصر» قوله: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ النسيء في الشهور تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة وهو مصدر بمعنى الإنساء كالنذير بمعنى الإنذار، والنكير بمعنى الإنكار والإنساء التأخير وكانت العرب تحرم الشهور الأربعة، وذلك مما تمكست به من ملة إبراهيم وإسماعيل وهم كانوا أصحاب حروب وغارات وربما كان يشق عليهم أن ينكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه، ويستحلون المحرم إلى صفر فيحرمونه، ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زماناً ثم يردون التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم، فينادي

---

(١) معاني القرآن ٢/٢٤٥ انظر تفسير الرازي ١٦/٤٠.

(٢) انظر تفسير البغوي ٢/٢٨٩ القرطبي ٨/٨٥ فتح القدير ٢/٣٥٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/٥٥٠ في كتاب صفة القيامة باب قوله ﷺ (الكيس من دان نفسه) من حديث شداد بن أوس (٢٤٥٩) وقال حديث حسن، وأحمد في المسند ٤/١٢٤ وابن ماجة في السنن ٢/١٤٢٣ في كتاب الزاهد باب ذكر الموت والاستعداد (٤٢٦٠) والحاكم ١/٥٧، في كتاب الإيمان. وقال صحيح، وتعقبه الذهبي فقال أبو بكر وهو من رواة الحديث عند الحاكم واهٍ. وأخرجه من طريق آخر (٤/٢٥١) والبيهقي في السنن (٣/٣٦٩)، والطبراني في الكبير ٧/٣٣٨ - ٣٤١ وأبو نعيم في الحلية ١/٢٦٧ والخطيب في التاريخ ١٢/٥٠ وابن عدي في الكامل ٢/٤٧٢ والبغوي في شرح السنة ١٤/٣٠٨ والطبراني في الصغير ٢/٣٦ وقال الترمذي ومعنى قوله: من دان نفسه يقول: حاسب نفسه في الدنيا، قبل أن يحاسب يوم القيامة.

(٤) القرطبي ٨/٧٦ انظر تفسير الرازي ١٦/٤٣ البغوي ٢/٢٨٩ أبو حيان ٥/٣٩.

(٥) سقط في ب.

(٦) الطبري ١٤/٢٣٨ البغوي ٢/٢٨٩ الرازي ١٦/٤٣ ابن كثير ٤/٨٩ القرطبي ٨/٨٦ أبو حيان ٥/٣٩.

(٧) أخرجه الطبري ١٤/٣٣٨ (١٦٦٩٨) وابن كثير ٤/٩٠ البغوي ٢/٢٨٩.

(٨) ابن كثير ٤/٩٠ أبو حيان ٥/٣٩ فتح القدير ٢/٣٥٩ البغوي ٢/٢٨٩.

(٩) الرازي ١٦/٤٤، البحر ٥/٣٩.

مناد أن افعلوا ذلك لحرب أو لحاجة قال ابن عباس[١]: «ومعنى زيادة الكفر أنهم أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله» قوله: ﴿يضل به الذين كفروا﴾ هذه قراءة العامة[٢] وقراءة أهل الكوفة (يُضَل) بضم الياء وفتح الضاد والمعنى أن كبراءهم يضلونهم بحملهم على التأخير وروي عن أبي عمرو يضل به الذين كفروا أي يضلون بذلك تابعهم والأخذين بذلك، وقوله: ﴿يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً﴾ قال ابن عباس[٣]: «إذا قاتلوا فيه احلوه وحرموا مكانه صفرا وإذا لم يقاتلوا فيه حرموه» ﴿ليواطئوا عدة ما حرم الله﴾ وهو أنه لم يحلوا شهراً من الحرم إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرم لئلا تكون الحرم أكثر من الأربعة، كما حرم الله، فتكون موافقة للعدد» فتلك المواطأة وهي الموافقة يقال: واطأت فلاناً على كذا إذا وافقته، وقوله: ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ قال ابن عباس[٤]: «يريد زين لهم الشيطان هذا».

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

وقوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا ما لكم﴾ هذه الآية حث لمن تثاقل عن غزوة تبوك وذلك كان في زمان عسرة من الناس، وجدب في البلاد وشدة من الحر فشق على الناس الخروج إلى القتال فأنزل الله هذه الآية وحرض المسلمين على ذلك، وقوله ﴿ما لكم﴾ استفهام معناه التوبيخ، وقوله: ﴿إذا قيل لكم انفروا في سبيل

---

(١) الطبري ٢٤٥/١٤ انظر تفسير الرازي ٤٧/١٦ ابن كثير ٩٢/٤ أبو حيان ٣٩/٥ البغوي ٢٩/٢ فتح القدير ٣٦٠/٢ الدر المنثور ٢٣٦/٣.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وحفص: (إنما النسيء زيادة في الكفر يُضَل) بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يسم فاعله: إن الكافرين يُضَلُّون. وحجتهم أن الكلام أتى عقيب ذلك بترك تسمية الفاعل، وهو قوله: (زين لهم سوء أعمالهم) فدل على أن: ما تقدمه من الفعل جرى بلفظه، إذ كان التزين إضلالا في الحقيقة، فجعل ما قبل التزين مشاكلاً للفظة، ليأتلف الكلام على نظام واحد. وقرأ الباقون: (يَضِل) بفتح الياء وكسر الضاد أي هم يضلون: لا يهتدون وحجتهم قوله: (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) فجعل الفعل لهم فكذلك: (يضل به الذين كفروا) وكانوا يؤخرون شهر الحج ويقدمون، فضلوا هم بتأخيرهم شهراً وبتقديمهم شهراً. حجة القراءات (٣١٨ ـ ٣١٩) وانظر النشر ٢٧٩/٢، إتحاف فضلاء البشر ٩١/٢. الرازي ٤٧/١٦ البحر المحيط ٤٠/٥ فتح القدير ٣٥٩/٢ القرطبي ٨٩/٨.

(٣) الطبري ٢٤٩/١٤ ابن كثير ٩٢/٢ الرازي ٤٧/١٦ البغوي ٢٩١/٢ انظر فتح القدير /٣٦٠.

(٤) الرازي ٤٧/١٦ البغوي ٢٩١/٢ فتح القدير ٣٦٠/٢.

الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ إذا قيل لكم اخرجوا إلى قتال العدو، تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم وأحببتم المقام بها يقال: نفر القوم ينفرون نفراً ونفيراً إذا خرجوا إلى مكان لأمر أوجب[1] الخروج، وقوله: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ قال ابن عباس[2]: «يريد قدمتم الدنيا على الجنة» ﴿فما متاع الحياة الدنيا﴾ قال: يريد الدنيا كلها ﴿في الآخرة إلا قليل﴾.

أخبرنا محمد بن إبراهيم وعبد القادر بن طاهر قالا: أخبرنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن علي نا يحيى بن يحيى أنا موسى بن أعين[3] عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت المستورد أخا بني فهر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم، فينظر بِمَ يرجع» رواه مسلم[4] عن يحيى بن يحيى.

ثم توعدهم على ترك الخروج فقال: ﴿إلا تنفروا﴾ قال مقاتل[5]: «إلا تخرجوا مع نبيكم إلى الجهاد» ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾ قال الزجاج[6]: «هذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد» قال المفسرون[7]: «هذه الآية خاصة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر» وقوله: ﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾ هذا استعتاب من الله تعالى لأولئك القوم، ووعيد لهم أنهم إن تركوا الغزو من رسول الله ﷺ أتى الله بقوم آخرين ينصر بهم رسوله، وهو قوله: ﴿ولا تضروه شيئاً﴾ لأنه لا يخذله إن تثاقلتم، ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره فلن يضره [ذلك شيئاً كما لم يضره][8] قِلة ناصريه حين كان بمكة، وهم به الكفار فتولى الله نصره وهو قوله ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ أي أعانه الله على أعدائه ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا﴾ حين قصدوا اهلاكه كما ذكرنا في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وقوله: ﴿ثاني اثنين﴾ قال الزجاج[9]: «هو نصب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي نصره منفرداً إلا من أبي بكر» وهذا معنى قول الشعبي[10]: «عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعاً في هذه الآية، غير أبي بكر» وقال المفسرون[11]: «ثاني اثنين

---

(١) في ب (وأجب).

(٢) البغوي ٢/٢٩٢ القرطبي ٨/٩٠ ابن كثير ٤/٩٤ فتح القدير ٢/٣٦١.

(٣) موسى بن أعين الجزري أبو سعيد الحراني مولى بني عامر بن لؤي روى عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد، والأوزاعي، ومالك، وعطاء بن السائب وابن إسحاق ومطرف بن طريف، وعمرو بن الحارث، وأبي سنان الشيباني، وعبد الكريم الجزري، ومعمر بن راشد، وإسحاق بن راشد ويحيى بن أيوب المصري، وهشام بن حسان، وجماعة. قال الجوزجاني: رأيت أحمد يحسن الثناء عليه، وقال أبو زرعة وأبو حاتم: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. قال النفيلي: مات سنة سبع وسبعين ومائة. وقال غيره: مات سنة خمس وسبعين. انظر التهذيب (١٠/ ٣٣٥).

(٤) الحديث أخرجه مسلم ٤/٢١٩٣ في كتاب الجنة باب فناء الدنيا (٥٥/٢٨٥٨) وأخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٨٦ في كتاب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا (٢٣٢٣) وابن ماجه ٢/١٣٧٦ في كتاب الزهد باب مثل الدنيا ٤١٠٨. وأخرجه أحمد في المسند ٤/٢٢٨، ٢٢٩ وذكره ابن كثير في التفسير ٤/٩٤.

(٥) وهذا سخط على المتثاقلين عظيم، حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين، وأنه يهلكهم ويستبدل قوماً آخرين خيراً منهم وأطوع.

(٦) معاني القرآن ٢/٤٤٨.

(٧) الطبري ١٤/٢٥٤ ـ ٢٥٥ البغوي ٢/٢٩٢ الرازي ١٦/٤٩ ابن كثير ٤/٩٥ القرطبي ٨/٩١ البحر المحيط ٥/٤٢ فتح القدير ٢/٣٦٣ انظر الدر المنثور ٣/٢٣٩.

(٨) سقط في أ.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٤٩ الرازي ١٦/٥١ البحر المحيط ٥/٤٣.

(١٠) البغوي ٢/٢٩٣ بنحوه في البحر ٥/٤٣ وانظر القرطبي ٨/٩٢.

(١١) البغوي ٢/٢٩٢ الرازي ١٦/٥١.

هو وابو بكر» ﴿إذ هما في الغار﴾ الغار ثقب في الجبل عظيم، قال قتادة[١]: «هو غار في جبل مكة يقال له ثور» وقال مجاهد[٢]: مكثا في الغار ثلاثاً.

أخبرنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد العدل أنا أحمد بن جعفر بن مالك نا إبراهيم بن عبد الله أنا محمد بن سنان [٣] العوفي نا همام عن ثابت عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ ونحن في الغار: «ياأبا بكر، ماظنك باثنين الله ثالثهما» رواه البخاري[٤] عن عبد الله بن محمد[٥] عن حبان[٦] عن همام.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الوراق أنا محمد بن عبد الله بن محمد الضبي حدثني أحمد بن عبيد الحافظ [٧] نا محمد بن إبراهيم نا عمرو بن زياد نا غالب بن عبد الله القرقساني عن أبيه عن جده قال: شهدت رسول الله ﷺ قال لحسان بن ثابت: «هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ قل حتى أسمع» قال قلت:

وَثَانِيَ اثْنَيْنِ في الْغَارِ الْمنيفِ وَقَدْ ... طَافَ العَدُوُّ بِهِ إذْ صَاعَدَ الْجَبَلاَ
وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ الله قَدْ علمُوا ... مِنَ الْخَلاَئِقِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ بَدَلاَ [٨]

فتبسم رسول الله ﷺ [٩].

[قوله: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾ يعني: يقول النبي ﷺ][١٠] لأبي بكر ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾.

---

(١) البغوي ٢/٢٩٢ الرازي ١٦/٥١ القرطبي ٨/٩٢ فتح القدير ٢/٣٦٢.

(٢) الرازي ١٦/٥١ ابن كثير ٤/٩٥. وذكر السيوطي مثله عن ابن عباس مطولا في الدر ٣/٢٤٠ وعزاه لابن مردويه وأبي نعيم في الدلائل.

(٣) محمد بن سنان الباهلي. أبو بكر البصري المعروف بالعوقي، والعوقة: حي من الأزد نزل فيهم. روى عن إبراهيم بن طهمان، وفليح بن سليمان، ونافع بن عمر الجمحي، وهمام بن يحيى، وسليمان بن حيان، وعبد الله بن الحارث بن أبزى، وجرير بن حازم، وهشيم وغيرهم. روى عنه البخاري وأبو داود. قال أبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات. قال البخاري: مات قريباً من سنة (٢٢) ويقال مات سنة ٣، وقال ابن أبي عاصم: مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين. انظر التهذيب ٩/٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٤) الحديث أخرجه البخاري ٨/١٧٦ ـ ١٧٧ في كتاب التفسير سورة التوبة باب قول الله تعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار (٤٦٦٣). ومسلم ٤/١٨٥٤ في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر (١/٢٣٨١).

(٥) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان بن أخنس بن خنيس الجعفي، أبو جعفر البخاري، الحافظ المعروف بالمسندي، سمي بذلك لأنه كان يطلب المسندات، ويرغب عن المرسلات. انظر التهذيب (٦/٩).

(٦) حبان بن هلال الباهلي أو الكناني، أبو حبيب البصري الحافظ. عن معمر وشعبة، وهمام وجرير بن حازم وخلق. وعنه ابن المديني وإسحاق الكوسج وعبد بن حميد وخلق. قال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً حجة، مأمونا، امتنع من التحديث أي تأخر. مات سنة ست عشرة ومائتين. انظر الخلاصة ١/١٨٩.

(٧) أحمد بن عبيد بن إسماعيل، أبو الحسن الصفار. سمع أبا إسماعيل الترمذي، ومحمد بن غالب التمتام، وعبيد بن شريك البزار ومحمد بن الفرج الأزرق، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبا العباس الكديمي، والحسين بن عبد الله بن شاكر، ويوسف بن يعقوب القاضي. روى عنه الدارقطني، وكان ثقة ثبتا، صنف المسند وجوده. انظر تاريخ بغداد (٤/٢٦١).

(٨) ورواية الديوان:

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

انظر الديوان ص ١٧٩.

(٩) ضعيف جداً في إسناده غالب بن عبد الله قال العلائي: لا يعرف انظر لسان الميزان ٤/٤١٣ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٧٧ في كتاب معرفة الصحابة. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٤١ وعزاه لابن عدي وابن عساكر من طريق الزهري عن أنس.

(١٠) سقط في ب.

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ أنا إبراهيم بن محمد بن الحسن[1] نا يونس[2] نا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: أيكم يقرأ سورة التوبة؟ قال رجل أنا، فلما بلغ **﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** بكى أبو بكر وقال: أنا والله صاحبه[3].

أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني[4] أنا عبيد الله بن محمد الزاهر انا أبو القاسم البغوي نا وهب بن بقية أنا إسحاق بن الأزرق عن سلمة بن نبيط[5] عن نعيم بن أبي هند[6] عن نبيط يعني ابن شريط[7] عن سالم بن عبيد وكان من أصحاب الصفة، قال: قال رجل من الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير فقال عمر ـ وأخذ بيد أبي بكر ـ سيفان في غمد لا يصطلحان، ثم قال: من الذي له هذه الثلاث؟ **﴿إذ هما في الغار﴾** من هما؟ **﴿إذ يقول لصاحبه﴾** من صاحبه؟ **﴿لا تحزن إن الله معنا﴾** مع من؟ قال: فبسط يد أبي بكر وضرب عليها، ثم قال للناس: بايعوا، فبايع الناس أحسن بيعة[8]، قال المفسرون: «قال أبو بكر لما خاف الطلب: يا رسول الله، إن قتلت فأنا رجل واحد وإن قتلت هلكت الأمة فكان حزن أبي بكر شفقة على رسول الله ﷺ وخوفاً أن يطلع عليه فقال رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»[9]، قال الزجاج[10]: «لما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك؟ قال: أخاف أن تقتل فلا يعبد الله بعد اليوم فقال رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا، إن الله يمنعهم منا وينصرنا،

---

(١) الإمام المأمون القدوة، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسن ابن متويه الأصبهاني، إمام جامع أصبهان، كان من العباد والسادة، يسرد الصوم، وكان حافظاً حجة من معادن الصدق، ويعرف أيضاً بأبّه، وبابن فِيُرّة الطَّيّان. قال أبو نعيم: كان من العباد الفضلاء، مات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاث مئة. انظر السير ١٤/١٤٢ ـ ١٤٣ الإكمال (١/١١) اخبار اصفهان (١/١٨٩) الوافي (٦/١٢٥) الشذرات (٢/١٣٨).

(٢) يونس بن عبد الأعلى، بن ميسرة بن حفص، الصدفي، أبو موسى المصري، أحد الأعلام، عن ابن عيينة، والشافعي، وابن وهب، وطائفة، قال يحيى بن حسان: ركن من أركان الإسلام، وقال حفيده عبد الرحمن أحمد صاحب التاريخ: توفي سنة أربع وستين ومائتين. انظر الخلاصة (٣/١٩٣).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/٢٦٠ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٣، وعزاه لابن أبي حاتم عن سالم بن عبيد رضي الله عنه.

(٤) بالكسر وسكون السين وفتح الفاء والراء وكسر التحتية إلى إسفرايين بليدة بنواحي ينسابور اللباب (١/٥٥) الأنساب (١/١٤٣) معجم البلدان (١/١٧٧).

(٥) سلمة بن نبيط بن شريط بن أنس الأشجعي أبو فراس الكوفي. روى عن أبيه وقيل عن رجل عن أبيه، وعن نعيم بن أبي هند وعبيد ابن أبي الجعد، والزبير بن عدي والضحاك بن مزاحم، وعنه الثوري وابن المبارك ووكيع والحربي وحميد بن عبد الرحمن والرواسي وعبيد الله بن موسى وأبو نعيم وغيرهم. قال أبو طالب عن أحمد ثقة، وكان وكيع يفتخر به يقول: ثنا سلمة بن نبيط وكان ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٤/١٥٨).

(٦) نعيم بن أبي هند، واسمه النعمان بن أشيم الأشجعي الكوفي. روى عن أبيه وله صحبة، ونبيط بن شريط، وربعي بن حراش، وسويد بن غفلة، وأبي وائل، وأبي حازم الأشجعي، وابن سمرة بن جندب. وعنه ابن عمه أبو مالك، وسعيد بن طارق الأشجعي، وسلمة بن نبيط، وسليمان التيمي، ومغيرة بن مقسم، وزياد بن خيثمة، والزبير بن الخريت، وشعبة وشيبان النحوي، وغيرهم. قال أبو حاتم: صالح الحديث صدوق، وقال النسائي: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١/٤٦٨).

(٧) سالم بن عبيد الأشجعي، من أهل الصفة، سكن الكوفة، روى عنه هلال بن يساف، ونبيط بن شريط، وخالد بن عرفطة. انظر أسد الغابة (٤/٣١٠).

(٨) ذكره القرطبي ٨/٩٤ ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٤٣ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٩) أخرجه البخاري ٧/١٠ ـ ١١ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ٣٦٥٢ ومسلم ٤/٢٣٠٩ في الزهد باب في حديث الهجرة ٧٥/٢٠٠٩.

(١٠) معاني القرآن ٢/٤٤٨ وذكر السيوطي في الدر بنحو ٣/٢٤٥ عن أنس بن مالك، ونسبه لابن مردويه.

قال: هكذا يا رسول الله؟ قال: نعم» فرقأ دمع أبي بكر وسكن.

روى جابر أن رسول الله ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن قولوا كما قال الله صاحبي»[١]، وقال الحسين بن فضل[٢]: من أنكر أن يكون عمر أو عثمان أو أحد من الصحابة كان صاحب رسول الله ﷺ، فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ كان كافراً لأنه رد نص القرآن[٣].

وقوله: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[٤]: على أبي بكر، فأما النبي ﷺ فكانت السكينة عليه قبل ذلك وقوله: ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ قال ابن عباس[٥]: «وقواه بالملائكة يدعون الله له» والهاء عائده على النبي ﷺ، وقال الزجاج[٦]: أيده بملائكة يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه وقال مجاهد، والكلبي[٧]: «قواه وأعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر الله أنه صرف عنه كيد أعدائه وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر» وقوله: ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ يعني كلمة الشرك ﴿السفلى﴾ لأنها سفلت، فبطلت ﴿وكلمةُ الله﴾ وهي لا إله إلا الله كلمة التوحيد ﴿هي العليا﴾ لأنها علت، وظهرت يوم بدر، وهذا قول أكثر المفسرين، وقال ابن كيسان: «كلمة الذين كفروا ما قدر بينهم في الكيد به ليقتلوه، فلم ينالوا أملهم، وكلمة الله: وعد الله أنه ناصره»، وهذا قول ابن عباس[٨] في رواية عطاء ﴿والله عزيز﴾ في انتقامه من أهل الكفر ﴿حكيم﴾ في تدبيره، وقوله: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ قال أكثر «المفسرين»[٩]: «شباباً وكهولاً» وروى عطاء عن ابن عباس[١٠]: «رجالة وركباناً»، وروى عنه أيضاً[١١] خفافاً ـ قال: أهل الميسرة من المال، وثقالا أهل العسرة وهو اختيار الزجاج[١٢] قال: موسرين ومعسرين وعلى العكس من هذا قال أبو صالح[١٣]: «خفافاً من المال أي فقراء، وثقالاً منه أي أغنياء»، واختاره الفراء[١٤] فقال: «الخفاف ذوو العسرة وقلة العيال، والثقال ذوو العيال والميسرة» وقال أهل المعاني: هذا عام في كل أحد لأنه ما من أحد إلا وهو ممن تخف عليه الحركة أو تثقل فهو ممن أمر في هذه الآية بالنفير، وقال عطاء الخراساني[١٥] عن ابن عباس: نسخت هذه الآية

---

(١) أخرجه البخاري ٧/٢١ في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ حديث ٣٦٥٦.
ومسلم ١/٣٧٧ في كتاب المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور ٣٣/٥٣٢ والترمذي في السنن رقم ٣٦٥٩، ٣٦٦٠ وابن ماجه ٩٣، وأحمد ١/٣٧٧، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٦٣ والطبراني في الكبير ٣/٢٧٨، ١٠/١٢٩، ١٣٠، ١٢/١١٩ والحميدي (١١٣) وابن سعد في الطبقات (٣/١/١٢٤) والطحاوي في المشكل ١/٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣ والخطيب في التاريخ ٣/١٣٤.

(٢) الحسين بن الفضل بن عمير: العلامة المفسر الإمام اللغوي المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره. ولد قبل الثمانين ومئة. قال: وكان يركع في اليوم والليلة ست مائة ركعة، ويقول: لولا الضعف والسن لم أطعم بالنهار. توفي الحسين في شعبان سنة اثنتين وثمانين ومئتين. وهو ابن مائة وأربع سنتين. وصلى عليه محمد بن النضر الجارودي. السير (١٣/٤١٤) العبر (٢/٦٨) لسان الميزان (٢/٣٠٧) طبقات المفسرين (١/١٥٦) الشذرات (٢/١٧٨).

(٣) البغوي ٢/٢٩٣ البحر المحيط ٥/٤٣ والقرطبي ٨/٩٣.

(٤) البغوي ٢/٢٩٦ القرطبي ٨/٩٥ ابن كثير ٤/٩٦ انظر فتح القدير ٢/٣٦٢.

(٥) البغوي ٢/٢٩٦ القرطبي ٨/٩٥ ابن كثير ٢/٩٦ انظر فتح القدير ٢/٣٦٢. ٣٦٤.

(٦) معاني القرآن ٢/٤٤٩.

(٧) البغوي ٢/٢٩٦ البحر المحيط ٥/٤٣. الرازي ١٦/٥٦ انظر فتح القدير ٢/٣٦٢.

(٨) البغوي ٢/٢٩٦ أبو حيان ٥/٤٤.

(٩) البغوي ٢/٢٩٦ البحر المحيط ٥/٤٤ القرطبي ٨/٩٦ الطبري ١٤/٢٦٢ ابن كثير ٤/٩٧ الرازي ١٦/٥٦ فتح القدير ٢/٣٦٢ ـ ٣٦٤. وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر عن عكرمة، وانظر الدر المنثور ٣/٢٤٦.

(١٠) البغوي ٢/٢٩٦ الرازي ١٦/٥٦ أبو حيان ٥/٤٤.

(١١) البغوي ٢/٢٩٦ أبو حيان ٥/٤٤ ابن كثير ٤/٩٧.

(١٢) البغوي ٢/٢٩٦.

(١٣) البغوي ٢/٢٩٦.

(١٤) الرازي ١٦/٥٧ البغوي ٢/٢٩٦.

(١٥) البغوي ٢/٢٩٧، القرطبي ٨/٩٦.

[بقوله][1] ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾، وقال السدي[2]: لما نزلت أشتد شأنها على الناس فنسخها الله وأنزل: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى﴾ الآية، قوله: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ هذا يدل على أن الموسر يجب عليه الجهاد بالمال إذا عجز عن الجهاد بالبدن لزمانة أو علة، فوجوب الجهاد بالمال كوجوبه بالبدن على الكفاية، وقوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي: من التثاقل إلى الأرض إذا استنفرتم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما لكم من الجزاء والثواب.

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾

قوله: ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك والمعنى لو كان ما دعوا إليه عرضاً قريباً، غنيمة قريبة ﴿وسفراً قاصداً﴾ قريباً هيناً ﴿لاتبعوك﴾ طمعاً في المال ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة، وقال الكلبي[3]: «يعني السفر إلى الشام» والشقة السفر البعيد لأنه يشق على الإنسان ﴿وسيحلفون بالله﴾ يعني المنافقين إذا رجعتم إليهم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ لو قدرنا وكان لنا سعة في المال ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب والنفاق ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ لأنهم كانوا يستطيعون الخروج وكانوا مياسير، ذوي زاد وسلاح وعدة، قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ قال عمرو بن ميمون الأودي[4]، «اثنان فعلهما النبي ﷺ لم يؤمر بهما، إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأساري فعاتبه الله كما تسمعون» قال سفيان بن عينيه[5] «انظر إلى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب» قال قتاده: ثم أنزل بعده نسخ هذه الآية ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾[6] وقوله:

---

(١) سقط في أ. ب.

(٢) البغوي ٢/٢٩٧، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٢٤٦ وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) ابن كثير ٤/٩٩.

(٤) البغوي ٢/٢٩٧ الرازي ١٦/٥٩ القرطبي ٨٧/٩٩ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٧ وعزاه لعبد الرزاق في المصنف وابن جرير، وانظر فتح القدير ٢/٣٦٧.

(٥) البغوي ٢/٢٩٧.

(٦) النور: ٦٢ القرطبي ٨/٩٩ وانظر بصائر ذوي التمييز ١/٢٣٠ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٧ وعزاه لأبي عبيد، وابن المنذر، وابن =

﴿لم أذنت لهم﴾ أي: في التخلف عنك، قال ابن عباس[1]: «وذلك أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف يومئذ المنافقين» قوله: ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ الآية، أي: حتى تعرف من له العذر في التخلف ومن لا عذر له فيكون إذنك لمن أذنت له على عذر. قوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الآية قال ابن عباس[2]: «هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد» وقال الزجاج[3]: «أعلم الله نبيه أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان، وإلا فالاستئذان من الإمام في [القعود عن][4] الجهاد غير مذموم، والمعنى في أن يجاهدوا حذف «في» ﴿إنما يستأذنك﴾ أي في القعود عن الجهاد ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم﴾ قال ابن عباس[5]: «شكوا في دينهم» ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ في شكهم يتمادون﴿ولو أرادوا الخروج﴾ يعني هؤلاء المنافقين لو أرادوا أن يخرجوا معك﴿لأعدوا له عُدَّة﴾ من الزاد والماء والظهر، لأن سفرهم بعيد فتركهم العدة دليل على إرادتهم التخلف، والمعنى أنهم كانوا مياسير قادرين على أخذ العدة لو أرادوا الخروج﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ انطلاقهم وخروجهم معك يقال: «بعثته لأمر كذا فانبعث أي نفذ فيه»، وقوله: ﴿فثبطهم﴾ التثبيط ردك الإنسان عن الشيء بفعله، قال ابن عباس[6]: «فخذلهم وكسلهم عن الخروج» ﴿وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ قال مقاتل: «وحياً إلى قلوبهم يعني: أن الله ألهمهم أسباب الخذلان، وأوحى إلى قلوبهم أن اقعدوا مع القاعدين ويجوز أن يكون بعضهم قال ذلك لبعض» ثم أعلم الله (لم)[7] كره خروجهم فقال: ﴿لو خرجوا فيكم﴾ أي: فيما بينكم، يعني معكم ﴿ما زادوكم إلا خبالا﴾ الخبال الفساد والشر في كل شيء قال ابن عباس[8] «يريد عجزاً وجبناً» أي أنهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الأمر عليكم. ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ أي: لأسرعوا في الدخول بينكم بالتضريب، والإفساد. ﴿بالنميمة﴾[9]، والايضاع: الإسراع وخلال الشيء وسطه، وقوله: ﴿يبغونكم الفتنة﴾ أي يطلبون لكم العنت، قال «الضحاك»[10]: يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم أنكم مهزومون، وأن عدوكم سيظهر عليكم، ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ عيون لهم، ينقلون إليهم ما يسمعون منكم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ قال ابن عباس[11]: «يريد المنافقين» ثم ذكر قبيح ما فعلوا قبل هذا فقال: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ طلبوا لك العنت والشر من قبل تبوك وهو أن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا

= أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في سننه عن ابن عباس، وانظر فتح القدير ٢/٣٦٧، وقال أبو حيان ٥/٤٧ وهذا غلط لأن النور نزلت سنة أربع من الهجرة في غزوة الخندق، في استئذان بعض المؤمنين الرسول في بقائهم في بيوتهم في بعض الأوقات، فأباح الله أن يأذن، فتباينت الآيتان في الوقت والمعنى.

(١) البغوي ٢/٢٩٧ القرطبي ٨/٩٩.

(٢) انظر تفسير الرازي ١٦/٦١ انظر البحر المحيط ٥/٤٨ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٤٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخة عن ابن عباس رضي الله عنهما. وانظر فتح القدير ٢/٣٦٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٥٠.

(٤) سقط في أ، ب.

(٥) ابن كثير ٤/١٠٠ القرطبي ٨/٩٩ البغوي ٢/٢٩٧.

(٦) انظر الدر المنثور ٢/٢٤٧ القرطبي ٨/١٠٠. ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٣٦٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) في ب (لمن).

(٨) ابن كثير ٤/١٠٠ وانظر البغوي ٢/٢٩٨.

(٩) في أ (والنهمة).

(١٠) البغوي ٢/٢٩٨.

(١١) الرازي ١٦/٦٧ البحر المحيط ٥/٥٠.

على طريق النبي ﷺ ليفتكوا به فسلمه الله منهم. وقال جماعة من المفسرين[١]: «طلبوا صد أصحابك عن الدين وردهم إلى الكفر وتخذيل الناس عنك قبل هذا» ﴿وقلَّبوا لك الأمور﴾ واجتهدوا في الحيلة عليك والكيد بك وأداروا الأمور ليردوا أمرك ﴿حتى جاء الحق﴾ حتى أخزاهم الله بإظهار الحق وإعزاز الدين على رغم منهم وكره، وهو قوله: ﴿وظهر أمر الله وهم كارهون﴾.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٞ تَسُؤْهُمْۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

قوله: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ نزلت في الجد بن قيس[٢] المنافق قال رسول الله ﷺ «هل لك في جهاد بني الأصفر؟ يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء» فقال ائذن لي في القعود عنك، ولا تفتني بذكر النساء فقد علم قومي أني مغرم بهن وأني أخشى أن لا أصبر عنهن[٣]، قال ابن عباس[٤]: «اعتل جد بن قيس بقوله: ولا تفتني ولم يكن له علة إلا النفاق» قال الله عز وجل: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ أي في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر رسول الله ﷺ قال ابن كيسان[٥]: «أراد اعتلالهم بالباطل هو الفتنة لأنه الشرك والكفر» ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ قال يمان[٦]: «وهي محدقة بمن كفر بالله جامعة لهم»

وقوله ﴿إن تصبك حسنة﴾ نصر وغنيمة ﴿تسؤهم﴾ وتحزنهم ﴿وإن تصبك مصيبة﴾ من القتل والهزيمة ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ أي قد عملنا بالحزم حين تخلفنا، فسلمنا مما وقعوا فيها، ﴿ويتولوا﴾ يعرضوا عن الإيمان ﴿وهم فرحون﴾ معجبون بما فعلوا، قوله: ﴿قل لن يصيبنا﴾ قل لهم يا محمد، لن يصيبنا خير وشر وشدة ورخاء ﴿إلا

---

(١) البغوي ٢/٢٩٨ البحر المحيط ٥/٥٠.

(٢) جد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي. يكنى: أبا عبد الله، هو ابن عم البراء بن معرور، روى عنه جابر وأبو هريرة، وكان ممن يظن فيه النفاق. وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده، وجعل مكانه في النقابة عمرو بن الجموح، وحضر يوم الحديبية فبايع الناس رسول الله ﷺ إلا الجد بن قيس فإنه استتر تحت بطن ناقته. وقيل: إنه تاب وحسنت توبته، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. انظر أسد الغابة (١/٣٢٧).

(٣) البغوي ٢/٢٩٩ البحر المحيط ٥/٥٠ ـ ٥١ ابن كثير ٤/١٠١ الرازي ١٦/٦١ الطبري ١٤/٢٨٣ القرطبي ٨/١٠١ سيرة ابن هشام ٢/٥١٦ وذكره السيوطي في الدر ٢/٢٤٧ وعزاه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة عن ابن عباس، ومن طريق آخر ذكره وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردوية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ومن طريق آخر عن ابن عباس عزاه للطبراني وابن مردويه عن عائشة كما في الدر أيضاً.

(٤) البغوي ٢/٢٩٩.

(٥) انظر البغوي ٢/٢٩٩.

(٦) القرطبي ٨/١٠١، البغوي ٢/٢٩٩.

ما كتب الله لنا﴾ قضى الله لنا، وكتب في اللوح المحفوظ **﴿هو مولانا﴾** ناصرنا والذي يتولى حياطتنا **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم على الرضا بتدبيره.

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم نا هشام بن عمار نا سليمان بن عتبة[١] سمعت يونس بن حلبس[٢] يحدث عن أبي إدريس الخولاني[٣] عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه، لم يكن ليصيبه[٤]» قوله: **﴿قل هل تربصون بنا﴾** أي قل للمنافقين هل تنتظرون أن يقع بنا **﴿إلا إحدى الحسنيين﴾** إما الغنيمة والفتح أو الشهادة والمغفرة.

وقد أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا أبو عمرو بن نجيد أنا محمد بن إبراهيم بن سعيد أنا أمية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرج إلا إيماناً بالله، وتصديقاً برسوله أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة»[٥].

وقوله: **﴿ونحن نتربص بكم﴾** قال ابن عباس[٦]: «ننتظر بكم»، **﴿أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾** بقارعة من السماء كما أصاب الأمم الخالية **﴿أو بأيدينا﴾** يأذن لنا ربنا في قتلكم فنقتلكم **﴿فتربصوا إنا معكم متربصون﴾** فانتظروا مواعيد الشيطان، إنا منتظرون مواعيد الله من إظهار دينه، قال الزجاج[٧]: «يقول: أنتم تربصون بنا إحدى الحسنيين، ونحن نتربص بكم إحدى الشرين[٨]».

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا

---

(١) سليمان بن عتبة بن ثور بن يزيد بن الأخنس السلمي، ويقال الغساني أبو الربيع الداراني. قال أحمد: لا أعرفه، وقال ابن معين: لا شيء، وقال دحيم: ثقة قد روى عنه المشائخ، وقال أبو حاتم: ليس به بأس. وقال أبو زرعة عن أبي مسهر: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال هو وابن زيد مات سنة خمس وثمانين ومائة. انظر التهذيب (٤/ ٢١٠).

(٢) يونس بن ميسرة بن حلبس. ويقال أبو عبيد الدمشقي الأعمى روى عن واثلة بن الأسقع، وعبد الله بن بسر، وابن عمرو بن عمرو، ومعاوية وقيل عن رجل عنه، وأبي إدريس الخولاني، وأبي عبد الله الصنابحي، وأم الدرداء وعامر مسعود الرقي، وجماعة. وقال العجلي شامي، تابعي، ثقة. وقال أبو حاتم كان من خيار الناس، وكان يقرىء في مسجد دمشق، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب ١١/ ٤٤٨.

(٣) أبو إدريس الخولاني. عائذ الله بن عبد الله ويقال فيه: عيذ الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة، قاضي دمشق، وعالمها، وواعظها، ولد عام الفتح. وليس هو بالمكثر، لكن له جلالة عجيبة، سئل دحيم عنه، وعن جبير أيهما أعلم؟ قال: أبو إدريس هو المقدم، ورفع أيضاً من شأن جبير بن نفير، لإسناده وأحاديثه. انظر السير (٤/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣) أسد الغابة (٥/ ١٣٤) التهذيب (٥/ ٨٥) تذكرة الحفاظ (١/ ٥٣).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٤١ وابن أبي عاصم في السنة ١/ ١١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦/ ٨ في كتاب الجهاد ومسلم ٣/ ١٤٩٥ في كتاب الإمارة باب فضل الجهاد ١٠٣/ وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٩٩، ٤٢٤ والنسائي في السنن ٥٠٢٩ والبغوي في التفسير ٢/ ٢٩٩ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٣٩.

(٦) انظر القرطبي ٨٩/ ٥٣ ابن كثير ٤/ ١٠٢ بلا نسبة وأبو حيان في البحر ٥/ ٥٢.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٥٢.

(٨) في الأصول (السوئتين) هكذا وما أثبتناه موافق لنقل المصنف في الزجاج.

وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

قوله: ﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً﴾ نزلت في جد بن قيس حين قال للنبي ﷺ ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به[١].

قال الزجاج والفراء[٢]: «وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، أي إن انفقتم طائعين أو كارهين[٣] لن يتقبل منكم» قال ابن عباس[٤]: «يريد انه لا يتقبل من أعدائه صدقاتهم ونفقاتهم» ﴿إنكم كنتم قوماً فاسقين﴾ عاصين لله على غير طريقة الإسلام.

وقوله: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم﴾ ويقبل بالياء لأن النفقة بمعنى الإنفاق فيكون كقوله: ﴿فمن جاءه موعظة من ربه﴾ التقدير: وما منعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم بالله، وهذا يدل على أن الكافر لا يقبل منه عمل ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾ جمع كسلان مثل سكران وسكارى، وذلك أنهم لا يرجون لها ثواباً وإن تركوها لم يخافوا عليها عقاباً ﴿ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ لأنهم يعدون الإنفاق مغرماً، قوله: ﴿فلا تعجبك أموالهم﴾ يعني بالإعجاب السرور بما يتعجب منه، يقول: لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال والأولاد فإن العبد إذا كان مستدرجاً كثر ماله وولده ﴿إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ الكناية تعود إلى الأموال دون الأولاد والمعنى ليعذبهم بها بأخذ الزكاة، والنفقة في سبيل الله، والمصايب فيها والتعب في جمعها، والوجل في حفظها ﴿وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ قال الزجاج[٥]: «وتخرج أنفسهم وهم على الكفر»، ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ يحلفون بالله انهم مؤمنون كما أنتم [مؤمنون][٦] ﴿وما هم منكم﴾ لأنهم يبطنون الكفر ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يخافون أن يظهر ما هم عليه ﴿لو يجدون ملجأً﴾ مكاناً يتحصن فيه قال ابن عباس: «مهرباً»[٧] ﴿أو مغارات﴾ وهو المكان الذي تغور فيه أن تستتر من قولهم: غار الماء في الأرض قال ابن عباس[٨]: «يعني سراديب» ﴿أو مدخلاً﴾ أصله مدتخل فأبدلت التاء دالاً وأدغم فيه الأول، قال قتادة: سرباً[٩] وقال الحسن[١٠]: «وجهاً يدخلونه» ﴿لولوا إليه﴾ لرجعوا إليه وأدبروا إليه ﴿وهم يجمحون﴾ مثل ما يجمح الفرس والمعنى أن هؤلاء المنافقين لا بصيرة لهم في الدين ولا احتساب وإنما هم

---

(١) البغوي ٢/٣٠٠ القرطبي ٨/١٠٣ الدر المنثور ٣/٢٤٩ الرازي ١٦/٧١.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٥٣ والفراء ١/٤٤١. البغوي ٢/٣٠٠ والقرطبي ٨/١٠٣ أبو حيان ٥/٥٢ الرازي ١٦/٧١، فتح القدير ٢/٣٦٩.

(٣) في ج (مكرمين).

(٤) بنحوه عند الرازي بلا نسبة ١٦/٧١.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٥٤ الرازي ١٦/٧١ وذكره ابن حاتم عن السدي كما في الدر المنثور ٣/٢٤٩ فتح القدير ٢/٣٧١.

(٦) سقط في ب.

(٧) حكاه البغوي عن عطاء ٢/٣٠١ بنحوه عن أبي حيان ٥/٥٤ ـ ٥٥، وبلفظه أورده عن السدي، وانظر تفسير القرطبي ٨/١٠٥.

(٨) القرطبي ٨/١٠٥ البحر المحيط ٥٦/٥٥ وحكاه البغوي عن عطاء ٣/٣٠١.

(٩) البغوي ٢/٣٠١ ابن كثير ٤/١٠٤ البحر المحيط ٥/٥٥ فتح القدير ٢/٣٧١ البحر المحيط ٥/٥٥.

(١٠) البغوي ٢/٣٠١.

كالمسخرين، حتى ولو وجدوا أحد هذه الأشياء لأسرعوا إليه، طلباً للفرار.

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ يقال: لمزت الرجل ألمزه وألمزه إذا عبته وكذلك همزته والهمزة واللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم أي يعيبك في أمر الصدقات وتفريقها، ويطعن عليك فيها، يعني المنافقين كانوا يقولون: لا يعطيها محمد إلا من أحب.

أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أنا محمد بن يحيي نا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قال: «بينما رسول الله ﷺ يقسم قسماً، إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير[1] فقال: اعدل يا رسول الله فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ فنزلت ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ الآية، رواه البخاري[2] عن عبد الله بن محمد عن هشام[3] عن معمر.

قال الضحاك[4]: «كان رسول الله ﷺ يقسم بينهم ما آتاه الله من قليل المال وكثيره فكان المؤمنون يرضون بما أعطوا ويحمدون الله عليه وأما المنافقون فإن أعطوا كثيراً فرحوا وإن أعطوا قليلاً سخطوا، وذلك قوله: ﴿فإن أعطوا منها رضوا﴾ الآية ﴿ولو أنهم رضوا ماءاتاهم الله ورسوله﴾ أي: قنعوا بما قسم لهم رسول الله ﴿وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ ما نحتاج إليه ﴿إنا إلى الله راغبون﴾ في الزيادة،لكان خيراً لهم، وأعود عليهم. وهذا جواب لو، وهو محذوف في اللفظ. ثم بين لمن الصدقات، فقال: ﴿إنما الصدقات﴾ يعني صدقات الأموال ﴿للفقراء

---

(١) حرقوص بن زهير السعدي، ذكره الطبري فقال: إن الهرمزان الفارسي صاحب خوزستان كفر ومنع ما قبله، واستعان بالأكراد فكثف جمعه، فكتب سلمى ومن معه بذلك إلى عتبة بن غزوان، فكتب عتبة إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ وأمَّره على القتال وعلى ما غلب عليه، فاقتتل المسلمون والهرمزان،فانهزم الهرمزان وفتح حرقوص سوق الاهواز ونزل بها وله أثر كبير في قتال الهرمزان،وبقي حرقوص إلى أيام علي وشهد معه صفين. ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل يومئذ سنة سبع وثلاثين. انظر أسد الغابة (١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥).

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ٧١٤ في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ٣٦١٠. وأخرجه أيضاً مسلم ٢/ ٧٤٠ في كتاب الزكاة باب ذكر الخراج (١٤٢ ـ ١٤٨ ـ /١٠٦٣).

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٥٠ وعزاه للبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأخرجه البغوي في التفسير ٢/ ٣٠١.

(٣) هشام بن يوسف، قاضي صنعاء، وعالمها ومفتيها، الحجة المتقن، أبو عبد الرحمن الصنعاني. حدث عن ابن جريج، ومعمر، والقاسم بن فياض، وغيرهم. قال يحيى بن معين: هو أثبت من عبد الرزاق في ابن جريج، وقال أبو حاتم: ثقة، متقن. توفي سنة سبع وتسعين ومائة رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (١/ ٣٤٦).

(٤) ذكره الرازي في التفسير ١٦/ ٧٩.

﴿والمساكين﴾ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وابن زيد[١]: «الفقير المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل» وقال الأصمعي[٢]: «الفقير الذي له ما يأكل والمسكين الذي لا شيء له» وقال الشافعي[٣] رضي الله عنه: «الفقراء الزمنى الضعاف الذين لا حرفة لهم وأهل الحرف الضعيفة[٤] الذين لا تقع حرفتهم من حاجتهم موقعاً، والمساكين: السؤال ممن لهم حرفة فالفقير أشدهما حالاً» وهذا قول[٥] قتادة: قال: الفقير الزمن المحتاج والمسكين الصحيح المحتاج والفقير والمسكين الذي يجوز دفع الزكاة إليه: هو من لا يفي دخله بخرجه قوله: **﴿والعاملين عليها﴾** يعني السعاة وهؤلاء يعطون من الصدقات بقدر أجور أمثالهم، وقوله **﴿والمؤلفة قلوبهم﴾** هم قوم من أشراف العرب استألفهم رسول الله ﷺ ليردوا عنه قومهم ويعينوه على عدوه منهم عباس بن مرداس، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كان يعطيهم سهماً من الزكاة وقد أغنى الله المسلمين عن ذلك، قوله: **﴿وفي الرقاب﴾** يعني وفي فك الرقاب قال ابن عباس: «يريد الكاتبين» وسهم الرقاب موضوع في المكاتبين ليعتقوا به، وقوله: **﴿والغارمين﴾** وهم الذين لزمهم الديون في غير معصية ولا إسراف **﴿وفي سبيل الله﴾** يعني الغزاة والمرابطين ويجوز أن يعطى الغازي من الزكاة وإن كان غنياً إذا طلب وقوله : **﴿ وابن السبيل﴾** يعني المسافر المنقطع يأخذ من الصدقات وإن كان غنياً في بلده، قوله: **﴿فريضة من الله﴾** يعني أن الله افترض هذا على الأغنياء في أموالهم لهؤلاء **﴿والله عليم﴾** بخلقه **﴿حكيم﴾** فيما حكم فيهم.

وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

وقوله: **﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾** الآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله ﷺ ويبلغون حديثه إلى المنافقين، ويقولون: نقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف ما قلنا فيصدقنا، لأنه أذن فأنزل الله: **﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾** يعني من المنافقين من يؤذيه بنقل حديثه وعيبته **﴿ويقولون هو أذن﴾** يسمع من كل أحد ما

(١) البغوي ٢/٣٠٢ ابن كثير ٤/١٠٦ والطبراني ١٤/١٠٦.

(٢) فتح القدير ٢/٣٧٢ انظر تفسير البغوي نقلا عن ابن قتيبة ٢/٣٠٣.

(٣) ونقل البغوي عن الشافعي فقال قال الشافعي: الفقير من لا مال ولا حرفة تقع منه موقعاً زمناً كان أو غير زمن، والمسكين من كان له مال أو حرفة، ولا يغنيه سائلاً كان أو غير سائل، فالمسكين عنده أحسن حالا من الفقير، لأن الله تعالى قال (وأما السفينة فكانت لمساكين) أثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة. تفسير البغوي (٢/٣٠٣) وانظر البحر المحيط (٥/٥٨).

(٤) في ب، ج (التي).

(٥) انظر المصادر السابقة.

يقوله، قال الحسن[١]: قالوا: ما هذا الرجل إلا أذن من شاء صرفه كيف شاء ليست له عزيمة فقال الله ﴿قل أذن خير لكم﴾ أي مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وروى «البرجمي[٢]» : أذن خير لكم[٣] بالتنوين على وصف الأذن بخير ومعناه: أن يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم، وقوله: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ أي يسمع ما ينزله الله، فيصدقه ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه أي إنما يصدق المؤمنين لا المنافقين قوله: ﴿ورحمة للذين ءامنوا منكم﴾ أي وهو رحمة الله لأنه كان سبب إيمان المؤمنين وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفاً على خير كأنه أذن خير ورحمة أي مستمع رحمة ثم أوعد هؤلاء المنافقين فقال: ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ قوله: ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ أي يحلف هؤلاء المنافقون فيما يبلغكم عنهم من أذى الرسول ﷺ والطعن عليه أنهم ما قالوا ذلك، قال الزجاج[٤]: «حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم، ليرضوا المؤمنين بيمينهم» ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ أي: إن كانوا على ما قالوا من الإيمان كان ترك عيبة النبي ﷺ والطعن عليه أولى ليكونوا مؤمنين بقبول قوله وترك عيبه ثم أوعدهم بقوله: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ قال: ابن عباس[٥]: «من يخالف الله ورسوله بتكذيب نبيه والإظهار باللسان خلاف ما في القلب» والمحادة كالمجانبة والمخالفة والمعنى: ألم يعلم هؤلاء المنافقون [أن من عادى الله ورسوله استحق العذاب؟ وهو قوله: ﴿فإن له نار جهنم﴾ الآية، قوله تعالى: ﴿يحذر المنافقون﴾][٦] الآية: قال مجاهد[٧]: «كان المنافقون يعيبون رسول الله ﷺ فيما بينهم ويقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا فأنزل الله هذه الآية ومعنى يحذر المنافقون الإخبار عنهم بما كانوا يخافون من هتكهم وفضيحتهم، وهو قوله: ﴿أن تنزل عليهم﴾ أي على المؤمنين ﴿سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ بما في قلوب المؤمنين من الحسد لرسول الله ﷺ والعداوة للمؤمنين وقوله: ﴿قل استهزئوا﴾ أمر وعيد ﴿إن الله مخرج﴾ مظهر ﴿ما تحذرون﴾ ظهوره ثم فعل ذلك بأن ألهم النبي ﷺ معرفتهم، فقال: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾[٨] قوله: ﴿ولئن سألتهم ليقولن﴾ الآية قال الكلبي ومقاتل: كان رسول الله ﷺ راجعاً من غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر يسيرون فجعل رجلان منهم يستهزئان بالقرآن ورسول الله ﷺ، والثالث يضحك فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فقال: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض﴾[٩] أي في الباطل من الكلام كما يخوض الركب نقطع به الطريق ﴿ونلعب﴾ فقال الله تعالى: ﴿قل أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾.

أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد بن عبد الله الجوزقي أنا أبو سهل بشرين أحمد بشر نا أحمد جعفر محمد بن موسى الحلواني نا محمد بن ميمون الخياط[١٠] نا: إسماعيل بن داود المخراقي نا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال: رأيت عبد الله بن أبي، يسير قدام النبي ﷺ، والحجارة تنكبه وهو يقول: يا محمد إنا كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: ﴿أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾[١١].

---

(١) بنحوه عند البغوي ٢/٣٠٦.

(٢) عبد الحميد بن صالح بن عجلان البرجمي، التيمي، أبو صالح الكوفي، مقرىء ثقة قاله ابن جرير وغيره. مات عبد الحميد سنة ثلاثين ومائتين. انظر غاية النهاية ١/٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٣) انظر النشر (٢/٢٨٠) إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٤) انظر البحر المحيط (٥/٦٢) ٦٣ الرازي (١٦/٩٤) البغوي (٢/٣٠٦).

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٥٨.

(٥) انظر تفسير الرازي ١٦/٩٦.

(٦) سقط في أ، ج.

(٧) انظر تفسير البغوي ٢/٣٠٧.

(٨) سورة محمد ٣٠.

(٩) انظر تفسير الطبري ١٤/٣٣٤ البغوي ٢/٣٠٨ السيوطي في الدر ٣/٢٥٤.

(١٠) انظر التهذيب (٩/٤٨٥).

(١١) إسناده ضعيف جداً وعلته إسماعيل بن داود، ضعفه أبو حاتم وغيره، وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث الميزان ١/٢٢٦ التاريخ =

قوله: ﴿لا تعتذروا﴾ أي لا تأتون بعذر مما قلتم ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ قال الزجاج[(١)] قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان ﴿إن نعف عن طائفة منكم﴾ يعني الذي ضحك، قال محمد بن إسحاق[(٢)]: «الذي عفي عنه رجل واحد يقال له مخشي بن حمير الأشجعي[(٣)] أنكر عليهم بعض ما سمع وجعل يسير مجانباً لهم فلما نزلت هذه الآية بريء من النفاق» ويجوز أن يسمى الواحد طائفة كما يسمى الواحد باسم الجماعة، وقوله: ﴿نعذب طائفة﴾ يعني الهازئين ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ بالاستهزاء.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

وقوله: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ قال ابن عباس[(٤)]: «أي على دين بعض» والمعنى بعضهم مضاف إلى بعض بالاجتماع على النفاق وأن أمرهم واحد ﴿يأمرون بالمنكر﴾ بالكفر بمحمد ﷺ

= الكبير (٣٧٤/١/١) وابن أبي حاتم (٢٠١/١/١) العقيلي (٩٣/١). والحديث من غير طريق المصنف أخرجه الطبري ٣٣٣/١٤ وانظر تفسير ابن كثير ١١١/٣ ـ ١١٢ وانظر تفسير الرازي ٩٧/١٦ والبغوي ٣٠٨/٢، وذكر السيوطي في الدر ٢٥٤/٢ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم، والعقيلي في الضعفاء، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخطيب في رواية مالك عن ابن عمر، ومن طريق آخر عن ابن عمر عزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه، وقوله تنكيه أي نالته وآذته.

(١) نقل الواحدي عن أهل اللغة في لفظ الاعتذار قولين: القول الأول: انه عبارة عن محو الذنب من قولهم: اعتذرت المنازل إذا درست، يقال: مررت بمنزل معتذر، والإعتذار هو الدرس وأخذ الاعتذار منه، لأن المعتذر يحاول إزالة أثر ذنبه. والقول الثاني: حكي ابن الأعرابي أن الاعتذار هو القطع، ومنه يقال للقلفة عذرة، لأنها تقطع، وعذرة الجارية سميت عذرة لأنها تعذر أي تقطع، ويقال: اعتذرت المياه إذا انقطعت، فالعذر لما كان سبباً لقطع اللوم، سمي عذراً، قال الواحدي: والقولان متقاربان، لأن محو أثر الذنب وقطع اللوم يتقاربان. انظر الرازي (٩٨/١٦ ـ ٩٩).

(٢) انظر تفسير الطبري ٣٣٢/١٤ وسيرة ابن هشام ٥٢٤/٢، ٥٢٥، ابن كثير ١١٢/٢ البغوي ٣٠٨/٢. القرطبي ١٢٦/٨.

(٣) بشين معجمة ابن حمير مصغراً بالتثقيل الأشجعي. ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك وفي تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، وبسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قال: فكان ممن عفي عنه مخشي بن حمير، فقال يا رسول الله: غير اسمي واسم أبي، فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، فدعا مخشي ربه أن يقتل شهيداً حيث لا يعلم به فقتل يوم اليمامة. انظر الإصابة (٧١/٦).

(٤) البغوي ٣٠٨/٢ انظر تفسير القرطبي ١٢٧/٨ البحر المحيط ٦٨/٥.

﴿وينهون عن المعروف﴾ عن اتباع رسول الله ﷺ والإيمان به ﴿ويقبضون أيديهم﴾ عن النفقة في سبيل الله تعالى ﴿نسوا الله﴾ تركوا ما أمرهم الله به من طاعته ﴿فنسيهم﴾ فتركهم من كل خير وخذلهم في الشك ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ الخارجون عن أمر الله وطاعته ثم ذكر ما وعدهم في الآخرة فقال: ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات﴾ الآية ظاهرة إلى قوله ﴿كالذين من قبلكم﴾ رجع من الخبر عنهم إلى مخاطبتهم وشبههم في العدول عن أمر الله والاشتغال بالدنيا بمن قبلهم، والمعنى: أنتم كالذين من قبلكم يعني الأمم الخالية ثم وصفهم بقوله: ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم﴾ يقول: رضوا بنصيبهم في الدنيا من أنصبائهم في الآخرة وفعلتم أيضاً مثل ما فعلوا وهو قوله: ﴿فاستمتعتم بخلاقكم﴾ كما فعلوا هم ﴿وخضتم﴾ في الطعن على الدين وتكذيب نبيكم كما خاضوا هم في الطعن على أنبيائهم ﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا﴾ لأنها لم تقبل منهم وفي ﴿الآخرة﴾ لأنهم لا يثابون عليها ﴿وأولئك هم الخاسرون﴾ يفوت المثوبة والمصير إلى العقوبة، ثم خوفهم الله بإهلاك من كان قبلهم من الأمم فقال: ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾ من الأمم، قال الزجاج[1]: «ألم يأتهم خبر الذين أهلكوا في الدنيا بذنوبهم، فيتعظوا» ثم ذكرهم إلى قوله ﴿وقوم إبراهيم﴾ قال ابن عباس[2]: يريد نمروذ بن كنعان ﴿وأصحاب مدين﴾ يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة، ومدين اسم بلدهم ﴿والمؤتفكات﴾ يعني قرى قوم لوط جمع مؤتفكة وهي المنقلبة، وتلك القرى انقلبت فصار أعلاها أسفلها، يقال: أفكه فائتفك أي: قلبه فانقلب، أتت هؤلاء الأمم ﴿رسلهم بالبينات﴾ فكذبوا بها ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ قال ابن عباس[3]: «ليهلكهم حتى يبعث إليهم نبياً لينذرهم» ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ قال الزجاج[4]: «أخبر الله أن تعذيبهم كان باستحقاقهم» قوله:

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ قال ابن عباس[5]: «في الرحمة والمحبة» والمعنى: بعضهم يوالي بعضاً فهم يد واحدة في النصرة ﴿يأمرون بالمعروف﴾ بكلمة لا إله إلا الله ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن الشرك بالله، ثم ذكر سائر أوصافهم فقال: ﴿ويقيمون الصلاة﴾ إلى آخر الآية، قوله: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله: ﴿ومساكن طيبة﴾ قال ابن عباس[6]: «يريد قصور الزبرجد والدر والياقوت يفوح طيبها من مسيرة خمسمائة عام».

أخبرنا أبو عثمان بن أبي نصر الواعظ الصابوني[7] إملاء، أنا أبو علي بن أبي موسى الفقيه أنا أبو حامد

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦١.
(٢) البغوي ٢/٣١٠ القرطبي ٨/١٢٨ أبو حيان ٥/٦٩، الرازي ١٦/١٠٣ ابن كثير ٥/١١٤.
(٣) أبو حيان في البحر المحيط ٥/٧٠.
(٤) معاني القرآن ٢/٤٦١.
(٥) وانظر القرطبي ٨/١٢٩ بنحوه عند البغوي ٢/٣١٠.
(٦) أبو حيان في البحر المحيط ٥/٧١ والقرطبي ٨/١٣٠ انظر تفسير البغوي ٢/٣١٠ وانظر تفسير الرازي ١٦/١٠٦.
(٧) بفتح الصاد المهملة وضم الباء الموحدة وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى عمل الصابون وبيت كبير بنيسابور الصابونية لعل بعض أجدادهم عمل الصابون فعرفوا به. أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد الصابوني=

محمد بن هارون الحضرمي[(١)] نا إبراهيم بن سعيد الجوهري[(٢)] نا قره بن حبيب[(٣)] عن حسين بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وعن أبي هريرة قالا: «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ قال: قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمردة خضراء في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة ما يأتي على ذلك كله أجمع[(٤)]».

وقوله: ﴿في جنات عدن﴾ يقال: عدن بالمكان يعدن عدوناً إذا أقام به، ومعنى جنات عدن: جنات إقامة، قال عطاء عن ابن عباس[(٥)]: هي قصبة في الجنة وسقفها عرش الرحمن وقال الضحاك[(٦)]: «هي مدينة الجنة وفيها الرسل، والأنبياء، والشهداء، وأئمة الهدى، والناس حولهم والجنات حولها» وقال مقاتل والكلبي[(٧)] عدن أعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من يوم خلقها الله تعالى، حتى ينزلها أهل الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون، وفيها قصور الدر والياقوت والذهب.

أخبرنا أبو بكر بن الحارث أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ، نا محمد بن الحسن بن علي بن بحر نا محمد بن عبد الأعلى نا يزيد بن هارون نا سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن مجاهد، قال: قرأ عمر بن الخطاب على المنبر ﴿جنات عدن﴾ فقال: هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر في الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب خمس وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبي وهنيئاً لصاحب هذا القبر وأشار إلى رسول الله ﷺ أو صديق، وأشار إلى أبي بكر، أو شهيد، وأنى لعمر بهذه الشهادة، ثم قال: إن الذي أخرجني من كذا، قادر على أن يسوق إليّ الشهادة[(٨)].

= المعروف بشيخ الإسلام كان إماماً مفسراً محدثاً فقيها واعظاً خطيباً أوحد وقته في طريقته، وعظ المسلمين في مجالس التذكير ستين سنة، وخطب على منبر نيسابور نحواً من عشرين سنة. وكانت ولادته في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ووفاته في محرم من سنة تسع وأربعين وأربعمائة. انظر الأنساب (٣/٥٠٦).

(١) المحدث الثقة المعمر الإمام أبو حامد محمد بن هارون بن عبد الله بن حميد الحضرمي البغدادي من بقايا المسندين. سمع إسحاق بن أبي إسرائيل وأبا همام السكوني ونصر بن علي الجهضمي وطبقتهم. مات في المحرم سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة وله نيف وتسعون سنة. انظر السير (١٥/٢٥). تاريخ بغداد (٣/٣٥٨) الوافي (٥/١٤٨) الشذرات (٢/٢٩١).

(٢) إبراهيم بن سعيد الجوهري أبو إسحاق الطبري الأصل البغدادي الحافظ. روى عن أبي أسامة وابن عيينة وأبي أحمد الزبيري وأسود بن عامر وأبي ضمرة والواقدي وعبد الوهاب الثقفي وجماعة. وعنه الجماعة سوى البخاري. قال الخطيب كان ثقة مكثراً ثبتاً صنف المسند. قال ابن قانع مات سنة ٢٤٩، وقال غيره مات بعد الخمسين ومائتين. انظر التهذيب (١/١٢٣ ـ ١٢٤)

(٣) الإمام المحدث الثقة أبو علي البصري الرماح القنوي حدث عن: عبد الله بن عون فكان آخر من حدث عنه من الثقات، وعن شعبة وأبي الأشهب العطاردي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار. قال أبو حاتم: ثقة. قلت: مات في سنة أربع وعشرين ومئتين، وقد جاوز التسعين رحمه الله. انظر السير (١٠/٤٢٦) التاريخ الكبير (٦/١٨٣) الجرح والتعديل (٧/١٣٢) التهذيب (٨/٣٧٠).

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/٣٤٩ وذكره الهيثمي في المجمع ١٠/٤٢٠ وعزاه للبزار والطبراني في الأوسط، وقال: وفيه حسين بن فرقد وهو ضعيف وقد وثقه سعيد بن عامر، وبقية رجال الطبراني ثقات، وذكره الرازي في التفسير ١٦/١٠٦ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٥٧ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) أبو حيان في البحر ٥/٧١ القرطبي ٨/١٣٠.

(٦) أبو حيان في ٥/٧١ القرطبي ٨/١٣٠.

(٧) البغوي ٢/٣١٠ البحر المحيط ٥/٧١.

(٨) ذكره البغوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ٢/٣١٠ وثبت في هامش الأصل قوله يعني من الكفر والضلالة من الإسلام أرجو أن يرزقني الشهادة.

وقوله: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ قال ابن عباس[1]: «أكبر مما يوصف» وقال الزجاج[2] «أكبر مما هم فيه من النعيم» وإنما صار الرضوان أكبر من الثواب لأنه لا يوجد شيء من الثواب إلا بالرضوان إذ هو الموجب له وقال الحسن[3]: لأن ما يصل إلى قلب المؤمن من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك.

أخبرنا أبو منصور البغدادي أنا إسماعيل بن نجيد نا محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد نا أمين بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال: لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قال: ألا أعطيكم أفضل من هذا؟ قالوا: أفضل من هذا؟ قال: نعم، قالوا: بلى، قال: رضواني[4].

حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب[5] نا يحيى بن محمد بن صاعد نا الحسن بن عيسى بن ماسرجس[6] نا عبد الله بن المبارك نا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: لأعطينكم أفضل من ذلك، فيقولون: ربنا وأي شيء أفضل؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبداً» رواه البخاري[7] عن معلى بن أسد[8] ورواه مسلم [9] عن محمد بن عبد الرحمن بن سهم كلاهما عن ابن المبارك.

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/٧٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦١.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر ٥/٧٢.

(٤) ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير ٤/١١٨ وعزاه للبزار في مسنده من حديث الثوري وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «صفة الجنة» هذا عندي على شرط الصحيح. وذكره السيوطي في الدر المنثور بنحوه ٣/٢٥٧ وعزاه لابن مردويه.

(٥) الشيخ المعمر الزاهد، شيخ الصوفية، مسند الوقت أبو سعيد عبد الله بن محمد، بن عبد الوهاب، بن نصير، بن عبد الوهاب، بن عطاء، بن واصل، القرشي، الرازي، نزيل نيسابور. حدث عنه: الحاكم، وأبو نعيم، ومحمد بن الحسن بن المؤمل، وشيخ الإسلام إسماعيل الصابوني، وأخوه أبو يعلى، ومحمد بن عبد العزيز المروزي، وعمر بن مسرور، وأبو سعد الكنجروذي وآخرون. ووصفه الكنجروذي بالصلاح. انظر السير (١٦/٤٢٧ ـ ٤٢٨) العبر (٣/٢١) النجوم الزاهرة (٤/١٦٣) الشذرات (٣/١٠٣).

(٦) الحسن بن عيسى بن ماسرجس الماسرجسي، أبو علي النيسابوري، مولى ابن المبارك. روى عنه وعن أبي بكر بن عياش وعبد السلام بن حرب، وجرير بن عبد الحميد وابن عيينة، وابن معاوية وغيرهم. قال الخطيب: كان من أهل بيت الثروة، والقدم في النصرانية، ثم أسلم على يدي ابن المبارك، ورحل في العلم، ولقي المشايخ، وكان ديناً ورعاً ثقة ولم يزل من عقبه بنيسابور فقهاء ومحدثون. ومات بالثعلبية في المنصرف من مكة سنة ٢٣٩ وقيل مات سنة ٤٠ انظر التهذيب (٢/٣١٣ ـ ٣١٤).

(٧) الحديث أخرجه ١١/ ٤٢٣ في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩، ٧٥١٨).

(٨) معلى بن أسد العمي، بفتح المهملة، أبو الهيثم البصري، الحافظ عن عبد العزيز بن المختار، وأبي عوانة وطائفة. وعنه البخاري وحجاج بن الشاعر، وأبو حاتم، وخلق قال العجلي: ثقة ثبت، كيس، معلم. قال ابن حبان: مات سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر الخلاصة ٣/٤٦.

(٩) أخرجه مسلم ٤/٢١٧٦ في كتاب الجنة إحلال الرضوان على أهل الجنة ٩/٢٨٢٩ وأخرجه الترمذي ٢٥٥٥.

وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥٧ وعزاه لأحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي سعيد الخدري.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين﴾ قال ابن عباس [١]: «أمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان» وقال ابن مسعود [٢]: «يجاهد بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه» وقوله: ﴿واغلظ عليهم﴾ قال ابن عباس [٣] «يريد شدة الانتهار والنظر بالبغضة والمقت» وقال ابن مسعود [٤]: «هو أن يكفهر في وجوههم» قوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ لما بلغ النبي ﷺ أن المنافقين يسيئون فيه القول ويطعنون فيه وفي القرآن، أنكر عليهم فحلفوا ما قالوا فكذبهم الله تعالى: ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ يعني سبهم الرسول ﷺ وطعنهم في الدين، وقوله: ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ يعني أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجة يباهي ربه رسول الله ﷺ فلم ينالوا ما هموا به» وقال الكلبي والضحاك [٥]: «هموا أن يفتكوا بالنبي ﷺ ليلاً في مسيره في غزوة تبوك فأعلمه الله ذلك، فأمر من نحاهم عن طريقه»، وقوله: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله﴾ قال ابن عباس: «يريد مما كانوا غنموا حتى صارت لهم العقد والأموال وكانوا قبل قدوم النبي ﷺ في ضنك من عيشهم لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم عليهم رسول الله ﷺ استغنوا بالغنائم» [٦] وذكرنا معنى نقم عند قوله: ﴿هل تنقمون منا﴾ وقوله: ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم﴾ قال الكلبي: «لما نزلت هذه الآية قام الجلاس بن سويد وكان ممن طعن على النبي ﷺ فقال: أسمع الله قد عرض عليَّ التوبة وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما قلته فقبل رسول الله ﷺ توبته» [٧] ﴿وإن يتولوا﴾ يعرضوا عن الإيمان قال ابن عباس [٨]: «كما تولى عبد الله بن أبي» ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾ بالقتل ﴿و﴾ في ﴿الآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ لا يتولاهم أحد من الأنصار، قوله:

۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية.

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/٣٥٨ ـ ٣٥٩ ـ (١٦٩٦٢) وابن كثير ٤/١١٩، ابو حيان ٥/٧٢ والقرطبي ٨/١٣٠ البغوي ٢/٣١١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٥٨ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٢) الطبري ١٤/٣٥٨ ابن كثير ٤/١١٨ أبو حيان ٥/١٧٢ الرازي ١٦/١٠٨ القرطبي ٨/١٣٠ البغوي ٢/٣١١ وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٥٨ وعزاه لابن أبي شيبة، وابن الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢/٣١١ وانظر الدر المنثور ٣/٢٥٨.

(٤) الطبري ١٤/٣٥٨ (١٦٩٦١) وابن كثير ٤/١١٨ أبو حيان ٥/٧٢، الرازي ١٦/١٠٨ القرطبي ٨/١٣٠ البغوي ٢/٣١١ انظر الدر المنثور ٣/٢٥٨.

(٥) انظر تفسير البغوي ٢/٣١٢ أبو حيان ٥/٧٢ ـ ٧٣.

(٦) البغوي ٢/٣١٢، أبو حيان ٥/٧٣.

(٧) أخرجه الطبري ١٤/٣٦٢ ـ ٣٦٨ وانظر الدر المنثور ٣/٢٥٨.

(٨) انظر الدر المنثور ٣/٢٦٠.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر أنا أبـو عمران موسى بن سهل الجوني[١] نا هشام بن عمار نا محمد بـن شعيب نا معان بن رفاعة السلامي عن أبي عبد الملك علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري[٢] أتي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يرزقني مالاً، فقال رسول الله ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى: أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال ذهباً وفضة لسالت، فقال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالاً فاتخذ غنماً فنمت كما ينمـو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا يوم الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل رسول الله ﷺ فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا يا رسول الله اتخذ غنماً وضاقت عليه المدينة، وأخبروه بخبره فقال: يا ويح ثعلبة، ثلاثاً، وأنزل الله: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ الآية وأنزل الله عليهم فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما: مرا بثعلبة وبفلان ـ رجل من بني سليم ـ فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا، ثم تعودان إلي، فانطلقا وأخبرا السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها، فلما رأوها قالا: ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك، قال: بل خذوه فإن نفسي بذلك طيبة فأخذوها منه فلما فرغا مرّا بثعلبة، فقال: أروني كتابكما أنظر فيه، فقال ما هذا إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلمارآهما قال: يا ويح ثعلبة، قبل أن يكلمهما، ودعا للمسلمين بالبركة، وأخبروه بالذي صنع السلمي، فأنزل الله عز وجل: ﴿**ومنهم من عاهد الله لئن ءاتانا من فضله لنصّدّقن**﴾ إلى قوله: ﴿**وبما كانوا يكذبون**﴾وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتى ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة، حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك، فجعل يحثـو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعني، فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله، وقبض رسول الله ﷺ، ولم يقبل منه شيئاً، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي في الأنصار، فاقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟ فقبض أبو بكر، وأبى أن يقبلها، فلما ولي عمر بن الخطاب، أتاه فقال: يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر، فأنا أقبلها منك؟ ولم يقبلها، وقبض عمر ثم ولي عثمان، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ، ولا أبو بكر ولا عمر، وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان[٣].

---

(١) الإمام المحدث، الثقة، الرحال، أبو عمران، موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني، البصري، نزيل بغداد. وثقه الدراقطني. مات في رجب سنة سبع وثلاث مئة. انظر السير (٢٦١/١٤) تاريخ بغداد (٥٦/١٣) تذكرة الحفاظ (٧٦٣/٢) الشذرات (٢٥١/٢).

(٢) ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، الأوسي شهد بدرا. قاله محمد بن إسحاق وموسى بن عقبة. انظر أسد الغابة ٢٨٣/١.

(٣) إسناده ضعيف جداً، فيه معاذ بن رفاعة السلامي، قال السعدي: ليس معاذ بحجة وضعفه ابن معين، وقال الجوزجاني: ليس بحجة، وقال الأزدي: لا يحتج به، انظر الكامل لابن عدي ٣٢٨/٦ (١٨١٨/١٨٧) الميزان ١٣٤/٤، التهذيب ٢٠١/١٠ وفيه =

قوله: ﴿ومنهم﴾ أي من المنافقين ﴿من عاهد الله﴾ أي قال: على عهد الله ﴿لئن ءاتانا من فضله﴾ مالاً ﴿لنصدقن﴾ لنعطين الصدقة ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والنفقة في الخير ﴿فلما ءاتاهم من فضله﴾ ما طلبوه من المال ﴿بخلوا به﴾ ولم يفوا بما عاهدوا، وهو قوله: ﴿وهم معرضون﴾ أي عن عهدهم مع الله بالصدقة والإنفاق ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ صير عاقبة أمرهم النفاق، يقال أعقبت فلاناً ندامة، أي صيرت عاقبة أمره ذلك وقال مجاهد[1]: «أعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة، كما حرم إبليس» وقوله: ﴿إلى يوم يلقونه﴾ دليل على أنه مات منافقاً، بإخلافه وعد الله، وكذبه في عهده، وهو قوله: ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ ثم ذكر أنه مطلع على سرائرهم، فقال: ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ الآية.

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الذين يلمزون المطوعين﴾ الآية، قال قتادة[2]: أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله، يتقرب به إلى الله فقال: يا نبي الله هذا نصف مالي قد آتيتك به وتركت نصفه لعيالي، فدعا الله له أن يبارك له فيما أمسك وفيما أعطى، فلمزه المنافقون، وقالوا ما أعطى هذا إلا رياء وسمعة. وأقبل رجل من المسلمين، يقال له: الحبحاب أبو عقيل فقال: يا رسول الله، بت أجر بالجرير على صاعين من تمر فأما صاع فأمسكته لأهلي - وأما صاع [فهو ذا][3] فلمزه المنافقون، وقالوا: إن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل، فأنزل الله.

﴿الذين يلمزون﴾ أي يعيبون ويغتابون ﴿المطوعين﴾ الذين يعطون ما ليس بواجب عليهم تطوعاً ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ يعني أبا عقيل، والجهد الطاقة قال الليث[4]: «الجهد شيء قليل يعيش به المُقِل»، وقوله: ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار.

= علي بن يزيد الألهاني، قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث حديثه منكر، وقال أبو زرعة: ليس بقوي. وقال النسائي: ليس بثقة، التاريخ الكبير ٣٠١/٢/٣ الجرح والتعديل ٢٠٨/١/٣ المجروحين ٢/ ١١٠ الميزان ١٠٦/٣ التهذيب ٣٩٦/٧. والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ٢٦٠ وأخرجه الطبراني كما في المجمع، وقال الهيثمي ٣١/٧ فيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك. وأخرجه الطبري أيضاً بإسناد ضعيف جدا ١٤/ ٣٧٠ (١٦٩٨٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٦٠/٣ وعزاه للحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ، والعسكري في الأمثال، والطبراني وابن منده والباوردي، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وابن مردويه. والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي، وذكره الحافظ ابن كثير نقلا عن الطبري وابن أبي حاتم ١٢٤/٤ وانظر فتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٨٥ والبغوي ٣١٢/٢ وضعفه الحافظ ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف (٧٧) وثعلبة بدري، أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، وقال الحافظ ابن عبد البر: ولعل قول من قال ثعلبة إنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه الآية غير صحيح، والله أعلم. وانظر الإصابة (٢/ ١٩ - ٢٠).

(١) انظر تفسير البغوي ٢/ ٣١٤.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٣٨٤ وانظر (١٧٠٠٣) وابن كثير ١٢٦/٤ الرازي ١٦/ ١١٥ وأبو حيان ٧٥/٥ القرطبي ١٣٧/٨ البغوي ٣١٥/٢.

(٣) سقط في أ.

(٤) الرازي نقلا عن الليث ١١٥/١٦ وانظر البحر المحيط ٧٦/٥ القرطبي ١٣٧/٨.

آخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق أنا أبو عمرو بن نجيد نا: محمد بن أيوب أنا حوثرة بن أشرس[١]، حدثني سويد أبو حاتم[٢] عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير عن أبيه عن جده أن رجلاً قال: «يا رسول الله أي الصلاة أفضل؟ قال طول القنوت، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، قال: فأي المؤمنين أكمل أيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً»[٣].

قوله: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ الآية، قال المفسرون: «لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: إن الله قد خيرني في الاستغفار للمنافقين، وسأزيد على السبعين، لعل الله أن يغفر لهم[٤]» فأنزل الله تعالى: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم﴾[٥] الآية وذكر السبعين حصر لهذا العدد، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «والله لأزيدنهم على السبعين»؟

فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله: ﴿فرح المخلفون﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فالمخلف المتروك خلف من مضى وقوله ﴿بمقعدهم﴾ أي بقعودهم والمقعد ها هنا مصدر بمعنى القعود، خلاف رسول الله ﷺ قال الزجاج وقطرب والمؤرج[٦]: «مخالفة لرسول الله ﷺ إذ سار وأقاموا» وقال أبو عبيدة والأخفش[٧]: «خلاف رسول

---

(١) حوثرة بن أشرس، بن عون، بن مجشر، بن حجين، المحدث الصدوق، أبو عامر المعدوي، البصري. توفي في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومئتين. الجرح والتعديل (٢٨٣/٣) السير ٦٦٨/١٠ تعجيل المنفعة (١٠٩).

(٢) سويد بن إبراهيم الجحدري، أبو حاتم الحناط البصري عن الحسن وقتادة، وعنه يحيى القطان، وموسى بن إسماعيل، قال ابن معين: أرجو أنه لا بأس به. وقال أبو زرعة: ليس بالقوي حديثه حديث أهل الصدق. وضعفه النسائي قال ابن أبي عاصم: مات سنة سبع وستين ومائة. انظر الخلاصة (٤٣١/١).

(٣) هذا الحديث روي مجزءاً، فالشطر الأول منه إلى قوله طول القنوت أخرجه مسلم ٥٢٠/١ في كتاب صلاة المسافرين باب أفضل الصلاة طول القنوت (١٦٤ ـ ٧٥٦/١٦٥) وأحمد في المسند ٣٠٢/٣ والشطر الثاني إلى جهد المقل أخرجه أبو داود ٣١٢/٢ في الزكاة باب في الرخصة في ذلك ١٦٧٧ والحاكم في المستدرك ٤١٤/١ في الزكاة باب أفضل الصدقة جهد المقل، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والشطر الأخير أخرجه الطبراني في الصغير ٢١٨/١ ابن حبان ٣١١ ـ ١٣٢٦ وأبو داود ٤٦٨٢ الدارمي ٣٢٣/٢ الحاكم ٣/١ وأبو نعيم في الحلية ٢٤٨/٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٦٥/٢ في كتاب الجنائز باب الكفن في القميص (١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٥٧٩٦٥) ومسلم ١٨٦٥/٤ في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر (٢٥/ ٢٤٠٠).

(٥) سورة المنافقون ٦.

(٦) انظر معاني الزجاج ٤٦٣/٢ الرازي ١١٨/١٦ أبو حيان ٧٩/٥.

(٧) مجاز القرآن ٢٦٤/١ معاني القرآن للأخفش ٣٣٤/٢ الرازي ١١٩/١٦، البغوي ٣١٥/٢ البحر المحيط ٧٩/٥.

الله ﷺ أي: بعده» ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ مع محمد ﷺ إلى تبوك ﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون﴾ يعلمون أن مصيرهم إليها ﴿فليضحكوا قليلاً﴾ في الدنيا لأن الدنيا تفني وتنقطع ﴿وليبكوا كثيراً﴾ في النار بكاء لا انقطاع له قال الحسن[١]: هذا وعيدٌ من الله لهم وقال ابن عباس[٢]: «إن أهل النفاق ليبكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت» وقوله: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ أي في الدنيا من النفاق والتكذيب ﴿فإن رجعك الله﴾ قال ابن عباس[٣]: إن ردك الله إلى المدينة ﴿إلى طائفة منهم﴾ يعني المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ معك إلى الغزو ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾ إلى غزاة ﴿ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ من أهل الكتاب ﴿إنكم رضيتم بالقعود﴾ عني ﴿أول مرة﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ قال الحسن والضحاك وقتادة[٤]: «يعني النساء والصبيان وهم الذين يخلفون الذاهبين إلى السفر يقال خلفه يخلفه إذا قام بعده» قوله: ﴿ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً﴾.

أخبرنا الفضل بن إبراهيم الصوفي، نا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا أبو بكر أخو ابن الليث نا السكوني[٥] نا أبو أسامة عن عبيد الله بن محمد عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر بن الخطاب فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيرني الله، فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً﴾ الآية، رواه البخاري[٦] عن عبيد بن إسماعيل[٧] ورواه مسلم[٨] عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن أبي أسامة قال الزجاج[٩]: إنما أجاز رسول الله ﷺ الصلاة عليه لأن ظاهره كان الإسلام فأعلمه الله أنه إذا علم منه النفاق فلا صلاة عليه.

وقوله: ﴿ولا تقم على قبره﴾ «كان رسول الله ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له»[١٠] فنهي عن ذلك في حق المنافقين لأنهم كفرة وهو قوله: ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ الآية ﴿ولا تعجبك أموالهم﴾ تقدم تفسيره في هذه السورة.

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٣٨/٨،

(٢) البحر المحيط ٥/ ٨٠.

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٣٨/٨.

(٤) البغوي ٣١٦/٢ انظر البحر المحيط ٥/ ٨٠ الطبري ٤٠٤/١٤ القرطبي ١٣٨/٨ ابن كثير ١٣٢/٤ وأما النساء فغير مستقيم، لأن جمع النساء لا يكون بالياء والنون، ولو أريد النساء لقال: فاقعدوا مع الخوالف أو الخالفات.

(٥) بفتح السين، وضم الكاف، وفي آخرها النون. هذه النسبة إلى السُّكُون وهو بطن من كندة. وهو أبو همام، الوليد بن شجاع. وروى عن أبي همام مسلم بن الحجاج وأبو القاسم البغوي. انظر الأنساب ٣/ ٢٧٠.

(٦) تقدم قبل قليل.

(٧) عبيد بن إسماعيل القرشي الهباري، أبو محمد الكوفي. ويقال: ان اسمه عبيد الله، وعبيد لقب. قال مطين: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: مات قبل الخمسين. وقال البخاري: مات يوم الجمعة آخر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين. التهذيب (٥٩/٧).

(٨) تقدم.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٦٤.

(١٠) أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٢١٥ في كتاب الجنائز باب الاستغفار عند القبر للميت ٣٢٢١.

وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

قوله **﴿وإذا أنزلت سورة أن ءامنوا بالله﴾** أي بأن آمنوا ومعناه بالإيمان بالله والجهاد مع رسوله **﴿استأذنك﴾** في التخلف عنك **﴿أولو الطول منهم﴾** يعني أهل الغنى والسعة في المال يعني الذين لا عذر لهم في التخلف **﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾** قال المفسرون[1]: «يعني النساء اللاتي يخلفن في البيوت فلا يبرحن» **﴿وطبع على قلوبهم﴾** قال ابن عباس[2]: بالنفاق، كقوله: (بل طبع الله عليها بكفرهم) **﴿فهم لا يفقهون﴾** لا يعلمون أمر الله ثم أثنى على الرسول ﷺ والمؤمنين الذين جاهدوا معه بقوله: **﴿لكن الرسول والذين ءامنوا﴾** إلى قوله: **﴿لهم الخيرات﴾** قال الأخفش وأبو عبيدة والمبرد[3]: «الخيرات جمع خيرة وهن الجواري الفاضلات الحسان» وذكر في الآية الثانية ما وعدهم فقال: **﴿أعد الله لهم جناتٍ﴾** الآية.

وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾

وقوله: **﴿وجاء المعذرون من الأعراب﴾** قال الفراء والزجاج وابن الأنباري[4]: «أراد المعتذرون فأدغمت التاء في الذال» قال محمد بن إسحاق[5]: «هم أعراب من بني غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله»، وقال أبو عمرو بن العلاء[6]: كلا الفريقين كان مسيئاً، جاء قوم فعذروا وجنح آخرون فقعدوا» يرد أن قوماً تكلفوا عذراً بالباطل فهم الذين عناهم الله بقوله: **﴿وجاء المعذرون﴾** وتخلف آخرون من غير تكلف عذر وإظهار علة جرأة على الله ورسوله وهو قوله: **﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾** يعني لم يصدقوا في إيمانهم وهم المنافقون ثم أوعدهم بقوله: **﴿سيصيب الذين كفروا﴾** الآية.

لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ

---

(١) البغوي ٣١٨/٢ الرازي ١٢٥/١٦ القرطبي ١٤٢/٨ أبو حيان ١٣/٥. وذكره السيوطي في الدر ٢٦٦/٢ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) تقدم تفسير الطبع.

(٣) البغوي ٣١٨/٢ انظر القرطبي ١٤٢/٨ أبو حيان ٨٣/٥.

(٤) مجاز القرآن ٢٦٧/١ البغوي ٣١٨/٢ الرازي ١٢٦/١٦ القرطبي ٨/ ـ ١٤٣ البحر المحيط ٨٣/٥ انظر الدر المنثور ٢٦٦/٢ ـ ٢٦٧.

(٥) الطبري ٤١٨/١٤ ـ ٤١٩ ـ (١٧٠٧٧) ابن كثير ١٣٧/٤ وانظر تفسير البحر المحيط ٨٤/٥.

(٦) وذكره السيوطي في الدر ٢٦٧/٢ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ معاني القرآن للزجاج ٤٦٤/٢ البغوي ٣١٨/٢ انظر تفسير الرازي ١٢٦/١٦ ـ ١٢٧.

قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾

قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء﴾ يعني الزمني والمشايخ والعجزة ﴿ولا على المرضى﴾ جمع مريض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون﴾ يعني المقلين ﴿حرج﴾ ضيق في القعود عن الغزو ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾إذا أخلصوا إيمانهم وأعمالهم من الغش والنفاق ولم يغتنموا عذرهم بل يتمنون أن لم يكن لهم عذر، فيتمكنوا من الجهاد وهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ أي: طريق بالعقوبة لأنه قد سد بإحسانه طريق العقاب على نفسه ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن كان محسناً، قوله ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ هؤلاء نفر من قبائل شتى سألوا رسول الله ﷺ أن يحملهم على الخفاف والنعال ليغزوا، وقال ابن عباس: «سألوه أن يحملهم على الدواب»[1] فقال النبي ﷺ«لا أجد ما أحملكم عليه»[2] لأن الشقة بعيدة والرجل يحتاج إلى بعيرين بعير يركبه وبعير يحمل ماءه وزاده فانصرفوا وهم يبكون، وهو قوله: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾ أي جرت أعينهم عن امتلاء من حزن في قلوبهم لعدم النفقة.

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

قوله: ﴿إنما السبيل﴾ بالعقوبة ﴿على الذين يستأذنونك﴾ في التخلف ﴿وهم أغنياء﴾ موسرون وباقي الآية فسرناه آنفاً، قوله: ﴿يعتذرون إليكم﴾ بالأباطيل ﴿إذا رجعتم إليهم﴾ من غزوة تبوك ﴿قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم﴾ لن نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ أخبرنا الله بسرائركم وما تخفي صدوركم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ فيما تستأنفون من النفاق تبتم أم أقمتم عليه ﴿ثم تردون﴾ للجزاء ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ إلى من يعلم ما غاب عنا من ضمائركم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيخبركم بما كنتم تكتمون من النفاق قوله: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾ رجعتم ﴿إليهم﴾ أي أنهم ما قدروا على الخروج ﴿لتعرضوا عنهم﴾ لتصفحوا عنهم وتتركوا لومهم فقال الله تعالى: ﴿فأعرضوا عنهم﴾ اتركوا كلامهم وسلامهم ﴿إنهم رجس﴾ إن عملهم قبيح من عمل الشيطان ﴿يحلفون لكم﴾ يعني المنافقين ﴿لترضوا عنهم﴾ وذلك أن عبد الله بن أبي حلف ألا يتخلف عن رسول الله ﷺ وطلب أن يرضى عنه وحلف

---

(١) البغوي ٢/ ٣١٩ القرطبي ٨/ ١٤٥ الرازي ١٦/ ١٢٩ أبو حيان ٥/ ٨٦.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/ ٤٢٠ (١٧٠٧٩) وهو عند البخاري في الجهاد باب تمني الشهادة، والبغوي ٢/ ٣١٩ وانظر تفسير ابن كثير ٤/ ١٣٨ والقرطبي ٨/ ١٤٥ الرازي ١٦/ ١٢٩.

ابنِ أبي سرح(١) لعمر بن الخطاب وطلب أن يرضى عنه فقال الله تعالى: ﴿**فإن ترضوا عنهم**﴾ بحلفهم ﴿**فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾ قال ابن عباس(٢): «يريد الذين ألسنتهم مخالفة لما في قلوبهم».

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

قوله: ﴿**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً**﴾ قال ابن عباس(٣) «نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة» أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر ﴿**وأجدر**﴾ [وأولى](٤) ﴿**ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ يعني الحلال والحرام والفرائض ﴿**والله عليم**﴾ بما في قلوب خلقه ﴿**حكيم**﴾ فيما فرض من فرائضه قوله تعالى: ﴿**ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق**﴾ في الجهاد ﴿**مغرماً**﴾ لأنه لا يرجو له ثواباً ﴿**ويتربص بكم الدوائر**﴾ ينتظر أن تنقلب الأمور عليكم بموت أو قتل ﴿**عليهم دائرة السوء**﴾ يدور عليهم البلاء والحزن فلا يرون في محمد ودينه إلا ما يسوؤهم، والسوء بالفتح الرداءة والفساد، وبالضم الضرر والمكروه ﴿**والله سميع**﴾ لقولهم ﴿**عليم**﴾ بنياتهم قوله تعالى: ﴿**ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ قال ابن عباس(٥): «يعني من أسلم من أعراب أسد وجهينة وغفار» ﴿**ويتخذ ما ينفق قربات عند الله**﴾ يتقرب بإنفاقه إلى الله ﴿**وصلوات الرسول**﴾ يعني دعاءه بالخير والبركة قال عطاء(٦): «يرغبون في دعاء النبي ﷺ» ﴿**ألا إنها قربة لهم**﴾ قال ابن عباس(٧): «يريد نور لهم ومكرمة عند الله يعني صلوات الرسول، والقربة: ما يدني من رحمة الله» [وقرأ «نافع» بضم الراء(٨) وهو الأصل ثم خفف كالكتب والرسل ولا يجوز أن يكون الأصل التخفيف ثم يثقل](٩) ﴿**سيدخلهم الله في رحمته**﴾ في جنته ﴿**إن الله غفور**﴾ لذنوبهم ﴿**رحيم**﴾ بأوليائه وأهل طاعته.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**﴾ قال أبو موسى وسعيد بن المسيب وقتادة وابن

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بالمهملة مصغراً ابن حذافة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي القرشي العامري وأدخل بعضهم بين حذافة ومالك نصراً والأول أشهر يكنى أبا يحيى وكان أخا عثمان من الرضاعة وكانت أمه أشعرية. قاله الزبير بن بكار وقال ابن سعد أمه مهابة بنت جابر. انظر الإصابة ٤/٧٦ ـ ٧٧.

(٢) انظر تفسير القرطبي ٨/١٤٧.

(٣) البغوي ٢/٣٢١ البحر المحيط ٥/٩٠.

(٤) سقط في ب.

(٥) البغوي ٢/٣٢١ البحر المحيط ٥/٩٠.

(٦) البغوي ٢/٣٢١ القرطبي ٨/١٤٩ وابن كثير ٤/١٤٢.

(٧) بنحوه عند القرطبي ٨/١٤٩.

(٨) انظر النشر ٢/٢٨٠ إتحاف فضلاء البشر ٢/٩٧، البحر المحيط ٥/٩١ انظر تفسير الرازي ١٦/١٣٣ القرطبي ٨/١٤٩.

(٩) ما بين المعكوفين سقط من الأصل.

سيرين[١]: «هم الذين صلوا إلى القبلتين» وقال عطاء[٢]: «هم الذين شهدوا بدراً» وقال الشعبي[٣]: «هم الذين شهدوا بيعة الرضوان» وقد فسرت الآية على أن المراد بها جميع الصحابة الذين أدركوا رسول الله ﷺ وحصل لهم السبق بإدراكه وصحبته.

وذلك ما أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان نا الوليد بن أبان[٤] نا الفضل بن حماد[٥] نا عبد الله بن صالح حدثني خالد بن حميد[٦] عن أبي صخر حميد بن زياد قال: قلت «لمحمد بن كعب القرظي» يوماً: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما كان من رأيهم، وإنما أريد الفتن فقال: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم قلت: في أي موضع أوجب لهم الجنة في كتابه؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ قوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون﴾ إلى آخر الآية فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه عليهم قلت: وما اشترط عليهم؟ قال: اشترط عليهم أن يتبعوهم بإحسان يقول: يقتدون بأعمالهم الحسنةِ ولا يقتدون بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: فوالله، لكأني لم أقرأها قط، وما عرفت تفسيرها، حتى قرأ علي محمد بن كعب[٧].

أخبرنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص نا إبراهيم بن عبد الله العبسي نا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» رواه مسلم[٨] عن الأشج عن وكيع.

أخبرنا أبو بكر بن الحارث أنا أبو الشيخ الحافظ أنا عبد الله بن محمد بن الحسن نا السري بن يحيى نا شعيب بن إبراهيم[٩] نا سيف بن عمر نا وائل بن داود[١٠] عن يزيد البهي[١١] عن الزبير بن العوام قال: قال رسول الله

---

(١) البغوي ٢/٣٢١ وأخرجه الطبري ١٤/٤٣٦ ـ ٤٣٧ ابن كثير ٢/١٤٢، الرازي ١٦/١٣٤ القرطبي ٨/١٥٠.

(٢) البغوي ٢/٣٢١ انظر تفسير الرازي ١٦/١٣٤ القرطبي ٨/١٥٠.

(٣) البغوي ٢/٣٢١ الطبري ١٤/٤٣٥ ابن كثير ٤/١٤١ الرازي ١٦/١٣٤، انظر تفسير القرطبي ٨/١٥٠.

(٤) الوليد بن أبان بن بونة الحافظ المجود العلامة، أبو العباس الأصبهاني صاحب المسند الكبير والتفسير. مات سنة عشر وثلاث مئة، عن بضع وسبعين سنة. انظر السير(١٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩)الأكمال(١/٣٧١)العبر (٢/١٤٧)النجوم الزاهرة(٣/٢٠٦)الشذرات(٢/٢٦١).

(٥) الفضل بن حماد. حدث عنه علي بن بحر القطان فيه جهالة انظر الميزان (٣/٣٥٠).

(٦) خالد بن حميد المعمري أبو حميد الإسكندراني روى عنه بكر بن عمرو المعافري وخالد بن يزيد الجمحي وأبي عقيل زهرة بن معبد والعلاء بن كثير وعياش بن عقبة الحضرمي وجماعة. قال ابن أبي حاتم لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن يونس مات سنة (١٦٩). انظر التهذيب (٣/٨٣).

(٧) البغوي ٢/٣٢٢ ابن كثير ٤/١٤٢ وأخرجه الطبري ١٤/٤٣٨ (١٧١١٧) وذكره السيوطي في الدر ٣/٢٦٩ وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ عن محمد بن كعب القرظي.

(٨) أخرجه مسلم ٤/١٩٦٧ في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم (٢٥٤٠/٢٢١) وهو عند البخاري ٧/٢٥ في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قوله ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٣٦٧٣ أبو داود ٤٦٥٨ والترمذي ٣٨٦١ ابن ماجه ١٦١ ابن أبي شيبة ١٢/١٧٥.

(٩) أبو صالح شعيب بن إبراهيم تاريخ جرجان ص (٢٣٠).

(١٠) وائل بن داود التيمي أبو بكر الكوفي والد بكر بن وائل. روى عن إبراهيم النخعي وأبي بردة بن أبي موسى وعباية بن رفاعة بن رافع بن خديج وعبد الله البهي وعبد الرحمن بن حبيب مولى بني تميم وعكرمة مولى ابن عباس ومسلم وبن يسار وغيرهم. قال ابن أبي حاتم صالح الحديث. وقال ذكره ابن حبان في الثقات. وقال البزار صالح الحديث وقال الخليلي ثقة. انظر التهذيب (١١/١٠٩ ـ ١١٠).

(١١) بفتح الباء الموحدة وفي آخرها الهاء هذه النسبة لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عطية بن زياد بن مزيد بن بلال بن =

ﷺ: «اللهم إنك باركت لأمتي في صحابتي فلا تسلبهم البركة، وباركت لأصحابي في أبي بكر، فلا تسلبه البركة، واجمعهم عليه ولا تنشر أمره، فإنه لم يزل يؤثر أمرك على أمره اللهم وأعز عمر بن الخطاب، وصبر عثمان، ووفق علياً، واغفر لطلحة، وثبت الزبير، وسلم سعداً، ووفق عبد الرحمن بن عوف، وألحق بي السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان»[1].

وقوله: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ قال ابن عباس[2]: «والذين اتبعوهم على دينهم من أهل الإيمان إلى أن تقوم الساعة» وقال عطاء[3]: «يريد يذكرون المهاجرين والأنصار بالجنة والرحمة والدعاء لهم ويذكرون محاسنهم» ﴿رضي الله عنهم﴾ أعمالهم ﴿ورضوا﴾ ثواب الله، قال الزجاج[4]: «رضي أفعالهم ورضوا ما جازاهم به».

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

قوله: ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾ يعني مزينة[5]، وجهينة، وأسلم [6]، وغفاراً ﴿ومن أهل المدينة﴾ من الأوس والخزرج منافقون ﴿مردوا على النفاق﴾ يقال مرد يمرد مرداً فهو مارد ومريد إذا أعتى وطغى وقال الفراء[7]: «يريد مرنوا عليه» وقال محمد بن إسحاق: «لجوا فيه وأبوا غيره» وقال ابن زيد [8]: «أقاموا عليه ولم يتوبوا» ﴿لا تعلمهم﴾ أنت يا محمد ﴿نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين﴾ قال السدي والكلبي [9]: أول العذاب أنه أخرجهم من المسجد وذلك أن رسول الله ﷺ قام خطيباً يوم الجمعة، فقال: «يا فلان اخرج فإنك منافق، فأخرج من المسجد ناساً وفضحهم «والعذاب الثاني عذاب القبر» وقال مجاهد[10]: «بالقتل والسبي وعذاب القبر» وروى خصيف[11] عنه قال: «عذبوا بالجزع مرتين»، ﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ قال: عذاب جهنم.

وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟

= عبد الله الأسدي البهي. انظر الأنساب ١/٤٣٣.

(١) إسناده فيه ظلمات ففيه عبد الله بن محمد المعروف بالفيل قال الذهبي لا يفرح به وقال الحافظ ابن حجر وهذا الشيخ لا وجود له فيما أظن الميزان (٢/٤٩٤) لسان الميزان ٣/٣٤٢ وفيه سيف بن عمر التميمي تركه أبو حاتم انظر الميزان ٢/٢٥٥ المجروحين ١/٢٤٥ التقريب ١/٣٤٤ الكشف الحثيث ٢٠٤ أخرجه الخطيب في التاريخ ٥/٤٧٠ وابن الجوزي في الموضوعات ٢/٣٠ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٦٣ والسيوطي في اللآلىء ١/٢٢٣. والحديث أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/٩ (١٧). وقال فيه مجاهيل وضعفاء وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة (٤١٠) وقال موضوع ويا ليت الواحدي نزه كتابه عن مثل هذا.

(٢) البغوي ٢/٣٢٢ الرازي ١٦/١٣٧.

(٣) البغوي ٢/٣٢٢.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦٦.

(٥) بطن من طابخة من العدنانية.

(٦) حي من عرب جذام من القحطانية.

(٧) انظر معاني القرآن للفراء ١/٤٥٠ انظر البحر المحيط ٥/٩٣ ابن كثير ٢/١٤٢.

(٨) البغوي ٢/٣٢٣ أبو حيان ٥/٩٣.

(٩) البغوي ٢/٣٢٣ والطبري ١٤/٤٤١ ـ ٤٤٢ وابن كثير ٣/١٤٣ الرازي ١٦/١٣٨.

(١٠) البغوي ٢/٣٢٣ الطبري ١٤/٤٤٢ ابن كثير ٤/١٤٤ القرطبي ٨/١٥٣.

(١١) الرازي ١٦/١٣٨. البغوي (٢/٣٢٣).

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله ﴿وءاخرون﴾ أي: ومن أهل المدينة آخرون ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ أقروا بها عن معرفة نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ثم ندموا على ذلك وتذمموا، وقوله: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وءاخر سيئاً﴾ يعني غزوهم مع النبي ﷺ وتقاعدهم عن غزوة تبوك ﴿عسى الله﴾ واجب من الله ﴿أن يتوب عليهم﴾ قال أبو عثمان النهدي[(١)]: «ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية».

أخبرنا عمرو بن أبي عمرو أنا أبو الهيثم المروزي أنا محمد بن يوسف أنـا محمد بن إسماعيل البخاري نا مؤمل بن هشام[(٢)] نا إسماعيل بن إبراهيم نا عوف نا أبو رجاء نا سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ أتاني الليلة آتيان، فابتعثاني فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجل شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قال لهم: إذهبوا فقعـوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا، فذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: إن هذه جنة عدن، وهذا منزلك، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم»[(٣)].

قوله: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ قال المفسرون: «لما عذر رسول الله ﷺ هؤلاء، قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا، وطهرنا واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً» فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم»[(٤)]، قال الحسن[(٥)]: «هذه الصدقة هي كفارة الذنوب التي أصابوها وليست بالزكاة المفروضة» وقال عكرمة[(٦)]: «هي صدقة الفرض» وقـوله ﴿تـطهرهم﴾ قـال ابن عباس[(٧)]: «تطهرهم من الذنوب» ﴿وتزكيهم بها﴾ ترفعهم بهذه الصدقة، من منازل المنافقين إلى منازل المخلصين ﴿وصل عليهم﴾ أي ادع لهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ إن دعواتك مما تسكن نفوسهم إليه، وقال الكلبي[(٨)]: «طمأنينة لهم إن الله قد قبل منهم» ﴿والله سميع﴾ لقولهم ﴿عليم﴾ بندامتهم.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيـى أنا أبو عمرو محمد بن جعفر مطر أنا أبو خليفـة الجمحي نا الحوضي عن شعبة عن عمرو بن مرة عن ابن أبي أوفى قال: كان أبي من أصحاب الشجرة وكان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صل على آل فلان» فأتاه أبي بصدقته، فقال: «اللهم صل على آل أبي أوفى» رواه البخاري[(٩)] عن الحوضي، ورواه مسلم[(١٠)] عن وكيع كلاهما عن شعبة.

---

(١) أبو حيان في البحر (٥/ ٩٥).

(٢) مؤمل بن هشام اليشكري البصري. عن ابن علية وأبي معاوية وطائفة. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين. انظر الخلاصة ٣/ ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير سورة التوبة ٨/ ١٩٢ باب (١٥) (٤٦٧٤)، وأحمد في المسند ٥/ ٨ وانظر الدر ٣/ ٢٧٤.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/ ٤٥٤ والبغوي في التفسير ٢/ ٣٢٣.

(٥) الرازي ١٦/ ١٤٠ البغوي ٢/ ٣٢٥.

(٦) البغوي ٢/ ٣٢٥ وانظر تفسير البحر المحيط ٥/ ٩٥ القرطبي ٨/ ١٥٥.

(٧) البغوي ٢/ ٣٢٤.

(٨) البغوي ٢/ ٣٢٤.

(٩) أخرجه البخاري ١١/ ١٧٣ في كتاب الدعوات باب هل يصلى على غير النبي ﷺ ٦٣٥٩.

(١٠) أخرجه مسلم ١/ ٧٥٦ في الزكاة باب الدعاء لمن أتى بصدقته (١٠٨٧/١٧٦) وهو عند أبي داود ٢/ ١٠٦ في كتاب الزكاة باب الدعاء لمن أتى بصدقته والنسائي ٥/ ٣١ في الزكاة باب صلاة الإمام على صاحب الصدقة وابن ماجه ١/ ٥٧٢ في كتاب الزكاة باب ما يقال عند إخراج الزكاة (١٧٥٦) والبيهقي ٢/ ١٥٢.

ولما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا، لا يكلمون ولا يجالسون، فما لهم؟ فأنزل الله تعالى: **﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾** يقبلها **﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾** يرجع إلى من رجع إليه بالرحمة والمغفرة.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي نا محمد بن يعقوب بن يوسف أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن ابن عجلان عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقةٍ من كَسْبٍ طيب ولا يقبل الله إلا طيباً إلا كأنما يضعها في يد الرحمن، فيربيها له كما يربي أحدكم فلُوَّه[١] حتى إن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها كمثل الجبل العظيم» ثم قرأ: **﴿إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات﴾**[٢] قوله: **﴿وقل اعملوا﴾** قال عطاء عن ابن عباس[٣]: «يريد يا معشر عبادي المحسن والمسيء»، **﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾** يريد إن الله يطلع المؤمنين على ما في قلوب إخوانهم من الخير والشر إن كان خيراً أوقع في قلوبهم لهم المحبة وإن كان شراً أوقع في قلوبهم لهم البغضة، وقد قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله إلى الناس كائناً ما كان»[٤] وقوله **﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾** قال ابن عباس[٥] رضي الله عنه: «يقفكم على أعمالكم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء».

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾

قوله: **﴿وءاخرون مرجون لأمر الله﴾** نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع[٦] وهلال بن أمية[٧]، كانوا مياسير تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من غير عذر ثم لم يبالغوا في الاعتذار، كما فعل غيرهم، فوقف رسول الله ﷺ أمرهم ونهى الناس عن مكالمتهم ومخالطتهم حتى نزل قوله: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾**[٨] الآية، وسنذكر قصتهم هناك، ومعنى: **﴿مرجون لأمر الله﴾** مؤخرون ليقضي الله فيهم ما هو قاض، وهو قوله: **﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾** قال الزجاج[٩]: «إما: لأحد الشيئين والله عز وجل عالم بما يصير إليه أمرهم إلا أنه خاطب العباد بما يعلمون» والمعنى: ليكن أمرهم، عندكم على الخوف والرجاء فقال ناس: إنهم هلكوا، إذ لم ينزل لهم عذر، وقال آخرون: عسى الله أن يغفر لهم، قوله: **﴿والله عليم﴾** أي بما يؤول إليه حالهم **﴿حكيم﴾** فيما يفعله بهم.

---

(١) الفلو الجحش أو المُهْرُ يفطم أو يبلغ السَّنة ويقال للأنثى فلوة انظر اللسان ٥/٣٤٦٩ (فلا) المعجم الوسيط ٢/٧٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣/٣٢٦ في كتاب الزكاة لا يقبل الله صدقة من غلول ١٤١٠ ٧٤٣٠ وأخرجه مسلم ٢/٧٠٢ في كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ٦٣ ـ ٦٤/١٠١٤.

(٣) بنحوه عند القرطبي ٨/١٦٠.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٨ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣١٤ وذكره السيوطي في الدر ١/٧٨ والحديث في المشكاة (٥٣٣٥).

(٥) بنحوه عند الرازي ١٦/١٥١.

(٦) مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف. ويقال إن أصله من قضاعة حالف بني عمرو بن عوف صحابي مشهور شهد بدرا على الصحيح. انظر الإصابة (٦/٧٦).

(٧) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاري الواقفي. شهد بدرا وما بعدها. انظر الإصابة (٦/٢٨٩).

(٨) البغوي ٢/٣٢٥ ابن كثير ٤/١٤٨.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦٨ الرازي ١٦/١٥٣.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)﴾

وقوله: **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾** قال المفسرون[١]: هؤلاء كانوا اثني عشر رجلاً من المنافقين بنوا مسجداً يضارون به مسجد قباء منهم وديعة بن ثابت وخزام بن خالد وجارية بن عامر ونبتل بن الحارث وزيد بن جارية وعثمان بن حنيف وجارية بن عامر مجمع بن جارية وبجاد بن عثمان والضرار: محاولة الضر قال الزجاج[٢]: «وانتصب ضراراً لأنه مفعول له والمعنى: اتخذوه للضرار» قال ابن عباس[٣]: «ضراراً للمؤمنين وكفراً بالنبي ﷺ وبما جاء به» وذلك أنهم اتخذوا ذلك المسجد ليكفروا فيه بالطعن على النبي ﷺ والإسلام **﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾** يفرقون به جماعتهم لأنهم كانوا يصلون جميعاً في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الافتراق واختلاف الكلمة، وقوله: **﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله﴾** يعني أبا عامر الراهب وكان قد خرج إلى الشام ليأتي بجند من عند قيصر ليحارب رسول الله ﷺ وأرسل إلى المنافقين أن ابنوا لي مسجداً فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد قال الزجاج[٤]: «والإرصاد الانتظار» وقوله: **﴿من قبل﴾** يعني من قبل بناء مسجد الضرار **﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾** يحلف المنافقون ما أردنا ببنيانه إلا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على أهل الضعف والعلة والعجز عن السير إلى مسجد رسول الله ﷺ وذلك أنهم قالوا: إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، والليلة الشاتية **﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾** فيما قالوا وحلفوا ولما فرغوا من بناء المسجد قالوا للنبي ﷺ نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه، فدعا رسول الله ﷺ بقميصه ليأتيهم، فأنزل الله تعالى: **﴿لا تقم فيه أبداً﴾**، قال ابن عباس: «لا تصل فيه أبداً»[٥] ثم بين أي المسجدين أحق بالقيام فيه، فقال: **﴿لمسجد أسس على التقوى﴾** بني على الطاعة وبناه المتقون **﴿أحق أن تقوم فيه﴾** وهو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة في قول ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري، وروي ذلك عن النبي ﷺ[٦]، وقال ابن عباس في رواية الوالبي[٧]: «هو مسجد قباء» وهو قول قتادة وسعيد بن

---

(١) البغوي ٢/٣٢٦ القرطبي ٨/١٦١ الرازي ١٦/١٥٣ البحر المحيط ٥/٩٨ ابن كثير ٤/١٥٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦٨.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢/٣٢٦ الرازي ١٦/١٥٣.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٤٦٨ الرازي ١٦/١٥٤ القرطبي ٨/١٦٤.

(٥) البغوي ٢/٣٢٧ القرطبي ٨/١٦٤ ابن كثير ٤/١٥٠.

(٦) أخرجه مسلم ٢/١٠١٥ في كتاب الحج: باب بيان أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجده ﷺ ٥١٤/١٣٩٨. وأخرجه الترمذي ٢/١٤٤ في كتاب الصلاة باب ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى ٣٢٣ وأحمد في المسند ٣/٢٣، ٨٩، ٥/١١٦.

(٧) البغوي ٢/٣٢٨ القرطبي ٨/١٦٥ الرازي ١٦/١٥٥ البحر المحيط ٥/٩٩ ابن كثير ٤/١٥٠ انظر الدر المنثور ٣/٢٧٧.

المسيب، وقوله: ﴿فيه رجال﴾ يعني من الأنصار ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ قال جميع المفسرين[١]: «يعني غسل الأدبار بالماء» أخبرنا أبو منصور المنصوري أنا علي بن عمر الحافظ أنا أحمد بن محمد بن أبي شيبة[٢] نا محمد بن مسعدة نا محمد بن شعيب أخبرني عتبة ابن أبي حكيم عن طلحة بن نافع أنه حدثه قال: حدثني أبو أيوب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ قال رسول الله ﷺ «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم هذا؟ قالوا: يا رسول الله نتوضأ ونغتسل من الجنابة، فقال رسول الله ﷺ فهل مع ذلك غيره؟ قالوا: لا غير أن أحدنا إذا خرج من الغائط، أحب أن يستنجي بالماء، وقال: هو ذاك فعليكموه»[٣].

قوله: ﴿والله يحب المطهرين﴾ أي من الشرك والأنجاس، والأقذار والنفاق، وقوله: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ البنيان مصدر يراد به المبنى ها هنا، والتأسيس إحكام أسس البناء، وهو أصله. وقرأ «نافع» (أسس)[٤] بضم الألف (بنيانه) رفعاً، وهذا في المعنى الأول لأنه إذا أسس بنيانه، فتولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه، والمعنى: المؤسس بنيانه متقياً يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه ﴿خير﴾؟ أم المؤسس بنيانه غير متق؟ وهو قوله: ﴿أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ وشفا الشيء حرفه، والجرف ما يجرفه السيل من الأودية وهو جانبها الذي ينحفر بالماء أصله فيبقى واهياً، وهار مقلوب من هاير يقال: هار الجرف يهور إذا انشق من خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فهو هاير، ثم يقلب فيقال: هار، قال «الزجاج»[٥]: «المعنى: أن من أسس بنيانه على التقوى خير ممن أسس بنيانه على الكفر» يعني: أن بناء هذا المسجد الذي بني ضراراً كبناء على حرف جهنم يتهور بأهله فيها، وهو قوله: ﴿فانهار به﴾ أي بالباني ﴿في نار جهنم﴾ قال ابن عباس[٦]: «يريد صيرهم النفاق إلى النار» وقوله: ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ قال الضحاك[٧]: «يقول: لا يزالون في شك منه إلى الموت» والمعنى: أنهم لا يزالون شاكين مترددين في الحيرة يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين إلى الممات وهو قوله: ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ أي: حتى تقطع

---

(١) انظر تفسير الطبري ٤٨٧/١٤ ابن كثير ١٥١/٤ البغوي ٣٢٨/٢، البحر المحيط ٩٩/٥ القرطبي ١٦٥/٨ الرازي ١٥٦/١٦ انظر الدر المنثور ٢٧٨/٣.

(٢) أحمد بن محمد بن شبيب بن زياد أبو بكر البزاز يعرف بابن أبي شيبة وربما قيل ابن شيبة. سمع محمد بن بكر بن خالد القصير وعمرو بن علي الفلاس وعبد الله بن هاشم الطوسي ورجاء بن مرجي المروزي ومحمد بن عمرو بن حنان ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه وأحمد بن الحارث الخراز ـ صاحب المدايني ـ والحسن بن عبد العزيز الجروي. روى عنه أبو بكر الشافعي ومحمد بن الخضر بن أبي خزام وأبو عمر بن عمر بن حيويه وأبو بكر بن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وغيرهم. تاريخ بغداد (٣١/٥ ـ ٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود ١١/١ في كتاب الطهارة باب في الاستنجاء بالماء ٤٤ ـ والترمذي ٢٦٢/٥ في كتاب التفسير سورة التوبة باب ٣١٠٠ وابن ماجه ١٢٧/١ في كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالماء ٣٥٥ وقال الشهاب البوصيري في الزوائد ١٥٠/١ هذا إسناد ضعيف عتبة بن أبي الحكم ضعيف وطلحة لم يدرك أبا أيوب وأخرجه أحمد في المسند ٤٢٢/٣ والدارقطني ٦٢/١ البيهقي ١٠٥/١ وزاد نسبته السيوطي في الدر ٢٧٨/٣ لأبي الشيخ عن أبي هريرة وعزاه من طريق آخر لأحمد وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويمر بن ساعدة ومن طريق المصنف عزاه السيوطي في المصدر السابق لابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الحكم والدارقطني والحاكم وابن مردويه وابن عساكر.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨١/٢ إتحاف فضلاء البشر ٩٨/٢ البحر المحيط ١٠٠/٥ الرازي ١٥٦/١٦.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٦٩/٢.

(٦) البغوي ٣٢٨/٢.

(٧) بنحوه عند البغوي ٣٢٩/٢ القرطبي ١٦٩/٨ أبو حيان ١٠١/٥ ابن كثير ١٥٤/٣ وانظر الدر المنثور ٢٧٩/٢.

وتفتت قلوبهم بالموت، وقرأ حمزة تَقطع بفتح التاء[1] بمعنى تتقطع، وهذا يدل على أنهم يموتون على النفاق، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا به من الكفر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله تعالى: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾** الآية، قال القرظي[2]: «لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: «أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، ولنفسي أن تمنعوني ما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة» قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية ومعنى هذا أن المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل فتذهب روحه أو أنفق ماله في سبيل الله، أخذ من الله في الآخرة الجنة جزاءً لما فعل فجعل هذا اشتراء، هذا معنى قوله: **﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾** قال ابن عباس[3]: «يريد بالجنة» قال «الحسن»[4]: «اسعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن» وقال قتادة[5]: ثامنهم فأغلى ثمنهم، وقوله: **﴿فَيَقتُلون ويُقْتَلون﴾** قال ابن عباس[6]: «يقتلون أعدائي ويقتلون في طاعتي» وقرأ حمزة[7] **﴿فيُقْتَلون وَيقتلون﴾** وهذا كالذي تقدم لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم، وقوله: **﴿وعداً عليه حقاً في التوراةِ والإنجيل والقرآن﴾** يعني: أن الله وعدهم هذا الوعد وبين ذلك في هذه الكتب التي أنزلها، ثم قال: **﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾** أي: لا أحد أوفى بما وعد من الله **﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾** فافرحوا بهذا البيع أيها المؤمنون وهو أنكم إذا بذلتم أنفسكم وأموالكم في الجهاد أخذتم من الله الجنة **﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾** قوله: **﴿التائبون﴾** قال الفراء[8]: استؤنفت بالرفع، لتمام الآية قبلها وانقطاع الكلام فحسن الاستئناف «وقال الزجاج[9]: «الذي عندي أن قوله: التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون إلى آخر الآية لهم الجنة

---

(١) انظر النشر ١/٢٨١ إتحاف فضلاء البشر ٢/٩٩ البحر المحيط ٥/١٠١ القرطبي ٨/١٦٩ الرازي ١٦/١٥٧.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٤/٤٩٩ (١٧٢٧٠) أخرجه أحمد في المسند ٣/٢٢٢ والحاكم في المستدرك ٢/٦٢٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٩، والبغوي ٢/٣٢٩ الدر المنثور ٣/٢٨٠ القرطبي ٨/١٦٩ الرازي ١٦/١٥٨.

(٣) انظر تفسير البغوي ٢/٣٢٩.

(٤) البغوي ٢/٣٢٩.

(٥) البغوي ٢/٣٢٩ ابن كثير ٤/١٥٥ الرازي ١٦/١٥٨.

(٦) البغوي ٣/٣٢٩.

(٧) انظر النشر ٢/٢٤٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/٩٩ البغوي ٢/٣٢٩ البحر المحيط ٥/١٠٢.

(٨) البغوي ٢/٣٣٠.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٢/٤٧١ البغوي ٢/٣٣٠ الرازي ١٦/١٦٠.

أيضاً أي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد، فله الجنة أيضاً» وهذا الذي قاله الزجاج حسن: لأنه وعد لجميع المؤمنين بالجنة خاصاً للمجاهدين الموصوفين [بهذه الصفات، قال ابن عباس[١]: «التائبون][٢] الراجعون عن الشرك»[٣] وقال قتادة: «التائبون من الشرك ثم لم ينافقوا في الإسلام» ﴿العابدون﴾ الذي يرون عبادة الله تعالى واجبة عليهم ﴿الحامدون﴾ الله على كل حال ﴿السائحون﴾ قال عامة «المفسرين»[٤] الصائمون قال الوالبي عن ابن عباس[٥]: «كل ما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام» وقال النبي ﷺ: «سياحة أمتي الصيام»[٦] قال الحسن[٧]: «هذا صوم الفرض» ﴿الراكعون الساجدون﴾ قال ابن عباس[٨]: «الذين يصلون لله بنية صادقة ﴿الآمرون بالمعروف﴾ بالإسلام وفرائض الله وحدوده ﴿والناهون عن المنكر﴾ عن ترك حدود الله وفرائضه ﴿والحافظون لحدود الله﴾ قال الزجاج[٩]: «القائمون بأمر الله».

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا﴾ الآية.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الفارسي أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن خميرويه أنا أبو الحسن علي بن محمد الخزاعي نا أبو اليمان أخبرني شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه[١٠] قال: لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى

---

(١) البغوي ٢/٣٣٠ البحر المحيط ٥/١٠٤ الرازي ١٦/١٦١ انظر الدر المنثور ٣/٢٨١.

(٢) سقط في أ.

(٣) البغوي ٢/٣٣٠ البحر المحيط ٥/١٠٤ الرازي ١٦/١٦١ انظر الدر المنثور ٣/٢٨١.

(٤) البغوي ٢/٣٣٠ الطبري ١٤/٥٠٤ أبو حيان ٥/١٠٤ ابن كثير ٤/١٥٦، الرازي ١٦/١٦١.

(٥) الطبري ١٤/٥٠٤ (١٧٣٠١) وابن كثير ٤/٥٦ الرازي ١٢٦/١٦١ ذكر السيوطي في الدر ٢/٢٨١ وعزاه لابن جرير وابن المنذر. الدر المنثور ٣/٢٨١.

(٦) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٧/٣٤ وقال الهيثمي فيه عاصم بن بهدلة وثقه جماعة وضعفه آخرون وبقية رجاله رجال الصحيح وأخرجه الطبري ١٤/٥٠٥ ـ ٥٠٦ (١٧٣١٣) وذكره السيوطي في الدر عن عائشة وعزاه لابن جرير.

(٧) ذكره السيوطي في الدر ٣/٢٨١ بنحوه وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وبلفظه عند الرازي ١٦/١٦١.

(٨) البغوي ٢/٣٣٠.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٢/٢٤٧ البغوي ٢/٣٣٠.

(١٠) المسيب بن حزن بإسكان الزاي ابن أبي وهب عمرو بن عائذ بمعجمة ابن عمران بن مخزوم المخزومي. له سبعة أحاديث اتفقا على حديثين وعنه ابنه سعيد الخلاصة (٣/٣١).

قال آخر شيء كلمهم به: أنا على ملة عبد المطلب، فقال النبي ﷺ لأستغفرن عنك ما لم أُنْهَ عنك، فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ رواه البخاري[1] عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق ورواه مسلم[2] عن حرملة عن ابن وهب عن يونس كلاهما عن الزهري.

أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الصيدلاني[3] أنا محمد بن عبد الله بن نعيم الحافظ نا محمد بن يعقوب نا بحر بن نصر نا ابن وهب نا ابن جريج عن أيوب بن هانيء عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود قال خرج رسول الله ﷺ ينظر في المقابر وخرجنا معه، فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم ارتفع نحيب رسول الله ﷺ باكياً فبكينا لبكاء رسول الله ﷺ ثم إنه أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ فقد أبكانا وأفزعنا فجاء فجلس إلينا فقال: أفزعكم بكائي؟ فقلنا: نعم يا رسول الله فقال: إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبرآمنة بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي وإني استأذنت ربي في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾حتى ختم الآية والتي بعدها فأخذني ما أخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني»[4].

ومعنى قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ من بعد ما بان لهم أنهم ماتوا كافرين ثم أعلم الله تعالى كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه فقال: ﴿وما كان استغار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ قال عطاء عن ابن عباس[5]: «كان أبو إبراهيم وعد إبراهيم أن يؤمن بالله، ويخلع الأنداد فلما مات على الكفر تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله فترك الدعاء له» وعلى هذا القول الكناية في إياه تعود إلى إبراهيم والواعد أبوه ويجوز أن يعود إلى أب إبراهيم ويكون الواعد إبراهيم وذلك أنه وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه وأن ينقل الله أباه باستغفاره له من الكفر إلى الإسلام فلما مات مشركاً ويئس من مراجعته الحق تبرأ منه وقطع الاستغفار له، والدليل على صحة هذا: قراءة الحسن[6] وعدها أباه بالباء وهذا الوعد من إبراهيم ظاهر في قوله تعالى: ﴿سأستغفر لك ربي﴾ وقوله: ﴿إن إبراهيم لأواه﴾ قال ابن عباس[7]: «الأواه الكثير الدعاء والبكاء»قال الفراء[8]: «هو الذي يتأوه من الذنوب، يقال: تأوه الرجل تأوها وأوه تأويها إذا قال آه للتوجع»، [ومنه قول المثقب العبدي[9]:

---

(١) أخرجه البخاري ٧/٢٣٣ في كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب ٣٨٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١/٥٤ في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ٣٩/٢٤.

(٣) بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنتين وفتح الدال المهملة وبعدها اللام ألف والنون. هذه النسبة لمن يبيع الأدوية والعقاقير. انظر الأنساب ٣/٥٧٣.

(٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث بريدة ٥/٣٥٥ ـ ٣٥٦ ـ ٣٥٩، وقال الهيثمي في المجمع ١/١١٦ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وأخرجه الطبري في التفسير ١٤/٥١١.

(٥) البغوي ٢/٣٣١ القرطبي ٨/١٧٤.

(٦) قراءة الحسن وحماد الراوية وابن السميفع وأبي نهيك ومعاذ القاري انظر البحر المحيط ٤/ ١٠٥ وهي قراءة شاذة.

(٧) البغوي ٢/٣٣٢ البحر المحيط ٥/١٠٦ القرطبي ٨/١٧٤، الرازي ١٦/١٦٧ ابن كثير ٤/١٦٣ وانظر تفسير الطبري ١٤/٥٢٣، ٥٢٤.

(٨) القرطبي ٨/١٧٥ البغوي ٢/٣٣٢.

(٩) العائذ بن محصن بن ثعلبة من بني عبد القيس من ربيعة: شاعر جاهلي من أهل البحرين. اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح. ومدح النعمان بن المنذر. وشعره جيد فيه حكمة ورقة. وقيل: اسمه محصن بن ثعلبة. انظر الأعلام ٣/٢٣٩.

إذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهةَ الرَّجُلِ الْحَزِين[1]][2]

وقوله ﴿حليم﴾ قال ابن عباس[3]: «لم يعاقب أحداً إلا في الله، ولم يقتص[4] من أحد إلا لله»، قوله: ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم﴾ أي ما كان الله ليوقع الضلالة في قلوبهم بعد الهدى حتى يبين لهم ما يتقون، فلا يتقونه وذلك أنه لما حرم الاستغفار للمشركين على المؤمنين، بين أنه لم يكن الله ليأخذهم به قبل أن يبين تحريمه فإذا لم يحرموه عند ذلك يستحقون الإضلال وما بعد هذا ظاهر إلى قوله:

لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

﴿لقد تاب الله على النبي﴾ يعني من إذنه للمنافقين في التخلف وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿عفا الله عنك﴾وقوله ﴿والمهاجرين والأنصار﴾ يعني من هم منهم بالتخلف عن النبي ﷺ ﴿الذين اتبعوه﴾ ساروا معه إلى تبوك ﴿في ساعة العسرة﴾ يعني عسرة الظهر وعسرة الماء وعسرة الزاد، كان العشرة يخرجون على بعير يتعقبونه وربما مص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها بينهم، وكانوا يعصرون الفرث ويشربونه من العطش، وقوله: ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ يميل بعضهم إلى التخلف والعصيان قال الكلبي[5]: «همّ ناس من المسلمين بالتخلف ثم لحقوه» وقال الزجاج[6]: «من بعد ما كادوا ينصرفون عن غزوتهم للشدة، ليس أنه زائغ عن الإيمان» وقرأ حمزة: (يزيغ) [7] بالياء قال الفراء [8]: «الفعل المسند إلى المؤنث إذا تقدم عليه جاز تذكيره وتأنيثه فذكر يزيغ كما ذكر كاد لتشابه الفعلين» وقوله: ﴿ثم تاب عليهم﴾ كرر ذكر التوبة لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم فقدم الله تعالى ذكر التوبة فضلاً منه ثم ذكر ذنبهم ثم أعاد ذكر التوبة، وقوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال ابن عباس ومجاهد[9]: «خلفوا عن التوبة عليهم»، وهؤلاء هم المعنيون بقوله: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾[10].

أخبرنا أحمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن أحمد نا محمد بن حماد نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر في قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال[11]: هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية كلهم من الأنصار.

---

(١) انظر البيت في الديوان (١٩٤).
(٢) ما بين المعقوفين سقط في أ، ب.
(٣) القرطبي ٥/١٧٥.
(٤) في أ، ج (ولم ينتصر).
(٥) القرطبي ٨/١٧٨ البغوي ٢/٣٣٤.
(٦) انظر معاني القرآن ٢/٤٧٤ والبغوي ٢/٣٣٤.
(٧) انظر النشر ٢/٢٨١. الرازي (١٦/١٧١) البحر المحيط ٥/١٠٩ القرطبي ٨/١٧٨.
(٨) انظر البحر المحيط ٥/١٠٩ القرطبي ٨/١٧٨.
(٩) البغوي ٢/٣٣٤ الرازي ٢٦/١٧٣.
(١٠) سورة التوبة ١٠٦.
(١١) البغوي ٢/٣٣٤ الطبري ١٤/٥٤٤ (١٧٤٣٣، ١٧٤٣٤) وابن كثير ٥/١٦٩ الرازي ١٦/١٧٣ القرطبي ٨/١٧٩.

وأما قصة توبة الله على هؤلاء فهي ما أخبرنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي أنا أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى[1] نا الفضل بن محمد بن المسيب البيهقي نا أبو عبد الله أحمد بن حنبل نا يعقوب[2] نا ابن أخ الزهري[3] عن عمه، وأخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق المزكي نا عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي[4] نا يوسف يعقوب القاضي نا محمد بن أبي ذر المقدمي[5] نا عبد الغفار بن عبيد الله[6] نا صالح بن أبي الأخضر[7] عن الزهري، وأخبرنا الحسن بن محمد الفارسي واللفظ له، أنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل التاجر أنا أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أنا محمد بن يحيى نا عبد الرازق أنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه [قال محمد بن يحيى: وحدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني، نا موسى بن أعين نا إسحاق بن راشد أن الزهري حدثه، قال: «أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك[8] عن أبيه قال: سمعت ابن أبي كعب بن مالك يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدراً، ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلف عن بدر، وإنما خرج يريد العير فخرجت قريش مغيثين لعيرهم فالتقوا على غير موعد كما قال الله تعالى[9]، وما أحب أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث تواثقنا على

---

(١) الإمام رئيس نيسابور أبو بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري أحد البلغاء والفصحاء. سمع الفضل بن محمد الشعراني والحسين بن الفضل وعدة. وبنى داراً للمحدثين وأدر عليهم الأرزاق. وكان أبو علي الحافظ يقرأ عليه تاريخ أحمد بن حنبل. مات ليلة عيد الفطر سنة خمسين وثلاث مئة وله تسع وثمانون سنة. انظر السير (١٦/٢٣ - ٢٤).

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني نزيل بغداد. روى عن أبيه وشعبة وابن أخي الزهري والليث وأبي أويس وعبد العزيز بن المطلب وعبد الملك بن الربيع بن سبرة وعاصم بن محمد بن زيد العمري وسيف بن عمر الضبي وشريك القاضي وعبيدة بن أبي رائطة. وعنه ابن أخيه عبيد الله بن سعد بن إبراهيم وأحمد وعلي وإسحاق وابن معين وطائفة وثقه ابن معين. التهذيب (١١/ ٣٨٠).

(٣) محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أبو عبد الله المدني ابن أخي الزهري. روى عن أبيه وعمه وصالح بن عبد الله بن أبي فروة وعدة. روى عنه محمد بن إسحاق وهو أكبر منه وعبد الرحمن بن إسحاق المدني ومات قبله وإبراهيم بن سعد وأمية بن خالد الأزدي وأبو أويس المدني وخلق وضعفه ابن معين التهذيب (٩/٢٧٨).

(٤) المحدث أبو عمرو عبد الملك بن الحسن بن يوسف السقطي المعدل ببغداد انتخب عليه الدارقطني. سمع الكجّي وأحمد بن يحيى الحلواني ويوسف القاضي. وعنه: محمد بن أسد شيخ الكتابة وأبو علي بن شاذان وأبو نعيم. مات سنة اثنتين وستين وثلاث مئة. انظر السير (١٦/١٦٧ - ١٦٨) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٠).

(٥) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة وفي آخرها الميم هذه النسبة إلى الجد: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي مولى ثقيف ابن أخي محمد بن علي المقدمي، يروي عن حماد بن زيد والبصريين. روى عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلى أحمد بن علي الموصلي وغيرهما، مات في أول سنة أربع وثلاثين ومائتين انظر الأنساب (٥/ ٣٦٤)

(٦) عبد الغفار بن عبيد الله الكوثري. روى عن ابن وارة وأبي حاتم وقد لقي شعبة. عن صالح بن أبي الأخضر. وقال البخاري: ليس بقائم الحديث. انظر الميزان (٢/ ٦٤٠).

(٧) صالح بن أبي الأخضر اليمامي مولى هشام بن عبد الملك نزل البصرة روى عن نافع وابن المنكدر والزهري وأبي عبيد حاجب سليمان بن عبد الملك وغيرهم وعنه حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع وابن المبارك وعلي بن غراب والنضر بن شميل وخالد بن الحارث وعكرمة بن عمار ومحمد بن عبد الله الأنصاري ومسلم بن إبراهيم وغيرهم وحدث عنه ابن جريج وهو أكبر منه قال ابن معين: ليس بالقوي وقال مرة ضعيف. قال العجلي: يكتب حديثه وليس بالقوي وقال الجوزجاني اتهم في أحاديثه. انظر التهذيب (٤/ ٣٨٠ - ٣٨١).

(٨) سقط في ب.

(٩) في سورة الأنفال الآية الثانية والأربعين (ولو تواعدتم لاختلفتم. . . . .).

الإسلام ثم لم أتخلف عن النبي ﷺ بعد في غزوة غزاها، حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها وآذن النبي ﷺ الناس بالرحيل، وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طاب الظلال وطابت الثمار، وقل ما أراد غزواً، إلا وارى خبرها ويقول «الحرب خُدْعَةٌ» ـ وقال عبد الرزاق إلا ورى بغيرها ـ فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبتهم، وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ، وأنا في ذلك أصغـو إلى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام النبي ﷺ غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غادياً قلت: أنطلق غداً إلى السوق فأشتري جهازي ثم الحق بهم فانطلقت إلى السوق من الغد فعسر علي بعض شأني، فرجعت فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم فعسر على بعض شأني أيضاً فلم أزل كذلك، حتى التبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله ﷺ وجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أنني لا أرى أحداً إلا رجلاً مغموضاً عليه في النفاق وكأن ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيغفر له، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن النبي ﷺ بضعاً وثمانين رجلاً، ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوك فلما بلغ تبوك قال: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من قومي: خلفه يا نبي الله برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبـل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما نعلم إلا خيراً، فبينما هم كذلك إذ هم برجل يزول به السراب فقال النبي ﷺ كن أبا خيثمة، فإذا هو أبو خيثمة فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك ودنا من المدينة جعلت أتذكر بمـاذا أخـرج من سخط النبي ﷺ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى إذا قيل: هذا النبي ﷺ مصبحكم بالغداة زاح عني الباطل وعرفت أني لا أنجو إلا بالصـدق ودخل النبي ﷺ ضُحى فصلى في المسجد ركعتين وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك، دخل المسجد فصلى ركعتين ثم جلس، فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه فيستغفر لهم، ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله سبحانه وتعالى، فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رآني تبسم تبسم المغضب، فجئت فجلست بين يديه فقال: ألم تكن ابتعت ظهراً؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: فما خلفك؟ قلت: والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بعذر لقد أوتيت جدلاً ولكن قد علمت يا نبي الله، أني إن أخبرك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فإني أرجو فيه عفو الله، وإن حدثتك اليوم حديثاً ترضى عني فيه وهو كذب، أوشك الله أن يطلعك عليّ، والله ما كنت قط أيسر ولا أخف حاذاً مني حيث تخلفت عنك، فقال: أما هذا فقد صدقكم الحديث قم عني حتى يقضي الله فيك فقمت فثار على أثري ناس من قومي يؤنبونني، فقالوا: والله ما نعلمك أذنبت ذنباً قبل هذا فهلا اعتذرت إلى النبي ﷺ بعذر يرضى عنك فيه؟ وكان استغفار رسول الله ﷺ سيأتي من وراء ذنبك، ولم تقف نفسك موقفاً لا تدري ماذا يقضي لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني، حتى هممت أن أرجع، فأكذب نفسي فقلت: هل قال هذا القول أحد غيري؟ قالوا: نعم قاله هلال بن أمية، ومرارةُ بن الربيع، فذكروا رجلين صالحين قد شهدوا بدراً لي فيهما أسوة، فقلت: لا والله لا أرجع إليه في هذا أبداً ولا أكذب نفسي، قال: ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا، ولبثت كذلك حتى طال علي الأمر وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي عليّ النبي ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي عليّ قال: فجعلت أخرج إلى السوق ولا يكلمني أحد، وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج فأطوف في الأسواق وآتي المسجد فأدخل وآتي النبي ﷺ فأسلم عليه فأقول: هل حرك شفتيه بالسلام؟ فإذا قمت أصلي إلى سارية نظر إلي بمؤخر عينيه فإذا نظرت إليه أعرض عني واستكان صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار لا يطلعان رؤوسهما. قال: فبينما أنا أطوف بالسوق إذا برجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول: من يدل على كعب بن

مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها: أما بعد: فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جافاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان، فالحق بنا نواسك، فقلت: هذا أيضاً من البلاء والشر فسجرت التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي ﷺ أتاني فقال: اعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربنها فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنك، قالت: يا نبي الله والله ما به حركة لشيء ما زال مكباً يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب: فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة[1] حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي، فقلت: أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت عني حتى قلت ثلاثاً قال أبو قتادة في الثالثة: الله ورسوله أعلم فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت من الحائط خارجاً حتى مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ عن كلامنا فصليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا بالمنزلة التي قال الله تعالى قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت علينا أنفسنا إذ سمعت نداءً من ذروة سلع أن أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً وعلمت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فأعطيته ثوبي بشارة ولبست ثوبين آخرين، قال: وكانت توبتنا نزلت على رسول الله ﷺ ثلث الليل فقالت أم سلمة[2] يا رسول الله ألا تبشر كعب بن مالك؟ فقال: إذن يحطمكم الناس ويمنعوكم النوم سائر الليل فكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن لأمري فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر بالأمر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال: أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم أتى عليك منذ ولدتك أمك فقلت: يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك؟ قال: بل من عند الله ثم تلى عليهم **﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾** الآيات وفينا أنزلت أيضاً: **﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** فقلت: يا نبي الله إن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً وأن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك عليك بعضَ مالك فإنه خير لك قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر قال: فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ حين صدقته أنا وصاحباي وألا نكون كذبنا فهلكنا كما هلكوا وإني لأرجو الله أن لا يكون الله أبلى أحداً في الصدق مثل الذي أبلاني ما تعمدت الكذبة بعد وأرجو أن يحفظني الله فيما بقي» قال الزهري: «فهذا ما انتهى إلينا من حديث كعب بن مالك[3]».

وقوله: **﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾** قال المفسرون[4]: «ضيق الأرض عليهم بأن المؤمنين

---

(١) أبو قتادة الأنصاري السلمي بفتح السين واللام فارس رسول الله ﷺ. اسمه الحارث بن ربعي شهد أحداً والمشاهد. له مائة وسبعون حديثاً. وعنه ابنه عبد الله وابن المسيب ومولاه نافع وخلق. مات سنة أربع وخمسين بالمدينة وهو الأصح. انظر الخلاصة (٣/٢٣٨ - ٢٣٩).

(٢) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية: أم سلمة وأم المؤمنين. لها ثلاثمائة وثمانية وسبعون حديثاً. وعنها: نافع وابن المسيب وأبو عثمان النهدي وخلق. قال الواقدي: توفيت سنة تسع وخمسين. قال الذهبي: هي آخر أمهات المؤمنين وفاة. انظر الخلاصة (٣/٣٩٤).

(٣) أخرجه البخاري ٧/٧١٧ في كتاب المغازي باب حديث كعب ٤٤١٨. وأخرجه مسلم ٤/٢١٢٠ في كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٥٣/٢٧٦٩ وأخرجه أبو داود ٢/٢٦٢ في كتاب الطلاق، باب فيماعني به من الطلاق والترمذي ٥/٢٦٣ في كتاب التفسير سورة التوبة باب ٣١٠٢ والنسائي ٦/١٥٢ في الطلاق باب الحقي بأهلك وأخرجه أحمد في المسند ٣/٤٥٦ وقال الحافظ ابن كثير ٤/٦٩ هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته، رواه صاحبا الصحيح البخاري ومسلم من حديث الزهري وقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها.

(٤) الرازي ١٦/١٧٣ القرطبي ٨/١٨٢.

منعوا من كلامهم ومعاملاتهم وأمر أزواجهم باعتزالهم وكان النبي ﷺ معرضاً عنهم» وقوله: ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ يعني ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أن لا ملجأ﴾ لا معتصم ﴿من الله﴾ من عذاب الله ﴿إلا إليه﴾ الآية ﴿ثم تاب عليهم﴾ إعادة للتوكيد لأن ذكر التوبة على هؤلاء قد مضى في قوله: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ ومعنى ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ لطف لهم في التوبة ووفقهم لها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ روينا أن هذه الآية نازلة في كعب بن مالك وصاحبيه وقال الكلبي ومقاتل[١]: «يعني مؤمني أهل الكتاب يأمرهم بالجهاد وأن يكونوا مع المهاجرين وسمى الله المهاجرين في هذه السورة صادقين» وقال نافع[٢]: «يريد بالصادقين محمداً والأنبياء» وقال الزجاج: «والمعنى على أنهم أمروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاء[٣]».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن حامد الوراق أنا عبد الله بن محمد بن الحسن نا محمد بن يحيى نا وهب بن جرير نا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئاً ثم لا ينجزه له اقرأوا إن شئتم ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ فقال: هل ترون رخصة في الكذب[٤]؟.

---

(١) البحر المحيط ٥/١١١ القرطبي ٨/١٨٣.

(٢) ابن كثير ٤/١٧٠ البغوي ٢/٣٣٧ القرطبي ٨/٨٣ البحر الميحط ٥/١١١ وذكر نحوه السيوطي في الدر ٣/٢٨٩ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر فتح القدير ٢/٤١٤.

(٣) ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي: مع سعتها فسدّت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم وأنه كان عن غير عذر فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثم تاب الله عليهم فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم ولهذا قال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا. انظر ابن كثير (٤/١٧٠).

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٥٦٠ (١٧٤٥٨) وذكره ابن كثير ٤/ ١٧٠ والقرطبي ٨/ ١٨٣ والبغوي ٤/ ٣٣٧ وأبو حيان ٥/ ١١ وذكره السيوطي في الدر ٢/ ٢٩٠ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عدي وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

وقوله: ﴿**ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب**﴾ قال ابن عباس[١]: «يعني مزينة وجهينة وأسلم وأشجع[٢] وغفار ﴿**أن يتخلفوا عن رسول الله**﴾ ﷺ في غزوة يغزوها ﴿**ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه**﴾ ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله ﷺ في الحر والمشقة، يقال: رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه ﴿**ذلك**﴾ أي ذلك النهي عن التخلف ﴿**بأنهم لا يصيبهم ظمأ**﴾ وهو شدة العطش ﴿**ولا نصب**﴾ إعياء وتعب ﴿**ولا مخمصة في سبيل الله**﴾ مجاعة في طاعة الله ﴿**ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار**﴾ ولا يقفون موقفاً ولا يضعون قدماً في موضع يغضب الكفار ﴿**ولا ينالون من عدو نيلاً**﴾ أسراً وقتلاً وهزيمة قليلاً ولا كثيراً إلا كان ذلك قربى لهم عند الله وهو قوله: ﴿**إلا كتب لهم به عمل صالح**﴾ قال عطية العوفي: «في الآية من الفقه أن من قصد طاعة كان قيامه وقعوده ونصبه ومشيه وحركاته كلها حسنات مكتوبة له وكذلك في المعصية، فما أعظم بركة الطاعة وما أعظم شؤم المعصية»وقوله: ﴿**ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة**﴾ قال: ابن عباس: تمرة فما فوقها ﴿**ولا يقطعون**﴾ ولا يجاوزون ﴿**وادياً**﴾ في مسيرهم مقبلين ولا مدبرين ﴿**إلا كتب لهم**﴾ آثارهم وخطاهم ﴿**ليجزيهم الله أحسن**﴾ أي بأحسن ﴿**ما كانوا يعملون**﴾ قوله: ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة**﴾ قال المفسرون[٣]: «لما عيب من تخلف عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله ﷺ ولا عن سرية أبداً فلما أمر رسول الله ﷺ بالسراية إلى العدو نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو ونـزل رسول الله ﷺ بالمدينة وحده فأنزل الله هذه الآية وهذا نفي معناه: النهي لهم عن الخروج إلى العدو جميعاً» وقوله: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة**﴾ أي فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي ﷺ جماعة ﴿**ليتفقهوا في الدين**﴾ يعني الفرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم: إن الله قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فتتعلمه السرايا فذلك قوله: ﴿**ولينذروا قومهم**﴾ أي وليعلموهم بالقرآن ويخوفوهم به ﴿**إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ فلا يعملون بخلافه وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي[٤].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار**﴾ يريد الذين يقربون منكم قال ابن

---

(١) البغوي ٢/٣٣٧ الرازي ١٦/١٧٧ البحر المحيط ٥/١١٢.

(٢) الرازي ١٦/١٧٨.

(٣) البغوي ٢/٣٣٩ الطبري ١٤/٥٦٧ انظر القرطبي ٨/١٨٧ البحر المحيط ٥/١١٣ ابن كثير ٤/١٧٢.

(٤) البغوي ٢/٣٣٩.

عباس[١]: «أمروا أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة، والنضير، وخيبر، وفدك ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ قال ابن عباس[٢]: شجاعة وقال مجاهد[٣]: شدة وقال الحسن[٤]: «صبراً منكم على الجهاد» وقال الضحاك[٥]: «عنفاً» ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم﴾ من المنافقين ﴿من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزواً قال الله تعالى: ﴿فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيماناً﴾ قال ابن عباس[٦]: «تصديقاً ويقيناً وقربة من الله» وذلك أنهم إذا أقروا بالسورة عن ثقة ازدادوا تصديقاً إلى ما كانوا عليه من التصديق ﴿وهم يستبشرون﴾ يفرحون بنزول السورة ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ كفراً إلى كفرهم لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم قوله: ﴿أولا يرون﴾ من قرأ بالتاء[٧] فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تقريع للمنافقين بالإعراض عن التوبة وقوله: ﴿أنهم يفتنون في كل عام﴾ الآية أي يمتحنون بالأمراض والأوجاع وهي روائد الموت ﴿ثم لا يتوبون﴾ من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض وقوله: ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ الآية قال ابن عباس[٨]: كان إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين خطبهم رسول الله ﷺ فعرض بهم في خطبته شق ذلك عليهم فنظر بعضهم إلى بعض يريدون الهروب من عند رسول الله ﷺ يقولون: هل يراكم من أحد من المؤمنين إن قمتم؟ فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وذلك قوله: ﴿ثم انصرفوا﴾ قال الحسن[٩]: «ثم انصرفوا على عدم التكذيب بمحمد ﷺ وما جاء به» وقال الزجاج[١٠]: «وجائز أن يكونوا ينصرفون عن المكان الذي استمعوا فيه»﴿صرف الله قلوبهم﴾ عن كل خير ورشد وهدى ذلك ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ عن الله دينه قال الزجاج[١١]: «أي أضلهم الله مجازاة على فعلهم» وقوله:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قال ابن عباس[١٢]: «يريد محمداً ﷺ وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدته وله

---

(١) البغوي ٢/٣٤٠ القرطبي ١٨٩/٨ البحر المحيط ١١٥/٥ فتح القدير ٤١٦/٣ ـ ٤١٧ الدر المنثور ٢٩٣/٣.
(٢) الرازي ١٨٢/١٦.
(٣) البغوي ٣٤٠/٢ أبو حيان ١١٥/٤ القرطبي ١٨٩/٨ الرازي ١٨٢/١٦ فتح القدير ٤١٧/٢١ الدر المنثور ٢٩٣/٣.
(٤) البغوي ٣٤٠/٢.
(٥) انظر تفسير الرازي ١٨٢/١٦.
(٦) وقوله (غلظة) قال الزجاج. فيها ثلاث لغات فتح الغين وضمها وكسرها. قال صاحب الكشاف: الغلظة بالكسر الشدة العظيمة والغلظة كالضغطة، والغلظة كالسخطة وهذه الآية تدل على الأمر بالتغليظ عليهم ونظيره قوله تعالى (واغلظ عليهم) (التوبة: ٧٣) وقوله (ولا تهنوا) (آل عمران: ١٣٩) وقوله في صفة الصحابة رضي الله عنهم (أعزة على الكافرين) المائدة (٤٠) وقوله (أشداء على الكفار)، الفتح: ٢٩. واعلم أن الغلظة ضد الرقة وهي الشدة في إحلال النقمة والفائدة فيها أنها أقوى تأثيراً في الزجر والمنع عن القبيح انظر الرازي (١٨٢/١٦).
(٧) انظر تفسير البغوي (٣٤٠/٢).
(٨) انظر النشر ٢٨١/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٠/٢، البحر المحيط ١١٦/٥.
(٩) البغوي ٣٤١/٢ البحر المحيط ١١٥/٥ ابن كثير ١٧٦/٤.
(١٠) البغوي ٣٤١/٢، القرطبي ١٩٠/٨.
(١١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤٧٧/٢ البغوي ٣٤١/٢.
(١٢) انظر معاني القرآن ٤٧٧/٢.

فيهم نسب» ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ شديد عليه عنتكم وهو لقاء الشدة والمشقة بدخول النار والمعنى: شديد عليه ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان يقال: عنت الرجل يعنت عنتاً إذا وقع في مشقة ﴿حريص عليكم﴾ على إيمانكم على أن تؤمنوا ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ قال ابن عباس: [1] «سماه الله باسمين من أسمائه» ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان بك ﴿فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ خص العرش بالذكر لأنه الأعظم فيدخل فيه الأصغر.

نا إسماعيل بن إبراهيم الصوفي نا أبو بكر بن أحمد بن يعقوب المفيد نا الحسن بن عبد الله[2] العبدي نا مسلم بن إبراهيم نا شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران[3] عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه قال: آخر آية أنزلت على عهد رسول الله ﷺ:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قرأ إلى آخر السورة رواه الحاكم في صحيحه[4] عن الأصم عن بكار بن قتيبة[5] عن العقدي[6] عن شعبة.

---

(١) البغوي ٢/٣٤١ البحر المحيط ٥/١١٧ القرطبي ٨/١٩١ وانظر ابن كثير ٤/١٧٧.

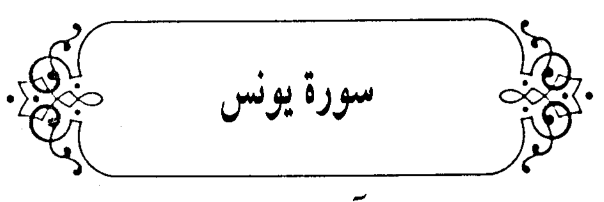
(٢) الحسن بن عبد الله بن حرب المصيصي العبدي كوفي سكن المصيصة روى عن عمرو بن عطية والصبي بن الأشعث وعباد بن العوام وأبي وكيع الجراح سمع منه أبي بالمصيصة في الرحلة الأولى. انظر الجرح والتعديل ٣/٢٣.

(٣) يوسف بن مهران البصري. روى عن ابن عباس وابن عمر وابن جعفر وجابر. وعنه زيد بن علي بن جدعان. وقال كان يشبه حفظه حفظ عمرو بن دينار. قال أبو زرعة ثقة وقال ابن سعد ثقة قليل الحديث. انظر التهذيب ١١/٤٢٤.

(٤) في كتاب التفسير ٢/٣٣٨ وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع ٧/٣٦ وعزاه لعبد الله بن أحمد والطبراني وقال وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ثقة سيّىء الحفظ وبقية رجاله ثقات.

(٥) بكار بن قتيبة بن أسد بن عبيد الله بن بشير ابن صاحب رسول الله ﷺ أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي البكراوي البصري القاضي الكبير العلامة المحدث، أبو بكرة الفقيه الحنفي قاضي القضاة بمصر. مولده في سنة اثنتين وثمانين ومائة بالبصرة. وسمع أبا داود الطيالسي وروح بن عبادة وعبد الله بن بكر السهمي وأبا عاصم ووهب بن جرير وسعيد بن عامر الضبعي وطبقتهم. انظر السير (١٢/٥٩٩) وفيات الأعيان (١/٢٨٠) النجوم الزاهرة (٣/١٨) حسن المحاضرة (١/٤٦٣).

(٦) عبد الملك بن عمرو القيسي أبو عامر العقدي البصري. روى عن أيمن بن نابل وسحامة بن عبد الرحمن الأصم وعكرمة بن عمار وقرة بن خالد وفليح بن سليمان وأفلح بن حميد وإبراهيم بن طهمان وإبراهيم بن نافع المكي وإسرائيل وأفلح بن سعيد والمغيرة بن عبد الرحمن الحراني وداود بن قيس ورباح بن معروف وزهير بن محمد التميمي والثوري وشعبة وعباد بن راشد وعبد الله بن جعفر المخرمي وعبد العزيز الماجشون وعمر بن أبي زائدة، وسليمان بن بلال ومالك وابن أبي ذئب، وهشام الدستوائي وغيرهم. قال السراج: والعقد قوم من قيس وهم صنف من الأزد. قال محمد بن سعد ونصر بن علي: مات سنة أربع ومائتين وقال أبو داود وابن حبان مات سنة (٥). انظر التهذيب ٦/٤٠٩ ـ ٤١٠.



سورة يونس

مكيّة وآياتها تسع ومائة

أخبرنا الأستاذ أبو عثمان سعيد بن محمد الزعفراني أنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر الزاهد العدل أنا إبراهيم بن شريك الأسدي أنا أحمد بن عبد الله بن يونس نا المديني[1] نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون»[2].

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الٓر﴾ قال عطاء عن ابن عباس: «يريد أنا الله الرحمن»[3] وعنه أيضاً: أنا الله أرى[4] **﴿تلك**

---

(١) بفتح الميم والدال المهملة المكسورة بعدها الياء آخر الحروف وفي آخرها النون هذه النسبة إلى عدة من المدن منها مدينة رسول الله ﷺ أكثر ما ينسب اليها يقال المدني والمديني وإلى مدينة بغداد وإلى أصبهان وإلى مدينة نيسابور وإلى المدينة الداخلة بمرو، وإلى مدينة بخارى وإلى مدينة سمرقند وإلى مدينة نسف وغيرها من المدن. انظر الأنساب (٥/٢٣٥).

(٢) حديث موضوع وقال الفيروز أبادي في البصائر: وهو حديث متفق على ضعفه ١/٢٤٥ بل هو واهي كما مر الإشارة إلى ذلك وانظر الفوائد المجموعة (٢٩٦).

(٣) البغوي ٢/٣٤٢ القرطبي ٨/١٩٤، البحر المحيط ٥/١٢١، انظر الدر المنثور ٣/٢٩٩ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) الطبري ١٥/٩ (١٧٥١٩) ابن كثير ٤/١٨٢ البغوي ٢/٣٤٢ القرطبي ٨/١٩٤ انظر الدر المنثور ٣/٢٩٩ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الأسماء والصفات وابن النجار في تاريخه فتح القدير ٢/٤٢١ البحر المحيط ٥/١٢١.

ايات الكتاب﴾ قال: يريد هذه الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ آيات الكتاب **﴿الحكيم﴾** يعني القرآن المحكم من الباطل أي الممنوع من الفساد لا كذب فيه ولا اختلاف، قوله: **﴿أكان للناس عجباً أن أوحينا﴾** الآية، قال: المفسرون[١]: عجبت قريش من إرسال الله محمداً ﷺ إلى العباد وقالوا: أما وجد الله من يرسله إلينا إلا يتيم أبي طالب؟ فأنزل الله تعالى: **﴿أكان للناس عجباً﴾** والألف في أكان للتوبيخ والإنكار **﴿أن أوحينا إلى رجل منهم﴾** يعني محمداً ﷺ يعرفون أباه وأمه **﴿أن أنذر الناس﴾** يعني أهل مكة **﴿وبشر الذين ءامنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾** قال مجاهد والحسن[٢]: «يعني الأعمال الصالحة يقدمون عليها» وقال الوالبي عن ابن عباس[٣]: يقول: «سبقت لهم السعادة في الذكر الأول».

أخبرنا نصر بن أبي نصر الواعظ أنا عبد الله بن محمد بن نصير[٤] أنا محمد بن أيوب أنا عبد الله بن عمران[٥] نا يحيى بن الضريس[٦] عن خالد بن صبيح البلخي[٧] عن مقاتل بن حيان في قوله: **﴿قدم صدق عند ربهم﴾** قال: شفيع صدق، محمد ﷺ[٨]، وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: **﴿قال الكافرون إن هذا لساحر مبين﴾** قال ابن عباس[٩]: أخرجوا محمداً من علمهم فيه بالأمانة والصدق، إلى غير علمهم فكفروا وأرادوا بالساحر محمداً ﷺ، ومن قرأ لسحر[١٠] أراد الذي أوحي إليه سحر، قوله: **﴿إن ربكم الله﴾** مفسر فيما سبق إلى قوله: **﴿يدبر الأمر﴾** قال ابن عباس[١١]: «يخلق ما يكون» وقال مجاهد[١٢]: «يقضي الأمر» **﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾** قال الكلبي[١٣] «ما من شفيع من الملائكة والنبيين إلا من بعد أمره في الشفاعة» **﴿ذلكم الله﴾** الذي فعل هذه الأشياء **﴿ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾** أفلا تتعظون يا أهل مكة بالقرآن ومواعظه **﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾** إلى الله مصيركم يوم القيامة **﴿وعد الله﴾** وعدكم الله ذلكم وعداً حقاً

---

(١) أسباب النزول للمصنف رحمة الله ٢٦٧ والطبري ١٥/١٣ القرطبي ٨/١٩٥ الدر المنثور ٣/٢٩٩ ابن كثير ٤/١٨٢ البغوي ٢/٣٤٣.

(٢) البغوي ٢/٣٤٣ البحر المحيط ٥/١٢٢ الطبري ١٥/١٤ ابن كثير ٤/١٨٣ القرطبي ٨/١٩٦.

(٣) أخرجه الطبري١٥/١٥ (١٧٥٣٩) وابن كثير ٤/١٨٢ القرطبي ٨/١٩٥ البغوي ٢/٣٤٣ البحر المحيط ٥/١٢٢.

(٤) عبد الله بن محمد المديني ترجم له أبو نعيم في تاريخ أصفهان ٢/٨٤.

(٥) عبد الله بن عمران بن علي الأسدي أبو محمد الأصبهاني ثم الرازي روى عن حفص بن غياث وجرير بن عبد الحميد وأبي معاوية وأبي داود الطيالسي وعثام بن علي ووكيع وجماعة. وعنه ابن ماجة والبخاري في غير الجامع وأبو حاتم وإبراهيم بن نايلة وجعفر ابن أحمد بن فارس وإسماعيل سمويه وعبد الله الدارمي وجعفر بن محمد بن الحسن الزعفراني الحافظ ومحمد بن أيوب بن الضريس ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة وجماعة. قال أبو حاتم صدوق وذكره ابن حبان في الثقات وقال يغرب. انظر التهذيب ٣/٣٤٣.

(٦) يحيى بن الضريس، البجلي الرازي القاضي، صدوق مات سنة ثلاث ومائتين.

(٧) بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها الخاء المعجمة هذه النسبة إلى بلدة من بلاد خراسان يقال لها بلخ فتحها الأحنف بن قيس التميمي من جهة عبد الله بن عامر بن كريز زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر الأنساب ١/٣٨٨.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/٣٤٣ ابن كثير ٤/١٨٣ القرطبي ٨/١٩٥ فتح القدير ٢/٤٢٢ الدر المنثور ٣/٣٠٠.

(٩) البغوي ٢/٣٤٣.

(١٠) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢/٢٨٠ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٥، البحر المحيط ٥/١٢٣.

(١١) القرطبي ٨/١٩٦.

(١٢) القرطبي ١/١٩٦ البحر المحيط ٥/١٢٣وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/٤٢٤ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد الدر المنثور ٣/٣٠٠ البغوي ٢/٣٤٣.

(١٣) القرطبي ٨/١٩٦.

﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ رد على المشركين الذين أنكروا البعث ﴿ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ قال ابن عباس[١]: بالعدل ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ وهو الماء الحار، قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ أي: ذات ضياء ﴿والقمر نوراً﴾ أي: ذا نور ﴿وقدره منازل﴾ أي: قدر له، فحذف الجار والمعنى: هيأ ويسر له منازل ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ يعني حساب الشهور والسنين والأيام والساعات ﴿ما خلق الله ذلك﴾ يعني ما تقدم من الشمس والقمر ومنازله ﴿إلا بالحق﴾ إلا للحق من إظهار صنعه، وقدرته والدلالة على وحدانيته ﴿يفصل الآيات﴾ يبينها ﴿لقوم يعلمون﴾ يستدلون بالأمارات على قدرة الله ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ في تعاقبهما ومجيئهما وذهابهما ﴿وما خلق الله السموات﴾ من الشمس والقمر والنجوم والبروج والأفلاك ﴿و﴾ في ﴿الأرض﴾ من الجبال والبحار ﴿لآيات لقوم يتقون﴾ الشرك فيستدلون بهذه الآيات على وحدانية الله وقدرته.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

قوله: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ قال ابن عباس و[ومقاتل][٢]: «لا يخافون البعث لأنهم لا يؤمنون به[٣]» والرجاء ها هنا بمعنى الخوف كقوله ﴿لا ترجون لله وقاراً﴾[٤] ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدلاً من الآخرة ﴿واطمأنوا بها﴾ ركنوا إليها لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ﴿والذين هم عن ءاياتنا غافلون﴾ يعني آيات القرآن، وما فيها من الفرائض والأحكام، قوله تعالى ﴿إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ قال المفسرون[٥]: «يهديهم ربهم إلى الجنة ثواباً لهم بإيمانهم»، وقال مجاهد[٦]: «يكون لهم نور يمشون به» وقال مقاتل[٧]: «يهديهم بالنور على الصراط إلى الجنة» وقوله: ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ أي بين أيديهم وهم يرونها من أسرتهم وقصورهم وقوله: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ الدعوة مصدر كالدعاء، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿فما كان دعواهم﴾ قال ابن عباس[٨]: «كلما اشتهى أهل الجنة شيئاً قالوا: سبحانك اللهم فجاء ما يشتهون فإذا طعموا مما يشتهون قالوا: الحمد لله رب العالمين فذلك قوله ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ وقوله: ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ يحيي بعضهم بعضاً للسلام وتحية الملائكة إياهم، وتحية الله سلام ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب

---

(١) البغوي ٢/٣٤٤ القرطبي ٨/١٩٧ ابن كثير ٤/١٨٤ البحر المحيط ٥/١٢٤.
(٢) سقط في ب.
(٣) البغوي ٢/٣٤٦ القرطبي ٨/١٩٩ ابن كثير ٤/١٨٤. البحر المحيط ٥/١٢٦.
(٤) سورة نوح (١٣).
(٥) القرطبي ٨/١٩٩.
(٦) الطبري ١٥/٢٨ ابن كثير ٤/١٨٦ القرطبي ٨/١٩٩ البغوي ٢/٣٤٥، البحر المحيط ٥/١٢٧ انظر الدر المنثور ٣/٣٠١.
(٧) البغوي ٢/٣٤٥ القرطبي ٨/١٩٩ البحر المحيط ٥/١٢٧.
(٨) الطبري ١٥/٢٨ القرطبي ٨/٢٠٠ ابن كثير ٤/١٨٧ البغوي ٢/٣٤٥ انظر الدر المنثور ٣/٣٠١.

العالمين﴾ قال الزجاج[١]: «أعلم الله أنهم يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه»

۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

قوله: **﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير﴾** التعجيل: تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال: طلب العجلة قال قتادة[٢]: «هو دعاء الرجل على نفسه وولده وأهله وماله بما يكره أن يستجاب له» وقال ابن قتيبة[٣]: إن الناس عند الغضب والضجر يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة وإعطاء السؤال، يقول: فلو أجابهم الله إذا دعوا بالشر الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير **﴿لقضي إليهم أجلهم﴾** قال عامة المفسرين[٤]: «لماتوا وهلكوا جميعاً وفرغ من هلاكهم» وتحقيق التأويل: لو أجيبوا إلى ما يدعون به من الشر والعذاب، لفرغ إليهم من أجلهم بأن ينقضي الأجل فيموتوا ويحصلوا في العذاب والبلاء وقرأ ابن عامر[٥] **﴿لقضى إليهم أجلهم﴾** بفتح القاف على إسناد الفعل إلى الله لأن ذكره قد تقدم، وذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث حين قال: **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق﴾** الآية، يدل على صحة هذا قوله: **﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾** يعني الكفار الذين لا يخافون البعث قوله: **﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه﴾** أي مضطجعاً على جنبه قال ابن عباس: «إذا أصاب الكافر ما يكره من فقر أو مرض أو بلاء أو شدة، أخلص في الدعاء مضطجعاً كان أو قائماً أو قاعداً **﴿فلما كشفنا عنه ضره مر﴾** طاغياً على ترك الشكر ولم يتعظ بما ناله **﴿كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾** قال الحسن[٦]: «نسي ما دعا الله فيه وما صنع الله به فيما كشف عنه من البلاء» **﴿كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾** أي كما زين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء زين للمسرفين عملهم يريد المشركين قال ابن كيسان:[٧] «أسرفوا على أنفسهم إذ عبدوا الوثن» قال عطاء[٨] نزلت الآية في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قوله: **﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾** يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية **﴿وجاءتهم رسلهم بالبينات﴾** بالمعجزات الظاهرة **﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾** قال ابن الأنباري[٩]: «ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق وإيثارهم الباطل» وقال الزجاج[١٠]: «أعلم الله أنهم لا يؤمنون ولو بقاهم أبداً لأنه جعل جزاءهم بكفرهم الطبع على قلوبهم» كما

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٨/٣ البغوي ٣٤٥/٢.

(٢) البغوي ٣٤٥/٢ البحر المحيط ١٢٨/٥ الطبري ٣٤/١٥، ٣٥ ابن كثير ١٨٨/٤ انظر الدر المنثور ٣٠١/٣ القرطبي ٢٠١/٨.

(٣) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (١٩٤).

(٤) البغوي ٣٤٦/٢ ابن كثير ١٨٨/٤ القرطبي ٢٠١/٨.

(٥) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨٢/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٥/٢.

(٦) البغوي ٣٤٦/٢ البحر المحيط ١٣٠/٥ ابن كثير ١٨٩/٤.

(٧) انظر تفسير القرطبي ٢٠٢/٨ البحر المحيط ١٣٠/٥.

(٨) أبو حيان في البحر ١٢٩/٥.

(٩) انظر القرطبي ٢٠٣/٨.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ١١/٣.

قال: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ الآية وقوله: ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ أي نعاقب ونهلك المكذبين بمحمد ﷺ كما فعلنا بمن قبلهم ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض [من بعدهم﴾ قال ابن عباس[١]: «يريد أهل مكة» والمعنى استخلفكم في الأرض من][٢] بعد القرون الماضية ﴿لننظر كيف تعملون﴾ قال ابن عباس[٣] «لنختبركم ونختبر أعمالكم» وقال قتادة[٤]: «ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار».

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم﴾ أي على مشركي مكة ﴿ءاياتنا بينات﴾ يعني القرآن ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث ﴿ائت بقرءان غير هذا﴾ أي بقرآن ليس فيه عيب آلهتنا، وذكر البعث والنشور ﴿أو بدله﴾ أي تكلم به من ذات نفسك فبدل منه ما نكره ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ ما ينبغي لي أن أبدله غيره من قبل نفسي قال الزجاج[٥]: «أي الذي أتيت به من عند الله لا من عند نفسي فأبدله» وهو قوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ قال ابن عباس[٦]: يريد ما أخبركم إلا ما أخبرني الله به وقوله: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ قال ابن عباس[٧] يقول: لو شاء الله ما قرأت عليكم القرآن ﴿ولا أدراكم به﴾ ولا أعلمكم الله بالقرآن وأدراني الله به، والمعنى: لو شاء الله [ألا ينزل القرآن][٨] ما أعلمكم به ولا أمرني بتلاوته عليكم ﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾ قال ابن عباس: «أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن ولا آتيكم به» ﴿أفلا تعقلون﴾ انه ليس من قبلي، قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم الكفر فيزعم أن لله ولداً وشريكاً قال ابن عباس[٩]: «يريد أني لم أفتر على الله ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً وعبدتم الأوثان وكذبتم نبيه ﷺ وما جاء به من عند الله تعالى» ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لا يسعد من كذب أنبياء الله.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ

---

(١) البغوي ٢/٣٤٦ القرطبي ٨/٢٠٣.
(٢) سقط في ب.
(٣) انظر القرطبي ٨/٢٠٣.
(٤) القرطبي ٨/٢٠٣.
(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١١ القرطبي ٨/٢٠٣.
(٦) البغوي ٢/٣٤٧.
(٧) البغوي ٢/٣٤٧.
(٨) سقط في أ.
(٩) البغوي ٢/٣٤٧ البحر المحيط ٥/١٣٣.

يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه **﴿ولا ينفعهم﴾** إن عبدوه **﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾** قال الحسن[1]: شفعاء في إصلاح معاشهم في الدنيا لأنهم لا يقرون بالبعث **﴿قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾** قال الضحاك[2]: أتخبرون الله أن له شريكاً ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السماوات ولا في الأرض» والمعنى أتخبرون الله بالكذب فيما[3] يعلم أنه ليس بموجود؟ ثم نزه نفسه عما افتروه فقال: **﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** قوله: **﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾** أي مجمعة على دين واحد يعني من لدن إبراهيم عليه السلام إلى أن غير الدين عمرو بن لحي[4] **﴿فاختلفوا﴾** قاله ابن عباس في رواية عطاء وقال في رواية الكلبي: «يعني أمة كافرة على عهد إبراهيم فاختلفوا فآمن بعضهم وكفر بعضهم [5]» وقال مجاهد والسدي [6]: «كانوا على ملة الإسلام إلى أن قتل أحد ابني آدم أخاه» وقوله: **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾** بتأخير هذه الأمة وأنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم **﴿لقضي بينهم﴾** بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين، فكان ذلك فصلاً بينهم فيما فيه يختلفون، قوله: **﴿ويقولون﴾** يعني أهل مكة **﴿لولا أنزل عليه ءاية من ربه﴾** مثل العصا واليد **﴿فقل إنما الغيب لله﴾** يعني أن قولكم: هلا أنزل عليه آية غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله **﴿فانتظروا﴾** نزول الآية **﴿إني معكم من المنتظرين﴾** لنزولها قوله:

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾ يعني مطراً وخصباً وغنى **﴿من بعد ضراء مستهم﴾** من بعد قحط وبؤس وفقر **﴿إذا لهم مكر في ءاياتنا﴾** سعي في دفع القرآن والتكذيب به أي إذا أخصبوا بطروا فكذبوا بالقرآن **﴿قل الله أسرع مكراً﴾** أي ان ما يأتيهم من العذاب أسرع في إهلاكهم مما أتوه من المكر في إبطال القرآن، قال مقاتل: فقتلهم الله يوم بدر وجازى

---

(١) القرطبي ٨/٢٠٥.

(٢) البغوي ٢/٣٤٧.

(٣) في أ، ب (وبما يعلم أنه ليس ثم).

(٤) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي من قحطان: أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. كنيته أبو ثمامة. وفي نسبه خلاف شديد. ومن العلماء من يجزم بأنه مضري من عدنان لحديث انفرد به أبو هريرة. وهو جد خزاعة عند كثير من النسابين، ورئيسها عند بعضهم. ومعظمهم يسميه عمرو بن عامر بن لحي ويقولون إنه نسب إلى جده. وفيهم من يسميه (عمرو بن ربيعة) ويجعل لحيا لقبا لربيعة.

(٥) البغوي ٢/٣٤٨ البحر المحيط ٥/١٣٤.

(٦) البغوي ٢/٣٤٨.

مكرهم في آياته بعقاب ذلك اليوم فكان أسرع في[١] إهلاكهم من كيدهم في إهلاك محمد ﷺ وإبطال آياته، ثم أوعدهم بالجزاء في الآخرة بقوله: **﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾** [يعني بالرسل الحفظة][٢] قوله: **﴿هو الذي يسيركم في البر﴾** على الدواب **﴿و﴾** في **﴿البحر﴾** على السفن يقال: سيرته من مكان إلى مكان أي شخصته وقرأ «ابن عامر»: ينشركم[٣] من النشر بعد الطي وحجته قوله: **﴿فانتشروا في الأرض﴾** وقوله: **﴿حتى إذا كنتم في الفلك﴾** يعني السفن **﴿وجرين بهم﴾** عاد بعد المخاطبة إلى الإخبار عنهم، وقوله: **﴿بريح طيبة﴾** أي رخاء لينة **﴿وفرحوا بها﴾** بتلك الريح للينها واستوائها **﴿جاءتها﴾** جاءت الفلك **﴿ريح عاصف﴾** شديدة الهبوب **﴿وجاءهم الموج﴾** وهو ما ارتفع من الماء **﴿من كل مكان﴾** من البحر **﴿وظنوا﴾** أيقنوا **﴿أنهم أحيط بهم﴾** دنوا من الهلاك **﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾** قال ابن عباس[٤]: «تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية» وقالوا **﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾** الريح العاصف **﴿لنكونن من الشاكرين﴾** الموحدين الطائعين **﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾** يعملون فيها بالفساد والمعاصي والجرأة على الله **﴿يا أيها الناس﴾** يعني أهل مكة **﴿إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾** أي بغي بعضكم على بعض وما تنالونه إنما تتمتعون به في الحياة الدنيا، فهو متاع في الدنيا ومن نصب فعلى المصدر[٥] والمعنى: تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويدل انتصاب المصدر على المحذوف، **﴿ثم إلينا مرجعكم﴾** في الآخرة **﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾** نخبركم [في الآخرة][٦] بأعمالكم لأنا اثبتناها عليكم.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

قوله: **﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾** ضرب الله تعالى مثلاً للحياة في هذه الدار الفانية فشبهها بمطر وهو قوله: **﴿كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾** يعني التف وكثر وتداخل بذلك الماء من كل نوع من المرعى والكلأ والبقول والحبوب والثمار وهو قوله: **﴿مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾** قال ابن عباس[٧]: «زينتها وحسنها وخصبها» يعني حسن ألوان الزهر الذي يروق البصر، قال الزجاج[٨]: «الزخرف كمال حسن الشيء» وهو قوله: **﴿وازينت﴾** أي تزينت **﴿وظن أهلها﴾** أي أهل تلك الأرض **﴿أنهم قادرون عليها﴾** أي على نباتها الذي أنبتته قال ابن عباس: «على حصادها وجذاذها وقطعها» **﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً﴾** قال ابن عباس[٩]: «عذابنا» والمعنى: أمرنا بهلاكها **﴿فجعلناها**

---

(١) وقد دل أفعل التفضيل على أن مكرهم كان سريعاً ولكن مكر الله أسرع منه وإذا الفجائية يستفاد منها السرعة، لأن المعنى أنهم فاجئوا المكر: أي أوقعوه على جهة الفجاءة والسرعة وسميت عقوبة الله مكراً من باب المشاكلة.

(٢) سقط في ب.

(٣) انظر النشر ٢/٢٨٢ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٧، البحر المحيط ٥/١٣٧.

(٤) البغوي ٢/٣٤٩ القرطبي ٨/٢٠٧.

(٥) انظر النشر ٢/٢٨٣ اتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٧. البحر المحيط ٥/١٤٠.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) القرطبي ٨/٢٠٦ البغوي ٢/٣٥٠.

(٨) انظر معاني القرآن ٣/١٥ البغوي ٢/٣٥٠ القرطبي ٨/٢٠٩.

(٩) القرطبي ٨/٢٠٩ البحر المحيط ٥/١٤٤ البغوي ٢/٣٥٠.

حصيداً﴾ محصوداً لا شيء فيها، والحصيد: المقطوع المستأصل **﴿كأن لم تغن بالأمس﴾** خلت كأن لم تكن أمس، ولم تقم على الصفة التي كانت فيما قبل من قولهم: غني القوم بالمكان إذا أقاموا به، والمراد الغلة التي أخرجتها الأرض، وما سبق من الكلام يدل على الغلة، وقال الزجاج[١]: «كأن لم تعمر بالأمس» قال: والمغاني المنازل التي يعمرها أهلها بالنزول بها ونحو هذا قال ابن قتيبة: «كأن لم تكن عامرة بالأمس» وعلى هذا المراد به الأرض وتأويل الآية: أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا مما يروق ويعجب حتى إذا استتم ذلك وكثر عند صاحبه وظن أنه ممتع به، سلب ذلك بموته أو بحادثة تهلكه كما أن الماء سبب لالتفاف النبات، وكثرته حتى تتزين به الأرض، وتظهر بهجتها وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكها الله وردها إلى الفناء حتى كأن لم تكن قوله تعالى: **﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾** أي يبعث الرسول ونصب الأدلة يدعو إلى الجنة ذكرنا ذلك عند قوله: **﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾**[٢] وقوله: **﴿ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** عم بالدعوة وخص بالهداية من شاء، لأن الحكم له في خلقه، يفعل ما يشاء.

أخبرنا أبو القاسم بن عبدان أنا محمد بن عبد الله بن نعيم القاضي، حدثني: طاهر بن يحيى البيهقي نا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال[٣] سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين وتلا هذه الآية **﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** فقال: حدثني جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، وإنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً، ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك فالله هو الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها[٤]».

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾

قوله: **﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾** قال ابن عباس[٥]: «للذين قالوا لا إله إلا الله الجنة» **﴿وزيادة﴾** وهي النظر إلى

---

(١) معاني القرآن ٣/١٥ القرطبي ٨/٢٠٩ البغوي ٢/٣٥٠.

(٢) سورة الأنعام ١٢٧.

(٣) سعيد بن أبي هلال الليثي مولاهم أبو العلاء المصري يقال أصله من المدينة. روى عن جابر وأنس مرسلا، وزيد بن أسلم وأبي الرجال محمد بن عبد الرحمن وربيعة وأبي الزناد، وأبي حازم بن دينار وعمارة بن غزية، وعمرو بن مسلم وعون بن مسلم وعون بن عبد الله وقتادة والقاسم بن مرة وربيعة بن سيف وجعفر بن عبد الله بن الحكم وعبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع والزهري وخلق قال أبو حاتم لا بأس به انظر التهذيب (٤/٩٤).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٣٩ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥) البحر ٥/١٤٧ القرطبي ٨/٢١٠ البغوي ٢/٣٥١ ابن كثير ٤/١٩٨ وحكاه عن أبي بكر وحذيفة وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فتح القدير ٢/٤٤١.

وجه الله في قول أبي بكر الصديق[١] وأبي موسى الأشعري وحذيفة وابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ونحو ذلك فسرها النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخبرناه أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ[٢] أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ نا أبو يعلى، وعبدان الجواليقي[٣] وأبو بكر بن أبي عاصم قالوا: حدثنا هدبة قال أبو يعلى: وحدثنا حوثرة بن أشرس قالا: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ناد مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم تثقل موازيننا؟ وتبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتنجينا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فما من شيء أعطوه هو أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة» هذا حديث هدبة وفي حديث حوثرة قال الحسنى الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله **﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾** بعد نظرهم إليه عز وجل قال حوثرة في أثر هذا الحديث: كنا نسمع حماداً يحدث بهذه الأحاديث على رؤوس الناس فلا ينكرونها حتى جاء قوم يزعمون أن الله عز وجل لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وكذبوا رواه مسلم[٤] عن هدبة بن خالد.

وقوله: **﴿ولا يرهق وجوههم﴾** أي لا يغشاها يقال: رهقه ما يكره أي: غشيه، ومصدره الرهق قال ابن عباس[٥]: **«ولا يصيب وجوههم قتر يعني سواد الوجوه من الكآبة»** قال عطاء[٦]: «يريد دخان جهنم» **﴿ولا ذلة﴾** كما تصيب أهل جهنم قوله: **﴿والذين كسبوا السيئات﴾** قال ابن عباس[٧]: «عملوا الشرك» **﴿جزاء سيئة بمثلها﴾** قال الفراء[٨]: «فلهم جزاء السيئة بمثلها»، والمعنى: أنهم يجزون بمثل ما عملوا **﴿وترهقهم ذلة﴾** يصيبهم الذل والخزي والهوان **﴿وما لهم من الله من عاصم﴾** ما لهم من عذاب الله من مانع يمنعهم **﴿كأنما أغشيت﴾** ألبست **﴿وجوههم قطعاً من الليل﴾** طائفة من الليل وبعضاً منه **﴿مظلماً﴾** قال الفراء والزجاج[٩]: «هو نعت لقوله قطعاً» والمعنى: وصف وجوههم بالسواد حتى كأنها ألبست سواداً من الليل ومن قرأ قطعاً[١٠] مفتوحة الطاء فهي جمع قطعة ومظلماً على هذه القراءة حال من الليل، المعنى: أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمته.

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة ٢٠٦/١ والبغوي ٣٥١/٢ القرطبي ٢١٠/٨ البحر المحيط ١٤٧ الدر المنثور ٣٠٥/٢ فتح القدير ٤٤١/٢.

(٢) الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادي الحافظ له مسائل سأل عنها أحمد بن حنبل أيام قطعه التحديث وحدث عن إسماعيل بن مسعود الجحدري ومحمد بن مسكين اليمامي ومحمد بن حرب النسائي وطبقتهم. قال أبو الحسين بن المنادى: كان من الضبط والحذق على نهاية مات في محرم سنة ثلاث وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر تذكرة الحفاظ (٧٤٥/٢ ـ ٧٤٦).

(٣) الإمام أبو محمد بن عبد الله بن أحمد بن موسى الأهوازي الجواليقي الحافظ الثقة صاحب التصانيف توفي في آخر السنة وله تسعون سنة وأشهر الشذرات (٢٤٩/٢).

(٤) أخرجه مسلم ١٦٣/١ في كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخره لربهم (٢٩٧) والترمذي ٢٦٧/٥ في كتاب التفسير سورة يونس باب (١١) وأخرجه ابن ماجه في السنن ٦٧/١ في المقدمة (١٨٧) والطبري في التفسير ٦٧/١٥.

(٥) البغوي ٣٥١/٢ البحر المحيط ١٤٧/٥ القرطبي ٢١١/٨ ابن كثير ٢٠٠/٤ الدر المنثور ٣٠٦/٣

(٦) البغوي بنحوه ٣٥١/٢ البحر المحيط ١٤٧/٥ القرطبي ٢١١/٨.

(٧) القرطبي ٢١٢/٨.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ٤٦١/١.

(٩) معاني القرآن للفراء ٤٦٢/١ والزجاج ١٦/٣.

(١٠) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢٨٣/٢ إتحاف فضلاء البشر ١٠٨/٢.

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

قوله: **﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾** قال ابن عباس ومقاتل[1]: ويوم نجمع المشركين وشركاءهم والكفار وآلهتهم **﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم﴾** قال الزجاج[2]: «مكانكم منصوب على الأمر، كأنهم قيل لهم: الزموا أنتم وشركاؤكم مكانكم حتى نفصل بينكم» ومعنى **﴿وشركاكم﴾** أي الذين جعلتموهم شركاء في العبادة **﴿فزيلنا﴾** فرقنا وميزنا بينهم قال المفسرون[3]: «فرقنا بين المشركين وبين شركائهم من الآلهة والأصنام، وذلك حين يتبرأ كل معبود من دون الله ممن عبده» وهو قوله: **﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾** قال ابن عباس[4]: «أنكروا عبادتهم» وذلك أن الله تعالى ينطق الأوثان، فتقول: ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون **﴿فكفى بالله﴾** الآية، هذا كلام معبوديهم لما تبرأوا منهم قالوا: يشهد الله على علمه فينا، ما كنا عن عبادتهم إلا غافلين، لأنه لم تكن فينا روح وما كنا نسمع ولا نبصر. **﴿هنالك﴾** أي: في ذلك الوقت **﴿تَبْلُواْ﴾** تختبر **﴿كل نفس ما أسلفت﴾** قدمت من خير أو شر وذلك أن من قدم خيراً أو شراً جوزي عليه فيختبر الخير، ويجد ثوابه ويختبر الشر، ويجد عقابه، وقرىء تتلو بتاءين[5]، ومعناه: تقرأ كتابها وما كتب من أعمالها التي قدمتها **﴿وردوا إلى الله﴾** إلى حكمه، فينفرد فيهم بالحكم **﴿مولاهم الحق﴾** الذي يتولى ويملك أمرهم **﴿وضل﴾** أي: وزال وبطل **﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾** في الدنيا من التكذيب.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قوله: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾** يريد من ينزل القطر من السماء ويخرج النبات من الأرض؟ **﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾** أي: من يملك خلق السمع والأبصار **﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾** أي: المؤمن من الكافر، والنبات من الأرض، والإنسان من النطفة، والطير من البيضة، والسنبلة من الحب، والنخلة من النواة،

(١) انظر تفسير القرطبي ٨/٢١٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/١٦.

(٣) البغوي ٢/٣٥٢ والقرطبي ٨/٢١٢ - ٢١٣.

(٤) البغوي ٢/٣٥٢ القرطبي ٨/٢١٣ البحر المحيط ٥/١٥١.

(٥) النشر ٢/٢٨٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٨.

وعلى الضد من ذلك ﴿ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر﴾ أمر الدنيا والآخرة ﴿فسيقولون الله﴾ أي: الله الذي يفعل هذه الأشياء، وذلك أنهم علموا أن الرزاق والمدبر هو الله فإذا أقروا بعد الاحتجاج ﴿فقل أفلا تتقون﴾ قال ابن عباس(١): «أفلا تخافون الله فلا تشركوا به شيئاً» ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ قال ابن عباس(٢): «يريد هذا الذي كله فعله هو الحق، ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء لا يملكون شيئاً من هذا» وقوله: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ قال مقاتل(٣): «يعني بعد عبادة الله إلا الضلال يعني عبادة الشيطان» ﴿فأنى تصرفون﴾ قال ابن عباس(٤): «كيف تصرف عقولكم إلى عبادة ما لا يرزق، ولا يحيي ولا يميت» وقوله: ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الصرف ﴿حقت كلمة ربك على الذين فسقوا﴾ يعني خرجوا في الكفر إلى أفحشه ﴿أنهم لا يؤمنون﴾ وهو قوله: ﴿وأما الذين فسقوا﴾ الآية، وغيرها من آي الوعيد للكفار، ﴿قل هل من شركائكم﴾ الذين تعبدونهم مع الله ﴿من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ يخلق أولاً ثم يعيده ثانياً، ﴿قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ فيكف تصرفون عن الحق؟ ﴿قل هل من شركائكم﴾ يعني آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ﴿من يهدي إلى الحق﴾ يرشد إلى دين الإسلام ؟ ﴿قل الله يهدي للحق﴾ أي: إلى الحق ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي﴾ أي: إن الله الذي يهدي ويرشد إلى الحق أهل الحق أحق أن يتبع أمره، أم الصنم الذي لا يهدي أحداً، ولا يهتدي إلى الخير وقرىء(٥) يهدي ويهدي ويهدي، ويهدي، وكلها يفتعل وإن اختلفت ألفاظها وأصلها يهتدي فأدغمت التاء في الدال، فمن فتح الهاء ألقى عليه حركة التاء المدغم ومن كسر الهاء، فلأنها كانت ساكنة واجتمعت مع الحرف المدغم، الساكن، فحرك الهاء بالكسر، لالتقاء الساكنين، ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين، ومن كسر الياء والهاء، اتبع الياء ما بعدها من الكسر قال الزجاج: «وهو رديء، لثقل الكسر في الياء(٦)»، فأما معنى: لا يهتدي إلا أن يهدي، فالأصنام وإن هديت لا تهتدي، لأنهم موات من حجارة، ولكن الكلام يدل على أنها إن هديت اهتدت لأنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها، كما يعبر عمن يعلم ويعقل ووصفت صفة من يعقل، وإن لم تكن في الحقيقة كذلك، قوله: ﴿فما لكم﴾ قال الزجاج(٧) «ما لكم كلام تام، كأنهم قيل لهم: أي شيء لكم في عبادة الأصنام» ثم قيل لهم ﴿كيف تحكمون﴾ قال مقاتل(٨): «كيف تقضون حين زعمتم أن مع الله شريكاً؟» ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ ما يستيقنون أنها آلهة بل يظنون شيئاً، فيتبعون ظناً لأنهم لم يأتهم بذلك كتاب ولا رسول ﴿إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً﴾ لا يدفع من عذاب الله شيئاً، أي ظنهم أن الأصنام آلهة، وأنها تشفع لهم، لا يغني عنهم شيئاً، قال عطاء(٩): «يريد ليس الظن كاليقين، يعني: يقوم مقام العلم»

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ

(١) البغوي ٢/٣٥٢ القرطبي ٨/٢١٤ البحر المحيط ٥/١٥٤ ابن كثير ٤/٢٠٣.
(٢) البغوي ٢/٣٥٢ ابن كثير ٤/٢٠٣.
(٣) القرطبي ٨/٢١٤.
(٤) البغوي ٢/٣٥٢.
(٥) النشر ٢/٢٨٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٠٩.
(٦) وقول الزجاج وهو رديء قول فيه إساءة أدب حيث أن القراءات من القراءات العشر المتواترة فلا يلتفت إلى ما قال.
(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٠.
(٨) البغوي ٢/٣٥٣ القرطبي ٨/٢١٩.
(٩) القرطبي ٨/٢١٩.

صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾

قوله تعالى: ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله**﴾ هذا جواب لقولهم: ﴿**ائت بقرآن غير هذا**﴾ و «أن» مع «**يفترى**» بمنزلة المصدر، يعني وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ﴿**ولكن تصديق الذي بين يديه**﴾ ولكن كان تصديق ما قبله من الكتب، وأخبار الأمم والأنبياء الماضين، وهذا احتجاج عليهم بأن القرآن من عند الله بتصديقه الذي بين يديه، وقوله: ﴿**وتفصيل الكتاب**﴾ وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والأحكام ثم احتج عليهم بأن يأتوا بمثله إن كان مفترى فقال: ﴿**أم يقولون**﴾ بل أيقولون يعني المشركين ﴿**افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله**﴾ ادعوا إلى معاونتكم من المعارضة كل من تقدرون عليه ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في أنه افتراء، وهذا كقوله في سورة البقرة ﴿**وإن كنتم في ريب**﴾.

قوله تعالى: ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**﴾ أي بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والقيامة والثواب والعقاب ﴿**ولما يأتهم تأويله**﴾ لم يأتهم بعد حقيقة ما وعدوا في الكتاب مما يؤول إليه أمرهم من العقوبة ﴿**كذلك كذب الذين من قبلهم**﴾ أي بالبعث والقيامة ﴿**فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**﴾ يعني كان عاقبتهم العذاب والهلاك بتكذيبهم، قوله: ﴿**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به**﴾ وهذا إخبار عما سبق في علم الله تعالى، قال الكلبي(١): «نزلت في أهل مكة» ﴿**وربك أعلمُ بالمفسدين**﴾ قال عطاء(٢): «يريد المكذبين وهذا تهديد لهم» ﴿**وإن كذبوك فقل لي عملي**﴾ الآية، قال مقاتل والكلبي(٣) «هذه الآية منسوخة بآية الجهاد» قوله: ﴿**ومنهم من يستمعون إليك**﴾ قال ابن عباس «نزلت في المستهزئين كانوا يستمعون إلى النبي ﷺ للاستهزاء والتكذيب فلم ينتفعوا باستماعهم» قال الله تعالى: ﴿**أفأنت تسمع الصم**﴾ قال الزجاج(٤): «أي ظاهرهم ظاهر من يستمع وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم» ﴿**ولو كانوا لا يعقلون**﴾ يريد أنهم أشد من الصمّ لأنه الصم لهم عقولٌ وقلوب، وهؤلاء قد أصمَّ الله قلوبهم.

أخبر الله تعالى أن هؤلاء بمنزلة الصم الجهال، إذ لم ينتفعوا بما سمعوا قوله: ﴿**ومنهم من ينظر إليك**﴾ قال ابن عباس(٥): «يريد متعجبين منك» ﴿**أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون**﴾ يريد أن الله تعالى قد أعمى قلوبهم، فلا يبصرون شيئاً من الهدى، كما قال: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار**﴾ الآية قال الزجاج(٦): ومنهم من يقبل عليك بالنظر وهو

---

(١) القرطبي ٨/ ٢٢٠.
(٢) انظر تفسير البغوي ٢/ ٣٥٤.
(٣) البغوي ٢/ ٣٥٥. القرطبي ٨/ ٢٢١.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢.
(٥) البغوي ٢/ ٣٥٥ بنحوه وعند القرطبي ٨/ ٢٢١ بنحوه.
(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٢.

كالاعمى من بغضه لك، وكراهية ما يراه من آياتك قوله: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ لما ذكر الله تعالى في الآيتين السابقتين فريقين ووصفهما بالشقوة ينظرون، ولا يسمعون ولا يعقلون، ولا يؤمنون، وذلك للقضاء السابق عليهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقوة عليهم ما كان ظلماً منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم، وهو قوله: ﴿ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ وذلك أن الفعل منسوب إليهم وإن كان القضاء من الله سبحانه ﴿ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعةً من النهار﴾ قال ابن عباس[1]: «كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار» وقال الضحاك[2]: «قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم فصار كالساعة من النهار، لهول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة»﴿يتعارفون بينهم﴾ بتوبيخ بعضهم بعضاً، يقول كل فريق للآخر: أنت أضللتني يوم كذا، وأنت كسبتني دخول النار بما علمتني، وزينته لي ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾ خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ قال المفسرون[3]: «كانت وقعة بدر ما أراه الله حال حياته مما وعد المشركين من العذاب» ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن نريك ﴿فإلينا مرجعهم﴾ بعد الموت فنجزيهم بأعمالهم، قال الزجاج[4]: «أعلم الله أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل، ينتقم منهم في الآجل» وقوله: ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ أي: من محاربتك، وتكذيبك قوله: ﴿ولكل أمة رسول﴾ قال ابن الأنباري «رسول يرسله الله إليهم سفيراً بينه وبينهم، مبشراً ومنذراً» فإذا جاءهم الرسول في الدنيا[5]، ﴿قضي بينهم بالقسط﴾ حكم عليهم عند اتباع المؤمنين وعناد الكافرين بالمعصية والطاعة والضلالة والهدى ﴿وهم لا يظلمون﴾ قال عطاء[6]: «لا ينقص الذين صدقوا من ثوابهم ولا يزاد الذين كذبوا من مساوىء أعمالهم» ولما أخبرهم النبي ﷺ بقوله ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ قالوا: متى هذا العذاب [الذي تعدنا؟ وهو قوله: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أنت وأتباعك][7]؟ ﴿قل لا أملك لنفسي﴾ هذا الآية إلى آخرها مفسرة في آيتين من سورة الأعراف.

قوله: ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً﴾ قال الزجاج:[8] «البيات كل ما كان بليل» يقول: أعلمتم

(١) البغوي ٢/٣٥٥، القرطبي ٨/٢٢٢.
(٢) البغوي ٢/٣٥٥، القرطبي ٨/٢٢٢.
(٣) البغوي ٢/٣٥٦ القرطبي ٨/٢٢٢ البحر المحيط ٥/١٦٤.
(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٣.
(٥) انظر فتح القدير ٢/٤٤٩.
(٦) انظر تفسير البغوي ٢/٣٥٦ القرطبي ٨/٢٢٣ فتح القدير ٢/٤٤٩.
(٧) سقط في أ.
(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٢٤.

أيها المستعجلون للعذاب إن أتاكم العذاب ليلاً أو نهاراً ﴿ماذا يستعجل منه[المجرمون﴾ أي: ماذا يستعجلون منه]؟[1] وهو استفهام معناه: التفظيع والتهويل، كما يقول لمن هو في أمر يستوخم عاقبته: ماذا تجني على نفسك؟ وهو جواب لقولهم: متى هذا الوعد؟ وقوله: ﴿أثم إذا ما وقع ءامنتم به﴾ كان المشركون يقولون: نكذب العذاب ونستعجله، ثم إذا ما وقع، آمنا به، فقال الله تعالى موبخاً لهم: ﴿أثم إذا ما وقع﴾ العذاب، وحل بكم، آمنتم به؟ فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: ﴿ءالآن﴾ تؤمنون ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾؟ مستهزئين معاندين للحق، وهو قوله: ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾ الآية، وذلك: أن العذاب إذا لحق الكافرين أفضوا منه إلى عذاب الآخرة.

۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

قوله عز وجل: ﴿ويستنبئونك أحق هو﴾ أي: البعث والعذاب، أي: يستخبرونك عن ذلك ﴿قل إي وربي﴾ قال الزجاج[2]: «نعم وربي» ﴿إنه لحق﴾ إن العذاب نازل بكم ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بعد الموت، قال ابن عباس:[3] «يريد أن الله لا يعجزه شيء ولا يفوته» ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أشركت ﴿ما في الأرض لافتدت به﴾ لبذلته لدفع العذاب عنها ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: أخفى الرؤساء في الكفر الندامة من الذين أضلوهم، وستروها عنهم، هذا قول عامة المفسرين وأهل التأويل[4] وقال أبو عبيدة[5]: الإسرار من الأضداد يقال: أسررت الشيء أخفيته، وأسررته أعلنته، قال: ومن الإعلان قوله: ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي أظهروها واختار المفضل هذا القول، وقال ليس ذلك اليوم يوم[6] تصبر ولا تصنع[7] ﴿وقضي بينهم بالقسط﴾ أي: بين الرؤساء ﴿وهم لا يظلمون﴾ لأنهم يجازون بشركهم قوله: ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق﴾ قال ابن عباس: «يريد ما وعد لأوليائه من الثواب ولأعدائه من العقاب» ﴿ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون﴾ يريد المشركين.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

﴿يا أيها الناس﴾ قال ابن عباس[8]: «يعني قريشاً» ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾ يعني القرآن، وما فيه من المواعظ التي تدعو إلى الصلاح، ﴿وشفاءٌ لما في الصدور﴾ أي: دواء لداء الجهل، والقرآن مزيلٌ للجهل وكاشفٌ لعَمَى القلب ﴿وهُدًى﴾ وبيان للضلالةِ ﴿ورحمةٌ للمؤمنين﴾ ونعمة من الله تعالى لأصحاب محمد ﷺ، قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته

---

(١) سقط في أ.
(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٢٥.
(٣) البغوي ٢/٣٥٧، البحر المحيط ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٤.
(٤) البغوي ٢/٣٥٧ أبو حيان ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٥.
(٥) البغوي ٢/٣٥٧ البحر ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٥.
(٦) في ج (ندم يضر ولا ينفع).
(٧) أبو حيان ٥/١٦٩ القرطبي ٨/٢٢٥.
(٨) أبو حيان ٥/١٧٠ القرطبي ٨/٢٢٥.

فبذلك فليفرحوا﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة: فضل الله الإسلام ورحمته القرآن وهذا قولُ عامة المفسرين.[(١)]

أخبرنا أبو بكر الحارثي أنا أبو الشيخ حافظ أنا أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان نا أبو معاوية عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري في قوله **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾** قال: فضل الله القرآن ورحمته أن جعلهم من أهله[(٢)].

﴿وهو خير مما﴾ يجمع الكفار من الدنيا، ثم أمره أن يخاطب كفار مكة بقوله:

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ يعني ما خلف وأنشأ، **﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾** يعني ما حرموا من الحرث والأنعام لآلهتهم **﴿قل ءآلله أذن لكم﴾** في هذا التحريم والتحليل **﴿أم على الله تفترون﴾** بل تقولون على الله الكذب وذلك أنهم كانوا يقولون: الله أمرنا بها، قوله: **﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾** قال مقاتل[(٣)]: «وما ظن الذين يتقولون على الله الكذب، بأن الله أمرهم بتحريم ما حرموا يوم القيامة إذا لقوه»، **﴿ إن الله لذو فضل على الناس ﴾** حين لم يعجل بعقوبة افترائهم **﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾** تأخير العذاب عنهم، قوله: **﴿وما تكون في شأنٍ﴾** قال الحسن[(٤)]:

---

(١) البغوي ٢/٣٥٨ القرطبي ٨/٢٢٦ أبو حيان ٥/١٧١ انظر الدر المنثور ٣/٣٠٨.

(٢) الطبري في التفسير ١٥/٢٠ وانظر البحر المحيط ٥/١٧١ القرطبي ٨/٢٢٦ البغوي ٢/٣٥٨ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٤٥٤ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في الشعب.

(٣) أبو حيان في البحر ٥/١٧٣.

(٤) بنحوه عند البغوي ٢/٣٥٩ القرطبي ٨/١٢٧.

«في شأن من شأن الدنيا وحوائجك فيها» ﴿وما تتلو منه﴾ أي من الله تعالى أي: نازل منهم ﴿من قرآن﴾ والخطاب للنبي ﷺ وأمته داخلون في هذا الخطاب لأن خطاب الرئيس خطاب له ولأتباعه يدل على هذا قوله: ﴿ولا تعملون من عمل﴾ قال ابن الأنباري: «جمع في هذا، ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين» ﴿إلا كنا عليكم شهوداً﴾ قال الفراء[١]: «يقول الله شاهد على كل شيء»،والمعنى: إلا نعلمه فنجازيكم به، ﴿إذ تفيضون فيه﴾ الإفاضة الدخول في العمل قال ابن الأنباري[٢]: «إذ تندفعون فيه» وقال ابن عباس[٣]: إذ تأخذون فيه ﴿وما يعزب عن ربك﴾ والعزوب البعد والذهاب، يقال: «عزب عنه الشيء إذا غاب وذهب» ﴿من مثقال ذرة﴾ أي وزن ذرة، ومثقال الشيء ما وازنه، والذر صغار النمل، الواحدة ذرة ﴿في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر﴾ قال الفراء[٤]: «من نصبها فإنما يريد الخفض، يتبعها المثقال والذرة، ومن رفعها أتبعها معنى المثقال لأنك لو ألقيت من المثقال «من» كان رفعاً، وهو كقولك: ما أتاني أحد عاقل وكذلك قوله: ﴿ما لكم من إله غيره﴾ وغيره» ﴿إلا في كتاب مبين﴾ قال ابن عباس[٥]: «يريد اللوح المحفوظ» قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب[٦] أنا أبو عمرو محمد بن أحمد الحيري أنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار نا عبد الله بن عمر[٧] نا أبو عبد الرحمن[٨] نا يحيى بن اليمان عن أشعث بن إسحاق عن جعفر بن المغيرة[٩] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ قال: «هم الذين يذكر الله لرؤيتهم»[١٠].

أخبرنا محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى أنا محمد بن جعفر بن هيثم الأنباري نا جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ نا أبو غسان وعاصم قالا :حدثنا قيس نا عمارة بن القعقاع[١١] عن ابن زرعة بن عمرو عن عمر بن الخطاب قال:

---

(١) انظر معاني الفراء ١/ ٤٧٠.

(٢) البغوي ٢/ ٣٥٩ نقلا عن ابن الأنباري.

(٣) انظر البغوي ٢/ ٣٥٩ والقرطبي بلفظه ٨/ ٢٢٧ أبو حيان ٥/ ١٧٤.

(٤) انظر النشر ٢/ ٢٨٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١١٧ وانظر القرطبي ٨/ ٢٢٨ البحر المحيط ٥/ ١٧٤.

(٥) البغوي ٢/ ٣٥٩ القرطبي ٨/ ٢٢٨ وانظر تفسير البحر ٥/ ١٧٤.

(٦) بفتح الخاء والشين المعجمة وفي آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذا اسم لمن يبيع الخشب الأنساب (٢/ ٣٦٦).

(٧) الحافظ المجود محدث مرو أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الحافظ عمر بن أحمد بن علك الجوهري المروزي. سمع أباه ومحمد بن أيوب بن الضريس والفضل بن محمد الشعراني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وأبا عبد الله البوشنجي وعبد الله بن ناجية وطبقتهم ورحل به أبوه. حدث عنه: أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي في (الألقاب)، وأبو بكر البرقاني وأبو عبد الله الحاكم وجماعة. قال الخليلي: مات بعد سنة ستين وثلاث مئة. ثم قال: هو حافظ متفق عليه. انظر السير (١٦/ ١٦٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٩) الشذرات (٣/ ٣٧).

(٨) عبد الله بن حبيب بن ربيعة بالتصغير أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القاري ولأبيه صحبة. انظر التهذيب (٥/ ١٨٣).

(٩) جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي روى عن سعيد بن جبير وعكرمة، روى عنه مطرف بن طريف وأبو السوداء وأشعث بن إسحاق القمي وثعلبة بن سهيل ويعقوب بن عبد الله الأشعري وأشعث بن سوار. انظر الجرح والتعديل (٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

(١٠) أخرجه الطبراني كما في المجمع (٧/ ٣٩) وقال الهيثمي رواه الطبراني عن شيخه الفضل ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات وأخرجه الطبري بإسناد مرسل في التفسير (١٥/ ١١٩).

(١١) عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي الكوفي ابن أخي عبد الله بن شبرمة وكان أكبر من عمه. روى عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير وعبد الرحمن بن أبي نعيم البجلي والحارث العكلي والأخنس بن خليفة الضبي وعنه الحارث العكلي شيخه وابنه القعقاع بن =

قال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى» فقالوا: يا رسول الله، من هم؟ وما أعمالهم؟ لعلنا نحبهم، قال: «قوم تحابوا بروح الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم، والله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾»[1] قوله: ﴿الذين ءامنوا وكانوا يتقون﴾ قال ابن عباس[2]: «يريد الذين صدقوا النبي ﷺ، وخافوا مقامهم بين يدي الله تعالى» قوله﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المزكي أنا أبو عمرو بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن علي نا يحيى بن يحيى أنا عبد الله بن يحيى ابن أبي كثير[3] قال: سمعت أبي يقول: نا أبو سلمة عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ فقال أرأيت قول الله تعالى ﴿الذين ءامنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ ما هذه الدنيا؟ قال: «لقد سألتني عن شيء ما سألني أحد من أمتي قبلك هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له»[4].

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري نا محمد بن يعقوب بن يوسف نا بحر بن نصر نا إبن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دّراجاً أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لهم البشرى في الحياة الدنيا» الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن، جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هي من الشيطان ليحزنه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليسكت، ولا يخبر بها أحداً»[5] وقال عطاء[6] عن ابن عباس: «لهم البشرى في الحياة الدنيا، يريد عند الموت تأتيهم ملائكة الرحمة بالبشرى من الله وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يبشر برضوان الله». وهذا قول قتادة والضحاك والزهري[7]: قالوا: «البشارة عند الموت» وقال الحسن[8]: «ما بشر الله عز وجل في كتابه من جنته وكريم ثوابه في قوله: ﴿وبشر الذين

= عمارة والأعمش وفضيل بن غزوان وابنه محمد بن فضيل وعبد الواحد بن زياد والسفيانان وشريك وغيرهم. انظر التهذيب (٧/٤٢٣).

(١) أخرجه الطبري في التفسير عن أبي هريرة ١٥/١٢٠ ـ ١٢١ (١٧٧١٣) (١٧٧١٤) وقال الحافظ ابن كثير هذا إسناد جيد إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وعمر بن الخطاب. وانظر تفسير القرطبي ٨/٢٢٨.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط ٥/١٧٥ قلت والذي تقتضيه الشريعة في الولي أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وإياك من مذاهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي عافانا الله وإياك. آمين آمين..

(٣) يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليمامي واسم أبيه صالح بن المتوكل، وقيل يسار، وقيل نشيط، وقيل دينار. روى عن أنس وقد رآه وأبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهلال بن أبي ميمونة ومحمد بن إبراهيم التيمي، ويعلى بن حكيم ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وأبي قلابة الجرمي وأبي نضرة العبدي وزيد بن سلام، وضمضم بن جوشن وعبد الله بن أبي قتادة وخلق التهذيب (١١/٢٦٨).

(٤) أخرجه أحمد في المسند ضمن مسند عبادة بن الصامت ٥/٣١٥ والحاكم في المستدرك ٢/٣٤٠ في التفسير وصححه، ووافقه الذهبي وأخرجه الطبري في التفسير ١٥/١٢٩ ـ ١٣٠ وذكره ابن كثير في التفسير ٤/٢١٥.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢/٢١٩ وذكره الهيثمي في المجمع ٧/٣٩ وقال رواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن دراج وحديثهما حسن وفيهما ضعف وبقية رجاله ثقات.

(٦) البغوي ٢/٣٦٠ أبو حيان ٥/١٧٥ القرطبي ٨/٢٢٩.

(٧) البغوي ٢/٣٦٠ أبو حيان ٥/١٧٥ القرطبي ٨/٢٢٩.

(٨) البغوي ٢/٣٦٠ أبو حيان ٥/١٧٥ القرطبي ٨/٢٢٩.

ءامنوا﴾[١] ﴿وبشر المؤمنين﴾[٢] ﴿وأبشروا بالجنة﴾[٣] وهذا اختيار الفراء والزجاج [٤] قالا: ويدل على صحة هذا قوله ﴿**لا تبديل لكلمات الله**﴾ قال إبن عباس [٥]: «لا خلف لمواعيده، وذلك أن مواعيده بكلماته فإذا لم تبدل كلماته لم تبدل مواعيده» قوله تعالى: ﴿**ولا يحزنك قولهم**﴾ ولا يحزنك إنكارهم وتكذيبهم وتظاهرهم عليك في العداوة، وتم الكلام، ثم ابتدأ فقال: ﴿**إن العزة لله جميعاً**﴾ أي: الغلبة له، وهو ناصرك، وناصر دينك، والمعنى: أنه الذي يعزك، حتى تصير أعز ممن ناوأك ﴿**هو السميع العليم**﴾ يسمع قولهم، ويعلم ضميرهم فيجازيهم بما يقتضيه حالهم ﴿**ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض**﴾ أي إنه يفعل بهم وفيهم ما يشاء ﴿**وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء**﴾ أي ما يتبعون شركاء على الحقيقة لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم وليست على ما يظنون ﴿**إن يتبعون إلا الظن**﴾ يعني ظنهم أنها تشفع لهم يوم القيامة ﴿**وإن هم إلا يخرصون**﴾ ما هم إلا كاذبون فيما يزعمون، قوله: ﴿**هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**﴾ أي: ليزول التعب والكلال بالسكون فيه ﴿**و**﴾ جعل ﴿**النهار مبصراً**﴾ مضيئاً لتهتدوا به في حوائجكم ﴿**إن في ذلك**﴾ الذي فعل ﴿**لآياتٍ لقوم يسمعون**﴾ سماع اعتبار أنه مما لا يقدر عليه إلا عالم قادر.

قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿**قالوا اتخذ الله ولداً**﴾ يعني زعم المشركون أن الملائكة بنات الله ﴿**سبحانه**﴾ تنزيها له عما قالوا، ﴿**هو الغني**﴾ أن تكون له زوجة وولد ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ عبيداً أو ملكاً ﴿**إن عندكم من سلطان بهذا**﴾ ما عندكم من حجة بما تقولون، ثم أنكر عليهم ذلك، فقال: ﴿**أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون**﴾ لا يسعدون في العاقبة وإن اغتروا بطول السلامة﴿**متاع في الدنيا**﴾ أي: لهم متاع في الدنيا، يتمتعون به أياماً يسيرة ﴿ **ثم إلينا مرجعهم**﴾ في الآخرة ﴿**ثم نذيقهم العذاب الشديد**﴾ الغليظ الذي لا ينقطع ﴿**بما كانوا يكفرون**﴾.

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

---

(١) سورة البقرة ٢٥.
(٢) سورة التوبة ١١٢.
(٣) سورة فصلت ٣٠.
(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧١ الزجاج ٣/ ٢٦.
(٥) القرطبي ٨/ ٢٢٩ البغوي ٢/ ٣٦٠ أبو حيان ٥/ ١٧٥.

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾

قوله: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾ أي: اقرأ واقصص على قومك خبر نوح وقصته مع قومه وذلك لما فيه من الدليل للنبي ﷺ على نبوته، ولقومه من الاعتبار بقوم نوح وما حل بهم من العقوبة والتكذيب وقوله ﴿إذ قال لقومه﴾ يعني نوح ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ عظم وثقل وشق عليكم إقامتي بين أظهركم ولبثي فيكم ﴿وتذكيري بآيات الله﴾ قال إبن عباس [١]: «وعظي وتخويفي إياكم عقوبة الله»، ﴿فعلى الله توكلت﴾ في نصرتي، ودفع شركم عني ﴿فأجمعوا أمركم﴾ معنى الإجماع العزم على أمر محكم لا يخالف وقوله: ﴿وشركاءكم﴾ قال الفراء: «وادعوا شركاءكم دعاء استغاثة بهم»، وكذلك في قراءة عبد الله[٢] وقال الزجاج[٣]: «الواو بمعنى مع، والمعنى فأجمعوا أمركم مع شركائكم» ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أي: مبهماً ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً لا تسترون معاداتي ﴿ثم اقضوا إليّ﴾ثم أمضوا إليّ بمكروهكم، وما توعدونني به ومعنى: قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه، والفراغ منه وهذا إخبار عن نوح أنه كان ينصر الله واثقاً من كيد قومه غير خائف ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فما سألتكم من أجر﴾ أي لم يكن دعائي إياكم طمعاً في مالكم﴿إن أجري﴾ ما ثوابي ﴿إلا على الله﴾ قوله: ﴿وجعلناهم خلائف﴾ جعل الله الذين نجوا مع نوح من الغرق خلفاً ممن هلك، كما قال: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وذلك أن الناس كانوا من ذريته بعد الغرق وهلك أهل الأرض جميعاً بتكذيبهم لنوح عليه السلام سوى ذريته الذين نجوا معه، وذلك قوله: ﴿وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾الآية، قوله: ﴿ثم بعثنا من بعده﴾ أي من بعد نوح ﴿رسلا إلى قومهم﴾ قال ابن عباس: «يريد إبراهيم وهوداً، وصالحاً ولوطاً وشعيباً﴿فجاءوهم بالبينات﴾ بأنهم رسل الله ﴿فما كانوا﴾ أ: أولئك الأقوام الذين بعث إليهم الرسل ﴿ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾ يعني: قوم نوح، أي لم يصدقوا بما كذب به قوم نوح وكانوا مثلهم في الكفر والعتو ﴿كذلك نطبع على قلوب المعتدين﴾ قال ابن عباس: «يريد أن الله طبع على قلوبهم فأعماها، فلا يبصرون سبيل الهدى» وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله:

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا﴾ اللفت: الصرف عن الشيء يقال: لفته عن رأيه أي: لواه وصرفه عنه والمعنى لتصرفنا عن دين آبائنا ﴿وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ قال المفسرون[٤]: «أي الملك والعز في أرض مصر، والخطاب لموسى وهارون»أي إنما تطلبان التملك علينا ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ ثم طلب فرعون السحرة ليعارضوا بسحرهم موسى، وهو قوله:

---

(١) البغوي ٢/٣٦٢ أبو حيان ١٧٨/٥، القرطبي ٢٣١/٨.
(٢)انظر النشر ٢٨٦/٢ إتحاف فضلاء البشر ١١٧/٢.
(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٢٨/٣.
(٤) البغوي ٣٦٣/٢ أبو حيان ١٨٢/٥ القرطبي ٢٣٤/٨.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة﴾ إلى قوله: ﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ أي: الذي جئتم به من الحبال والعصي سحر ﴿إن الله سيبطله﴾ فيهلكه وتظهر فضيحتكم ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لا يجعل عملهم ينفعهم ﴿ويحق الله الحق﴾ ويظهره ويمكنه ﴿بكلماته﴾ بما سبق من وعده بذلك.

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

قوله: ﴿فما ءامن لموسى﴾ أي: ما صدقه ﴿إلا ذرية من قومه﴾ يعني ذرية يعقوب وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ قال ابن عباس[١]: «متطاول في أرض مصر» ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ حين كان عبداً فادعى الربوبية، ثم أمر موسى [من آمن من قومه بالتوكل على الله، في دفع شر فرعون وهو قوله: ﴿وقال موسى][٢] يا قوم إن كنتم ءامنتم بالله﴾ الآية، ﴿فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ أي لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا طغياناً قال مجاهد[٣]: لا تهلكنا بعذاب على أيدي قوم فرعون ولا بعذاب من عندك، فيقول قوم فرعون: لو كانوا على حق ما عذبوا ولا تسلطنا عليهم فيفتنوا ﴿ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ وذلك أنهم كانوا يستعبدونهم ويأمرونهم بالأعمال الشاقة فسأل الله النجاة منهم قوله: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾ الآية، قال المفسرون[٤]: «لما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل، فخربت كلها، ومنعوا من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون» وذلك قوله: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ قال الزجاج[٥]: «صلوا في بيوتكم، لتأمنوا من الخوف» وقال عكرمة عن ابن عباس[٦] «واجعلوا بيوتكم مساجد»

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/٣٦٤ القرطبي ٨/٢٣٦ فتح القدير ٢/٤٦٦.

(٢) سقط في أ.

(٣) البغوي ٢/٣٦٥ القرطبي ٨/٢٣٦ الشوكاني في فتح القدير ٢/٤٦٧ وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والدر المنثور ٢/٣١٤.

(٤) البغوي ٢/٣٦٥ القرطبي ٨/٢٣٧ أبو حيان ٥/١٨٦ وانظر الدر المنثور ٣/٣١٤.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٠.

(٦) البغوي ٢/٣٦٥ القرطبي ٨/٢٣٧ أبو حيان ٥/١٨٦.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله: **﴿وقال موسى ربنا إنك ءاتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا﴾** قال ابن عباس[١] «كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت» **﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾** أي: إنك جعلت هذه الأموال سبباً لضلالهم لأنهم بطروا بها فاستكبروا عن الإيمان، وطغوا في الأرض **﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾** قال الزجاج[٢]: «تأويل طمس الشيء، إذهابه عن صورته، والانتفاع به على الحالة الأولى التي كانت عليها» قال المفسرون[٣]: «صارت أموالهم حجارة الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة صحاحاً وأثلاثاً وأنصافاً»، قال القرظي[٤] «جعل سكرهم حجارة» وقال قتادة[٥]: «بلغنا أن حروثاً لهم صارت حجارة» وقال عطاء[٦]: «لم يبق لهم معدن إلا طمس الله عليه فلم ينتفع به أحد بعد» وقوله: **﴿واشدد على قلوبهم﴾** قال ابن عباس[٧]: «امنعهم عن الإيمان بك» والمعنى: أطبع عليها حتى لا تلين ولا تنشرح للإيمان وهذا دليل على أن الله يفعل ذلك بمن يشاء، ولولا ذلك ما حسن من موسى هذا السؤال. وقوله: **﴿فلا يؤمنوا﴾** قال الفراء والزجاج[٨]: «**﴿فلا يؤمنوا﴾** دعاء عليهم أيضاً» والتأويل: فلا آمنوا **﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾** يعني: الغرق **﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾** قال المفسرون: «كان موسى يدعو وهارون يؤمن ولذلك قال دعوتكما» **﴿فاستقيما﴾** على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب، **﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾** لا تسلكان طريق الذين يجلهون حقيقة وعدي، فتستعجلان قضائي وخفف «ابن عامر» نون (تتبعان) للتضعيف[٩].

﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله: **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾** أي عبرنا بهم **﴿فأتبعهم فرعون وجنوده﴾** أي: لحقوه، كما قال:

---

(١) القرطبي ٨/٢٣٩ أبو حيان ٥/١٨٦.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣١.

(٣) البغوي ٢/٣٦٦ أبو حيان ٥/١٨٧ القرطبي ٨/٢٣٩.

(٤) البغوي ٢/٣٦٥ ـ ٣٦٦ أبو حيان ٥/١٨٧ القرطبي ٨/٢٣٩.

(٥) البغوي ٢/٣٦٦ أبو حيان ٥/١٨٧ القرطبي ٨/٢٣٩.

(٦) القرطبي ٨/٢٣٩ أبو حيان ٥/١٨٧.

(٧) انظر البغوي ٢/٣٦٦ أبو حيان ٥/١٨٧ القرطبي ٨/٢٣٩.

(٨) انظر معاني القرآن للفراء ١/٤٧٧ والزجاج ٣/٣١ القرطبي ٨/٢٣٩.

(٩) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢/٢٨٦ إتحاف فضلاء البشر ١/١١٩.

﴿فأتبعه الشيطان﴾، **﴿بغياً وعدواً﴾** ظلماً وعدواناً **﴿حتى أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسرائيل﴾** قال ابن عباس[١]: لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب فلم ينفعه ذلك وقيل له **﴿ءالآن وقد عصيت قبل﴾** أي: الآن تتوب، وقد أضعت التوبة في وقتها؟ قال المفسرون[٢]: «خاطبه جبريل بهذا» أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا أبو علي بن أحمد الفقيه أنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا هدبة بن خالد نا حماد بن سلمى عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «قال جبريل عليه السلام: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر أحشو في فيه يعني فرعون، مخافة أن تدركه الرحمة»[٣].

وقال الضحاك بن قيس[٤]: اذكروا الله في الرخاء يذكركم عند الشدة وإن يونس كان عبداً صالحاً، وإنه كان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت سأل الله تعالى، فقال الله: **﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾** وإن فرعون كان عبداً طاغياً، ناسياً لذكر الله فلما **﴿أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾** فقال الله تعالى **﴿ءالآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾**[٥]؟ وقال السدي[٦]: «بلغنا أن جبريل قال لرسول الله ﷺ ما أبغضت عبداً من عباد الله، ما أبغضت عبدين أحدهما من الجن والآخر من الإنس أما الذي من الجن فإبليس، حين أبى أن يسجد لآدم وأما الذي من الإنس ففرعون حين قال (أنا ربكم الأعلى)، ولو رأيتني يا محمد وأنا آخذه من البحر فأدسه في فيه، مخافة أن يقول كلمة ينجو بها».

وقوله: **﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾** قال ابن عباس[٧] والمفسرون: «لما أغرق الله فرعون وقومه أنكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون، وقال: هو أعظم شيئاً من أن يغرق، فأخرجه الله حتى رأوه»، فذلك قوله: **﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾** أن نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع ومعنى **﴿ببدنك﴾** بجسدك بغير روح، وذلك أنه طفى عرياناً، وذهب قوم إلى أن معنى البدن هنا الدرع قال ابن عباس[٨]: «كانت عليه درع من ذهب يعرف بها وهو البدن» والمعنى أنا نرفع فرعون فوق الماء بدرعه المشهور، ليعرفوه بها، وذلك قوله: **﴿لتكون لمن خلفك ءاية﴾** قال

---

(١) انظر البحر المحيط ٥/١٨٨.

(٢) البغوي ٢/٣٦٧ انظر البحر المحيط ٥/١٨٩ فتح القدير ٢/٤٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٦٨ في كتاب التفسير سورة يونس (٣١٠٧، ٣١٠٨) وأحمد في المسند ١/٢٤٠، ٢٤٥، ٣٠٩، ٣٤٠. وأخرجه الحاكم ٢/٣٤٠ وصححه ووافقه الذهبي والبغوي في التفسير ٢/٣٦٧ وزاد نسبته السيوطي في الدر ٣/٣١٥ لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

(٤) الضحاك بن قيس بن خالد الفهري القرشي أبو أمية أو أبو أنيس: سيد بني فهر في عصره. وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق وسكنها. وشهد صفين مع معاوية. وولاه معاوية على الكوفة سنة ٥٣هـ بعد موت زياد بن أبيه فتفقد الخورنق قصر النعمان وأصلحه. ونقل إلى ولاية دمشق فتولى الصلاة على معاوية يوم وفاته، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد. ولما خلع معاوية بن يزيد نفسه، انصرف يدعو إلى بيعة ابن الزبير بدمشق. ومات معاوية (سنة ٦٤هـ) فأقبل أهل دمشق على الضحاك فبايعوه على أن يصلي بهم ويقيم لهم أمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة وانعقدت البيعة العامة لمروان بن الحكم والضحاك في مرج راهط فامتنع على مروان، فقتل في مرج راهط. انظر الأعلام ٣/٣١٤ ـ ٣١٥.

(٥) وفيه معنى الحديث المرفوع تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة وهو عند مسلم في صحيحه.

(٦) عند الترمذي في كتاب التفسير سورة يونس ٣١٠٧ ـ ٣١٠٨ والحاكم ٢/٣٢٠.

(٧) القرطبي ٨/٢٤٢ أبو حيان ٥/١٨٩.

(٨) البغوي ٢/٣٦٧ أبو حيان ٥/١٨٩ القرطبي ٨/٢٤٢ انظر الدر المنثور ٣/٣١٦.

الكلبي(١): «لتكون نكالاً لمن خلفك، فلا يقولوا مثل مقالتك» وقال الزجاج(٢): «معنى الآية أنه كان يدعي أنه رب، وكان يعبده قومه فبين الله تعالى أمره وأنه عبد» وفيه من الآية أنه غرق مع قومه وأخرج هو من بينهم فكان ذلك آية.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

قوله: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل﴾ قال ابن عباس(٣): «يريد قريظة والنضير»، يريد أنزلناهم. ﴿مبوأ صدقٍ﴾ ما بين المدينة والشام في أرض يثرب ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ من النخل وما فيها من الرطب والتمر ﴿فما اختلفوا﴾ في تصديق النبي ﷺ وأنه نبي ﴿حتى جاءهم العلم﴾ قال ابن عباس(٤): «يريد القرآن الذي جاء به محمد ﷺ» وقال الفراء(٥): «العلم: محمد ﷺ لأنه كان معلوماً بنعته وذلك أنه لما جاءهم اختلفوا فيه، وفي تصديقه، فكفر به أكثرهم» ﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمرك يعني أنه يدخل المصدقين به الجنة، والمكذبين به النار.

فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿فإن كنت في شكٍ مما أنزلنا إليك﴾ قال أكثر أهل العلم(٦): «هذا الخطاب لرسول الله ﷺ والمراد به غيره من الشكاك، والقرآن نزل بلغة العرب، وهم قد يخاطبون الرجل بالشي يريدون غيره مثل هذا قوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين﴾(٧) الآية، الخطاب للنبي ﷺ، [والمراد به غيره](٨)، يدل على ذلك قوله ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ ولم يقل: بما تعمل» وقال الزجاج(٩) إن الله يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق، والمعنى: فإن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك﴾ الآية. وهذا مذهب ابن عباس والحسن وأكثر أهل التأويل(١٠)، قال ابن عباس(١١): «لم يرد النبي ﷺ لأنه لم يشك في الله ولا في ما أوحي إليه ولكن يريد من آمن به وصدقه، أمرهم أن يسألوا لئلا ينافقوا كما شك المنافقون»

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/ ٣٦٧ انظر تفسير البحر ٥/ ١٨٩ القرطبي ٨/ ٢٤٣.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢.

(٣) القرطبي ٨/ ٢٤٣ أبو حيان ٥/ ١٩٠ الرازي ١٧/ ١٢٧.

(٤) البغوي ٢/ ٣٦٧ أبو حيان ٥/ ١٩٠ انظر القرطبي ٨/ ٢٤٤ انظر الدر المنثور ٣/ ٣١٧.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ١/ ٤٧٨.

(٦) البغوي ٢/ ٣٦٨ القرطبي ٨/ ٢٤٤ أبو حيان ٥/ ١٩١.

(٧) سورة الأحزاب (١).

(٨) سقط في ب.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٢.

(١٠) انظر البغوي ٢/ ٣٨ البحر المحيط ٥/ ١٩١ القرطبي ٨/ ٢٤٤ الرازي ١٧/ ١٢٨ وما بعدها.

(١١) انظر المصادر السابقة وانظر الدر المنثور ٣/ ٣١٧ الرازي ١٧/ ١٣٠.

قوله: ﴿**فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك**﴾ قال ابن عباس والضحاك ومجاهد[١] يعني من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فيشهدون على صدق محمد ﷺ ويخبرونك بنبوته، وبما قدم الله من ذكره في الكتب، وباقي الآية والتي تليها حكمه على ما ذكرنا من أنه خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره من الشاكين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

قوله ﴿**إن الذين حقت عليهم كلمة ربك**﴾ قال ابن عباس[٢]: «قول ربك بالسخط عليهم» وقال قتادة[٣]: سخط ربك بما عصوه. وقال مقاتل[٤]: وجبت عليهم كلمة العذاب ﴿**لا يؤمنون ولو جاءتهم كل ءاية**﴾ كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا، قال الله تعالى: ﴿**لا يؤمنون ولو جاءتهن كل ءاية حتى يروا العذاب الأليم**﴾ فلا ينفعهم حينئذ إيمانهم كما لم ينفع إيمان فرعون حيث أدركه الغرق قوله: ﴿**فلولا كانت قرية ءامنت**﴾ الآية. ﴿**لولا**﴾ معناها ها هنا النفي قال ابن عباس في رواية عطاء[٥]: «فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس» فقال: يريد لم أفعل هذا بأمّة قط، إلا قوم يونس لما آمنوا عند نزول العذاب كشفنا عنهم وقال قتادة[٦]: لم يكن هذا معروفاً لأمة من الأمم كفرت، ثم آمنت عند نزول العذاب فكشف عنهم إلا قوم يونس كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم. وهو قوله: ﴿**كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا**﴾ قال ابن عباس: «يريد سخط الله عليهم في الحياة الدنيا ﴿**ومتعناهم إلى حين**﴾ يريد حين آجالهم» قوله: ﴿**ولو شاء ربك**﴾ الآية. قال ابن عباس[٧]: «كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادة من الله وأنه لو شاء لآمن الناس كلهم» ثم أنكر عليه إكراه الناس على الإيمان، فقال: ﴿**أفأنت تكره الناس**﴾ الآية، وهذا منسوخ بآية القتال، قوله: ﴿**وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله**﴾ قال ابن عباس[٨]: «إلا بما سبق لها في قضاء الله وقدره» وقال عطاء: بمشيئة الله وقال الزجاج[٩]: «وما كان لنفس الوصلة إلى الإيمان إلا بتوفيق الله وهو إذنه» ﴿**ويجعل الرجس**﴾ قال ابن عباس[١٠]: «السخط» وقال

---

(١) البغوي ٢/٣٦٨ وانظر المصادر السابقة وانظر فتح القدير ٢/٤٧٣.

(٢) البغوي ٢/٣٦٨.

(٣) البغوي ٢/٣٦٨ القرطبي ٨/٢٤٤ البحر ٥/١٩١ وأبو الشيخ كما في فتح القدير ٢/٤٧٥.

(٤) البغوي بنحوه ٢/٣٦٨.

(٥) انظر تفسير البغوي ٢/٣٦٨ ـ ٣٦٩ القرطبي ٨/٢٤٥ أبو حيان ٥/١٩٢ فتح القدير ٢/٤٧٥.

(٦) انظر البغوي ٢/٣٦٩ أبو حيان ٥/١٩٢ القرطبي ٨/٢٤٥ فتح القدير ٢/٤٧٥.

(٧) البغوي ٢/٣٧٠ أبو حيان ٥/١٩٣ القرطبي ٨/٢٤٦.

(٨) انظر تفسير البغوي ٢/٣٧٠ القرطبي ٨/٢٤٦ وانظر أثر عطاء الآتي فيهما.

(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٦.

(١٠) انظر أبو حيان ٥/١٩٣ فتح القدير ٢/٤٧٦.

الحسن[1]: «العذاب» ﴿على الذين لا يعقلون﴾ قال ابن عباس: «لا يؤمنون» والمعنى: لا يعقلون عن الله أمره ونهيه [2].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ قال المفسرون[3]: «قل للمشركين الذين يسألونك الآيات على توحيد الله انظروا بالتفكير والاعتبار ماذا في السماوات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانية الله، ونفاذ قدرته كالشمس والقمر، والنجوم والجبال والشجر، وكل هذا يقتضي مدبراً لا يشبه الأشياء، ولا تشبهه» ثم قال: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ أي: ما تنفع الآيات، ولا تدفع عمن سبق في علم الله أنه لا يؤمن، قوله ﴿فهل ينتظرون﴾ يعني المشركين والمكذبين ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ إلا أياماً مثل أيام الأمم الماضية المكذبة في وقوع العذاب؟أي يجب ألا ينتظروابعد تكذيبك إلا العذاب﴿ثم ننجي رسلنا والذين ءامنوا﴾ هذا إخبار عما كان الله يفعل في الأمم الماضية من إنجاء الرسل والمصدقين لهم عما يعذب به من كفر ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الإنجاء ﴿حقاً علينا﴾ واجباً علينا ﴿ننجي المؤمنين﴾ بمحمد ﷺ من عذابي.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

قوله: ﴿قل يا أيها الناس﴾ يريد أهل مكة، ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ أي: من توحيد الله الذي جئت به والحنيفية التي بعثت بها فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله بشككم في ديني، ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ أي: يقدر على إماتتكم، وهذا يتضمن تهديداً لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم، قوله: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾ أي استقم بإقبالك على ما أمرت به بوجهك ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك﴾ إن دعوته، ﴿ولا يضرك﴾ إن تركت عبادته ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ قال ابن عباس[4]: «يريد بمرض وفقر» ﴿فلا كاشف له إلا هو﴾ لا مزيل لما أصابك من ضر إلا هو ﴿وإن يردك بخير﴾ أي وإن يرد بك خيراً، ﴿فلا راد لفضله﴾ لا مانع لما تفضل به عليك من رخاء ونعمة ﴿يصيب به﴾ بكل واحد مما ذكر، ﴿من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾.

---

(١) البغوي ٢/ ٣٧٠ أبو حيان ٥/١٩٣ القرطبي ٢٤٦/٨ الرازي ١٧/ ١٣٥، فتح القدير ٢/ ٤٧٦.

(٢) البغوي ١/ ٣٧٠ القرطبي ٢٤٦/٨.

(٣) البغوي ٢/ ٣٧٠ أبو حيان ٥/ ١٩٤ الرازي ١٧/ ١٣٥ ـ ١٣٦ فتح القدير ٢/ ٤٧٦.

(٤) بنحوه عند البغوي ٢/ ٣٧٢ وهو عند الرازي بلفظه ١٧/ ١٤٠.

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

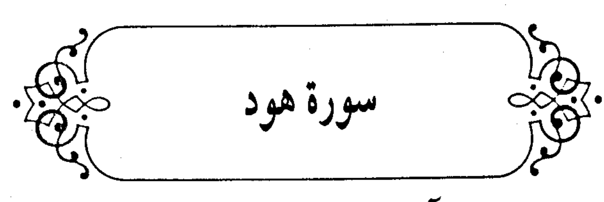
﴿**قل يا أيها الناس**﴾ يعني أهل مكة ﴿**قد جاءكم الحق من ربكم**﴾ يعني القرآن ﴿**فمن اهتدي فإنما يهتدي لنفسه**﴾ قال ابن عباس[١]: «من صدق محمداً ﷺ فإنما يحتاط لنفسه» ﴿**ومن ضل فإنما يضل عليها**﴾ أي: إنما يكون وبال ضلاله على نفسه، ﴿**وما أنا عليكم بوكيل**﴾ في منعكم من اعتقاد الباطل، والمعني بحفظكم من الهلاك، كما يحفظ الوكيل المناع من الهلاك قال ابن عباس[٢]: نسختها آية القتال، والتي بعدها.

وهي قوله: ﴿**واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين**﴾ لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب.

---

(١) بنحوه عند البغوي ٢/٣٧٢.

(٢) البغوي ٢/٣٧٢ الرازي ١٧/١٤٠ أبو حيان ٥/١٩٧ القرطبي ٨/٢٤٨ فتح القدير ٤/٤٧٨.



سورة هود

مكيّة وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

أخبرنا أبو سعد محمد بن علي الحيري، أنا محمد بن جعفر بن مطر نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا سلام سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة هود، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بهود وكذب به ونوح وشعيب وصالح وإبراهيم وكان يوم القيامة عند الله من السعداء»[١].

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

قال ابن عباس: «يريد أنا الله الرحمن»[٢] **﴿كتاب﴾** قال الفراء والزجاج[٣]: «هذا كتاب» **﴿أحكمت ءاياته﴾** قال الكلبي[٤] «لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع بها». **﴿ثم فصلت﴾** بينك بالأحكام من الحلال والحرام والوعد والوعيد **﴿من لدن حكيم خبير﴾** قال ابن عباس[٥]: «من عند حكيم في خلقه، خبير بمن يصدق بنبيه ﷺ وبمن يكذب به» **﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾** قال الزجاج[٦]: «المعنى أمر ألا تعبدوا إلا الله» **﴿وأن استغفروا ربكم﴾** من ذنوبكم السالفة **﴿ثم توبوا اليه﴾** من المستأنفة متى وقعت **﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾** قال ابن عباس[٧]: «يتفضل عليكم بالرزق والسعة إلى أجل الموت» **﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾** نعطي كل ذي عمل صالح أجره وثوابه وقال ابن عباس وابن مسعود[٨]: «يؤت كل من فضلت حسناته على سيئاته فضله يعني الجنة، وهي فضل الله» يعني: أن من زادت حسناته على سيئاته، دخل الجنة **﴿وإن تولوا﴾** أي: تتولوا عن الإسلام **﴿فإني أخاف عليكم﴾** في الآخرة **﴿عذاب يوم كبير﴾** وهو يوم القيامة.

---

(١) قال الفيروز أبادي في البصائر واهي ١/٣٤٧.

(٢) تقدم.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣ والزجاج ٣/٣٧ البغوي ٢/٣٧٢ الرازي ٥/١٤٢.

(٤) البغوي ٢/٣٧٢ الرازي ١٧/١٤٢ فتح القدير ٢/٣٧٢.

(٥) الرازي ١٧/١٤٤ ابن كثير ٤/٢٣٦ فتح القدير ٢/٤٨٠.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٨ البغوي ٢/٣٧٣ الرازي ١٧/١٤٤. فتح القدير ٢/٤٨٠.

(٧) بنحوه عند البغوي ٢/٣٧٣ فتح القدير ٢/٤٨١.

(٨) البغوي ٢/٢٧٣. انظر تفسير الطبري ١٥/٢٣١ ابن كثير ٤/٢٣٧.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٥ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾

قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ يقال: ثنيت الشيء ثنياً إذا عطفته وطويته وكان طائفة من المشركين يقولون إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم به؟ فأخبر الله عز وجل عما كتموه. ومعنى يثنون صدورهم يطوونها على عداوة محمد ﷺ قال قتادة[١]: «كذلك أخفى ما يكون من ابن آدم إذا حنا ظهره واستغشى ثيابه وأضمر همه في نفسه»، قوله: ﴿ليستخفوا منه﴾ أي ليتواروا عنه ويكتموا عداوته فقال الله تعالى: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ قال ابن الأنباري[٢]: «أعلم الله أن سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهراتهم» ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ قال ابن عباس[٣]: «يريد بما في النفوس» والمعنى: تحقيقه ما في القلوب من المضمرات، قوله ﴿وما من دابةٍ في الأرض﴾ الآية يعني ما من حيوان يدب قال الزجاج[٤]: «الدابة: اسم لكل حيوان مميز وغيره بني على هاء التأنيث وأطلق على كل حيوان ذي روح ذكراً كان أو أنثى» قوله: ﴿إلا على الله رزقها﴾ قال المفسرون[٥] «فضلاً لا وجوباً والله تكفل بذلك بفضله». أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني أنا عبيد الله بن محمد الزاهد أنا أبو القاسم إبن بنت إبن منيع نا أبو خيثمة نا وكيع وأبو معاوية قال: نا الأعمش عن سلام بن شرحبيل قال: سمعت حبة[٦] وسواء[٧] ابني خالد يقولان أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملاً يبني بناء فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال: « لا تيأسا من الرزق مهما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان ولدته أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه[٨]».

وقال أهل المعاني: «على هاهنا بمعنى[٩] من المعنى من الله رزقها» ويدل على صحة هذا قول مجاهد[١٠]: «ما

---

(١) البغوي ٢/٢٧٣ انظر تفسير الرازي ١٧/١٤٨ البحر المحيط ٥/٢٠٣ وذكره بنحوه السيوطي في الدر عن قتادة ٢/٣٢١ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) وقال الأزهري: معنى الآية من أولـها إلى آخرها: إن الذين أضمروا عداوة رسول الله ﷺ لا يخفى علينا حالهم البغوي ٢/٣٧٤ وانظر قول ابن الأنباري في البحر الميحط ٥/٢٠٣.

(٣) ابن كثير ٤/١٣٨. فتح القدير ٢/٤٨١ ـ ٤٨٢ وما أحسن ما قال زهيرفي معلقته المشهورة انظر ديوانه ص ١٨:

فـلا تـكـتـمـنَّ الله مـا فـي نُـفـوسـكُـمْ لـيَـخفى ومهـمـا يكتـم الله يعلم
يـؤَخَّـرْ فَـيـوضَـعْ في كـتـاب فـيُـدخـر لَـيـوْمِ الـحـسـابِ أو يُـعَـجَّـلْ فـيَـنـقـم

(٤) الرازي ١٧/١٤٨ ٢/٣٧٤.

(٥) البغوي ٢/٣٧٤ الرازي ١٧/١٤٩ فتح القدير ٢/٤٨٢ البحر الميحط ٥/٢٠٤.

(٦) حبة بن خالد أخو سواء بن خالد الخزاعي يعد في الكوفيين. انظر أسد الغابة ١/٤٤٠.

(٧) سَوَاءُ بن خالِد من بني عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو أخو حبة بن خالد. انظر أسد الغابة ٣/٤٨٣.

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٣/٤٦٩ وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٣٩٤ في كتاب الزهد باب التوكل واليقين.

(٩) البغوي ٢/٣٧٤.

(١٠) البغوي ٢/٣٧٤.

وذكره الشوكاني في فتح القدير ٢/٤٨٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد والدر المنثور ٣/٣٢١. البحر الميحط ٥/٢٠٤.

جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها حتى تموت جوعاً» قوله ﴿ويعلم مستقرها﴾ حين تأوي إليه ﴿ومستودعها﴾ حيث تموت وهو قول ابن عباس [١]. وقال قتادة ومجاهد[٢]: «أما مستقرها ففي الرحم وأما مستودعها ففي الصلب» ﴿كل﴾ ذلك عند الله ﴿في كتاب مبين﴾ يعني اللوح المحفوظ والمعنى أن ذلك ثابت في علم الله.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧﴾

قوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام﴾ تقدم تفسيره، وقوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾ يعني قبل أن يخلق السماء والأرض قيل لابن عباس: على أي شيء كان الماء؟ قال: «على متن الريح»[٣] وفي وقوف العرش على الماء والماء على غير قرار أعظم الاعتبار لأهل الإنكار وقوله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ قال ابن عباس: «أيكم أعمل بطاعة الله»[٤] قال ابن الانباري[٥]: «معناه ليختبركم» فيعلم وقوع الفعل منكم الذي به تستحقون الثواب والعقاب فيثيب المطيع المعتبر بما يرى من آيات السماوات والأرض ويعاقب أهل العناد قوله: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت﴾ بعد أن شاهدوا خلق السماوات والأرض ﴿ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ قال الزجاج[٦]: «السحر باطل عندهم فكأنهم قالوا إن هذا إلا باطل مبين» يعني هذا القول الذي يقول لنا: أنّا نبعث بعد الموت، قوله:

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨﴾

﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب﴾ يعني عن المشركين ﴿إلى أمةٍ معدودة﴾ قال ابن عباس ومجاهد[٧]: «إلى أجل وحين معلوم» والأمة هاهنا المدة من أوقات الزمان ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ أي ما يحبس العذاب عنا؟ يقولون ذلك تكذيباً واستهزاء، قال الله تعالى: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾ يقول إذا أخذتهم سيوف النبي ﷺ وأصحابه لم تغمد عنهم، حتى يباد أهل الكفر، وتعلو كلمة الإخلاص ﴿وحاق﴾ ونزل وأحاط ﴿بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وهو العذاب.

---

(١) البغوي ٢/٣٧٤ والطبري ١٥/٢٤١ (١٧٩٦٣) وابن كثير ٤/٢٣٩ ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٢٨٤ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وذكره السيوطي في الدر ٣/٣٢١.

(٢) البغوي ٢/٣٧٤ الطبري ١٥/٣٤٢ (١٧٩٦٤) ابن كثير ٤/٢٣٩ وذكر الشوكاني في الفتح ٢/٤٨٤ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طريق ابن مسعود وانظر الدر المنثور ٣/٣٢١.

(٣) البغوي ٢/٣٧٤ الطبري في التفسير ١٥/٢٤٥ وما بعدها وابن كثير ٤/٢٤١.

(٤) البغوي ٢/٣٧٥.

(٥) البغوي ٢/٣٧٥ ابن كثير ٤/٢٤١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٣٢٢ وعزاه لابن أبي حاتم عن قتادة.

(٦) انظر معاني القرآن ٣/٤٠.

(٧) ابن كثير ٢/٢٤٢ الرازي ١٧/١٥٢ البغوي ٢/٣٧٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٤٨٤ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس.

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

وقوله ﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾ قال ابن عباس(١): نزلت في الوليد بن المغيرة وقال غيره: في عبد الله ابن أبي أمية المخزومي(٢) والمراد بالرحمة ههنا الرزق.

وقوله: ﴿**ثم نزعناها منه إنه ليئوس**﴾ شديد اليأس من رحمة الله وسعة رزقه ﴿**كفور**﴾ لنعمته وهذا بيان عما يوجبه الخُلُق السوء من القنوط من الرحمة عند نزول الشدة ﴿**ولئن أذقناه نعماء**﴾ قال ابن عباس «صحة وسعة في الرزق» ﴿**بعد ضراء مسته**﴾ بعد مرض وفقر ﴿**ليقولن ذهب السيئات عني**﴾ يريد الضر والفقر ﴿**إنه لفرح**﴾ بطر ﴿**فخور**﴾ قال ابن عباس(٣): «يفاخر أوليائي بما وسعت عليه» ﴿**إلا الذين صبروا**﴾ هذا استثناء منقطع ليس من الأول، معناه لكن الذين صبروا، يعني: أصحاب النبي ﷺ والمؤمنين، مدحهم الله بالصبر على الشدة والمكاره ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي في الشدة والرخاء ﴿**أولئك لهم مغفرة وأجر كبير**﴾.

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

قوله ﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك**﴾ قال أهل التفسير(٤): «قال المشركون للنبي ﷺ ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال بعضهم: هل ينزل عليك ملك فيشهد لك بالصدق أو تعطى كنزاً تستغني به أنت وأتباعك، فهم رسول الله ﷺ أن يدع سب آلهتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية». وقوله تعالى: ﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك**﴾ أي لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك ﴿**وضائق به صدرك**﴾ الضائق بمعنى الضيق، قال ابن الأنباري: «أن في موضع خفض بالرد على الباء في به» يريد: وضائق به صدرك بأن يقولوا ﴿**لولا أنزل عليه كنز**﴾ يستغني به ﴿**أو جاء معه ملك**﴾ يشهد له بالنبوة ﴿**إنما أنت نذير**﴾ قال الزجاج: «إنما عليك أن تنذرهم وليس عليك أن تأتيهم بما يقترحون عليك من الآيات» ﴿**والله على كل شيء وكيل**﴾ أي حافظ لكل شيء. قوله ﴿**أم يقولون**﴾ معناه: بل أيقولون: افترى القرآن وأتى به من عند نفسه ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**فأتوا**﴾ أنتم في معارضتي ﴿**بعشر سورٍ مثله**﴾ مثل القرآن من البلاغة

---

(١) البحر الميحط ٥/٢٠٦ فتح القدير ٢/٤٨٥.
(٢) البحر المحيط ٥/٢٠٦ فتح القدير ٢/٤٨٥.
(٣) ابن كثير ٢/٢٤٣ البغوي ٢/٣٧٥ فتح القدير ٢/٤٨٥.
(٤) البحر الميحط ٥/٢٠٧ البغوي ٢/٣٧٥ الرازي ١٧/١٥٤ فتح القدير ٢/٤٨٦.

﴿مفتريات﴾ بزعمكم ودعواكم **﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾** إلى المعاونة على المعارضة **﴿إن كنتم صادقين﴾** في قولكم افتراه **﴿فإلم يستجيبوا لكم﴾** من تدعونهم إلى المعاونة ولم يتهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة **﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾** أي أنزل والله أعلم بإنزاله وعالم أنه حق من عنده **﴿و﴾** اعلموا **﴿أن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾** استفهام معناه الأمر.

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

قوله: **﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾** الآية قال ابن عباس في رواية عطاء[1]: «من كان يريد عاجل الدنيا فلا يؤمن بالبعث والثواب والعقاب» وقال قتادة[2]: «من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله في الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها وأما المؤمن فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة » وذلك قوله: **﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾** قال سعيد بن جبير[3]: - «ثواب ما عملوا من خير أعطوا في الدنيا وليس لهم في الآخرة إلا النار فإذا جاء هذا الكافر الآخرة ورد منها على عاجل الحسرة إذ لا حسنة له هناك» **﴿وهم فيها لا يبخسون﴾** لا ينقصون أي: يعطوا فيها أجر ما عملوا في الدنيا. ثم أخبر ما لهم في الآخرة فقال: **﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾** ما عملوا في الدنيا من حسنة لأنهم لم يروا لها ثواباً **﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾** من خير.

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

---

(١) انظر تفسير الرازي ١٧/ ١٥٩.

(٢) أخرجه الطبري في التفسير ١٥/ ٢٦٤ (١٨٠١٩) وابن كثير ٢/ ٢٤٤ وأخرجه الدارمي عن الحسن ١/ ٨١ وعزاه السيوطي في الدر ٣/ ٣٢٤ لأبي الشيخ عن قتادة.

(٣) ذكره السيوطي في الدر ٣/٣٢٣ وعزاه لأبي الشيخ.

قوله: ﴿أفمن كان على بينةٍ من ربه﴾ يعني النبي ﷺ في قول عامة المفسرين[١] قال ابن عباس[٢]: «يريد على يقين وبيان» ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ وهو جبريل عليه السلام في قول أكثر المفسرين[٣] قال ابن قتيبة[٤]: والشاهد من الله لنبيه ﷺ ﴿كتاب موسى﴾ يعني التوراة يتلوه أيضاً في التصديق لأن النبي ﷺ بشر به موسى في التوراة ﴿إماماً﴾ نصب على الحال ﴿ورحمة﴾ أي: ذا رحمة يعني التوراة فإنها كانت إماماً في ذلك الوقت وسبب الرحمة لمن آمن بها وقوله: ﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني أصحاب محمد ﷺ ومن صدقه، وقوله: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ يعني: ومن كفر بالنبي ﷺ من أصناف الكفار واليهود والنصارى وغيرهم.

أخبرنا منصور بن محمد بن عبد الوهاب البزاز أنا محمد بن أحمد أبو عمرو الحيري أنا عمران بن موسى بن مجاشع نا أبو كامل[٥] نا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار» قال فقلت ما قال رسول الله ﷺ شيئاً إلا وهو في كتاب فوجدته: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾[٦].

وقوله: ﴿فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك﴾ قال الكلبي عن ابن عباس[٧]: «فلا تك في مرية من أن موعد الكافر النار وذلك هو الحق من ربك» ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ يعني أهل مكة، وقوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن له ولداً وشريكاً ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ يعني بعد الحشر يوم القيامة ﴿ويقول الأشهاد﴾ قال ابن عباس ومجاهد[٨]: «هم الملائكة والأنبياء»، وقال قتادة[٩] «يعني الخلائق» ونحو هذا قول مقاتل[١٠]. الأشهاد الناس كما يقال على رؤوس الأشهاد أي رؤوس الناس والأشهاد جمع شاهد مثل ناصر وأنصار وصاحب وأصحاب ويجوز أن يكون جمع شهيد مثل شريف وأشراف، وقوله ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ قال ابن عباس: «زعموا أن لله ولداً وشريكاً» ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ قال «يريد المشركين».

---

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/٢٧٣ ابن كثير ٤/٢٤٥ الرازي ١٧/١٦١ البغوي ٢/٣٧٧ الدر المنثور ٣/٣٢٤ فتح القدير ٢/٤٨٩ البحر المحيط ٥/٢١١.

(٢) انظر تفسير البحر الميحط ٥/٢٠١ البغوي ٢/٣٧٧.

(٣) الطبري ١٥/٢٧٣ ابن كثير ٤/٢٤٥ الرازي ١٧/١٦١ البحر الميحط ٥/٢١١ البغوي ٢/٣٧٧ الدر المنثور ٣/٣٢٤ فتح القدير ٢/٤٨٩.

(٤) انظر تأويل مشكل القرآن ٣٠٧ ـ ٣٠٨، انظر الدر المنثور ٣/٣٢٤.

(٥) الفضيل بن حسين بن طلحة الجحدري أبو كامل البصري عن الحماد بن أبي عوانة وسليم بن أخضر وثقه ابن حبان. قال موسى بن هارون: مات سنة سبع وثلاثين ومائتين. انظر الخلاصة (٣/٣٣٨).

(٦) وأخرجه مسلم ١/١٣٤ في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان ٢٤٠/١٥٣ وأحمد في المسند ٢/٣١٧ وأخرجه البغوي في التفسير ٢/٣٧٨ وأبو نعيم ٤/٣٠٨. وأبو عوانة ١/١٠٤. وقوله ﷺ لا يسمع بي من هذه الأمة أي: ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم. انظر شرح مسلم للنووي (٣/١٨٨).

(٧) انظر تفسير البغوي ٢/٣٧٨.

(٨) البغوي ٢/٣٧٨ البحر المحيط ٥/٢١٢ الرازي ١٧/١٦٣ ابن كثير ٢/٢٤٧ فتح القدير ٢/٤٩٠ والسيوطي في الدر ٢/٣٢٥ وعزاه لابن جرير الطبري.

(٩) البغوي ٢/٣٧٨ البحر المحيط ٥/٢١٢ ابن كثير ٢/٢٤٧ فتح القدير ٢/٤٩٠.

(١٠) البحر المحيط ٥/٢١٢ الرازي ١٧/١٦٣ فتح القدير ٢/٤٩٠.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد التميمي أنا عبد الله بن محمد بن جعفر الحافظ أنا محمد بن العباس بن أيوب نا محمد بن المثنى نا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز قال: بينما نحن عند ابن عمر، ونحن نطوف بالبيت إذ عارضه رجل فقال له: يا ابن عمر كيف سمعت رسول الله ﷺ ذكر في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدنى المؤمن من ربه تبارك وتعالى يوم القيامة حتى يضع كتفه عليه ثم يقرره بذنوبه هل تعرف؟ فيقول: رب أعرف فيقول: هل تعرف؟ فيقول رب أعرف فيسأله الله ما شاء أن يسأله قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم، ثم يعطى صحيفة حسناته بيمينه، وأما الكافر أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» رواه البخاري[١] عن مسدد عن يزيد بن زريع عن سويد ورواه مسلم[٢] عن زهير عن ابن عطية عن هشام كلاهما عن قتادة.

قوله: ﴿**الذين يصدون عن سبيل الله**﴾ تقدم تفسيره ﴿**أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض**﴾ قال ابن عباس[٣]: لم يعجزوني أن آمر الأرض فتخسف بهم ﴿**وما كان لهم من دون الله من أولياء**﴾ أي: لا ولي لهم ممن يعبدون يمنعهم مني ﴿**يضاعف لهم العذاب**﴾ قال ابن الأنباري[٤]: «لإضلالهم الأتباع واقتداء غيرهم بهم» ﴿**ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**﴾ قال قتادة[٥]: «لأنهم صم عن الحق عمي فلا يبصرون ولا يهتدون» وقال الوالبي عن ابن عباس[٦]: «حال الله بين أهل الكفر وبين أهل الطاعة في الدنيا والآخرة أما في الدنيا ففي قوله ﴿**ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون**﴾ وأما في الآخرة ففي قوله: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ قوله: ﴿**أولئك الذين خسروا أنفسهم**﴾ قال ابن عباس[٧]: «أي: صاروا إلى النار» ﴿**وضل عنهم ما كانوا يفترون**﴾ بطل افتراؤهم في الدنيا فلم ينفعهم في الآخرة شيئاً، ﴿**لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾ قال ابن عباس[٨]: «يريد حقاً أنهم هم الأخسرون» قال الفراء[٩]: «لا جرم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فكثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقاً ألا ترى أن العرب تقول: «لا جرم لآتينك فتراها بمنزلة اليمين»؟ كذلك فسرها المفسرون في قوله: ﴿**لا جرم أنهم**﴾ «حقاً أنهم» وقال الزجاج[١٠] لا جرم، لا: نفي لما ظنوا أنه ينفعهم كأنه قال: لا ينفعهم ذلك وجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون، أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران، وجرم معناه: «كسب» ذكرنا ذلك في قوله: ﴿**لا يجرمنكم**﴾،قال الأزهري[١١] «وهذا من أحسن ما قيل فيه» وقوله: ﴿**وأخبتوا إلى ربهم**﴾ الإخبات الخشوع والتواضع والطمأنينة قال مجاهد[١٢] «اطمأنوا» قال قتادة[١٣]«وأنابوا إلى ربهم» وهذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله ﷺ وما

---

(١) أخرجه البخاري ١٠/٥٠١ في كتاب الآداب باب ستر المؤمن (٦٠٧٠). وانظر الفتح (١٠/٥٠٣).
(٢) ٤/٢١٢٠ في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل ٥٢/٢٧٦٨.
(٣) انظر فتح القدير ٢/٤٩٠. انظر الرازي ١٧/١٦٥.
(٤) البغوي ٢/٣٧٨ الرازي ١٧/١٦٥.
(٥) البغوي ٢/٣٧٨.
(٦) البغوي ٢/٣٧٨ الرازي ١٧/١٦٥.
(٧) ابن كثير ٤/٢٤٨.
(٨) البغوي ٢/٣٧٩ الرازي ١٧/١٦٦.
(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٨ البغوي ٢/٣٧٩ البحر المحيط ٥/٢١٣.
(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٤٦ الرازي ١٧/١٦٦. البحر المحيط ٥/٢١٣.
(١١) الرازي ١٧/١٦٦.
(١٢) البغوي ٢/٣٧٩ وانظر تفسير الرازي ١٧/١٦٧. ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٤٩٢ وعزاه لابن جرير وزاد نسبته السيوطي في الدر ٢/٣٢٦ لأبي الشيخ.
(١٣) البغوي ٢/٣٧٩ فتح القدير ٢/٤٩٢ الدر المنثور ٢/٣٢٦.

قبلها نازلة في المشركين، ثم ضرب مثلاً للفريقين، فقال: ﴿**مثل الفريقين كالأعمى والأصم**﴾ يريد الكفار ﴿**والبصير والسميع**﴾ يريد المؤمنين لأنهم سمعوا الحق وأبصروه واتبعوه، وقوله: ﴿**هل يستويان مثلاً**﴾ استفهام أي: في المشابهة ﴿**أفلا تذكرون**﴾ أفلا تتعظون يا أهل مكة؟ قوله:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني**﴾ من فتح الألف[1] كان التقدير: أرسلنا نوحاً بأني لكم نذير مبين وكان الوجه بأنه لهم نذير ولكنه على الرجوع من الغيبة إلى خطاب نوح قومه، ومن كسر الألف كان التقدير: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال لهم إني نذير مبين، ﴿**ألا تعبدوا إلا الله**﴾ قال الزجاج[2]: «المعنى لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بالإنذار» ﴿**ألا تعبدوا إلا الله**﴾ إني أنذرتكم لتوحدوا الله، وتتركوا عبادة غيره ﴿**فقال الملأ الذين كفروا من قومه**﴾ قال ابن عباس[3]: «يعني الأشراف ورؤساء القوم» ﴿**ما نراك إلا بشراً مثلنا**﴾ أي: إنساناً مثلنا لا فضل لك علينا ﴿**وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا**﴾ أي: لم يتبعك الملأ منا وإنما اتبعك أخساؤنا، قال ابن عباس[4]: «يريد المساكين الذين لا عقول لهم ولا شرف ولا مال» والرذل: الدون من كل شيء والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل كقولك: كلب وأكلب وأكالب. وقوله: ﴿**بادي الرأي**﴾ البادي الظاهر من قولك: بدأ الشيء إذا ظهر، وقال الزجاج[5]: «المعنى اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ويجوز أن يكون اتبعوك في ظاهر الرأي،

---

(١) انظر النشر لابن الجزري ٢/٢٨٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٣.

(٢) معاني القرآن ٣/٤٦.

(٣) الرازي ١٧/١٦٩ ابن كثير ٢/٢٥٠ البغوي ٢/٣٨٠ فتح القدير ٢/٢٩٣.

(٤) البغوي ٢/٣٨٠ انظر تفسير الرازي ١٧/١٦٩ ـ ١٧٠ البحر المحيط ٥/٢١٤ فتح القدير ٢/٤٩٣.

(٥) انظر معاني القرآن ٣/٤٧ الرازي ١٧/١٧٠ البغوي ٢/٣٨٠ فتح القدير ٢/٤٩٣.

ولم يتدبروا ما قلت، ولم يتفكروا، ومن قرأ (بادىء) بالهمز[1] فالمعنى: إنهم اتبعوك ابتداء الرأي، أي حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكروا لم يتبعوك **﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾** قال ابن عباس[2]«يريدون التكذيب له وما جاء به من النبوة وهل الفضل كله إلا في النبوة» **﴿بل نظنكم كاذبين﴾** ليس ما جئت به من الله، وجمعت بالكاف، لأنهم ذهبوا إلى مخاطبة نوح وأصحابه **﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾** قال ابن عباس[3]: «على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته، **﴿وءاتاني رحمة من عنده﴾** يعني النبوة **﴿فعميت عليكم﴾** فخفيت عليكم نبوتي لأن الله سلبكم علمها ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق، وقرأ أهل الكوفة[4] «فعُمّيت» مشددة مضمومة العين قال ابن الأنباري[5]: «معناه: فعماها الله عليكم إذ كنتم ممن حكم عليه بالشقاء» **﴿أنلزمكموها﴾** أنلزمكم قبولها؟ وهذا استفهام معناه الإنكار يقول: لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا ما أنتم له كارهون، قال قتادة: «والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك» **﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾** على تبليغ الرسالة **﴿مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين ءامنوا﴾** قال ابن جريج[6]: إنهم سألوه طرد الذين آمنوا ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على السواء فقال نوح: لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بإيمانهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم، وصغر شئونهم، وهو قوله: **﴿إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾** قال ابن عباس[7]: «تجهلون ربوبية ربكم وعظمته» **﴿ويا قوم من ينصرني من الله﴾** من يمنعني من عذاب الله إن طردت المؤمنين؟ والمعنى: إن طردتهم كان ذنباً ارتكبته، فمن يدفع عني عذاب الله قوله: **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾** لما قالوا لنوح: إن هؤلاء الذين آمنوا بك إنما اتبعوك في ظاهر ما نرى منهم قال نوح مجيباً لهم **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾** غيوب الله التي يعلم منها ما يضمر الناس **﴿ولا أعلم الغيب﴾** فأعلم ما يسترونه في نفوسهم أي فسبيلي قبول إيمانهم الذي ظهر لي ومضمراتهم لا يعلمها إلا الله **﴿ولا أقول إني ملك﴾** هذا جواب لقولهم: **﴿ما نراك إلا بشراً مثلنا﴾** **﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾** قال ابن عباس[8]: «تحتقر وتستصغر» يعني المؤمنين يقال: ازدراه إذا احتقره وذلك أنهم قالوا: هم أراذلنا، فقال نوح: لا أقول إن الله لن يؤتيهم خيراً إذ ليس علي أن أطلع على ما في نفوسهم **﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾** مني **﴿إني إذاً لمن الظالمين﴾** إن طردتهم تكذيباً لظاهر إيمانهم **﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾** خاصمتنا في الدين **﴿فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا﴾** من العذاب **﴿إن كنت من الصادقين﴾** في وعد العذاب **﴿قال إنما يأتيكم﴾** بالعذاب **﴿الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾**لا تعجزون الله ولا تفوتونه إن أراد أن ينزل بكم العذاب **﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾** قال ابن عباس في رواية عطاء[9]: «يضلكم» والمعنى: يوقع الغي في قلوبكم لما سبق لكم من الشقاء، قال ابن الأنباري:[10]وقال بعضهم يهلككم وليس هذا من كلام العرب إذ المعروف عندهم أغويت فلاناً إذا

---

(١) وانظر النشر ٢/٢٨٨ وانظر ١/٤٠٧ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٤ الرازي ١٧/١٧٠ .

(٢) ابن كثير ٢/٢٥٠ .

(٣) ابن كثير ٢/٢٥٠ انظر البغوي ٢/٣٨٠ .

(٤) وانظر النشر ٢/٢٨٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٤ الرازي ١٧/١٧١ البحر المحيط ٥/٢١٦ فتح القدير ٢/٤٩٤ البغوي ٢/٣٨٠ .

(٥) انظر البحر المحيط ٢/٢١٦ .

(٦) الرازي ١٧/١٧٢ البغوي ٢/٣٨٠ .

(٧) بنحوه عند الرازي ١٧/١٧٢ وانظر البحر المحيط ٥/٢١٨ .

(٨) البغوي ٢/٣٨١ الرازي ١٧/١٧٣ فتح القدير ٢/٤٩٦ .

(٩) البغوي ٢/٣٨١ فتح القدير ٢/٤٩٥ أبو حيان في البحر ٥/٢١٩ .

(١٠) فتح القدير ٢/٤٩٥ أبو حيان في البحر ٥/٢١٩ .

أضللته بشر دعوته إليه وحسنته له ودلت هذه الآية على أن الإغواء بإرادة الله، وذكر نوح دليل المسألة فقال ﴿هو ربكم﴾ قال ابن عباس: «هو إلهكم وسيدكم وخالقكم» وتأويله: إنه إنما يتصرف في ملكه فله التصرف كيف يشاء[1]، قوله: ﴿أم يقولون﴾ أي: بل يقولون يعني قوم نوح ﴿افتراه﴾ اختلق الوحي وأتى به من عند نفسه ﴿ قل إن افتريته فعلي إجرامي﴾ أي إثم إجرامي وعقوبة إجرامي، فحذف المضاف والإجرام معناه: اكتساب السيئة، يقال: أجرم فهو مجرم ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ من الكفر والتكذيب.

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن﴾ قال المفسرون[2]: «لما جاء هذا دعا على قومه: فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ وقوله: ﴿فلا تبتئس﴾ قال الفراء والزجاج[3]: «لا تحزن» وقال ابن عباس[4]: «لا تغتم» يقال: ابتأس الرجل إذا بلغه شيء يكره، فحزن له قوله: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ قال ابن عباس[5]: «بمرأى منا» وقال الضحاك[6]: «بمنظر منا» وقال الربيع[7]: «بحفظنا» والتأويل: بحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك ﴿وأوحينا﴾ قال ابن عباس[8]: «وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ[9] الطائر» ويجوز أن يكون

---

(١) البغوي ٢/٣٨١.

(٢) البغوي ٢/٣٨٢ الرازي ١٧/١٧٦ ابن كثير ٤/٢٥٢.

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٣ والزجاج ٣/٥٠ البغوي ٢/٣٨٢ الرازي ١٧/١٧٦ فتح القدير ٢/٤٩٧ ـ ٥٠١ نقلاً عن أبي جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) بنحوه في تنوير المقباس ٢/٢٨٩.

(٥) البغوي ٢/٣٨٢.

(٦) وهذا الأثر كسابقه.

(٧) البغوي ٢/٣٨٢ الرازي ١٧/١٧٨.

(٨) انظر الطبري ١٥/٣١٤ والبغوي ٢/٣٨٢ أبو حيان (٥/٢٠٢) وابن كثير ٤/٢٥٢ فتح القدير نقلاً عن ابن أبي حاتم ٢/٥٠١.

(٩) الجؤجؤ: مجتمع رؤس عظام الصدر. انظر المعجم الوسيط ١/١٠٣.

المعنى بوحينا إليك أن أصنعها﴿ولا تخاطبني﴾ لا تراجعني ولا تسألني ﴿في الذين ظلموا﴾ أي: في مآلهم، وترك تعذيبهم ويراد بالذين ظلموا قومه ﴿ويصنع الفلك﴾ يعني: نوح ﴿وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ قال محمد بن إسحاق[١]: «قالوا يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً» وقال عامة المفسرين[٢]: «إنهم رأوه ينجر الخشب ويهيىء شبه البيت العظيم فإذا سألوه عن ذلك قال أعمل سفينة تجري في الماء ولم يكونوا رأوا قبل ذلك السفينة، ولا ماء هناك فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لها فقال نوح: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ قال ابن الأنباري[٣]: «إن تسخروا منا لما ترون من صنعة الفلك فإنا نعجب من غفلتكم عما أظلكم من العذاب» ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ هذا وعيد وتهديد أي: فسوف تعلمون من أحق بالسخرية منكم وهو الذي يأتيه عذاب يخزيه ﴿ويحل عليه عذاب﴾ أي: يجب عليه عذاب ﴿مقيم﴾ دائم يعني: عذاب الآخرة قوله: ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ بعذابهم وهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ ظهر الماء على وجه الأرض وقيل لنوح: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت وأصحابك في السفينة هذا قول عكرمة والزهري، ورواية الوالبي عن ابن عباس[٤] قال قتادة[٥]: «ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها» وقال ابن عباس في رواية عطاء وعطية[٦]: «يريد التنور الذي يخبز فيه» قال الحسن[٧] كان تنوراً من حجارة قيل له: «إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك» قوله: ﴿قلنا احمل فيها﴾ في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين﴾ الذكر زوج والأنثى زوج وهو قول الحسن وقتادة[٨] قالوا «ذكر وأنثى» وقرأ حفص من كل بالتنوين[٩] أراد من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فحذف المضاف إليه، وقوله ﴿وأهلك﴾ أي: واحمل أهلك قال المفسرون[١٠]: «يعني ولده وعياله» ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ يعني امرأته «واعلة» وابنه كنعان ﴿ومن ءامن﴾ واحمل من صدقك ﴿وما ءامن معه إلا قليل﴾ أي: إلا نفر قليل وهم ثمانون إنساناً ﴿وقال﴾ نوح لقومه الذين أمر بحملهم ﴿اركبوا فيها﴾ أي اركبوا الماء في السفينة ﴿بسم الله مجراها﴾ أي: أجراها ومن قرأ بفتح الميم[١١] فالمجرى مصدر الجري، ﴿ومرساها﴾ أي: إرساؤها والإرساء: الإثبات يقال: رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غيره قال ابن عباس[١٢]: «تجري باسم الله وترسو باسم الله» وقال الضحاك[١٣]: «كان إذا أراد أن ترسو قال: بسم الله فرست وإذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت».

---

(١) البغوي ٢/٣٨٢ البحر المحيط ٥/٢٢١ وانظر الدر المنثور ٣/٣٢٨.
(٢) البغوي ٢/٣٨٢ البحر المحيط ٥/٢٢١.
(٣) البغوي ٢/٣٨٣.
(٤) البغوي ٢/٣٨٣ الطبري ١٥/٣١٨ (١٨١٤٣) ابن كثير ٥/٢٥٤ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٠١ وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس وانظر الدر المنثور ٣/٣٢٩.
(٥) البغوي ٢/٣٨٤ البحر المحيط ٥/٢٢٢ فتح القدير ٢/٤٩٨ وذكره السيوطي في الدر ٣/٣٢٩ عن ابن عباس وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وعن قتادة أيضاً عزاه لأبي الشيخ.
(٦) البغوي ٢/٣٨٣ الرازي ١٥/١٨٠ البحر المحيط ٥/٢٢٢ فتح القدير ٢/٤٩٨.
(٧) البغوي ٢/٣٨٣ الرازي ١٥/١٨٠ البحر المحيط ٥/٢٢٢ فتح القدير ٢/٤٩٨.
(٨) البغوي ٢/٣٨٤ الرازي ١٧/١٨١ انظر الدر المنثور ٣/٣٢٩ ابن كثير ٤/٢٥٤ البحر المحيط ٤/٢٢٢ فتح القدير ٢/٤٩٨.
(٩) وانظر النشر ٢/٢٨٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٥.
(١٠) البغوي ٢/٣٨٤.
(١١) انظر حجة القراءات لابن زنجلة وانظر النشر ٢/٢٨٨ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٥ الرازي ١٧/١٨٢ البحر المحيط ٥/٢٢٥.
(١٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/١٤ البغوي ٢/٣٨٥ الرازي ١٧/١٨٣.
(١٣) البغوي ٢/٣٨٥ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٠١ وعزاه لابن جرير الطبري وأبو حيان في البحر ٥/٢٢٥.

أخبرنا أبو عبد الرحمن إبن أبي حامد العدل أنا أبو العباس إبراهيم بن محمد بن موسى أنا محمد بن إدريس السامي [١] نا سويد بن سعيد نا عبد الحميد بن الحسن [٢] عن نهشل بن سعيد [٣] عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أمان لأمتي إذا ركبوا السفن أو البحر أن يقولوا: سبحان الله الملك» ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ إلخ الآيات [٤]: ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾ [٥].

قوله تعالى: ﴿وهي تجري بهم﴾ يعني الفلك ﴿في موج كالجبال﴾ الموج ما ارتفع من الماء إذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمته وارتفاعه على الماء ﴿ونادى نوح ابنه﴾ قال محمد بن إسحاق [٦]: «كان كافراً واسمه كنعان» ﴿وكان في معزل﴾ أي: في مكان منقطع بعيد من السفينة ومعنى العزل: التنحية والإبعاد يقال: هو بمعزل من هذا الأمر أي: بموضع قد عزل منه ﴿ يا بني اركب معنا﴾ ومـن قرأ بكسر الياء [٧] أراد يا بني فحذف ياء الإضافة وترك الكسرة، دلالة عليها، كما يقال: يا غلام أقبل ومن فتح الياء أبدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا بنيا، ثم حذف الألف لسكونها وسكون راء اركب والمعنى: أن نوحاً دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق، فقال ابنه ﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ يقول: أنضمّ إلى جبل يمنعني من الماء فلا أغرق فقال نوح: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إلا من رحم﴾ هذا استثناء منقطع، المعنى لكل من رحم، فإنه معصوم﴿وحال بينهما الموج﴾ منع الماء بين ابن نوح وبين الجبل ﴿فكان من المغرقين﴾.

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ

---

(١) الإمام المحدث الرحال الصادق أبو لبيد محمد بن إدريس بن إياس السامي السرخسي. سمع سويد بن سعيد وأبا مصعب الزهري وإسحاق بن أبي إسرائيل وهناد بن السري، ومحمود بن غيلان، وأبا كريب وطبقتهم وعمر دهراً، ورحل الناس إليه. حدث عنه: إمام الأئمة ابن خزيمة، وأحمد بن سلمة الحافظ، وإبراهيم بن محمد الهروي الوراق، وزاهر بن أحمد السرخسي، وأبو سعيد محمد بن بشر الكرابيسي البصري وآخرون. مات سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة، وله نيف وتسعون سنة رحمه الله، انظر السير (١٤/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥) العبر (٢/ ١٥٧) النجوم الزاهرة (٣/ ٢١٥).

(٢) عبد الحميد بن الحسن الهلالي أبو عمرو أو أبو أمية، كوفي سكن الرّي صدوق يخطىء، انظر تقريب التهذيب ١/ ٤٦٧، وانظر التهذيب ٦/ ١١٣ ـ ١١٤.

(٣) نهشل بن سعيد بن وردان الورداني بصري الأصل، سكن خراسان متروك وكذبه إسحاق بن راهويه من السابعة. انظر التقريب ٢/ ٣٠٧.

(٤) سورة الزمر ٧٤.

(٥) أخرجه أبو يعلى كما في الجامع الصغير ٢/ ١٨٢، ورمز له السيوطي بالضعف وقال المناوي في الفيض ٢/ ١٨٢ نقلاً عن ابن حجر: وجنادة ضعيف، وشيخه أضعف منه، وشيخ شيخه، وكذلك بالاتفاق، وطلحة مجهول وفي الميزان يحيى بن العلاء قال أحمد: كذاب يضع الحديث ثم ساق له أخباراً هذا منها انظر الميزان (٤/ ٣٩٧) وأخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ١٢٥ وابن السني (٤٩٤).

(٦) البغوي ٢/ ٣٨٥، البحر المحيط ٢/ ٢٢٦، وذكره السيوطي في الدر عن قتادة ٣/ ٣٣٣، وعزاه لابن أبي حاتم. وفي تفسير ابن كثير ٤/ ٢٥٦، واسمه (يام) وكان كافراً.

(٧) انظر النشر ٢/ ٢٨٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٢٦، الرازي ١٧/ ١٨٥.

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

﴿وقيل﴾ بعد ما تناهى أمر الطوفان ﴿يا أرض ابلعي ماءك﴾ اشربي ما فوقك من الماء، يقال: بلعت الماء أبلعه بلعاً ﴿ويا سماء أقلعي﴾ أي: عن انزال الماء يقال: أقلعت السماء بعد ما أمطرت إذا أمسكت ﴿وغيض الماء﴾ أي: نقص يقال: غاض الماء يغيض غيضاً إذا نقص، وغضته أنا ﴿وقضي الأمر﴾ أهلك قوم نوح وفرغ من هلاكهم ﴿واستوت﴾ يعني السفينة ﴿على الجودي﴾ هو جبل بالجزيرة وكان استواؤها عليه دلالة على نفاد الماء.

أخبرنا أبو منصور بن أبي نصر الواعظ أنا أبو سعيد عبد الله محمد القرشي أنا محمد بن أيوب الرازي أنا علي بن عثمان نا داود بن أبي الفرات[١] عن علباء بن أحمر[٢] عن عكرمة عن ابن عباس: «قال: كان مع نوح ثمانون رجلا معهم أهلوهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسون يوماً وان الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت، فبعث نوح الغراب ليأتيه بخبرالأرض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة، فأتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قرية وأسماها ثمانين»[٣] ويروى[٤] أن نوحاً عليه السلام ركب السفينة فيرجب فجرت بهم ستة أشهر ومرت بالبيت فطافت به سبعاً وقد رفعه الله من الغرق وأرسيت على الجودي يوم عاشوراء فصام نوح وأمر جميع من معه فصاموا شكراً لله ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ قال ابن عباس[٥]: «بعداً من رحمة الله للقوم المتخذين من دونه إلهاً».

قوله: ﴿ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي﴾ قال عكرمة عن ابن عباس[٦] إنه لابنُه ولكنه خالفه في النية والعمل. ونحو هذا قال الكلبي ومحمد بن إسحاق ومقاتل[٧] قالوا: «هو ابنه من صلبه» وقال قوم: «إن هذا الذي خالف نوحاً كان ابن امرأته ولم يكن من صلبه» وهو قول علي وأبي جعفر الباقر ومجاهد والحسن[٨] قوله: ﴿وإن وعدك الحق﴾ يعني وعدتني أن تنجيني وأهلي وفي هذا سؤال النجاة لابنه ﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾ قال ابن عباس[٩]: «أعدل العادلين» ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ أي: ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك،

---

(١) داود بن أبي الفرات الكندي المروزي ثقة. انظر تقريب التهذيب ١/٢٣٤، التهذيب ٣/١٩٧.

(٢) علباء بن أحمر اليشكري عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري. وعن عكرمة. وعنه عزرة بن ثابت وحسين بن واقد. وثقه ابن معين. انظر الخلاصة (٢/٢٤٠).

(٣) وهذا من الإسرائيليات التي لا علاقة للإسلام بها.

(٤) وكذلك الأمر كسابقه، وللأسف فقد شحن المفسرون كتبهم بها.

(٥) انظر البغوي بنحوه ٢/٣٨٦.

(٦) البغوي ٢/٣٨٧، البحر المحيط ٥/٢٢٦، الطبري ١٥/٣٤٣، وذكره السيوطي في الدر ٣/٣٣٣ ـ ٣٣٤، وعزاه لعبد الرزاق، وابن كثير ٤/٢٥٩، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٧) البغوي ٢/٣٨٧.

(٨) البحر المحيط ٥/٢٢٦، البغوي ٢/٣٨٧، فتح القدير ٢/٥٠٢، وذكره السيوطي في الدر ٣/٣٣٤ وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن أبي جعفر محمد بن علي.

(٩) البغوي ٢/٣٨٧.

وقال هشيم: «سألت أبا بشر عن هذه الآية فقال[١]: معناه أنه ليس من أهل دينه» وكان نوح يظن أنه من أهل دينه، وروي أنه كان يظهر الإيمان ويستر الكفر وقوله: ﴿إنه عمل غير صالحٍ﴾ إن سؤالك إياي أن أنجي كافراً عمل غير صالح، وروي عن النبي ﷺ أنه قرأ: «عملَ غيرَ صَالحٍ»[٢] واختاره الكسائي[٣].

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الحافظ أنا عبد الله بن محمد بن حيان نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان العسكري نا يحيى بن أبي بكر عن هارون القاري[٤] نا ثابت عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أنها قالت: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية كيف تقرؤها؟ فقال: «إنـه عَمِلَ غَيرَ صَالـحٍ»[٥] والمعنى أن ابنك عمل غير صالح يعني الشرك ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾ بجواب مسألتك من إنجاء الكافر من العذاب ﴿وإني أعظك﴾ أنهاك ﴿أن تكون من الجاهلين﴾. قال ابن عباس: «يريد الآثمين؛ لأن ذنب المؤمن جهل ليس بكفر[٦]» ثم اعتذر نوح أجمل الاعتذار فقال: ﴿رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم﴾ قال ابن عباس: «يريد انكِ أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عني» ﴿وإلا تغفر لي﴾ جهلي ﴿وترحمني أكن من الخاسرين﴾ قوله: ﴿قيل يا نوح اهبط﴾ قال ابن عباس[٧]: «يريد من السفينة إلى الأرض» ﴿بسلام منا﴾ أي سلامة ﴿وبركاتٍ عليك﴾ قال المفسرون[٨]: «معنى البركات على نوح، أنه صار أبا البشر والأنبياء لأن جميع من بقي كانوا من نسله» قال ابن عباس[٩]: «يريد أنك آدم الأصغر» قوله: ﴿وعلى أممٍ ممن معك﴾ قال ابن عباس[١٠] «يريد من ولدك» قال ابن الأنباري[١١]: «من ذراري من معك. ولم يكن الذين كانوا مع نوح أمماً، وأراد المؤمنين وأهل السعادة من ذريته» ثم ذكر الكفار من ذريته، فقال ﴿وأمم سنمتعهم﴾ يعني في الدنيا ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ يعني في الآخرة، قال محمد بن كعب القرظي[١٢]: «لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا دخل في ذلك السلام والبركات ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب الأليم»

---

(١) انظر تفسير البغوي ٢/٣٨٧.

(٢) وأخرجه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٧/١٥٨، وقال الهيثمي فيه حميد بن الأزرق لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٣) انظر النشر ٢/٢٨٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٧.

(٤) هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور العتكي البصري الأزدي، مولاهم علامة صدوق نبيل له قراءة معروفة، روى القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير وابن محيصن وحميد بن قيس. وروى عن ثابت وأنس بن سيرين. مات هارون قبل المائتين. انظر غاية النهاية (٢/٣٤٨).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن ٤/٣٣، في كتاب الحروف باب ٣٩٨٢، وأحمد في المسند ٦/٢٩٤، ٣٢٢، وانظر تفسير الطبري ١٥/٣٤٥ ـ ٣٥٠، وقال الحافظ ابن كثير: وأم سلمة بنت يزيد، فإنها تكنى بهذا أيضاً (٤/٢٦٠).

(٦) انظر تفسير الرازي ١٨/٤.

(٧) البغوي ٢/٣٨٧، الرازي ١٨/٦، أبو حيان ٥/٢٣١.

(٨) أبو حيان ٢/٢٣١، الرازي ١٨/٦.

(٩) أبو حيان ٢/٢٣١، الرازي ١٨/٧.

(١٠) البغوي ٢/٣٨٧.

(١١) البغوي ٢/٣٨٧.

(١٢) ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٠٣، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. وانظر الدر المنثور ٣/٣٣٧. الرازي ١٨/٧.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله: **﴿تلك﴾** يعني ما ذكر من قصة نوح **﴿من أنباء الغيب﴾** من أخبار ما غاب عنك وعن قومك **﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾** قال قتادة[1] «من قبل هذا القرآن» وما كان علم محمد وقومه بما صنع نوح لولا أن الله بين له ذلك، **﴿فاصبر﴾** أي: كما صبر نوح على أذى قومه **﴿إن العاقبة للمتقين﴾** إن آخر الأمر بالظفر والتمكين لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾﴾

قوله: **﴿وإلى عادٍ أخاهم هوداً﴾** هذا عطف على قوله: **﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾** كأنه قال: أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا وكان أخاهم في النسب لا في الدين قال ابن عباس[2]: «يريد ابن أبيهم» وقوله **﴿إن أنتم إلا مفترون﴾** أي: ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان وما بعد هذا قد تقدم تفسيره إلى قوله: **﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾** قال المفسرون[3]: «إن الله تعالى قد حبس المطر عن قوم عاد ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم فقال لهم هود: إن أنتم آمنتم أحيى الله بلادكم ورزقكم المال والولد» وذلك قوله: **﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾** وقد تقدم تفسيره في أول سورة الأنعام[4] **﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾** فسرت القوة ها هنا بالمال والولد والشدة وكل هذا مما يقوي به الإنسان قال ابن عباس في رواية الكلبي ومقاتل[5] «يعني العدد وكثرة الأولاد» وقوله: **﴿ولا تتولوا مجرمين﴾** لا تتركوا الإيمان بالله ولا تعرضوا عنه **﴿قالوا يا هود ما جئتنا ببينة﴾** أي: بحجة واضحة **﴿وما نحن بتاركي ءالهتنا عن قولك﴾** أي بقولك والباء وعن تتعاقبان **﴿وما نحن لك**

(١) البغوي ٢/٣٨٧، أبو حيان ٥/٢٣٢.
(٢) البغوي ٢/٣٨٧، الرازي ١٨/٩.
(٣) البغوي ٢/٣٨٨، الرازي ١٨/١٠، أبو حيان ٥/٢٣٣.
(٤) قال المصنف رحمه الله السماء ـ يعني ـ المطر.
(٥) البغوي ٢/٣٨٨، الرازي ١٨/١٠، أبو حيان ٥/٢٣٣.

بمؤمنين﴾ بمصدقين **﴿إن نقول إلا اعتراك بعض ءالهتنا بسوء﴾** أي: ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض آلهتنا أصابك بالجنون فأفسد عقلك وأجنك فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير، يقال عراه أمر كذا، واعتراه إذا غشيه وأصابه فقال نبي الله عند ذلك: **﴿إني أشهد الله﴾** الآية يعني إن كان عندكم أنها عاقبتي ليطغى عليها فإني على بصيرة في البراءة منها والعيب لها وقوله: **﴿فكيدوني جميعاً﴾** أي احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي وغيظي **﴿ثم لا تنظرون﴾** لا تمهلوني قال الزجاج[١]: «وهذا من أعظم آيات الأنبياء أي: يقبل النبي على قومه مع كثرة عددهم، فيقول لهم هذا القول، وذلك للثقة بنصر الله تعالى» ثم ذكر ذلك فقال **﴿إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو ءاخذ بناصيتها﴾** أي: إلا هي في قبضته وتنالها قدرته كيف شاء والعرب إذا وصفت إنساناً بالذلة والخضوع قالوا (ما ناصيته إلا بيد فلان) أي: إنه مطيع له يصرفه كيف يشاء لأن من أخذته بناصيته وهو شعر مقدم الرأس فقد قهرته. قوله: **﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾** قال الزجاج وابن الأنباري[٢]: «أي إنه وإن كان قادراً عليهم فهو لا يظلمهم ولا يلحقهم بقدرته عليهم إلا ما يوجب الحق وقوعه بهم» وقال عطاء عن ابن عباس[٣]: «يريد ان الذي بعثني الله به دين مستقيم» والمعنى على هذا: إن دين ربي على صراط مستقيم **﴿فإن تولوا﴾** أي تتولوا بمعنى تعرضوا عما دعوتكم إليه من الإيمان بالله وعبادته **﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾** قال الزجاج وابن الأنباري[٤]: «معناه: فقد ثبتت الحجة عليكم، وظهر فساد مذهبكم» **﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾** قال ابن عباس: «ويخلق بعدكم من هو أطوع لله منكم» **﴿ولا تضرونه شيئاً﴾** قال: «يريد هلاككم لا ينقص من ملك ربي شيئاً» وقال غيره[٥]: «لا تضرونه شيئاً بإعراضكم إنما تضرون أنفسكم لأن ضرر كفركم عائد عليكم» **﴿إن ربي على كل شيء﴾** من أعمال العباد **﴿حفيظ﴾** حتى يجازيهم عليها. قوله: **﴿ولما جاء أمرنا﴾** بهلاك عاد **﴿نجينا هوداً والذين ءامنوا معه برحمةٍ منا﴾** قال ابن عباس[٦]: «يريد حيث هديتهم للإيمان وعصمتهم من أن يكفروا بي» فمعنى الرحمة ها هنا ما أراهم من الهدى والبيان **﴿ونجيناهم من عذاب غليظٍ﴾** يعني ما عذب به الذين كفروا ثم ذكر عاد فقال:

وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٥٨، البغوي ٢/٣٨٨، فتح القدير ٢/٥٠٥.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٥٨، البغوي ٢/٣٨٩.

(٣) البغوي ٢/٣٨٩.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٥٨، فتح القدير ٢/٥٠٥.

(٥) البغوي ٢/٣٨٩.

(٦) فتح القدير ٢/٥٠٦، الرازي ١٨/١٣، البحر المحيط ٥/٢٣٥.

تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

﴿وتلك عاد﴾ يعني القبيلة **﴿جحدوا بآيات ربهم﴾** قال ابن عباس[1]: «كذبوا أنبياء الله» **﴿وعصوا رسله﴾** إنما جمع الرسل وكان قد بعث إليهم هوداً لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كفر بجميع الرسل **﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيدٍ﴾** [واتبع السفلة والسقاط الرؤساء والعنيد][2]: الذي لا يقبل الحق من قولهم: عند الرجل يعند عنوداً إذا أبى أن يقبل الشيء وإن عرفه **﴿وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾** أي أردفوا لعنة تلحقهم وتتصرف معهم **﴿ويوم القيامة﴾** أي: وفي يوم القيامة كما قال **﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾**[3] **﴿ألا إن عاداً كفروا ربهم﴾** أي: بربهم فحذف الياء، كما تقول: أمرتك الخير **﴿ألا بعداً لعادٍ قوم هود﴾** يريد بعدوا من رحمة الله قوله **﴿وإلى ثمود﴾** ظاهر إلى قوله: **﴿هو أنشأكم من الأرض﴾** يعني خلقكم من آدم وآدم خلق من الأرض **﴿واستعمركم فيها﴾** جعلكم عماراً لها أي: أورثكم الأرض فصرتم عمرتها بعد من مضوا **﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا﴾** قال المفسرون[4]: «كان صالح يعدل عن دين قومه، ويبغض أصنامهم وكانوا يرجون رجوعه إلى دين أبيه وعشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله ترك عبادة الأصنام زعموا أن رجاءهم انقطع منه ويئسوا من دخوله في ملتهم وأنكروا عليه نهيه إياهم عن عبادة الأصنام» فقالوا: **﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا وإننا لفي شك مما تدعوننا إليه﴾** من توحيد الله وعبادته **﴿مريبٍ﴾** موقع للريبة **﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينةٍ من ربي﴾** الآية يقول: يا قوم، أعلمتم من **﴿ينصرني من الله﴾**؟ من يمنعني من عذاب الله **﴿إن عصيته﴾** بعد بينة من ربي ونعمة؟ قوله: **﴿فما تزيدونني غير تخسيرٍ﴾** لم يكن صالح في خسارة حين قال لهم هذا وإنما المعنى ما تزيدونني بما تقولون، يعني قولهم: **﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد ءاباؤنا﴾** إلا نسبتي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير، قال ابن الأعرابي: [يريد غير تخسير لكم لا لي ومعنى التخسير التضليل والإبعاد من الخير[5]][6] **﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم ءاية﴾** الآية مشروحة في سورة الأعراف وقوله: **﴿تمتعوا في داركم﴾** يعني عيشوا في بلدكم وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحق يكون متمتعاً بالحواس، وقوله: **﴿ثلاثة أيامٍ﴾** قال المفسرون[7]: «لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا رغوة ثلاثاً فقال صالح: لكل رغوة أجل معلوم فاصفر ألوانهم أول يوم ثم احمر من الغد ثم اسود اليوم الثالث» وهو قوله: **﴿ذلك وعد﴾** أي: العذاب **﴿غير مكذوبٍ﴾** أي: غير كذب.

---

(١) البغوي ٢/٣٨٩، الرازي ١٨/١٣، فتح القدير ٢/٥٠٦.

(٢) سقط في ج.

(٣) سورة النور ٢٣.

(٤) البغوي ٢/٣٩٠، البحر المحيط ٥/٢٣٨، فتح القدير ٢/٥٠٧ ـ ٥٠٨.

(٥) الرازي ١٨/١٦، البغوي ٢/٣٩١، البحر المحيط ٥/٢٣٩، فتح القدير ٢/٥٠٨.

(٦) سقط في أ، ب.

(٧) البغوي ٢/٣٩١، الرازي ١٨/١٧.

أخبرنا نصر بن بكر بن أحمد بن الحسين بن مهران أنا عبد الله بن محمد السجزي أنا محمد بن أيوب أنا العباس بن الوليد النرسي أنا يحيى بن سليم[١] عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن ابن الزبير أن جابر حدثه «أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس فقال: أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات، هؤلاءقوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها، فيحلبون من لبنها، مثل الذي كانوا يشربون من ماءها يوم غبها[٢]، فعتوا عن أمر ربهم، فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعداً من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم إلا رجلاً كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله يقال له: أبو رغال قيل يا رسول الله من أبو رغال؟ قال: أبو ثقيف»[٣].

قوله: ﴿فلما جاء أمرنا﴾ تقدم تفسيره في قصة عاد إلى قوله: ﴿ومن خزي يومئذ﴾ قال ابن الأنباري[٤]: «هذا عطف على محذوف بتقدير: نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ» من الخزي الذي لزمهم ذلك اليوم، وبقي عاره مأثوراً عنهم وفي ﴿يومئذٍ﴾ قراءتان الفتح والكسر[٥] فمن كسر فإن الاسم معرب فانجر بالإضافة ومن فتح الميم مع أنه في موضع جر فلأنه مضاف إلى مبني غير متمكن والمضاف إلى المبني يجوز بناؤه.

كقول النابغة[٦]:

عَلَى حِين عَـاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبـا ... وَقُـلْتُ أَلَـمَّـا أَصْحُ وَالـشَّـيْـبُ وَازِعُ

قوله: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ قال ابن الأنباري[٧]: «إنما ذكر أخذ، لأن الصيحة محمولة على الصياح» قال المفسرون: «لما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم» ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها﴾ هذه الأحرف مفسرة في سورة الأعراف ﴿ألا إن ثمود كفروا ربهم﴾ قرىء بالإجراء وتركه[٨] فمن أجراه فلأنه اسم مذكر سمي به مذكر، وهو الحي فصار كثقيف وقريش ومن ترك إجراءه جعله اِسماً للقبيلة فلم يصرفه لاجتماع التعريف والتأنيث وهو ثمود بن عاتي بن إرم بن سام بن نوح قال أبوعمرو بن العلاء: «سميت ثمود[٩] لقلة ماءها، والثمد الماء القليل، وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام» قوله:

---

(١) يحيى بن سليم الطائفي نزيل مكة صدوق سيىء الحفظ، مات سنة ثلاث وتسعين أو بعدها انظر التقريب ٢/٣٤٩.

(٢) والغب أن ترعى يوماً وترد من الغد، انظر لسان العرب ٥/٣٢٠٤ م غب.

(٣) تقدم.

(٤) انظر البيان ٢/١٩.

(٥) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٣/٢٨٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٩.

(٦) انظرديوانه ٣٨، والكتاب لسيبويه ٢/٣٣٠ ابن الشجري ١/٤٦ ابن يعيش ٣/١٦ شرح شواهد المغني (٢٩٨) الإنصاف ١/٥٨ الخزانة ٣/١٥١ العين ٢/٤٠٦ المنصف ١/٥٨ اللمع ١/٢١٨.

(٧) انظر البيان ٢/٢٠.

(٨) انظر النشر ٢/٢٨٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٢٩.

(٩) قرأ حمزة وحفص عن عاصم (ألا إن ثمود) غير منون في كل القرآن، وقرأ الباقون (ثموداً) بالتنوين، ولثمودٍ كلاهما بالصرف، والصرف للذهاب إلى الحي أو إلى الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة. انظر الرازي (١٨/١٩)، وانظر البحر المحيط (٥/٢٤٠)

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ يعني الملائكة الذين أتوه في صورة الأضياف قال ابن عباس[1]: «وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل» وقال الضحاك[2]: كانوا تسعة. وقال السدي[3]: كانوا أحد عشر ملكاً على صورة الغلمان الوضاء **﴿قالوا سلاماً﴾** أي: سلموا سلاماً **﴿قال سلام﴾** أي: عليكم سلام وقرأ حمزة[4]: (سِلم) بكسر السين قال الفراء[5]: وهو في معنى سلام كما قالوا: حل وحلال وحرم وحرام لأن التفسير جاء بأنهم سلموا عليه فرد عليهم. وقوله **﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ﴾** قال عبيد بن عمير: «مكث إبراهيم عليه السلام خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فلما جاءته الملائكة رأى أضيافاً لم ير مثلهم فجاءهم بعجل حنيذ» أي: محنوذ أي: مشوي، قال ابن عباس[6]: «الحنيذ: النضيج» وهو قول مجاهد وقتادة[7] والحنذ: اشتواء اللحم بالحجارة المحماة في شق من الأرض يقال: حنذته حنذاً وهو فعل أهل البادية **﴿فلما رأى﴾** إبراهيم **﴿أيديهم لا تصل﴾** إلى العجل لأنهم كانوا ملائكة لا يأكلون ولا يشربون **﴿نكرهم﴾** إبراهيم أي: أنكرهم وخاف امتناعهم من طعامه، وهو قوله: **﴿وأوجس منهم خيفة﴾** قال أبو عبيدة والزجاج[8]: «أضمر منهم خوفاً» لأنه لم يكن يأمن أن يكونوا جاءوا لبلاء أو شر، لما لم يتحرموا بطعامه، ورأوا علامة ذلك في وجهه **﴿قالوا لا تخف﴾** فإنا ملائكة الله **﴿أرسلنا إلى قوم لوطٍ﴾** بالعذاب **﴿وامرأته قائمة﴾** من وراء الستور يعني سارة بنت هاران بن ناحور بنت عم إبراهيم وكانت تتسمع إلى الرسل وقوله: **﴿فضحكت﴾** أي: سروراً بما زال عنها من الخوف لأنها كانت خافت كما خاف إبراهيم عليه السلام ويجوز أن يكون هذا على التقديم والتأخير والتقدير: فبشرناها بإسحاق فضحكت سروراً بالتبشير وذلك أن الملائكة قالوا لها: أيتها الضاحكة ستلدين غلاماً والقولان في ضحكت ذكرهما الفراء[9] وقوله: **﴿فبشرناها بإسحاق﴾** قال المفسرون[10]: «كان

---

(١) الرازي ١٨/١٩، البغوي ٢/٣٩٢، البحر المحيط ٥/٢٤١، فتح القدير ٢/٥١٢، ابن كثير ٤/٢٦٥، انظر الدر المنثور ٣/٣٣٨.

(٢) البغوي ٢/٣٩٢، الرازي ١٨/١٩، البحر المحيط ٢/٢٤١، فتح القدير ٢/٥٠٩.

(٣) البغوي ٢/٣٩٢، البحر المحيط ٢/٢٤١، فتح القدير ٢/٣٩٢.

(٤) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٠.

(٥) الرازي ١٨/٢٠.

(٦) بنحوه عند البغوي ٢/٣٩٢، أبو حيان في البحر ٥/٢٤٢، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥١٢، وعزاه لابن جرير وابن المنذر، وانظر الدر ٣/٣٣٨.

(٧) البغوي ٢/٣٩٢، انظر فتح القدير ٢/٥١٢، الرازي ١٨/٢١، ابن كثير ٤/٢٦٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٦١.

(٩) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٢٢.

(١٠) الطبري ١٥/٣٨٩ ـ ٣٩٠، أبو حيان في البحر ٥/٢٤٣.

إبراهيم قد ولد له من هاجر إسماعيل وكبر وشب فتمنت سارة أن يكون لها ابن وأيست من ذلك لكبر سنها، فبشرت على كبر السن بولد يكون نبياً ويلد نبياً» وهو قوله ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ قال الزجاج[١]: «بشروها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولده» ووراء ها هنا: بمعنها بعد قال ابن عباس ومقاتل[٢]: «ومن بعد إسحاق يعقوب» ويعقوب رفع[٣] لأنه ابتداء مؤخر معناه التقديم، المعنى: ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق ومن نصب يعقوب نصبه بفعل يشاكل معناه معنى التبشير على تقدير: من وراء إسحاق وهبنا لها يعقوب كما تقول العرب: مررت بأخيك وأباك يريدون بمررت جزت كأنه قيل: جزت أخاك وأباك كما قال رؤبة[٤]:

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وَغَوْرا غَائِرَا ....

أراد يدخلن نجداً قوله: ﴿قالت يا ويلتى﴾ الأصل: يا ويلتي، فأبدل من الياء الألف لأنه أخف من الياء والكسرة، وهذه الكلمة إنما تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم الفظيع، وقوله: ﴿ءألِدُ وأنا عجوز﴾ استفهام تعجب قال محمد بن إسحاق[٥]: «كانت ابنة تسعين سنة وكان زوجها ابن عشرين ومائة سنة» وهو قوله: ﴿وهذا بعلي شيخاً إن هذا﴾ الذي تذكرونه من أمر الولد بيننا ﴿لشيء عجيب﴾ معجب ﴿قالوا﴾ لها: ﴿أتعجبين من أمر الله﴾ من قضاء الله وقدرته؟ ﴿رحمت الله وبركاته عليكم﴾ يحتمل أن يكون هذا من دعاء الملائكة لهم بالرحمة والبركة ويحتمل أن يكون ذلك إخباراً عن ثبوت ذلك لهم وقوله: ﴿أهل البيت﴾ يعني بيت إبراهيم عليه السلام ومن تلك البركات أن الأسباط وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة ﴿إنه حميد﴾ تحمد فعاله وهو بمعنى المحمود ﴿مجيد﴾ المجيد الماجد وهو ذو الشرف والمجد والكرم، قوله: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ يعني الفزع الذي أصابه لما لم يأكلوا العجل ﴿وجاءته البشرى﴾ بإسحاق ويعقوب ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ أي: أقبل وأخذ يجادل رسلنا من الملائكة: قال المفسرون[٦]: «إن الرسل لما قالوا لإبراهيم: إنا مهلكو أهل هذه القرية قال أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم قالوا لا قال: فأربعون قالوا: لا فما زال ينقص ويقولون: لا حتى قال: فواحد قالوا: لا فاحتج عليهم بلوط فقال ﴿إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ فهذا معنى جدال إبراهيم في قوم لوط وما بعد هذا مفسر في سورة التوبة، قالت الرسل عند ذلك ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ الجدال ﴿إنه قد جاء أمر ربك﴾ بعذابهم ﴿وإنهم ءاتيهم عذاب غير مردود﴾ أي: لا يرد عنهم ما يأتيهم من العذاب لأن الله تعالى قد قضى بذلك. قوله:

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٦٢/٣، وانظر الدر المنثور ٣٣٨/٣ البغوي ٢٩٣/٢ فتح القدير ٥١٢/٢.

(٢) ابن كثير ٢٦٥/٤، أبو حيان في البحر ٢٤٣/٥، الرازي ٢٢/١٨. انظر ابن كثير ٢٦٦/٢.

(٣) انظر النشر ٢٩٠/٢، وإتحاف فضلاء البشر ١٣١/٣.

(٤) صدر بيت انظر ملحقات ديوانه (١٩٠) وعجزه:

.... فواسقا عن قصدها جوائرا

(٥) البغوي ٣٩٣/٢، وانظر البحر المحيط ٢٤٣/٥، الرازي ٢٢/١٨، فتح القدير ٥١٢/٢.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٦٥/٣، البغوي ٣٩٤/٢، الرازي ٢٥/١٨، الطبري ١٥/ ٤٠٣، البحر الميحط ٢٤٥/٥، ابن كثير ٢٦٦/٤، وذكر السيوطي في الدر ٣٤١/٣، وعزاه لعبد الرزاق، وأبي الشيخ عن قتادة.

أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾

﴿ولما جاءت رسلنا﴾ يعني الملائكة **﴿لوطاً﴾** في قريته **﴿سيء بهم﴾** حزن بمجيئهم لأنهم أتوه في صورة غلمان جرد فلما نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم، أشفق عليهم من قومه أن يقصدوهم بالفاحشة وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم **﴿وضاق بهم ذرعاً﴾** ضاق صدره وعظم المكروه عليه قال الزجاج[1]: «يقال: ضاق زيد بأمره ذرعاً إذا لم يجد من المكروه فيه مخلصاً» **﴿وقال هذا يوم عصيب﴾** شديد قال أبو عبيدة[2]: «إنما قيل له عصيب لأنه يعصب الناس بالشر أي يشدهم» قوله **﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾** قال المفسرون: «لما أضافهم لوط مضت امرأته عجوز السوء فقالت لقومه لقد استضاف لوطاً قوم لم أر أحسن وجوهاً منهم فجاءه قومه يهرعون إليه»[3] قال الكسائي وأبو زيد: أهرع الرجل إهراعاً إذا أسرع قال عامة المفسرين: «يهرعون»[4] يسرعون **﴿ومن قبل﴾** أي: ومن قبل مجيئهم إلى لوط **﴿كانوا يعملون السيئات﴾** يعني فعلهم المنكر **﴿قال﴾** لوط **﴿هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾** يعني أنا أزوجكموهن، فهن أطهر لكم من نكاح الرجال أراد أن يقي أضيافه ببناته فعرضهن عليهم، وقال سعيد بن جبير[5]: «دعاهم إلى نسائهم» يعني أن قوله **﴿هن أطهر لكم﴾** أي نساؤكم أطهر لكم فجعلهن بناته لأنه نبيهم وكل نبي أبو أمته وقوله **﴿فاتقوا الله﴾** أي: اتقوا عقابه **﴿ولا تخزون في ضيفي﴾** لا تسوءوني فيهم ولا تفعلوا بهم فعلاً يلزمني الاستحياء منهم والضيف يراد به الجمع قال ابن عباس[6]: «لا تفضحوني في أضيافي» يريد أنهم إذا هجموا على أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة **﴿أليس منكم رجل رشيد﴾** يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ وهذا معنى قول ابن عباس[7]: «رجل رشيد يقول الحق ويرد هؤلاء عن أضيافي» ورشيد ها هنا بمعنى مرشد **﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾** ليس لنا بأزواج فنستحقهن **﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾** قال عطاء[8]: «إنك لتعلم أنّا نريد الرجال لا النساء يعنون عملهم الخبيث» **﴿قال لو أن لي بكم قوة﴾** جماعة أقوى بها عليكم **﴿أو ءاوي إلى ركن شديدٍ﴾** أو أنضم إلى عشيرة تنصرني وشيعة تمنعني، وجواب لو

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٦٦، البغوي ٢/ ٣٩٤، الرازي ١٨/ ٢٦.

(٢) انظر مجاز القرآن ١/ ٢٩٣، انظر تفسير البغوي ٢/ ٣٩٤، الرازي ١٨/ ٢٦، فتح القدير ٢/ ٥١٣.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/ ٤٢٩ (١٨٤١٦)، ابن كثير ٤/ ٢٧٠، البغوي ٢/ ٣٩٥، البحر المحيط ٥/ ٢٤٦، الرازي ١٨/ ٢٧.

(٤) ابن كثير ٤/ ٢٦٨، البحر المحيط ٥/ ٢٤٦، البغوي ٢/ ٣٩٥، فتح القدير ٢/ ٥١٦، الرازي ١٨/ ٢٧.

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٤١٤ (١٨٣٨٠)، ابن كثير ٤/ ٢٦٨، البغوي ٢/ ٣٩٥، الرازي ١٨/ ٢٧، فتح القدير ٢/ ٥١٦. وذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٤٤، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٦) الرازي ١٨/ ٢٨، انظر فتح القدير ٢/ ٥١٦، البغوي ٢/ ٣٩٥ ذكره السيوطي في الدر ٣/ ٣٤٣، وعزاه لإسحاق بن بشر، وابن عساكر من طريق جويبر، ومقاتل عن الضحاك.

(٧) فتح القدير ٢/ ٥١٦، البغوي ٢/ ٣٩٥ انظر الدر المنثور ٣/ ٣٤٣.

(٨) الطبري ١٥/ ٤١٧، ٤١٨، ابن كثير ٢/ ٢٦٨، فتح القدير ٢/ ٥١٦، البغوي ٢/ ٣٩٥.

محذوف على تقدير: لحلت بينكم وبين المعصية قال قتادة[١]: «ذكر لنا أن الله لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه ومنعة من عشيرته» ولما رأت الملائكة ما لقي لوط من قومه ﴿**قالوا يا لوط**﴾ إن ركنك لشديد، و﴿**إنا رسل ربك لن يصلوا إليك**﴾ بسوء فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق فذلك قوله تعالى: ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم﴾ وقوله: «فأَسْرِ بأهلك» وقرىء بقطع الألف[٢] وهما لغتان، يقال: سريت بليل، وأسريت ومنه قوله: ﴿أسرى بعبده﴾ قال السدي عن ابن مالك: «لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه الكبرى اسمها رية والصغرى إسمها عروبة[٣] والمراد بالأهل ها هنا ابنتاه» وقوله: ﴿**بقطع من الليل**﴾ قال ابن عباس[٤]«يريد في ظلمة الليل» وقال قتادة[٥]: «بعد طائفة من الليل» ﴿**ولا يلتفت منكم أحد**﴾ نهى من معه من الالتفات إذا خرجوا من قريتهم وقوله: ﴿**إلا امرأتك**﴾ من نصبها[٦] جعلها مستثناه من الأهل على معنى: فأسر بأهلك إلا امرأتك ومن رفع فكأن المعنى: ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك قال قتادة[٧]: «ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هَدَّةَ العذاب التفتت فقالت: واقوماه فأصابها حجر فأهلكها»وهو قوله: ﴿**إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم**﴾ للعذاب ﴿**الصبح**﴾ فقال لوط: أريد أعجل من ذلك بل الساعة يا جبريل، قال له: ﴿**أليس الصبح بقريب فلما جاء أمرنا**﴾ الملائكة بالعذاب ﴿**جعلنا عاليها سافلها**﴾ الكناية تعود إلى المؤتفكات وهي مذكورة قبل هذه السورة قال المفسرون[٨] «أدخل جبريل جناحه تحت مدائن قوم لوط حتى قلعها، وصعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نهيق الحمار ونباح الكلاب وصياح الديوك، لم تسقط لهم جرة ولم ينكسر لهم إناء وكان الطير يخرج في الهواء لا يدري أين يذهب ثم قلبها عليهم مكانها، وأنزلت عليهم الحجارة»فذلك قوله: ﴿**وأمطرنا عليها حجارة من سجيل**﴾ وهو مُعرَّب عن (سَنْك) و(كِلْ) وهذا قول ابن عباس، ووهب، وقتادة، وسعيد بن جبير[٩] والعرب لا تعرف هذا قال الزجاج[١٠]: «ومن كلام الفرس ما لا يحصى مما عربته العرب نحو جاموس وديباج» وقد أعاد الله ذكر هذه الحجارة فقال: ﴿**لنرسل عليهم حجارة من طين**﴾ فبين للعرب ما عنى بالسجيل وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة قالا[١١]: «من طين قد طبخ حتى صار كالآجر فهو سنك كل بالفارسية» قوله:﴿**منضود**﴾ هو مفعول من النضد وهو وضع الشيء بعضه على بعض ومعناه في قول أكثر المفسرين[١٢]: الذي يتلو بعضه بعضاً ﴿**مسومة**﴾ من نعت قوله:

---

(١) ذكره البغوي في التفسير عن أبي هريرة ٢/٣٩٥. ذكره السيوطي في الدر ٣/٣٤٣، وعزاه لسعيد بن منصور، وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٢) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٢.

(٣) وفي الرازي (١٨/٢٧) (وهما) (زنتا، وزعورا)، وفي البحر أيضاً ٥/٢٤٦.

(٤) انظر تفسير البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠، انظر الدر المنثور ٢/٣٤٥ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠.

(٦) انظر النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٣، البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠.

(٧) البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣٠، انظر الدر المنثور ٣/ ٣٤٥.

(٨) البغوي ٢/٣٩٦، الرازي ١٨/٣١، الطبري ١٥/٤٤٢، ابن كثير ٤/٢٧١ السيوطي في الدر ٣/٣٤٣، فتح القدير ٢/٥١٧.

(٩) الطبري ١٥/٤٣٣، ابن كثير ٤/٢٧٠، البغوي ٢/٣٩٧، وذكره السيوطي في الدر ٢/٣٤٥، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٠) معاني القرآن ٣/٧٠، البغوي ٢/٣٩٧، انظر الدر المنثور ٣/٣٤٥.

(١١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٤ غريب القرآن لابن قتيبة ٢٠٧.

(١٢) ابن كثير ٤/٢٧١، البغوي ٢/٣٩٧.

﴿حجارة﴾ قال الزجاج [(١)]: «معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا» وهذا قول ابن جريج [(٢)] قال: «كانت عليها سيما لا تشاكل حجارة الأرض» وقال الحسن والسدي[(٣)]: «كانت مختومة عليها أمثال الخواتيم» وقال قتادة وعكرمة[(٤)]: «كان بها نضخ من حمرة فيها خطوط حمر على هيئة الجذع» وقوله ﴿عند ربك﴾ أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه وقوله: ﴿وما هي من الظالمين ببعيدٍ﴾ قال قتادة[(٥)]: «والله ما أجار الله منها ظالماً بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا على حذر» وأكثر المفسرين[(٦)] على أن المراد بالظالمين ها هنا كفار قريش يرهبهم الله بها.

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

قوله تعالى: ﴿وإلى مدين﴾ مفسر إلى قوله ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾ أي: لا تطففوا ولا تبخسوا حق الناس

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٣/٧٢، ابن كثير ٤/٢٧١، البغوي ٢/٣٩٧.

(٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/١٤٥، البغوي ٢/٣٩٧، الرازي ١٨/٣٢ ذكره السيوطي في الدر ٣/٣٤٦، وعزاه لأبي الشيخ.

(٣) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٤/١٤٦، ابن كثير ٤/٢٧١، البغوي ٢/٣٩٧، الرازي ١٨/٣٢.

(٤) انظر زاد المسير ٤/١٤٥، البغوي ٢/٣٩٧، أبو حيان ٥/٢٥٠، الرازي ١٨/٣٢.

(٥) زاد المسير ٤/١٤٦، البغوي ٢/٣٩٧، وذكره السيوطي في الدر ١/٣٤٦ وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٦) البحر المحيط ٥/٢٥٠، الرازي ١٨/٣٢٠، البغوي ٢/٣٩٧.

بالمكيال، وهو ما يكال به، ونقص المكيال أن تجعل على حد أنقص مما عليه المعهود ونقص الميزان أن تجعل الصنجات أخف وما يوزن به فهو ميزان والصنجات يوزن بها وقوله: ﴿إني أراكم بخيرٍ﴾ يعني الخصب والنعمة والمعنى أنه حذرهم غلاء السعر وزوال النعمة إن لم يتوبوا وقال الفراء: «لا تنقصوا المكيال وأموالكم كثيرة وأسعاركم رخيصة يعني أي حاجة بكم إلى سوء الكيل والوزن بعد أن أنعم الله تعالى عليكم برخص السعر وكثرة المال» وقوله: ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ محيطٍ﴾ يوعدهم بعذاب محيط بهم فلا يفلت منهم أحد ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أي: أتموها بالعدل والإيفاء الإتمام ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ ولا تنقصوا الناس ما يستحقون عليكم، قال ابن عباس: «إنكم معشر الأعاجم قد وليتم أمرين هلك بهما من كان قبلكم من الأمم: المكيال والميزان»[1] وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: «اتق الله أوف الكيل أوف الوزن»[2] وقوله: ﴿بقيت الله خير لكم﴾ قال ابن عباس[3]: «يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير لكم من البخس والتطفيف» يعني من تعجل النفع بالبخس في المكيال والميزان ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة ما يقول ﴿وما أنا عليكم بحفيظٍ﴾ أي لم أؤمر بقتالكم وأكرهكم على الإيمان ﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد اباؤنا﴾ قال عطاء[4]: «يريد دينك يأمرك فكنى عن الدين بالصلاة لأنها من أمر الدين» وكان شعيب كثير الصلاة لذلك قالوا هذا كأنهم قالوا في دينك أن تأمرنا بترك ما يعبد آباؤنا ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ من البخس والظلم ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ أي: السفيه الجاهل وإنما قالوا هذا على طريق الاستهزاء وجميع الآية إخبار عن استهزائهم بنبيهم حيث أنكروا عليه أمرهم بالمعروف ﴿قال يا قوم﴾ تقدم تفسير هذه السورة وقوله: ﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ يعني حلالاً كان شعيب كثير المال. قال الزجاج[5]: «جواب أن محذوف، والمعنى إن كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال أتبع الضلال فأبخس وأطفف» يريد أن الله قد أغناه بالمال الحلال ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ قال «ابن عباس»[6]: «وما أريد أن أفعل ما أنهاكم عنه» وقال قتادة [7]: لم أكن أنهاكم عن أمر أرتكبه وقال الزجاج[8]: لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه ﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾ ما أريد إلا الإصلاح فيما بيني وبينكم بأن تعبدوا الله وحده وتفعلوا كما يفعل من يخاف الله، وقوله: ﴿ما استطعت﴾ أي: بقدر طاقتي، وطاقته البلاغ والإنذار ثم أعلم أنه لا يقدر أحد على الطاعة إلا بتوفيق الله فقال: ﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع في المعاد قوله ﴿ويا قوم لا يجرمنكم﴾ لا يكسبنكم ﴿شقاقي﴾ خلافي ومعاداتي ﴿أن

---

(١) والإيفاء عبارة عن الإتيان به على سبيل الكمال والتمام ولا يحصل ذلك إلا إذا أعطى قدراً زائداً على الحق ولهذا المعنى قال الفقهاء: أنه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل إلا عند غسل جزء من أجزاء الرأس. فالحاصل: أنه تعالى في الآية الأولى نهى عن النقصان وفي الآية الثانية أمر باعطاء قدر من الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب إلا عند أداء ذلك القدر من الزيادة فكأنه تعالى نهى أولا عن سعي الإنسان في أن يجعل مال غيره ناقصاً لتحصل له تلك الزيادة وفي الثانية أمر بالسعي في تنقيص مال نفسه ليخرج باليقين عن العهدة. انظر الرازي (١٨/٣٤).

(٢) في الآية النهي عن البخس على العموم والأشياء أعم من يكال ويوزن فيدخل البخس بتطفيف الكيل والوزن في هذا دخولاً أولياً.

(٣) البحر المحيط ٢/٢٥٢ الرازي ١٨/٣٥ البغوي ٢/٣٩٨.

(٤) الرازي ١٨/٣٦ زاد المسير ٤/١٤٩ فتح القدير ٢/٥١٩.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٣.

(٦) انظر البحر المحيط ٢/٢٥٤.

(٧) البغوي ٢/٣٩٨ زاد المسير ٤/١٥١ ابن كثير ٤/٢٧٤ البحر المحيط ٥/٢٥٤.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٣.

يصيبكم﴾ عذاب العاجلة **﴿مثل ما أصاب﴾** من قبلكم والمعنى: لا تخالفوني فتستحقوا العذاب والهلاك كما استحق غيركم من الأمم بمخالفتهم أنبياءهم وقوله: **﴿وما قوم لوطٍ منكم ببعيدٍ﴾** قال قتادة[١]: «أي: في الزمان الذي بينكم وبينهم» قال الزجاج[٢]: «وكان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها فكأنه قال لهم: العظة في قوم لوط قريبة منكم» **﴿واستغفروا ربكم﴾** أطلبوا منه المغفرة وتوسلوا إليه بالتوبة، وهو قوله: **﴿ثم توبوا إليه إن ربي رحيم﴾** بمن تاب إليه **﴿ودود﴾** قال ابن الأنباري[٣]: «الودود في أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم: وددت أود، ودا، وودوداً ووداده» وقال الأزهري[٤] حاكياً عن بعض أهل اللغة: أن الودود يجوز أن يكون بمعنى المودود ومعناه: أن عبادة المؤمنين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وإحسانه إليهم قوله **﴿قالوا يا شعيب ما نفقه﴾** ما نفهم **﴿كثيراً مما تقول﴾** قال ابن الأنباري[٥]:

معناه: ما نفقه صحة كثير مما تقول؛ يعنون من التوحيد والبعث وما يأمرهم به من الزكاة وترك البخس، **﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾** قال سعيد بن جبير وقتادة[٦]: أعمى وهو قول ابن عباس[٧]. قال الزجاج[٨]: «لغة حمير تسمي الضرير ضعيفاً، لأنه ضعف بذهاب بصره» قوله: **﴿ولولا رهطك﴾** عشيرتك وقومك **﴿لرجمناك﴾**قتلناك، قال الزجاج[٩]: «والرجم من شر القتلات وكان رهط شعيب من أهل ملتهم فلذلك أظهروا إليهم»**﴿وما أنت علينا بعزيزٍ﴾**أي: لست بممتنع علينا من أن نقتلك لولا ما نراعي من حق عشيرتك **﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله﴾**يقول: أنتم تزعمون أنكم تتركون قتلي إكراماً لرهطي والله عز وجل أولى بأن يتبع أمره كأنه يقول: حفظكم إياي في الله أولى منه في رهطي قوله: **﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾**الظهريّ الشيء الذي تنساه وتغفل عنه «قال ابن عباس» يريد ألقيتموه خلف ظهوركم وامتنعتم من قتلي مخافة قومي والله أعز وأكبر من جميع خلقه[١٠]، وقال الفراء[١١]: «يعني تعظمون أمر رهطي وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه» **﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾**عالم بأعمالكم وهو يجازيكم بها وما بعد هذا تقدم تفسيره إلى قوله **﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾**قال ابن عباس[١٢]: «ارتقبوا العذاب إني مرتقب من الله الرحمة والثواب» قوله: **﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾**صاح بهم جبريل صيحة فماتوا في أمكنتهم. **﴿ألا بعداً لمدين﴾** أي: بعدوا من رحمة الله **﴿كما بعدت ثمود﴾**قال ابن الأنباري[١٣]: «العرب تقول: بعد الطريق يبعد وبعد الميت يبعد إذا هلك والمصدر فيها البعد».

---

(١) الرازي ١٨/ ٣٩ البغوي ٢/ ٣٩٩ فتح القدير ٢/ ٥٢٠.
(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٤.
(٣) زاد المسير ٤/ ١٥٢ البغوي ٢/ ٣٩٩ الرازي ١٨/ ٣٩ فتح القدير ٢/ ٥٢٠.
(٤) تهذيب اللغة ١٤/ ٢٣٥ الرازي ١٨/ ٣٩.
(٥) انظر زاد المسير ٤/ ١٥٢ الرازي ١٨/ ٤٠.
(٦) البحر المحيط ٥/ ٢٥٦ الرازي ١٨/ ٤٠ البغوي ٢/ ٣٩٩.
(٧) البحر المحيط ٥/ ٢٥٦ الرازي ١٨/ ٤١ البغوي ٢/ ٣٩٩.
(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٤.
(٩) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٧٤.
(١٠) البحر المحيط ٢/ ٢٥٦ البغوي ٢/ ٣٩٩.
(١١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦.
(١٢) الرازي ١٨/ ٤٢ زاد المسير ٤/ ١٥٤.
(١٣) زاد المسير ٤/ ١٥٤ البغوي ٢/ ٤٠٠ البحر الميحط ٥/ ٢٥٨.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾

قوله: ﴿**ولقد أرسلنا موسى بآياتنا**﴾قال الزجاج(١): «أي: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته»، ﴿**وسلطان مبين**﴾حجة بينة(٢) يتسلط بها على من خالفه، قال ابن عباس(٣): «يعني عصاه» ﴿**إلى فرعون وملاه فاتبعوا أمر فرعون**﴾ما أمرهم به من عبادته واتخاذه إلهاً ﴿**وما أمر فرعون برشيد**﴾بمرشد إلى خير ﴿**يقدم قومه يوم القيامة**﴾يقال: قدمه قدماً إذا تقدمه والمعنى: أنه يقدمهم إلى النار يدل على هذا قوله: ﴿**فأوردهم النار**﴾قال قتادة(٤): «يمضي بين أيديهم حتى يهجم على النار أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي الصوفي أنا الحسن بن علي بن أحمد ابن سليمان(٥) نا الفضل بن الخصيب(٦) نا سلمة بن شهيب نا أبو جعفر النفيلي نا أبو الدهماء البصري(٧) عن ثابت البناني عن عمر بن عبد العزيز عن أبي بردة(٨) عن أبي موسى الأشعري قال:

قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم رفع لكل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدونها فيوردونهم النار ويبقى الموحدون فيقال لهم: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر رباً كنا نعبده بالغيب فيقال لهم: أو تعرفونه؟ فيقولون: إن شاء عرّفنا نفسه فيتجلى لهم الرب فيخرون له سجداً، فيقال لهم: يا أهل التوحيد ارفعوا رؤوسكم فقد أوجب الله لكم الجنة، وجعل مكان كل رجل منكم يهودياً أو نصرانياً»(٩).

وقوله. ﴿**وبئس الورد المورود**﴾الموضع أو الشيء الذي يرده قال المفسرون(١٠): «الورد المورود، المدخل المدخول» قال ابن الأنباري(١١): «وتلخيص المعنى: بئس الشيء الذي يدخل النار». ﴿**وأتبعوا في هذه**﴾يعني في

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٦ الرازي ١٨/٤٣.

(٢) البغوي ٢/٤٠٠ البحر المحيط ٥/٢٥٨ الرازي ١٨/٤٣ فتح القدير ٢/٥٢٣.

(٣) البحر المحيط ٥/٢٥٨ فتح القدير ٢/٥٢٣.

(٤) الطبري ١٥/٤٦٦ والشوكاني في فتح القدير ٢/٥٢٦. ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٤٨ وعزاه لعبد الرزاق ولابن جرير وأبي الشيخ.

(٥) الشيخ العالم الثقة مسند أصبهان أبو علي الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان البغدادي الشطرنجي التاجر نزيل أصبهان. حدث جدهم سليمان عن هشام بن عبيد الله الرازي وحدث أبوهما الأقرب علي بن أحمد عن أبي حاتم الرازي. توفي في رجب سنة تسع وتسعين وثلاث مئة وعاش أربعاً وتسعين سنة رحمه الله. انظر السير (١٧/١١٢) تاريخ اصفهان (١/٢٧٤) تذكرة الحفاظ (٣/١٠٢٩).

(٦) الفضل بن الخصيب بن العباس بن نصر المحدث الصدوق الرحال أبو العباس الأصبهاني الزعفراني. وهو من مشاهير الأصبهانيين. قال أبو نعيم: توفي في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مئة.

(٧) قرفة بن بُهَيْس العدوي أبو الدهماء بصري ثقة. انظر السير ١٤/٥٥١، ٥٥٢ اخبار اصفهان (٢/١٥٤). انظر التقريب (٢/١٢٥). والتهذيب (٨/٣٦٩).

(٨) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قيل اسمه عامر وقيل الحارث ثقة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك وقدجاوز الثمانين. التقريب (٢/٣٩٤).

(٩) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/٣٦٣ وأخرجه في تاريخ أصفهان ١/٢٥١.

(١٠) انظر تفسير الرازي ١٨/٤٤.

(١١) الدر المنثور ٣/٣٤٨ فتح القدير ٢/٥٢٦ الرازي ١٨/٤٤.

الدنيا ﴿لعنة﴾ ألحقوا في الدنيا لعنة وهي الغرق ﴿ويوم القيامة﴾يعني ولعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة ﴿بئس الرفد المرفود﴾ قال قتادة(١): «ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الآخرة» وقال مجاهد (٢) «رفدوا يوم القيامة بلعنة أخرى زيدوها فتانك لعنتان» وسأل نافع بن الأزرق (٣) ابن عباس (٤) عن قوله: ﴿بئس الرفد المرفود﴾قال: «هو اللعنة بعد اللعنة» قال الزجاج (٥): «وكل شيء جعلته عوناً لشيء فقد رفدته» قال الضحاك (٦): «اللعنتان اللتان أصابتهم رفدت إحداهما الأخرى» قوله:

ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾

﴿ذلك﴾يعني ما تقدم من الخبر ﴿من أنباء القرى﴾من أخبار القرى المهلكة ﴿نقصه عليك﴾نخبرك بها ﴿منها قائم﴾بقيت حيطانه ﴿وحصيد﴾أي ومنها حصيد مخسوف به قد انمحى أثره وقال ابن عباس(٧): «قائم ينظرون إليه وإلى ما بقي من أثره وحصيد قد خرب ولم يبق له أثر، شبهه بالزرع إذا حصد» ﴿وما ظلمناهم﴾بالعذاب والإهلاك ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾بالكفر والمعصية ﴿فما أغنت عنهم ءالهتهم﴾ أي ما نفعتهم وما دفعت عنهم شيئاً ﴿لما جاء أمر ربك﴾بالهلاك والعذاب ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾غير خسار وهلاك قال ابن الأنباري(٨): «إنهم ادعوا أن عبادتها تنفعهم عند الله فلما جرى الأمر بخلاف ما قدروا وصفها الله تعالى بأنها زادتهم بلاء وهلاكاً» قوله ﴿وكذلك﴾أي وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب ﴿أخذ ربك إذا أخذ القرى﴾ومعنى أخذ القرى أخذ أهلها، وهو أن ينقلهم إلى العقوبة والهلاك وقوله ﴿وهي ظالمة﴾من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكانها ونحو هذا قوله ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾(٩).

أخبرنا: الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر أنا أبو الحسن محمد بن الحسن السراج (١٠) نا محمد بن عبد الله

---

(١) البغوي ٢/٤٠٠ الرازي ١٨/٤٥ فتح القدير ٢/٥٢٦ البحر المحيط ٥/٢٥٩.

(٢) نافع بن الأزرق الحروري من رؤوس الخوارج. ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء. الميزان (١٤/٢٤١).

(٣) الطبري ١٥/٤٦٨ ابن كثير ٤/٢٧٨ البحر المحيط ٥/٢٥٩. ذكره السيوطي في الدر ٢/٣٤٨ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) الطبري ١٥/٤٦٨، الرازي ١٨/٤٥، ابن كثير ٤/٢٧٨. ذكره السيوطي في الدر ٢/٣٤٨، وعزاه لابن الأنباري في الوقف والابتداء والطبري عن ابن عباس أن نافع الأزرق. . . .

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٧.

(٦) الطبري ١٥/٤٦٨ ـ ٤٦٩، ابن كثير ٤/٢٧٨.

(٧) البغوي ٢/٤٠٠، أبو حيان في البحر ٥٤/٢٦٠، الرازي ١٨/٤٦، فتح القدير ٢/٥٢٦.

(٨) الرازي ١٨/٤٦.

(٩) سورة الأنبياء ١١.

(١٠) أبو الحسن محمد بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري السراج المقرىء الرجل الصالح، رحل وكتب عن مطين وأبي شعيب الحراني وطبقتهما، قال الحاكم قل من رأيت أكثر اجتهاداً وعبادة منه، وكان يقرىء القرآن توفي يوم عاشوراء. انظر الشذرات (٣/٥٧).

الحضرمي نا محمد بن عبد الله بن نمير نا أبو معاوية نا يزيد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال: «قال رسول الله ﷺ» إن الله تبارك وتعالى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ ﴿**وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**﴾رواه مسلم[١] عن ابن نمير ورواه البخاري[٢] عن صدقه بن الفضل كلاهما عن أبي معاوية.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

قوله ﴿**إن في ذلك**﴾يعني ما ذكر من عذاب الأمم وأخذهم ﴿**لآية**﴾لعبرة وموعظة ﴿**لمن خاف عذاب الآخرة**﴾ذلك يوم القيامة وقد سبق ذكره ﴿**ذلك يوم مجموع له الناس**﴾لأن الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم ﴿**وذلك يوم مشهود**﴾شهده البر والفاجر وأهل السماء وأهل الارض، ﴿**وما نؤخره**﴾أي ذلك اليوم ﴿**إلا لأجل معدودٍ**﴾لوقت معلوم لا يعلمه غير الله ﴿**يوم يأت**﴾وقرىء بحذف الياء[٣] التي هي لام الفعل قال الفراء[٤]: «كل ياء ساكنة ما قبلها مكسور فإن العرب تجيز حذفها وتكتفي بالكسرة من الياء» وقد حكى سيبويه والخليل أن العرب تقول لا أدر فتحذف الياء وتكتفي بالكسرة[٥]، وقوله ﴿**لا تكلم نفس إلا بإذنه**﴾وذلك أن الخلق في ذلك اليوم كلهم ساكتون إلا من أذن الله له في الكلام كقوله ﴿**فلا تسمع إلا همساً**﴾ وقوله ﴿**فمنهم**﴾أي من الأنفس أي في ذلك اليوم ﴿**شقي**﴾ قال ابن عباس[٦]: «كتبت عليه الشقاوة» ﴿**وسعيد**﴾كتبت عليه السعادة.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن محمود أنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي نا محمد بن يونس الكديني نا أبو عامر العقدي نا عروة بن ثابت عن الزهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[٧] قال: أغمي على عبد الرحمن بن عوف ثم أفاق فقال: إنه أتاني ملكان فظان غليظان فقالا: انطلق بنا نحاكمك إلى العزيز الأمين فقال: خليا عنه فإنه ممن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٤/١٩٩٧ في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ٦١/٢٥٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٨/٢٠٥ في كتاب التفسير سورة هود باب «٥» حديث ٤٦٨٦، وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٦٩ في كتاب التفسير سورة هود ٣١١٠، وقال حسن صحيح غريب والبغوي في شرح السنة ١٤/٣٥٨.

(٣) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢/٢٩٢، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٥.

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٧.

(٥) وهي لغة هذيل الرازي ١٨/٤٨، البحر المحيط ٥/٢٦١ ـ ٢٦٢، فتح القدير ٢/٥٢٤.

(٦) البغوي ٢/٤٠١، فتح القدير ٢/٥٢٤.

(٧) إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الإمام الفقيه أبو إسحاق الزهري العوفي المدني، وقيل: كنيته أبو محمد أخو أبي سلمة الفقيه وحميد. حدث عن أبيه وعن عمر وعثمان وعلي وسعد وعمار بن ياسر وجبير بن مطعم وطائفة. وثقه النسائي وغيره وتوفي سنة ست وتسعين عن سن عالية. انظر السير (٤/٢٩٢).

(٨) ضعيف جداً في إسناده محمد بن يونس وضاع من المتروكين المجروحين ٢/٢١٣ لسان الميزان (٧/٣٠٨) ميزان الاعتدال ٤/٧٤ تاريخ بغداد (٣/٤٥٣).

قوله: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾قال الزجاج[١]: «هما من أصوات المحزونين» وحكي عن أهل اللغة جميعاً أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمار بالنهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوته[٢] ونحو هذا قال المفسرون[٣] قال الضحاك ومقاتل [٤] «الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا رده في جوفه» والمعنى ما رواه ابن عباس في رواية عطاء [٥] قال يريد ندامة ونفساً عالياً وبكاء لا ينقطع قوله ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾قال الضحاك [٦]: ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو أرض» والأكثرون على أن المراد بهذا التأبيد كأنه قال خالدين فيها أبداً قال ابن قتيبة وابن الأنباري: للعرب في معنى الأبد ألفاظ تقول: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماوات والأرض وما اختلفت الجرة[٧] والدرة[٨] وما أطت[٩] الإبل، وفي أشباه كثيرة لهذا ظناً منهم أن هذه الاشياء لا تتغير فخاطبهم الله بما يستعملون في كلامهم[١٠] «قوله ﴿إلا ما شاء ربك﴾ قال الفراء»[١١]: هذا استثناء استثناه الله كقولك: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك على ضربي كذلك قال:﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ولا يشاؤه وقال ابن الأنباري[١٢]: «وقع الاستثناء على معنى لو شاء ألا يخلدهم لقدر» وقال الزجاج وابن كيسان وابن قتيبة[١٣] «الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب كأنه قال: خالدين فيها إلا هذه المدة ثم يصيرون إلى النار أبداً» وقوله:﴿إن ربك فعال لما يريد﴾قال ابن عباس [١٤]: «يعني من إخراج أهل التوحيد من النار» ﴿وأما الذين سعدوا﴾وقرأ أهل الكوفة سعدوا[١٥] بضم السين قال الفراء كلام العرب سعدوا يقال: سعد الرجل وأسعده الله، إلا هذيلة فإنهم يقولون: سعد الرجل بالضم وبذلك قرأ أصحاب عبد الله[١٦]«وقال الكسائي»[١٧]: سعد وأسعد لغتان قوله ﴿عطاء﴾نصب بما دل عليه الكلام كأنه قال: أعطاهم النعيم عطاءً ﴿غير مجذوذ﴾غير مقطوع والجز القطع.

فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ

---

(١) انظر معاني القرآن ٣/٧٩ البحر المحيط ٥/٢٦٢.
(٢) انظر معاني الزجاج ٣/٧٩ البحر المحيط ٥/٢٦٢.
(٣) البغوي ٢/٤٠٢ البحر المحيط ٥/٢٦٢.
(٤) البغوي ٢/٤٠٢ البحر المحيط ٥/٢٦٢.
(٥) الرازي ١٨/٥١.
(٦) البغوي ٢/٤٠٢، البحر المحيط ٥/٢٦٣، الطبري ١٥/٤٨١.
(٧) ما يخرجه كل ذي كرش قال ابن سيده: والجرة ما يفيض به البعير من كرشه فيأكله ثانية، وقد اجترت الناقة والشاة وأجرت. انظر لسان العرب ١/٥٩٤.
(٨) والدرة بالكسر كثرة اللبن وسيلانه اللسان ٢/١٣٥٦.
(٩) أطت أنّت تعباً أو حنيا لسان العرب ١/٩٢.
(١٠) الطبري ١٥/٤٨١، البغوي ٢/٤٠٢، زاد المسير ٤/١٦٠ ـ ١٦١، ابن كثير ٤/٢٨١، الرازي ١٨/٥١، البحر الميحط ٥/٢٦٣، فتح القدير ٢/٥٢٥.
(١١) معاني القرآن للفراء ٢/٢٨، زاد المسير ٤/١٦٠ ـ ١٦١ ـ، البغوي ٢/٤٠٢ البحر المحيط ٥/٢٦٣، الرازي ١٨/٥٢، فتح القدير ٢/٥٢٥.
(١٢) انظر المصادر السابقة.
(١٣) انظر المصادر السابقة.
(١٤) انظر تفسير الرازي ١٨/٥٤.
(١٥) النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٥، الرازي ١٨/٥٤، البحر المحيط ٥/٢٦٤، فتح القدير ٢/٥٢٥.
(١٦) ابن مسعود رضي الله عنه انظر المصادر السابقة.
(١٧) تهذيب اللغة ٢/٧٠، الرازي ١٨/٥٤، البحر المحيط ٥/٢٦٤.

مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾

﴿فلا تك﴾ يا محمد **﴿في مرية﴾** في شك **﴿مما يعبد﴾** أي من حال ما يعبد هؤلاء في أنها لا تضر ولا تنفع **﴿ما يعبدون إلا كما يعبد ءاباؤهم﴾** إلا كعبادة آبائهم **﴿من قبل﴾** يريد أنهم على طريق التقليد يعبدون الأوثان كعبادة آبائهم **﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾** من العذاب **﴿غير منقوص﴾** لا ينقصهم من عذاب آبائهم قال ابن عباس [(١)]: يريد ما وعدوا من خير وشر «وقال أبو العالية [(٢)]: يعني من الرزق» ثم عزى نبيه فقال **﴿ولقد ءاتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾** أي: إن كذبوا بالكتاب الذي آتيناك فقد كذب من قبلهم بالكتاب الذي آتينا موسى **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾** قال ابن عباس [(٣)]: «يريد إني أي أخرت أمتك إلى يوم القيامة ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك» **﴿وإنهم لفي شك منه﴾** أي من القرآن **﴿مريب﴾** موقع للريبة قوله **﴿وإن كلًّا لما ليوفينهم﴾** قرأ أبو عمر والكسائي [(٤)] (إن) وشددت النون (لما): خفيفة واللام في لما: لام التأكيد دخلت في خبر إن واللام في **﴿ليوفينهم﴾** اللام التي يتلقي بها القسم كما تقول والله لأفعلن والتقدير والله ليوفينهم دخلت ما للفصل بين اللامين وقرأ ابن كثير: «وإنْ بالتخفيف وكذلك لما» قال سيبويه [(٥)]: حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول إنْ عمراً لمنطلق: فيخففون إن ويعملونها وأنشد:

وَوَجْهٍ حَسَنُ النَّحْرِ كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حِقَّانِ [(٦)]

ومن قرأ لما مشددة كانت بمعنى إلا كما تقول سألتك لما فعلت وإلا فعلت، ومثله: **﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾** [(٧)] معناه: إلا، معنى: **﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾** أي: جزاء أعمالهم أخبر الله تعالى أنه يوفي العباد جزاء أعمالهم **﴿إنه بما يعملون خبير﴾** قال ابن عباس «خبير بطاعة أوليائه، وبمعصية أعدائه» قوله:

فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ

---

(١) ابو حيان في البحر ٥/٢٦٥، الطبري ١٥/٤٩٢ (١٨٥٩٥)، ابن كثير ٤/٢٨٢، ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٣٢، وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وانظر الدر المنثور ٣/٣٥١.

(٢) الرازي ١٨/٥٥ أبو حيان في البحر ٥/٢٦٥، انظر الدر المنثور ٣/٣٥١. ذكر الشوكاني ٢/٥٣٢، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/٤٩٣.

(٤) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢/٢٩٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٦ البغوي ٢/٤٠٣ البحر المحيط ٥/٢٦٦.

(٥) انظر الكتاب ٢/١٤٠، وانظر البحر المحيط ٥/٢٦٦ - ٢٦٧، فتح القدير ٢/٥٢٩، الرازي ١٨/٥٦.

(٦) والبيت من شواهد الكتاب لم يعلم قائله انظر الكتاب ٢/١٣٥، ١٤٠ أمالي ابن الشجري ١/٢٣٧، ٢/٣، ٢٤٣، والمنصف ٣/١٢٨ وابن يعيش في المفصل ٨/٧٢، والخزانة ٤/٣٥٨، والعيني ٢/٧٠٥ والهمع ١/١٤٣الأشموني ١/٢٩٣، الدرر اللوامع ١/١٢٠، التصريح على التوضيح ١/٢٣٤. أي ولها وجه. والنحر: الصدر أو أعلاه موضع القلادة منه. ويروى: (ونحر مشرق اللون)، و(صدر مشرق النحر). والمشرق: المضيء المنير. والحق بالضم: وعاء ذو غطاء ينحت من الخشب والعاج مما يصلح أن ينحت. شبههما بالحقين في نهودهما واكتنازهما. ثدييه أي ثدي صاحبه الوجه والنحر. وشاهده تخفيف (كان) مع حذف اسمها والتقدير: كأنه ثدياه حقان.

(٧) سورة الطارق ٤.

وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾

﴿**فاستقم كما أمرت**﴾قال قتادة[١] أمر الله نبيه أن يستقيم على أمره والمعنى استقم على العمل بأمر ربك والدعاء إليه كما أمرت في القرآن ﴿**ومن تاب معك**﴾قال ابن عباس[٢]: «يريد الصحابة الذين تابوا من الشرك» والمعنى: فليستقيموا هم أيضاً.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي الكوفي أنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يحيى الحافظ أنا عبد الله بن محمد الرازي نا محمد بن فارس أبو عبد الله البلخي[٣] نا حاتم الأصم[٤] عن إبراهيم بن أدهم[٥] عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحتايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة»[٦] وهذا حديث شريف[٧] قد اجتمع في إسناده زهاد هذه الأمة حدث به الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي «عن» شيخ له «عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق».

وقوله: ﴿**ولا تطغوا**﴾معناه: ولا تجاوزوا بأمري ﴿**إنه بما تعملون بصير**﴾لا يخفى عليه من أعمالكم شيء قوله تعالى: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا**﴾الركون السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة قال ابن عباس[٨]: «لا تميلوا يريد في المحبة ولبس الكلام والمودة» قال السدي وابن زيد[٩]: «لا تداهنوا الظلمة»،وقال عكرمة[١٠]: «هو أن تطيعهم أو تودهم» وقال أبو العالية[١١]: لا ترضوا بأعمالهم فتمسكم النار فيصيبكم لفحها﴿**وما لكم من دون الله من أولياء**﴾ قال

(١) ذكره السيوطي في الدر ٣/٣٥١، وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
(٢) البغوي ٢/٤٠٤، فتح القدير ٢/٥٣٢.
(٣) محمد بن فارس البلخي عن حاتم الأصم. لا يعرف وقد أتى بخبر باطل مسلسل بالزهاد. انظر الميزان (٤/٣).
(٤) الزاهد القدوة الرباني أبو عبد الرحمن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة الأصم له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم كان يقال له: لقمان هذه الأمة. روى عن شقيق البلخي، وصحبه، وسعيد بن عبد الله الماهياني، وشداد بن حكيم، ورجاء بن محمد وغيرهم. انظر السير ١١/٤٨٤ ـ ٤٨٥.
(٥) إبراهيم بن أدهم روى عن مقاتل بن حيان، والأعمش ومحمد بن عجلان روى عنه ضمرة وبقية يعد في الخراسانيين. انظر الجرح والتعديل (٢/٨٧).
(٦) حديث باطل أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة ٢/٣١١، وقال رواه ابن منده عن محمد بن فارس البلخي، قال الذهبي في الميزان باطل (٤/٣).
(٧) العزيز وهو ما انفرد عن رواية اثنان أو ثلاثة، ولو رواه بعد ذلك عن هذين الاثنين أو الثلاثة مائة، فقد يكون الحديث عزيزاً مشهوراً، وينفرد عن الغريب بكونه لا يرويه أقل من اثنين عن اثنين بخلاف الغريب. سمي عزيزاً لقلة وجوده أو لكونه قوي بمجيئه من طريق أخرى انظر التقييد والإيضاح ٢٢٩.
(٨) البغوي ٢/٤٠٤، البحر المحيط ٥/٢٦٩، الدر المنثور ٥/٣٥١، ابن كثير ٤/٢٨٤، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٣٢، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.
(٩) الطبري ١٥/٥٠١ (١٨٦٠٨)، البغوي ٢/٤٠٤، البحر المحيط ٥/٢٦٩ الدر المنثور ٥/٣٥١، ذكره الشوكاني في الفتح عن ابن عباس ٢/٥٣٢، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.
(١٠) البغوي ٢/٤٠٤، البحر المحيط ٥/٢٦٩، الدر المنثور ٣/٣٥١. ذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٣٢، وعزاه لأبي الشيخ.
(١١) البغوي ٢/٤٠٤، البحر المحيط ٥/٢٦٩، الدر المنثور ٣/٣٥١ وعزاه لأبي الشيخ، وابن كثير ٢/٢٨٤.

ابن عباس: «من مانع يمنعكم من عذاب الله» ﴿ثم لا تنصرون﴾ تمنعون من عذابه، قوله: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾.

أخبرنا الأستاذ أبو طاهر الزيادي والقاضي أبو بكر الحيري قالا: أخبرنا حاجب بن أحمد أنا عبد الرحمن بن منيب أنا الفضل بن موسى السيناني نا سفيان الثوري عن سماك بن حرب عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد[١] عن ابن مسعود أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فأنزل الله ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ إلى آخر الآية[٢] وهذا قول جماعة المفسرين[٣].

أخبرنا أبو منصور المنصوري أنا علي بن عمر الحافظ أنا الحسين بن إسماعيل المحاملي نا يوسف بن موسى عن جرير عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل أنه كان قاعداً عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له فلا يدع شيئاً يصيب الرجل من امرأته إلا قد أصابه منها إلا أنه لم يجامعها، فقال: توضأ وضوءاً حسناً ثم قم فصلِّ فأنزل الله هذه الآية ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ إلى آخرها فقال معاذ بن جبل: أهي له خاصة، أم للمسلمين عامة؟ فقال: هي للمسلمين عامة[٤] قال ابن عباس[٥] في قوله: ﴿طرفي النهار﴾ يريد الصبح والظهر والعصر وهو قول مجاهد ومحمد بن كعب، قال: الزجاج[٦] وصلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر، وقوله: ﴿وزلفاً من الليل﴾ أول ساعات الليل واحدها زلفة قال ابن عباس[٧]: «يريد المغرب والعشاء قرب أول الليل» وهذا قول عامة المفسرين[٨] والمراد بهذا إقامة الصلوات الخمس في أوقاتها وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ قال ابن عباس وعامة المفسرين[٩]: «يريد أن الصلوات الخمس يكفرن ما بينها من الذنوب».

أخبرنا أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الفارسي أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه أنا إبراهيم بن محمد أنا مسلم نا زهير بن حرب نا عمر بن يونس نا عكرمة بن عمار نا شداد[١٠] نا أبو أمامة قال: بينما رسول الله ﷺ في المسجد،

---

(١) عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعي أبو بكر الكوفي. عن عمه علقمة، وسلمان وابن مسعود. وعنه ابنه محمد والشعبي، وسلمة بن كهيل. وثقه ابن معين. قال عمرو بن علي: مات في الجماجم سنة ثلاث وثلاثين. انظر الخلاصة (١٥٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري ١٢/١، في كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة ٥٢٦، ٤٦٨٧.

وأخرجه مسلم ٢١١٥/٤٥ في كتاب التوبة باب قوله (إن الحسنات يذهبن السيئات) ٢٧٦٣/٣٩، انظر الفتح ١٢/٢. قال الحافظ ابن حجر هو أبو اليسر بفتح التحتانية والمهملة الأنصاري، رواه الترمذي، وقيل غيره وقال أيضاً لم أقف على اسم المرأة المذكورة، ولكن جاء في بعض الأحاديث أنها من الأنصار.

(٣) انظر تفسير البغوي ٤٠٥/٢، البحر المحيط ٢٦٩/٥ ـ ٢٧٠، الرازي ٥٩/١٨، فتح القدير ٥٣٢/٢.

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٥٢٠/١٥، وأحمد في المسند ٥١٠/١٥، والبغوي في التفسير ٤٠٥/٢، وأخرجه الدارقطني في السنن ١٣٤/١ في كتاب الطهارة باب صفة ما ينقض الوضوء وما روي في الملامسة والقبلة وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير وقال رواه ابن جرير من طرق ٢٨٨/٤. الطبري ٥١٣/١٥ (١٨٦١٥).

(٥) البغوي ٤٠٥/٢، البحر المحيط ٢٧٠/٥، ابن كثير ٢٨٤/٤، فتح القدير ٥٣٢/٢، الدر المنثور ٣٥١/٢.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٨٢/٣.

(٧) الطبري ٥٠٨/١٥، ابن كثير ٢٨٤/٤، البغوي ٤٠٤/٢، البحر المحيط ٢٧٠/٥، وذكره الشوكاني في الفتح ٥٣٢/٢، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن وانظر الدر المنثور ٣٥١/٣.

(٨) ابن كثير ٢٨٤/٤، البحر المحيط ٢٧٠/٥، فتح القدير ٥٣٣/٢، الرازي ٥٩/١٨، البغوي ٤٠٥/٢.

(٩) ابن كثير ٢٨٤/٤، البحر المحيط ٢٧٠/٥، فتح القدير ٥٣٣/٢، الرازي ٥٩/١٨.

(١٠) شداد بن معقل الكوفي صدوق له ذكر في البخاري. انظر التقريب ٣٤٨/١. التهذيب ٣١٨/٤.

ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ فقال: هل شهدت الصلاة معنا؟ قال: نعم يا رسول الله قال: فإن الله قد غفر لك حدك أو قال: ذنبك(١).

أخبرنا عبد الرحمن بن حمدان العدل أنا أحمد بن جعفر القطيعي نا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي نا أبو عبد الرحمن المقري نا حيوة نا أبو عقيل المقري أنه سمع الحارث مولي عثمان بن عفان(٢) يقول:

جلس عثمان يوماً وجلسنا معه فجاء المؤذن فدعا بماء في إناء أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا ثم قال: «من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح، [ثم صلى صلاة العصر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح](٣) غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات»(٤).

أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن نعيم الإشكيبي أنا الحسن بن أحمد العدل أنا محمد بن إسحاق أنا قتيبة نا الليث وبكر بن مضر(٥) عن ابن الهادي (٦) عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»(٧).

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم النجار نا سليمان بن أيوب اللخمي نا محمد بن عاصم الأصبهاني نا علي بن حرب الموصلي نا عبد الرحمن بن يحيى المدني نا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ننتظر الصلاة فقام رجل فقال: إني أصبت ذنباً فأعرض عنه، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول، فقال النبي ﷺ أليس قد أصبت معنا هذه الصلاة وأحسنت لها الطهور؟ قال: بلى، قال: فإنها كفارة ذنبك(٨).

أخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني انا عبيد الله بن محمد الزاهد انا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز نا كامل بن طلحة نا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ منها غصناً

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢١١٧ في كتاب التوبة باب قوله إن الحسنات يذهبن السيئات ٤٥/٢٧٦٥، وأبو داود في السنن ٤/١٣٥، في كتاب الحدود، باب في الرجل يعترف.

(٢) ذكره ابن حبان في الثقات (٤/١٣٦).

(٣) سقط في أ.

(٤) أخرجه الطبري في التفسير ١٥/٥١١، وذكره الهيثمي في المجمع ١/٣٠٢ وقال رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(٥) بكر بن مضر بن محمد بن حكيم المصري أبو محمد أو أبو عبد الله ثقة ثبت مات سنة ثلاث أو أربع وسبعين وله نيف وسبعون. انظر التقريب (١/١٠٧) التهذيب ١/٤٨٧.

(٦) يزيد بن عبد الله بن قسيط بن أسامة الليثي، أبو عبد الله المدني الأعرج ثقة مات سنة اثنتين وعشرين وله تسعون سنة. انظر التقريب ٢/٣٦٧، التهذيب ١١/٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٧) أخرجه البخاري ١/١٤ ـ ١٥ في كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة ٥٢٨. ومسلم ١/٤٦٢ في المساجد باب المشي إلى الصلاة، ٢٨٣، ٢٨٤/٦٦٧، وأخرجه الترمذي ٢٨٦٨، والنسائي ١/٢٣١، والدارمي ١/٢٦٧، وأحمد ٢/٣٧٩، والبيهقي ١/٣٦١، ٣/٦٢ ٨/٣٨٦، والبغوي في شرح السنة ٢/١٧٥. انظر فتح الباري ٢/١٥ ـ ١٦.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٣٥٤، وعزاه للطبراني في الأوسط والصغير.

يابساً فهزّه حتى تحات ورقه فقال: ألا تسألني يا أبا عثمان لم أفعل هذا؟ قلت: ولم تفعله؟ [قال: هكذا فعل رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال: «ألا تسألني يا سلمان لم أفعل هذا؟ فقلت: ولم تفعله][1]؟ قال: إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا الورق» ثم قرأ هذه الآية ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾إلى آخر الآية[2]. أخبرنا أبو حسان المزكي أنا أبو بكر محمد بن علي المؤدب[3] أنا أبو عبد الله محمد بن خالد نا محمد بن زنبور[4] نا فضيل بن عياض عن ليث بن أبي سليم[5] عن حبيب بن أبي ثابت[6] عن ميمون بن أبي شبيب[7] عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: «اتق الله حيثما كنت قال: قلت زدني قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها قال: قلت زدني قال: خالق الناس بخلق حسن»[8].

قوله: ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾ يعني القرآن عظة لمن ذكره قوله: ﴿واصبر﴾ أي: على الصلاة كما قال: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهم﴾ ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾قال ابن عباس[9]: «يعني المصلين» قوله:

---

(١) سقط في أ.

(٢) ذكره الهيثمي في المجمع ١/ ٣٢، وعزاه لأحمد والطبراني في الأوسط والكبير وقال وفي إسناد أحمد علي بن زيد، وهو مختلف في الاحتجاج به وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) بضم الميم، وفتح الواو، وكسر الدال المهملة المشددة في آخرها الباء المنقوطة بواحدة هذا اسم لمن يعلم الصبيان والناس الأدب واللغة. انظر الأنساب ٥/ ٤٠٣.

(٤) محمد بن زنبور أبو صالح المكي وهو محمد بن جعفر بن أبي الأزهر مولى بني هاشم وزنبور لقب. قال النسائي: ثقة، وقال في موضع آخر ليس به بأس، وقال الحاكم أبو أحمد ليس بالمتين عندهم تركه أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة وذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ. قال أبو القاسم مات سنة (٨)، وقيل سنة تسع وأربعين ومائتين. انظر التهذيب ٩/ ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٥) ليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي مولاهم أبو بكر، ويقال أبو بكر الكوفي واسم أبي سليم أيمن، ويقال أنس، ويقال زياد ويقال عيسى. روى عن طاوس ومجاهد وعطاء وعكرمة ونافع وأبي إسحاق السبيعي وأبي الزبير المكي وأبي بردة بن أبي موسى وأشعث بن أبي الشعثاء وشهر بن حوشب وخلق. وكان ابن عيينة يضعف ليث بن أبي سليم وقال الميموني عن ابن معين كان ليث ضعيف الحديث عن طاوس فإذا جمع إلى طاوس غيره فالزيادة هو ضعيف. وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان ليث لا يشتغل به هو مضطرب الحديث، قال أبو زرعة ليث بن أبي سليم لين الحديث لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث. وقال يعقوب بن شيبة: هو صدوق ضعيف الحديث. انظر التهذيب (٨/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ـ ٤٦٨).

(٦) حبيب بن أبي ثابت الكوفي الفقيه الحافظ عن ابن عباس، وابن عمر وأنس وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي وائل وسعيد بن جبير، وطائفة وعنه مسعر وشعبة وسفيان الثوري، وأبو بكر بن عياش وآخرون. وذكر علي بن المديني أنه سمع من عائشة، وأما البخاري فقال: لم يسمع من عروة. وقال غيره: كان هو وحماد بن أبي سليمان فقيهي أهل الكوفة. قال أبو يحيى القتات: قدمت مع حبيب بن أبي ثابت الطائف فكأنما قدم عليهم نبي. قال البخاري وجماعة: مات حبيب سنة تسع عشرة ومائة، وقيل: توفي سنة اثنتين وعشرين ومائة. انظر تذكرة الحفاظ (١/ ١١٦).

(٧) ميمون بن أبي شبيب الربعي أبو نصر الكوفي، ويقال الرقي روى عن معاذ بن جبل وعمر وعلي وأبي ذر والمقداد وابن مسعود وقيس ابن سعد، والمغيرة بن شعبة، وعائشة وسمرة بن جندب، وعنه إبراهيم النخعي وحبيب بن أبي ثابت، والحكم بن عتيبة، ومنصور بن زاذان والحسن بن الحر، وإسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفيراء قال علي بن المديني: خفي علينا أمره، وقال أبو حاتم صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (١٠/ ٣٨٩).

(٨) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٢٨، والترمذي ٤/ ٣١٣ في كتاب البر باب ما جاء في معاشرة الناس، والحاكم في المستدرك وصححه ١/ ٥٤، والحديث عن أبي ذر عند أحمد في المسند ٥/ ١٥٣، والدارمي ٢/ ٣٢٣ والترمذي ٤/ ٣١٢ (١٩٨٧).

(٩) البغوي ٢/ ٤٠٦، الرازي ١٨/ ٦٠، أبو حيان في البحر ٥/ ٢٧١.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾ قال ابن عباس[١]: «يريد ما كان» ومعنى لولا هاهنا نفي عند المفسرين قال الفراء[٢] لم يكن منهم أحد يعني من القرون المهلكة **﴿أولو بقية﴾** قال ابن عباس[٣]: «أولو دين» وقال ابن قتيبة[٤] «أي أولو بقية من دين «يقال» قوم لهم بقية وفيهم بقية، إذا كانت فيهم مسكة خير» وقوله: **﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾** عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية **﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾** يعني اتباع الأنبياء، وأهل الحق **﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾** المترف الذي أبطرته النعمة وسعة العيش قال الفراء[٥]: «اتبعوا في دنياهم ما عودوا من النعيم، وإيثار اللذات على أمر الآخرة وركنوا إلى الدنيا والأموال واللذات، وما أعطوا من نعيمها».

قوله تعالى: **﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم﴾** الآية يريد وما كان ربك ليهلك أهل القرى بشركهم وظلمهم لأنفسهم وهم **﴿مصلحون﴾** يتعاطون الحق فيما بينهم أي: ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة، وتركوا الظلم، أن ينزل الله بهم عذاباً يهلكهم وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال: «وما كان ربك ليهلك القرى يريد الرجال، بظلم[٦]: بشرك، وأهلها مصلحون: يريد فيما بينهم كقوم لوط عذبهم الله باللواط وقوم شعيب عذبوا ببخس المكيال» قوله: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾** قال ابن عباس[٧]: «يريد على دينك الذي بعثت به» وقال قتادة[٨] يجعل الناس أمة واحدة بأن يجعلهم مسلمين **﴿ولا يزالون مختلفين﴾** في الدين من بين يهودي ونصراني ومجوسي وغيرها من الملل **﴿إلا من رحم ربك﴾** يعني أهل الحق، **﴿ولذلك خلقهم﴾** قال الضحاك ومجاهد وقتادة[٩]: «وللرحمة خلقهم يعني: الذين رحمهم» وقال الحسن ومقاتل[١٠]: «للاختلاف خلقهم، يعني المختلفين» وقال ابن عباس في رواية عطاء[١١]: «يريد خلق أهل الرحمة للرحمة، وأهل الاختلاف للاختلاف» وهذا اختيار الفراء والزجاج[١٢] قال أبو عبيد[١٣]: «الذي أختاره في تفسيره هذه الآية قول من قال خلق فريقاً لرحمته وفريقاً لعذابه لأنه موافق للسنة» قال الزجاج[١٤]: ويدل على صحة هذا قوله: **﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾** قال الكلبي[١٥] «يريد من كفار الجن وكفار الإنس».

---

(١) انظر تفسير الرازي ١٨٧/٦٠، فتح القدير ٥٣٣/٢.
(٢) انظر معاني الفراء ٣٠/٢، البحر المحيط ٢٧٢/٥.
(٣) بنحوه في فتح القدير بلا نسبة ٥٣٣/٢.
(٤) البحر المحيط ٣٧١/٥.
(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٣١/٢، البغوي ٤٠٦/٢.
(٦) بنحوه عند البغوي ٤٠٦/٢.
(٧) البحر المحيط ٢٧٣/٥، البغوي ٤٠٦/٢، انظر الدر المنثور ٣٥٦/٣.
(٨) البحر المحيط ٢٧٣/٥، البغوي ٤٠٦/٢، وانظر الدر المنثور ٣٥٦/٣.
(٩) الرازي ٦٣/١٨، فتح القدير ٥٣٦/٢، البغوي ٤٠٦/٢، البحر المحيط ٢٧٣/٥، الدر المنثور ٣٥٦/٣.
(١٠) الرازي ٦٣/١٨، الدر المنثور ٣٥٦/٣، البغوي ٤٠٦/٢، البحر المحيط ٢٧٣/٥.
(١١) الرازي ٦٣/١٨، فتح القدير ٥٣٦/٢، البغوي ٤٠٦/٢، الدر المنثور ٣٥٦/٣.
(١٢) انظر معاني الفراء ٣١/٢، والزجاج ٨٤/٣، البغوي ٤٠٦/٢.
(١٣) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.
(١٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.
(١٥) بنحوه بلا نسبة عند الشوكاني في الفتح ٥٣٥/٢.

وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

قوله: **﴿وكلاً نقص عليك﴾**أي: كل الذي يحتاج إليه **﴿من أنباء الرسل﴾**من أخبارهم وأخبار أممهم نقص عليك **﴿ما نثبت به فؤادك﴾**قال ابن عباس[١]: «ليزيدك يقينا ويقوي قلبك» وذلك أن النبي ﷺ إذا سمعها كان تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه **﴿وجاءك في هذه الحق﴾**قال ابن عباس والحسن ومجاهد[٢]: «في هذه السورة يعني ما فيها من أقاصيص الأنبياء والمواعظ وذكر الجنة والنار» وخصت هذه السورة بمجيء الحق فيها، تشريفاً للسورة ورفعاً لمنزلتها. وقوله: **﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾**يريد أنهم يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم ويتذكرون الخير والشر قوله: **﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾**تهديد ووعيد يقول: اعملوا ما أنتم عاملون، فستعلمون عاقبة أمركم **﴿وانتظروا﴾**ما يعدكم الشيطان **﴿إنا منتظرون﴾**ما يعدنا ربنا من النصر والعلو **﴿ولله غيب السموات والأرض﴾**أي علم ما غاب عن العباد فيهما **﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾**في المعاد **﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾**أي: إنه يجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وقرىء بالتاء [٣] على معنى قل لهم ذلك [والله أعلم] [٤].

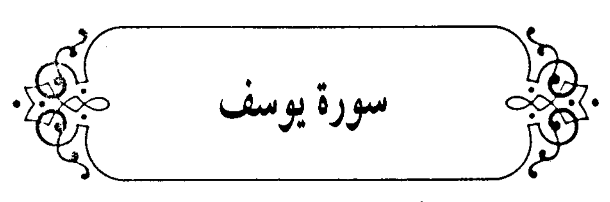
---

(١) البغوي ٢/٤٠٧، وانظر البحر المحيط ٥/٢٧٤.

(٢) الرازي ١٨/٦٤، الطبري ١٥/٥٤٠، ابن كثير ٤/٢٩٢، الدر المنثور ٣/٣٥٦ البغوي ٢/٤٠٧، وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٣٦، وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور، وابن جرير وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه من طرق عن ابن عباس.

(٣) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٦٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٧.

(٤) سقط في أ، ب.



سورة يوسف

مكيّة وآياتها إحدى عشرة ومائة

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحيري أنا أبو عمر وابن مطر محمد بن جعفر نا إبراهيم بن شريف نا أحمد بن يونس نا سلام بن سليم نا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه، هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة ألا يحسد مسلماً»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

﴿**الر**﴾ قال ابن عباس يريد: أنا الله الرحمن[2] ﴿**تلك**﴾ يعني هذه ﴿**ءايات الكتاب المبين**﴾ يعني القرآن لأنه يبين الهدى والرشد. قوله: ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً**﴾.

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم النصر آبادي أنا بشر بن محمود المهرجاني نا عبيد الله بن محمد ناجية نا هشام بن القاسم الحراني نا يعلى بن الأشرف بن جراد وكان ابن عشرين ومائة سنة عن عمه عبد الله بن جراد قال «نزل القرآن على لغة أعرب العرب فقال النبي ﷺ: «أي العرب أعـرب؟» فقيل: هوازن أعرب الناس قوم لا يلحنون قال: فانتفى عرب هوازن، فوجد بنو سعد بن بكر بن هوازن أعرب هوازن فنزل القرآن على لغتهم وهم الذين حضنوا رسول الله ﷺ وهم الذين أووه»[3].

أخبرنا عبد القاهر بن طاهر أنا محمد بن الحسن بن أحمد السراج نا العلاء بن عمرو الحنفي نا يحيى بن بريد الأشعري[4] عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أحبوا العرب لثلاث لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي[5]».

وقوله: ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ قال ابن عباس: «كي تفهموا لو لم يكن عربياً لما فهموه[6]» قوله: ﴿**نحن نقص عليك**

---

(١) قال الفيروز أبادي في البصائر ١/٢٦٠ واهي، وقال الشهاب علي البيضاوي موضوع، وقد تقدم الكلام على حديث أبي.

(٢) تقدم.

(٣) حديث باطل فيه عبد الله بن جراد، قال الذهبي ٢/٤٠٠ (٤٢٤٢) مجهول، وقال أبو حاتم: لا يعرف ولا يصح خبره.

(٤) يحيى بن بريد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. عن ابن جريج وأبيه، يكنى أبا بردة. قال أحمد: ويحيى ضعيف، وقال أبو زرعة: واهي الحديث. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. انظر الميزان ٤/٣٦٥.

(٥) ضعيف انظر لسان الميزان (٤/٤٨٦)، تنزيه الشريعة (٢/٣٠)، والفوائد المجموعة (٤١٣) المجمع ١٠/٥٢، الميزان (٥٧٣٧).

(٦) البغوي ٢/٤٠٨، الرازي ١٨/٦٨.

﴿أحسن القصص﴾ قال الزجاج[(١)]: «نبين لك أحسن البيان» **﴿بما أوحينا إليك﴾** أي: بوحينا إليك **﴿هذا القرآن وإن كنت من قبله﴾** القرآن **﴿لمن الغافلين﴾** أي: لمن الغافلين عما أوحينا إليك من أخبار الأنبياء ثم ذكر قصة يوسف فقال:

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت﴾ قال الفراء[(٢)]: التاء في يا أبت هاء، وأصل دخولها للسكت وهو قولهم: يا أباه ثم سقطت الألف لدلالة فتحة الباء عليها، وانصرفت الهاء إلى لفظ التاء لكثرة الاستعمال، تشبيهاً بتاء التأنيث وكسرت تقديراً أن بعدها ياء الإضافة ولم تستعمل في غير النداء، لأن هاء السكت مع الألف لا يدخلان إلا في النداء والاختيار كسر التاء في هذه القراءة[(٣)] لأنها أجريت مجرى تاء التأنيث وكسرت على الإضافة إلى نفس المتكلم على معنى يا أبتي ثم حذفت الياء لأن ياء الإضافة تحذف في النداء ومن فتح التاء أبدل الياء بالألف فقال: يا أبتا ثم حذف الألف وأبقى الفتحة دالة عليها كقول الأعشى[(٤)]:

وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا ... فَإِنَّا نَخَافُ بِأَن تُخْتَرَمْ

وقال رؤبة[(٥)]:

.... يَا أَبَتَا علك أو عَسَاكَا

وقوله: **﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾** قال المفسرون[(٦)]: «رأى يوسف عليه السلام وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدن له، فكانت الكواكب في التأويل إخوته والشمس أمه والقمر أباه فلما قصها على يعقوب، أشفق عليه من حسد إخوته له فقال له: **﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾** وذلك أن يوسف عليه السلام كان نبياً في علم الله مذ كان، ورؤيا الأنبياء وحي وعلم يعقوب أن إخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علو يوسف عليهم فيعملون عملاً يكون فيه هلاكه وهو قوله: **﴿فيكيدوا لك كيداً﴾** أي: فيحتالوا في هلاكك **﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾** ظاهر العداوة، يزين له الباطل، قوله: **﴿وكذلك يجتبيك ربك﴾** قال الزجاج وابن الأنباري: «ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة، يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك[(٧)]» **﴿ويعلمك من تأويل**

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٨٨، البغوي ٢/٤٠٨.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٢ البحر المحيط ٢/٢٧٩.

(٣) انظر النشر ٢/٢٩٣ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٣٩، الرازي ١٨/٦٩، البغوي ٢/٤٠٩، البحر المحيط ٥/٢٧٩.

(٤) انظر ديوانه ٧٧.

(٥) عجز من الرجز وصدره... تقول لبنى قد أنى إناكا. انظر ملحقات ديوانه ١٨١.

(٦) البغوي ٢/٤٠٩، البحر المحيط ٥/٢٧٩، الرازي ١٨/٧٠.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٩١، البغوي ٢/٤١٠، الرازي ١٨/٧٢.

﴿الأحاديث﴾ قال ابن عباس وقتادة ومجاهد[١]: «يريد والتأويل تعبير الأحلام، والتأويل: ما يؤول إليه المعنى في الرؤية، والأحاديث هي أحاديث الناس عما يرونه في منامهم» **﴿ويتم نعمته عليك﴾** بالنبوة **﴿وعلى ءال يعقوب﴾** يعني المختصين بالنبوة منهم **﴿كما أتمها﴾** بالنبوة **﴿على أبويك﴾** قال قتادة: «كل ذلك فعل الله به، اجتباه واصطفاه وعلمه من تأويل الأحاديث فكان أعبر الناس للرؤيا وأتم النعمة عليه» **﴿إن ربك عليم﴾** حيث يضع النبوة **﴿حكيم﴾** في خلقه قوله:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝١٠﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي: في خبر يوسف وقصة إخوته **﴿ءايات﴾** عبر وعجائب، وقرأ ابن كثير آية[٢] كأنه جعل شأنهم كلهم آية للسائلين، سألت اليهود رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فأخبرهم بها كما في التوراة فعجبوا من ذلك وكان في ذلك أعجب دلالة للسائلين على صدق محمد ﷺ لأنه شرح أخبار قوم لم يشاهدهم ولم ينظر في الكتب لأنه كان أمياً، قوله: **﴿إذ قالوا﴾** يعني إخوة يوسف قالوا فيما بينهم **﴿ليوسف وأخوه﴾** بنيامين وكان أخاه لأمه وأبيه والباقون كانوا إخوته لأبيه دون أمه **﴿أحب إلى أبينا منا﴾** أي: إنه أشد لهما حباً **﴿ونحن عصبة﴾** قال الفراء[٣]: العصبة: العشرة فما زاد والمعنى: نحن جماعة رجال **﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾** قال ابن الأنباري[٤]: «ضل بإيثارهما علينا، ضلال خطأ يلحقه ضرره في دنياه، إذ كنا أنفع له في القيام بمواشيه من يوسف وأخيه» وقال أهل المعاني[٥]: «إن أبانا في ذهاب عن طريق الثواب الذي فيه التعديل بيننا في المحبة»، ثم قالوا أيضاً فيما بينهم **﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾** في أرض يبعد فيها عن أبيه **﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾** يقبل بكليته عليكم ويخلص لكم عن شغله بيوسف، يعنون أن يوسف شغله عنا وصرف وجهه إليه فإذا فقده أقبل علينا بالمحبة، وأخطأوا في هذا التدبير لأنه لما فقد يوسف أعرض عنهم بالكلية قال الله تعالى: **﴿وتول عنهم وقال يا أسفى على يوسف﴾** وقوله: **﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾** قال ابن عباس[٦]: «تحدثوا توبة بعد ذلك يقبلها الله منكم» وهذا قول عامة المفسرين[٧] والمعنى قوماً صالحين بإحداث التوبة، عزموا على التوبة قبل إحداث الجناية، وكذا المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكباً للذنوب **﴿قال قائل منهم﴾** يعني من إخوة يوسف، وهو يهوذا أكبر ولد يعقوب، وأعقلهم **﴿لاتقتلوا يوسف﴾** وقال قتادة: هو روبيل نهى عن قتله، فقال: **﴿وألقوه في غيابت الجب﴾** الغيابة: كل ما غيب شيئاً، وستره، والغيابة: حفرة القبر لأنها

---

(١) البغوي ٢/٤١٠، الرازي ١٨/٧٢، البحر المحيط ٥/٢٨١، الطبري ١٥/٥٦، ابن كثير ٤/٢٩٩.
(٢) النشر ٢/٢٩٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/٢٤٠.
(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٦، البغوي ٢/٤١١، البحر المحيط ٥/٢٨٣.
(٤) البغوي ٢/٤١١، الرازي ١٨/٧٥.
(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٩، البغوي ٢/٤١١.
(٦) البغوي ٢/٤١٢، فتح القدير ٣/٨.
(٧) البغوي ٢/٤١٢، الرازي ١٨/٧٦. فتح القدير ٣/٨.

تغيب المدفون، والجب: الركية التي لم تطو قال الحسن «غيابة الجب قعر الجب» وقال قتادة[١] «أسفل الجب» والمعنى: اطرحوه في موضع مظلم من البئر لا يلحقه نظر الناظرين، وقرأ أهل المدينة[٢] غيابات الجب بالجمع على معنى أن للجب أقطاراً ونواحي ويكون فيه غيابات، فآثروا الجمع لذلك، واختلفوا في هذا الجب فقال قتادة[٣]: «في بئر بيت المقدس» وقال وهب[٤]: هو بأرض الأردن وقال مقاتل[٥] «هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب» قوله: **﴿يلتقطه بعض السيارة﴾** يعني مارة الطريق، وهم الجماعة الذين يسيرون في الطريق للسفر وقوله: **﴿إن كنتم فاعلين﴾** قال ابن عباس يريد إن أضمرتم ما تريدون[٦] ولما عزموا على الكيد بيوسف.

قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

﴿قالوا﴾ لأبيهم **﴿ما لك لا تأمنا على يوسف﴾** أنكروا عليه خوفه إياهم على يوسف، فقالوا لم لا تأمننا عليه، فترسله معنا؟ **﴿وإنا له لناصحون﴾** قال ابن عباس[٧]: «يريد الرحمة والبر» والمعنى: وإنا طالبون ما يعود إلى مصلحة أمره **﴿أرسله معنا غداً﴾** أي إلى الصحراء **﴿يرتع ويلعب﴾** قال الكلبي: «نذهب ونجيء وننشط ونلهو» ومن قرأ بكسر العين[٨] هو افتعال من الرعاية، [بمعنى الحفظ][٩] يعني بعضنا بعضاً، ومن قرأ بجزم العين فهو من قولهم: رتع الماء إذا أرعى ما شاء وأرتعتها أنا، وقوله: **﴿وإنا له لحافظون﴾** قال ابن عباس[١٠]: «أي من كل ما تخافه عليه» **﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾** أي يحزنني ذهابكم به لأنه يفارقني فلا أراه **﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾** قال المفسرون[١١]: «إن يعقوب رأى في المنام ذئباً عدا على يوسف فكان حذراً عليه خائفاً من تناول الذئب إياه لرؤياه التي رآها» وقال آخرون إنما خاف عليه الذئب لأن أرضهم كانت مذئبة وقوله: **﴿وأنتم عنه غافلون﴾** أي: مشتغلون برعيتكم **﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون﴾** أي: إن أكله الذئب ونحن جماعة نرى الذئب قد قصده فلا نرده عنه إنا إذاً لعاجزون فمعنى الخسران ها هنا العجز.

---

(١) البحر المحيط ٥/٢٨٤. وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٩ وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٢) انظر النشر ٢/٢٩٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٠، فتح القدير ٣/٨، الرازي ١٨/٧٦، البغوي ٢/٤١٢، البحر المحيط ٥/٢٨٤، القرطبي ٨/٣٣٦١ طبعة الشعب.

(٣) الرازي ١٨/٧٧، البحر المحيط ٥/٢٨٤، ابن كثير ٤/٣٠٠، القرطبي ٨/٣٣٦٢.
وذكره الشوكاني في الفتح ٣/٩ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٤) الرازي ١٨/٧٧، البحر المحيط ٥/٢٨٤، انظر فتح القدير ٣/٩، القرطبي ٨/٣٣٦٢.

(٥) الرازي ١٨/٧٧، البحر المحيط ٥/٢٨٤، القرطبي ٨/٣٣٦٢.

(٦) البغوي ٢/٤١٢. (٨) البغوي ٢/٤١٢. الرازي ١٨/٧٧.

(٧) انظر النشر ٢/٢٩٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤١ الرازي ١٨/٧٨، البغوي ٢/٤١٣، البحر المحيط ٥/٢٨٥، القرطبي ٨/٣٣٦٨.

(٨) البغوي ٢/٤١٢، الرازي ١٨/٧٧. (٩) سقط في ب.

(١٠) القرطبي ٨/٣٣٦٩ وبنحوه في البحر المحيط ٥/٢٨٦، وانظر تفسير ابن كثير ٤/٣٠١.

(١١) البغوي ٢/٤١٣، البحر المحيط ٥/٢٨٦، الرازي ١٨/٧٨، القرطبي ٨/٣٣٦٩.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

قوله: **﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾** في الكلام اختصار وإضمار، التقدير: فأرسله معهم فلما ذهبوا به وأجمعوا أي عزموا على **﴿أن يجعلوه في غيابة الجب﴾** قال السدي(١): «خرجوا بيوسف وبه عليهم كرامة فلما برزوا إلى البرية أظهروا له العداوة وجعل أحدهم يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فلا يرى منهم رحيماً وضربوه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه، يا يعقوب لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإماء. فلما كادوا يقتلونه، قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه وجعلوا يدلونهم في البئر فيتعلق بشفير البئر، فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه ردوا علي القميص فأتوا به فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤنسونك ودلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة في البئر فقام عليها وجعل يبكي فناداه إخوته فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه فقام يهوذا فمنعهم وقال قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه وكان يهوذا يأتيه بالطعام قال الحسن(٢) «ألقي يوسف في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد ثلاثين سنة» وقال محمد بن مسلم الطائفي(٣): «لما ألقي يوسف في الجب قال: يا شاهداً غير غائب ويا قريباً غير بعيد ويا غالباً ليس مغلوب اجعل لي فرجاً مما أنا فيه قال: فما بات فيه(٤)» قوله: **﴿وأوحينا إليه﴾** الآية: قال المفسرون(٥): «أوحى الله تعالى إلى يوسف تقوية لقلبه في البئر لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا بعد اليوم» **﴿وهم لا يشعرون﴾** بأنك يوسف في وقت إخبارك إياهم بأمرهم وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى قال ابن عباس(٦): «ثم إنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف» **﴿وجاءوا أباهم عشاءً يبكون﴾** ليكون أجرأ في الظلمة على الاعتذار لكذبهم ليدلسوا على أبيهم، فلما سمع صوتهم فزع وقال: ما لكم يا بني؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فما أصابكم؟ وأين يوسف؟ **﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾** قال أكثر المفسرين(٧) يسابق بعضنا بعضاً في الرمي ليتبين أينا أسبق سهماً وقال مقاتل(٨): «نشتد ونعدو ليتبين أينا أسرع عدواً» **﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾** ثيابنا **﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾** بمصدق لنا **﴿ولو كنا صادقين﴾** لاتهمتنا في يوسف، لمحبتك إياه وأروه قميصه ملطخاً بدم فذلك قوله: **﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾** أي مكذوب(٩) فيه لأنه لم يكن دم يوسف فسمي

(١) البغوي ٢/٤١٣ ـ ٤١٤، الرازي ٨/٧٩، ابن كثير ٢/٣٠٢، القرطبي ٨/٣٣٧٠ ـ ٣٣٧١.
(٢) البحر المحيط ٥/٢٨٨، البغوي ٢/٤١٤ وفي القرطبي وهو ابن ثماني عشرة سنة وفي الرازي سبع عشرة سنة (١٨/٨٠).
(٣) محمد بن مسلم الطائفي صدوق يخطىء. التقريب ٢/٢٠٧ تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥.
(٤) ذكره الرازي ١٨/٨٠.
(٥) انظر تفسير الرازي ١٨/٨٠.
(٦) الرازي ١٨/٨٢.
(٧) الرازي ١٨/٨١، القرطبي ٨/٣٣٧٤، البحر المحيط ٥/٢٨٨، البغوي ٢/٤١٤.
(٨) الرازي ١٨/٨١، البحر المحيط ٥/٢٨٨، البغوي ٢/٤١٤.
(٩) وهذا قول الفراء والمبرد والزجاج وابن الأنباري انظر تفسير الرازي ١٨/٨٢.

بالمصدر كما تقول: ضرب الأمير ونسج اليمن فقال يعقوب كذبتم ما عهدي بالذئب حليماً لو أكله لخرق قميصه ﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ زُيِّنَتْ لكم ﴿أمراً﴾ غير ما تصفون ﴿فصبر جميل﴾ أي فشأني صبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي: به أستعين على ما تقولون من الكذب، ثم إن يوسف مكث في الجب ثلاثة أيام ثم جاءت.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿سيارة﴾ أي رفقة تسير في السفر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوه﴾ أرسلها في البئر فتشبث يوسف بالرشاء فأخرجه الوارد فقال ﴿يا بشراي﴾ يا فرحتي وقرأ أهل الكوفة[١] ﴿يا بشري﴾ وهذه القراءة كالأولى إلا أنها غير مضافة وقال السدي[٢]: نادى صاحبه وكان اسمه بشري فقال: يا بشري هذا غلام وذلك أن الوارد واسمه مالك بن ذعر[٣] لما أرسل الدلو في البئر تعلق يوسف بالحبل فأخرجه مالك وهو يظن أنه يستقي الماء، فإذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان ففرح بذلك فقال: ﴿يا بشراي﴾ أو يا بشري قال كعب[٤]: «كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساقين والساعدين والعضدين، خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه لا يستطيع أحد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار وكان يشبه آدم يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية ويقال إنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن» وقوله: ﴿وأسروه بضاعةً﴾ أسره الوارد ومن كان معه من التجار الذين كانوا معهم في الرفقة وقالوا لهم هو بضاعة دفعها إلينا بعض أهل الماء إلى مصر وقالوا فيما بينهم: إن قلنا التقطناه شاركونا فيه وإن قلنا اشتريناه سألونا الشركة وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ قال ابن عباس[٥]: يريد بيوسف وقوله ﴿وشروه﴾ قال وهب: كان يهوذا منتدباً ينظر ما يطرأ على يوسف، فلما أخرجوه من البئر أخبر إخوته فأتوا مالك بن ذعر وقالوا: هذا عبدنا وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته فقال مالك بن ذعر: أنا اشتريته منكم فباعوه منه وذلك قوله ﴿وشروه﴾ يقال: شريت إذا بعت وإذا اشتريت، وقوله: ﴿بثمنٍ بخسٍ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين[٦]: «حرام لأن ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخساً لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة» قال الكلبي[٧] «باعوه باثنين وعشرين درهماً» وهذا قول مجاهد وقال الزجاج[٨] أخذ كل واحد من إخوته درهمين قال عطاء[٩] عن ابن عباس: «بعشرين درهماً» فأخذ كل

(١) انظر النشر ٢/٢٩٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٣.

(٢) الرازي ١٨/٨٥، وقال الحافظ ابن كثير ٤/٣٠٤: وهذا القول عن السدي غريب. وانظر فتح القدير ٣/١٣، البغوي ٢/٤١٥، وقال أبو حيان ٥/٢٩٠: وأبعد السدي في زعمه أن بشرى اسم رجل، القرطبي ٨/٣٣٨٢.

(٣) مالك بن ذعر بن يويب هو الذي أخرج سيدنا يوسف عليه السلام من الجب. انظر جمهرة أنساب العرب ص (٤٢٤).

(٤) القرطبي ٨/٣٣٨٢.

(٥) الرازي ١٨/٨٦، البغوي ٢/٤١٥، البحر المحيط ٥/٢٩٠.

(٦) ابن كثير ٢/٣٠٥، البغوي ٢/٤١٦، الطبري ١٦/١١، الرازي ١٨/٨٦، البحر المحيط ٥/٢٩١، انظر ابن كثير ٢/٣٠٦.

(٧) البغوي ٢/٤١٦، الطبري ١١/١٤، ابن كثير ٤/٣٠٥، انظر تفسير الرازي ١٨/٨٧، البحر المحيط ٥/٢٩١.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٩٨، البغوي ٢/٤١٦، ابن كثير ٤/٣٠٥، الطبري ١٦/١٤ ابن كثير ٤/٣٠٥ البحر المحيط ٥/٢٩١.

(٩) البغوي ٢/٤١٦، الطبري ١٦/١٣، ١٤ (١٨٩٢٥)، ابن كثير ٤/٣٠٥ القرطبي ٨/٣٣٨٤، الرازي ١٨/٨٧، فتح القدير ٣/١٥، البحر المحيط ٥/٢٩١.

واحد منهم إلا يهوذا فإنه لم يأخذ شيئاً فذلك قوله: ﴿دراهم معدودة﴾ أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ والزهد والزهادة قلة الرغبة في الشيء يريد أن إخوة يوسف كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله ولا كرامته عليه ويجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا زاهدين في ذلك الثمن إما لرداءته وإما لأن قصدهم كان تبعيد يوسف لا الثمن ثم انطلق مالك بن ذعر وأصحابه بيوسف وتبعهم إخوته يقولون لهم استوثقوا منه فإنه آبق سارق كاذب وقد برئنا إليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة وصار به نحو مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما بلغ قبر أمه أسقط نفسه من الناقة على القبر وهو يبكي ويقول يا أمي ارفعي رأسك من الثرى وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلاء، يا أماه لو رأيت ضعفي وزلي لرحمتيني، يا أماه لو رأيتيني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب ألقوني وعلى خد وجهي لطموني وبالحجارة رجموني وفقده مالك فصاح في القافلة ألا إن الغلام قد رجع إلى أهله فطلبه القوم، فرأوه فأقبل إليه رجل منهم وقال: يا غلام قد أخبرنا مواليك أنك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال: والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم أتمالك أن رميت بنفسي على قبرها قال: فرفع يديه ولطم وجهه وجره حتى حمله على ناقته وذهبوا به حتى قدموا مصر فأمره مالك بن ذعر حتى اغتسل ولبس ثوباً حسناً وعرضه على البيع فاشتراه قطفير بن روحيب وهو العزيز بمصر وكان على خزائن الملك الأعظم وصاحب أمره، قال مقاتل بن سليمان[1] اشتراه بعشرين ديناراً وحلة ونعلين، وقال وهب[2]: ترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً فابتاعه قطفير بهذا الثمن فلما اشتراه وأتى به منزله قال لأمراته واسمها راعيل: أكرمي مثواه فذلك قوله

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِى مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه﴾ قال ابن عباس[3] أكرميه ما كان عندك وقال الزجاج[4]: أحسني إليه في طول مقامه عندنا، يقال: ثوى يثوي ثوى ومثوى ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي يكفينا إذا بلغ وفهم الأمور، يقضي بعض شؤوننا.

أخبرنا أبو بكر التيمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا إبراهيم بن شريك نا أحمد بن يونس نا زهير عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أفرس الناس ثلاثة: ـ العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى فقالت لأبيها: يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر[5].

وقوله: ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي: نتبناه وكان العزيز عقيماً أو حصوراً لا يولد له، وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في

---

(١) البحر المحيط ٥/٢٩١.

(٢) القرطبي ٨/٣٣٨٧ البغوي ٢/٤١٦.

(٣) القرطبي ٨/٣٣٨٨.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/٩٨.

(٥) القرطبي ٨/٣٣٨٩، وذكره الشوكاني في الفتح ٣/١٥، وعزاه لسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن حاتم والطبراني وأبي الشيخ والحاكم وصححه. وهو عند الطبري ١٦/١٩ (١٨٩٥١)، والبغوي ٢/٤١٦.

الأرض﴾ يعني وكما أنجيناه من إخوته حين هموا بإهلاكه وأخرجناه من ظلمة البئر مكنا له في الأرض ملكناه في أرض مصر حتى بلغ **﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾** تقدم تفسيره **﴿والله غالب على أمره﴾** قال ابن عباس[١]: «على ما أراد من قضائه» أي: لا يغلبه على أمره غالب ولا يبطل إرادته منازع فهو قادر على أمره من غير مانع **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** ذلك وهم المشركون والذين لا يعلمون أن قدر الله غالب وأن مشيئته نافذة قوله **﴿ولما بلغ أشده﴾** العرب تقول: بلغ فلان أشده إذا بلغ منتهاه في شبابه وقوته قال أكثر المفسرين[٢]: ثلاثاً وثلاثين سنة وقال عطاء[٣]: «يريد الحلم» وقال الضحاك[٤]: «عشرين سنة» **﴿ءاتيناه حكماً وعلماً﴾** عقلاً وفهماً وقال الكلبي[٥]: «الحكم النبوة والعلم علم الدين» وقال الزجاج: «جعلناه حكيماً عالماً» وليس كل عالم حكيماً، والحكيم العالم المستعمل علمه الممتنع من استعمال ما يجهل فيه[٦] **﴿وكذلك﴾** ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف كذلك **﴿نجزي المحسنين﴾** قال الضحاك[٧]: «يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف».

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

قوله **﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾** يعني امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها طلبت منه أن يواقعها والمراودة المطالبة بأمر للعمل به قال الزجاج[٨]: «طالبته بما تريد النساء من الرجال» **﴿وغلقت الأبواب﴾** قال المفسرون[٩] غلقت سبعة أبواب ثم دعته إلى نفسها **﴿وقالت هيت لك﴾** معناه في

---

(١) القرطبي ٨/٣٣٨٩، البغوي ٢/٤١٧، الرازي ١٨/٨٨.

(٢) ابن كثير ٤/٣٠٦، البغوي ٢/٤١٧، الطبري ١٦/٢٢، الرازي ١٨/٨٩، البحر المحيط ٥/٢٩٢، القرطبي ٨/٣٣٩١.

(٣) ابن كثير ٤/٣٠٦، البغوي ٢/٤١٧، البحر المحيط ٥/٢٩٢.

(٤) ابن كثير ٤/٣٠٦، البغوي ٢/٤١٧، الطبري ١٦/٢٢ ـ ٢٣، (١٨٩٦١) البحر المحيط ٥/٢٩٢.

(٥) البغوي ٢/٤١٧، البحر المحيط ٥/٢٩٢، القرطبي ٨/٣٣٩١.

(٦) البغوي ٢/٤١٧.

(٧) البغوي ٢/٤١٧، البحر المحيط ٥/٢٩٣، القرطبي ٨/٣٣٩١.

(٨) البغوي ٢/٤١٧، ابن كثير ٤/٣٠٦، الطبري ١٦/٢٧، البحر المحيط ٥/٢٩٣، فتح القدير ٣/١٦، القرطبي ٨/٣٣٩١.

(٩) البغوي ٢/٤١٧، الرازي ٨/٩١.

قول جميع أهل اللغة والتفسير: هلم[1] قال الفراء[2] وابن الأنباري: «لا مصدر له ولا تصرف ولا تثنية ولا جمع ولا تأنيث يقال للاثنين: هيت لكما، وللجمع هيت لكم، قال الأخفش[3]: «يجوز كسر التاء ورفعه وكسر بعضهم الهاء وفتح التاء كل ذلك بمعنى واحد» قال أبو زيد[4]: «هيت لك» بالعبرانية هنيا لخ، أي: تعال، أعربه القرآن أما ما روى هشام عن ابن عامر[5] (هئت) لك بكسر الهاء والهمزة وضم التاء فإنها فعلت من الهيئة قال أبو زيد[6]: هئت للأمر هيئة، وتهيأت له، ويجوز تخفيف الهمزة كما يخفف من جيت وشيت وأنكر أبو عمرو والكسائي هذه القراءة، وقالا: «هيت بمعنى تهيأت باطل ولم تحك عن العرب[7]» والله أعلم ﴿قال﴾ يوسف ﴿معاذ الله﴾ أعوذ بالله أن أفعل هذا والمعنى: أعتصم بالله من هذا ﴿إنه ربي﴾ إن الذي اشتراني هو سيدي ﴿أحسن مثواي﴾ أي: أنعم علي بإكرامي فلا أخونه في حرمته إني إن فعلت ذلك كنت ظالماً و ﴿لا يفلح الظالمون﴾ قال ابن عباس: «لا يسعد الزناة العاصون» قوله ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال أهل التفسير: السدي وابن إسحاق والضحاك ومقاتل فيما ذكروا عن ابن عباس: «إنها لما راودت يوسف جعلت تذكر محاسن يوسف فقالت: يا يوسف ما أحسن شعرك، قال: هو أول ما ينتشر من جسدي قالت: ما أحسن عينيك قال هي أول ما يسيل إلى الأرض من جسدي قالت: ما أحسن وجهك قال: هو للتراب يأكله قالت: ما أحسن صورتك قال: ربي صورني في الرحم قالت: يا يوسف: صورة وجهك أنحلت جسمي قال: الشيطان يعينك على ذلك قالت: بساط الحرير قد بسطته، قم فاقض حاجتي قال: إذن يذهب نصيبي من الجنة قالت: ادخل الستر معي قال: ليس شيء يسترني من ربي، فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة ويوسف شاب يجد من شبق الشباب ما يجده حتى جرى الشيطان فيما بينهما، فضرب إحدى يديه إلى جيب يوسف وبيده الأخرى إلى جيب المرأة فجمع بينهما حتى خلوا في بعض البيوت[8] فذلك قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ أي: أرادته وقصدته وأما هم يوسف فذكر ابن عباس وجلة أهل التفسير: «أنه حل الهميان[9] وجلس منها مجلس الخاتن[10] وسئل ابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: «استلقت المرأة وقعد بين رجليها ينزع ثيابه»[11] وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك والسدي ومجاهد وابن أبي بزة[12] والأعمش والحسن هذا قول المتقدمين وذكر المتأخرون فرقاً بين الهمين فقال أبو العباس

---

(١) البغوي ٢/٤١٧، الطبري ١٦/٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧، البحر المحيط ٥/٢٩٣ القرطبي ٨/٣٣٩٢.

(٢) البيان ٢/٣٧ البغوي ٢/٤١٧.

(٣) انظر النشر ٢/٢٩٤ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٤ البغوي ٢/٤١٧ الطبري ١٦/٢٥ الرازي ١٨/٩١ فتح القدير ٣/١٦ ـ ١٧، القرطبي ٨/٣٣٩٢.

(٤) البغوي ٢/٤١٧ الطبري ١٦/٢٨ البحر المحيط ٥/٢٩٣ فتح القدير ٣/١٧.

(٥) النشر ٢/٩٤ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٤.

(٦) الرازي ١٨/٩١ البغوي ٢/٤١٧ فتح القدير ٣/١٧ القرطبي ٨/٣٣٩٣.

(٧) ولا عبرة بإنكار الكسائي لأن القراءة من القراءات العشرة المتواترة وانظر تفسير الطبري ١٦/٢٩ (١٨٩٩٥) فتح القدير ٣/١٧ الرازي ١٨/٩١.

(٨) سبحان ربي هذا بهتان عظيم، ولا أراه يصح البتة لمنافاته العصمة الثابتة بالدلائل القطعية فليت الواحدي طهر كتابه من هذا البهتان، وهذا الأثر وقع فيه أيضاً العلامة البغوي في المعالم (٢/٤١٨) وذكره الرازي أيضاً في التفسير (١٨/٩٢).

(٩) شداد السراويل انظر لسان العرب ٦/٤٧٠٦.

(١٠) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٠١ والرازي في التفسير ١٨/٩٢ وهذا القول إفك مبين، . . انظر أضواء البيان (٣/٦١ ـ ٦٢).

(١١) هو كسابقه باطل يجب تنزيه الكتب من مثل هذا الرفث.

(١٢) القاسم بن أبي بزة مكي، وهو القاسم بن نافع بن أبي بزة، واسم أبي بزة يسار مولى عبد الله بن السائب المخزومي ويكنى القاسم أبو عبد الله. انظر الجرح والتعديل ٧/١٢٢.

أحمد بن يحيى همت المرأة بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فبين الهمين فرق وشرحه ابن الأنباري فقال: همت المرأة عازمة على الزنا ويوسف عارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس فلم يلزمه هذا الهم ذنباً إذ الرجل الصالح يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب كان غير مؤاخذ بما هجس في نفسه[١] قال الزجاج: والذي عليه المفسرون انه هم بها وانه جلس منها مجلس الرجل من امرأته إلا أن الله تفضل بأن أراه البرهان ألا ترى انه قال: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ الآية[٢]، وقال ابن الأنباري: والذي نذهب إليه في هذه الآية ما يروى عن الصحابة والتابعين من إثبات الهم ليوسف غير عائبين له بل نقول إن انصرافه بعد إثبات الهم ونهيه نفسه عن هواها تعظيماً لله ومعرفة بحقه أدل على وفور الثواب وتكامل الأجر» والذين أثبتوا الهم ليوسف من علي، وابن عباس ووهب وابن سيرين وغيرهم كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الذين نفوا الهم عنه، وقد قال الحسن: «إن الله لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييراً لهم ولكنه قصها عليكم لئلا تقنطوا من رحمته»[٣] وقال أبو عبيد: «يذهب الحسن إلى أن الحجة من الله على أنبيائه أوكد وهي لهم ألزم فإذا كان يقبل التوبة منهم فهي إلى قبولها منكم أسرع»وقوله: ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال ابن عباس وعامة المفسرين: «مثل له يعقوب فرأى صورته عاضاً على إصبعيه يقول: أتعمل عمل الفجار وأنت مكتوب في الأنبياء فاستحيا منه»[٤] قال الحسن مثل له جبريل في صورة يعقوب[٥] وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «مثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله[٦] وقال السدي رأى يعقوب قائماً في البيت يقول: يا يوسف لا تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك إن واقعتها مثله إذا مات فوقع بالأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ومثلك إذا لم تواقعها كمثل الثور الصعب، الذي لم يعمل عليه، ومثلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت، فيدخل النمل في أصل قرنيه، فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه[٧]».

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم قال: أخبرنا عبد الله بن حامد أنا أحمد بن محمد بن يزيد السكري نا محمد بن إبراهيم بن خالد نا عمرو بن البصري نا أبو الهيثم خالد بن يزيد البصري نا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس: في قوله عز وجل ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال: «قعد منها مقعد الرجل من امرأته إذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) فقام هارباً، وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته إذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) فقام هارباً وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد، فلما قعد منها مقعد الرجل من امراته، إذا بكف قد بدت فيما بينهما، ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) الآية، فقام هارباً وقامت فلما ذهب عنهما الروع عاد وعادت

(١) وهذا هو الذي يرتضيه كل منصف عاقل.

(٢) انظر الزجاج ٣/١٠١ وهو قول باطل منافي للعصمة كما سبق أن بينا وحكاه الواحدي أيضاً في البسيط ونقله عنه الرازي في التفسير (١٨/٩٢).

(٣) وقول الحسن هو قول باطل، لأن سيدنا يوسف لم يصدر منه ذنب، وقد ذكر الأثر البغوي أيضاً (٢/٤١٩).

(٤) وهذا باطل وبرهان الله النبوة أو المعجزة.

(٥) وهذا القول كسابقه.

(٦) وهذا القول كسابقه فيه ظلمات.

(٧) وهذا القول كسابقه وهذه الآثار ذكرها البغوي (٢/٤٢٠).

فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضاً على إصبعيه وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله تعالى في الأنبياء»[١].

فذلك قوله تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ قال الزجاج[٢]: «السوء خيانة صاحبه والفحشاء ركوب الفاحشة» والمخلصين: الذين أخلصوا دينهم لله، فمن فتح اللام[٣] أراد الذين أخلصهم الله من الأسواء، قوله ﴿استبقا الباب﴾ أي: تبادرا إلى الباب يجتهد كل واحد أن يسبق صاحبه فإن سبق يوسف المرأة فتح الباب وخرج وإن سبقت المرأة أمسكت الباب لئلا يخرج فلم تصل إلاإلى دبر قميصه فقدته وذلك قوله: ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي: قطعته من خلف ﴿وألفيا سيدها﴾ وجدا وصادفا زوجها عند الباب فحضرها في ذلك الوقت كيد فقالت سابقة بالقول ومبرئة نفسها من الأمر وملزمة يوسف بالذنب: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً﴾ قال ابن عباس[٤]: «يريد الزنا» ﴿إلا أن يسجن﴾ يحبس في السجن ﴿أو عذاب أليم﴾ يعني الضرب بالسياط فلما سبقت هي بطرح الجرم على يوسف غضب يوسف وقال: ﴿هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها﴾ أي أعلم معلم وأبين مبين وكان رجلاً حكيماً من أقارب المرأة قال الكلبي[٥]: «كان ابن عمها وكان رجلاً حكيماً وكان مع زوجها، فقال: قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب، وشق القميص، فلا ندري أيكما كان قدام صاحبه فإن كان شق القميص من قدامه كانت المرأة صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق» وقوله: ﴿إن كان قميصه قد من قبل﴾ إلى: ﴿فلما رأى قميصه﴾ من حكم الشاهد وبيانه عما يوجب الاستدلال به على تمييز الكاذب من الصادق وقوله: ﴿فلما رأى﴾ أي زوج المرأة قميص يوسف ﴿قد من دبر قال إنه من كيدكن﴾ أي إن قولك: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً من كيدكن ﴿إن كيدكن عظيم﴾ ثم قال ليوسف ﴿يوسف﴾ أي: يا يوسف ﴿أعرض عن هذا﴾ أي اترك هذا الأمر ولا تذكره ﴿واستغفري﴾ أنت ﴿لذنبك﴾ قال لامرأته: توبي أنت من ذنبك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ إنك قد أثمت بمراودتك شاباً عن نفسه وإرادته على الزنا ثم شاع ما جرى بينهما وانتشر في مدينة مصر حتى تحدثت بذلك النساء وخضن فيه وهو قوله:

۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

---

(١) وهذا أيضاً من الافتراءات العجيبة التي تمس قداسة النبوة الشريفة.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٢.

(٣) انظر النشر ٢/٢٩٥ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٥.

(٤) البغوي ٢/٤٢١ ابن كثير ٤/٣١٠ القرطبي ٨/٣٤٠٠.

(٥) القرطبي ٨/٣٤٠٢ الرازي ١٨/٩٩ أبو حيان ٥/٢٩٧ الطبري ١٦/٣٥٤ البغوي ٢/٤٢٢.

﴿وقال نسوة في المدينة﴾ قال ابن عباس[١]: «يريد نسوة من أشراف النساء» وأراد بالنسوة الجمع لذلك ذكر فعلهن حملاً على المعنى وإذا أنّث حمل على اللفظ وقوله ﴿امرأة العزيز﴾ يعني زليخا والعزيز بلغتهم الملك ﴿تراود فتاها﴾ غلامها ﴿عن نفسه قد شغفها حباً﴾ قال ابن عباس: «قد دخل حبه شغاف قلبها»[٢] وهو موضع الدم الذي يكون داخل القلب وقال الزجاج[٣]: «الشغاف حبة القلب وسويداء القلب» ﴿إنا لنراها في ضلال﴾ عن طريق الرشد بحبها إياه ﴿مبين﴾ ظاهر ﴿فلما سمعت﴾ زليخا ﴿بمكرهن﴾ قال ابن إسحاق: «يعني كيدهن وذلك إنهن إنما قلن ذلك مكراً بها لتريهن يوسف، لما كان بلغهن من حسنه وجماله اتخذت مأدبة فدعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللاتي عيرنها»[٤]فذلك قوله: ﴿أرسلت إليهن وأعتدت﴾ وهيأت ﴿لهن متكأً﴾ مجلساً للطعام وما يتكئن عليه من النمارق[٥] والوسائد وقال ابن عباس[٦] في رواية عطاء ومجاهد: «هو الأترج» وقال جماعة من المفسرين[٧]: يعني طعاماً يحز بالسكين وقال الأزهري: «وقيل للطعام متكأً لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكأوا، ونهيت هذه الأمة عن ذلك[٨]» وقوله: ﴿وءاتت كل واحدة منهن سكيناً﴾ قال السدي[٩]: «أعطيت كل واحدة منهن أترجة وسكيناً وأمرت يوسف بالبروز لهن، ليرينه فيعذرنها في حبها إياه وهو قوله: ﴿وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه﴾ أعظمنه وهالهن أمره وبهتن بالنظر إليه وذهب عقولهن وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين تعجباً من حسنه وجماله، وهو قوله: ﴿وقطعن أيديهن﴾ قال قتادة[١٠] «أبَنّ أيديهن»، وقال مجاهد[١١]«لم يحسسنَ إلا بالدم ولم يجدن الألم، لشغل قلوبهن بيوسف»﴿وقلن حاش لله﴾ حاش وحاشا يستعملان في الاستثناء والتبرئة والأصل حاشا لأنه من فاعل المحاشاة يقال حاشي يحاشي والحشاء: الناحية ومعنى ﴿حاش لله﴾ صار يوسف في حَشا أي: في ناحية مما قذف به أي لم يلابسه كأن المعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمي به أي: لخوفه ومراقبته أمره، وهذا قول أكثر المفسرين[١٢]، قالوا: هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون[١٣] «هذا تنزيه له من تهمة البشر، لفرط جماله يدل على هذا سياق الآية» ومن قرأ حاش بغير[١٤]ألف،

---

(١) البغوي ٢/٤٢٢. فتح القدير ٣/٢١.

(٢) القرطبي ٨/٣٤٠٥، البحر المحيط ٥/٢٩٩، فتح القدير ٣/٢١.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٥، القرطبي ٨/٣٤٠٦، البحر المحيط ٥/٢٩٩ الرازي ١٨/١٠١.

(٤) البغوي ٢/٤٢٣.

(٥) بالكسر الوسائد الصغار انظر لسان العرب ٦/٤٥٤٧.

(٦) الطبري ١٦/٧١ (١٩١٧٣) (١٩١٧٤)، (١٩١٧٥)، ابن كثير ٢/٣١١، البحر المحيط ٥/٣٠٢، البغوي ٢/٤٢٣، الرازي ١٨/١٠٢، القرطبي ٨/٣٤٠٧.

(٧) البحر المحيط ٥/٣٠٢، البغوي ٢/٤٢٣، الرازي ١٨/١٠٢، القرطبي ٨/٢٤٠٧.

(٨) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ (لا آكل متكئاً). أخرجه البخاري في الصحيح ٩/٥٤٠ كتاب الأطعمة باب الأكل متكئاً (١٣) الحديث (٥٣٩٨)، (٥٣٩٩). وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: (ما رئي رسول اللهﷺ يأكل متكئاً قط، ولا يطأ عقبه رجلان). أخرجه أحمد في المسند ٢/١٦٥، ١٦٧، وأبو داود في السنن ٤/١٤١ ـ ٢٤٣، كتاب الأطعمة (٢١) باب ما جاء في الأكل متكئاً (١٧) الحديث (٣٧٧٠) وابن ماجه في السنن ١/٨٩ المقدمة باب من كره أن يوطأ عقباه ٢١ الحديث (٢٤٤). وأخرجه الطبري بلفظ نهي أن يأكل الرجل بشماله وأن يأكل متكئاً.

(٩) البغوي ٢/٤٢٣.

(١٠) البغوي ٢/٤٢٣ القرطبي ٨/٣٤٠٩.

(١١) الطبري ١٦/٧٧ البغوي ٢/٤٢٣.

(١٢) الرازي ١٨/١٠٣.

(١٣) البغوي ٢/٤٢٣.

(١٤) انظر حجة القراءات، وانظر النشر ٢/٢٩٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٤، البغوي ٢/٤٢٤، الرازي ١٨/١٠٢، فتح القدير ٣/٢٢.

فهو على حذف آخر الفعل كقولهم: لم يك، ولا أدر. وقد قال رؤبة:

.... وصَّانِيَ العجَّاجُ فِيمَا وَصَّنِي [(١)]

وقوله: ﴿ما هذا بشراً﴾ أي ليس هذا بآدمي ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ على ربه.

أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز الفقيه أنا عبد الله بن محمد الرازي نا محمد بن أيوب نا موسى بن إسماعيل نا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال أعطي يوسف شطر الحسن[(٢)].

أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا عبد الله بن محمود السعدي نا محمد بن موسى بن بحر[(٣)] نا عبيدة بن حميد حدثني: منصور عن مجاهد عن ربيعة الجرشي[(٤)]: قال قسم الحسن نصفين نصف ليوسف وسارة ونصف بين الناس [(٥)]، وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر قلت: يا جبريل من هذا؟ قال «أخوك يوسف [(٦)]».

أخبرنا أبو سعد عبد الرحمن بن أحمد العدل أنا أحمد بن سلمان الحربي أنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم أنا هشام بن عمار أنا وكيع عن شعبة عن محارب بن دثار عن جابر عن النبي ﷺ قال «هبط علي جبريل فقال: يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك حبيبي إني كسوت حسن يوسف من نور الكرسي، وكسوت حسن وجهك من نور عرشي، وما خلقت خلقاً أحسن منك يا محمد[(٧)]».

قالت المرأة عند ذلك للنسوة: ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ قال ابن الأنباري[(٨)]: أشارت بذلك إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس قال المفسرون[(٩)]: «أرادت إظهار عذرها عند النسوة بما شاهدن من جمال يوسف بهتن بالنظر إليه وذهبت عقولهن وجعلن يقطعن أيديهن قالت لهن هذا القول» ومعنى لمتنني فيه: أي: في حبه والشغف به. ثم أقرت عندهن فقالت: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ امتنع وأبى ثم توعدته بإيقاع المكروه به إن لم يطعها فيما تدعوه إليه فقالت: ﴿ولئن لم يفعل ما ءامره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين﴾ من الإذلال بالسجن والحبس ﴿قال﴾ يوسف

---

(١) انظر ملحقات ديوانه ١٨٧، الخصائص ٢/ ٩٣.

(٢) أخرجه مسلم ١/ ١٤٥ في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ (٢٥٩/ ١٦٢) وأحمد في المسند ٣/ ٢٨٦.

(٣) موسى بن بحر المروزي عراقي سكن مرو. يكنى أبا عمران. روى عن عباد بن العوام وعلي بن هاشم بن البريد وجرير بن عبد الحميد وزياد بن عبد الله وعبد العزيز بن عبد الصمد العمّي ووكيع. روى عنه البخاري في الأدب، وعبيد الله بن واصل والحسن بن سفيان. ذكره ابن حبان في الثقات وقال مات سنة ثلاثين ومائتين. انظر التهذيب ١٠/ ٣٣٨.

(٤) ربيعة الجرشي: له صحبة وفي صحبته نظر يروي عن عائشة رضي الله عنها وهو جد هشام بن الغازي بن ربيعة الجرشي. انظر الأنساب ٢/ ٤٥.

(٥) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/ ٨١ (١٩٢٣٠) (١٩٢٣١) (١٩٢٣١) وربيعة الجرشي مختلف في اسم أبيه وفي صحبته فقيل اسم أبيه (ربيعة بن عمرو) (وربيعة بن الغاز) ابن سعد ٧/ ٢/ ١٥٠ ابن أبي حاتم ١/ ٢/ ٤٧٢، التاريخ الكبير ٢/ ١/ ٢٥٦ وذكره ابن كثير ٤/ ٣١٢.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٧٢ في كتاب التاريخ.

(٧) موضوع كذا في اللآلىء المصنوعة ١/ ٢٧٣، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٩١ وأخرجه الخطيب في التاريخ ٥/ ٤٣٩.

(٨) النهر الماد ٥/ ٣٠٥، الرازي نقلا عن ابن الأنباري ١٨/ ١٠٤.

(٩) البحر المحيط ٥/ ٣٠٦.

﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ مما يطالبنني به من معصيتك وذلك أن النسوة قلن له: إنك الظالم وهي المظلومة وأمرنه بمطاوعتها وقضاء حاجتها، ﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾ كيد جميع النسوة ﴿أصب إليهن﴾ أمِل إليهن وأتابعهن يقال صبا إلى اللهو، يصبو صبواً، إذا مال إليه ﴿وأكن من الجاهلين﴾ من يستحق صفة الذم بالجهل قال ابن عباس[1]: «يريد المذنبين الآثمين» ﴿فاستجاب﴾ الله ليوسف دعاءه ﴿فصرف عنه كيدهن﴾ بأن عصمه منهن ﴿إنه هو السميع﴾ لدعائه ﴿العليم﴾ بما خاف من الإثم، وقال وهب والسدي: «إن امرأة العزيز قالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني فضحني في الناس يخبرهم أني راودته عن نفسه ولست أقدر أن أعتذر بعذري فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر وإما أن تحبسه كما حبستني فظهر للعزيز وأصحابه من الرأي حبس يوسف[2]» فذلك قوله:

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَـٰتٍ ۖ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

﴿ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات﴾ يعني آيات براءة يوسف: ﴿ليسجننه﴾ ليحبسنه في السجن ﴿حتى حين﴾ الحين من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل قال عطاء[3]: «يريد إلى إنقطاع المقالة» وقال الكلبي[4] «الحين هاهنا

---

(١) البغوي ٢/٤٢٤.

(٢) الطبري ١٦/٩٣ (١٩٢٦٤)، البغوي ٢/٤٢٥، البحر المحيط ٥/٣٠٧ ابن كثير ٢/٣١٣ الرازي ١٨/١٠٦، القرطبي ٨/٣٤١٦.

(٣) البغوي ٢/٤٢٥ الرازي ١٨/١٠٧، فتح القدير ٣/٢٥ القرطبي ٨/٣٤١٦.

(٤) البغوي ٢/٤٢٥ الرازي ١٨/١٠٧، فتح القدير ٣/٢٥ القرطبي ٨/٣٤١٦.

خمس سنين» وقال عكرمة[١]: «سبع سنين» وقال مقاتل[٢]: «حبس يوسف اثنتي عشرة سنة قال السدي[٣]: «ثم إن الملك غضب على خباز بلغه أنه يريد أن يسمه وأن صاحب شرابه مالأه على ذلك فحبسهما جميعاً» وذلك قوله: **﴿ودخل معه السجن فتيان﴾** وكان يوسف لما دخل السجن قال لأهله إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين: هلم فلنجرب هذا العبد العبراني نتراآى له شيئاً فسألا من غير أن يكون رأيا شيئاً، فذلك قوله: **﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾** قال له الساقي: إني رأيت أصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنبتها وعصرتها ومعنى: أعصر خمراً: أعصر عنب خمر أي العنب الذي يكون عصيره خمراً فحذف المضاف وقال الزجاج وابن الأنباري: «العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه الشيء إذا انكشف المعنى ولم يلتبس يقولون: فلان يطبخ الأجر ويطبخ الدبس وإنما يطبخ اللبن والعصير»[٤]، وقوم يقولون: إن بعض العرب يسمون العنب خمراً حكى «الأصمعي» عن المعتمر أنه لقي أعرابياً معه عنب قال: ما معك؟ فقال: خمر. وقال صاحب الطعام: رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منه فذلك قوله: **﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله﴾** أخبرنا بتفسيره **﴿إنا نراك من المحسنين﴾** تؤثر الإحسان وتأتي الأفعال الجميلة قال سلمة بن نبيط: «كنت بخراسان جالساً عند الضحاك فسأله رجل عن قوله: **﴿إنا نراك من المحسنين﴾** ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع عليه وإن احتاج جمع له وإن مرض قام عليه» وقال الفراء: «من المحسنين العالمين» ونحو هذا قال الزجاج[٥]: «ممن يحسن التأويل» ثم ذكر لهما يوسف ما يدل على أنه عالم بتفسير الرؤيا فقال: **﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾** في منامكما **﴿إلا نبأتكما بتأويله﴾** في اليقظة **﴿قبل أن يأتيكما﴾** التأويل **﴿ذلكما﴾** التأويل **﴿مما علمني ربي﴾** أي: لست أقوله على جهة التكهن والتنجم وإنما أخبركما بوحي من الله وعلم ثم أخبر أنه تارك ملة الكفر فقال: **﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون﴾** الآية، **﴿واتبعت ملة ءابائي إبراهيم﴾** إلى قوله: **﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾** قال «ابن عباس[٦]»: «يريد أن الله عصمنا من أن نشرك به» **﴿ذلك من فضل الله علينا﴾** أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله لنا، وبفضله علينا **﴿وعلى الناس﴾** يعني المؤمنين **﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾** الله على نعمته فيوحدونه ثم دعاهما إلى الإسلام فقال: **﴿يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون﴾** يعني الأصنام من صغير وكبير **﴿خير﴾** أعظم في صفة المدح **﴿أم الله الواحد القهار﴾** يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام ثم خاطبهم ومن على مثل حالهم في الكفر فقال **﴿ما تعبدون من دونه﴾** من دون الله **﴿إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم﴾** يعني الأرباب والآلهة ولا تصح معانيها للأصنام فكأنها أسماء فارغة وكأنهم يعبدون الأسماء لأنها لا معاني تصح لها **﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾** من حجة بعبادتها **﴿إن الحكم إلا لله﴾** أي الفصل بالأمر والنهي إلا لله **﴿ذلك الدين القيم﴾** أي الذي أمر به من ألا تعبدوا إلا إياه وهو الدين المستقيم **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** قال ابن عباس: «لا يعلمون ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب»[٧] قوله: **﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما﴾** الآية قال: «الكلبي»: «لما قص الساقي رؤياه على يوسف قال له: ما

---

(١) الطبري ١٦/٩٤ (١٩٢٦٥)، البغوي ٢/٤٢٥ الرازي ١٨/١٠٧ فتح القدير ٣/٢٥ القرطبي ٨/٣٤١٦.

(٢) الرازي ١٨/١٠٧، القرطبي ٨/٣٤١٦.

(٣) البغوي ٢/٤٢٥ القرطبي ٨/٣٤١٨، الطبري ١٦/٩٥، فتح القدير ٣/٢٥ الرازي ١٨/١٠٧ ابن كثير ٤/٣١٤.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٩، الرازي ١٨/١٠٨، البغوي ٢/٤٢٥.

(٥) الزجاج ٣/١١٠، القرطبي ٨/٣٤١٩، فتح القدير ٣/٢٦ الرازي ١٨/١٠٨ البغوي ٢/٤٢٥.

(٦) البغوي ٢/٤٢٦.

(٧) انظر تفسير الطبري ١٦/١٠٦.

أحسن ما رأيت أما الأغصان الثلاثة، فثلاثة أيام يوجه إليك الملك عند انقضائهن فيردك إلى عملك فتعود كأحسن ما كنت فيه، وقال للخباز لما قص عليه: بئس ما رأيت السلال الثلاث ثلاثة أيام، يوجه إليك الملك عند انقضائهن فيقتلك ويصلبك وتأكل الطير من رأسك فقالا: ما رأينا شيئاً قال: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ أي فرغ منه يعني سيقع بكما ما عبرت لكما صدقتما أو كذبتما»[١] وإنما حلم يوسف بوقوع الأمر بهما من قبل وحي أتاه من الله تعالى؛ ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما﴾ أي أيقن وعلم وهو الساقي ﴿اذكرني عند ربك﴾ أي عند الملك صاحبك وقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ قال مجاهد: أنسى الشيطان يوسف الاستعانة بربه وأوقع في قلبه الاستغاثة بالملك فعوقب بأن لبث في السجن بضع سنين وهذا «قول ابن عباس[٢]» واختيار الزجاج[٣] وذهب قوم إلى أن الكناية راجعة إلى الساقي على معنى أنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف لربه ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾ قال الأصمعي[٤]: البضع ما بين الثلاث إلى التسع وعامة المفسرين[٥] على أن المراد بالبضع هاهنا سبع سنين وقالوا: عاقب الله يوسف بأن حبس سبع سنين بعد الخمس التي حبسها إلى وقت قوله: اذكرني عند ربك قال ابن عباس: «لما تضرع يوسف إلى مخلوق وكان قد اقترب خروجه أنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين[٦]».

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الزاهد أنا محمد بن أحمد بن علي المقري أنا الحسين بن سفيان نا زهير بن سلام نا عمرو بن محمد نا إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لو لم يقل يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث، حيث يبتغي المخرج من عند غير الله[٧]».

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ قال «رحم الله يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث» قال ثم يبكي الحسن ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس[٨] ويروى: أن جبريل دخل على يوسف السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل: يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك: أما استحييت مني إذ استشفعت بالآدميين؟ فبعزتي لألبثنّك في السجن بضع سنين قال

---

(١) البغوي ٢/٤٢٧.

(٢) بنحوه عند الطبري ١٦/١١١ وما بعدها، وابن كثير ٤/٣١٧، البغوي ٢/٤٢٨ والضمير في قوله (فأنساه الشيطان) عائد على الناجي كما قاله مجاهد وغير واحد قال أبو حيان ٥/٣١١ وقيل في «أنساه» عائد على يوسف ورتبوا على ذلك أخباراً لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/١١٢.

(٤) انظر الطبري ١٦/١١٤ وهو مروي عن قتادة (١٩٣٢٧) ومجاهد (١٩٣٢٨) ابن كثير ٤/٣١٧ البغوي ٢/٤٢٨ القرطبي ٨/٣٤٢٦.

(٥) الطبري ١٦/١١٤ (١٩٣٢٣، ١٩٣٢٤، ١٩٣٢٥) ابن كثير ٤/٣١٧ البحر المحيط ٥/٣١١ البغوي ٢/٤٢٨ القرطبي ٨/٣٤٢٦ الرازي ١٨/ ـ ١١٧، فتح القدير ٣/٢٩.

(٦) الطبري ١٦/١١٣ البغوي ٢/٤٢٨ فتح القدير ٢/٢٩.

(٧) أخرجه الطبري في التفسير بإسناد ضعيف جداً ١٦/١١٢. وأخرجه الطبراني كذا في المجمع ٧/٤٢، وقال فيه إبراهيم بن يزيد القرشي وهو متروك، وقال الحافظ ابن كثير بعد إيراده له ٤/٣١٧: وهذا الحديث ضعيف جداً، لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الخوزي أضعف منه أيضاً، وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلاً عن كل منهما وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن.

(٨) الطبري ١٦/١١٢ (١٩٣١٣)، الرازي ١٨/١١٧، القرطبي ٨/٣٤٢٥.

يوسف: وهو في ذلك عني راض؟ قال نعم قال: إذن لا أبالي [(١)].

قوله: ﴿**وقال الملك إني أرى سبع بقراتٍ**﴾ الآية قال المفسرون[(٢)]: «لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان وسبعاً عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منهن شيئاً ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبت عليها فجمع الملك الكهنة وقصها عليهم» فذلك قوله: ﴿**يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي**﴾ والعجاف ضد السمان وأحدها أعجف وعجفاء والعجف ذهاب السمن[(٣)] فمعنى العجاف الهزلى التي لا لحم عليها وقوله: ﴿**إن كنتم للرؤيا تعبرون**﴾ يقال: عبرت الرؤيا أعبرها عبراً وعبارة وعبرتها تعبيراً إذا فسرتها ﴿**قالوا أضغاث أحلامٍ**﴾ أي: أحلام مختلطة لا تأويل لها قال أبو عبيدة[(٤)]: «ونراه مأخوذاً من الحشيش الذي يجمع، ويقبض عليه بالكف فيقال له: ضغث» **وقال** الكلبي[(٥)]: «أباطيل أحلام» **وقال** قتادة[(٦)]: أخلاط أحلام قال ابن الأنباري[(٧)]: إنهم قالوا هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها ﴿**وما نحن بتأويل الأحلام**﴾ التي هذا وصفها ﴿**بعالمين**﴾ إذ كنا نعلم تأويل ما يصح، وهذا معنى قول أكثر المفسرين واختيار الزجاج قال: «إنهم قالوا له رؤياك هذه أخلاط وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل»[(٨)] قال الكلبي[(٩)]: «لما سأل الملك عن رؤياه جثا الساقي بين يديه بعد انقضاء جواب الملأ فقال للملك: إني قصصت أنا والخباز على رجل في السجن منامين فخبرنا بتأويلهما فصدق في جميع ما وصف ولم يسقط من تأويله شيء فإن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا» فذلك قوله: ﴿**وقال الذي نجا منهما**﴾ يعني الساقي ﴿**وادكر بعد أمةٍ**﴾ أي: تذكر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والأمة زمان من الدهر طويل[(١٠)] قال عطاء عن ابن عباس: «بعد سنين[(١١)]» وقوله: ﴿**أنا أنبئكم بتأويله**﴾ أي: أنا أخبركم به ﴿**فأرسلون**﴾ فأرسل فأتى يوسف فقال:

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ

---

(١) والحديث ذكره البغوي أيضاً ٤٢٨/٢ والحديث ذكره القرطبي في التفسير ٣٤٢٤/٨.

(٢) القرطبي ٣٤٢٧/٨.

(٣) قال الليث: العجف ذهاب السمن، والفعل عجف يعجف، والذكر أعجف والأنثى عجفاء، والجمع عجاف في الذكران والإناث. وليس في كلام العرب أفعل وفعلاء جمعاً على فعال غير أعجب وعجاف وهي شاذة حملوها على لفظ سمان، فقالوا: سمان وعجاف لأنهما نقيضان. ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. انظر اللسان (٢٨٢٠/٤)، وانظر الرازي (١١٨/١٨).

(٤) مجاز القرآن ٣١٢/٢ القرطبي ٣٤٢٩/٨، الطبري ١١٧/١٦، الرازي ١١٨/١٨ البغوي ٤٢٩/٢.

(٥) الطبري ١١٩/١٦.

(٦) القرطبي ٣٤٢٩/٨، الرازي ١١٨/١٨، ابن كثير ٣١٧/٤، البغوي ٤٢٩/٢، الطبري ١١٧/١٦، البحر المحيط ٣١٣/٥.

(٧) الطبري ١١٨/٨ ـ ١١٩، فتح القدير ٣٢/٣.

(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ١١٣/٣.

(٩) البغوي ٤٢٨/٢.

(١٠) الطبري ١٢٠/١٦ ابن كثير ٣١٨/٤ القرطبي ٣٤٣٠/٨ فتح القدير ٨٢/٣ الرازي ١١٩/١٨ البغوي ٤٢٩/٢.

(١١) البغوي ٤٢٩/٢ فتح القدير ٣٢/٣.

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿يوسف﴾ يعني يا يوسف ﴿أيها الصديق﴾ الكثير الصدق فيما يخبر به وما بعد هذا ظاهر إلى قوله تعالى: ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ يعني الملك وأصحابه، والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه ﴿لعلهم يعلمون﴾ كي يعرفوا ذلك، وقيل: لعلهم يعلمون فضلك وعلمك قال له يوسف: أما السبع بقرات السمان فإنهم سبع سنين مخصبات وذوات نعمة وأنتم تزرعون فيها وهو قوله: ﴿قال تزرعون﴾ أي فازرعوا ﴿سبع سنين دأباً﴾ قال ابن عباس(١): متوالية والدأب استمرار الشيء على عادة وهو دائب يفعل كذا أي: استمر في فعله، وقد دأب يدأب دأباً ودأباً والمعنى زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم ﴿فما حصدتم﴾ مما زرعتم ﴿فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون﴾ يعني ما أردتم أكله فدوسوه ودعوا الباقي في السنبل، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ يعني سبع سنين مجدبات والشداد الصعاب التي تشتد على الناس، ﴿يأكلن﴾ يذهبن ويفنين ﴿ما قدمتم لهن﴾ في السنين المخصبة ﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾ تحرزون وتدخرون والإحصان إحراز الشيء. قوله: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام﴾ الآية قال قتادة(٢): «زاده الله علم عام لم يسألوه عنه» وقوله ﴿فيه يغاث الناس﴾ يقال: غاث الله البلاد يغيثها غيثاً، إذا أنزل بها الغيث ومعنى يغاث الناس: يمطرون ويسقون الغيث ﴿وفيه يعصرون﴾ من السمسم دهناً ومن العنب عصيراً، ومن الزيتون زيتاً للخصب الذي آتاهم كما كانوا يعصرون أيام الخصب فلما رجع الرسول إلى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف عرف الملك أن ذلك التأويل صحيح فقال ائتوني الذي عبر رؤياي فهو قوله:

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾

﴿وقال الملك ائتوني به﴾ فجاء الرسول يوسف قال له: أجب الملك فأبى أن يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قذف به فقال للرسول: ﴿ارجع إلى ربك﴾ يعني الملك ﴿فاسأله ما بال النسوة﴾ ما حالهن وشأنهن؟ والمعنى فاسأل الملك أن يتعرف ويسأل ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي قال المفسرون(٣): «أشفق يوسف من أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره متهم بفاحشة فأحب أن يراه بعد أن يزول عن قلبه ما كان فيه».

وقد استحسن رسول الله ﷺ حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر وهو ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك الآية ولو كنت مكانه ولبثت في السجن طول ما لبث لأسرعت الإجابة، وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر، إن كان لحليما ذا أناة(٤)».

أخبرنا أبو إبراهيم بن أبي القاسم المزكي أنا أبو عمرو بن مطر نا محمود بن محمد الواسطي نا وهب بن بقية أنا

---

(١) البغوي ٢/٤٢٩ ابن كثير ٤/٣١٨ القرطبي ٨/٣٤٣٢, البحر المحيط ٥/٣١٥.

(٢) البغوي ٢/٣٤٠ ابن كثير ٤/٣١٨، فتح القدير ٣/٣٣، الطبري ١٦/١٣٠، القرطبي ٨/٣٤٣٣، الرازي ١٨/١٢٠.

(٣) انظر إلى أدب النبوة العالي المقتطف أثره من السماء لم يصرح يوسف عليه السلام بذكره امرأة العزيز أدباً واحتراماً، وهذا معنى قول الزجاج الآتي وانظر البغوي ٢/٤٣٠، البحر المحيط ٥/٣١٧، القرطبي ٨/٣٤٣٦، الرازي ١٨/١٢٣، فتح القدير ٣/٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦/٤٧٣ في كتاب الأنبياء باب قوله (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ٣٣٧٢ وأخرجه مسلم ١/١٣٣ في كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب ١٣٨/١٥١، وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٧٣ في كتاب التفسير سورة يوسف ٣١١٦.

خالد بن عبد الله عن محمد بن عمرو بن مطر عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ولو لبثت في السجن مثل ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبت[1]».

قال الزجاج[2]: «ولم يفرد يوسف امرأة العزيز لحسن عشرة منه وأدب فخلطها بالنسوة وقوله: ﴿**إن ربي بكيدهن عليم**﴾ أي أنه عالم بذلك وقادر على إظهار براءتي» قال المفسرون[3]: «فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز فقال:

قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿**ما خطبكن**﴾ ما شأنكن وقصتكن ﴿**إذ راودتن يوسف عن نفسه**﴾ قال ابن الأنباري[4]: «جمعهن في السؤال ليعلم عين المراودة» ﴿**قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء**﴾ من زنا أعلمنه براءة يوسف من الزنا فقالت ﴿**امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه**﴾ أي ظهر وتبين ووضح وانكشف قال الفراء: «لما دعا النسوة فبرّأنه قالت لم يبق إلا أن يقبل علي بالتقرير فأقرت[5] فذلك قولها: ﴿**الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾ في قوله: ﴿**هي راودتني عن نفسي**﴾ فقال يوسف: ﴿**ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب**﴾ يقول ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك إليه في شأن النسوة ليعلم العزيز أني لم أخنه في زوجته بالغيب ﴿**وأن الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾ لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يتضح في العاقبة بحرمان الهداية ولما قال يوسف ذلك: ﴿**ليعلم أني لم أخنه بالغيب**﴾ قال له جبريل عليه السلام: ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف ﴿**وما أبرىء نفسي**﴾ قال ابن عباس[6]: «وما أزكي نفسي خاف على نفسه التزكية وتزكية النفس مما يذم وينهى عنه» ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ بالقبيح وما لا يحب الله وذلك لكثرة ما تشتهيه وتنازع إليه﴿**إلا ما رحم**﴾ أي من رحم ﴿**ربي**﴾ فعصمه مما تدعوه إليه نفسه من القبيح، وما: يقع بمعنى من قوله ﴿**ما طاب لكم**﴾ ولما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وعلمه وعقله قال:

---

(١) أخرجه البخاري ٦/٤٨١ في كتاب الأنبياء باب قوله لقد كان في يوسف ٣٣٨٧ وأحمد في المسند ٢/٩٦ وأخرجه الخطيب ٣/٤٢٦.

وقوله: (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) أي: لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن، ولما قدمت طلب البراءة فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعاً، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالاً، وقيل: هو من جنس قوله «لا تفضلوني على يونس» وقد قيل: إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع. انظر الفتح ٦/٤٧٦.

(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١١٥.

(٣) البغوي ٢/٤٣٠، البحر المحيط ٥/٣١٧، القرطبي ٨/٣٤٣٦.

(٤) الرازي ١٨/١٢٢، وانظر القرطبي ٨/٣٤٣٦.

(٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٨.

(٦) الرازي ١٨/١٢٥، القرطبي ٨/٣٤٣٩، البغوي ٢/٤٣١، فتح القدير ٣/٣٤.

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لي لا يشركني فيه أحد **﴿فلما كلمه﴾** قال الكلبي[١]: لما صار يوسف إلى الملك وكان في ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك حدثا شاباً قال للساقي: أهذا يعلم من تأويل رؤياي ما لم يعلمه السحرة ولا الكهنة؟ قال: نعم فأقبل على يوسف وقال إني أحب أن أسمع تأويل رؤياي منك شفاها فأجابه يوسف بما شفاه وشهد قلبه بصحته فعند ذلك **﴿قال﴾** له الملك **﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾** قال ابن عباس[٢]: «يريد مكنتك في ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وائتمنتك فيه» وقال الزجاج[٣]: «أي قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما قذفت به» ولما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق؟ قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعاً كثيراً وتبني الأهرام وتجمع فيها الطعام ليأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك لحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك فقال الملك ومن لي بهذا؟ ومن يجمعه؟ ويكفي الشغل فيه فقال يوسف: **﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾** يعني أرض مصر **﴿إني حفيظ﴾** لما وليت **﴿عليم﴾** بأمره قاله قتادة[٤] وقال السدي[٥]: «حفيظ للحساب عالم بالألسن» وذلك أن الناس كانوا يفدون على الملك من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة، فقال له الملك ومن أحق به منك؟ فولاه ذلك كله.

أخبرنا الأستاذ أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الثقفي نا مخلد بن جعفر[٦] نا الحسن بن علويه[٧] نا إسماعيل بن عيسى[٨] نا إسحاق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لولاه من ساعته، ولكنه أخر ذلك عنه سنة[٩]».

---

(١) وفي البغوي ابن ثمانين سنة ٢/٤٣١.

(٢) انظر فتح القدير ٣/٣٥.

(٣) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١١٦.

(٤) الطبري ١٦/١٤٩ (١٩٤٥٦) القرطبي ٨/٣٤٤٢.

(٥) البغوي ٢/٤٣٢ البحر المحيط ٥/٣١٩، والطبري عن الأشجعي (١٩٤٥٨) القرطبي ٨/٣٤٤٠.

(٦) مخلد بن جعفر الباقرجي. سمع يوسف القاضي ومحمد بن يحيى المروزي. وعنه أبو نعيم ومحمد بن العلاف وجماعة. قال أحمد بن علي: ثقة صحيح السماع إلا أنه لم يكن يعرف شيئاً من الحديث. وقال أبو نعيم: بلغنا أنه خلط بعد خروجنا من بغداد. وقال الخطيب: حدثت عن أبي الحسن بن الفرات قال كان مخلد بن جعفر أصوله صحيحة، ثم إن ابنه حمله في آخر عمره على ادعاء أشياء منها المغازي عن المروزي، والمبتدأ عن ابن علويه القطان وتاريخ الطبري الكبير مات سنة تسع وستين وثلثمائة وقد قارب التسعين. الميزان (٤/٨٢).

(٧) الحسن بن علويه ثقة انظر معجم الثقات ٣٦، تنقيح المقال ١/٣٨٩.

(٨) إسماعيل بن عيسى البغدادي العطار. ضعفه الأزدي، وصححه غيره، وهو الذي يروي المبتدأ عن أبي حذيفة البخاري. وثقه الخطيب، ومات سنة (٢٣٢). انظر ميزان الاعتدال (١/٢٤٥).

(٩) أخرجه الطبري عن ابن إسحاق ١٦/١٥١ (١٩٤٥٩)، وأخرجه الثعلبي كما في تخريج الكشاف للحافظ ابن حجر، وقال إسناده ساقط ٩٠ وأخرجه البغوي في التفسير ٤٣٢، وذكره الرازي ٨/١٢٨، وابن كثير ٤/٣٢١، والقرطبي عن الثعلبي ٨/٣٤٤٧، وأبو حيان في البحر ٥/٣٢٠.

قال أصحاب الأخبار[١]: فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرفت السنة من يوم أن سأل الإمارة دعاه الملك وتوجه ورداه بسيفه وأمر له بسرير من ذهب وضرب عليه كلة[٢] من إستبرق مكللة بالدر والياقوت ثم أمره أن يخرج فخرج متوجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لونه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ولزم الملك بيته وفوض أمره إليه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين فقالت: أيها الصديق لا تلمني فإني كنت امرأة حسناء ناعمة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في صورتك فغلبتني نفسي، فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء، فأصابها فولدت له ابنين أفرايم وميشا ابني يوسف واستوثق ليوسف ملك مصر.

فذلك قوله: ﴿**وكذلك مكنا ليوسف**﴾ أي ومثل ذلك الإنعام الذي أنعمنا عليه أقدرنا يوسف على ما يريد في الأرض أرض مصر ﴿**يتبوأ منها حيث يشاء**﴾ هذا تفسير التمكين وقرأ «ابن كثير (تشاء)[٣] بالنون وذلك أن مشيئة يوسف لما كانت بمشيئة الله وإقداره عليها جاز أن ينسب إلى الله تعالى وإن كان في المعنى ليوسف ﴿**نصيب برحمتنا من نشاء**﴾ قال ابن عباس[٤]: «أتفضل على من أشاء برحمتي» ﴿**ولا نضيع أجر المحسنين**﴾ ثواب الموحدين ﴿**ولأجر الآخرة خير للذين ءامنوا**﴾ أي ما يعطي الله تعالى من ثواب الآخرة خير للذين آمنوا أي خير مما يعطي الله المؤمنين في الدنيا، والمعنى أن ما يعطي الله يوسف في الآخرة خير مما أعطاه في الدنيا، وكذلك غيره ممن يسلك طريقه في الصبر على المكاره وقال أصحاب الأخبار[٥]: لما اطمأن يوسف في ملكه، وخلت السنون المخصبة، ودخلت سنو الجدب، جاءت بهول لم يعهد الناس مثله، وأصاب الناس الجوع، ولما كان بدو القحط بينما الملك نائم، أصابه الجوع في نصف الليل فهتف الملك: يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف: هذا أوان القحط، وكان يوسف لا يمتلىء شبعاً من الطعام في تلك الأيام فقيل له: أتجوع وبيدك خزائن الأرض فقال: أخاف إن شبعت أنسى الجائع وقصد الناس مصر يمتارون وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر للميرة وأمسك بنيامين عنده فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكروه فذلك قوله:

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ

---

(١) ونسب ذلك البغوي لابن عباس ٢/٤٣٢، وهو من الروايات الباطلة التي تنسب إلى ابن عباس زوراً وبهتاناً.
(٢) الكلة والكلّ الستر الرقيق.
(٣) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٤٩، البغوي ٢/٤٣٣.
(٤) انظر القرطبي ٨/٣٤٤٨.
(٥) انظر تاريخ الطبري ١/٤٨٣، والبغوي ٢/٤٣٣، ابن كثير ٤/٣٢٢ البحر المحيط ٥/٣٢٠، القرطبي ٨/٣٤٤٩.

مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾

﴿**وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون**﴾ قال ابن عباس[١]: «كان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه» وقال الكلبي[٢]: «إنه كان متزيناً بزي فرعون مصر عليه ثياب حرير جالساً على حرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فلذلك لم يعرفوه» وقال عطاء[٣]: «لم يثبتوه وعليه تاج الملك وحجاب الملك وعلى هذا إنما لم يعرفوه لأنهم رأوه من وراء ستر» وقال السدي[٤]: «لما نظر إليهم يوسف قال لهم: أخبروني ما أمركم؟ قالوا: نحن قوم من أرض الشام جئنا نمتار طعاماً قال: كم أنتم؟ قالوا: عشرة قال: أخبروني خبركم قالوا: إنا إخوة بنو رجل صديق وإنا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا معنا إلى البرية فهلك فيها، وكان أحبنا إلى أبينا قال: فإلى من سكن أبوكم بعده؟ قالوا إلى أخ لنا أصغر منه» فذلك قوله ﴿**ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم**﴾ يقال: جهزت القوم تجهيزاً إذا هيأت لهم جهازهم للسفر وما يحتاجون إليه قال المفسرون[٥]: «حمل لكل رجل منهم بعيراً» ﴿**ألا ترون أني أوفي الكيل**﴾ أتمه ولا أبخسه ﴿**وأنا خير المنزلين**﴾ خير المضيفين قال الزجاج: «لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم»[٦] ثم أوعدهم على ترك الإتيان بالأخ بمنع الطعام وهو قوله: ﴿**فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون**﴾ لا تقربوا بابي ولا بلادي ﴿**قالوا سنراود عنه أباه**﴾ نطلب منه ونسأله أن يرسله معنا ﴿**وإنا لفاعلون**﴾ لضامنون لك المجيء به ﴿**وقال**﴾ يوسف «لفتيته» قال ابن عباس[٧]: «لغلمانه» وقرىء لفتيانه[٨] قال الزجاج[٩]: «الفتيان والفتية في هذا الموضع المماليك» ﴿**اجعلوا بضاعتهم في رحالهم**﴾ وقال عطاء[١٠]: «يريد الدراهم والدنانير التي جاءوا بها» ﴿**في رحالهم**﴾ في أوعيتهم والرحل كل شيء معد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحلس[١١] ورسن[١٢] وقال الضحاك عن ابن عباس: «كانت بضاعتهم النعال والأدم»[١٣] وإنما أمر يوسف بوضع بضاعتهم في رحالهم لأنهم متى فتحوا أوعيتهم فوجدوا بضاعتهم علموا كرم يوسف وسخاءه فيبعثهم على العود إليه، وقال الكلبي[١٤]: «لخوف ألا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى» وقيل: رأى لو ما أخذه ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إلى الطعام وقال الفراء[١٥] «لأنهم إذا رأوا بضاعتهم في رحالهم ردوها على يوسف ولم يستحلوا إمساكها ويرجعون» وذلك قوله: ﴿**لعلهم يعرفونها**﴾ لكي يعرفوا بضاعتهم ﴿**إذا انقلبوا**﴾ انصرفوا ﴿**إلى أهلهم لعلهم يرجعون**﴾ لكي يرجعوا إلينا ﴿**فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا**﴾ إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته وقالوا: ﴿**منع منا الكيل**﴾ أي فيما يستقبل إن لم نأته بأخينا لقوله:

---

(١) البغوي ٢/٤٣٤، القرطبي ٨/٣٤٤٩.
(٢) البغوي ٢/٤٣٤، القرطبي ٨/٣٤٤٩.
(٣) البغوي ٢/٤٣٠٤.
(٤) البغوي ٢/٤٣٤ ـ ٤٣٥، ابن كثير ٤/٣٢٢
(٥) الرازي ١٨/١٣٣، البغوي ٢/٤٣٥، الطبري ١٦/١٥٤.
(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١١٧، البغوي ٢/٤٣٥.
(٧) الطبري ١٦/١٥٦، البغوي ٢/٤٣٥، ابن كثير ٤/٣٢٣.
(٨) انظر النشر ٢/٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٥٠، الرازي ١٨/١٣٤، فتح القدير ٣/٣٨، القرطبي ٨/٣٤٥١.
(٩) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١١٧، فتح القدير ٣/٣٨.
(١٠) القرطبي ٨/٣٤٥٢.
(١١) والحلس كل شيء ولي ظهر البعير انظر اللسان ٢/٩٦١.
(١٢) وهو ما كان من الأزِمَّة على الأنف والجمع أرسان وأرسن. لسان العرب ٣/١٦٤٧.
(١٣) البغوي ٢/٤٣٥، القرطبي ٨/٣٤٥٢، فتح القدير ٣/٣٨.
(١٤) الرازي ١٨/١٣٤، البغوي ٢/٤٣٥.
(١٥) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٨.

﴿فلا كيل لكم عندي﴾ ﴿فأرسل معنا أخانا﴾ بنيامين ﴿نكتل﴾ نأخذ الطعام بالكيل وقال الزجاج[١] «أي إن أرسلته أكتلنا وإلا منعنا الكيل» وقرىء بالياء[٢] على معنى يأخذ أخونا بنيامين وقر بعير يكال له ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يصيبه سوء أو مكروه ﴿قال﴾ يعقوب ﴿هل ءامنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ يقول: لا آمنكم على بنيامين إلا كأمني على يوسف يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن وأنهم خانوه فهو وإن أمنهم في هذا خاف خيانتهم أيضاً ثم قال: ﴿فالله خير حافظاً﴾ أي من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم والمعنى: حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ[٣] ﴿حافظاً﴾ فالمعنى: حافظ الله خير من حافظكم لأن الله سبحانه له حفظه فحافظه خير من حافظكم كما أن حفظه خير من حفظكم قال كعب لما قال يعقوب: فالله خير حافظاً قال الله عز وجل: وعزتي لأردن عليك كليهما بعد ما توكلت علي[٤] قوله:

وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ يعني أوعية الطعام ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ التي حملوها لثمن الطعام ﴿ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ ما: إستفهام، والمعنى: أي شيء تريد وقد ردت علينا بضاعتنا؟ ويجوز أن يكون نفياً كأنهم قالوا ما نبغي شيئاً ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ أي لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه بل تكفينا في الرجوع إليه بضاعتنا هذه، وأرادوا بهذا الكلام أن يطيبوا نفس أبيهم على الإذن لهم بالمعاودة وقوله: ﴿ونمير أهلنا﴾ أي نجلب إليهم الطعام، يقال: مار أهله يميرهم ميراً، إذا أتاهم بطعام ﴿ونحفظ أخانا﴾ بنيامين ﴿ونزداد كيل بعير﴾ لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير ﴿ذلك كيل يسير﴾ على هذا الرجل الذي نأتيه، لسخائه وحرصه على البذل ﴿قال﴾ يعقوب لهم لن أرسل بنيامين معكم ﴿حتى تؤتونِ موثقاً من الله﴾ حتى تعطوني عهداً موثوقاً بـه من جهة إشهـاد الله، والقسم به والمعنى: حتى تحلفوا بالله ﴿لتأتنني به﴾ لتردنه إلي ﴿إلا أن يحاط بكم﴾ قال مجاهد: إلا أن تموتوا كلكم[٥] وقال ابن إسحاق: «إلا أن يصيبكم أمر يذهب بكم جميعاً فيكون ذلك عذراً لكم عندي»[٦] والعرب تقول: أحيط بفلان إذا دنا هلاكه ومنه قوله: ﴿وأحيط بثمره﴾[٧] أي أصابه ما أهلكه ﴿فلما ءاتوه موثقهم﴾ فلما أعطوه اليمين والعهد ﴿قال﴾ يعقوب: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس[٨]: «شهيد» وذلك أن الشهيد وكيل بمعنى أنه موكول إليه القيام بما أشهد عليه، ولما تجهز بنوه للمسير قال يعقوب:

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١١٧.

(٢) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٥٠.

(٣) انظر ابن زنجلة، وانظر النشر ٢/٢٩٥، إتحاف فضلاء البشر ٢/١٥٠. البحر المحيط ٥/٣٢٢ - ٣٢٣، الرازي ١٨/١٣٥.

(٤) القرطبي ٨/٣٤٥٣ البغوي ٢/٤٣٧.

(٥) الطبري ١٦/١٦٣ (١٩٤٨٢)، البغوي ٢/٤٣٧، البحر المحيط ٥/٣٢٤ الرازي ١٨/١٣٧، القرطبي ٨/٣٤٥٤، ذكره الشوكاني في الفتح ٣/٤٠، وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٦) أخرجه الطبري ١٦/١٦٤ (١٩٤٨٦).

(٧) سورة الكهف ٤٢.

(٨) الطبري ١٦/١٦٤، الرازي ١٨/١٣٧، البغوي ٢/٤٣٧.

وَقَالَ يَـٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿**يا بني لا تدخلوا**﴾ يعني مصر ﴿**من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبواب متفرقة**﴾ وإنما قال ذلك حذراً من العين عليهم إذ كانت العين حقاً، وكانوا أولي جمال وكمال وأبناء رجل واحد يجتمعون في الحسن والظاهرة والقامات الممتدة، ثم قال: ﴿**وما أغني عنكم من الله من شيءٍ**﴾ يعني أن الله إن شاء أهلكهم متفرقين، والمعنى: لن أدفع عنكم شيئاً قضاه الله ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾ ما الحكم فيما يقضي ويريد إلا لله ثم ذكر أنه متوكل عليه بباقي الآية ﴿**ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم**﴾ كان لمصر أربعة أبواب، فدخلوا من أبوابها كلها كما أمرهم أبوهم ﴿**ما كان يغني عنهم من الله من شيء**﴾ قال ابن عباس[1]: ما كان ذلك ليرد قضاء قضاه الله تعالى يعني أن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين، وهذا تصديق ليعقوب في قوله ﴿**وما أغني عنكم من الله من شيء**﴾ قوله ﴿**إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها**﴾ يعني أن ذلك الدخول من الأبواب المتفرقة قضى حاجة في نفس يعقوب وهي إرادته أن يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم وخوفاً من العين ﴿**وإنه لذو علم**﴾ وإن يعقوب لذويقين ومعرفة بالله ﴿**لما علمناه**﴾ من أجل تعليمنا إياه، مدحه الله بالعلم لقوله ﴿**وما أغني عنكم من الله من شيء**﴾ علم أن الحذر لا ينفع من القدر، وأن المقدور كائن ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ قال ابن عباس: «لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه»[2] ولما أقدموا أخاهم عليه: قالوا له: قد امتثلنا أمرك، وأقدمنا عليك أخانا الذي أحببت حضوره، فأمر صاحب ضيافته أن ينزل كل اثنين منهم في منزل فبقي أخوه منفرداً فأنزله معه فذلك قوله ﴿**ولما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أخاه**﴾ قال الحسن وقتادة: «ضمه إليه وأنزله معه»[3] ولما خلا به، قال له ما اسمك؟ قال: بنيامين، قال: ما اسم أمك؟ قال: راحيل، قال هل لك أخ من أمك؟ قال: كان لي أخ من أمي هلك قال: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال بنيامين: أيها الملك ومن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه و﴿**قال إني أنا أخوك**﴾ يوسف ﴿**فلا تبتئس بما كانوا يعملون**﴾ لا تحزن ولا تغتم بما عملوا من حسدنا، والحرص على صرف وجه أبينا عنا وعلى ما أدخلوا عليك من الحزن بما فعلوا بي فقد جمع الله بيني وبينك وأرجو أن يجمع الله بيننا وبين يعقوب ثم أوفى يوسف لإخوته الكيل وحمل لهم بعيراً بعيراً وحمل لبنيامين بعيراً باسمه، كما حمل لهم وأمر بسقاية الملك فجعل في رحل بنيامين فذلك قوله:

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ

(١) الطبري ١٦/١٦٥، الرازي ١٨/١٣٩، البغوي ٢/٤٣٧، ابن كثير ٤/٣٢٤.

(٢) البغوي ٢/٤٣٨ وانظر تفسير الرازي ١٨/١٤١.

(٣) أخرجه الطبري عن قتادة، ١٦/١٧٠ (١٩٥٠٥) البغوي ٢/٤٣٨ القرطبي ٨/٣٤٥٨، فتح القدير ٣/٤٤.

زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿**فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه**﴾ والسقاية: الصواع الذي كان يشرب فيه الملك قال ابن عباس: «كان قدحاً من زبرجد»[1] وقال ابن زيد: «كان كأساً من ذهب»[2] وقال عكرمة: «كان مشربة من فضة مرصعة بالجواهر»[3] قال أصحاب الأخبار: «لما قال يوسف لبنيامين: إني أنا أخوك قال: فأنا لا أفارقك بعد هذا قال يوسف قد علمت اغتمام الوالد بي وأنا إن حبستك عنه ازداد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع قال: لا أبالي، فافعل ما بدا لك قال: فإني أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك» [4] فذلك قوله : ﴿ **جعل السقاية في رحل أخيه** ﴾ وكان مشربة يشرب منها الملك جعلها يوسف مكيالاً لئلا يكال بغيرها ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى أمعنوا في الطلب ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ﴿**ثم أذن مؤذن**﴾ نادى مناد وأعلم معلم ﴿**أيتها العير**﴾ قال الزجاج: «معناه: يا أصحاب العير وكل ما أشير عليه من الإبل والحمير والبغال فهو عير»[5] ﴿**إنكم لسارقون**﴾ ناداهم المنادي وعنده أنهم قد سرقوا السقايا ولم يعلم أن يوسف أمر بوضعها في رحل أخيه ﴿**قالوا**﴾ يعني أصحاب العير وهم إخوة يوسف ﴿**وأقبلوا**﴾ على أصحاب يوسف ﴿**ماذا تفقدون**﴾ ما الذي فقدتموه من متاعكم ﴿**قالوا نفقد صواع الملك**﴾ قال الزجاج: «الصواع هو الصاع بعينه وهو يذكر ويؤنث وهو السقاية»[6] وقال الحسن: «الصواع والسقاية شيء واحد»[7] ﴿**ولمن جاء به**﴾

---

(١) البغوي ٢/٤٣٩.

(٢) الطبري ١٦/١٧٢ (١٩٥١٩)، والبغوي ٢/٤٣٩، الرازي ١٨/١٤٢، القرطبي ٨/٣٤٥٩، البحر المحيط ٥/٣٢٩، ابن كثير ٢/٣٢٥.

(٣) الطبري ١٦/١٧٢، البحر المحيط ٥/٣٢٩ القرطبي ٨/٣٤٥٨ وابن كثير ٤/٣٢٥ البغوي ٢/٤٣٩، الرازي ١٨/١٤٢.

(٤) القرطبي ٨/٣٤٥٨.

(٥) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٠، فتح القدير ٣/٤٢، الرازي ١٨/١٤٣ القرطبي ٨/٣٤٥٩ البحر المحيط ٥/٣٢٩، البغوي ٢/٤٣٩.

(٦) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٠، فتح القدير ٣/٤٢، القرطبي ٨/٣٤٥٩ البحر المحيط ٥/٣٣٢.

(٧) الطبري ١٦/١٧٢ البغوي ٢/٤٣٩ القرطبي ٨/٣٤٥٨ ذكره الشوكاني في الفتح ٣/٤٤ وعزاه لابن الأنباري في المصاحف وابن أبي حاتم عن أبي عباس ومثله عند ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد كذا في الفتح.

الصواع ﴿حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وأنا به زعيم﴾ كفيل يقول المؤذن وقد ضمن حمل بعير لمن رد إليه الصواع ﴿قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾ حلفوا على علم قوم يوسف لأنهم غير قاصدين لفساد لأنهم كانوا معروفين بـأنهم لا يظلمون أحداً وذلك أنهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم لم يستحلوا أخذها، وبادروا بردها وذلك قوله: ﴿وما كنا سارقين﴾ ومن رد ما وجد كيف يكون سارقاً ﴿قالوا فما جزاؤه﴾ أي: ما جزاء السرق ﴿إن كنتم كاذبين﴾ في قولكم: وما كنا سارقين؟ ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله﴾ قال المفسرون: «كانوا في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته وكان ذلك لهم كالقطع في شرعنا»[١] لذلك ﴿قالوا جزاؤه من وجد في رحله﴾ أي جزاء السرق السارق، وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقوله: ﴿فهو جزاؤه﴾ زيادة في الإبانة ﴿كذلك﴾ مثل ما ذكرنا من الجزاء ﴿نجزي الظالمين﴾ يعني: إذا سرق استرق فقال لهم المؤذن: لا بد من تفتيش أمتعتكم وانصرف بهم إلى يوسف ﴿فبدأ﴾ يوسف في التفتيش ﴿بأوعيتهم قبل وعاء أخيه﴾ لإزالة التهمة ﴿ثم استخرجها﴾ يعني السقاية ﴿من وعاء أخيه﴾ قال المفسرون: «ولما فتش أوعيتهم ولم يبق إلا رحل بنيامين قال يوسف ما أظن هذا أخذ شيئاً فقال إخوته: والله لا نبرح حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فأقبلوا على بنيامين وقالوا إيش الذي صنعت؟ فضحتنا، وسودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم»[٢] وقوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾ أي: دبرنا له بأن ألهمناه أن يجعل السقاية في رحل أخيه ليتوصل به إلى حبسه ﴿ما كان﴾ يوسف ﴿ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ قال ابن عباس وقتادة: في حكم الملك وقضائه[٣] وذلك أن حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس أخيه عنده في حكم الملك لولا ما كاد الله له تلطفاً، حتى وجد السبيل إلى ذلك وهو ما أجرى على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فأقروا به وكان ذلك مراده وهو معنى قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ فكان ذلك بمشيئة الله وقوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ أي: بضروب الإعطاء والكرامات وأبواب العلوم كما رفعنا درجة يوسف ﴿وفوق كل ذي علم﴾ ممن رفعه الله ﴿عليم﴾ قد رفعه الله بالعلم فهو أعلم منه قال ابن عباس: يكون هذا أعلم من هذا وهذا أعلم من هذا حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى[٤] ﴿قالوا﴾ أي: الإخوة ليوسف ﴿إن يسرق﴾ بنيامين الصواع ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ قال ابن عباس: يريدون يوسف وكان يوسف يأخذ الطعام من مائدة أبيه سراً فيتصدق به[٥] وقال سعيد بن جبير وقتادة: «سرق صنماً لجده أبي أمه فكسره وألقاه[٦] وقال محمد بن إسحاق ومجاهد: إن جدته خبأت في ثيابه منطقة كانت لإسحاق يتوارثونها بالكبر لتملكه بالسرق محبة لمقامه عندها[٧] وقوله ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ أي: أسر إجابة

---

(١) الطبري ١٨٢/١٦ البغوي ٤٤٠/٢ ابن كثير ٣٢٦/٤ البحر المحيط ٣٣٣/٥ القرطبي ٣٤٦٣/٨ الرازي ١٤٤/١٨.

(٢) الطبري ١٨٤/١٦ (١٩٥٥٩)، البغوي ٤٤٠/٢، القرطبي ٣٤٦٤/٨، الرازي ١٤٥/١٨، والشوكاني في الفتح ٤٤/٣ وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٣) الطبري ١٨٨/١٦ البغوي ٤٤٠/٢ الرازي ١٤٥/١٨ القرطبي ٣٤٦٧/٨، ابن كثير ٣٢٦/٤ فتح القدير ٤٤/٣.

(٤) القرطبي ٣٤٦٧/٨ البحر المحيط ٣٣٢/٢ الطبري ١٩١/١٦ البغوي ٤٤١/٢.

(٥) البغوي ٤٤١/٢ الرازي ١٤٧/١٨ البحر المحيط ٣٣٣/٥ القرطبي ٣٤٦٨/٨. فتح القدير ٤٧/٣.

(٦) الطبري ١٩٥/١٦، (١٩٦٠٠) البغوي ٤٤١/٢، القرطبي ٣٤٦/٨، البحر المحيط ٣٣٣/٥ الرازي ١٤٧/١٨. أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس كذا في فتح القدير ٤٧/٣، وعزاه من طريق سعيد بن جبير لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وقال وقد روي نحوه عن جماعة من التابعين.

(٧) الرازي ١٤٧/١٨ القرطبي ٣٤٦٩/٨ البحر المحيط ٣٣٣/٥ البغوي ٤٤١/٢.

هذا الكلام وأضمرها في نفسه ولم يظهرها و ﴿**قال**﴾ لهم ﴿**أنتم شر مكاناً**﴾ شر صنيعاً بما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم فأنتم شر مكاناً عند الله منه ﴿**والله أعلم بما تصفون**﴾ قال الزجاج: «أعلم أسرق أخ له أم لا»[(١)] ﴿**قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً**﴾ في السن ﴿**فخذ أحدنا مكانه**﴾ واحداً منا تستعبده بدله ﴿**إنا نراك من المحسنين**﴾ أي: إذا فعلت ذلك فقد أحسنت إلينا ﴿**قال معاذ الله**﴾ اعتصاماً بالله ﴿**أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده**﴾ أي: أستعيذ بالله من أن آخذ بريئاً بسقيم ﴿**إنا إذاً لظالمون**﴾ أن استعبدت غير الذي سرقنا.

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

﴿**فلما استيئسوا منه**﴾ يئس واستيئس واحد مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر وقال ابن عباس[(٢)]: «يئسوا أن يخلى سبيله معهم» ﴿**خلصوا نجياً**﴾ انفردوا من غير أن يكون معهم من ليس منهم والنجي فعيل بمعنى المناجي، يقع على الواحد كقوله تعالى ﴿وقربناه نجياً﴾[(٣)] وعلى الجمع كقوله: ﴿**خلصوا نجياً**﴾ قال الزجاج[(٤)]: «انفردوا وليس معهم أخوهم متناجين فيما يفعلون في ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم» ﴿**قال كبيرهم**﴾ وهو يهوذا في قول عطاء والكلبي وقال مقاتل: «لم يكن أكبرهم سناً ولكن كان أكبرهم في صحة الرأي»[(٥)] وقال مجاهد: «هو شمعون وكان أكبرهم في العقل والعلم»[(٦)] وقال «قتادة» والسدي هو روبيل وكان أكبرهم سناً[(٧)] قال ﴿**ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله**﴾ في حفظ الأخ ورده إليه ﴿**ومن قبل ما فرطتم في يوسف**﴾ ما: لغو[(٨)] معناه ومن قبل هذا ضيعتم يوسف ﴿**فلن أبرح الأرض**﴾ يقال: برح الرجل براحاً إذا تنحى عن موضعه ويريد بالأرض أرض مصر يقول: لن أخرج من أرض مصر ﴿**حتى يأذن لي أبي**﴾ قال ابن عباس[(٩)]: «حتى يبعث لي أبي أن آتيه» ﴿**أو يحكم الله لي**﴾ يقضي في أمري شيئاً ﴿**وهو خير الحاكمين**﴾ أعدلهم

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٣.

(٢) البغوي ٢/٤٤٢ الرازي ١٨/١٤٩ القرطبي ٨/٣٤٧٠ انظر فتح القدير ٢/٤٧.

(٣) سورة مريم ٥٢.

(٤) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٤.

(٥) البغوي ٢/٤٤٢ البحر المحيط ٥/٢٣٥ القرطبي ٨/٣٤٧٠ الرازي ١٨٧/١٥٠ فتح القدير ٢/٤٧.

(٦) البغوي ٢/٤٤٢ البحر المحيط ٥٤/٢٣٥ القرطبي ٨/٣٤٧٠ فتح القدير ٢/٤٧.

(٧) البغوي ٢/٤٤٢ الطبري ١٦/٢٠٦ (١٩٦٢٥) البحر المحيط ٥/٢٣٥ الرازي ١٨/١٥٠ القرطبي ٨/٣٤٧٠ فتح القدير ٢/٤٧.

(٨) وتعبير الواحدي أسوأ تعبير رأيناه من خلال تحقيقنا لهذا الكتاب فتعالى الله عما يقول علوا كبيراً وحاشا أن يكون في كلامه لغو فأولى له أن يقول إن ما زائدة وإن كان هذا فيه تجوز في التعبير لأن ليس في كلام الله زائد وتوجيه ذلك من وجوه الأول أن يكون أصله من قبل هذا فرطتم في شأن يوسف عليه السلام ولم تحفظوا عهد أبيكم. الثاني: أن تكون مصدرية ومحل الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو من قبل. ومعناه وقع من قبل تفريطكم في يوسف. الثالث: النصب عطفاً على مفعول (ألم تعلموا) والتقدير: ألم تعلموا أخذ أبيكم موثقكم وتفريطكم من قبل في يوسف. الرابع: أن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة، ومحله الرفع والنصب على الوجهين المذكورين.

(٩) الطبري ١٦/٢٠٨ ابن كثير ٤/٣٢٨ القرطبي ٨/٣٤٧١.

وأفضلهم ﴿ارجعوا﴾ أنتم ﴿إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك﴾ بنيامين ﴿سرق﴾ صواع الملك ﴿وما شهدنا﴾ بأنه سرق ﴿إلا بما علمنا﴾ لأنه وجد المسروق في رحله ونحن ننظر ﴿وما كنا للغيب حافظين﴾ قال ابن عباس [١] : «لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره» والمعنى: ما كنا لغيب ابنك حافظين أي: إنا كنا نحفظه في محضره فإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا وقال مجاهد وقتادة والحسن: «ما كنا نشعر أن ابنك سيسرق ويصير الأمر إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به»[٢] وقال ابن إسحاق: «معناه: قد أخذت السرقة من رحله ونحن ننظر ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرقوه»[٣] قوله: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾ أي: قولوا لأبيكم سل أهل القرية ليتبين لك صدقنا ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ يعني أهل الرفقة التي كنا فيها وهم الذين امتاروا معهم، وكان قد صحبهم قوم من الكنعانيين ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما قلنا ثم رجعوا إلى يعقوب وقالوا ما لقنهم كبيرهم فقال يعقوب:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ قال ابن الأنباري: «يعني خروجهم وبأخيهم بنيامين إلى مصر رجاء منفعة فعاد من ذلك شر وضرر»[٤]، وقال غيره معنى قوله ها هنا سولت لكم أنفسكم أمراً: خيلت لكم أنفسكم أنه سرق وما سرق[٥].

أخبرنا أبو عبد الرحمن بن أبي حامد العدل أنا محمد بن عبد الله الضبي أنا أبو بكر بن أبي نصر الداربردي نا محمد بن إبراهيم بن سعيد نا سليمان بن منصور بن عمار[٦] حدثني أبي نا يوسف بن صباح الفزاري عن عبد الله بن يونس بن أبي فروة قال: «لما كان من الأخوة ما كان كتب يعقوب إلى يوسف وهو لا يعلم أنه يوسف بن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بالبلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه وألقي في النار فجعلها الله برداً وسلاماً وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إليّ فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت

---

(١) البغوي ٢/٤٤٣.

(٢) البغوي ٢/٤٤٣ الطبري ١٦/٢١٠ ـ ٢١١ ابن كثير ٤/٣٢٨ البحر المحيط ٥/٣٣٧ فتح القدير ٢/٤٧.

(٣) الطبري ١٦/٢١٠ (١٩٦٣٠٢) زاد المسير ٤/٢٦٨، البحر المحيط ٥/٣٣٧.

(٤) زاد المسير ٤/٢٦٩ البغوي ٢/٤٤٣ الرازي ١٨/١٥٣ فتح القدير ٣/٤٧.

(٥) زاد المسير ٤/٢٦٩ القرطبي ٨/٣٤٧٥ الرازي ١٨/١٥٣ فتح القدير ٣/٤٧.

(٦) سليمان بن منصور البلخي أبو الحسن. ويقال أبو هلال بن أبي هلال الدهني البزار. روى عن أبي الأحوص وابن عيينة ومسلم بن خالد وعبد الجبار بن الورد وابن المبارك وغيرهم. روى عنه النسائي وأحمد بن علي الأبّار، ومحمد بن علي الترمذي الحكيم. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال مستقيم الحديث وقال غيره: مات سنة أربعين ومائتين. قلت: وقال النسائي لا بأس به. انظر التهذيب ٤/٢٢١ ـ ٢٢٢، وانظر الكاشف ١/٤٠٠.

عيناي ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمة وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وإنك حبسته لذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته إليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره»[١].

وقوله: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ يعني يوسف وبنيامين والذي قال: فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي ﴿إنه هو العليم﴾ بشدة حزني ﴿الحكيم﴾ فيما حكم علي بهذا الحزن وعظم المصيبة بابن بعد ابن، قوله: ﴿وتولى عنهم﴾ قال ابن عباس[٢]: أعرض عنهم وذلك أنه لما بلغه خبر حبس بنيامين تنامى حزنه وبلغ الجهد وهاج ذلك وجده بيوسف لأنه كان يتسلى به فعند ذلك أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ قال ابن عباس[٣]: «يا طول حزني على يوسف».

أخبرني أبو عمرو محمد بن عبد العزيز المروزي في كتابه أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا أبو يزيد محمد بن يحيى أنا إسحاق بن إبراهيم أنا محمد بن عبيد عن سفيان بن زياد العصفري[٤] قال: سمعت سعيد بن جبير يقول لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[٥] ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب إذ يقول: يا أسفى على يوسف وقوله ﴿وابيضت عيناه﴾ أي انقلبت إلى حال البياض قال مقاتل[٦]: «لم يبصر بها ست سنين حتى كشفه الله بقميص يوسف» وقوله: ﴿من الحزن﴾ قال ابن عباس: «من البكاء يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه والحزن لما كان سبباً للبكاء سمي البكاء حزناً[٧]».

أخبرنا أبو منصور بن أبي نصر المذكر أنا أبو سعيد بن نصير الصوفي أنا محمد بن أيوب أنا أبو غسان نا جرير عن ليث عن ثابت البناني قال: دخل جبريل على يوسف فقال: أيها الملك الطيب ريحه الطاهر ثيابه الكريم على ربه، هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم: قال: ما فعل؟ قال: ابيضت عيناه قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد عند الله[٨].

أخبرنا أبو بكر التميمي أنا أبو الشيخ الحافظ نا أبو يحيى الرازي نا سهل بن عثمان نا ابن إدريس عن هشام عن الحسن قال: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة وما جفت عينه وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره[٩].

وقوله: ﴿فهو كظيم﴾ الكظيم ها هنا بمعنى الكاظم وهو المدسك على حزنه فلا يظهره ولا يشكوه قال قتادة: «فلا يقول بأساً»[١٠] وقال ابن عباس: «مغموم مكروب»[١١] وقال الزجاج محزون[١٢] ﴿قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾ يقال:

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤/ ٣٣٠ لا يصح والذبيح هو إسحاق كما قررنا ذلك في أكثر من موضع. وقد ذكره البغوي ٢/ ٤٤٥.
(٢) البغوي ٢/ ٤٤٤، الطبري١٦/ ٢١٤ـ ٢١٥ القرطبي ٨/ ٣٤٧٦ الرازي ١٨/ ١٥٤.
(٣) البغوي ٢/ ٤٤٤، وانظر الرازي ١٨/ ١٥٤.
(٤) سفيان بن زياد العُصْفري أبو الورقاء عن عكرمة وجماعة وعنه يعلى ومحمد ابنا عبيد ثقة. انظر ميزان الاعتدال (٢/ ١٦٩).
(٥) سورة البقرة ١٥٦ والأثر عند الطبري ١٦/ ٢١٧ (١٩٦٥٨) القرطبي ٨/ ٣٤٧٧ الرازي ١٨/ ١٥٥.
(٦) القرطبي ٨/ ٣٤٧٧ البغوي ٢/ ٤٤٤.
(٧) القرطبي ٨/ ٣٤٧٧ الرازي ١٨/ ١٥٦.
(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ١٦/ ٢٣٠ (١٩٢٧٨) وابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٧١ والبغوي في التفسير ٥/ ٤٤٥.
(٩) أخرجه الطبري ١٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ (١٩٧٣٣) والبغوي ٢/ ٤٤٤.
(١٠) الطبري ١٦/ ٢١٨ (١٩٦٧٠).
(١١) الطبري ١٦/ ٢١٨ (١٩٦٧٢) القرطبي ٨/ ٣٤٧٨ فتح القدير ٣/ ٤٨ ـ ٥٠.
(١٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/ ١٢٥.

ما زلت أفعل كذا وما فتئت أفعله أفتؤ فتأ وحرف النفي ها هنا مضمر على معنى: ما تفتؤ ولا تفتؤ قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة: «لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضاً»[١] وقال «الفراء»: يقال رجل حرض وحارض وهو الفاسد في جسمه وعقله[٢] وقال الأصمعي: «الحرض الهالك»[٣] قال ابن عباس: «حتى تكون كالشيخ الفاني»[٤] وقال الضحاك[٥]: «كالشن البالي» ﴿أو تكون من الهالكين﴾ قال قتادة: «من الميتين» والمعنى أنهم قالوا لأبيهم: لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت بالغم، فلما رأى غلظتهم وعنفهم به ﴿قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ لا إليكم.[٦]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم الأصفهاني نا سليمان بن أحمد الطبراني نا محمد بن أحمد بن محمد الباهلي [٧] نا وهب بن بقية نا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية [٨] عن حصين بن عمر الأحمسي [٩] عن أبي الزبير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك؟ وما الذي قوس ظهرك؟ قال: أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكو إلى غيري؟ فقال يعقوب: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقال جبريل: الله أعلم بما تشكو يا يعقوب ثم قال يعقوب: أي رب أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري وقوست ظهري فاردد عليّ ريحانتي أشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بي يا رب ما شئت فأتاه جبريل فقال: يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك، اصنع طعاماً للمساكين فإن أحب عبادي إليّ المساكين وتدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا؟ لأنكم ذبحتم شاة فأتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغدّ مع يعقوب وإذا كان صائماً أمر منادياً فنادى من كان صائماً فليفطر مع يعقوب» رواه الحاكم في صحيحه[١٠] عن أبي الوليد الفقيه عن هشام بن بشر عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن عبد الملك.

---

(١) الطبري ٢٢٢/١٦ (١٩٦٨٣) (١٩٦٨٤) القرطبي ٢٤٧٩/٨ البغوي ٤٤٤/٢ الرازي ١٥٧/١٨ فتح القدير ٤٩/٣.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٥٤/٢ القرطبي ٣٤٨٩/٨.

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري ٢٠٤/٤.

(٤) بنحوه عند الطبري ٢٢٣/١٦.

(٥) أخرجه الطبري ٢٢٣/١٦ (١٩٦٩٥) فتح القدير ٥٠/٣.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢٤/١٦ (١٩٧٠٢) القرطبي ٣٤٨٠/٨ البغوي ٤٤٤/٢ الرازي ١٥٧/١٨.

(٧) الباهلي: بفتح الباء المنقوطة بواحدة وكسر الهاء واللام. هذه النسبة إلى باهلة وهي باهلة بن أعصر، وكان العرب يستنكفون من الانتساب إلى باهلة، كأنها ليست فيما بينهم من الأشراف حتى قال قائلهم:

وما ينفع الأصل من هاشم ... إذا كانت النفس من باهله

انظر الأنساب ٢٧٥/١٧.

(٨) يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبي غنية الخزاعي أبو زكرياء الكوفي أصله من أصبهان. قال عبد الله بن أحمد عن أبيه كان شيخاً ثقة له هيبة رجلاً صالحاً، وقال عثمان الدارمي عن ابن معين ثقة، وقال العجلي ثقة رجل صالح حدثني أبي قال قيل ليحيى بن عبد الملك دواء عينيك ترك البكاء قال فما خيرهما إذاً. قال أبو داود ثقة، وقال النسائي: ليس به بأس وذكره ابن حبان في الثقات. قال الواقدي مات سنة ست أو سبع وثمانين ومائة قال مطين مات سنة ثمان وثمانين. انظر التهذيب (٢٥٢/١١).

(٩) حصين بن عمر الأحمسي الكوفي متروك انظر التقريب ١٨٣/١، التهذيب ٣٨٥/٢.

(١٠) أخرجه الحاكم ٣٨٤/٢ في كتاب التفسير سورة يوسف وقال إن كان الأول هو حفص بن عمر بن عبد الله فالحديث صحيح. وذكره=

وقال حبيب بن أبي ثابت[1]: إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه: قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى؟ قال: طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله إليه: يا يعقوب تشكوني إلى خلقي فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي قال: غفرت لك فكان بعد ذلك إذا سئل قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقال وهب بن منبه: «أوحى الله إلى يعقوب أتدري لما عاقبت وحبست يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا قال: لأنك شويت وقترت[2] على جارك وأكملت ولم تطعمه» ويقال: إن سبب ابتلاء يعقوب أنه كانت له بقرة ولها عجل فذبح عجلها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه الله به وابتلاه بأعز ولده والبث أشد الحزن وهو ما يبديه الإنسان ويظهره لأنه إذ اشتد لم يصبر على كتمانه حتى يبثه من قولهم: بث الحديث إذا نشره.

وقوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾أنتم قال الكلبي: وذلك أن ملك الموت أتاه فقال له: يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف فيما قبضت من الأرواح؟ قال: لا يا نبي الله[3]وقال ابن عباس: «وأعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأني وأنتم سنسجد له[4]»وقال عطاء: وأعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون[5] قال السدي: «لما أخبر يعقوب بنوه بسيرة ملك مصر طمع أن يكون يوسف[6] فلذلك قال لبنيه: ﴿اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾قال أبو عبيد تحسست الخبر بحثته وطلبته لأجده[7] وقال ابن عباس: ابحثوا عن يوسف[8] . ﴿ولا تيئسوا من روح الله﴾قال الأصمعي: «الروح الاستراحة من غم القلب» [9] وقال أبو عمرو: «الروح الفرح»[10] قال ابن عباس: «يريد من رحمة الله»[11] وهو قول قتادة والضحاك. وقال أبو زيد: «فرج الله[12]» والمعنى: لا تيئسوا من الروح الذي يأتي به الله ﴿إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾قال ابن عباس: «يريد أن المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد ويشكره ويحمده في الرخاء وأن الكافر ليس كذلك[13] قال المفسرون: لما قال أبوهم إذهبوا فتحسسوا من يوسف فخرجوا إلى مصر[14]».

= الحافظ ابن كثير في التفسير ٤/ ٢٣٠ نقلاً عن ابن أبي حاتم وقال هذا حديث غريب فيه نكارة وذكره البغوي في التفسير ٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(١) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/ ٢٢٨ (١٩٧٢١).

(٢) ومعناه خرجت ريح القدر انظر.

(٣) البغوي ٢/ ٤٤٥، الرازي ١٨/ ١٥٨.

(٤) البغوي ٢/ ٤٤٥، الرازي ١٨/ ١٥٨. القرطبي ٨/ ٣٤٨٠.

(٥) ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٢٧٥ الرازي ١٨/ ١٥٨.

(٦) البغوي ٢/ ٤٤٥، الرازي ١٨/ ١٥٨، القرطبي ٨/ ٣٤٨٠.

(٧) انظر تهذيب اللغة ٣/ ٤٠٨، وانظر الرازي ١٨/ ١٥٨. انظر القرطبي ٨/ ٣٤٨١.

(٨) البغوي ٢/ ٤٤٦.

(٩) تهذيب اللغة ٥/ ٢١٦، فتح القدير ٢/ ٤٩، الرازي ١٨/ ١٥٩.

(١٠) البغوي ١/ ٢٤٦ الطبري ١٦/ ٢٣٣ فتح القدير ٣/ ٤٩ الرازي ١٨/ ١٥٩.

(١١) الطبري ١٦/ ٢٣٣ زاد المسير ٤/ ٢٧٦، البغوي ٤/ ٤٤٦ القرطبي ٨/ ٣٤٨١ البحر المحيط ٥/ ٣٣٩.

(١٢) الطبري ١٦/ ٢٣٣(١٩٧٣٥) زاد المسير ٤/ ٢٧٦ الرازي ١٨/ ١٥٩، البغوي ٢/ ٢٤٦ فتح القدير ٣/ ٤٩ القرطبي ٨/ ٣٤٨ البحر المحيط ٥/ ٣٣٩.

(١٣) زاد المسير ٤/ ٢٧٦.

(١٤) القرطبي ٨/ ٣٤٨١ زاد المسير ٤/ ٢٧٦.

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

﴿فلما دخلوا عليه﴾أي على يوسف. **﴿قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾**أي: أصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة، **﴿وجئنا ببضاعةٍ مزجاة﴾**الإزجاء في اللغة: السَّوق والدفع قليلاً قليلاً ومنه قوله: **﴿ألم تَرَ أن الله يزجي سحابا﴾**[1] قال ابن عباس: «كانت دراهم رديئة زيوفاً لا تنفق في ثمن الطعام[2]» وقال الحسن والكلبي ومجاهد: كانت خلق الغيارة والحبل والأقط[3] وقال مقاتل: «وكانت حبة الخضراء[4]» والمعنى جئنا ببضاعة تتدافع بها الأيام وتتقوت ليست مما يتسع به وقال أبو عبيد: إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها[5] ثم سألوه مساهلتهم في النقد وإعطائهم بدراهمهم مثل ما يعطى بالجياد وهو قوله: **﴿فأوف لنا الكيل﴾**أتمه ولا تنقصه بسبب رداءة دراهمنا **﴿وتصدق علينا﴾**سامحنا بما بين النقدين وسعر لنا بالرديء كما تسعر بالجيد **﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾**بالثواب فلما قالوا ليوسف مسنا وأهلنا الضر رحمهم وأدركته الرقة فدمعت عينه وقال: **﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾**قال ابن الأنباري: «هذا الاستفهام يعني به تعظيم القصة وتوبيخهم[6] عليها» ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف وما أقبح ما أتيتم من قطيعة رحمه وتضييع حقه كما تقول: هل تدري من عصيت؟ وهذه الآية تصديق قوله: **﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا﴾** وقوله: **﴿وأخيه﴾**يعني: ما فعلوا به بإدخال الهم والجزع بإفراده عن أخيه ولم يذكر أباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم بفراقه تعظيماً ورفعاً من قدره وعلماً أن ذلك كان له بلاء من الله ليزيد في درجته عنده وقوله: **﴿إذ أنتم جاهلون﴾**أي: بعقوق أبيكم وقطع رحم أخيكم يعني فعلتم ذلك جهلاً منكم. وروي عن ابن عباس: «إذ أنتم صبيان[7]» وعن الحسن «شبان[8]» وعلى هذا يراد جهالة الصبي فالشابّ قال الضحاك: «لما قال لهم يوسف هل علمتم الآية تبسم فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف»[9] فقالوا له: **﴿أئنك لأنت يوسف قال**

---

(١) سورة النور ٤٣.

(٢) الطبري ١٦/٢٣٥ (١٩٧٤١) زاد المسير ٤/٢٧٨ ابن كثير ٤/٣٣١ البغوي ٢/٤٤٦ القرطبي ٨/٣٤٨٢ الرازي ١٨/١٦١ البحر المحيط ٥/٣٤٠.

(٣) الطبري ١٦/٢٣٧ (١٩٧٤٤) ابن كثير ٤/٣٣١ البغوي ٢/٤٤٦ القرطبي ٨/٣٤٨٢ الرازي ١٨/١٦١ البحر المحيط ٥/٣٤٠ والخلق: الخسيس البالي من كل شيء.

(٤) الطبري ١٦/٣٣٧ (١٩٧٥٢) ابن كثير ٤/٣٣١ البحر المحيط ٥/٣٤٠ البغوي ٢/٤٤٦ الرازي ١٨/١٦١ القرطبي ٨/٣٤٨٢.

(٥) تهذيب اللغة ١١/١٥٥ والبغوي ٢/٤٤٦ القرطبي ٨/٣٤٨٢ والرازي نقلا عن أبي عبيد ١١/١٦١.

(٦) انظر الرازي ١٨/١٦٢ زاد المسير ٤/٢٧٩.

(٧) الرازي ١٨/١٦٢ زاد المسير ٤/٢٨٠ البحر المحيط ٥٤/٣٤١ القرطبي ٨/٣٤٨٥.

(٨) البغوي ٢/٤٤٧ زاد المسير ٤/٢٨١ البحر المحيط ٥/٣٤١ القرطبي ٨/٣٤٨٥.

(٩) الرازي ١٨/١٦٢ زاد المسير ٤/٢٨١ البغوي ٢/٤٤٧.

أنا يوسف﴾قال ابن الأنباري: أظهر الاسم ولم يقل: أنا هو تعظيماً لما وقع به من ظلم إخوته كأنه قال: أنا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني[1] ولهذا قال: **﴿وهذا أخي﴾**وهم يعرفونه لأن قصده: وهذا المظلوم كظلمي **﴿قد من الله علينا﴾**قال ابن عباس: «بكل خير في الدنيا والآخرة»[2] قال آخرون «بالجمع بيننا بعد التفرقة»[3] **﴿إنه من يتق ويصبر﴾**قال ابن عباس: «من يتق الله ويصبر على المصائب وعن المعاصي»[4] وقال مقاتل: «من يتق الزنا ويصبر على الأذى»[5] **﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾** أجر من كان هذا حاله **﴿قالوا تالله لقدءاثرك الله علينا﴾** بالعلم والحلم والعقل والحسن والملك **﴿وإن كنا لخاطئين﴾**قال ابن عباس: «لمذنبين آثمين في أمرك»[6] : **﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾**لا تعيير ولا توبيخ يقال: ثربه إذا عيَّره وروى ابن الأنباري عن ثعلب ثرب فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه [7] قال ابن عباس: يريد لا لوم عليكم [8] وقال الكلبي: «لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبداً» [9] وقال ابن الأنباري: «أي قد انقطع عنكم توبيخي عند اعترافكم بالذنب»[10] ويجوز الوقف عند الأخفش على قوله **﴿عليكم﴾** ثم يقول: **﴿اليوم يغفر الله لكم﴾**فيعلق اليوم بالغفران وذكره ابن الأنباري[11] أيضاً قال ابن عباس: جعلهم في حل وسأل الله لهم المغفرة[12] وأخبرنا أن الله أرحم بأوليائه من الوالدين بولدهما وهو قوله: **﴿وهو أرحم الراحمين﴾**ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن أبيه فقال: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه فهو قوله: **﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي﴾** الآية.

وكان من شأن ذلك القميص ما أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أنا: أبو علي بن أبي بكر الفقيه أنا أبو لبابة محمد بن المهدي نا عمار بن الحسن[13] نا شجاع بن أبي نصر[14] عن عباد بن كثير عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: أما قوله: اذهبوا بقميصي هذا فإن نمروذ الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل إليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة [15] من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسى إبراهيم ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقي في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله: **﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾**الآية[16] ونحو هذا قال عامة المفسرين قال ابن عباس أخرج لهم قصبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها إخوته

---

(١) فتح القدير ٣/٥٢ زاد المسير ٤/٢٨١.

(٢) الرازي ١٨/١٦٣ القرطبي ٨/٣٤٨٧.

(٣) البغوي ٢/٤٤٧ الرازي ١٨/١٦٣.

(٤) البحر المحيط ٥/٣٤٢ الرازي ١٨/١٦٣ زاد المسير ٤/٢٨٢ القرطبي ٨/٣٤٨٥ البغوي ٢/٤٤٧ فتح القدير ٣/٥٢.

(٥) البحر المحيط ٥/٣٤٢ زاد المسير ٤/٢٨٢ البغوي ٢/٤٤٧.

(٦) الطبري ١٦/٢٤٧ ابن كثير ٤/٣٣٣ البغوي ٢/٤٤٧ زاد المسير ٤/٢٨٣.

(٧) فتح القدير ٣/٥٢ زاد المسير ٤/٢٨٢.

(٨) الطبري ١٦/٢٤٧ وفتح القدير ٣/٥٢.

(٩) الطبري ١٦/٢٤٧ البغوي ٢/٤٤٧.

(١٠) زاد المسير ٤/٢٨٢ فتح القدير ٣/٥٢.

(١١) فتح القدير ٢/٥٢.

(١٢) ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٨٣.

(١٣) عمار بن الحسن بن بشير الهمداني أبو الحسن الرازي نزيل نسا، قال النسائي: ثقة، وقال في موضع لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال مولده سنة ١٥٩ ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين. انظر التهذيب ٧/٣٩٩.

(١٤) شجاع بن أبي نصر البلخي أبو نعيم المقري. قال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا شجاع بن أبي نصر وكان صدوقاً مأموناً. وذكره ابن حبان في الثقات. انظر التهذيب (٤/٣١٣).

(١٥) وهي البساط الذي له خمل رقيق.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ كذا في الدر المنثور ٤/٣٤ وذكره الرازي في التفسير ١٨/١٦٦.

فيها قميص وهو الذي نزل به جبريل على إبراهيم وذكر القصة[١] وقال مجاهد أمره جبريل أن أرسل إليه قميصك فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مُبْتَلٍ ولا سقيم إلا صح وعوفي[٢] وقال الحسن: «لولا أن الله أعلمه لم يدر أنه يرجع إليه بصره»[٣] فذلك قوله: ﴿يأت بصيراً﴾وقال ابن عباس: «يرتد بصيراً ويذهب البياض الذي على عينيه»[٤] وقال السدي «يعد بصيراً»[٥] وقال الفراء: «يرجع بصيراً» [٦] وقوله: ﴿وأتوني بأهلكم أجمعين﴾قال الكلبي: «وكان أهله نحواً من سبعين إنساناً» [٧] وقال مسروق: «دخل أهل يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من رجل وامرأة» [٨].

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

قوله: ﴿ولما فصلت العير﴾يقال: فصل فلان من عند فلان فصولاً إذا خرج من عنده قال المفسرون: «لما خرجت العير من مصر متوجهة إلى كنعان» ﴿قال أبوهم﴾لمن حضره من أهله وقرابته وولد ولده وأولاده وكانوا غائبين عنه ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾[٩] قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب وبينهما مسيرة ثماني ليال[١٠] «وقال مجاهد»: هبت ريح فضربت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾[١١] وذكر في القصة: أن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكربون فيجدون لها روحاً وقد أكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم وهي تأتي من ناحية الشرق وفيها لين إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها وهيجت الأشواق إلى الأحباب والحنين إلى الأوطان قال «أبو صخر الهذلي»[١٢]:

---

(١) الرازي ١٨/١٦٥ زاد المسير ٤/٢٨٣ البغوي ٢/٤٤٨.
(٢) البغوي ٢/٤٤٨ فتح القدير ٣/٥٢.
(٣) البغوي ٢/٤٤٨ انظر ابن الجوزي في الزاد ٤/٢٨٣.
(٤) انظر البغوي ٢/٤٤٨.
(٥) الرازي ١٨/١٦٥ البغوي ٢/٤٤٨.
(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٥.
(٧) الرازي ١٨/١٦٥، زاد المسير ٤/٢٨٣.
(٨) الرازي ١٨/١٦٥، القرطبي ٨/٣٤٨٨.
(٩) الطبري ١٦/٢٤٨، زاد المسير ٤/٢٨٣ ابن كثير ٤/٣٣٣ البغوي ٢/٤٤٨. الرازي ١٨/١٦٥، فتح القدير ٢/٥٥ القرطبي ٨/٣٤٨٨.
(١٠) الطبري ١٦/٢٥١ (١٩٨١٢) ابن كثير ٤/٣٣٣ زاد المسير ٤/٢٨٤ البغوي ٢/٤٤٨، القرطبي ٨/٣٤٨٨.
(١١) ابن كثير ٤/٣٣٣، زاد المسير ٤/٢٨٤ الرازي ١٨/١٦٦ البغوي ٢/٤٤٨.
(١٢) أبو صخر الهذلي عبد الله بن سلمة السهمي من بني هذيل بن مدركة: شاعر من الفصحاء كان في العصر الأموي موالياً لبني مروان متعصباً لهم، وله في عبد الملك وأخيه عبد العزيز مدائح. وكان قد حبسه عبد الله بن الزبير عاماً وأطلقه بشفاعة رجال من قريش. وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

انظر الأعلام (٤/٩٠ ـ ٩١).

إذَا قُلْتُ هَـذَا حِيـنَ أَسْلُو يُـهَيِّجني نَسِيم الصَّبـا مِنْ حَيْثُ يَـطْلَعُ الْفَجْـر[١]

وقال آخر:

أَيـا جَـبَلَيْ نـعْـمـانَ بِـالله خَـلِّيـا نَسِيمَ الـصَّبَـا يَـخْلُصْ إليَّ نَـسيـمُـهَـا
فَـإنَّ الـصَّبـا ريـحٌ إذَا مَـا تَـنَـفَّسَـتْ عَلَى نَفْس مَـهْـمُـومٍ تَجلَّتْ هُمُـومُهَـا[٢]

وقال آخر:

وَلَقَدْ تَهُـبَّ لِـيَ الـصَّبـا مِـنْ أَرْضِهَـا فَـيَـلَذُّ مَس هُـبُـوبـهَـا ويَـطِيبُ لِـي
يُنْـدِي عَلى كـبِـدِي وَيَنْـقَـح غلتي وَيَـبُـلُّ حَـرَّ فُـؤَادِي الْـمُشْتـعِـل[٣]

أخبرنا عبد القاهر البغدادي نا بشر بن أحمد نا محمد بن يحيى نا عاصم بن علي أنا شعبة عن أبي سنان ضرار بن مرة[٤] قال: سمعت عبد الله بن أبي الهذيل[٥] يحدث عن ابن عباس في قوله: إني لأجد ريح يوسف قال: وجد ريحه من مسيرة ما بين البصرة والكوفة[٦].

وقوله ﴿لولا أن تفندون﴾الفند ذهاب العقل من الهرم يقال: أفند الرجل إذا خرف وتغير عقله وفنده إذا نسبه إلى الجهل والخرق قال أبو عبيدة: «لولا أن تسفهوني»[٧] وقال الزجاج: «لولا أن تجهلوني»[٨] وقال: مجاهد: «لولا أن تقولوا ذهب عقلك» [٩] ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾قال «مقاتل» وغيره: «معنى الضلال ها هنا الشقاء»[١٠] يعنون شقاء الدنيا وهو ما يكابد من الأحزان على يوسف وقال قتادة: «في حبك ليوسف ما تنساه ولا تسلاه»[١١] وهذا كقوله: ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ وقد مر، وقال الحسن[١٢]: إنما قالوا هذا لأنه كان عندهم أن يوسف قد مات وأن يعقوب بولوعه بذكره ذاهب عن الصواب قوله: ﴿فلما أن جاء البشير﴾ الآية قال المفسرون[١٣] البشير كان يهوذا بن

(١) انظر أشعار الهذليين ٩٥٧/٢ وانظره في فتح القدير (٥٣/٣).
(٢) البيتان لقيس بن الملوح انظر ديوانه (٨٢) وفي فتح القدير (٥٣/٣).
(٣) والبيت الأول من البيتين في فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٣).
(٤) ضرار بن مرة الكوفي أبو سنان الشيباني الأكبر. روى عن أبي صالح السمان وسعيد بن جبير وقزعة بن يحيى ومحارب بن دثار وعبد الله بن الحارث الزبيدي الكوفي وعبد الله بن أبي الهذيل وأبي صالح الحنفي وجماعة. وعنه شعبة وشريك والسفيانان. قال ابن المديني عن يحيى القطان كان ثقة وقال أبو طالب عن أحمد كوفي ثبت وقال أبو حاتم ثقة لا بأس به وقال النسائي كوفي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. انظر التهذيب ٤٥٧/٤.
(٥) عبد الله بن أبي الهذيل العنزي أبو المغيرة الكوفي. قال النسائي: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي تابعي ثقة، وكان عثمانياً. انظر التهذيب (٦٢/٦).
(٦) الطبري ٢٥٠/١٦ (١٩٨٠٨) (١٩٨٠٩، ١٩٨١٠).
(٧) الطبري ٢٥٢١٦ (١٩٨١٨) البحر المحيط ٣٤٥/٥ زاد المسير ٢٨٥/٤ البغوي ٤٤٨/٢ القرطبي ٣٤٨٩/٨.
(٨) انظر معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٣ البغوي ٤٤٨/٢.
(٩) الطبري ٢٥٤/١٦ (١٩٨٣٤) زاد المسير ٢٨٥/٤ البغوي ٤٤٨/٢.
(١٠) زاد المسير ٢٨٦/٤.
(١١) الطبري ٢٥٧/١٦ (١٩٨٥٠) ابن كثير ٣٣٣/٤.
(١٢) البغوي ٤٤٨/٢.
(١٣) الطبري ٢٥٨/١٦، ٢٥٩ البغوي ٤٤٩/٨ البحر المحيط ٣٤٥/٥ ابن كثير ٣٣٣/٤ زاد المسير ٢٨٦/٤ الرازي ١٦٦/١٨ فتح القدير ٥٤/٣.

يعقوب قال: إني جئته بالقميص ملطخاً بالدم فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرحه كما أحزنته فحمل القميص وخرج حاسراً حافياً يعدو وكان معه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخاً فلما أتى أباه ﴿ألقاه على وجهه فارتد بصيراً﴾ قال الضحاك[١]: رجع إليه بصره بعد العمى، وقوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن، وقال ابن عباس: في قوله ﴿فارتد بصيراً﴾ انجلى البياض وذهبت الظلمة[٢] ومعنى الارتداد انقلاب الشيء إلى حال قد كان عليها والمعنى عاد ورجع إلى حال البصر.

أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الأصبهاني أنا عبدالله بن محمد بن حيان نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل العسكري نا يحيى ين يمان عن سفيان قال لما جاء البشير يعقوب قال: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام قال: «الآن تمت النعمة»[٣].

وقوله: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ تقدم تفسيره، ثم سألوا أباهم أن يستغفر الله لهم ما آتوا إليه من إدخال الحزن عليه وهو قوله: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا﴾ الآية. ﴿قال﴾ يعقوب ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ قال ابن عباس: «أخر دعاءه إلى السحر»[٤] وهو قول ابن مسعود وقتادة والسدي[٥] وقال في رواية الكلبي وعكرمة «يقول حتى تأتي ليلة الجمعة»[٦] قال الزجاج: «أراد يعقوب أن يستغفر لهم في وجه السحر في الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء لا لأنه ضن عليهم بالاستغفار»[٧].

أخبرنا أحمد بن محمد بن الحارث أنا عبد الله بن محمد الحافظ نا عبد الرحمن بن محمد الرازي نا سهل بن عثمان نا أبو مالك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ سئل: لم أَخَّرَ يعقوب عن بنيه الاستغفار؟ قال: «أخرهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب»[٨]. قالوا: وكان يوسف بعث مع البشير إلى يعقوب جهازاً ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الأكبر الذي فوقه فخرج يوسف في أربعة من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب فلما نظر يعقوب إلى الخيل قال لابنه يهوذا: هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قصد يوسف أن يبدأه بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان[٩].

أخبرنا أبو القاسم محمد بن علي الصوفي الكوفي أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف[١٠] نا العباس بن محمد

---

(١) البغوي ٢/٤٤٩ الرازي ١٨/١٦٦ البحر المحيط ٥/٢٤٦.

(٢) البغوي ٢/٤٤٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كذا في الدر المنثور ٤/٣٥ عن الحسن والبغوي في التفسير ٢/٤٤٩ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٥.

(٤) الطبري ١٦/٢٦١ البغوي ٢/٤٤٩ الرازي ١٨/١٦٧ البحر المحيط ٥/٣٤٦ القرطبي ٨/٣٤٩١ فتح القدير ٣/٥٥.

(٥) الطبري ١٦/٢٦١ ابن كثير ٤/٣٣٤ البغوي ٢/٤٤٩ البحر المحيط ٥/٣٤٦ القرطبي ٨/٣٤٩٢ فتح القدير ٢/٥٥.

(٦) الطبري ١٦/٢٦٢، زاد المسير ٤/٢٨٧ البغوي ٢/٤٤٩ البحر المحيط ٥/٣٤٦ الرازي ١٨/١٦٧.

(٧) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٢٩.

(٨) أخرجه الطبري في التفسير ١٦/٢٦١ وذكره الشوكاني في الفتح ٢/٥٥، عن ابن عباس موقوفاً وعزاه لابن المنذر وابن مردويه.

(٩) هذا من الافتراءات العجيبة التي يجب علينا أن ننزه أسماعنا عنها وانظر تفسير البغوي ٢/٤٤٩ ـ ٤٥٠. والرازي ١٨/١٦٧ ـ ١٦٨.

(١٠) علي بن أحمد شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري. روى عن أبي عبد الله بن نظيف. قال أبو القاسم بن عساكر: لم يكن موثقاً. وقال ابن النجار: متهم بوضع الحديث وتركيب الأسانيد قاله في ترجمة عبد السلام بن محمد. انظر الميزان ٣/١١٢.

ابن الحسن بن قتيبة[1] نا أبو بكر محمد بن يزيد المستملي[2] نا بشر بن الحارث[3] نا أبو بكر بن عياش عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما جمع الله بين يوسف ويعقوب عليهما السلام أقبل يوسف فقال: يا أبت حزنت عليّ حتى انحنيت؟ قال: نعم فقال: بكيت عليّ حتى ذهب بصرك؟ قال: نعم قال: أما علمت أن القيامة تجمعني وإياك؟ قال: أي بني إني خشيت أن يسلب دينك فلا نجتمع[4].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

وذلك قوله: **﴿فلما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أبويه﴾** ضمهما إليه وأنزلهما عنده؟ قال عامة المفسرين: يعني أباه وخالته وذلك أن أمه كانت قد ماتت في نفاسها ببنيامين[5] فقال لهم قبل دخولهم مصر **﴿ادخلوا مصر إن شاء الله ءامنين﴾** والاستثناء يعود إلى الأمن وإنما قال: آمنين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجوارهم.

قوله: **﴿ورفع أبويه على العرش﴾** أي: أجلسهما معه على سرير الملك **﴿وخروا له سجداً﴾** كان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض السجود والانحناء والتواضع وكأنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله تعالى في شريعتهم فلما رأى ذلك يوسف قال **﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي﴾** أي: إلي يقال: أحسن بي وإليّ قال كثير[6]:

أَسِيئي بِنَـا أَوْ أَحْسِنِي لاَ مَلُومَـة ... لَـدَيْنَـا وَلاَ مَقْلِيَّـة إنْ تَقَلَّتِ[7]

﴿إذ أخرجني من السجن﴾ ولم يذكر إخراجه من البئر كرماً لئلا يذكر إخوته صنيعهم به بعد قوله: **﴿لا تثريب**

(١) العباس بن محمد بن الحسن بن قتيبة. انظر دائرة معارف الأعلمي (١٤/ ٢٧٠).

(٢) محمد بن يزيد المستملي أبو بكر الطرسوسي لا النيسابوري. قال ابن عدي: يسرق الحديث ويزيد فيه ويضع. انظر الميزان (٤/ ٦٦).

(٣) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي نزيل بغداد، أبو نصر الحافي الزاهد الجليل المشهور ثقة قدوة مات سنة سبع وعشرين وله ست وسبعون. انظر التقريب ١/ ٩٨.

(٤) موضوع وآفته علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر. ومحمد بن يزيد المستملي والأثر عند البغوي (٢/ ٤٥٠).

(٥) الطبري ١٦/ ٢٦٦ البغوي ٢/ ٤٥٠ الرازي ١٨/ ١٦٨ ابن كثير ٣٣٥. القرطبي ٨/ ٣٤٩٢ فتح القدير ٣/ ٥٦ البحر المحيط ٥/ ٣٤٧.

(٦) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي أبو صخر: شاعر متيم مشهور. من أهل المدينة. أكثر إقامته بمصر. وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه فاختص به وببني مروان يعظمونه ويكرمونه. وكان مفرط القصر دميماً في نفسه شمم وترفع يقال له ابن أبي جمعة وكثير عزة والملحي نسبة إلى مليح وهم قبيلته.
قال المرزباني: كان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً. انظر الأعلام ٥/ ٢١٩.

(٧) البيت في الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٥١٠) والبحر المحيط ٥/ ٣٤٩ وانظر تخريجنا هناك والرازي (١١/ ١٧١). أمالي الشجري ١/ ٤٨ اللسان قلا.

عليكم﴾ ﴿وجاء بكم من البدو﴾والبدو البسيط من الأرض يقال: بدو وحضر قال قتادة(١): كان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش وبرية ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾أفسد بيننا وحمل بعضنا على بعض وقال ابن عباس: «دخل بيننا بالحسد»(٢) ﴿إن ربي لطيف لمن يشاء﴾قال الأزهري: اللطيف من أسماء الله معناه الرفيق بعباده، يقال: لطف فلان بفلان يلطف إذا رفق به لطفاً(٣) وقال عمرو بن أبي عمرو: اللطيف الذي يوصل إليك إربك في رفق قال أهل التفسير: إن ربي عالم بدقائق(٤) الأمور ﴿إنه هو العليم﴾بخلقه ﴿الحكيم﴾فيهم بما يشاء ثم إن يعقوب أقام بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعا وعشرين سنة بأغبط حال وأهنأ عيش إلى أن حضرته الوفاة فأوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه وجده ففعل ذلك يوسف وكان عمر يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة ولما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم تأويل رؤياه دعا ربه وشكره وحمده فقال:

۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

﴿رب قد ءاتيتني من الملك﴾قال الباقر: «آتى الله يوسف ملك الأرض المقدسة فملك اثنتين وسبعين سنة»(٥) ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾يعني تفسير الأحلام ﴿فاطر السموات والأرض﴾قال ابن عباس: يريد خالق السماوات والأرض(٦) ومن هذا قوله ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ أي خلقني ﴿أنت وليّي في الدنيا والآخرة﴾ أنت الذي تلي أمري ﴿توفني مسلماً﴾ قال ابن عباس: «يريد لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه»(٧) وقال قتادة: سأل ربه اللحوق به قال: ولم يتمنَّ نبي قبله الموت(٨) وقوله: ﴿وألحقني بالصالحين﴾يعني بالنبيين من آبائه والمعنى: ألحقني بهم(٩) في ثوابهم ودرجاتهم ثم مات يوسف وأوصى إلى أخيه يهوذا ودفن في نيل مصر في صندوق من رخام وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلته لما يرجون من بركته فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمر الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان قوله:

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم

---

(١) الطبري ١٦/٢٧٥ القرطبي ٨/٣٤٩٦ البحر المحيط ٥/٣٤٨ فتح القدير ٣/٥٦ الرازي ١٨/١٧١.

(٢) البغوي ٢/٤٥١ القرطبي ٨/٣٤٩٦.

(٣) تهذيب اللغة ١٣/٣٤٧ فتح القدير ٣/٥٦.

(٤) القرطبي ٨/٣٤٩٦ زاد المسير ٤/٢٩١ فتح القدير ٣/٥٧.

(٥) ومن هنا للتبعيض أي بعض الملك لأنه لم يؤت كل الملك إنما أوتي ملكاً خاصاً وهو ملك مصر في زمن خاص.

(٦) الطبري ١٦/٢٧٨ وانظر ١/٣٥٧ البغوي ٢/٤٥١ القرطبي ٨/٣٤٩٩. الرازي ١٨/١٧٤.

(٧) الطبري ١٦/٢٧٨ البغوي ٢/٤٥١ الرازي ١٨/١٧٥.

(٨) الطبري ١٦/٢٧٨ البغوي ٢/٤٥١ الرازي ١٨/١٧٣ القرطبي ٨/٣٤٩٨.

(٩) في ب (بمأواهم ودرجاتهم).

مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

﴿**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**﴾أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي كانت غائبة عنك فأنزلته عليك دلالة على إثبات نبوتك ﴿**وما كنت لديهم**﴾عند إخوة يوسف ﴿**إذ أجمعوا أمرهم**﴾ عزموا على أمرهم. ﴿**وهم يمكرون**﴾بيوسف قوله: ﴿**وما أكثر الناس**﴾الآية، قال ابن الأنباري[١]: وإن قريشاً واليهود سألت رسول الله ﷺ عن قصة يوسف وإخوته فشرحها شرحاً وافياً وهو يؤمل أن يكون ذلك سبباً لإسلامهم، فخالفوا ظنه وحزن رسول الله ﷺ بذلك فعزاه الله بقوله ﴿**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**﴾قال الزجاج[٢]: معناه: وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم لأنك ﴿**لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ ﴿**وماتسألهم عليه من أجر**﴾على القرآن وتلاوته عليهم وهدايتك إياهم من مال يعطونك ﴿**إن هو**﴾ما هو ﴿**إلا ذكر للعالمين**﴾تذكرة لهم بما هو صلاحهم ونجاتهم من النار ﴿**وكأي من ءاية**﴾وكم من آية ﴿**في السموات والأرض**﴾تدلهم على توحيد الله من أمر السماء وانها بغير عمد فيها أعظم البرهان على أن لها خالقاً وكذلك فيما يشاهد في الأرض من جبالها ونباتها وبحارها ﴿**يمرون عليها**﴾يتجاوزونها غير مفكرين ولا معتبرين بها ولما سمع المشركون هذا قالوا: (إنا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء) فأنزل الله ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله**﴾أي: اقرار بأن الله خلقه وخلق السماوات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن والمعنى أنهم كانوا يعترفون بأن الله خالقهم ورازقهم ويجعلون له شركاء من الأصنام وهو قوله: ﴿**إلا وهم مشركون**﴾ليس يراد بقوله: ﴿**وما يؤمن أكثرهم**﴾حقيقة الإيمان ولكن المعنى أن أكثرهم مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم مشركون ثم خوفهم فقال ﴿**أفأمنوا**﴾يعني المشركين ﴿**أن تأتيهم غاشية من عذاب الله**﴾عقوبة تغشاهم وتتسلط عليهم ﴿**أو تأتيهم الساعة**﴾ القيامة ﴿**بغتة**﴾فجاة يقال: بغتهم الأمر بغتاً وبغتة إذا فاجأهم ﴿**وهم لا يشعرون**﴾بإتيانها. قوله:

قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾

﴿**قل هذه سبيلي**﴾قل يامحمد للمشركين هذه الدعوة التي أدعوا إليها والطريقة التي أنا عليها. سبيلي سنتي ومنهاجي، وديني ﴿**أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا**﴾على دين ويقين والبصيرة المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل، ﴿**ومن اتبعني**﴾قال الفراء: «ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو»[٣] وهذا قول الكلبي [٤] قال: حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الأنباري[٥]: ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: الله ثم ابتدأ فقال: على بصيرة أنا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس[٦]: قال يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وقوله: ﴿**وسبحان الله**﴾أي: قل هذه سبيلي وقل سبحان الله تنزيها لله عما أشركوا ﴿**وما أنا من المشركين**﴾الذين اتخذوا مع الله ندا وكفؤاً وولداً قوله: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً**﴾ هذا رد لأنكارهم نبوته يقول لم نبعث قبلك إلا

---

(١) البحر المحيط ٥/٣٥٠ زاد المسير ٤/٢٩٣.
(٢) انظر معاني القرآن للزجاج ٣/١٣٠.
(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٢ فتح القدير ٢/٥٩.
(٤) البغوي ٢/٤٥٣ الطبري ١٦/٢٩٢.
(٥) الرازي ١٨/١٧٩ انظر زاد المسير ٤/٢٩٥ فتح القدير ٢/٥٩.
(٦) البغوي ٢/٤٥٣.

رجالاً فكيف تعجبوا من إرسالنا إياك ومن قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك؟ وقوله: ﴿من أهل القرى﴾قال ابن عباس: «يريد أهل المدائن لأن الله تعالى لم يبعث نبياً من بادية»[١]قال الحسن: «لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء»[٢] وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أهل فطنة وقوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾يعني المشركين المنكرين نبوة محمد ﷺ يقول: أفلم يسيروا فينظروا إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بها ﴿ولدار الآخرة﴾يعني الجنة ﴿خير للذين اتقوا﴾من الدنيا ﴿أفلا تعقلون﴾هذا فتؤمنوا وتتقوا الشرك؟

أخبرنا الأستاذ أبو منصور البغدادي: أنا أبو عمرو بن مطر أنا إبراهيم بن علي نا يحيى بن يحيى أنا أبو معاوية نا حجاج عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها»[٣] قوله: ﴿حتى إذا استيئس الرسل﴾ قال ابن عباس يريد من قومهم أن يؤمنوا[٤] ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم وهذا قول عطاء وقتادة والحسن[٥]وقرأ أهل الكوفة[٦]: «كـذِبوا» مخففة ومعناه: ظن الأمم[٧] أن الرسل كذبوهم فيما أخبـروهم بـه من نصر الله إيـاهم وإهلاك أعـدائهم وهذا معنى قـول ابن عباس وابن مسعـود ومجاهـد[٨] والضمير في قـوله ﴿وظنوا﴾على هذه القراءة للمرسل إليهم، التقدير: ظن المرسل إليهم أن الرسل أخبروهم بالكذب من أنهم إن لم يؤمنـوا بهم نزل بهم العذاب وإنما ظنوا ذلك لما رأوا من إمهال الله إياهم وقوله: ﴿جاءهم نصرنا﴾قال «ابن عباس» يريد نصر النبيين[٩] والمعنى: أن نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى ظن قومهم الـظنون ثم نصـروا فأهلك المكذب وأنجى المصدق وهو قوله: ﴿فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾[وقرأ عاصم[١٠]وابن عامر فنجّي من شاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء جعلاه ماضياً على ما لم يسم فاعله كقوله: ﴿ولا يرد﴾لأنهما طلبا موافقة المصحف فإن فيه نوناً واحدة وذلك لاجتماع النونين وأعان على ذلك خفاء النون عند الجيم ﴿ولا يرد﴾ولا يمنع عذابنا عن المشركين إذا بلغوا الاجل][١١] قوله:

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿لقد كان في قصصهم﴾يعني أخوة يوسف ﴿عبرة﴾فكرة وبصيرة من الجهل والحيرة ﴿لأولي الألباب﴾لذوي

(١) بنحوه عند الطبري ١٦/٢٩٣ وابن كثير ٤/٣٤٦ والقرطبي ٨/٣٥٠٣. وانظر فتح القدير ٢/٦٢ وانظر البحر المحيط ٥/٣٥٣.

(٢) القرطبي ٨/٣٥٠٣ زاد المسير ٤/٢٩٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٤٤٨ في كتاب الزهد باب صفة الجنة ٤٣٢٩ وقال الشهاب البوصيري في إسناده حجاج وعطية وهما ضعيفان.

(٤) القرطبي ٨/٣٥٠٤ زاد المسير ٤/٢٩٦ الرازي ١٨/١٨١.

(٥) القرطبي ٨/٣٥٠٤ زاد المسير ٤/٢٩٦ البغوي ٢/٤٥٤.

(٦) انظر حجة القراءات وانظر النشر ٢/٢٩٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٥٦.

(٧) في ب (الرسل) (إن الأمم كذبوهم).

(٨) الطبري ١٦/٢٩٨ القرطبي ٨/٣٥٠٤ البحر المحيط ٥/٣٥٥ البغوي ٢/٤٥٤ الرازي ١٨/١٨١.

(٩) الطبري ١٦/٢٩٨ القرطبي ٨/٣٣٥٠٦ البغوي ٢/٤٥٤.

(١٠) انظر النشر ٢/٢٩٦ إتحاف فضلاء البشر ٢/١٧٥.

(١١) سقط في أ، ب.

العقول السليمة الذين يستعملون العقل فيعتبرون، وذلك أن من اعتبر وتذكر علم أن محمداً ﷺ مع كونه أمياً لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه، وعلم أيضاً أن من قدر على إعزاز يوسف وتمليكه مصر بعد إلقائه في الجب، وكونه في حكم العبيد قادر على أن يعز محمداً ﷺ ويعلي كلمته، وينصره على من عاداه، قوله: ﴿**ما كان حديثاً يفترى**﴾أي: ما كان هذا القرآن حديثاً يتقوله بشر، ﴿**ولكن**﴾كان ﴿**تصديق الذي بين يديه**﴾من الكتب، أي: يصدق ما قبله من التوراة والإنجيل، بموافقة الأخبار، ﴿**وتفصيل كل شيء**﴾يحتاج إليه من أمور الدين ﴿**وهدى**﴾بياناً ﴿**ورحمة لقوم يؤمنون**﴾يصدقون بما جاء به محمد ﷺ.

فهرس الجزء الثاني

تفسير سورة النساء

تفسير سورة المائدة

تفسير سورة الأنعام

تفسير سورة هود

تفسير سورة يوسف